رواية

الإلـــه النـــاري

الجزء الثالث والأخير من ثلاثية "حرب الخشخاش"



ر. ف. كوانج

R.F KUANG

THE BURNING GOD

من يحكم مملكة تشتعل؟

ر.ف. كوانج

المؤلفة المرشحة لجوائز نيبولا، ولوكوس، وورلد فانتزي

ترجمة / كاميليا

الإله الناري

(الجزء الأخير من ثلاثية حرب الخشخاش)



ر. ف. كوانج

الجزء الختامي من ثلاثية الفانتازيا الرائعة (حرب الخشخاش).

لقد تعرضت "رين"، للخيانة من كل من أخلصت لهم. الآن، تتراجع إلى موطنها في الجنوب، في حين يتقاسم أمراء الحرب والغزاة الإمبراطورية فيما بينهم. ولكن في الجنوب، الذي يتسم بالفقر والبساطة، تكتشف "رين" قوة الشعب التي لم يلاحظها أحد من النبلاء بعد: أعدادٌ لا تُحصى من عامة الشعب، الذين يؤمنون فعلاً بهذه الشابة كإلهةٍ للخلاص.

ربما لا يزال حلم "رين" بالحرية ممكناً بعد كل شيء! ولكن بينما تتنامى قوتها ونفوذها، ترتفع أيضاً همسات العنقاء المُغوية. فهل ستقاومها "رين"؟ أم أنها ستنساق وراءها - وتشعل النيران في العالم بأسره؟

9 789921 712957

info@daralkhan.com

الإلـه النــــاري

THE BURNING GOD

للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks

ترجم هذا الكتاب بدعم من مبادرة ترجم

مبادرة ترجم

Tarjim Initiative

هيئة الأدب والنشر والترجمة

Literature, Publishing & Translation Commission

Translation funded by the Tarjim Initiative

ترجمة / كاميليا

ر. ف. كوانغ

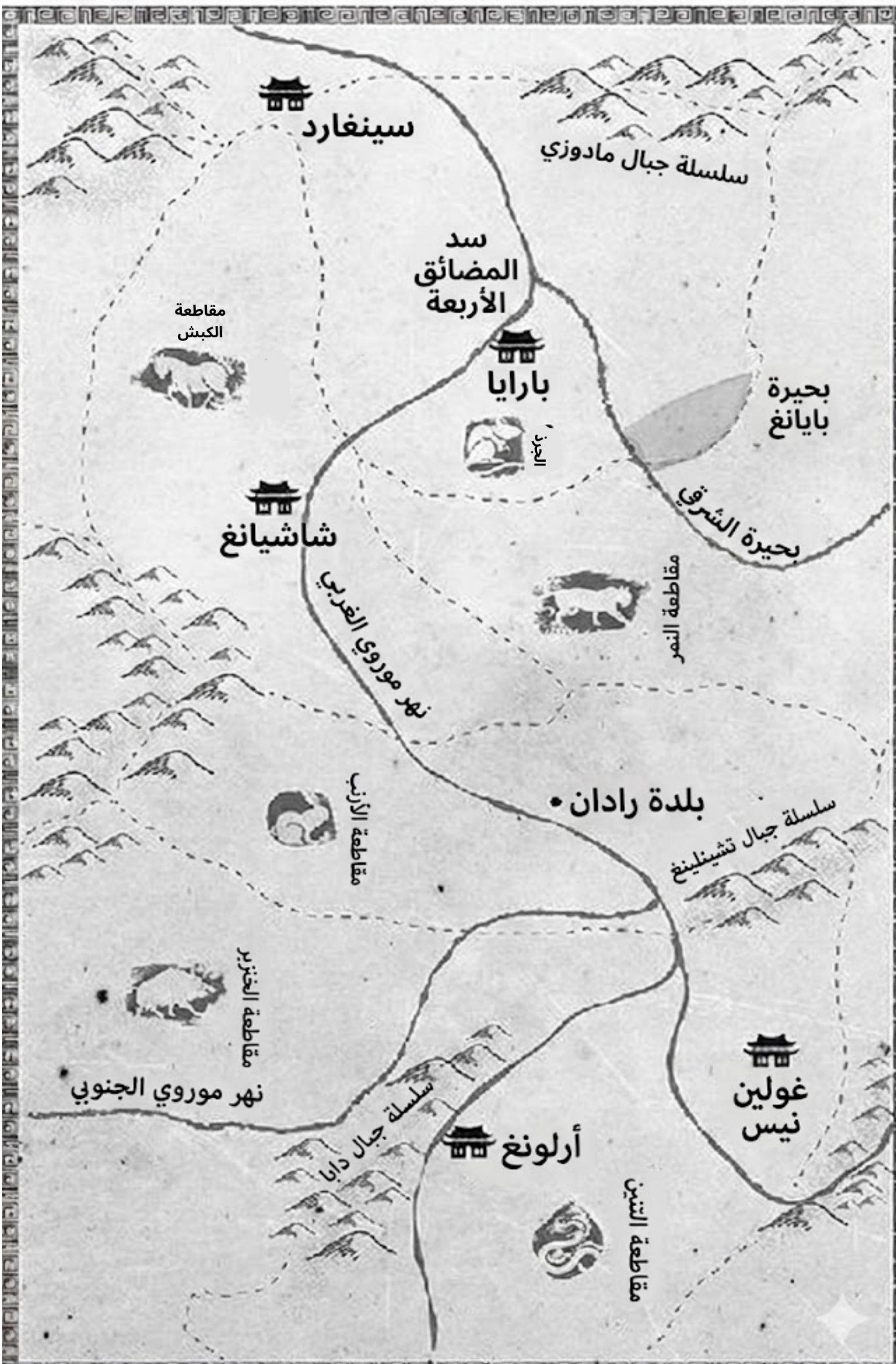
R. F. KUANG

الإله النـــــاري

THE BURNING GOD



ترجمة / كاميليا


سينغارد
سلسلة جبال مادوزي
سد المضائق الأربعة
مقاطعة الكبش
بارايا
الجرذ
بحيرة بايانغ
بحيرة الشرق
شاشيانغ
نهر موروي الغربي
مقاطعة النمر
بلدة رادان
سلسلة جبال تشينلينغ
مقاطعة الأرنب
مقاطعة الخنزير
نهر موروي الجنوبي
سلسلة جبال دابا
أرلونغ
غولين نيس
مقاطعة التنين

شخصيات حرب الخشخاش

التحالف الجنوبي وحلفاؤه

الاسم	الوصف
فانغ رونين	يتيمة حرب من "إقليم الديك"، القائدة السابقة لفرقة "السيك"، وآخر "سبيرية" على قيد الحياة.
تشن كيتاي	ابن وزير الدفاع الإمبراطوري السابق، ووريث بيت "تشن"، ومرساة رين.
سرينغ فينكا	رامية سهام من سينغارد، وابنة وزير المالية الإمبراطوري السابق.
ليو غوروباي	"أمير حرب القردة"، وسياسي لامع.
ما ليين	زعيم قطاع طرق، وعضوفي القيادة الجنوبية.
ليو داي	عضوفي القيادة الجنوبية، وحليف قديم لـ غوروباي.
يانغ سوجي	قائد مقاومة من "إقليم الديك"، يقود فرقة "الذئاب الحديدية".
كوان تشولانغ	الشاب المعين حديثًا كـ "أمير حرب الكلب".
تشانغ مواغ	ملكة قراصنة أنخيلون، وتعرف أيضًا بلقب "العاهرة الحجرية" و"الأرملة الكاذبة".

بيت يين

الإسم	الوصف
يين فايسرا	"حاكم التنين" وزعيم جمهورية نيكان.
يين سايخارا	سيدة أرلونغ وزوجة يين فايسرا.
يين جينزا*	الابن الأكبر لحاكم التنين والمارشال الكبير للجيش الجمهوري، قُتل على يد سو داجي.
يين موزا	الشقيقة التوأم لـ جينزا، وابنة فايسرا الوحيدة.
يين نزهة	الابن الثاني لحاكم التنين.
يين مينغزا*	الابن الثالث لحاكم التنين، قتله تنين أرلونغ وهو طفل.

التريفيكتا

الاسم	الوصف
سو داجي	إمبراطورة "النيكان" سابقًا، وتعرف بلقب "الأفعى"، تستدعي إلهة الحلزون والخلق (نووا).
جيانغ زيا	"حارس البوابة"، يستدعي وحوش حديقة الإمبراطور.
يين ريغا	"الإمبراطور التنين"، يُفترض أنه مات منذ نهاية "حرب الخشخاش الثانية".

الهسبيريون

الاسم	الوصف
الجنرال جوزيفوس تاركيت	قائد القوات الهسبيريةفي "النيكان".
الأخت بيترا إغناتيوس	ممثلة "الطائفة الرمادية" (النظام الديني الهسبيري)في "النيكان"، وواحدة من ألمع علماء الدينفي جيلها.

السيك

الاسم	الوصف
ألتان ترينغسين*	"سبيري"، والقائد السابق لفرقة "السيك".
رامسا*	سجين سابقفي "باغرا"، وخبير ذخائر.
باجي*	شامان يستدعي إله الخنزير.
سوني*	شامان يستدعي إله القرد.
تشاغان سورين	شامان من عشيرة "نايماد" والشقيق التوأم لـ قارا.
قارا سورين*	رامية ماهرة، ومتحدثة للطيور، والشقيقة التوأم لـ تشاغان.
أراتشا*	شامان يستدعي إلهًا نهريًا.

ملاحظة :

(*) تعني : متوفى

تمهيد

بدأت داجي حديثها قائلة:

— "ما كان ينبغي لنا الإقدام على هذا".

كانت نار المخيم تضطرم بلون أرجواني شاذ، تطقطق وتفحّ بعتاب وكأنها تستشعر ذنبها. امتدت ذوائب اللهب كأيدٍ قابضة تحولت إلى وجوه متراقصة، تلك الوجوه التي لا تزال — رغم مرور أشهر — تجعل معدة داجي تعتصر خجلًا. أشاحت بوجهها بعيدًا، لكن صور الموتى كانت قد طُبعت بالكيّ على باطن جفنيها، وأفواههم لا تزال فاغرة من هول صدمة خيانتها.

همسوا في عقلها بكلمات تتردد كل ليلة في كوابيسها:

قاتلة.. جاحدة.. عاهرة.

اعتصر الخوف صدرها. قالت:

— "ريغا، لا أظن أن..."

قاطعها بصوت بارد:

— "لقد فات أوان التراجع يا عزيزتي".

على الجانب الآخر من النار، كان ريغا يقيد غزالًا يقاوم، مستخدمًا وحشيته المعهودة وكفاءته المتحجرة المشاعر. كان قد رتب بالفعل ثلاثة سكاكين مسننة — غنيمة انتزعها من جثث رماة الكيتريد — في مثلث مثالي حول النار. لم تلمس داجي سكينها؛ كانت خائفة للغاية، فالمعدن اللامع بدا سامًا وحاقدًا.

— "لقد تجاوزنا نقطة اللاعودة بمراحل، ألا تظنين ذلك؟"

قوّس الغزال عنقه، يجهد نفسه لفك قيده. أمسك ريغا بقرونه بيد واحدة وضرب برأسه الأرض بقوة.

قفزت ألسنة اللهب أعلى؛ واشتد همس الأصوات. انتفضت داجي وقالت:

— "هذا الأمر يبدو خاطئًا".

نحر ريغا ساخرًا:

— "متى أصبحتِ جبانة هكذا؟"

— "أنا قلقة فحسب. تسيفيري قالت..."

— "من يهتم بما قالته؟"

كان صوت ريغا هشًا ودفاعيًا. أدركت داجي أنه يشعر بالخزي هو الآخر، وأن جزءًا صغيرًا منه يتمنى لو أنهم لم يسلكوا هذا الطريق قط. لكنه لن يعترف بذلك أبدًا؛ فلو فعل، لانهار.

ثبت ريغا عنق الغزال بركبته وشد الحبل حول ساقيه الأماميتين. انفتح فم الحيوان وكأنه يصرخ، لكن الصوت الوحيد الذي خرج كان حشرجة مبحوحة ومخيفة.

— "لطالما كانت تسيفيري كاذبة تافهة. نبوءة؟ يا لسخافة هذا الهراء، لا تصدقي تلك الثرثرة. كانت تقول فقط ما أراد (سورقان سيرا) منا سماعه".

قالت داجي:

— "قالت إن هذا سيقتلنا".

— "ليس هذا ما قالته بالتحديد".

— "إنه قريب بما يكفي".

— "يا داجي".

أحكم ريغا العقدة الأخيرة بجذبة قاسية، وتفحص عمله للحظة، ثم انتقل ليجلس بجوارها. دلك ظهرها بحركات دائرية بطيئة. أراد أن يواسيها، لكن لمسته بدت كفخ.

— "أتظنين أنني سأسمح لأي مكروه أن يمسك؟"

حاولت داجي أن تحافظ على انتظام أنفاسها.

افعلي ما يأمركِ به. ذكرت نفسها. كان هذا هو الاتفاق الذي أبرمته مع زيا. اخفضي رأسك وأطيعي، وإلا سيجد ريغا طريقة للتخلص منك. كان عليها أن تكون ممتنة لهذا الطقس، فهو الحماية والضمان المطلق بأن ريغا لا يمكنه قتلها دون أن يقتل نفسه؛ درع لها ولزيا معًا.

لكنها، رغم ذلك، كانت خائفة جدًا. ماذا لو كان هذا المصير أسوأ من الموت؟

استجمعت صوتها وقالت:

— "لا بد من وجود طريقة أخرى..."

زمجر ريغا:

— "لا توجد. لن نصمد طويلًا بهذا الحال. هذه الحرب تضخمت أكثر مما يجب، وأعداؤنا تكاثروا". أشار بسكينه نحو الغابة وتابع: "وإذا استمر زيا في التصرف على هذا النحو، فلن يصمد يومًا آخر".

لن يصمد لأنك دفعته للحافة. أرادت داجي أن تصرخ في وجهه، لكنها لجمت لسانها خوفًا من إثارة غضبه وقسوته.

ليس لديك خيار آخر. أدركت منذ زمن طويل أنها بحاجة لجعل نفسها ضرورة قصوى لريغا إذا أرادت البقاء آمنة. لا غنى عنها، مثبتة ومقيدة بحياته ذاتها.

كور ريغا كفيه حول فمه وصاح:

— "هيا يا زيا... لننتهِ من هذا الأمر".

ساد الصمت بين الأشجار.

رفع ريغا صوته:

— "زيا. أعرف أنك هناك".

ربما هرب. فكرت داجي. وغد ذكي.

تساءلت عما قد يفعله ريغا لو حاول زيا الهرب حقًا. سيطارده بالطبع، وغالبًا سيمسك به، فريغا كان دائمًا الأقوى والأسرع بينهم جميعًا. العقاب سيكون مروعًا. لكن ربما تستطيع داجي صد ريغا لبضع دقائق، لتشتري لزيا بعض الوقت، وحتى لو كلفها ذلك حياتها، فعلى الأقل سينجو أحدهما.

لكن بعد ثوانٍ، ظهر زيا يترنح عبر الغابة وكأنه سكران. كانت عيناه تحملان تلك النظرة الشاردة والوحشية التي اعتادت داجي رؤيتها مؤخرًا. كانت تعلم أن تلك النظرة تعني الخطر. تسللت يدها نحو سكينها.

وقف ريغا واقترب من زيا بحذر مدرب يقترب من نمر، باسطًا يديه أمامه:

– "كيف حالك؟"

أمال زيا رأسه وقال:

– "كيف حالي؟ ماذا تعني بحق الجحيم؟"

رأت داجي عروق عنق ريغا تنبض.

سأله ريغا:

– "هل يمكنك المجيء والجلوس؟"

هز زيا رأسه وهو يقهقه.

زمجر ريغا:

– "هذا ليس مضحكًا. تعال إلى هنا يا زيا".

– "زيا؟"

تطلعت عينا زيا نحو السماء:

– "من هذا؟"

مد ريغا يده لسيفه. ورفعت داجي سكينها. كانوا قد استعدوا لهذه اللحظة، ثلاثتهم، بموافقة زيا نفسه. كان عليهم توجيه الضربة قبل أن يفتح البوابة مباشرة...

انشق وجه زيا عن ابتسامة مرعبة:

– "أمزح".

استرخى جسد ريغا وتمتم:
— "تبًا لك".
زفرت داجي محاولةً تهدئة قلبها الذي يخفق بجنون.
جلس زيا متربعًا أمام النار. تحركت عيناه نحو الغزال المقيد باهتمام عابر.
— "إنه يتصرف بوداعة شديدة، أليس كذلك؟"
التقط سكينه من الأرض ولوح به أمام الغزال. انعكس ضوء النار على الحافة المسننة. بقي الغزال ساكنًا، غير مبالٍ، وكأنه ميت لولا أنفاسه المستسلمة والمجهدة.
قال ريغا:
— "لقد حشرت داجي كتلة من الأفيون في فمه".
غمز زيا لها:
— "فتاة ذكية".
تمنت داجي لو أن المخدر أخذ مفعوله في وقت أبكر. تمنت لو منحها ريغا الوقت الكافي. لكن ذلك كان يتطلب تعاطفًا — وهي صفة يفتقر إليها ريغا بالتأكيد.
لوح ريغا بسكينه نحوها:
— "استفيقي يا داجي. لا تطيلي الأمر".
جلست داجي متسمرة في مكانها. فكرت للحظة عابرة في الهرب. كانت ركبتاها ترتجفان.
لا. لا مفر. إن لم تفعل هذا لنفسها، فعليها أن تفعله لأجل زيا على الأقل.
كان يحب المزاح اللعين. لم يكن قادرًا أبدًا على أخذ أي شيء بجدية؛ هو الوحيد الذي قد يجد التسلية في احتمال فقدان عقله. لكن خوفها — خوفها وخوف ريغا — كان حقيقيًا. كان زيا يترنح على الخيط الفاصل بين العقل

والجنون لشهور، ولم يعرفوا متى سيسقط في الهاوية للأبد. هذا الطقس وحده القادر على إعادته.

لكن، يا إلهي، كم كان الثمن باهظًا.

قال ريغا:

– "ارفعوا السكاكين".

أطاعوا الأمر. كان الغزال وادعًا تحت النصال، وعيناه مفتوحتين وزجاجيتين.

بدأ ريغا يتحدث. كل كلمة من التعويذة التي كذبوا وعذبوا وقتلوا للحصول عليها جعلت النار تعلو أكثر فأكثر، حتى قفزت ألسنة اللهب عشرة أقدام نحو سماء الليل. عندما نطقت تسيفيري بهذه الكلمات، بدت كالموسيقى. أما على لسان ريغا، فبدت كلعنة. أغمضت داجي عينيها بقوة، تحاول حجب الصرخات التي تدوي في رأسها.

أنهى ريغا الترتيل. لم يحدث شيء.

جلسوا هناك لفترة طويلة، وحيرتهم تتصاعد، حتى كسر ضحك زيا الصمت.

صرخ ريغا:

– "ما خطبك بحق الجحيم؟"

قال زيا:

– "أنت تقول الكلمات بشكل خاطئ".

– "ما الذي تعنيه بحق الجحيم؟"

– "إنها لكنتك. لن ينجح الأمر وأنت تشوه الكلمات هكذا".

– "افعلها أنت إذن".

بصق ريغا شيئًا آخر تحت أنفاسه. كلمات بلغة "موغين"، إهانة التقطها في طفولته: عاشق الخيول.

قال زيا:

– "أنا لا أعرف الكلمات".

– "بلى تعرفها". تسللت نبرة خبيثة إلى صوت ريغا. "لقد علمتك إياها أولًا".

تصلب جسد زيا.

لا تفعلها. فكرت داجي. فلنقتله ونهرب.

بدأ زيا الترتيل. تحول صوته تدريجيًا من همس أجش إلى صراخ، قوي ومنساب. هذه المرة بدت الكلمات أقرب لما كانت عليه على لسان تسيفيري. هذه المرة كانت مشحونة بالقوة.

همس ريغا:

– "الآن".

ورفعوا سكاكينهم لذبح آخر بريء تقتضيه الضرورة.

***

عندما انتهى الأمر، قذفهم الفراغ عائدين إلى أجسادهم المادية بصدمة تشبه الماء المثلج. ترنحت داجي للأمام، تلهث. الأرض بدت صلبة جدًا تحت ساقيها، والهواء عذبًا للغاية. أصبح العالم هو المألوف الذي صار غريبًا — صلبًا وجميلًا ومحيرًا. كانت داجي تحترق من الداخل، ترتجف من القوة الهائلة التي تسري كتيار كهربائي عبر جسدها.

كانت تشعر بأنها حية أكثر من أي وقت مضى. الآن هي ثلاث أرواح بدلًا من واحدة؛ الآن هي مكتملة؛ الآن هي "أكثر".

لم يعودوا بالكامل بعد من عالم الأرواح. اتصالهم لم ينقطع. كانت لا تزال تقرأ ما في أرواح زيا وريغا، وأفكارهم تقتحم عقلها بصخب جعلها تجد صعوبة في فصلها عن أفكارها الخاصة.

من زيا، شعرت بخوف بارد ومجرد ممزوج براحة رهيبة. لم يكن يريد هذا. لم يكن يريد أيًا من هذا قط. كان خائفًا جدًا مما قد يصبح عليه، لكنه ممتن أيضًا لنجاته من البديل. كان ممتنًا لكونه مُقيدًا.

ومن ريغا، شعرت ببهجة طائشة واندفاع مذهل للطموح. كان يطلب المزيد. لم يكن يعير انتباهًا حتى للذعر المنبعث من زيا. كانت أفكاره منصبة على أشياء أعظم. رآهم في ساحة معركة، وعلى طاولة مفاوضات، وعلى ثلاثة عروش.

بالنسبة لريغا، كانت هذه هي العقبة الأخيرة. الآن هم يميلون نحو المستقبل الذي طالما تخيله لهم.

أرادت داجي ذلك أيضًا. لكنها لم تكن واثقة من أنها ستنجو منه.

فتحت عينيها ببطء. الدماء التي تغطي يديها بدت سوداء تحت ضوء القمر. كادت النار أن تنطفئ، ومع ذلك هدد الدخان بخنقها. كادت داجي تسقط وجهًا لوجه في الجمر، كادت تدفن وجهها في الرماد وتدع الأمر ينتهي هناك.

أمسكت أصابع قوية بكتفها وسحبتها للخلف.

ابتسم ريغا:

— "على رسلك".

لم تستطع داجي مشاركته نشوته.

بعد سنوات، عندما كانت تعذب نفسها بذكريات ثلاثتهم في البداية، قبل أن تسوء الأمور بشكل مريع، لم تكن تستطيع أبدًا تذكر شعورهم عندما تم أسرهم لأول مرة. لم تستطع تذكر رعشة القوة، أو ذلك الشعور المرعب واللذيذ بأن تكون "مكشوفًا" لغيرك. كل ما تذكرته كان رعبًا يتخثر في الدم — اليقين بأن الأسرار التي سرقوها سيُدفع ثمنها يومًا ما بالدم.

وتسيفيري. دائمًا ما ترى في عقلها وجه الفتاة الميتة البائس، وتسمع بوضوح آخر تحذير نطقته قبل أن ينتزع زيا قلبها من صدرها.

كانت قد قالت: إليك هذه النبوءة:
واحد سيموت.
وواحد سيحكم.
وواحد سينام إلى الأبد.

الجزء الأول

الفصل الأول

خفق معصم رين بألم.

دائمًا ما يكون للهواء ملمس مغاير في صباح الكمائن، وكأن شحنة كهربائية — بقايا طقطقة عاصفة رعدية — تسري خلال جسدها وخلال كل جندي حولها. لم يسبق لـ رين أن شعرت بطاقة كهذه حين كانت تقاتل في صفوف الجمهورية. في البداية، كانت قوات يين فايسرا مثالًا للاحترافية المطلقة؛ وجوه متجهمة، عابسة، جاؤوا لإنجاز المهمة والرحيل. وفي النهاية، تملّكهم الخوف. واليأس.

لكن جنود "التحالف الجنوبي" كانوا غاضبين، وتلك القوة وحدها هي التي دفعتهم عبر أسابيع مضنية من التدريب الأساسي، وحولتهم بسرعة إلى قتلة أكفاء، رغم أن كثيرين منهم لم يلمسوا سيفًا في حياتهم منذ أمد بعيد.

ما ساعدهم هو أن معركتهم كانت شخصية. لم تكن خودلا مدينتهم، لكن هذا الإقليم كان إقليمهم، وكل شخص في إقليم القرد كان قد عانى الأمرّين تحت وطأة احتلال موغين. تهجير، نهب، اغتصاب، قتل، وإعدامات جماعية. ألف مذبحة بحجم مذبحة جولين نيس دارت رحاها فوق هذه الأرض، ولم يكترث أحد، لأن أحدًا في الجمهورية أو الإمبراطورية لم يكترث يومًا للجنوب.

لكن بعض الجنوبيين نجوا لينتقموا لموتاهم، وهؤلاء الرجال والنساء هم من شكلوا قوام قوات رين.

ومع انقضاء الدقائق ببطء، توترت الصفوف المحتشدة ترقبًا مثل كلاب صيد تشد بقوة ضد أطواقها. ولسع معصم رين وكأنه قضيب موصل للكهرباء، يطلق مليون صدمة ألم صغيرة عبر مرفقها في كل ثانية.

أنّبها كيتاي:

– "توقفي عن فركه. أنتِ تهيجينه".

قالت:

– "إنه يؤلم".

– "لأنكِ تفركينه. اتركيه وشأنه وسيلتئم أسرع".

مررت رين أصابعها فوق الجلد المتشقق والمتعرج الذي يغطي عظم معصمها، حيث كان يجب أن تمتد يد يمنى. أطبقت على فكها، تحاول مقاومة الرغبة الملحة في غرس أظافرها في اللحم الذي اهترأ من كثرة الحك.

كانت قد بترت يدها في الليلة التي رسوا فيها في ميناء أنخيلون. بحلول ذلك الوقت، وبعد أسبوعين في البحر، كان الطرف قد تعفن تمامًا وتحول إلى كتلة من الغرغرينا. ورغم كل جهود طبيبة "الزنبقة السوداء" لتعقيم الجرح، ظلت هناك نقاط انكشاف عديدة في جلدها لدرجة أن عدم انتشار العدوى لأعلى ذراعها كان معجزة. كانت العملية قصيرة؛ قطع طبيب مواغ الخاص يد رين، وشذّب اللحم المتعفن، وخاط جلدها في ثنية مرتبة فوق العظم المكشوف.

التئم الجرح نفسه بنظافة كافية. لكن عندما توقفت رين عن تعاطي "اللودانيوم"، تحول المعصم إلى شعلة من العذاب لا تُطاق. كانت الآلام الشبحية تومض عبر أصابع لم تعد تمتلكها عدة مرات في الساعة. أحيانًا كانت النوبات سيئة لدرجة أنها تضرب بيدها في الجدار لتخمد الوخز بألم أكبر، لتتذكر فقط أن اليد لم تكن هناك.

الألم كان وهميًا. ولا يمكنك إخماد ألم لا وجود له إلا في عقلك.

قال كيتاي:

– "ستجعلينه ينزف".

كانت رين، دون تفكير، قد بدأت في الحك مجددًا. كورت أصابعها فوق الجذع وضغطت بقوة، محاولة طرد الحكة بضغط تخديري محض.

— "إنه يقودني للجنون. ليست الحكة فحسب، بل الأصابع. وكأنني ما زلت أشعر بها، وكأنها تُوخز بألف إبرة، ومع ذلك لا أستطيع فعل شيء حيال الأمر".

قال كيتاي:

— "أظنني أفهم ذلك. أنا أشعر به أيضًا، أحيانًا. رعشات صغيرة تأتي من العدم. وهو أمر غريب، لو فكرتِ فيه — أنا من يملك الأصابع، لكن الألم يأتي منكِ".

قبل جراحتها، ساورهم القلق من أن قطع يدها اليمنى المتعفنة قد يؤدي لبتر يد كيتاي أيضًا. لم يعرفوا حدود رابطة "المرساة" بينهما. كانوا يعلمون أن الموت لأحدهما يعني الموت لكليهما. كانا يشعران بألم بعضهما، والإصابات في جسد أحدهما تظهر كندوب شاحبة باهتة على جسد الآخر. لكنهم لم يعرفوا ما يعنيه ذلك بالنسبة لعمليات البتر.

ولكن بحلول الوقت الذي رسوا فيه في أنخيلون، كانت التهابات رين ملتهبة لدرجة أن الألم لكليهما كان لا يُطاق، وأعلن كيتاي وهو يصر على أسنانه أنه إن لم تقطع رين تلك اليد، فسيقضمها هو بنفسه.

ولحسن حظهم الكبير، ظلت ذراعه سليمة. ظهر خط أبيض متعرج حول معصمه كسوار حيث تم الشق، لكن أصابعه كانت لا تزال تعمل، وإن كانت متيبسة بعض الشيء. أحيانًا كانت رين تراه يجد صعوبة في الإمساك بفرشاة الحبر، وبات يستغرق وقتًا أطول لارتداء ملابسه في الصباح. لكنه ظل محتفظًا بيده، ورغم ارتياح رين، لم تستطع منع نفسها من شعور مستمر ودائم بالغيرة.

لوحت بمعصمها نحوه وقالت:

— "أيمكنك رؤيتها؟ يد شبح صغيرة؟"

قال:

— "يجب أن تضعي خطافًا عليها".

— "لن أضع خطافًا لعينًا عليها".

— "نصلًا إذن. ربما حينها ستبدئين التدرب".

رمقته بنظرة منزعجة وقالت:

— "سأفعل ذلك حين يتسنى لي الوقت".

— "لن تفعلي أبدًا. استمري في التصرف هكذا، وستكون المرة الأولى التي تمسكين فيها سيفًا هي الأخيرة".

— "لن أحتاج إلى..."

— "تعلمين أنكِ قد تحتاجين. فكري يا رين، ماذا سيحدث عندما..."

قاطعته بحدة:

— "ليس الآن. لا أريد الحديث عن هذا الآن".

كرهت التدرب بالسيف. كرهت التخبط في محاولة فعل أشياء بيدها اليسرى كانت يدها اليمنى تفعلها سابقًا دون وعي. جعلها ذلك تشعر بالعجز والغباء والنقص، وهي التي قضت وقتًا طويلًا تحاول إقناع نفسها بأنها لم تعد عديمة الحيلة. في المرة الأولى التي أمسكت فيها سيفًا، بعد أسبوع من جراحتها، ارتجفت ذراعها اليسرى بضعف موهن لدرجة أنها ألقت النصل فورًا على الأرض باشمئزاز. لم تطق الشعور بذلك مجددًا.

قال كيتاي:

— "أرى المشكلة. أنتِ متوترة".

— "أنا لا أتوتر".

— "هراء. أنتِ مرعوبة. لهذا السبب تتململين. أنتِ خائفة".

لسبب وجيه بحق الجحيم، فكرت رين.

معصمها النابض بالألم لم يكن المشكلة، بل العَرَض. كانت تبحث عن شيء ما، أي شيء قد يسير بشكل خاطئ. ربما كُشف موقعهم. ربما علم الـ "موغين" بقدومهم.

أو ربما يخسرون ببساطة.

لم تتعامل مع دفاعات جيدة كهذه من قبل. الموغينيون في خودلا علموا بقدوم قوات رين؛ وحراستهم كانت مستنفرة منذ أيام. وهم مهيؤون للخوف من الهجمات الليلية الآن، رغم أن معظم القوات المهاجمة لن تجرؤ على شن عملية مخادعة كهذه دون ضوء كافٍ. لن تكون هذه غارة سهلة ومدمرة.

لكن رين لا يمكنها الفشل اليوم.

خودلا كانت اختبارًا. ظلت تتوسل لحاكم إقليم القرد لتولي منصب قيادي منذ هربهم من أرلونغ، ليخبرها مرارًا وتكرارًا أنها لا تستطيع قيادة طوابير كاملة إلى المعركة حتى تكتسب الخبرة. واليوم، أخيرًا، وضعها في موقع المسؤولية.

تحرير خودلا كانت مهمتها، ومهمتها وحدها. حتى الآن كانت تقاتل كوحدة من فرد واحد، قوة تدميرية هائلة يلقي بها "التحالف الجنوبي" في المعارك مثل صاروخ واسع المدى. الآن هي تقود لواءً من المئات.

هؤلاء الجنود يقاتلون تحت إمرتها. وهذا أرعبها. ماذا لو ماتوا تحت إمرتها؟

قال كيتاي:

— "لقد حفظنا التوقيت بدقة الساعة. الحرس يتغير كل ثلاثين دقيقة".

كانوا قد راجعوا هذا عشرات المرات من قبل، لكنه كان يكرره لتهدئتها.

"ستعرفين متى تتغير الأصوات. اقتربي قدر ما تستطيعين قبل الغروب، ثم اضربي أثناء التبديل. هل تعرفين الإشارات؟"

أخذت نفسًا عميقًا وقالت:

— "نعم".

— "إذن ليس لديكِ ما تقلقين بشأنه".

ليت قول ذلك يجعله حقيقة.

زحفت الدقائق ببطء. راقبت رين الشمس وهي تغطس نحو الجبال، تسقط بتباطؤ، وكأن مخلوقًا ما في الوادي بالأسفل يسحبها نحو القاع.

بعد أن رفعت رين "العنقاء" في "جزيرة سبير" وأنهت حرب الخشخاش الثالثة، لم يحدث استسلام رسمي من قبل "اتحاد موغين". الإمبراطور ريوهاي ونسله تحولوا فورًا إلى تماثيل فحمية تحت جبال من الرماد. لم ينجُ أحد من العائلة الإمبراطورية الموغينية ليفاوض من أجل السلام.

لذا لم تكن هناك هدنة، ولا معاهدة. لم يقدم أي جنرالات موغينيين خريطة لانتشار قواتهم ولم يسلموا أسلحتهم للقيادة النيكارية. بدلًا من ذلك، تحول كل جنود الاتحاد المتبقين على البر الرئيسي إلى تهديدات مارقة — جنود جوالون ذوو مهارات عالية بلا مهمة ولا وطن. يين فايسرا، حاكم إقليم التنين السابق والرئيس المنتخب حديثًا لجمهورية نيكان، كان بإمكانه التعامل معهم بشكل حاسم منذ أشهر، لكنه تركهم يجوبون بحرية لتقويض حلفائه في حيلة طويلة الأمد لتعزيز قبضته على إمبراطورية نيكان المتداعية. الآن تلك الفصائل المشتتة انتظمت في عدة عصابات كبيرة مستقلة ترهب الجنوب. من الناحية العملية، ظلت نيكان وموغين في حالة حرب. حتى بدون دعم من "جزيرة القوس الطويل"، استعمر الموغينيون الجنوب فعليًا في غضون أشهر. ورين تركتهم يفعلون ذلك، مهووسة كما كانت بتمرد فايسرا بينما كانت الحرب الحقيقية تدور في الوطن.

لقد خذلت الجنوب مرة. ولن تكررها.

تحدث صوت بلغة الـ "موغين"، صوت صبي، رفيع ومبحوح:

— "يقول كازو إن السفن لا تزال قادمة".

رد رفيقه:

— "كازو أحمق لعين".

جثت رين وكيتاي مختبئين خلف العشب الطويل. كانا قد تسللا بالقرب من المعسكر الموغيني بما يكفي لسماع ثرثرة رجال الدورية الكسولة، حيث كانت أصواتهم الخافتة تسافر بعيدًا عبر هواء الليل الساكن. ومع ذلك، كانت لغة رين الموغينية صدئة من قلة الاستخدام لأكثر من عام، واضطرت لإجهاد أذنيها لفهم ما يقولونه.

كان نزهة قد تذمر ذات مرة قائلًا: "هذه اللغة تشبه طقطقة الحشرات"، حين كانوا أطفالًا أغبياء محشورين في فصل دراسي في سينغارد، حين لم يدركوا بعد أن الحرب التي يتدربون لخوضها لم تكن فرضية.

تذكرت رين أن نزهة كره دروس الموغينية. لم يكن قادرًا على استيعاب اللغة عند التحدث بها بنسقها السريع المعتاد، لذا كان يقضي الحصة كل يوم يسخر منها، جاعلًا زملاءه يضحكون بكلمات رطانة بدت وكأنها جمل حقيقية تمامًا.

كان يقول: "كليك كليك كليك"، ويصدر أصوات هرولة سريعة بين أسنانه. "مثل حشرات صغيرة".

مثل صراصير الليل، فكرت رين. بدأوا يسمون الموغينيين بذلك في الريف. لم تكن رين تعرف ما إذا كانت إهانة جديدة أم شتيمة قديمة أعيد تدويرها من زمن قبل ولادتها. لم تكن لتتفاجأ بالخيار الثاني. التاريخ يتحرك في دوائر — لقد تعلمت ذلك جيدًا الآن.

قال الصوت الأول الذي سمعته، صوت الصبي:

— "قال كازو إن السفن بدأت تصل إلى الموانئ في إقليم النمر. إنها ترسو في الظل، تعيدنا حفنة تلو الأخرى..."

نخر رجل الدورية الثاني ساخرًا:

— "هذا هراء. لكنا عرفنا بالأمر الآن لو كان صحيحًا".

ساد صمت قصير. تحرك شخص ما في العشب. أدركت رين أن رجلي الدورية كانا مستلقيين. ربما كانا يتأملان النجوم. كان ذلك غباءً منهما، ولا مبالاة جامحة. لكنهما بدا صغيرين جدًا؛ صوتهما لم يكن صوت جنود بل صوت أطفال. هل كانا ببساطة لا يدركان الأمر؟

قال رجل الدورية الأول بحنين:

— "القمر مختلف هنا".

ميزت رين تلك العبارة. تعلمتها في سينغارد — كانت تعبيرًا موغينيًا قديمًا، حكمة مشتقة من أسطورة عن ملاح أحب امرأة تعيش على نجمة بعيدة، فبنى لها جسرًا بين عالمين ليتعانقا أخيرًا.

القمر مختلف هنا. كان يعني أنه يريد العودة للوطن.

كان الموغينيون يتحدثون دائمًا عن العودة للوطن. كانت تسمع ذلك في كل مرة تتلصص عليهم. تحدثوا عن الوطن وكأنه لا يزال موجودًا، وكأن "جزيرة القوس الطويل" كانت فردوسًا جميلًا يمكنهم العودة إليه بسهولة لو وصلت السفن فقط إلى الميناء. تحدثوا عن أمهاتهم وآبائهم وأخواتهم وإخوتهم الذين ينتظرونهم على شواطئهم، والذين نجوا بطريقة ما من تدفقات الحمم البركانية الحارقة.

قال رجل الدورية الثاني:

— "من الأفضل أن تعتاد على هذا القمر".

كلما تحدثا أكثر، بدا صوتاهما أصغر سنًا. تخيلت رين وجهيهما في رأسها؛ استحضرت أصواتهما أطرافًا نحيلة وشفاهًا عليا يعلوها زغب خفيف. لا يمكن أن يكونا أكبر منها سنًا — لا بد أنهما بالكاد تجاوزا العشرين، وربما أصغر.

تذكرت قتال صبي في مثل سنها خلال حصار خوردالين، ما بدا وكأنه دهر مضى. تذكرت وجهه العريض الشبيه بالقمر ويديه الناعمتين. تذكرت كيف جحظت عيناه عندما غرست نصلها في معدته.

لا بد أنه كان خائفًا جدًا. ربما كان خائفًا بقدر خوفها.

شعرت بـ كيتاي يتصلب بجوارها.

— "إنهم لا يريدون أن يكونوا هنا أيضًا". كان قد أخبرها بذلك قبل أسابيع. كان يستجوب بعض الأسرى الموغينيين، وخرج متعاطفًا معهم بشكل لا يبعث على الإرتياح. "إنهم مجرد أطفال. ربعهم أصغر منا، وهم لم يتطوعوا لهذه الحرب. معظمهم سُحبوا من منازلهم وأُلقي بهم في معسكرات تدريب وحشية حتى لا تذهب عائلاتهم للسجن أو تموت جوعًا. هم لا يريدون القتال، يريدون فقط العودة للوطن".

لكن وطنهم لم يعد موجودًا. أولئك الفتيان لم يكن لديهم مكان يهربون إليه. إذا كانت أبواب المصالحة قد فُتحت يومًا، إذا كان هناك خيار لإعادة المقاتلين الأعداء وبناء السلام ببطء، فإن رين قد أوصدتها بقوة منذ زمن طويل.

هوة واسعة من الذنب، صديقها المخلص دائمًا، تثاءبت في مؤخرة عقلها.

دفعتها بعيدًا.

لقد قامت بعمل جيد جدًا في دفن ذكرياتها؛ كانت تلك الطريقة الوحيدة للحفاظ على عقلها.

الأطفال يمكن أن يكونوا قتلة، ذكرت نفسها. الفتيان الصغار يمكن أن يكونوا وحوشًا.

أصبحت خطوط الحرب ضبابية للغاية. كل جندي موغيني ارتدى زيًا عسكريًا كان متواطئًا، ولم تملك رين الصبر للفصل بين المذنب والبريء. عدالة "السبيريين" كانت مطلقة. وانتقامها كان حاسمًا. لم يكن لديها وقت للتلكؤ في ما كان يمكن أن يكون؛ كان لديها وطن لتحريره.

بدأ معصمها ينبض بالألم مجددًا. زفرت ببطء، أغمضت عينيها، وكررت خطة الهجوم مرارًا وتكرارًا في عقلها في محاولة لنفض توترها.

تتبعت بأصابعها الندوب على بطنها. تركتها تستقر على البقعة التي طُبعت فيها كف ألتان عليها كوشم بالكيّ. تصورت فتيان الدورية هؤلاء وحولتهم إلى أهداف.

قتلت الملايين منكم من قبل، فكرت. *هذا روتين الآن. هذا لا شيء.*

***

كانت الشمس الآن نقطة قرمزية صغيرة، قمتها بالكاد مرئية فوق قمم الجبال. تبدل رجال الدورية من موقعهم. الحقول، الآن، كانت خالية.

همس كيتاي:

— "حان الوقت".

وقفت رين. واجه كل منهما الآخر، وأيديهما مشبوكة بينهما.

قالت:

— "عند الفجر".

وافقها قائلًا:

— "عند الفجر".

وضع يديه على كتفيها وقبّل جبينها.

كانت هذه طريقتهم المعتادة في الوداع، الطريقة التي يقولون بها كل ما لم ينطقوا به بصوت عالٍ أبدًا. قاتلي جيدًا. احفظينا سالمين. أنا أحبك.

كل وداع لا بد أنه أصعب بكثير على كيتاي، الذي يراهن بحياته على حياتها في كل مرة تطأ فيها قدمها ساحة المعركة.

تمنت رين لو لم تكن لديها تلك الثغرة. لو كان بإمكانها استئصال ذلك الجزء من الروح الذي يعرض كيتاي للخطر — والذي يتعرض للخطر بسببه — لكانت فعلت.

لكن حقيقة أن حياته كانت على المحك أضفت حدة على قتالها. جعلتها أكثر دقة، وحذرًا، وأقل ميلًا للمخاطرة وأكثر ميلًا للضرب بقوة وسرعة عندما

تستطيع. لم تعد تقاتل من منطلق الغضب الخالص. كانت تقاتل لحمايته — وذلك، كما اكتشفت، غيّر كل شيء.

أومأ لها كيتاي إيماءة أخيرة، ثم اختفى خلف الصفوف.

سألت الضابطة شين:

— "هل يبقى في الخلف دائمًا؟"

كانت رين تحب الضابطة شين. بصفتها من سكان إقليم القرد ومحاربة قديمة في حربي الخشخاش الأخيرتين، كانت شين ساينانغ فظة، وكفؤة، وبراغماتية. كانت تحتقر السياسات الفصائلية، وهو ما يفسر ربما سبب كونها واحدة من الضباط القلائل الذين تطوعوا لاتباع رين في أول معركة لها كقائدة. كانت رين ممتنة لذلك.

لكن شين كانت شديدة الملاحظة. دائمًا ما تطرح أسئلة أكثر مما يجب.

قالت رين:

— "كيتاي لا يقاتل".

سألت شين:

— "لمَ لا؟ إنه مدرب في سينغارد، أليس كذلك؟"

لأن كيتاي كان صلة رين الوحيدة بالسماوات. لأن كيتاي كان بحاجة ليكون في مكان آمن وهادئ حتى يعمل عقله كقناة بينها وبين "العنقاء". لأنه في كل مرة يكون فيها كيتاي مكشوفًا ومعرضًا للخطر، تتضاعف فرص رين في الموت.

كان ذلك سر رين الأعظم. لو عرف حاكم إقليم القرد أن كيتاي هو "مرساتها"، لعرف الطريقة الوحيدة لقتلها. ورين لم تكن تثق به أو بـ "التحالف الجنوبي" بما يكفي لمنحهم تلك الفرصة.

قالت رين:

— "إنه مخطط استراتيجي مدرب في سينغارد. وليس جندي مشاة".

بدت شين غير مقتنعة:

— "إنه يحمل سيفًا مثلهم".

أنهت رين النقاش بحدة:

— "نعم، وعقله أثمن من السيف". وأومأت نحو خودلا. "حان الوقت".

تدفق الأدرينالين في عروقها حينها. بدأ قلبها يدق في أذنيها، عد تنازلي داخلي للمذبحة. عبر محيط القرية، كانت ثمانية أزواج من العيون مسلطة على رين — ثمانية قادة أسراب، ينتظرون في نقاط تمركزهم، يترقبون اللهب.

أخيرًا، رأت رين صفًا من قوات موغين يتحرك أسفل الحقل. ها هو ذا — تبديل الدورية.

رفعت يدها اليسرى وأعطت الإشارة — تيار رفيع من النار، أحرق الهواء لعشرة أقدام فوق رأسها قبل أن يتلاشى.

تحركت الحقول. تدفق الجنود من الجبهتين الشمالية والشرقية. انهمروا من نقاط الاختباء في ضفاف الأنهار، والوديان، والغابات مثل نمل يقتحم من مستعمرة. راقبت رين برضا. وماذا لو كانت طوابيرها أقل كثافة من الدفاع؟ الموغينيون لن يعرفوا أين ينظرون أولًا.

سمعت سلسلة من صفارات الإشارة، دلالات واضحة على أن كل سرب قد تحرك بنجاح إلى موقعه. قوات الضابطة شين أخذت الشرق. وقوات الضابط لين أخذت الشمال.

واقتحمت رين الحي الجنوبي وحدها.

لم يكن الموغينيون مستعدين. كان معظمهم نيامًا أو يستعدون للنوم. ترنحوا خارج خيامهم وثكناتهم، يفركون عيونهم. كادت رين تضحك على الطريقة التي تحولت بها وجوههم إلى تعبيرات موحدة من الرعب عندما رأوا ما الذي جعل هواء الليل دافئًا جدًا.

رفعت ذراعيها. انبثقت أجنحة من كتفيها، متوهجة بارتفاع عشرة أقدام.

اتهمها كيتاي ذات مرة بأنها استعراضية أكثر من اللازم، وأنها تضحي بالكفاءة من أجل لفت الانتباه.

ما الذي يهم؟ لا جدوى من التخفي عندما يعرف الجميع ماهيتها. وأرادت رين أن تحفر هذه الصورة في جفونهم، آخر شيء يرونه قبل أن يموتوا — "سبيرية" وإلهها.

تشتت الرجال أمامها كدجاجات مذعورة. واحد أو اثنان كان لديهم الحس لقذف سيوف في اتجاهها. كانت حركاتهم مذعورة، وتصويبهم سيئًا. تقدمت رين، ويدها مبسوطة للخارج، والنار تحيط بكل ما تراه.

ثم بدأ الصراخ، وحلت النشوة.

قضت رين وقتًا طويلًا تكره شعورها حين تحترق، تكره نيرانها وإلهها. ليس بعد الآن. كان بإمكانها الاعتراف لنفسها الآن أنها أحبت ذلك. أحبت السماح لغرائزها الدنيا بتولي الزمام. انغمست فيها بابتهاج.

لم تضطر للتفكير كثيرًا لاستحضار الغضب. كان عليها فقط تذكر الجثث في جولين نيس. الجثث في معمل الأبحاث. ألتان يحترق على الرصيف البحري، نهاية بائسة للحياة البائسة التي منحوه إياها.

الكراهية كانت شيئًا غريبًا. تنهش أحشاءها كالسم. تجعل كل عضلة في جسدها تتوتر، تجعل عروقها تغلي بحرارة ظنت أن رأسها قد ينشق نصفين منها، ومع ذلك كانت وقودًا لكل ما تفعله. الكراهية كانت نوعًا خاصًا من النار، وإذا لم يكن لديك شيء آخر، فهي تبقيك دافئًا.

في الماضي، كانت رين تشهر النار كأداة غليظة، تاركة إرادة "العنقاء" تسيطر عليها كما لو كانت هي السلاح وليس العكس. في الماضي، كانت تعرف فقط كيف تعمل كبوابة لطوفان من النار الإلهية. لكن مثل تلك الانفجارات غير المقيدة كانت مفيدة فقط عندما ينوي المرء ارتكاب إبادة جماعية. أما حملات التحرير فتتطلب دقة.

قضت أسابيع مع كيتاي يتدربان على تعقيدات استدعاء اللهب. تعلمت تشكيله كسيف. أن تجلده في ذوائب كسوط. تعلمت صياغته في كيانات متحركة، راقصة — أسود، نمور، عنقاوات.

تعلمت طرقًا عديدة للقتل بالنار. كانت تحب استهداف العيون أكثر من غيرها. حرق الأطراف حتى تتحول لرماد يستغرق وقتًا طويلًا. الجسد البشري يمكنه تحمل الحرق لفترة طويلة بشكل مفاجئ، وهي أرادت أن تنتهي معاركها بسرعة. حقًا، الوجه بأكمله يقدم هدفًا ممتازًا — الشعر سيستمر في الاحتراق، وجروح الرأس الخفيفة تربك المقاتلين أكثر مما قد تفعله جروح طفيفة أخرى. لكن إذا استهدفت العيون، يمكنها حرق الشبكية، أو صهر الجفون لتغلق، أو إحداث بثور في الجلد المحيط، وكل ذلك سيعمي خصومها في ثوانٍ.

رأت وميض حركة على يمينها. شخص ما كان يحاول مهاجمتها.

قهقه "العنقاء". يا للوقاحة.

قبل نصف ثانية من وصوله إليها، فتحت كفها في وجهه.

انفجرت عيناه، الواحدة تلو الأخرى. سال سائل لزج كثيف على خديه.

فتح فمه ليصرخ، فدفع رين طوفانًا من اللهب ينسكب في حلقه.

لم يكن هذا المشهد شنيعًا إلا إذا رأت خصومها كبشر. لكنها لم ترَ بشرًا، لأن سينغارد وألتان علّماها كيف تفصل مشاعرها وتنعزل. تعلمي أن تنظري ولا تري رجلًا، بل جسدًا. الروح ليست هناك. الجسد ببساطة مؤلف من أهداف متفرقة، وجميعها تحترق بوهج ساطع جدًا.

***

سألها ألتان ذات مرة:

— "هل تعرفين من أين جاء الموغينيين؟ هل تعرفين أي نوع من الأجناس هم؟"

كانا يبحران في نهر موروي باتجاه خوردالين آنذاك. كانت حرب الخشخاش الثالثة قد بدأت لتوها. كانت هي خريجة حديثة من سينغارد، غبية وساذجة، طالبة تصارع حقيقة أنها أصبحت الآن جنديًا. كان ألتان قد أصبح قائدها للتو، وكانت تتعلق بكل كلمة ينطق بها، مأخوذة به لدرجة أنها بالكاد تستطيع تكوين جملة مفيدة.

أدركت أنه ينتظر إجابتها، فقالت أول ما خطر ببالها:

— "إنهم.. ممم.. يمتون لنا بصلة؟"

— "أتعرفين كيف؟"

كان بإمكانها أن تكرر عليه أي إجابة من الكتب المدرسية. الهجرة الناجمة عن الجفاف أو الفيضانات. أرستقراطية منفية. حروب عشائرية تعود لأيام "الإمبراطور الأحمر". لم يكن أحد متأكدًا حقًا. لُقنت العديد من النظريات التي كانت جميعها معقولة بنفس القدر. لكنها شكت في أن ألتان لم يكن مهتمًا بإجاباتها حقًا، لذا هزت رأسها بالنفي بدلًا من ذلك.

كان حدسها في محله. كان يريد أن يروي قصة.

قال:

— "منذ زمن بعيد، كان لدى الإمبراطور الأحمر حيوان أليف. كان شيئًا بهيميًا، قردًا شديد الذكاء وجده في الجبال. وغد قبيح وشرس. هل تعرفين هذه الحكاية؟"

همست:

— "لا أعرفها. أخبرني".

تابع قائلًا:

— "احتفظ به الإمبراطور الأحمر في قفص بقصره. وكان يخرجه أحيانًا ليراه الضيوف. كانوا يحبون مشاهدته وهو يقتل الأشياء. كانوا يطلقون الخنازير أو الديوك في قفصه ليشاهدوه يمزق أوصالها. أتخيل أنهم استمتعوا كثيرًا. حتى

جاء يوم تحرر فيه الوحش من قفصه، وقتل وزيرًا بيديه العاريتين، وخطف ابنة الإمبراطور الأحمر، وهرب عائدًا إلى الجبال".

قالت رين بغباء:

– "لم أكن أعلم أن الإمبراطور الأحمر لديه ابنة".

لسبب ما، وجدت أن هذه التفصيلة هي الأكثر لفتًا للانتباه. التاريخ لا يذكر سوى الأمراء – أبناء الإمبراطور الأحمر.

– "لا أحد يعلم. لا بد أنه محاها من السجلات بعد ما حدث. حملت الفتاة من الوحش، لكنها لم تجد أي وسيلة لطرد الجنين من رحمها، ليس وهي سجينته، لذا أنجبت شرذمة صغيرة من أنصاف الرجال وربتهم في الجبال. بعد سنوات، أرسل الإمبراطور الأحمر جنرالاته ليطاردوهم خارج الإمبراطورية، فهربوا إلى جزيرة القوس الطويل".

لم تسمع رين تلك الرواية للقصة من قبل، لكنها بدت منطقية. الـ "نيكان" كانوا يحبون تشبيه الموغينيين بالقردة. أنصاف رجال، هكذا سموهم؛ قصار وضئيلو الحجم – رغم أنها عندما رأت جنديًا من الاتحاد بعينيها أخيرًا، لم تستطع تمييزه عن أي قروي نيكاري.

صمت ألتان حينها، يراقبها، منتظرًا رد فعلها.

لكن كان لديها سؤال واحد فقط، لم ترغب في طرحه، لأنها علمت أن ألتان لن يملك إجابة له.

إذا كانوا وحوشًا، فكيف قتلونا؟

من ذا الذي يقرر من يُحسب إنسانًا؟ النيكاريون ظنوا أن "السبيريين" وحوش أيضًا، وجعلوهم عبيدًا محاربين لقرون. العدو ليس بشريًا – حسنًا. لكن إذا كانوا حيوانات، فلا بد أنهم أدنى منزلة. وإذا كان الموغينيون أدنى منزلة، فكيف كانوا هم المنتصرين؟ هل يعني ذلك أنه، في هذا العالم، يجب أن تكون وحشًا لكي تنجو؟

ربما لم يكن أحد وحشًا بحق. ربما كانت تلك مجرد الطريقة التي يصبح بها القتل ممكنًا. أنت تنزع إنسانية شخص ما، ثم تقتله. في سينغارد، علمهم "أستاذ الاستراتيجية إيرجاه" ذات مرة أنه في خضم المعركة، يجب عليهم اعتبار خصومهم كأشياء، أجزاء مجردة ومتفرقة وليست المجموع، لأن ذلك يجعل غرس النصل في قلب ينبض أسهل.

لكن ربما إذا نظرت لشخص لا كشيء بل كحيوان، لا يمكنك فقط ارتكاب القتل دون أن يرف لك جفن، بل يمكنك السماح لنفسك بأخذ بعض المتعة في ذلك. حينها يصبح الشعور جيداً، بنفس الطريقة التي يشعرك بها ركل مستعمرات النمل بالرضا.

قال ألتان الكلمات الأخيرة بتلذذ مرير:

— "قردة تغتصب بشرًا. نسل هجين. مسوخ بهيمية. همج أغبياء. من هنا جاء الموغينيون".

***

شقت رين طريقها عبر المعسكر في دقائق. لم يبدِ الموغينيون أي مقاومة تذكر. الجنود الذين واجهتهم في سينغارد وخوردالين كانوا مدربين جيداً ومسلحين بفتك، بصفوف من السيوف اللامعة وإمدادات لا تنتهي من الأسلحة الكيميائية التي أمطروا بها المراكز المدنية كما يحلو لهم. لكن هؤلاء الجنود ركضوا بدلًا من القتال، وماتوا بسهولة أذهلتها.

كان الأمر كله بسيطًا للغاية، بسيطًا لدرجة جعلت رين تتباطأ. أرادت أن تتلذذ بهذا الفارق في القوة. في الماضي كنت ضحيتكم الصارخة، أتوسل رحمتكم. والآن أنتم تجثون أمامي رعبًا.

ما كان يجب عليها أن تتباطأ.

لأنها بمجرد أن تباطأت، لاحظت كم كانوا غير مستعدين. كم بدوا بعيدين كل البعد عن كونهم جنودًا. كم بدوا صغارًا.

كان الصبي أمامها يحمل سيفًا، لكنه لم يستخدمه. لم يحاول حتى القتال، بل ترنح للخلف وذراعاه مرفوعتان، يتوسل رحمتها.

ظل يردد:

– "أرجوكِ لا".

ربما كان هو رجل الدورية من قبل؛ تحدث بنفس الصوت الرفيع المرتجف.

– "أرجوكِ".

أمسكت يدها فقط لأنها أدركت أنه يتحدث النيكارية. تأملته للحظة. هل كان نيكاريًا؟ هل كان أسير حرب؟ لم يكن يرتدي زيًا موغينيًا، ربما كان بريئًا...

قال مجددًا:

– "أرجوكِ. لا..."

لكن لكنته ختمت مصيره. كانت نبراته مقطعة وحادة أكثر من اللازم. لم يكن نيكاريًا في نهاية المطاف، مجرد جندي موغيني ذكي ظن أنه قد يخدعها لتشفق عليه.

قالت:

– "احترق".

سقط الصبي للخلف. رأت فمه ينفتح، رأت وجهه يتقلص في صرخة مثيرة للشفقة تمامًا في اللحظة التي اسودّ فيها وتصلب، لكنها لم تستطع أن تجبر نفسها على الاكتراث.

في النهاية، كان قتل قلبها دائمًا أمرًا سهلًا. لم يهم أنهم بدوا كفتيان. أنهم كانوا لا شيء، لا يشبهون الوحوش التي عرفتها يومًا. في حرب الشمولية العرقية هذه، لا شيء من ذلك يهم. إذا كانوا موغينيين، فهذا يعني أنهم "صراصير"، وهذا يعني أنها حين تسحقهم تحت كعبها، فإن الكون بالكاد يلاحظ خسارتهم.

***

في إحدى المرات، أجبرها ألتان على مشاهدته وهو يحرق سنجابًا حيًا.

كان قد اصطاده لإفطارهم بفخ شبكي بسيط. كان لا يزال حيًا عندما التقطه من بين الأشجار، يتلوى في قبضته. لكن بدلًا من كسر عنقه، قرر أن يلقنها درسًا.

سألها:

— "هل تعرفين كيف تقتل النار شخصًا بالتحديد؟"

هزت رأسها. وراقبته، مسحورة، وهو يستحضر النار في كفيه.

كان ألتان يملك سيطرة مذهلة على شكل النار. كان محرك دُمى، يفتل النيران بلا مبالاة في أجمل الأشكال: طائر يحلق تارة، وتنين يلتف تارة، وشكل بشري تارة أخرى، يتخبط داخل القفص الذي صنعه بأصابعه حتى أطبق كفيه.

كانت مأخوذة، تراقب أصابعه ترقص في الهواء. باغتها سؤاله، وعندما تحدثت، كانت كلماتها خرقاء وغبية:

— "من خلال الحرارة؟ أعني، ممم..."

لوى شفته وقال:

— "النار طريقة غير فعالة للقتل. هل تعلمين أن لحظة الموت في الواقع غير مؤلمة تمامًا؟ النار تلتهم كل الهواء القابل للتنفس حول الضحية، فيختنقون حتى الموت".

رمشت في وجهه:

— "أليس ذلك ما نرغب به لهم؟"

— "ولمَ قد ترغبين لهم ذلك؟ إذا أردتِ موتًا سريعًا، استخدمي سيفًا. أو سهمًا". لف تيارًا من اللهب حول أصابعه. "أنتِ لا تلقين بالسبيريين في المعركة إلا إذا أردتِ بث الرعب. نحن نريد لضحايانا أنَ يعانوا أولًا. نريدهم أن يحترقوا، وببطء".

التقط السنجاب المقيد ولف أصابعه حول وسطه. لم يستطع السنجاب الصراخ، لكن رين تخيلت الصوت، شهقات صغيرة مرتجفة تزامنت مع أطرافه التي تنتفض.

قال:

– "راقبي الجلد".

بمجرد أن احترق الفراء، تمكنت من رؤية اللون الوردي تحته، يغلي، ويطقطق، ويتصلب متحولًا للسواد.

– "أولًا يغلي. ثم يبدأ في التقشر. راقبي اللون. بمجرد أن تحوليه للأسود، وبمجرد أن ينتشر ذلك السواد، لا شيء يمكنه إعادتهم".

مد السنجاب نحوها وسأل:

– "جائعة؟"

نظرت لأسفل نحو عينيه السوداوين الصغيرتين، الجاحظتين والزجاجيتين، واضطربت معدتها. ولم تعرف ما هو الأسوأ؛ الطريقة التي انتفضت بها ساقا الحيوان في سكرات الموت، أم حقيقة أن رائحة اللحم المشوي كانت شهية بشكل مريع.

***

بحلول الوقت الذي انتهت فيه من الحي الجنوبي، كان بقية جنودها قد حشروا آخر المتحصنين الموغينيين في زاوية بالمنطقة الشرقية لـ خودلا. انفسحت الصفوف لتمر هي إلى المقدمة.

قالت الضابطة شين:

– "استغرقتِ وقتًا طويلًا".

ردت رين:

– "تعطلت قليلًا. كنت أستمتع بوقتي أكثر من اللازم".

– "الحي الجنوبي..."

— "انتهى". فركت رين أصابعها معًا، وتساقط دم متفحم محترق إلى الأرض. "لماذا لا نهاجم؟"

قالت شين:

— "لقد أخذوا رهائن داخل المعبد".

كان ذلك ذكيًا. تأملت رين المبنى. كان واحدًا من المعابد القروية الأجمل التي رأتها منذ فترة، مبنيًا من الحجر لا الخشب. لن يحترق بسهولة، والمدفعية الموغينية بالداخل تمتلك نقاط تمركز جيدة من الطوابق العليا.

قالت شين:

— "سيطلقون النار علينا لإبعادنا".

وكأنما لإثبات وجهة نظرها، مر صاروخ ناري صارخًا فوق رؤوسهم وانفجر عند الشجرة التي تبعد عشر خطوات عن مكان جثومهم.

قالت رين:

— "إذن اقتحموهم".

— "نخشى أن يكون لديهم غاز".

— "لكانوا استخدموه الآن".

أشارت شين:

— "قد يكونون بانتظارك".

كان ذلك منطقًا وجيهًا.

— "إذن سنحرفه".

— "لا يمكننا تجاوز الحجر..."

— "أنتِ لا يمكنك تجاوز الحجر".

حركت رين أصابعها في الهواء. رقص تنين ناري حول كفها. حدقت في المعبد، تفكر. إنه يقع بسهولة ضمن مداها؛ يمكنها تمديد نيرانها لنصف قطر

يبلغ خمسين ياردة. تحتاج فقط لتسريب شعلة عبر نافذة. وبمجرد تجاوز الحجر، ستجد نارها الكثير من الأشياء لتحرقها.

سألت رين:

– "كم عدد الرهائن؟"

سألت شين:

– "هل يهم؟"

– "يهمني أنا".

صمتت شين للحظة طويلة، ثم أومأت:

– "ربما خمسة، ستة. لا أكثر من ثمانية".

– "هل هم مهمون؟"

النساء والأطفال يمكن أن يموتوا دون عواقب كثيرة. القيادة المحلية غالبًا لا يمكنها ذلك.

– "ليس حسب علمي. رجال سوجي في الجانب الآخر من البلدة. وهو ليس لديه عائلة".

قلبت رين خياراتها للمرة الأخيرة.

لا تزال تستطيع جعل قواتها تقتحم المعبد، لكنها ستتكبد خسائر، خاصة إذا كان الموغينيون يملكون عبوات غاز حقًا. الجيش الجنوبي لا يتحمل الخسائر؛ أعدادهم منخفضة بما يكفي بالفعل.

وهامش انتصارها كان مهمًا. هذا هو اختبارها العظيم. إذا عادت من هنا ليس فقط منتصرة بل وبأقل الخسائر، سيعطيها "حاكم القرد" جيشًا. القرار، إذن، كان واضحًا؛ لن تعود زاحفة بنصف قواتها فقط.

سألت شين:

– "من غيرنا يعلم بشأن الرهائن؟"

– "فقط الرجال الموجودون هنا".

– "ماذا عن القرويين؟"

قالت شين:

— "أخلينا كل من استطعنا العثور عليه". وكانت تلك شيفرة تعني لن يتحدث أحد عما فعلتِه.

أومأت رين:

— "أخرجي رجالك من هنا. مائة خطوة على الأقل. لا أريدهم أن يستنشقوا أي دخان".

بدا وجه شين شاحبًا:

— "أيتها الجنرال..."

رفعت رين صوتها:

— "أنا لم أكن أطلب".

أومأت شين وانطلقت تركض. خلا الحقل في ثوانٍ. وقفت رين وحيدة في الساحة، تفرك أصابعها في كفها.

هل تشعر بهذا يا كيتاي؟ هل تدرك ما أفعله؟

لا وقت للتردد. كان عليها فعل هذا قبل أن يغامر الموغينيون بالخروج لاستكشاف سبب الصمت.

قلبت كفها للخارج. وزأرت النار. وجهت قلب اللهب نحو الأقفال على أبواب المعبد. رأت المعدن يلتوي، ويتعوج متحولًا لشكل غير قابل للكسر.

ثم لا بد أن الموغينيين قد أدركوا ما يحدث، لأن شخصًا ما بالداخل بدأ يصرخ.

رفعت رين الحرارة إلى هدير عالٍ يكفي لإغراق الصوت، ومع ذلك اخترق جدار الصوت بطريقة ما. كان صرير ألم عالٍ. ربما امرأة، ربما طفل. كاد يبدو كصوت رضيع. لكن ذلك لم يعنِ شيئًا — فهي تعرف مدى الحدة التي يمكن لرجل بالغ أن يصرخ بها.

زادت من قوة لهبها، جعلته يزأر بصوت عالٍ لدرجة أنها لم تستطع سماع أفكارها. لكن الصرخة ظلت تخترق جدار النار.

أغمضت عينيها بقوة. تخيلت نفسها تسقط للخلف في دفء "العنقاء"، في تلك المساحة البعيدة حيث لا شيء يهم سوى الغضب. تذبذب العويل الرفيع.

احترق، فكرت، اخرس واحترق.

الفصل الثاني

قال كيتاي:

– "أحسنتِ صنعًا".

طوقت رين جسده بذراعيها، وشدته إليها بقوة، متشبثة بعناقه لوقت طويل. كان ينبغي لها أن تعتاد فترات انفصالهما القصيرة بحلول الآن، لكن تركها إياه خلفها كان يزداد صعوبة في كل مرة.

حاولت إقناع نفسها بأن السبب ليس فقط كون كيتاي المصدر الوحيد لقوتها، أو خوفها الأناني من أنها ستغدو عديمة الفائدة إن أصابه مكروه.

لا، بل كانت تشعر بالمسؤولية تجاهه أيضًا. بل بالذنب. كان عقل كيتاي مشدودًا كحبل بينها وبين "العنقاء"، وبين الغضب والكراهية والعار، كان يشعر بكل شيء. كان يحميها من الجنون، وفي المقابل كانت تعرضه هي للجنون. ما من شيء تفعله يمكن أن يفي دينه.

قالت:

– "أنت ترتجف".

أجاب:

– "أنا بخير. لا شيء بي".

– "أنت تكذب".

حتى في ضوء الفجر الخافت، رأت رين ساقيه تهتزان. كان بعيدًا كل البعد عن أن يكون بخير؛ بالكاد يستطيع الوقوف. كان هذا الجدال يتكرر بينهما بعد

كل معركة. في كل مرة تعود وترى ما فعلته به، ترى وجهه الشاحب المنهك وتدرك أن الأمر بالنسبة له كان بمثابة تعذيب. وفي كل مرة، كان ينكر ذلك.

كانت ستحد من استخدامها للهب لو طلب منها ذلك فقط. لكنه لم يطلب أبدًا.

صحح عبارته بلطف:

– "سأكون بخير". ثم أومأ برأسه فوق كتفها: "وأنتِ تجذبين الانتباه قليلًا".

استدارت رين ورأت الناجين من خودلا.

حدث هذا كثيرًا لدرجة أنها عرفت ما يمكن توقعه.

في البداية تقدموا في تجمعات صغيرة مترددة. همسٌ فضولي، وإشارات مرتعبة بالأصابع. ثم، عندما أدركوا أن هذا الجيش الجديد ليس موغينيًا بل نيكاريًا، وليس ميليشيا بل شيئًا جديدًا تمامًا، وأن جنود رين ليسوا هنا لاستبدال طغاتهم، ازدادت جرأتهم.

سألوا: هل هي السبيرية؟ هل أنتِ السبيرية؟

هل أنتِ واحدة منا؟

ثم علا الهمس وتضخم الحشد، وتلاحمت الأجساد حولها. نطقوا اسمها، وعرقها، واسم إلهها. كانت أسطورتها قد سبقتها إلى هذا المكان؛ استطاعت سماع صداها يتموج عبر الحقل.

مدوا أيديهم ليلمسوها.

انقبض صدر رين. تسارعت أنفاسها؛ وشعرت بانسداد في حلقها.

شدت يد كيتاي على ذراعها. لم يكن بحاجة لسؤالها عما بها؛ كان يعلم.

بدأ يقول:

– "هل أنتِ..."

تمتمت:

– "الأمر بخير. أنا بخير".

هذه الأيدي ليست أيدي الأعداء. هي ليست في خطر. كانت تعلم ذلك، لكن جسدها لم يعلمه. أخذت نفسًا عميقًا ورسمت الجمود على ملامحها. كان عليها أن تلعب الدور — كان عليها ألا تبدو كالفتاة الخائفة التي كانت عليها يومًا، ولا الجندي المنهك الذي هي عليه الآن، بل القائد الذي يحتاجون إليه.

قالت لهم:

— "أنتم أحرار".

ارتجف صوتها من الإعياء، فتنحنحت وتابعت:

— "اذهبوا".

سرى صمت مطبق عبر الحشد عندما أدركوا أنها تتحدث لغتهم — ليست اللغة النيكارية الخشنة لأهل الشمال، بل لهجة الجنوب المتمهلة والمتدحرجة.

ظلوا ينظرون إليها بنوع من الرعب المشوب بالرهبة. لكنها عرفت أن هذا هو نوع الخوف الذي يتحول إلى حب.

رفعت رين صوتها وتحدثت، هذه المرة دون ارتعاش:

— "اذهبوا وأخبروا عائلاتكم أنهم قد نجوا. أخبروهم أن الـ موغين لا يمكنهم إيذاءكم بعد الآن. وعندما يسألونكم عمن كسر أغلالكم، قولوا لهم إن (التحالف الجنوبي) يزحف عبر الإمبراطورية و(العنقاء) في مقدمته. أخبروهم أننا نستعيد وطننا".

***

مع تسلق الشمس كبد السماء، باشرت رين تحرير خودلا.

كان من المفترض أن يكون هذا هو الجزء الممتع. كان يفترض أن يكون شعورًا جيدًا، أن تخبر القرويين الممتنين أن محتليهم السابقين صاروا أكوامًا من الرماد المتفحم.

لكن رين كانت تخشى التحرير. فتمشيط قرية نصف مدمرة بحثًا عن ناجين لا يعني سوى معاينة أخرى لمدى وحشية الاتحاد. كانت تفضل مواجهة

ساحة المعركة مرة أخرى على مواجهة تلك المعاناة. لم يهم أنها رأت الأسوأ بالفعل في جولين نيس، وأنها شهدت أبشع ما يمكن فعله بجسد بشري عشرات المرات. الأمر لا يصبح أسهل أبدًا.

تعلمت الآن أن الـ موغين يطبقون نفس التدابير الثلاثة في كل مرة يحتلون فيها مدينة، ثلاثة توجيهات "نظيفة" ونموذجية لدرجة أنها كان بإمكانها كتابة أطروحة كاملة عن كيفية إخضاع السكان بنفسها.

أولًا، يجمع الموغينيون كل رجل نيكاري قاوم احتلالهم، ويسوقونهم إلى حقول القتل، وإما يرمونهم بالرصاص أو يقطعون رؤوسهم. قطع الرؤوس كان أكثر شيوعًا؛ فالسهام موارد ثمينة ولا يمكن استعادتها سليمة دائمًا. لم يقتلوا كل الرجال المحليين، فقط أولئك الذين هددوا بإثارة المشاكل. كانوا بحاجة لعمال.

ثانيًا، الموغينيون إما يعيدون استخدام البنية التحتية للقرية أو يجردونها تمامًا. أي شيء متين يحولونه إلى ثكنات للجنود، وأي شيء هش يمزقونه للحطب. عندما ينفد الخشب السائب، يمشطون المنازل بحثًا عن الأثاث والبطانيات والأشياء الثمينة والسيراميك لتأثيث ثكناتهم. كانوا بارعين جدًا في تحويل القرى إلى هياكل فارغة. كثيرًا ما وجدت رين قرويين محررين مكدسين في حظائر الخنازير، محشورين ركبة بركبة فقط للحفاظ على الدفء.

ثالثًا، الموغينيون يستقطبون القيادة المحلية. ففي النهاية، ماذا تفعل عندما لا تتحدث اللغة المحلية؟ عندما لا تدرك الفروق الدقيقة في السياسات الإقليمية؟ أنت لا تستبدل هيكل القيادة الحالي — فهذا سيؤدي للفوضى. بل تطعم نفسك فيه. تجعل المتنمرين المحليين يقومون بعملك القذر نيابة عنك.

كرهت رين المتواطئين النيكاريين. بدت جرائمهم، بالنسبة لها، أسوأ تقريبًا من جرائم الاتحاد. الموغينيون كانوا على الأقل يستهدفون العرق العدو — وهي غريزة طبيعية في زمن الحرب. لكن المتواطئين ساعدوا الموغينيين على قتل وتشويه وانتهاك بني جلدتهم. كان ذلك أمرًا لا يمكن تصوره. لا يُغتفر.

كانت رين وكيتاي يختلفان دائمًا حول كيفية التعامل مع المتواطئين المقبوض عليهم. توسل كيتاي للرأفة بهم. جادل قائلًا: كانوا يائسين. كانوا يحاولون إنقاذ جلودهم. ربما أنقذوا جلود بعض القرويين. أحيانًا يجنبك الامتثال الألم. الامتثال كان يمكن أن ينقذنا في جولين نيس.

هراء، ردت رين. الامتثال جبن. لم تكن تكن أي احترام لمن يفضل الموت على القتال. أرادت للمتواطئين أن يحترقوا.

لكن الأمر كان خارج أيديهم. القرويون كانوا يسوون الأمور بأنفسهم دائمًا. في وقت ما خلال الأسبوع المقبل، إن لم يكن في اليوم التالي، سيسحلون المتواطئين إلى وسط الساحة، وينتزعون اعترافاتهم، ثم يسلخونهم أو يجلدونهم أو يضربونهم أو يرجمونهم. لم تضطر رين للتدخل قط. الجنوب يطبق عدالته الخاصة. تطهير العنف لم يحدث بعد في خودلا — كان الوقت مبكرًا جدًا في الصباح لتنفيذ إعدام علني، وكان القرويون جائعين ومنهكين للغاية ليشكلوا حشداً غاضبًا — لكن رين عرفت أنها قريبًا جدًا، ستسمع الصراخ.

في تلك الأثناء، كان عليها العثور على ناجين. كانت تبحث عن أسرى. الاتحاد يأخذ دائمًا أسرى — معارضين سياسيين، أو جنودًا أكثر عناداً من أن يتم السيطرة عليهم لكنهم أنفع من أن يُقتلوا، أو رهائن يأملون أن يثنوا المهاجمين القادمين. أحيانًا كانت الجثث حديثة الموت — إما بفعل عمل انتقامي أخير من جنود موغينيين يائسين تحت الحصار، أو اختناقًا بدخان نيران رين.

لكن في الغالب، كانت تجدهم أحياء. لا يمكنك قتل الرهائن إذا كنت تنوي استخدامهم يومًا ما.

قاد كيتاي الجنود للبحث في الطرف الشرقي من القرية عبر المباني التي احتلها الموغينيون ونجت من وطأة الدمار. كان لديه موهبة خاصة في العثور على الناجين. كان قد اختبأ ذات مرة لأسابيع خلف جدار مغلق في جولين نيس، منكمشًا وحاضنًا ركبتيه بينما كان جنود الاتحاد يسحبون الجنود النيكاريين من

مخابئهم ويطلقون عليهم النار في الشوارع. كان يعرف كيف يبحث عن العلامات – أغطية أو حطام مكدس يبدو في غير محله، آثار أقدام باهتة في الغبار، أصداء أنفاس ضحلة وسط صمت خائف.

تولت رين وحدها أمر الحطام المحترق.

كانت ترهب هذه المهمة: سحب الألواح المتفحمة جانبًا للعثور على أجساد مهشمة وتنزف لكنها لا تزال تتنفس. في مرات كثيرة، كان الأوان قد فات لإنقاذهم. وفي نصف المرات، كانت هي من تسبب في الدمار بنفسها. بمجرد أن تشتعل النيران، يكون من الصعب إخمادها.

مع ذلك، كان عليها المحاولة.

نادت مرارًا:

– "هل يوجد أحد هنا؟ اصنعوا ضجيجًا. أي ضجيج. أنا أصغي".

مرت عبر كل قبو، وكل قطعة أرض مهجورة وكل بئر؛ صرخت تنادي الناجين مرات عديدة وتأكدت من الإصغاء بتمعن للصمت المتردد. سيكون مصيرًا مروعًا أن تكون مقيدًا، تتضور جوعًا ببطء أو تختنق حتى الموت لأن قريتك قد حُررت لكن الناجين نسوا أمرك. دمعت عيناها وهي تتعثر عبر قبو حبوب يملؤه الدخان. شكت في أنها ستجد أي شيء – كانت قد تعثرت بالفعل في جثتين – لكنها انتظرت لحظة قبل أن تغادر. تحسبًا فقط.

كوفئ صبرها.

نادى صوت:

– "في الخلف".

استدعت رين شعلة في يدها، لتضيء الجدار البعيد للقبو. لم تستطع رؤية أي شيء سوى أكياس حبوب فارغة. اقتربت أكثر.

سألت بحدة:

– "من أنت؟"

سمعت رنين سلاسل:

— "سوجي. على الأغلب الرجل الذي تبحثين عنه".

قررت أنها لا تواجه كمينًا. عرفت تلك اللكنة الريفية مسطحة اللسان. أفضل جواسيس الـ موغين لا يمكنهم تقليدها؛ تدربوا جميعًا فقط على التحدث بلهجة سينغارد المقتضبة.

عبرت إلى الطرف الآخر من القبو، توقفت، وضخمت ضوء مشعلها.

هدفها الأول في خودلا كان التحرير. وهدفها الثاني كان تحديد موقع يانغ سوجي، القائد المتمرد الشهير والبطل المحلي الذي كان حتى وقت قريب يصد الـ موغين في جنوب إقليم القرد. كلما اقتربت بمسيرها من خودلا، سمعت المزيد من الأساطير والشائعات عنه. قيل إن لـ يانغ سوجي عينين يمكنهما الرؤية لعشرة آلاف ميل. وأنه يستطيع التحدث إلى الحيوانات؛ وأنه يعرف متى يأتي الموغينيون لأن الطيور تحذره دائمًا. وأن جلده منيع ضد كل أنواع المعادن — السيوف، رؤوس السهام، الفؤوس، والرماح.

الرجل المقيد بالأرض لم يكن أيًا من تلك الأشياء. بدا شابًا بشكل مفاجئ — لا يمكن أن يكبرها بأكثر من بضع سنوات. نبتت لحية شعثاء على رقبته وذقنه، في إشارة إلى المدة التي قضاها مقيدًا، لكنه كان يجلس بظهر مستقيم وكتفين مشدودين للخلف، وعيناه تلمعان ببريق ساطع في ضوء النار.

رغمًا عنها، وجدته رين وسيمًا بشكل مدهش.

قال:

— "إذن أنتِ السبيرية. ظننت أنكِ ستكونين أطول قامة".

قالت:

— "وأنا ظننت أنك ستكون أكبر سنًا".

خشخش سلاسله نحوها:

— "إذن كلانا خيبة أمل. استغرقتِ وقتًا طويلًا. هل احتجتِ حقًا الليل بطوله؟"

ركعت وبدأت العمل على الأقفال:

– "ولا حتى كلمة شكر؟"

سأل بتشكك:

– "هل ستفعلين ذلك بيد واحدة؟"

تلمست الدبوس بقلة حيلة:

– "اسمع، إذا كنت ستبدأفي..."

– "هاتِ هذا". انتزع الدبوس من بين أصابعها. "فقط ارفعي القفل حيث يمكنني رؤيته وأعطني بعض الضوء – هكذا تمامًا".

بينما كانت تراقبه يعالج القفل ببراعة ملحوظة، لم تستطع منع ومضة غيرة من الاشتعال بداخلها. لا يزال الأمر مؤلمًا، كيف أن أبسط الأشياء – فتح الأقفال، ارتداء الملابس، ملء مطرتها – أصبحت صعبة بشكل لعين بين ليلة وضحاها.

فقدت يدها بسبب تحول غبي للأحداث. لو أنهم امتلكوا مفتاحًا حينها فقط. لو أنهم تمكنوا فقط من سرقة مفتاح لعين.

حكها جذع يدها المبتورة. صرت على أسنانها وأجبرت نفسها على عدم حكه.

فك سوجي القفل في أقل من دقيقة. نفض يديه ليحررهما وتنهد، مدلكًا معصميه. انحنى نحو السلاسل حول كاحليه.

– "هذا أفضل. هل يمكنك منحي المزيد من الضوء؟"

قربت الشعلة من القفل، حذرة ألا تحرق جلده.

لاحظت أن الإصبع الأوسط في يده اليمنى يفتقد مفصله العلوي. لم يبدُ الأمر كحادث – الإصبع الأوسط في يده اليسرى كان يفتقد مفصلًا أيضًا.

سألت:

– "ما خطب يديك؟"

شرح قائلًا:

— "مات طفلا أمي الأولان في مهدهما. ظنت أن الآلهة تسرقهما لفرط جمالهما. لذا عندما جئت إلى العالم، قضمت المفصل الأول من كلا إصبعي الوسطيين". وهز يده اليسرى أمامها. "جعلتني أقل جاذبية قليلًا".

نخرت رين:

— "الآلهة لا تريد أصابع".

— "إذن ماذا تريد؟"

— "الألم". قالتها بجمود. "الألم، وعقلك".

فتح سوجي القفل، ونفض السلاسل بعيدًا، ونهض بصعوبة:

— "أفترض أنكِ أدرى بذلك".

***

بعد إنقاذ جميع الناجين المحتملين من الحطام، انقضت قوات رين على ساحة المعركة كالنسور.

في المرة الأولى التي بحث فيها جنود "التحالف الجنوبي" المجندون حديثًا عن مؤن في أعقاب معركة، كانوا مترددين في لمس الجثث. كانوا مؤمنين بالخرافات، خائفين من إغضاب الأشباح الانتقامية للموتى غير المدفونين الذين لم يتمكنوا من العودة للوطن. الآن، كانوا يغيرون على الجثث بتجاهل متصلب، يجردونها من أي شيء ذي قيمة. بحثوا عن أسلحة، وجلود، وبياضات نظيفة — الزي الموغيني كان أزرق، لكن يمكن صبغه بسهولة — والأهم من ذلك كله: الأحذية.

كانت قوات "التحالف الجنوبي" تعاني بشدة من رداءة الأحذية. قاتلوا بصنادل من القش، وبأحذية قطنية إن توفرت، لكن تلك الأحذية القطنية كانت أقرب للخفاف، خيطتها الزوجات والأمهات والأخوات قبل المعركة بأسابيع. قاتل معظمهم بأحذية من القش المجدول التي تتمزق في منتصف المسير، وتتفكك في الوحل اللزج، ولا توفر أي حماية من البرد.

أما الموغينيون، فقد أبحروا عبر بحر "نارين" مرتدين أحذية جلدية — فاخرة، وصلبة، ودافئة، ومقاومة للماء. أصبح جنود رين بارعين جداً في فك الأربطة، وسحب الأحذية من الأقدام المتصلبة، ورميها في عربات اليد ليتم إعادة توزيعها لاحقًا حسب المقاس.

بينما كان جنود رين يمشطون الحقول، قادها سوجي نحو مكتب مختار القرية السابق، الذي حوله الموغينيون إلى مقر قيادة. قدم تعليقًا حيًا على الأطلال بينما كانا يمشيان، مثل مضيف ساخط يعتذر لأن منزله وُجد في حالة فوضى.

قال ببعض النكد، مشيرًا إلى أكياس الرمل حول المقر:

— "كان المكان يبدو أفضل من هذا بكثير قبل أشهر. خودلا قرية لطيفة — كان بها بعض العمارة التاريخية الجميلة، حتى هدموا كل شيء للحطب. ونحن من صنع تلك المتاريس، لقد سرقوها فقط".

بالنسبة لدفاعات قرية بسيطة، كانت متاريس سوجي مشيدة بشكل جيد مدهش. لقد نظم الدشم بالطريقة التي كانت لتفعلها هي — أوتاد خشبية مغروزة في الأرض لتوفير إطار شبكي لطبقات من أكياس الرمل. كانت قد تعلمت تلك الطريقة في سينغارد. أدركت رين أن هذه الدفاعات قد بُنيت وفقًا لإرشادات الميليشيا.

سألت:

— "إذن كيف اخترقوها في النهاية؟"

رمش سوجي في وجهها كما لو كانت حمقاء:

— "كان لديهم غاز".

إذن كانت الضابطة شين محقة. كبتت رين قشعريرة، متخيلة تأثير الأبخرة الصفراء السامة على المدنيين الغافلين.

— "كم الكمية؟"

قال سوجي:

– "عبوة واحدة فقط. أعتقد أنهم كانوا يدخرونها، لأنهم لم يستخدموها عندما وصلوا أول مرة. انتظروا حتى اليوم الثالث من القتال، عندما كنا جميعًا متحصنين في مكان واحد، ثم ألقوها فوق الجدار. انهرنا بسرعة كبيرة بعد ذلك".

وصلا إلى المقر. جرب سوجي الباب. انفتح دون عناء؛ لم يبقَ أحد ليوصده من الداخل.

تناثر الطعام على طاولة غرفة الاجتماعات المركزية. التقط سوجي كعكة قمح من مكانها، قضم منها، ثم بصق اللقمة.

– "مقرف".

– "ماذا، هل هي جافة جدًا بالنسبة لك؟"

– "لا. بها ملح أكثر من اللازم. مقزز". رمى سوجي كعكة القمح مرة أخرى على الطاولة. "الملح لا مكان له في الكعك".

سال لعاب رين:

– "لديهم ملح؟"

لم تذق طعم الملح منذ أسابيع. معظم الملح في الإمبراطورية كان يُستورد من أحواض إقليم الكلب، لكن شبكات التجارة تلك انهارت تمامًا خلال حرب فايسرا الأهلية. في الخارج في إقليم القرد الشرقي القاحل، كان جيش رين يقتات على عصيدة أرز عديمة المذاق وخضروات مسلوقة. كانت هناك شائعات عن وجود بضع جرار من معجون الصويا المخمر مخبأة في مطابخ رويجين، لكن إن وجدت، فلم ترها رين ولم تتذوقها قط.

صحح سوجي:

– "كان لدينا ملح". انحنى ليفحص محتويات برميل. "يبدو أنهم التهموا معظمه. لم تبقَ سوى حفنة".

– "خذه إلى المطبخ العام. سنوزعه على الجميع".

انحنت رين فوق مكتب القائد. كانت الوثائق مبعثرة على سطحه. وجدت رين أعدادًا للجنود، وسجلات حصص الطعام، ورسائل مكتوبة بخط خربشات فوضوي بالكاد استطاعت قراءته. هنا وهناك استطاعت تمييز بضع كلمات. زوجة. وطن. إمبراطور.

جمعتها في كومة مرتبة. ستنكب هي وكيتاي عليها لاحقًا، ليريا ما إذا كانت تحمل أي أخبار ذات مغزى عن الموغينيين. لكنها كانت على الأرجح قديمة منذ أشهر، مثل المراسلات الأخرى التي وجدوها. كل جنرال موغيني ميت احتفظ برسائل من البر الرئيسي على مكتبه، كما لو أن إعادة قراءة تلك الرموز الموغينية يمكنها الحفاظ على صلتهم بوطن أم لا بد أنهم عرفوا أنه قد زال.

التقطت رين كتابًا رفيعًا وقالت:

— "كانوا يقرأون (سونزي)؟" كانت نسخة نيكارية، وليست ترجمة. "و(البودهيدهارما)؟ من أين حصلوا على هذه؟"

انتزع سوجي الكتيب من يدها:

— "تلك كانت لي. سرقتها من مكتبة سينغارد منذ زمن بعيد. آخذها معي أينما ذهبت. أولئك الأوغاد ما كانوا ليتمكنوا من فهم حرف منها".

نظرت إليه رين، متفاجئة:

— "أنت خريج سينغارد؟"

— "لست خريجًا. كنت هناك لعامين. ثم ضربت المجاعة، فعدت للوطن. لم تسمح لي (جيما) بالعودة للدراسة. لكني كنت لا أزال بحاجة لراتب، لذا تطوعت في الميليشيا".

إذن لقد اجتاز اختبار "كيجو". كان ذلك نادرًا لشخص من خلفيته — ورين أدرى الناس بذلك. نظرت لـ سوجي باحترام جديد.

— "لماذا لم يسمحوا لك؟"

— "لأنهم ظنوا أنني إذا غادرت مرة، فسأفعلها مجددًا. وأنني سأفضل عائلتي دائمًا على مسيرتي العسكرية. أظن أنهم كانوا محقين. كنت لأغادر الصفوف في اللحظة التي سمعنا فيها عن الغزو الموغيني".

— "وماذا عن الآن؟"

كان صوته جامدًا:

— "العائلة بأكملها ماتت. ماتوا في العام الماضي".

— "أنا آسفة. هل كان الاتحاد؟"

هز سوجي كتفيه بحركة مقتضبة:

— "لا. الفيضان. نحن عادة بارعون جداً في توقع الفيضانات. ليس من الصعب قراءة الطقس إن كنت تعرف ما تفعله. لكن ليس هذه المرة. هذا الفيضان كان من صنع البشر".

قالت رين بتلقائية:

— "الإمبراطورة كسرت السدود".

بدا تشاغان وقارا كذكرى بعيدة جداً لدرجة أنها استطاعت نطق هذه الكذبة دون عناء. من الأفضل ألا يعرف سوجي أن "السيك"، كتيبتها القديمة، هي من تسببت عمداً في الفيضان الذي قتل عائلته.

تحول صوت سوجي للمرارة:

— "كسرت السدود لتصد عدوًا دعته هي بنفسها للدخول. أعرف. كنت قد تعلمت السباحة في سينغارد. هم لم يتعلموا. لا يوجد شيء حيث كانت قريتي تقبع".

شعرت رين بطعنة ذنب. بذلت قصارى جهدها لتجاهلها. لا يجب أن تتحمل اللوم عن تلك الفظاعة بالتحديد. ذلك الفيضان كان خطأ التوأم، عمل من أعمال الحرب البيئية لإبطاء تقدم الاتحاد نحو الداخل.

من يستطيع القول إن كان قد نفع، أو إن كان له أهمية أصلًا؟ ما حدث قد حدث. الطريقة الوحيدة للتعايش مع خطاياك، كما تعلمت رين، هي أن تغلق عليها في عقلك وتتركها في الهاوية.

سأل سوجي فجأة:

– "لماذا لا يمكنك ببساطة نسفهم؟"

رمشت في وجهه:

– "ماذا؟"

– "عندما أنهيتِ الحرب. عندما صعدت جزيرة القوس الطويل في الدخان. ما الذي يمنعك من فعل ذلك مجددًا في الجنوب؟"

قالت:

– "التعقل. إذا أحرقتهم، سأحرق الجميع. النار بهذا الحجم لا تميز. إبادة جماعية هائلة على أراضينا ستكون..."

– "لا نحتاج لإبادة جماعية هائلة. واحدة صغيرة ستفي بالغرض".

أشاحت بوجهها؛ لم ترغب في التقاء أعينهم.

– "أنت لا تعرف ما تطلبه. حتى الحرائق الصغيرة تؤذي أناسًا لا ينبغي أذيتهم".

لقد سئمت هذا السؤال. هذا ما أراد الجميع معرفته – لماذا لا تستطيع ببساطة طرقعة أصابعها وحرق المعسكر الموغيني كما فعلت بجزيرتهم بأكملها. إذا كانت قد قضت على أمة مرة، فلماذا لا تستطيع فعلها مجددًا؟ لماذا لا تستطيع إنهاء هذه الحرب برمتها في ثوانٍ؟ ألم تكن تلك بوضوح الخطوة التالية؟

تمنت لو كانت تستطيع. كانت هناك أوقات رغبت فيها بشدة في إرسال جدران من اللهب الهادر عبر الجنوب بأكمله، ماسحة الموغينيين كما قد يزيل المرء حقلًا من المحاصيل المصابة بالآفات، دون اعتبار للأضرار الجانبية.

لكن في كل مرة تصاعدت تلك الرغبة بداخلها، كانت تصطدم بنفس السم الأسود النابض الذي غيم عقلها — هدية الوداع من سو داجي، "الختم" الذي قطع عنها الوصول المباشر إلى "البانثيون".

ربما كانت نعمة أن عقلها ظل محجوبًا بالختم، وأنها أُجبرت على استخدام كيتاي كقناة لقوتها. كيتاي أبقاها عاقلة. مستقرة. سمح لها باستدعاء النار، لكن فقط في دفعات محدودة وموجهة. بدون كيتاي، كانت رين مرعوبة مما قد تفعله.

قال سوجي:

— "لو كنت مكانك، لتخلصت منهم جميعًا. حريق واحد، وسيكون الجنوب نظيفًا. تباً للتعقل".

رمقته بنظرة ساخرة:

— "حينها ستكون ميتًا أنت أيضًا".

قال، وبدا وكأنه يعني ذلك:

— "لا بأس بذلك".

***

شعرت رين وكأن الأبدية قد مرت بحلول غروب الشمس. قبل أربع وعشرين ساعة، قادت القوات للمعركة لأول مرة. في ذلك المساء، حررت قرية. الآن معصمها ينبض بالألم، وركبتاها ترتجفان، وصداع يدق خلف عينيها.

لم تستطع إسكات ذكرى تلك الصرخة في المعبد. كانت بحاجة لإسكاتها.

في خيمتها، أخرجت كيسًا من الأفيون من قاع حقيبة سفرها وضغطت قطعة في الغليون.

سأل كيتاي:

— "هل أنتِ مضطرة؟"

لم يكن سؤالًا حقًا. خاضا هذا الجدال ألف مرة، وفي كل مرة وصلا لنفس الطريق المسدود. كان يشعر فقط بالالتزام للتعبير عن استيائه. الآن كانا يمران بالإجراءات الروتينية وحسب.

قالت:

– "ليس من شأنك".

– "تحتاجين للنوم. لقد ظللت مستيقظة لقرابة الثماني والأربعين ساعة".

– "سأنام بعد هذا. لا أستطيع الاسترخاء بدونه".

– "رائحته فظيعة".

– "اذهب للنوم في مكان آخر إذن".

بصمت، وقف كيتاي وخرج من الخيمة.

لم تراقبه رين وهو يغادر. رفعت الغليون لفمها، أشعلت الوعاء بأصابعها، واستنشقت بعمق. ثم تكورت على جانبها وضمت ركبتيها إلى صدرها.

في ثوانٍ رأت الختم – شيئًا حيًا، نابضًا، يفوح برائحة سم "الأفعى" بقوة لدرجة أن سو داجي قد تكون واقفة في الخيمة بجوارها تمامًا. اعتادت أن تلعن الختم، اعتادت أن تندفع بلا جدوى ضد الحاجز الثابت من السم الذي رفض مغادرة عقلها.

لكنها وجدت استخدامًا أفضل له منذ ذلك الحين.

انجرفت رين نحو الرموز اللامعة. مال الختم نحوها، وانفتح، وابتلعها. كانت هناك لحظة وجيزة من الظلام المعمي والمرعب، ثم أصبحت في غرفة مظلمة بلا أبواب أو نوافذ.

سم داجي كان مكونًا من الرغبة – الأشياء التي قد تقتل لأجلها، الأشياء التي تفتقدها بشدة لدرجة الرغبة في الموت.

تجسد ألتان في الموعد.

اعتادت رين أن تخافه بشدة. كانت تشعر برعشة خوف صغيرة في كل مرة تنظر إليه، وكانت تحب ذلك. عندما كان حيًا، لم تكن تعلم أبدًا ما إذا كان

سيعانقها أم يخنقها. في المرة الأولى التي رأته فيها داخل الختم، كاد يقنعها باتباعه إلى النسيان.

لكنها الآن تبقيه مقيداً في عقلها، بحزم تحت السيطرة، ولا يتحدث إلا عندما تريد منه ذلك.

ومع ذلك ظل الخوف باقيًا. لم تستطع منعه، ولم ترد ذلك.

كانت بحاجة لشخص لا يزال بإمكانه إخافتها.

قال ألتان وهو يمد يده ليلمس خدها:

— "ها أنتِ ذي. هل افتقدتني؟"

قالت:

— "تراجع. اجلس".

رفع يديه وأطاع، متربعًا على الأرضية المظلمة:

— "كما تشائين يا عزيزتي".

جلست قبالته وقالت:

— "قتلت العشرات الليلة الماضية. ربما كان بعضهم أبرياء".

أمال ألتان رأسه إلى الجانب وسأل:

— "وكيف جعلك ذلك تشعرين؟"

كانت نبرته حيادية تمامًا، خالية من الحكم.

ومع ذلك، شعرت بضيق في صدرها، تلك العصرة السامة المألوفة، وكأن رئتيها تتآكلان تحت الثقل الهائل لذنبها. زفرت، تجاهد لتبقى هادئة. ألتان يظل تحت سيطرتها فقط طالما ظلت هي هادئة.

— "أنت كنت لتفعلها".

— "ولماذا كنت لأفعلها يا صغيرتي؟"

– "لأنك كنت قاسيًا. كنت تضع استراتيجياتك بالأرقام. كنت ستعرف أنه لا بد من فعل ذلك. لم تكن لتخاطر بقواتك. الجنود يساوون أكثر من المدنيين، المسألة مجرد حسابات".

ابتسم لها ابتسامة متعالية:

– "إذن ها قد قلتِها. لقد فعلتِ ما كان ضروريًا. أنتِ بطلة. هل استمتعتِ بذلك؟"

لم تكذب. ولمَ قد تفعل؟ ألتان كان سرها، واستحضارها الخاص، ولن يعرف أحد أبدًا ما قالته هنا. ولا حتى كيتاي.

– "نعم".

قال ألتان، والجوع محفور على وجهه:

– "أرني إياه. أرني كل شيء".

سمحت له بالرؤية. عاشت الأمر مجددًا، ثانية بثانية، بتفاصيل صارخة ومروعة. أرته الأجساد وهي تنثني. تمتمات الأصوات المرتعبة المتوسلة للرحمة – لا، لا، أرجوك، لا. المعبد وهو يتحول لعمود من نار.

قال ألتان:

– "جيد. هذا جيد جدًا. أرني المزيد".

استخرجت ذكريات الرماد، والعظم الأبيض الناصع الناتئ من الأكوام السوداء المتفحمة. لم تستطع أبدًا حرق العظام كليًا، مهما حاولت بجد. دائمًا ما تبقى شظية ما.

بقيت لدقيقة أخرى لتسمح لنفسها بالشعور بذلك – الشعور بكل شيء، الذنب، الندم، والرعب. لا يمكنها الشعور بهذه الأشياء إلا في هذه المساحة، حيث لن تكون معيقة، حيث لن تجعلها ترغب في الزحف عبر الأرض وحفر خطوط طويلة من الدم في ساعديها وفخذيها.

ثم تركت الذكريات وشأنها. بمداراتها هنا، لن تطاردها مجددًا.

كانت دائمًا ما تشعر بنظافة غريبة بعد ذلك. وكأن العالم مغطى بالبقع، ومع كل عدو تحيله رمادًا، يصبح أكثر نقاءً قليلًا.

كان هذا غفرانها وعقابها في آن واحد. بمجرد أن تجلد ذاتها في عقلها، بمجرد أن تعيد عرض الفظائع مرارًا وتكرارًا حتى تفقد الصور معناها، تكون قد وفت الموتى حقهم من الاحترام. ولا تدين لهم بشيء آخر.

فتحت عينيها. هددت ذكرى ألتان بالعودة إلى أفكارها، لكنها أجبرتها على التراجع. هو يظهر فقط حين تسمح بذلك، فقط حين تريد رؤيته.

في الماضي، كادت ذكرياتها عن ألتان تدفعها للجنون. الآن، كانت رفقته أحد الأشياء القليلة التي تبقيها عاقلة.

باتت تجد قطعه أسهل فأسهل. تعلمت الآن تقسيم عقلها إلى حجرات نظيفة ومناسبة. الأفكار يمكن حجبها. والذكريات يمكن قمعها. الحياة أسهل بكثير عندما تغلق بإحكام على ذلك الجزء منها الذي يتعذب بسبب ما فعلته. وطالما أبقت تلك الأجزاء من عقلها منفصلة — الجزء الذي يشعر بالألم والجزء الذي يخوض الحروب — فستكون بخير.

***

سأل كيتاي:

— "هل تظنين أنهم سينضمون؟"

قالت رين:

— "لست واثقة. لقد كانوا نكدين قليلًا بشأن كل شيء حتى الآن. ناكرو الجميل".

راقبا، بأذرع معقودة، الرجال الذين سموا أنفسهم "الذئاب الحديدية" وهم يحملون الحطام القابل للإصلاح خارج وسط القرية.

"الذئاب الحديدية" كانوا قوات سوجي. نجا منهم عدد أكبر مما خشيته رين من احتلال خودلا — وصل عددهم إلى خمسمائة على الأقل. كان ذلك

مريحًا. الجيش الجنوبي بحاجة ماسة لقوات جديدة، لكن المجندين المناسبين كان من الصعب العثور عليهم في القرى التي يحتلها الـ موغين. معظم الرجال الشباب الذين لديهم أي ميل للقتال كانوا مدفونين بالفعل في حقول القتل. والناجون المحظوظون كانوا إما أصغر أو أكبر من اللازم — أو خائفين للغاية — ليصبحوا جنودًا جيدين.

لكن "ذئاب سوجي الحديدية" كانوا رجالًا أقوياء أصحاء يتمتعون بخبرة قتالية وفيرة. حتى الآن، كانوا حماة جوالين للمناطق النائية في إقليم القرد. فر العديد منهم إلى الغابات عندما سقطت خودلا. والآن عادوا في أسراب. سيشكلون جنودًا ممتازين — لكن السؤال كان ما إذا كان يمكن إقناعهم بالانضمام للتحالف.

لم تكن رين واثقة. حتى الآن، كان "الذئاب الحديدية" أقل امتنانًا لمحرريهم. في الواقع، اتخذت عمليات الإنقاذ منعطفًا ساخنًا؛ كان رجال سوجي شديدي التمسك بمنطقتهم ومترددين في تلقي أوامر لا تأتي من سوجي نفسه. بدا أنهم منزعجون من أن شخصًا آخر انقض ليخطف لقب "المنقذ". توسط كيتاي بالفعل في ثلاثة نزاعات حول توزيع الموارد بين "الذئاب الحديدية" وجنود "التحالف الجنوبي".

سألت رين فجأة:

— "ما الذي يحدث هناك؟"

أشارت بإصبعها. كان اثنان من جنود سوجي ذوي الأشرطة الصفراء يسيران نحو معسكرهم، وكلاهما يجر أكياس أرز خلفه.

— "آه، تبًا". بدا كيتاي ساخطًا. "ليس هذا مجددًا".

وقفت رين وكورت يديها حول فمها:

— "هييه! أنتما! توقفا مكانكما".

واصلا المشي وكأنهما لم يسمعاها. اضطرت للركض نحوهما، وهي تصرخ، قبل أن يتوقفا أخيرًا.

سألت بحدة:
– "إلى أين تأخذان هذا؟"
تبادلا نظرات انزعاج واضح. تحدث الأطول قامة:
– "أخبرنا سوجي أن نأخذ بعض الأرز للخيم".
أشارت رين:
– "لقد أعددنا مطبخًا مشتركًا. يمكنكما الأكل هناك. هذا هو المكان الذي يذهب إليه كل الطعام المستعاد. كل فرق التمشيط أُمرت بـ..."
قاطعها الأقصر قامة:
– "حسنًا، انظري، نحن لا نتلقى أوامر منكِ".
رمشت في وجهه:
– "أنا حررت هذا المكان".
– "وهذا لطف كبير منكِ يا آنسة. لكننا نسيطر على هذه القرية الآن".
ذهلت رين عندما رفعا أكياس الأرز على أكتافهما، دون حتى نظرة ازدراء أخيرة، ومضيا بوقاحة.
سأعلمكما كيف تستمعان. غنت كفها بالحرارة. رفعت قبضتها، ووجهتها نحو ظهورهما المبتعدة...
أمسك كيتاي بمعصمها:
– "لا تفعلي. ليس الوقت مناسبًا لبدء عراك".
زمجرت:
– "يجب أن يكونوا مرعوبين مني. هذه الجرأة الوقحة..."
– "لا يمكنكِ الغضب من الغباء. فقط دعيهم يذهبون. إذا أردناهم في صفنا، لا يمكنك التجول وحرق خصاهم".
همست بفحيح:
– "ما الذي يخبر به سوجي رجاله بحق الجحيم؟ إنه يعلم أنني في القيادة!"

– "أشك أنه مرر تلك المعلومة".

– "إذن هم على موعد مع صحوة قاسية".

قال كيتاي:

– "وبينما هذا صحيح، ليس عليكِ إقناع الجنود. عليكِ إقناع سوجي. هو المشكلة".

تمتمت رين:

– "كان يجب أن أتركه في القبو وحسب. أو يمكننا قتله الآن".

قال كيتاي، غير مكترث:

– "يصعب تنفيذ ذلك". كانت رين تقترح القتل العرضي بانتظام لدرجة أنه تعلم تجاهل الأمر. "التوقيت سيكون مريبًا للغاية. سنخسر رجاله بالتأكيد. يمكنك محاولة جعله يبدو كحادث، ولكن حتى حينها سيكون من الصعب تبريره. سوجي ليس من النوع الذي يتعثر ويسقط من فوق المنحدرات".

قالت رين:

– "إذن علينا تقويضه. إسقاطه من عليائه".

لكن كيف؟ فكرت في الأمر للحظة. تشويه سمعته سيكون صعبًا للغاية. أولئك الرجال يحبون سوجي. لا يمكنها قطع تلك الروابط بين عشية وضحاها.

قال كيتاي:

– "هذا ليس ضروريًا. لا تقطعي رأس الأفعى إن كان بإمكانك ترويضها. عليكِ فقط إقناعه أين تكمن مصلحته".

– "ولكن كيف؟"

رمقها بنظرة مازحة:

– "أوه، أظنكِ بارعة بما يكفي في ذلك".

فركت جذع معصمها في راحة قبضتها السليمة:

– "سأذهب لأحظى بحديث طويل ولطيف معه إذن، أليس كذلك؟"

تنهد قائلًا:

— "كوني لطيفة".

سأل سوجي:

— "إلامَ يعود فضل هذه الزيارة؟"

كان جاثمًا فوق نار مخيم، يغرف من وعاء أرز أبيض متصاعد البخار تفوح منه رائحة أفضل بكثير من قدور عصيدة الشعير في المطبخ المشترك.

قالت رين:

— "انهض. سنذهب للتمشي".

— "لماذا؟"

— "للخصوصية".

ضاقت عينا سوجي. لا بد أنه عرف ما هو آت، لأنه هز رأسه هزة غير محسوسة تقريبًا لأقرب "الذئاب الحديدية" إليه. اتركونا، نظرته تقول: *أنا بخير.*

استدار الرجال وغادروا. وقف سوجي:

— "حسنًا يا أميرة. سأتمشى معكِ".

جعدت رين أنفها:

— "أميرة؟"

— "متعلمة في سينغارد؟ نخبة الميليشيا السابقة؟ هذه ملكية في قاموسي".

لم يجعلها تبدو كإطراء. اختارت رين ألا ترد؛ لجمت لسانها حتى مشوا عميقًا داخل الغابة، بعيدًا عن مدى سمع المعسكر. قد تترك سوجي يحتفظ بكرامته أمام رجاله. سيكون أقل تذمرًا بشأن تلقي الأوامر لو فعلت.

جربت افتتاحية دبلوماسية:

— "أنا واثقة أنك أدركت الآن أننا نملك رجالًا وموارد لا تملكها أنت".

رفع يده:

— "توقفي. أعرف ما تريدينه. لن ننضم لأي تحالفات. حربكِ ليست مشكلتي".

سخرت منه:
– "كنت سعيدًا بما يكفي بأخذ مساعدتنا البارحة".
– "الموغينيون هم مشكلتي. لكن لا تتظاهري أن الأمر كله يتعلق بالاتحاد. (تحالفك الجنوبي) يستدرج الجمهورية، وأنتِ حمقاء إن ظننت أنني سأتورط في ذلك".
– "قريبًا جدًا لن يكون لديك خيار. يين فايسرا..."
قلب سوجي عينيه:
– "فايسرا لا يهتم بنا".
أصرت قائلة:
– "سيهتم. هل تظن أن فايسرا سيتوقف بعد أن يغزو الشمال؟ لقد قابلت (الهسبيريين)، وأعرف نواياهم. لن يتوقفوا حتى يضعوا كنيسة في كل قرية من قرانا..."
نقش سوجي أسنانه بظفر إصبعه الصغير:
– "الكنائس لم تقتل أحدًا قط".
– "إنها تدعم أيديولوجيات الأنظمة التي تقتل".
– "هيا، أنتِ تتمسكين بقش..."
– "حقًا؟ هل تعاملت معهم من قبل؟ لا، ستندم على قول ذلك عندما تكونون جميعًا تحت الحكم الهسبيري. لقد تحدثت إليهم. أعرف كيف ينظرون إلينا. لا شيء من هذا – قرانا، شعبنا، حريتنا – سينجو تحت نظامهم العالمي المنشود".
صرخ سوجي:
– "لا تحدثيني عن النجاة. لقد كنت أبقي شعبنا على قيد الحياة لشهور بينما كنتِ تلعبين دور كلب الصيد في بلاط فايسرا. علامَ حصلتِ من ذلك؟"
قالت رين بصراحة:

– "كنت حمقاء. أعرف ذلك. كنت غبية حينها وكان يجب أن أرى العلامات. لكني عدت للجنوب الآن، ويمكننا بناء هذا الجيش، إذا أحضرت (الذئاب الحديدية) الخاصين بك..."

قاطعها بضحكة:

– "هذا رفض يا أميرة".

قالت:

– "لا أظنك تفهم. كان ذلك أمرًا. وليس طلبًا".

مد يده ونقرها على أنفها:

– "وأنتِ لا تفهمين: نحن لسنا، ولن نكون أبدًا، تحت قيادتك".

رمشت رين، مذهولة من أنه تجرأ حتى.

إذن هكذا ستسير الأمور.

– "أوه يا سوجي". استدعت لهبًا في كفها. "أنت لا تفهم كيف يسير الأمر".

انقضت عليه في اللحظة التي مد فيها يده لسيفه. كانت قد توقعت ذلك. وبينما كان يلوح بالسيف، تفادت نصله وغرست قدمها بقوة في رضفة ركبته اليسرى. انثنى جسده. كنست ساقه الأخرى من تحته وقفزت فوق صدره بينما كان يسقط، وأصابعها تطبق على عنقه. عصرته.

– "أنت لا تعرف مع من تتعامل". انحنت بالقرب منه حتى لامست شفتاها جلده، وحتى لفح أنفاسها جانب وجهه. "أنا لست من نخبة سينغارد. أنا تلك السبيرية المتوحشة، عكرة البشرة، العاهرة التي محت دولة من الخريطة. وأحيانًا عندما أغضب أكثر مما يجب، أفقد صوابي".

تركت خيطًا رفيعًا جدًا من النار يتسرب من تحت أصابعها. جحظت عينا سوجي. غرست أطراف أصابعها أعمق في جلده.

– "ستعود معي إلى رويجين. (الذئاب الحديدية) يقاتلون الآن تحت قيادتي. ستحتفظ بمنصبك كقائدهم، لكنك ستجعل التسلسل الهرمي واضحًا لرجالك. وإذا حاولت التمرد، سأكمل من حيث توقفت. أتفهم؟"

اهتزت تفاحة آدم في حلق سوجي. خمش ذراعها بضعف.

شددت قبضتها:

– "أنت كلبي الآن يا سوجي. تفعل أي شيء أطلبه دون شكوى. ستلعق التراب عن حذائي إن أردت ذلك. هل هذا واضح؟"

أومأ برأسه، يربت بجنون على معصمها.

لم تتزحزح. تشكلت بثور وانفجرت تحت ذقنه.

– "لم أسمع إجابة".

نعب صوته:

– "نعم".

– "نعم ماذا؟" أرخت قبضتها بما يكفي ليتمكن من الكلام.

– "نعم، أنا كلبك. سأفعل ما تريدين. أي شيء. فقط... أرجوكِ..."

أطلقته وتركته يقف. تصاعدت ذوائب دخان صغيرة من عنقه. ظهر تحت طوقه حرق من الدرجة الأولى، بصمة حمراء باهتة لأصابعها النحيلة.

سيلتئم بسرعة، لكن تلك الندبة لن تختفي أبدًا. قد يغطيها سوجي بياقته ويخفيها عن رجاله، لكنها ستكون واضحة كالشمس له في كل مرة يلمح فيها انعكاسه.

سألته:

– "لمَ لا تذهب وتضع كمادة على ذلك؟ لا نريد له أن يلتهب".

تراجع بعيدًا عنها:

– "أنتِ مجنونة".

قالت:

– "كل من يتصارع على هذه البلاد مجنون. لكن لا أحد منهم يملك بشرة داكنة كبشرتنا. أنا أقل الخيارات سوءًا المتاحة لديك".

حدق فيها سوجي لفترة طويلة. لم تستطع رين قراءة تعبيره، لم تستطع معرفة ما إذا كانت عيناه تلمعان بالغضب أم بالإذلال. كورت قبضتها وتوترت، مستعدة لجولة أخرى.

لدهشتها، بدأ يضحك.

– "حسنًا. لقد فزتِ، أيتها العاهرة اللعينة".

– "لا تدعني بالعاهرة".

– "لقد فزتِ، أيتها الجنرال". رفع يديه في إيماءة استسلام ساخرة. "سأسير معكِ. إلى أين نحن ذاهبون؟ داليان؟ هيرجيانغ؟"

قالت:

– "أخبرتك. رويجين".

رفع حاجبه:

– "لماذا رويجين؟"

– "إنها مبنية داخل الجبال. تبقينا آمنين من كل شيء تقريبًا. لمَ لا؟"

– "افترضت فقط أنكِ ستكونين في مكان أبعد جنوبًا. قرب إقليم الديك، إذا كان هدفك التحرير".

– "ما الذي تتحدث عنه؟ المناطق المحتلة متجمعة عند حدود القرد".

– "لا، ليست كذلك. معظمهم محتشدون في الأسفل جنوبًا في إقليم الديك".

عبست رين:

– "أين، العاصمة؟" لم يتطابق أي من هذا مع معلوماتها الاستخباراتية.

قال سوجي:

– "لا، مكان ما أبعد جنوبًا. مسيرة بضعة أسابيع من المحيط. مجموعة من القرى الصغيرة، لن تعرفيها".

قالت بتلقائية:

– "تيكاني".

بلدة صغيرة لم يسمع بها أحد قط. مكان مغبر وقاحل بلا ثروات وبلا ثقافة مميزة؛ لا شيء سوى سكان منصاعين ما زالوا مدمنين على الأفيون من الغزو الثاني. مكان أملت رين يومًا ألا تعود إليه أبدًا في حياتها.

قوس سوجي حاجبه:

– "نعم. تلك واحدة منهم. لماذا، هل تعرفين المكان؟"

قال شيئًا آخر بعد ذلك، لكنها لم تسمعه.

تيكاني. الموغينيون لا يزالون في تيكاني.

نحن حمقى، فكرت. كنا نقاتل على الجبهة الخاطئة طوال الوقت.

قالت:

– "أخبر رجالك أن يحزموا أمتعتهم. سننطلق إلى رويجين خلال ساعتين".

الفصل الثالث

في ذلك المساء، بدؤوا مسيرتهم عائدين إلى معسكر القاعدة لـ "التحالف الجنوبي". كانت رويجين تقع في الأحراش الخلفية لـ إقليم القرد، أرض فقيرة ومتصلبة نخرتها سنوات من قطاع الطرق، وحملات أمراء الحرب، والمجاعات، والأوبئة. كانت عاصمة إقليم القرد في العصور الغابرة، مدينة خصبة اشتهرت بأضرحتها الحجرية المبنية بأناقة داخل تكوينات بساتين الخيزران المحيطة. الآن، أصبحت أطلالًا لمجدها السابق، نصفها تآكل بفعل المطر ونصفها الآخر التهمته الغابة.

جعل ذلك منها مكانًا ممتازًا للاختباء. لقرون، تفاخر سكان إقليم القرد بقدرتهم على الاندماج في الجبال خلال الأوقات العصيبة. بنوا منازل على ركائز أو عاليًا في الأشجار للحماية من النمور. ومهدوا مسارات متعرجة عبر الغابة المظلمة غير مرئية للعين غير المدربة. في كل قصص القدماء، كان "القرود" يوصمون بأنهم سكان جبال متخلفون — جبناء يختبئون بعيدًا في الأشجار والكهوف بينما تمر حروب العالم بجوارهم. لكن تلك كانت نفس السمات التي أبقتهم على قيد الحياة.

بعد أسبوع من المشي الشاق المستمر صعودًا، تذمر سوجي:

— "إلى أين نحن ذاهبون؟"

لم يصادفوا خلال هذا الأسبوع سوى مسارات وعرة لا تنتهي عبر غابة تلالية.

— "لا يوجد شيء هنا بالأعلى".

– "هذا ما تظنه".

انحنت رين لتتفحص العلامات المحفورة عند قاعدة شجرة حور – دليل على أنهم لا يزالون على الطريق الصحيح – وأشارت للطابور باللحاق بها.

كان الطريق الصاعد عبر الممر أسهل مما تذكرت. ذاب البريق الجليدي عن حواف الثلج. واستطاعت رؤية الكثير من الخضرة تحت طبقات الثلج التي لم تكن ظاهرة عندما انطلقت قبل أسبوعين.

خلافًا لكل التوقعات، وصل "التحالف الجنوبي" إلى الربيع.

كان شتاء إقليم القرد محنة قاسية وقاحلة لـ "التحالف الجنوبي". لم تثلج السماء، بل أمطرت بردًا. سرق الهواء البارد والجاف أنفاسهم من تحت أنوفهم. تحولت الأرض إلى شيء صلب وهش. لا شيء ينمو. اقتربوا جداً من الموت جوعًا، وكانوا سيموتون على الأرجح لولا أن جيبًا موغينيًا نصبوا له كمينًا على بعد عشرة أميال تبين أنه يمتلك كمية صادمة من مخازن الطعام.

لم يوزع الجنود غنائمهم. لم تستطع رين نسيان وجوه القرويين الذين خرجوا من مخابئهم، نحيلين ومنهكين، وسرعان ما تحول ارتياحهم إلى رعب عندما أدركوا أن محرريهم هنا ببساطة لنقل حبوبهم بعيداً.

دفعت الذكرى بعيداً عن عقلها. كانت تلك تضحية ضرورية. مستقبل البلاد بأكملها يتوقف على "التحالف الجنوبي". ما الفرق الذي تشكله بضع حيوات؟

تمتم سوجي وهو يشق طريقه عبر النباتات الكثيفة:

– "حسنًا، هذا يوضح بعض الأمور".

– "ما الذي تتحدث عنه؟"

– "أنت لا تختبئ في الجبال إن كنت قوة محررة".

– "لا؟"

— "إذا كنت تحاول استعادة أراضٍ، فأنت تسكن القرى التي حررتها. توسع قاعدتك. تنصب دفاعات للتأكد من أن الموغينيين لن يعودوا مجددًا. لكنكم مجرد ناهبين مفترسين. ستحررون أماكن، لكن فقط من أجل الجزية".

— "لم أسمعك تتذمر عندما حررتك من ذلك القبو".

اتخذ صوت سوجي نبرة حكم وسخرية:

— "كما تشائين يا أميرة. أنتم لستم خلاص الجنوب. أنتم تختبئون هنا فقط حتى تمر العاصفة".

قفزت عدة ردود لاذعة إلى ذهنها. لكن رين ابتلعتها.

المشكلة أنه كان محقًا. "التحالف الجنوبي" كان سلبيًا للغاية، وبطيئًا جدًا في بدء الحملة الأوسع التي تحتاجها بقية البلاد بوضوح، وقد كرهت ذلك.

أولوية قيادة التحالف في رويجين كانت لا تزال البقاء المحض، مما يعني التحصن في الجبال وانتظار الوقت المناسب بينما تصارع جمهورية فايسرا للسيطرة على الشمال. لكنهم بالكاد كانوا ينجون. هذا لن يستمر للأبد. رويجين تبقيهم آمنين الآن، لنفس الأسباب التي تجعلها تتحول ببطء إلى قبرهم.

ليس إذا سارت الأمور كما تريد رين. ليس إذا أرسلوا كل جندي في جيشهم جنوبًا.

— "هذا على وشك أن يتغير". غرست عصا المشي في المسار الصخري وسحبت نفسها لصعود منحدر حاد. "سترى".

***

اتهمها سوجي:

— "أنتِ تائهة".

— "لستَ تائهة".

كانت تائهة بلا حول ولا قوة. عرفت أنهم قريبون، لكن لم تكن لديها أدنى فكرة إلى أين تذهب من هنا. بعد ثلاثة أشهر وعشرات الحملات، لا تزال رين

عاجزة عن العثور على المدخل الدقيق لـ رويجين. كان مخبأً مصممًا ليبقى غير مرئي. اضطرت لإرسال شعلة معقدة لولبية عاليًا في الهواء والانتظار حتى يخرج حارسان من بين النباتات الكثيفة ليرشداهم إلى مسار، كان غير مرئي سابقًا، وبدا الآن واضحًا. تبعتهما رين، متجاهلة ابتسامة سوجي المتكلفة.

بعد نصف ساعة من المشي، برز المعسكر من بين الأشجار كوهم بصري؛ كل شيء كان مموهًا ببراعة فنية لدرجة أن رين ظنت أحيانًا أنها لو رمشت، قد يختفي كل شيء.

خلف جدار أوتاد الخيزران المحيط بالمعسكر مباشرة، تجمع حشد متحمس حول شيء على الأرض.

سألت رين أقرب حارس:

– "ما خطب هذا؟"

أخبرها:

– "قتلوا ذلك النمر أخيرًا".

– "حقًا؟"

– "وجدوا الجثة هذا الصباح. سنسلخه، لكن لا أحد يتفق على من سيحصل على الفراء".

كان النمر يبتلي المعسكر منذ ما قبل مغادرة قوات رين إلى خودلا. طاردت زمجرته الجنود في نوبات الحراسة. والأسماك المجففة ظلت تختفي ليلًا من مخازن الطعام. بعد أن سحب النمر رضيعًا من خيمته وترك جسده المنهوش والمأكول نصفه بجوار الجدول، أمر "حاكم القرد" بحملة صيد. لكن الصيادين عادوا خاليي الوفاض ومنهكين، وأطرافهم مخدشة من الأشواك.

سأل كيتاي:

– "كيف تمكنوا من ذلك؟"

قال الحارس:

— "سممنا حصانًا. كان يحتضر بالفعل من قرحة هضمية، وإلا لما ضحينا بالحيوان. حقنا الأفيون والستريكنين في الجيفة وتركناها ليجدها النمر. وجدنا الوغد هذا الصباح. متصلبًا كلوح خشب".

قالت رين لـ كيتاي:

— "أرأيت. إنها خطة جيدة".

— "هذا لا علاقة له بخطتك".

— "الأفيون يقتل النمور. الحرفية والمجازية".

— "لقد خسر هذه البلاد حربين". قال كيتاي. "لا أقصد وصفكِ بالغباء، لأنني أحبك، لكن تلك الخطة غبية جدًا".

— "نحن نملك الأرض الصالحة للزراعة! مواغ سعيدة بشرائه؛ لو زرعناه فقط في بضع مناطق فسنحصل على كل الفضة التي نحتاجها..."

— "وجيش ممتلئ بالمدمنين. دعنا لا نخدع أنفسنا يا رين. هل هذا ما تريدينه؟"

فتحت رين فمها لترد، لكن شيئًا ما فوق كتف كيتاي لفت نظرها.

كان رجل طويل القامة يقف بعيدًا قليلًا عن الحشد، عاقدًا ذراعيه وهو يراقبها. ينتظر. كان دو زودن — الذراع اليمنى لزعيم قطاع الطرق ما ليين. رفع حاجبًا عندما رآها تنظر ناحيته، فأومأت ردًا عليه. هز رأسه نحو الغابة، استدار، واختفى بين الأشجار.

لمست رين ذراع كيتاي:

— "سأعود".

كان قد رأى زودن أيضًا. تنهد:

— "ما زلت ماضية في هذا الأمر؟"

— "لا أرى أَي خيار آخر".

صمت للحظة، ثم قال أخيرًا:

— "ولا أنا. لكن كوني حذرة. رجال القرد يراقبون".

***

التقت رين بـ زودن في مكانهما المعتاد — شجرة "روان" ملتوية على بعد ميل خارج المعسكر، عند منعطف جدول صغير يخرخر بصوت عالٍ بما يكفي لإخفاء أصواتهما عن المتلصصين.

سأل زودن وعيناه تتحركان بحذر وهو يتحدث:

— "وجدتِ يانغ سوجي؟"

كان لدى "حاكم القرد" جواسيس في كل مكان في رويجين؛ لم تكن رين لتتفاجأ لو تبعها أحدهم خارج المعسكر.

أومأت:

— "تطلب الأمر قليلًا من الإقناع، لكنه هنا".

— "كيف يبدو؟"

— "متغطرس. ومزعج". تجهمت وهي تفكر في ابتسامة سوجي المتغطرسة والماكرة.

— "إذن هو مثلكِ تمامًا؟"

مطت كلماتها:

— "مضحك جدًا. لكنه كفؤ. يعرف التضاريس جيدًا. لديه اتصالات محلية قوية — قد يكون مطلعًا على شبكة الاستخبارات هنا أفضل منا. ويأتي معه بخمسمائة جندي متمرس. سيموتون لأجله".

قال زودن:

— "أحسنتِ صنعًا. علينا فقط التأكد من أنهم سيبدؤون في الموت لأجلكِ".

رمته رين بابتسامة.

لم يكن زودن من سكان إقليم القرد الأصليين. كان يتيم حرب من إقليم الجرذ انتهى به المطاف في عصابة ما ليين بسبب المزيج المعتاد من التشرد، واليأس، واستعداد قاسي لفعل كل ما يلزم للمضي قدمًا. الأهم من ذلك، وعلى عكس بقية القيادة الجنوبية، لم يكن مجرد باحث عن النجاة.

هو أيضًا، اعتقد أنهم يموتون ببطء في رويجين. أراد التوسع جنوبًا. ومثل رين، قرر اتخاذ تدابير جذرية لقلب الأمور.

سألت رين:

– "كيف حال ما ليين؟"

قال زودن:

– "يزداد سوءًا. بصراحة، قد يموت من تلقاء نفسه مع الوقت، لكننا ما زلنا لا نريد المخاطرة باحتمال ضعيف أن يتحسن. سترغبين في التصرف قريبًا".

ناولها قارورة واحدة مملوءة بسائل لزج أصفر بلون البول.

– "احذري ألا تكسريها".

أمسكتها من عنقها وأسقطتها بحذر في جيبها الأمامي.

– "هل استخلصت هذا بنفسك؟"

– "أجل. لا أستطيع القول إني استمتعت بذلك".

ربتت على جيبها:

– "شكرًا لك".

سأل:

– "هل ستذهبين الآن؟"

– "الليلة. أنا على موعد للقاء غوروباي الآن. سأحاول لمرة أخيرة إقناعه".

كلاهما عرف أن ذلك الاجتماع لن يفضي لشيء. كانت تخوض نفس الجدال مع "حاكم القرد" لأسابيع. أرادت الزحف خارج رويجين. وأراد هو

البقاء في الجبال، ووافقه حلفاؤه في قيادة "التحالف الجنوبي". كانوا يفوقونها عددًا بثلاثة أصوات مقابل صوت واحد.

كانت رين على وشك قلب تلك الأرقام.

لكن ليس بعد. لا داعي للتصرف بعجلة؛ ستكشف أوراقها مبكرًا جدًا. خطوة بخطوة. ستمنح "حاكم القرد" فرصة أخيرة أولًا، تجعله يظن أنها عادت متعاونة وراضية. تعلمت، منذ أيامها في سينغارد، كبح جماح اندفاعاتها. أفضل الخطط تظل سرًا حتى تنفيذها. السكين المخفي يقطع أعمق.

قال "حاكم القرد":

— "أهلًا بعودتك".

كان ليو غوروباي قد أقام مقره في واحدة من الجماليات المعمارية القديمة القليلة في رويجين التي لا تزال قائمة، معبد حجري مربع تآكلت ثلاثة من جدرانه بفعل الطحالب. اختاره للأمن، لا للراحة. كان الداخل قليل الأثاث، بموقد محفور في زاوية الجدار، وسجادتين، وطاولة مجلس بسيطة في وسط الغرفة الباردة والتي تعصف بها التيارات الهوائية.

جلست رين وكيتاي قبالته، يشبهان تلميذين يصلا لمنزل معلمهما لدرس خصوصي.

قالت رين:

— "أحضرت هدايا".

قال غوروباي:

— "أوه، لقد رأيت. لم تستطيعي منع نفسك من ترك بصمة صغيرة، أليس كذلك؟"

— "ظننت أنه يجب أن يعرفوا من يقودهم".

رفع غوروباي حاجبًا:

— "حسنًا، افترضت أن سوجي سيفعل. إلا إذا كنتِ تخططين لقطع رأسه؟"

منحته رين ابتسامة باهتة وتمنت بحرارة لو تستطيع حشر قبضة مشتعلة في حلقه.

عندما اندفعت خارجة من أرلونغ على متن سفينة "الزنبقة السوداء" ويدها فوضى دموية، ظنت أن "حاكم القرد" قد يكون مختلفًا عن سلسلة الرجال المريعين الذين ألقت بنفسها في طريقهم حتى الآن. ظنت أنه سيفي بوعوده. أنه سيعاملها لا كسلاح بل كحليف. أنه سيضعها في القيادة.

كم كانت مخطئة.

لقد استهانت بـ غوروباي. كان عبقريًا؛ كان الناجي الوحيد من تطهير فايسرا العنيف في أرلونغ لسبب وجيه. فهم سياسات القوة بطريقة لن تفهمها هي أبدًا، لأنه قضى حياته كلها يمارسها. فهم غوروباي ما يجعل الرجال يتعهدون بدعمهم، ما يكسبه الثقة والحب. كان معتادًا الآن، بعد عقدين، على اتخاذ كل القرارات. وهو لا يتنازل عن السلطة.

قالت بخفة:

— "ظننت أننا اتفقنا، إذا نجحت تجربة خودلا..."

— "أوه، لقد نجحت. يمكنك الاحتفاظ بتلك الفرقة. الضابطان شين ولين كانا سعيدين جدًا بأدائك".

— "لا أريد فرقة واحدة، أريد الجيش".

— "دعينا لا نتظاهر بأنكِ تستطيعين التعامل مع ذلك".

— "لقد حررت لتوّي قريةً كاملة بأقل الخسائر..."

— "موهبتك الفائقة في حرق الأشياء لا تؤهلك لتكوني قائدة". مد غوروباي المقطع الأخير من كل كلمة وكأنها لن تفهمه بخلاف ذلك. "ما زلتِ تتعلمين إدارة الاتصالات واللوجستيات. لا تستعجلي الأمر يا صغيرة. امنحي نفسك المساحة للتعلم. هذه ليست سينغارد، حيث نلقي بالأطفال في الحرب دون تحضير. سنجد لك شيئًا أفضل لتفعليه مع الوقت".

جعلت النبرة المتعالية في صوته قبضتها تتكور. ركزت عيناها على العروق في رقبته. كانت ناتئة بوضوح؛ سيكون من السهل جدًا شقها.

ليت ذلك ممكنًا. سبيرية أم لا، إذا آذت ليو غوروباي، فلن تخرج من رويجين حية.

ركلها كيتاي بخفة تحت الطاولة. لا تفعلي.

تجهمت في وجهه. أعرف.

إذا كانت رين دخيلة سبيرية وكيتاي من نخبة سينغارد، فإن "حاكم القرد" كان النتاج الحقيقي للجنوب، رجل خشن الملامح، أكتافه عريضة من سنوات العمل الشاق، وعيناه اللامعتان الذكيتان غائرتان في وجه محفور كالغابة.

غادرت رين الجنوب في أول فرصة سنحت لها. أما "حاكم القرد" فقد قاتل وعانى في الجنوب طوال حياته. شاهد جدته تتسول الأرز في الشوارع خلال السنة القمرية الجديدة. مشى أميالًا ليرعى جواميس الماء مقابل عملة نحاسية واحدة يوميًا. قاتل في الألوية الإقليمية الرثة التي احتشدت لقضية "التريفيكتا" خلال حرب الخشخاش الثانية. لم يصبح حاكم حرب بالوراثة أو بالطموح المحض؛ ببساطة تحرك ببطء صاعدًا عبر خط الخلافة بينما مات الجنود من حوله. جُند في جيش في الثالثة عشرة من عمره مقابل وعد بقطعة فضية واحدة شهريًا، وبقي في الجيش لبقية حياته.

مات شقيقاه الأصغران وهما يقاتلان الاتحاد. عشيرته، التي كانت يومًا عائلة قروية ممتدة، ذبلت بسبب إدمان الأفيون. نجا من أسوأ ما في القرن الماضي، وهكذا أصبحت النجاة مهارته العظمى. أصبح جنديًا بحكم الضرورة، وذلك جعله قائدًا شرعيته تكاد تكون غير قابلة للتشكيك.

الأهم من ذلك، أنه كان ينتمي للمكان. هذه الجبال كانت جزءًا من دمه. يمكن لأي شخص رؤية ذلك في الطريقة المتعبة التي يحمل بها كتفيه، واللمعة القاسية في عينيه.

قد تكون رين رمزًا صوريًا للقوة، لكن ليو غوروباي كان يرمز لهوية الجنوب ذاتها. إذا آذته، سيمزقها إقليم القرد إربًا.

لذا في الوقت الحالي، ساومت.

غيرت الموضوع، مجبرة نبرتها على البقاء محايدة:

— "سمعت أن هناك تطورات في الشمال. أي شيء تريد أن تريني إياه؟"

— "عدة تحديثات". إذا كان غوروباي متفاجئًا من إذعانها المفاجئ، فلم يظهر ذلك. زلق حزمة من الرسائل عبر الطاولة. "صديقتك ردت. وصلت هذه البارحة".

التقطت رين الصفحة الأولى وبدأت تلتهم الأسطر بنهم، ممررة الصفحات لـ كيتاي بمجرد انتهائها. الأخبار من الشمال كانت دائمًا تتقاطر بدفعات صغيرة — تمر أسابيع بلا شيء، ثم يتلقون فيضًا مفاجئًا من المعلومات. "التحالف الجنوبي" لم يكن لديه سوى حفنة من الجواسيس في الجمهورية، ومعظمهم كن فتيات مواغ؛ القليل من "الزنابق السوداء" شاحبات البشرة اللواتي شُحنّ إلى أرلونغ بلهجات مموهة بعناية للعمل في المقاهي وأوكار القمار.

فينكا ذهبت للشمال أيضًا. بوجهها الشاحب الجميل ونطقها السينغاردي الخالي من العيوب، اندمجت تمامًا بين أرستقراطيي العاصمة الرسمية. في البداية قلقت رين من أن يتم التعرف عليها — فهي الابنة المفقودة لوزير المالية السابق؛ لا يمكن أن تكون أكثر بروزًا — لكن بناءً على تقارير فينكا، فقد تحولت تمامًا بشعر مستعار وعدة طبقات من مساحيق التجميل.

لا أحد يعير انتباهًا كبيرًا لوجهي، كتبت فينكا بعد فترة وجيزة من وصولها. دمى سينغارد، كما اتضح، قابلة للاستبدال بشكل صادم.

تقريرها الآن لم يحتوِ على أي مفاجآت. فايسرا لا يزال يصارع في الشمال. أمراء الحرب وخلفاؤهم يتساقطون كالذباب. لا يمكنهم الصمود طويلًا، إنهم مستنزفون. فايسرا حول مدن الحصار إلى مناطق موت. سينتهي كل شيء قريبًا.

لم تكن تلك أخبارًا، مجرد تكثيف بطيء لما عرفوه منذ أسابيع. هسبيريو فايسرا كانوا يجتاحون الريف في مناطيدهم، تاركين حفرًا وجحيمًا مقصوفًا في أعقابهم.

سألت رين غوروباي:

– "أي ذكر لتحول نحو الجنوب؟"

– "لا شيء بعد. ما تحملينه هو كل ما لدينا".

قالت:

– "إذن نحن يتم تجاهلنا".

صحح كيتاي:

– "نحن محظوظون. إنها مسألة وقت فقط".

ديمقراطية يين فايسرا العظيمة، تلك التي نهب المدن وحول نهر موروي للقرمزي لأجلها، لم تخرج للوجود قط. لم يكن ينوي ذلك أبدًا. بعد أيام من هزيمته للبحرية الإمبراطورية في أرلونغ، اغتال "حاكم الخنزير" و"حاكم الديك"، ثم أعلن نفسه الرئيس الأوحد لجمهورية نيكان.

لكنه لم يملك بلدًا ليحكمه بعد. العديد من ضباط الميليشيا السابقين، وليس أقلهم الجندي المفضل السابق للإمبراطورة، الجنرال جون لوران، نجوا من التطهير في أرلونغ وهربوا شمالًا إلى إقليم النمر. الآن القوات المجتمعة لبقايا الميليشيا كانت تثبت تقريبًا أنها تحدٍ للهسبيريين.

تقريبًا. مع كل تقرير جديد يصل لـ رويجين، بدت الجمهورية وكأنها تمد نفوذها أبعد فأبعد شمالًا. كان ذلك يعني أن رين تعيش على وقت مستقطع.

"التحالف الجنوبي" كان مجرد تمرد واحد بين الكثيرين. في الوقت الحالي، كانت يدا فايسرا مقيدتين بتمرد جون، ناهيك عن بلد يعج بعصابات قطاع

الطرق التي نبتت في فراغات السلطة المحلية فور انتهاء الحرب. لكنه لن يبقى مشغولًا لفترة طويلة. لا يمكن لـ جون أن يأمل في هزيمة قوات فايسرا، ليس مع وجود المناطيد الهسبيرية خلف ظهر فايسرا. ليس عندما يضخ آلاف الجنود الهسبيريين ببنادقهم الرصاص في جيوش جون.

كانت رين ممتنة لأن جون اشترى لهم مهلة طويلة كهذه. لكن عاجلًا أم آجلًا، سيوجه فايسرا انتباهه للجنوب. سيضطر لذلك، ما دامت رين على قيد الحياة. الحساب كان حتميًا. وعندما يأتي، أرادت أن تكون في موقع الهجوم.

قالت لـ غوروباي:

— "أنت تعرف مشاعري حيال هذا".

نظر إليها كما قد ينظر والد منهك لطفل مشاغب:

— "نعم يا رونين، أعرف. ومجددًا، أقول لكِ..."

— "نحن نموت هنا بالأعلى. إذا لم نأخذ المبادرة الهجومية الآن، فإن نزهة سيفعل. نحتاج لمباغتته، والآن هو..."

— "لستُ الوحيد الذي عليكِ إقناعه. لا أحد في (التحالف الجنوبي) يريد استنزاف نفسه. هذه الجبال هي وطنهم. وعندما تأتي الذئاب، أنت تحمي ما هو خلف جدرانك".

— "إنه وطن للبعض منكم فقط".

هز كتفيه:

— "أنتِ حرة في المغادرة وقتما تشائين".

كان بإمكانه المراوغة بتلك الكذبة. كان يعلم أنه ليس لديها مكان آخر تلجأ إليه.

اتسعت فتحتا أنفها:

— "نحتاج على الأقل لمناقشة هذا يا غوروباي..."

– "إذن سنناقشه في المجلس". جعلت نبرته من الواضح جداً أن لقاءهما قد انتهى. "يمكنكِ عرض قضيتكِ مجددًا على الآخرين، إذا كنتِ ترغبين في ذلك. رغم أنه بصراحة تامة، أصبح الأمر مكررًا بعض الشيء".

قالت رين بحدة:

– "سأستمر في قول ذلك حتى يستمع أحد".

قال غوروباي:

– "كما يحلو لكِ. أنتِ تحبين جداً أن تكوني صعبة المراس".

ركلها كيتاي تحت الطاولة مجددًا بينما كانا يقفان للمغادرة.

تمتمت رين:

– "أعرف. أعرف".

انقبض جزء صغير من قلبها وهي تخرج من الباب. تمنت لو قال غوروباي نعم. كانت تحاول التعاون. كرهت أن تكون المعارضة الوحيدة؛ أرادت العمل مع التحالف. كان كل هذا سيكون أسهل بكثير لو قال نعم.

لكن إذا لم يكن سيتزحزح، فعليها أن تجبره.

***

كان العشاء حدثًا سريعًا. أفرغت رين وكيتاي وعاءيهما في ثوانٍ. ليس لأنهما جائعين – كان من الأسهل فقط تجاهل العفن النابت على الخضروات واليرقات الصغيرة التي تتلوى حول الأرز إذا التهما الطعام بسرعة دون تفكير. كان الطعام في قاعات الطعام يزداد سوءًا في كل مرة تعود فيها إلى رويجين، والطهاة تحولوا من إبعاد الحشرات عن القدور إلى تشجيع وجودها بحجة أن جثثها تحتوي على مغذيات تشتد الحاجة إليها. عصيدة النمل كانت الآن طبقًا تأكله رين بانتظام، رغم أنها كانت تضطر دائمًا لقمع رغبتها في التقيؤ قبل أن تتمكن من أخذ اللقمة الأولى.

العنصر الأساسي الوحيد الذي لم يبدأ في التعفن كان جذر "شانيو" — البطاطا البيضاء النشوية التي تلتصق كالغراء في حلقها كلما ابتلعتها. درنات الشانيو، لكونها مقاومة للصقيع بشكل ملحوظ، نمت في كل مكان على جانب الجبل. لفترة من الوقت، كانت رين مولعة بها تمامًا؛ كانت مشبعة، وسهلة التبخير، ولها طعم حلو قليلًا يشبه الخبز الطازج.

كان ذلك قبل أشهر. ومنذ ذلك الحين سئمت طعم الشانيو النيء، والشانيو المجفف، والشانيو المبوخ، والشانيو المهروس لدرجة أن رائحته كانت كافية لإثارة الغثيان. ومع ذلك، كان الطعام الطازج الوحيد المغذي الذي يمكنها الحصول عليه. أجبرت نفسها على ابتلاعه هو الآخر.

عندما انتهت، وقفت واستعدت للذهاب لزيارة زعيم قطاع الطرق ما ليين.

تحرك كيتاي ليلحق بها، لكنها هزت رأسها:

— "يمكنني فعل هذا وحدي. لست بحاجة لرؤية هذا".

لم يجادل في الأمر. كانت تعلم أنه لا يريد المجيء.

— "حسنًا. معك الدواء؟"

— "في جيبي الأَمامي".

— "وأنتِ متأكدة أن..."

قاطعته:

— "أرجوك لا تفعل. خضنا هذا النقاش ألف مرة. هل يمكنك التفكير في خيار أفضل؟"

تنهد:

— "فقط افعليها بسرعة. لا تتلكئي".

— "ولماذا بحق الأرض قد أتلكأ؟"

— "رين".

— "حسنًا". ربتت على كتفه وخطت نحو الغابة.

كانت مساكن ما ليين مبنية داخل جدار الكهف قرب المحيط الشمالي لـ رويجين. كان ينبغي أن يكون من شبه المستحيل على رين الاقتراب بهذا القدر من مسكنه الخاص دون ثلاثة أنصال على الأقل عند عنقها، لكن في الأيام الأخيرة أعاد حراس ما ليين تقييم ولاءاتهم. عندما رأوا رين تقترب، أومأوا بصمت وتركوها تمر. لم يلتقِ أي منهم بعينيها.

جلست زوجة ما ليين وابنته خارج مدخل الكهف. وقفتا عندما رأتاها، وعيونهما متسعة بالخوف واليأس.

إنهم يعرفون بالفعل، فكرت رين. سمعوا الهمسات. أو ربما أخبرهم شخص ما في الصفوف — ربما حتى زودن — عما سيحدث في محاولة لإنقاذ حياتهما.

قالت:

— "لا ينبغي لكما أن تكونا هنا".

أمسكت زوجة ما ليين بمعصم رين بمجرد دخولها الكهف.

توسلت:

— "أرجوكِ. لا تفعلي".

نترت رين يدها بعيداً:

— "الضرورة تحتم ذلك. لا تحاولي إيقافي".

— "يمكنكِ الإبقاء عليه، سيفعل ما تقولينه، لستِ مضطرة لـ..."

— "لن يفعلَ. وأنا مضطرة. آمل أنكِ قد ودعته".

عرفتا ما سيحدث تاليًا. ورجال ما ليين عرفوا. وشكت رين أنه، على مستوى ما، لا بد أن "حاكم القرد" قد عرف أيضًا. ربما حتى يوافق عليه. هي كانت لتفعل لو كانت في مكانه. ماذا تفعل عندما يظل أحد جنرالاتك يحرض لخوض حرب تعلم أنك لا تستطيع الفوز بها؟

أنت تقلص خسائرك.

فاحت من الكهف رائحة المرض، مزيج يقلب المعدة من أبخرة الأعشاب الطبية المرة ورائحة القيء القديم. كان ما ليين يعاني من حمى الرئة الدموية منذ ما قبل مغادرتها لـ خودلا. التوقيت كان مثاليًا. أبرمت صفقة مع زودن صباح اليوم الذي زحفت فيه للخارج — إذا كان ما ليين لا يزال مريضًا عند عودتها، وبدت فرص شفائه ضئيلة، فسوف يغتنمون فرصتهم.

مع ذلك، لم تتوقع أن يتدهور ما ليين بهذه السرعة. كان ممددًا ذابلًا وجافًا على ملاءاته. بدا وكأنه انكمش لنصف وزن جسده. دماء متيبسة بطنت حواف شفتيه. كل مرة يتنفس فيها، تتردد حشرجة مروعة عبر الكهف.

كان ما ليين قد رحل نصفه بالفعل. من مظهره، ما كانت رين على وشك فعله لا يمكن حتى تسميته قتلًا بشكل صحيح. هي فقط تعجل بالحتمي.

جلست على حافة سريره:

— "مرحبًا أيها الجنرال".

انشقت عيناه عند سماع صوتها.

قيل لها إن المرض أخذ أحباله الصوتية. إنه ينزف عندما يحاول التحدث، قال زودن. وإذا هاج، يبدأ في الاختناق بدمه.

شعرت بمتعة صغيرة عند التفكير في ذلك. لا يستطيع السخرية منها، لا يستطيع شتمها، لا يستطيع الصراخ طلبًا للمساعدة. يمكنها الاستهزاء به بقدر ما تشاء. وكل ما يمكنه فعله هو الاستلقاء هناك والاستماع.

كان يجب أن تنجز المهمة وتغادر وحسب. الجزء الأذكى والبراغماتي منها كان يصرخ فيها لتذهب — كانت مخاطرة أن تبقى طويلًا، أن تتحدث حيث قد يسمعها جواسيس غورورباي.

لكن هذا اللقاء كان منتظرًا منذ وقت طويل. أرادته أن يعرف كل سبب يوجب موته. أرادت التلذذ بهذه اللحظة. لقد استحقتها.

تذكرت بوضوح الطريقة التي صرخ بها في وجهها لإسكاتها عندما اقترحت لأول مرة نشر قوات في إقليم الديك. نعتها بالمتوحشة، والعاطفية، وعكرة البشرة، والعاهرة المتعطشة للحرب. صب جام غضبه على غوروباي لسماحه لفتاة صغيرة بدخول مجلس الحرب في المقام الأول. اقترح أنها ستكون أفضل حالًا ميتة مع بقية نوعها.

ربما لم يتذكر قول ذلك. ما ليين كان من أولئك الأنواع الصاخبة والثرثارة. يلقي الإهانات دائمًا مثل الريح. يفترض دائمًا أن قوته الجسدية وولاء رجاله سيحميه من الاستياء.

سألت رين:

– "هل تتذكر ما قلته عندما طلبت القيادة لأول مرة؟"

تكونت فقاعات لعاب بجانب فم ما ليين. التقطت خرقة سرير ملطخة بالدم من الأرض ومسحتها برفق.

– "قلت إنني عاهرة غبية بلا خبرة قيادية وبنقص جيني في العقلانية".

قهقهت. "كلماتك. قلت إنني حمقاء صغيرة فارغة الرأس ولدي قوة أكبر مما أعرف كيف أتصرف بها. قلت إنه يجب أن أعرف مكاني. قلت إن السبيريين لم يُخلقوا لاتخاذ القرارات بل للطاعة".

حرك ما ليين فمه بشيء غير مفهوم. ملسّت خصلات شعره بعيداً عن فمه. كان يتعرق بغزارة لدرجة أنه بدا وكأنه غُمر بالزيت. يا للمسكين.

قالت:

– "لم آتِ للجنوب لأكون حيوانًا أليفًا لشخص ما مجددًا. كان عليك أن تفهم ذلك عني".

وضعت ولاءها عند أقدام سيدين من قبل. كل منهما خانها بدوره. وثقت أولًا بـ داجي ثم بـ فايسرا، وكلاهما باعها دون أن يرف له جفن. من الآن فصاعداً، تتولى رين مسؤولية مصيرها.

مدت يدها في جيبها وأخرجت القارورة.

عقارب صفراء سمينة كانت تغزو الغابات حول رويجين. تعلم الجنود إبعادها عن المعسكر بحرق الخزامى ونصب الفخاخ، لكنهم لم يستطيعوا التجول لعشرة أقدام داخل الأشجار دون التعثر بعش. وعش واحد كان كل ما يلزم لاستخراج قارورة من السم.

قالت:

– "لست آسفة على هذا. ما كان يجب أن تقف في طريقي".

أمالت القارورة نحو فم ما ليين. تخبط، محاولًا سعال السم للخارج، لكنها أمسكت بفكّه وأجبرته على الإغلاق، قارصة أنفه بين أصابعها حتى تسرب السائل إلى حلقه.

بعد دقيقة توقف عن المقاومة. تركته.

– "لن تموت فورًا. سم العقرب يسبب الشلل. يغلق كل عضلاتك".

مسحت اللعاب والسم عن ذقنه بخرقة السرير.

– "بعد قليل، سيصبح التنفس صعبًا بعض الشيء. ستحاول طلب المساعدة، لكنك ستجد أن فكك لن يتحرك. أنا واثقة أن زوجتك ستدخل لتطمئن عليك، لكنها تعرف أنه لا شيء يمكنها فعله. هي تعرف ما أفعله الآن. ربما تتخيل الأمر كله في رأسها. لكن ربما ستحبك بما يكفي لتبقى معك حتى النهاية. أو، إذا كانت تحبك حقًا، فستشق حنجرتك".

وقفت. اندفعت نشوة غريبة عبر رأسها. ارتجفت ركبتاها. شعرت بالدوار، مخترقة بطاقة غريبة وغير متوقعة.

لم يكن هذا أول قتل لها. لكن هذا كان أول قتل متعمد، مع سبق الإصرار والترصد. كان هذا أول شخص تقتله ليس بدافع اليأس بل بنية خبيثة باردة.

بدا الأمر...

بدا جيدًا.

لم تحتج لغليونها لتريه لـ ألتان؛ سمعت ضحكته عالية وكأنه يقف بجوارها تمامًا. شعرت بالألوهية. شعرت وكأنها تستطيع القفز عبر الجبال إن أرادت. لم تستطع يدها التوقف عن الارتجاف. سقطت القارورة من أصابعها وتحطمت على الأرض.

بقلب يخفق، ودم يضخ بنشوة أربكتها، غادرت الكهف.

***

قالت رين:

– "أريد قيادة فرقتين إلى إقليم الديك. يقول سوجي إنهم تجمعوا هناك لأن التضاريس المنبسطة أسهل في التنقل. كنا نستعد لقتال على الجبهة الخاطئة. لن يصعدوا للجبال هنا لأنهم ليسوا بحاجة لذلك. سيتوسعون ببساطة أبعد نحو الجنوب".

جلست قيادة "التحالف الجنوبي" مجتمعة حول طاولة في مقر "حاكم القرد". غوروباي، القائد الطبيعي، جلس في المقدمة. ليو داي، مسؤول مقاطعة سابق وحليف غوروباي القديم، جلس عن يمينه. زودن كان جالسًا على يمين ليو داي كبديل لـ ما ليين، لكن كرسيًا فارغًا بقي على الطاولة احترامًا. جلس سوجي في الزاوية الخلفية اليسرى، عاقدًا ذراعيه، مبتسمًا بتكلف، وكأنه قد سمى هذه المسرحية بما هي عليه بالفعل.

تابعت رين:

– "إذا ضربنا بسرعة، أي، إذا أخذنا العقد الرئيسية قبل أن تسنح لهم الفرصة لإعادة التجمع، يمكننا إنهاء هذا الأمر برمته في حملة واحدة".

قال غوروباي:

– "هذا الصباح فقط كنتِ تريدين التحول شمالًا لمواجهة فايسرا. الآن تريدين الاندفاع جنوبًا. لا يمكنكِ خوض حرب على جبهتين يا رين. أيهما تريدين؟"

– "علينا الذهاب جنوبًا فقط لنتمكن من الحصول على القوة لحشد دفاع ضد الهسبيريين. إذا كسبنا الجنوب، نحصل على أجساد دافئة. مخازن طعام. وصول للطرق النهرية، ومخازن أسلحة، ومن يدري ماذا أيضًا كنا نتنازل عنه للموغينيين. جيوشنا ستتضخم بالآلاف، وسنملك خطوط الإمداد لدعمهم. لكن إذا لم نقم بتطهير الموغينيين أولًا، فسنكون محاصرين داخل الجبال..."

قاطعها ليو داي:

– "نحن آمنون داخل الجبال. لم يغزُ أحد رويجين منذ قرون، التضاريس عدائية للغاية..."

– "لا يوجد طعام هنا. الآبار تجف. هذا لن يستمر للأبد".

قال غوروباي:

– "نحن ندرك ذلك. لكنكِ تطلبين الكثير من هذا الجيش. نصف هؤلاء الفتيان حملوا سيفًا لأول مرة قبلَ شهرين فقط. عليكِ منحهم الوقت".

صرخت رين:

– "فايسرا لن يمنحهم الوقت. في اللحظة التي ينتهي فيها من جون، سيدفننا".

كانت قد خسرتهم بالفعل. استطاعت معرفة ذلك من تعبيراتهم المللة والمتشككة. عرفت أن هذا بلا جدوى؛ كانت هذه مجرد تكرار آخر لنفس الجدال الذي أعادوا صياغته اثنتي عشرة مرة الآن. وصلوا لطريق مسدود – هي تملك النار، لكنهم يملكون كل شيء آخر. وهم رجال محنكون، قستهم الحروب، ورغم كل ما أعلنوه علنًا، لم يكونوا سعداء على الإطلاق بمشاركة السلطة مع فتاة بنصف عمرهم.

عرفت رين ذلك. لكنها كانت ببساطة غير قادرة بنيويًا على التزام الصمت.

قال غوروباي:

– "إقليم الديك انتهى. الموغينيون اجتاحوا المكان كالنمل. استراتيجيتنا الآن يجب أن تكون البقاء. يمكننا الاحتفاظ بـ إقليم القرد. هم لا يستطيعون البقاء في الجبال. لا تضيعي هذا هباءً يا رين".

تحدث وكأنه وصل لهذا الاستنتاج منذ زمن طويل. ضرب شك مفاجئ رين.

قالت:

– "أنت كنت تعلم. كنت تعلم أنهم أخذوا إقليم الديك".

تبادل غوروباي نظرة مع ليو داي:

– "رونين..."

– "كنت تعرف ذلك طوال الوقت". ارتفعت حدة صوتها. كانت وجنتاها تحترقان. لم يكن هذا مجرد تعسفه المعتاد، هذا كان تكبرًا مروعًا. يا للوقاحة اللعينة. "كنت تعرف طوال هذا الوقت ولم تخبرني".

– "لم يكن ليحدث فرقًا..."

– "هل عرفوا جميعًا؟" أشارت حول الغرفة. اندلعت شرارات صغيرة من اللهب من أصابعها؛ لم تستطع منعها. تراجع أعضاء التحالف للخلف، لكن ذلك لم يمنحها أي متعة. كانت محرجة للغاية.

ما الذي لم يخبروها به أيضًا؟

تنحنح غوروباي:

– "نظرًا لاندفاعاتك، لم نظن أنه من الحكمة..."

– "تبًا لك! أنا عضو في هذا المجلس، كنت أفوز بمعارككم نيابة عنكم، أنا أستحق أن..."

– "الحقيقة تبقى أنكِ متهورة وطائشة، والدليل مطالبك المتكررة بالقيادة..."

– "أنا أستحق قيادة كاملة! هذا ما وُعدت به!"

تنهد غوروباي:

— "لن نناقش هذا مجددًا".
ضربت بيدها على الطاولة:
— "انظر. إذا لم يكن أي منكم مستعدًا لاتخاذ الخطوة الأولى، فأرسلوني أنا فقط. أعطوني ألفي جندي. فقط ضعف العدد الذي أخذته لـ خودلا. سيكون ذلك كافيًا".
— "أنا وأنتِ نعلم لماذا هذا غير ممكن".
— "لكن تلك فرصتنا الوحيدة للبقاء أحياء..."
سأل غوروباي:
— "حقًا؟ هل تؤمنين حقًا أننا لا نستطيع النجاة في الجبال؟ أم أنكِ تريدين فقط فرصتك لملاحقة يين نزهة؟"
كانت لتصفعه. لكنها لم تكن غبية بما يكفي لتبتلع الطعم.
قالت:
— "عائلة يين لن تدعنا نعيش أحرارًا في هذا البلد".
كانت تعرف كيف يعمل فايسرا. يحدد تهديداته — السابقة، والحالية، والمحتملة — ويعزلها بصبر، ويأسرها، ويدمرها. لا يغفر أخطاء الماضي. ولا يفشل أبدًا في حسم الأمور العالقة. ورين، التي كانت يومًا أثمن أسلحته، أصبحت الآن أكبر أموره العالقة.
— "الجمهورية لا تريد تقاسم الأراضي، يريدون محونا من الخريطة. لذا اعذرني لتفكيري أنه قد تكون فكرة جيدة أن نضرب أولًا".
وقف "حاكم القرد":
— "فايسرا ليس قادمًا لأجلنا. إنه قادم لأجلكِ".
جلس مضمون تلك الكلمات ثقيلًا في الهواء بينهما.
انفتح الباب. اختلجت كل الأيادي في الغرفة نحو السيوف. دخل مساعد في المعسكر، لاهثًا:

– "سيدي..."

زمجر "حاكم القرد":

– "ليس الآن".

– "لا يا سيدي..." ابتلع المساعد ريقه. "سيدي، ما ليين توفي".

زفرت رين ببطء. ها قد حدث الأمر.

حدق غوروباي في المساعد، عاجزًا عن الكلام.

تحدثت رين قبل أن يتمكن أي شخص آخر:

– "إذن هناك منصب شاغر".

بدا ليو داي مفجوعًا:

– "تحلي ببعض الاحترام".

تجاهلت ذلك:

– "هناك منصب شاغر، وأنا الشخص الأكثر تأهيلًا لملئه".

قال غوروباي:

– "أنتِ بالكاد في تسلسل القيادة".

قلبت عينيها:

– "تسلسل القيادة يهم الجيوش الحقيقية، وليس مخيمات قطاع الطرق القابعة في الجبال آملة ألا تراها المناطيد حين تحلق فوقها".

قال غوروباي:

– "أولئك الرجال لن يطيعوكِ. هم بالكاد يعرفونكِ..."

للمرة الأولى تحدث زودن:

– "نحن مع الفتاة".

خفت صوت غوروباي، محدقًا في زودن بعدم تصدي.

كبتت رين ضحكة مكتومة.

قال زودن:

— "إنها محققة. نحن نموت هنا بالأعلى. نحتاج للمسير بينما لا يزال لدينا قتال فينا. وإذا كنت لن تقودنا، فنحن ذاهبون معها".

قال غوروباي:

— "أنت لا تسيطر على الجيش بأكمله. ستكونون ألفًا وخمسمائة رجل على الأكثر".

قال سوجي:

— "ألفان".

رمته رين بنظرة مندهشة.

هز سوجي كتفيه:

— "(الذئاب الحديدية) ذاهبون للجنوب أيضًا. كانوا يتحرقون شوقًا لذلك القتال منذ فترة".

قالت رين:

— "قلت إنك لا تهتم بـ (التحالف الجنوبي)".

قال سوجي:

— "قلت إني لا أهتم ببقية الإمبراطورية. هذا مختلف. هؤلاء شعبي. ومما رأيته، أنتِ الوحيدة التي تملك الجرأة الكافية لملاحقتهم بدلًا من الجلوس هنا، في انتظار الموت".

كادت رين تصرخ ضحكًا. نظرت حول الطاولة، ذقنها للأمام، تتحدى أي أحد أن يعترض. تململ ليو داي في مقعده. غمز لها سوجي. ولم يقل غوروباي، المهزوم تمامًا، شيئًا.

استطاعت أن تدرك أنه عرف ما فعلته. لم يكن سرًا. كانت لتعترف به بصوت عالٍ لو سأل. لكنه لا يستطيع إثباته، ولا أحد سيرغب في تصديقه. قلوب ثلث رجاله على الأقل انقلبت ضده.

لم تكن هذه أخبارًا جديدة. هذا فقط جعل الهمسات التي كانت تدور لفترة طويلة جداً رسمية.

أومأ لها زودن:

— "دورك، جنرال فانغ".

أحبّت وقع تلك الكلمات كثيرًا لدرجة أنها لم تستطع منع نفسها من الابتسام.

— "حسنًا، لقد حُسم الأمر". جالت بنظرها حول الطاولة. "سآخذ الفرقة الثالثة و(الذئاب الحديدية) إلى إقليم الديك. سنتحرك عند الفجر".

الفصل الرابع

قالت رين:

– "أريد قوات جديدة حين نصل إلى (خلية النحل). إذا خففنا وتيرة سيرنا إلى أربعة أخماس سرعتنا المعتادة، فلا يزال بإمكاننا الوصول إلى هناك في اثني عشر يومًا. سنسلك طرقًا التفافية من هنا ومن هنا لتجنب النقاط الموغينية المعروفة. هذا سيضيف مسافة أطول، لكني أفضل الاحتفاظ بعنصر المفاجأة لأطول فترة ممكنة. سيقلل ذلك من وقت استعدادهم".

تحدثت بثقة أكبر مما كانت تشعر به. ظنت أن صوتها يبدو حادًا ومرتفعًا بشكل مفرط، رغم أنها بالكاد كانت تسمعه، فالدماء كانت تضخ بقوة صاخبة في أذنيها. والآن بعد أن حصلت أخيرًا على ما أرادت، تلاشت نشوتها، وحل محلها مزيج مخيف من الإرهاق والتوتر.

حل الليل في يومهم الأول من المسير خارج رويجين. توقفوا لإقامة المعسكر في الغابة. وجلست حلقة من الجنود – كيتاي، وزودن، وسوجي، وشرذمة من الضباط – متجمعين في خيمة رين، يراقبون باهتمام شديد بينما كانت ترسم خطوطًا سميكة بالحبر عبر الخرائط المفرودة أمامهم.

ظلت يدها ترتجف، ناثرة قطرات الحبر فوق الرق. كانت الكتابة بيدها اليسرى صعبة للغاية. شعرت وكأنها تخضع لامتحان لم تدرس له. كان ينبغي أن تستمتع بهذه اللحظة، لكنها لم تستطع التخلص من الشعور بأنها محتالة.

أنتِ محتالة. لم يسبق لها قيادة حملة حقيقية بمفردها من قبل. فتراتها القصيرة كقائدة لفرقة "السيك" انتهت دائمًا بكوارث. لم تكن تعرف كيفية إدارة

اللوجستيات على هذا النطاق. والأسوأ من ذلك كله، أنها كانت تصف حاليًا استراتيجية هجوم لم تكن واثقة إطلاقًا من نجاحها.

تردد صدى ضحكات ألتان في عقلها.

قال: يا للحمقاء الصغيرة. حصلتِ أخيرًا على جيش، والآن لا تعرفين ماذا تفعلين به.

رمشت وأجبرت طيفه على الاختفاء.

تابعت قائلة:

– "إذا سارت الأمور وفق الخطة، فستكون ليانغ لنا بحلول القمر القادم".

كانت ليانغ أكبر بلدة في شمال إقليم الديك. مرت بها مرة واحدة فقط في حياتها، قبل قرابة الخمس سنوات عندما قامت برحلة القوافل الطويلة شمالًا لتبدأ دراستها في سينغارد. كانت مركزًا تجاريًا محوريًا يتصل بعشرات القرى الأصغر عبر جدولين وعدة طرق واسعة قديمة جدًا لدرجة أنها رُصفت في أيام "الإمبراطور الأحمر". مقارنة بأي عاصمة شمالية، كانت سوقًا رديئة ومتهالكة في أطراف اللامكان، لكن في ذلك الحين وجدتها رين أكثر الأسواق ازدحامًا رأتها في حياتها.

أطلق كيتاي على الشبكة المحيطة بـ ليانغ اسم (خلية النحل). مارست القوات الموغينية نوعًا من السيطرة على جميع القرى في شمال إقليم الديك، لكن استنادًا إلى أنماط دورياتهم وتنقلاتهم، كانت ليانغ هي العقدة المركزية.

شيء مهم كان يقبع في تلك البلدة. اعتقد كيتاي أنه من المرجح أن يكون جنرالًا رفيع المستوى يواصل ممارسة سلطة إقليمية بعد زوال وطنه. أو، كما خشيت رين، كانت قاعدة أسلحة لا يعرفون عنها شيئًا. قد تكون ليانغ رابضة فوق علب من الغاز الأصفر. لم يكن لديهم وسيلة للمعرفة.

كان ذلك أصل مشكلتهم. استخبارات رين حول ليانغ كانت مريعة. حدثت خرائطها بأوصاف سوجي التفصيلية للتضاريس المحيطة، لكن كل شيء آخر كان يعرفه قد عفا عليه الزمن منذ أشهر. حفنة من "الذئاب الحديدية" كانوا

ناجين هاربين من ليبانغ، لكن تقاريرهم عن وجود القوات الموغينية تباينت بشكل جامح. كانوا عكس "المفيدين" تمامًا. الناجون يعطونهم دائمًا معلومات سيئة — إما أن رعبهم يجعلهم يبالغون في التهديد، أو يقللونه أملًا في إغراء قوة إنقاذ لمساعدة قريتهم.

أرسلت رين كشافة في المقدمة، لكن أولئك الكشافة سيتعين عليهم توخي حذر شديد. أي شيء ينبه الموغينيين لكمين وشيك سيعني الكارثة. وهذا يعني أنها تستطيع التكهن بقدر ما تشاء، لكنها لن تعرف القوة الكاملة للجيش المقاتل في ليبانغ إلا قبل بدء المعركة بقليل.

سأل زودن:

— "كيف ستستدرجينهم للخروج من خلف البوابات؟ لا نريد الضرب بالقرب من المدنيين".

حسنًا، هذا واضح. لم تستطع رين تحديد ما إذا كان يتحدث بتعالٍ أم بحذر وحسب. فجأة أصبح من الصعب جدًا عدم قراءة كل شيء كتحدٍ لسلطتها.

أضافت، وهي تعلم تمامًا أنها مجرد ثرثرة لا تعني شيئًا:

— "سنعطي أكبر قدر ممكن من التحذير المسبق دون كشف موقعنا. لدى سوجي بعض الاتصالات المحلية. لكن حقًا سيتعين علينا التكيف مع الطوارئ".

لم يكن لديها إجابة أفضل. وصل سؤال زودن إلى اللغز الاستراتيجي الحرج الذي، رغم الساعات التي قضتها تعصر ذهنها مع كيتاي، لم تتمكن من حله بعد.

المشكلة تكمن في أن القوات الموغينية قرب ليبانغ لم تكن متجمعة في منطقة واحدة، حيث يمكن لكمين منسق جيدًا أن يسوقهم إلى محرقة واحدة، بل كانت منتشرة عبر شبكة قرى كاملة.

كان على رين ابتكار طريقة لسحب الموغينيين إلى ساحة معركة مفتوحة. في خودلا كان من السهل تقليل الخسائر المدنية — غالبية القوات الموغينية عاشت في معسكرات منفصلة عن القرية نفسها. لكن جميع "الذئاب الحديدية" الذين استجوبتهم أفادوا بأن الموغينيين في ليبانغ قد اندمجوا تمامًا داخل البلدة. شكلوا نظام احتلال غريبًا من التكافل الافتراسي. جعل ذلك التمييز بين الأهداف والأبرياء أصعب بكثير.

قالت رين:

— "لا يمكننا اتخاذ تلك القرارات الآن دون المزيد من المعلومات الاستخباراتية. أولويتنا حاليًا هي الاقتراب قدر الإمكان من ليبانغ دون أن ترانا أي دوريات. لا نريد وضع احتجاز رهائن على مستوى المدينة". رفعت بصرها: "هل الأمر واضح للجميع؟"

أومأوا برؤوسهم.

— "جيد. زودن، انشر بعض الرجال في نوبة الحراسة الأولى".

وقف زودن:

— "أمركِ يا جنرال".

خرج الضباط الآخرون خلفه. لكن سوجي بقي متربعًا على الأرض، مائلًا للخلف مستندًا على ذراعيه الممدودتين. تدلى عود قمح واحد بشكل مزعج من جانب فمه مثل إصبع اتهام يتأرجح.

رمقته رين بنظرة حذرة:

— "هل هناك مشكلة؟"

قال:

— "خططكِ كلها خطأ".

— "عذرًا؟"

— "آسف، كان يجب أن أتحدث في وقت أبكر. فقط لم أرغب في إحراجك".

تجهمت:

— "إذا كنت هنا فقط للتذمر..."

— "لا، اسمعي". اعتدل سوجي في جلسته، ومال للأمام، ونقر بإصبعه على النجمة الصغيرة التي تشير إلى ليانغ على الخريطة. "كبداية، لا يمكنكِ أخذ جيشك عبر هذه الطرق الخلفية. سيكونون قد نشروا حراسًا عبر كل مسار، وليس فقط الطرق الرئيسية، وأنتِ تعلمين أنكِ لا تملكين الأعداد للنجاة من دفاع مُعد مسبقًا".

قال كيتاي:

— "لا يوجد طريق آخر سوى تلك الطرق الخلفية".

— "حسنًا، أنتما لستما مبدعين جدًا إذن".

ومض الانزعاج عبر وجه كيتاي:

— "لا يمكنك سحب عربات الإمداد عبر غابة كثيفة، لا توجد طريقة..."

— "هل ترفضان ببساطة الاستماع لأي شخص لديه نصيحة يقدمها؟"

بصق سوجي عود القمح من فمه. سقط على الخريطة، ملطخًا مسارات رين المرسومة بعناية. "أنا أحاول المساعدة فقط، كما تعلمين".

صرخت رين:

— "ونحن استراتيجيون مدربون في سينغارد ونعرف ما نفعله. لذا إن لم يكن لديك شيء مفيد لتقوله أكثر من (خططك كلها خطأ)، فإذن..."

قاطعها سوجي:

— "أنتِ تدركين أن (حاكم القرد) يريد لكِ الفشل، أليس كذلك؟"

— "ماذا؟"

— "(التحالف الجنوبي) لا يحبكِ على الإطلاق. غوروباي، ليو داي، المجموعة بأكملها. يتحدثون عنكِ في كل مرة لا تكونين فيها بالغرفة. تباً، كنت

قد وصلت للتو، وكانوا يحاولون بالفعل تأليبي ضدكِ. إنه (نادي رجال) يا أميرة، وأنتِ الدخيلة".

حافظت رين على نبرة صوتها محايدة بحذر:

– "وماذا قالوا عني؟"

قال سوجي بهدوء:

– "أنكِ حمقاء صغيرة تظن أن ثلاث سنوات في سينغارد وبضعة أشهر في الميليشيا يمكن أن تحل محل عقود في الميدان. وأنكِ لا تستحقين الإبقاء عليكِ لولا خدعتكِ الصغيرة المسلية. وأنكِ ستموتين على الأرجح في ليبانغ لأنكِ أغبى من أن تعرفي ما تواجهينه، لكن حينها سيتخلصون على الأقل من مصدر إزعاج واحد".

لم تستطع رين منع الحرارة من التصاعد إلى وجنتيها:

– "هذا ليس جديداً".

مال سوجي للأمام:

– "اسمعي أيتها السبيرية. أنا في صفكِ. لكن غوروباي محق في بعض الأشياء. أنتِ لا تعرفين كيف تقودين، وأنتِ عديمة الخبرة، خاصة في هذا النوع من الحروب. لكنني أعرف كيف أخوض هذه المعارك. وبما أن رجالي يُجرون إليها، فستستمعين لي بحق الجحيم".

قالت رين:

– "أنت لا تعطيني الأوامر".

– "إذا دخلتِ هناك وفقًا لتلك الخطط، فستموتين".

– "اسمع أيها الوغد..."

– "انتظرا". رفع كيتاي يده. "رين، فقط... استمعي له لثانية".

– "لكنه..."

أومأ كيتاي لـ سوجي:

— "إنه هنا منذ فترة أطول منا. إذا كانت لديه معلومات، نحتاج لسماعها. أكمل".

— "شكرًا لك". تنحنح سوجي مثل معلم يوشك على إلقاء محاضرة. "كلاكما يتعامل مع هذا الأمر بشكل خاطئ. لا يمكنكما الاستمرار في القتال وكأن هذه حرب بين جيشين نظاميين — قتال في حقل مفتوح، وكل ذلك. هذا ليس نفس الشيء. هذا يتعلق بالتحرير، والتحرير يعني تكتيكات صغيرة النطاق وخداعًا".

تمتمت رين:

— "وتلك نجحت معك جدًا في خودلا".

أقر سوجي:

— "لقد سُحقنا في خودلا. كما قلت. لم نتمكن من الفوز في ساحة المعركة. لم نملك الأعداد، وكان ينبغي أن نلجأ لتكتيكات أصغر. من الأفضل لكِ التعلم من أخطائي".

فقد صوت رين حدته. كانت تستمع الآن.

— "فماذا تقترح؟"

قال سوجي:

— "اذهبوا عبر الغابة. سأمرر عربات إمدادكِ الغالية. توجد مسارات مخفية في كل أنحاء تلك المنطقة ولدي رجال يمكنهم العثور عليها. ثم أسسي اتصالًا مع قيادة المقاومة في ليانغ قبل أن تتحركي. حاليًا أنتِ لا تملكين الأعداد".

كررت رين:

— "الأعداد؟ يمكنني..."

— "يمكنكِ حرق سرب كامل بنفسك أيتها السبيرية، أنا مدرك تمامًا. لكنك مفيدة فقط في نطاقك، ونطاقك بحكم التعريف لا يمكن أن يكون قريبًا جدًا من المدنيين. تحتاجين لأشخاص للقيام بالتشويش والاعتراض. إبعاد

الموغينيين عن الأشخاص الذين تحاولين إنقاذهم. حاليًا لا تملكين الأعداد لذلك، ولهذا أشك أنكِ تستمرين في الامتعاض كلما نظرتِ لخرائطك".

أدركت رين على مضض أن سوجي كان دقيق الملاحظة بشكل استثنائي. سألته:

— "ولديك حل سحري لذلك؟"

— "إنه ليس سحرًا. لقد كنت في تلك القرى. لديهم فرق مقاومة سرية. رجال أقوياء، مستعدون للقتال. يحتاجون فقط لشخص يدفعهم نحو الحافة".

قال كيتاي:

— "أنت تتحدث عن حفنة من الفلاحين بمذراة القش".

— "أنا أتحدث عن مائة رجل إضافي أينما ذهبنا".

قالت رين:

— "هراء".

قال سوجي:

— "أنا من هذه المنطقة. لدي اتصالات. يمكنني الفوز بـ ليبانغ لكِ، إذا وثقتما بي فقط. هل يمكنكما تدبر ذلك؟"

مد يده نحوها.

تبادلت رين وكيتاي نظرة شك.

قال سوجي بضجر:

— "هذا ليس فخًا. هيا يا رفاق. أنا متحمس للعودة للوطن مثلكما تمامًا".

توقفت رين، ثم مدت يدها لتمسك بيده.

انفتح باب الخيمة في اللحظة التي تلامست فيها أكفهما. دخل حارس يلهث قائلًا:

— "دورية موغينية. على بعد ميلين".

***

قال سوجي:
— "ليختبئ الجميع. هناك غطاء شجري لنصف ميل على كلا الجانبين، اجعل الرجال يحزمون أمتعتهم ويذهبون".

نهضت رين بسرعة، تتخبط لجمع الخرائط:
— "لا — ماذا؟ أنا من يعطي الأوامر هنا..."

رمقها بنظرة ساخطة:
— "إذن أمريهم بالاختباء".

قالت:
— "تبًا لذلك. سنقاتل".

كان لدى الموغينيين مجموعة دورية واحدة. وهم يملكون جيشًا. كيف يكون هذا موضع نقاش؟

لكن قبل أن تتمكن من صراخ الأمر، أخرج سوجي رأسه من باب الخيمة، وحشر إصبعين في فمه، وصفّر ثلاث مرات متتالية بصوت عالٍ لدرجة جعلت رين تشعر وكأن سكاكين قد دُقت في أذنيها.

أذهلتها الاستجابة. في الحال، نهض "الذئاب الحديدية" وبدؤوا حزم عتادهم. في أقل من دقيقتين كانوا قد طووا خيامهم، وعبأوا معداتهم، واختفوا تمامًا من موقع المعسكر إلى داخل الغابة. لم يتركوا أثرًا خلفهم — سويت نيران معسكرهم بالأرض، ونُظفت فضلاتهم. حتى أنهم ردموا الثقوب التي أحدثتها أوتاد خيامهم في التراب. لن يخمن أي مراقب عابر أبدًا أن هذا كان موقع معسكر يومًا ما.

لم تعرف رين ما إذا كانت غاضبة أم منبهرة.

سأل سوجي:
— "ما زلتِ ستعتركي؟"
— "أيها الوغد الصغير".

– "من الأفضل أن تأتي".

– "أرجوك، أنا لدي إله..."

– "وكل ما يتطلبه الأمر سهم واحد لإخراسك يا أميرة. لا أحد يغطي ظهركِ الآن. أنصحكِ باللحاق بنا".

بوجنتين مشتعلتين، أمرت رين رجال زودن بإخلاء مواقعهم والتراجع إلى الأشجار.

ركضوا، شاقين طريقهم عبر أغصان تركت آلاف الجروح الصغيرة في جلدهم المكشوف، قبل أن يتوقفوا ويرفعوا أنفسهم إلى الأشجار. لم تشعر رين بمثل هذا الإذلال من قبل وهي جاثمة، رابضة بجوار سوجي، تختلس النظر عبر الأوراق لتتبع الدورية القادمة.

هل كانت خطة سوجي مجرد انتظار رحيل الموغينيين؟ لا يمكن أن ينوي الهجوم – سيكون ذلك انتحارًا. هذا لم يستوفِ أيًا من الشروط المسبقة للكمين التي بُرمجوا عليها في حصة الاستراتيجية – لم يكن لديهم محطات مدفعية ثابتة، ولم تكن لديهم خطوط اتصال واضحة أو رؤية للإشارات بين الصفوف. بالتراجع إلى الغابة، قاموا فقط بتشتيت وتنظيم أعدادهم بشكل سيئ، بينما كانت رين الآن محاصرة في منطقة قتال حيث يمكن لنيرانها أن تخرج عن السيطرة بسهولة.

بعد عدة دقائق رأت رين الدورية الموغينية تتحرك أسفل الطريق الرئيسي.

همست لـ سوجي:

– "كان بإمكاننا أخذهم في الفسحة. لماذا..."

أطبق بيده على فمها:

– "انظري".

جاءت الدورية مزمجرة بوضوح تام. أحصت رين حوالي عشرين منهم. ركبوا خيول حرب رشيقة، لا شك أنها تغذت على حبوب مسروقة من قرويين جائعين، تتحرك ببطء بينما كانوا يفحصون موقع المعسكر المهجور.

تمتم سوجي:

— "هيا. تحركوا".

مستحيل، فكرت رين. رجالها أكفاء، لكن ليسوا بهذه الكفاءة. عشر دقائق لم تكن كافية لإخلاء معسكر دون ترك أثر واحد خلفهم.

وبالفعل، لم يستغرق الأمر سوى دقيقة قبل أن يصرخ القائد الموغيني بشيء ويشير إلى الأرض. لم تعرف رين ما رآه — أثر قدم، ثقب وتد، حزام مرمي — لكن ذلك لم يهم. لقد كُشف أمرهم.

— "الآن راقبي".

حشر سوجي أصابعه في فمه مرة أخرى وصفّر، هذه المرة مرتين متتاليتين.

أطلق "الذئاب الحديدية" جولة من السهام نحو الفسحة.

كان تصويبهم دقيقًا. سقط نصف أفراد الدورية الموغينية عن الخيول. النصف الآخر جفل وحاول الهرب، لكن جولة أخرى من السهام هسّهست عبر الهواء، تنغرس في الحناجر، والأصداغ، والأفواه، والعيون. تسابق آخر ثلاثة من الدورية أبعد في الطريق، ليسقطوا فقط بفعل مجموعة أخيرة من الرماة المتمركزين على بعد ميل تقريبًا من مكان اختباء رين.

— "وهذه نهايتهم". قفز سوجي من الشجرة ومد يده لمساعدتها على النزول. "هل كان ذلك سيئًا جدًا؟"

— "كان ذلك غير ضروري". ضربت رين يد سوجي بعيدًا ونزلت بنفسها. انثنت ذراعها اليسرى من الإجهاد؛ أفلتت، وسقطت البوصات القليلة الأخيرة، وكادت تسقط مسطحة على مؤخرتها. تداركت نفسها بسرعة. "كان بإمكاننا مواجهتهم وجهًا لوجه، لم نكن مضطرين للاختباء..."

سأل سوجي:

— "كم جنديًا تظنين كان لديهم؟"

— "عشرون. ثلاثون، ربما، لم..."

– "وكم واحدًا تظنين أننا قتلنا؟"
– "حسنًا، جميعهم، لكن..."
– "وكم إصابة لدينا؟"
تمتمت:
– "لا شيء".
– "وهل الموغينيون هناك في (خلية النحل) يعرفون بقدومنا؟"
– "لا".
قال بزهو:
– "إذن ها أنتِ ذا. قولي لي إن ذلك كان غير ضروري".
أرادت صفع تلك النظرة عن وجهه.
– "الاختباء كان غير ضروري. كان بإمكاننا فقط أخذهم..."
– "وماذا، منحهم يومًا إضافيًا لحشد الدفاعات؟ أول شيء تفعله فرق الدوريات الموغينية عندما تستشعر قتالًا قادمًا هو إرسال ناجٍ معين للإبلاغ عنه".
عبست:
– "لم أكن أعلم ذلك".
– "بالطبع لم تعلمي. كنتِ لتحرقي معظمهم حيث وقفوا، حسنًا. لكن لا يمكنكِ سبق حصان. لا أحد منا يملك جيادًا أسرع مما يركبون. زلة واحدة، وتكونين قد تخليتِ عن كل ميزة المفاجأة".
قالت:
– "لكن هذا سخيف. لن نبقي أنفسنا مخفيين طوال الطريق حتى نصل إلى ليبانغ".
– "نقطة عادلة. لكن يجب أن نحاول إبقاء أعدادنا مخفية على الأقل حتى نهاجم أهدافنا التالية. تعديلات استراتيجية صغيرة كهذه تحدث فرقًا. لا تفكري في الخطة الأفضل بشكل مطلق، فكري في التفاصيل. كل يوم، كل ساعة يمكنك

فيها الحفاظ على تباين المعلومات، افعلي ذلك. إنه يعني الفرق بين إصابتين وعشرين".

قالت، مؤنبة:

— "فهمت".

لم تكن عنيدة لدرجة عدم الاعتراف عندما تكون مخطئة. آلمها إدراك أنها كانت تفكر في الاستراتيجيات من حيث المطلق. لقد اعتادت على ذلك — التفاصيل لم تبدُ مهمة أبدًا عندما كانت استراتيجياتها تتلخص في الإبادة بالنار.

بوجنتين مشتعلتين، نفضت الأوراق عن بنطالها، ثم نطقت بالكلمات التي عرفت أن سوجي كان ينتظر سماعها:

— "أنت ربحت، حسنًا؟ أنت محق".

ابتسم، وقد ثبتت صحة رأيه:

— "أنا أفعل هذا منذ سنوات يا أميرة. يجدر بكِ الاستماع إليّ".

***

أقاموا المعسكر على بعد ميلين جنوب المكان الذي رأوا فيه الدورية، تحت غطاء شجري كثيف لدرجة أن الأوراق كانت ستبدد الدخان من نيران مخيماتهم قبل أن يتمكن من التصاعد عاليًا في الهواء. حتى مع ذلك، وضعت رين حدودًا صارمة — لا أكثر من نار واحدة لكل سبعة رجال، وكل الأدلة يجب إخمادها وإخفاؤها تمامًا بالأوراق والتراب قبل أن يحزموا أمتعتهم للمسير في الصباح.

كان العشاء ضئيلًا، خبز "ووتو" من دقيق الذرة المخبوز وعصيدة أرز غير متبلة. لم يدع "حاكم القرد" رين تأخذ أي شيء سوى أكياس المؤن الأكثر قدمًا من رويجين، مجادلًا بأنه إذا فشلت في هذه الحملة فعليها على الأقل ألا تُجوع رويجين في نفس الوقت. لم تلح رين في النقطة؛ لم ترغب في استنفاذ حظها.

لكن "الذئاب الحديدية" كانوا يأكلون جيداً بشكل مريب. لم تعرف رين أين وجدوا المكونات، لكن البخار المتصاعد من قدورهم التي تبقبق كانت رائحته طيبة. هل سرقوا حصصًا إضافية من رويجين؟ لم تستبعد ذلك عن سوجي؛ كان وغدًا بما يكفي.

قال كيتاي:

– "إذا كان الأمر يضايقك فاذهبي واسأليهم وحسب".

تمتمت رين:

– "هذا غبي. لن أثير جلبة..."

لكن سوجي كان يسير نحوهم بالفعل، حاملًا سلال خيزران للطهي بالبخار مكدسة في كلتا يديه. وقعت عيناه على حصصهم. لوى شفته.

– "يبدو شهيًا".

كورت رين أصابعها بتملك حول خبز "الووتو" الخاص بها:

– "إنه يكفي".

جلس سوجي قبالتهم ووضع السلال على الأرض.

– "ألم تتعلموا البحث عن الطعام لأنفسكم؟"

– "بالطبع نستطيع، لا يوجد شيء صالح للأكل في هذا الامتداد..."

– "حقًا؟" رفع سوجي أغطية السلال. "انظروا. براعم خيزران. حجل مصاد حديثًا. اطبخوا كل هذا مع القليل من الملح والخل، ويصبح لديكم وجبة من ثلاثة أطباق".

قال كيتاي:

– "لكن لا يوجد أي من ذلك هنا".

– "صحيح، التقطناه أثناء المسير. كان هناك بستان خيزران عند قاعدة رويجين مباشرة، ألم تروه؟ الكثير من الشتلات الصغيرة. كلما رأيتم شيئًا صالحًا للأكل، تضعونه في كيسكم. القاعدة الأولى في المسير، أليس كذلك؟"

كانت رائحة لحم الحجل تجعل لعاب رين يسيل. نظرت للسلال بحسد.

– "وكيف صدتم الطيور؟"

– "ببساطة. يمكنكِ نصب فخ بلا شيء تقريبًا طالما لديكِ بعض دقيق الذرة للطعم. يمكننا نصبَ بعضها طوال الليل والاستيقاظ على أَجنحة حجل تطقطق. يمكنني تعليمكِ الكيفية".

أشارت رين لشيء أَصفر وطري مدفون تحت براعم الخيزران:

– "ما هذا؟"

– "موز باجيو".

– "هل طعمه جيد؟"

منحها سوجي نظرة غير مصدقة:

– "ألم تأكلي هذا من قبل؟ إنه ينمو في كل مكان في هذه النواحي".

اعترف كيتاي:

– "ظننا أنه قد يكون سامًا. سبب لبعض الرجال في رويجين ألمًا شديدًا في المعدة، لذا ابتعدنا عنه منذ ذلك الحين".

– "آه، لا، ذلك يحدث فقط عندما لا يكون ناضجًا. إذا لم تستطع المعرفة من اللون – بني داكن، أترون؟ – يمكنك تقشيره والمعرفة من الرائحة. إذا كان حامضًا، أعده. ألم يعرف أي من رجالكم ذلك؟"

– "لا أحد في معسكرنا".

قال سوجي:

– "مذهل. أفترض أنه بعد بضعة قرون تبدأ في نسيان الأشياء الصغيرة".

أشارت رين لوعاء مما بدا كفاصولياء سوداء، مقرمشة، وضخمة الحجم.

– "ما هذا؟"

قال سوجي بلامبالاة:

– "نحل. إنه لذيذ جدًا عندما تقليه. عليكِ فقط التأكد من إزالة كل الإبر".

حدقت فيه:

– "لا أستطيع التحديد ما إذا كنت تمزح أم لا".

– "أنا لا أمزح". التقط واحدة وأراها القشرة. "أترين؟ الأرجل هي الجزء الأفضل. تمتص كل الزيت". قذفها في فمه ومضغ بصوت عالٍ. "مذهلة. هل تريدين؟"

تمتمت:

– "أنا بخير".

– "أنتِ من الجنوب. ظننت أنكِ تستطيعين أكل أي شيء".

– "لم نأكل حشرات أبدًا في تيكاني".

ضحك:

– "تيكاني بالكاد تكون أفقر قرية في الجنوب. من المنطقي أنكِ لم تعرفي المجاعة قط".

كان عليها الاعتراف بصحة ذلك. جاعت في ليالٍ كثيرة، سواء في تيكاني أو في الأكاديمية في سينغارد، لكن ذلك كان بسبب منع الطعام وليس بسبب انعدامه التام. حتى بعد اندلاع حرب الخشخاش الثالثة بجدية، عندما أصبح القرويون عبر الإمبراطورية يائسين لدرجة اللجوء لأكل لحاء الخشب، كانت رين قادرة على الاعتماد على وجبتين مشبعتين على الأقل من حصص الجيش كل يوم.

بالطبع. عندما تسوء الأمور، يُطعم الجنود أولًا، ويُترك البقية للموت. عاشت رين طويلًا جدًا على القدرات الاستخراجية للإمبراطورية التي حاربت لأجلها، لدرجة أنها لم تتعلم أبدًا البحث عن الطعام لنفسها.

– "لم تكن تلك إهانة. أكون صريحًا وحسب". مد سوجي وعاء النحل نحوها. "تريدين التجربة؟"

كانت رائحته طيبة بشكل فظيع. أطلقت معدة رين قرقرة عالية ومحرجة.

قهقه سوجي:

– "كلي. لدينا حصص تكفي وتزيد".

***

واصلوا مسيرهم عند الفجر، متتبعين حافة الطريق، مستعدين دائمًا للاندفاع عائدين إلى الأشجار عند أول إشارة من الكشافة في المقدمة. سرّعوا وتيرتهم قليلًا عن اليوم السابق. أرادت رين التوجه مباشرة لـ (خلية النحل)، لكن سوجي رسم نمطًا متعرجًا على خريطتها بدلًا من ذلك، صانعًا طريقًا التفافيًا أخذهم حول قواعد القوة المحلية لكنه تجنب المركز حتى النهاية تمامًا.

قالت رين:

— "لكن حينها سيعرفون بقدومنا. أليست الفكرة كلها هي الحفاظ على عنصر المفاجأة حتى ليبانغ؟"

هز سوجي رأسه:

— "لا، سيعرفون أننا هنا في الخارج خلال خمسة أيام على الأكثر. لا يمكننا إبقاء اقترابنا سرًا لفترة أطول من ذلك، لذا من الأفضل أن نسدد بعض الضربات الجيدة حين نستطيع".

— "إذن ما المغزى من كل هذه التدابير؟"

— "فكري يا أميرة. هم يعرفون أننا قادمون. هذا كل ما يعرفونه. لا يعرفون كم عددنا. قد نكون فرقة من عشرة. وقد نكون جيشًا من مليون. ليس لديهم أدنى فكرة عما يجب أن يحترسوا منه، وتهديد المجهول يشل استعدادات الدفاع. حافظي على ذلك".

بالطبع تعلمت رين في سينغارد وضع الاستراتيجيات مع الأخذ في الحسبان حالة العدو الذهنية. لكنها فكرت في الأمر دائمًا كمسألة استراتيجيات مهيمنة. ما هو خيارهم الأفضل، بالنظر للظروف؟ وكيف ينبغي لها الاستعداد لخيارهم الأفضل؟ القضايا التي كان سوجي مهووسًا بها — الخوف، التوجس، القلق، اللاعقلانية — كانت تفاصيل لم تفكر فيها كثيرًا من قبل. لكن الآن، في حرب عدم اليقين والقوى غير المتكافئة هذه، بدت بالغة الأهمية.

لذا كلما صادف "التحالف الجنوبي" جنودًا موغينيين، إما اختبأوا في الأشجار وراقبوهم يمرون إذا بدا أنهم لم يلاحظوا شيئًا، أو نفذوا نفس نوع تكتيك الاستدراج الذي استخدمه "الذئاب الحديدية" في اليوم الأول. وكلما مروا بقرى محتلة، وظفوا نفس الاستراتيجية تقريبًا — استدراج حذر مصحوب بضربات ذات قوة محدودة، تكفي فقط لتحقيق أهداف تكتيكية محدودة دون التصعيد أبدًا إلى معركة حقيقية.

على مدار ثمانية أيام وعدة اشتباكات، شهدت رين النطاق الكامل لتكتيكات سوجي المفضلة. تمحورت بشكل كامل تقريبًا حول الخداع، وكانت عبقرية. كان "الذئاب الحديدية" مولعين بقطع الطريق على مجموعات صغيرة من الجنود الموغينيين، دائمًا في الليل، ولا مرتين أبدًا في نفس البقعة. عندما يعود الموغينيون بفرق أكبر، يكون رجال العصابات قد رحلوا منذ زمن.

تظاهروا بأنهم متسولون، ومزارعون، وسكارى القرية لاستدراج الهجمات الموغينية. أنشأوا عمدًا مواقع معسكرات زائفة لتهييج الدوريات الموغينية.

كانت حيلة سوجي المفضلة هي إرسال مجموعة من "الذئاب الحديدية"، جميعهن شابات، إلى الحقول قرب المعسكرات الموغينية مرتديات الملابس الأكثر زهاءً وإثارة مما تملكه نساء القرية. كن، بلا شك، يتعرضن للاعتداء. لكن الفتيات المسلحات بصواريخ نارية وسكاكين كان إسقاطهن أصعب من الفريسة المعتادة للجنود الموغينيين.

لاحظت رين:

— "أنت مولع بالتظاهر بأنكم ضعفاء. هل ينجح ذلك دائمًا؟"

— "تقريبًا في كل مرة. الموغينيون ينجذبون بشكل فظيع للأهداف السهلة".

— "ولا ينتبهون للأمر أبدًا؟"

— "ليس حسب ما لاحظته. انظري، هم متنمرون. الضعف هو ما يريدون رؤيته. هم مقتنعون جدًا بأننا مجرد حيوانات دنيئة وجبانة، ولن يتوقفوا للتشكيك في الأمر. لا يريدون تصديق أننا نستطيع المقاومة، لذا لن يفعلوا".

قالت رين:

– "لكننا لا نقاوم حقًا. نحن فقط نضايقهم".

عرف سوجي أنها لم تكن مسرورة بهذه الحملة المترددة – هذا النوع من نصف القتال، من الاستفزاز من الظلال بدلًا من مواجهة العدو وجهًا لوجه. تحدى ذلك كل مبدأ استراتيجي لُقنته يومًا. تعلمت أن تفوز، وأن تفوز بشكل حاسم لاستباق هجوم مضاد لاحق. سوجي، من ناحية أخرى، كان يغازل النصر لكنه لم يأخذ الغنائم أبدًا. ترك قطع الشطرنج مفتوحة في كل أنحاء الرقعة، كما قد يدفن كلب عظامًا ليتلذذ بها لاحقًا.

لكن سوجي أصر على أنها لا تزال تفكر في الحرب بالطريقة الخاطئة.

قال:

– "أنتِ لا تملكين جيشًا تقليديًا. لا يمكنكِ التحرك إلى ليبانغ وحصدهم كما فعلتِ عندما قاتلتِ لصالح الجمهورية".

– "بلَى، أستطيع".

– "أنتِ جيدة في تسع مرات من أصل عشرة يا أميرة. ثم يجد سهم طائش أو رمح طريقه إلى صدغك، وينفد حظك. لا تخاطري. غلبي جانب الحذر".

– "لكني أكره هذا الركض المستمر..."

– "إنه ليس ركضًا. هذا ما لا تفهمينه. هذا تشويش. فكري كيف تتغير حساباتك إذا كنتِ في الطرف المتلقي. تغيرين نمط دوريتكِ لمواكبة الهجمات العشوائية، لكنكِ لا تستطيعين توقع متى ستحدث. أعصابكَ تتوتر. لا تستطيعين الراحة أو النوم لأنكِ لستِ واثقة مما سيأتي تاليًا".

قال كيتاي:

– "إذن خطتك هي مضايقتهم حتى الموت".

قال سوجي:

– "المعنويات السيئة سلاح كبير. لا تستهن بها".

قالت رين:

– "أنا لا أستهين. لكن يبدو الأمر وكأننا نتراجع باستمرار وحسب".

– "المغزى الكامل هو أنكِ وحدكِ تملكين القدرة على التراجع. هم لا يملكونها؛ هم عالقون في الأماكن التي احتلوها لأنهم لا يستطيعون التخلي عنها. حاولا استيعاب هذا يا رفاق. نموذجكما الافتراضي للحرب لن يجدي نفعًا لكما بعد الآن. في سينغارد يُعلمونكم قيادة قوات كبيرة في معارك كبرى. لكنكم لا تملكون ذلك بعد الآن. ما يمكنكم فعله هو الضرب ضد قوات معزولة، عدة مرات، وتأخير تعزيزاتهم. عليكما نشر وحدات عملياتية صغيرة تملك الحرية لاتخاذ قراراتها الخاصة. وعليكما تأخير المعارك المباشرة في الحقول المفتوحة لأطول فترة ممكنة".

– "كل هذا جنون". كان لدى كيتاي تلك النظرة واسعة العينين والمذعورة قليلًا التي تعتلي وجهه عندما يعالج عقله مفاهيم جديدة بجنون. كادت رين تسمع أزيز دماغه. "هذا يخالف كل ما قالته الكلاسيكيات عن الحرب".

قال سوجي:

– "ليس حقًا. ماذا قال (سونزي) عن النظرية الأساسية للحرب؟"

قال كيتاي تلقائيًا:

– "إخضاع العدو دون قتال. لكن ذلك لا ينطبق على..."

قاطعه سوجي:

– "وماذا يعني ذلك؟"

قالت رين بنفاد صبر:

– "يعني أن تهدئ عدوًا بتفوق ساحق ومحض. إن لم يكن في الأعداد، ففي التكنولوجيا أو الموقع. تجعله يدرك دونيته فيستسلم دون قتال. يوفر على جنودك معركة، ويبقي ساحات القتال نظيفة. المشكلة الوحيدة هي أنهم ليسوا أدنى منزلة على أي مستوى. لذا لن ينجح ذلك".

– "لكن ليس هذا ما يعنيه (سونزي)". بدا سوجي متعجرفًا بشكل محبط، مثل معلم ينتظر تلميذًا بطيئًا جدًا ليصل للإجابة الصحيحة.

فقد كيتاي صبره:

– "ماذا، هل كُتب نصف النص بالحبر السري؟"

رفع سوجي يديه:

– "اسمعا، لقد ذهبت لـ سينغارد أيضًا. أعرف الطريقة التي تعمل بها عقولكم. لكنهم دربوكم للحرب التقليدية، وهذه ليست كذلك".

قال كيتاي:

– "إذن تكرم واشرح ما هي".

– "لا يمكنكم تركيز قوة متفوقة كلها مرة واحدة، لذا عليكم فعل ذلك في أجزاء صغيرة. عمليات متنقلة. تحركات ليلية. خداع، ومفاجأة، وكل تلك الأشياء الممتعة – الأشياء التي كنا نفعلها – تلك هي الطريقة التي تركزون بها تموضعكم الأمثل، أو أيًا كانت الكلمة الزائفة التي يسميها بها (سونزي)". صنع سوجي حركة كماشة بيده. "أنتم مثل نمل يحتشد على جرذ مصاب. تفتتونه بلقمات صغيرة. لا تشتبكون أبدًا في مواجهة كاملة في ساحة المعركة، أنتم فقط تنهكونهم بحق الجحيم".

"مشكلة سينغارد كانت أنها تعلمكم محاربة عدو قديم. رأوا كل شيء من خلال عيون (الإمبراطور الأحمر). لكن طريقة الحرب تلك لم تعد تجدي. لم تجدِ حتى ضد الموغينيين عندما كنتم تملكون الجيوش. وما هو أكثر، افترضت سينغارد أن العدو سيكون قوة غازية من الخارج". ابتسم سوجي: "لم يكونوا في مجال تعليم المتمردين".

***

رغم تشككها الأولي، كان على رين الاعتراف بأن تكتيكات سوجي ناجحة.

وظلت تنجح. كلما اقتربوا من ليانغ، حصلوا على المزيد من المؤن والمعلومات الاستخباراتية، وكل ذلك دون دليل على أن الموغينيين في ليانغ يعرفون ما هو قادم. خطط سوجي لهجماته بحيث حتى الناجين الموغينيين لن يكونوا قادرين على الإبلاغ عن أكثر من عشرة أو عشرين جنديًا شوهدوا في المرة الواحدة؛ الحجم الكامل لجيشهم ظل مخفيًا جيداً. وإذا استدعت رين النار، تأكدت من عدم ترك أي شهود.

لكن حظهم لا بد أن ينفد. تكتيكات سوجي صغيرة النطاق نجحت للأهداف الصغيرة — قرى حيث لم يتجاوز عدد الحرس الموغيني الخمسين رجلًا. لكن ليانغ كانت واحدة من أكبر البلدات في الإقليم. المزيد والمزيد من التقارير أكدت حقيقة أن أعدادهم كانت بالآلاف.

لا يمكنك خداع جيش من الآلاف بالتنانير والمفرقعات النارية.

عاجلًا أم آجلًا، سيتعين عليهم الوقوف وجهًا لوجه مع عدوهم والقتال.

الفصل الخامس

في اليوم الثاني عشر من مسيرتهم، وبعد دهر من التنقل عبر دروب الغابة الملتوية والغادرة، وصلوا إلى سهل شاسع مليء بسيقان الذرة الرفيعة الحمراء. وسط البرية المكسوة بالنباتات الكثيفة والأشجار المتناثرة والمحتضرة التي تملأ جوانب الطريق، برزت تلك الحقول المزروعة بعناية كراية حمراء تحذيرية.

الجيوش لا تعتني بالحقول إلا بعد الاستقرار من أجل احتلال دائم. لقد وصلوا إلى حافة (خلية النحل).

أراد رجال رين التحرك نحو ليبانغ في تلك الليلة. كانوا قد ساروا بوتيرة متمهلة خلال اليومين الماضيين؛ إذ لم تسمح لهم طرق الغابة بالتحرك أسرع من ذلك. كانت لديهم طاقة مكبوتة وهائجة. أرادوا الدماء.

كان سوجي هو المعارض الوحيد:

— "عليكِ الاتصال بالقيادة المحلية أولًا".

جارته رين:

— "حسنًا. أين هم؟"

حك سوجي أذنه وقال:

— "حسنًا... في الداخل".

— "هل جننت؟"

— "المدنيون هم من يعانون أكثر من غيرهم جراء (تحريراتكِ) الصغيرة. أم أنكِ لم تحصي الخسائر في خودلا؟"

— "اسمع، لقد حررنا خودلا..."

قاطعها سوجي:

– "وأحرقتِ معبدًا مليئًا بالمدنيين حتى الموت. لا تظني أنني لم أعرف بذلك. نحتاج لإعطائهم تحذيرًا مسبقًا".

تدخل كيتاي:

– "هذا خطير للغاية. لا نعرف كم عدد المتعاونين لديهم. إذا رآكِ الشخص الخطأ، فسيقمعون المدنيين بغض النظر عن أي شيء".

أصر سوجي:

– "لن يبلغ عنا أحد. أنا أعرف هؤلاء الناس. ولاؤهم أثخن من الدم".

رمقته رين بنظرة متشككة:

– "أنت مستعد للمراهنة بحياة كل شخص في هذا الجيش على ذلك؟"

– "أنا أراهن بحياة كل شخص في تلك البلدة على ذلك. لقد أوصلتكِ إلى هذا الحد أيتها السبيرية. ثقي بي قليلًا فقط".

***

وهكذا وجدت رين نفسها تمشي مع سوجي إلى قلب (خلية النحل)، مرتدية أسمال الفلاحين، بلا سيفها وبلا تعزيزات.

كان سوجي قد حدد ثغرة في الدورية الشمالية، فجوة زمنية مدتها ثلاثون ثانية بين تبديل الحراس سمحت لهم بالتسلل عبر الحقول وفوق بوابات المدينة دون أن يلاحظهم أحد.

ما رأته رين داخل ليبانغ أذهلها.

لم يسبق لها أن واجهت بلدة يحتلها الموغينيون حيث الجثث ليست مكدسة في أكوام متعفنة وعشوائية حول كل زاوية. حيث السكان لم يتم سحقهم بالكامل وبشكل موحد ووحشي لإخضاعهم.

لكن هنا في ليبانغ، شرع الموغينيون في شيء أشبه ببناء دولة احتلال. وهذا، بطريقة ما، كان أكثر رعبًا.

كان المدنيون هنا نحيلين، ومنهكين، ومسحوقين بوضوح، لكنهم أحياء – وليسوا أحياء فحسب، بل أحرارًا. لم يكونوا محبوسين في حظائر احتجاز، ولم يكونوا رابضين داخل منازلهم خوفًا. المدنيون – مدنيون نيكاريون بوضوح – تجولوا في البلدة بلامبالاة لدرجة أن رين لو لم تكن تعلم الحقيقة لما خمنت وجودًا موغينيًا على الإطلاق. وبينما كانوا يتسللون أعمق داخل البلدة، رأت رين مجموعة من الرجال – عمال يحملون أدوات زراعية يمكن استخدامها بسهولة كأسلحة – يمشون نحو الحقول دون حارس مسلح واحد.

بالقرب من وسط البلدة، كانت هناك طوابير طويلة تلتف حول مشهد لا يصدق – محطة تقنين، حيث يوزع الجنود الموغينيون حصصًا يومية من حبوب الشعير على مدنيين ينتظرون بصبر وأيديهم ممدودة بأوعية نحاسية.

بالكاد استطاعت صياغة السؤال:

– "كيف...؟"

قال سوجي:

– "التواطؤ. هكذا كان يتدبر معظمنا أمره. أدرك الموغينيون بسرعة كبيرة أن سياستهم الأصلية بإبادة السكان ستنجح فقط إذا كانوا يحصلون على إمدادات من الجزيرة. الجزيرة ذهبت، ولم يعد هناك جدوى من إخلاء المساحة بعد الآن. والأكثر من ذلك، أنهم يحتاجون لمن يقوم بالطبخ والتنظيف لهم".

إذن، الجنود الذين فقدوا وطنهم شكلوا تكافلًا مريضًا مع ضحاياهم المستهدفين. اندمج الموغينيون مع النيكاريين في مجتمع، وإن لم يكن بالضرورة غير عنيف، إلا أنه بدا مستقرًا ومستدامًا على الأقل.

وجدت رين أدلة على التعايش الحذر في كل مكان نظرت إليه. رأت جنودًا موغينيين يأكلون في أكشاك طعام نيكارية. رأت رجال دورية موغينيين يرافقون مجموعة من المزارعين النيكاريين عائدين عبر بوابات المدينة. لم تُشهر أنصال؛

ولم تُقيد أياد. بدا الأمر روتينيًا. حتى أنها رأت جنديًا موغينيًا يمسح بحنان على رأس طفل نيكَاري بينما مروا ببعضهم في الشارع.

تقلبت معدتها.

لم تعرف كيف تتعامل مع هذا. كانت معتادة جداً على الدمار المطلق، على ثنائية كاملة من تطرفات الحرب، لدرجة أنها لم تستطع استيعاب هذه الأرضية الوسطى الغريبة. كيف هو شعور العيش وسيف مسلط فوق رأسك؟ كيف هو شعور النظر في عيون هؤلاء الرجال، يومًا بعد يوم، وأنت تعلم تمامًا ما هم قادرون عليه؟

تبعت رين سوجي عن كثب بينما كانا يتحركان عبر الشوارع، وعيناها تنتقلان بتوتر في كل اتجاه مع كل منعطف. لم يبلغ أحد عن وجودهم، أو حتى بدا أنه يكترث. أحيانًا كان شخص ما يضيق عينيه في سوجي بنظرة تعرف متسائلة، لكن لم ينبس أحد ببنت شفة.

لم يتوقف سوجي عن المشي حتى وصلا إلى الحافة البعيدة للبلدة، حيث أشار إلى كوخ صغير بسقف من القش، نصف مخفي خلف مجموعة من الأشجار.

— "زعيم ليبانغ رجل يدعى ليين وين. زوجة ابنه من نفس قرية أمي. إنه بانتظارنا".

عبست رين:

— "كيف؟"

هز سوجي كتفيه:

— "أخبرتكِ. أنا أعرف هؤلاء الناس".

كانت فتاة نَحيلة عادية الملامح في حوالي السابعة من عمرها تجلس خارج الباب، تطحن حبوب الذرة الرفيعة يدويًا في وعاء حجري صغير. نهضت بسرعة عندما اقتربا، ودون كلمة، أشارت لهما باتباعها داخل الكوخ.

وكز سوجي رين للأمام:

— "ادخلي".

بالنسبة لمنزل زعيم بلدة، لم يكن منزل ليين وين فاخرًا بشكل خاص. بالكاد يتسع الداخل لعشرة رجال يقفون كتفًا بكتف. احتلت طاولة شاي مربعة المركز، محاطة بمقاعد بثلاثة أرجل. جلست رين القرفصاء على أقرب مقعد. تذبذبت الأرجل غير المستوية والمخدشة كلما غيرت وضعيتها. كان ذلك مهدئًا بشكل غريب — هذا النوع من الفقر بدا مألوفًا.

أشارت الفتاة إلى مزهرية مشققة في الزاوية:

— "الأسلحة هناك. أوامر أبي".

ارتعشت أصابع رين نحو السكاكين المخبأة داخل قميصها.

— "لكن..."

— "بالطبع". رمى سوجي رين بنظرة صارمة. "كل ما يطلبه الزعيم ليين".

أسقطت رين الأنصال في المزهرية على مضض.

اختفت الفتاة لعدة ثوانٍ، وعادت بطبق من كعك الحبوب الخشن المطهو بالبخار، ووضعته على طاولة الشاي.

— "العشاء". قالت، ثم تراجعت إلى الزاوية.

كانت رائحة الحبوب النشوية طيبة بشكل فظيع. لم ترَ رين كعكًا مطهوًا بالبخار كما يجب منذ دهر؛ في رويجين، نفدت الخميرة منذ زمن طويل. مدت يدها لتأخذ كعكة، لكن سوجي ضرب يدها مبعدًا إياها.

تمتم:

— "لا تفعلي. هذا أكثر مما تأكله هي في أسبوع".

— "إذن لماذا..."

— "اتركيه. سيحفظونه لوقت لاحق إن لم تلمسيه، لكن إذا لمستِه ووضعتِه فسيصرون على أن تأخذيه معكِ عند المغادرة".

أعادت رين يدها إلى حضنها ومعدتها تقرقر.

– "لم أظن أنك ستعود".

ملأ رجل طويل عريض المنكبين إطار الباب. وجدت رين من المستحيل تحديد عمره – عيناه المحاطتان بالتجاعيد وشواربه البيضاء قد تجعله في عمر جدها، لكنه حمل نفسه بظهر مستقيم وذقن مرفوع، محارب لا تزال في جسده عقود من القتال.

وقف سوجي، وكور يديه، وانحنى بعمق من الخصر:

– "الزعيم ليين".

حذت رين حذوه بسرعة.

تذمر الزعيم ليين:

– "اجلسا. هذا الكوخ ليس كبيرًا بما يكفي لكل هذه الجلبة".

عادت رين وسوجي لمقعديهما. دفع الزعيم ليين مقعده بعيدًا وجلس متربعًا على الأرض الترابية، مما جعل رين تشعر فجأة بأنها طفلة جدًا، جاثمة كما كانت.

عقد الزعيم ليين ذراعيه عبر صدره:

– "إذن أنتما من كنتما تثيران المتاعب في الشمال".

تهلل وجه سوجي:

– "مذنب. التالي هو..."

قاطعه الزعيم ليين:

– "توقف. لا أهتم بما هو آتٍ. خذ جيشك، وغادر من هنا، ولا تعد".

خفت صوت سوجي، وبدا مجروحًا. كانت رين لتجد ذلك مضحكًا لولا أنها كانت مرتبكة أيضًا.

قال الزعيم ليين:

– "إنهم يظنون أن رجالنا هم من يفعلون ذلك. جعلوا الشيوخ يصطفون في الساحة في الصباح التالي لاختفاء أول رجال دورية وقالوا إنهم سيطلقون النار عليهم واحدًا تلو الآخر حتى يعترف الجناة. لم يتقدم أحد، لذا ضربوا أمي حتى

كادت تلفظ أنفاسها. كان ذلك قبل أكثر من أسبوع. لم تتعافَ. ستكون محظوظة إن نجت الليلة".

قال سوجي:

– "لدينا طبيب. سنحضره لكم، أو يمكننا فقط حملها إلى معسكراتنا. لدينا رجال في تلك الحقول، يمكننا التحرك ضد (الصراصير) الليلة..."

قال الزعيم ليين بحزم:

– "لا. ستستديرون وتختفون. نحن نعرف كيف تنتهي هذه القصة، ولا يمكننا تحمل العواقب. الامتثال هو الشيء الوحيد الذي يبقينا أحياء..."

– "الامتثال؟" كان سوجي قد حذر رين لتبقى صامتة وتدعه يتولى الحديث، لكنها لم تستطع منع نفسها من المقاطعة. "هذه هي كلمتكم للعبودية؟ تحبون المشي في الشوارع ورؤوسكم منخفضة، منكمشين عندما يقتربون منكم، لاعقين أحذيتهم لكسب رضاهم؟"

قال الزعيم ليين:

– "بلدتنا لا تزال تحتفظ بكل رجالها".

قالت رين:

– "إذن لديكم جنود. ويجب أن تقاتلوا".

اكتفى الزعيم ليين بالنظر إليها بعينيه المتعبتين المحاطتين بالتجاعيد.

في الصمت الذي تلا ذلك، لاحظت رين لأول مرة سلسلة من الندوب الشبيهة بالحبال محفورة عبر ذراعيه. وأخرى تلتف صاعدة جانب عنقه. لم تكن تلك نوع الندوب التي تحصل عليها من سوط. كانت من سكاكين.

جعلتها نظرته تشعر بأنها ضئيلة جداً.

أخيرًا سأل:

– "هل تعلمين أنهم يأخذون الفتيات الصغيرات ذوات البشرة الأغمق اللواتي يمكنهم العثور عليها ويحرقونهن أحياء؟"

انتفضت:

— "ماذا؟"

لكن التفسير صعد إلى ذهنها، بطيئًا ومروعًا، تمامًا كما نطق به الزعيم لبين بصوت عالٍ:

— "الموغينيون يروون قصصًا عنكِ. يعرفون ما حدث لجزيرة القوس الطويل. يعرفون أنها كانت فتاة داكنة البشرة بعينين حمراوين. ويعرفون أنكِ قريبة".

بالطبع يعرفون. لقد ذبحوا "السبيريين" قبل عشرين عامًا؛ بالتأكيد أسطورة العرق داكن البشرة، أحمر العينين الذي يستدعي النار لا تزال تتداول في أجيالهم الشابة. وبالتأكيد سمعوا همسات في الجنوب. القوات الموغينية التي تفهم النيكارية كانت لتلتقط القصص المهموسة عن الإلهة المتجسدة، السبب الذي يمنعهم من العودة للوطن أبدًا. كانوا ليعذبوا الناس لاكتشاف التفاصيل. وكانوا ليعرفوا بسرعة كبيرة من يحتاجون لاستهدافه.

لكنهم لم يستطيعوا العثور عليها، فاستهدفوا أي شخص قد يشبهها بدلًا من ذلك.

التوى الذنب في معدتها مثل سكين.

سمعت صوتًا مفاجئًا لمعدن يكشط معدنًا. قفزت واستدارت. الفتاة الصغيرة، التي لا تزال جالسة في زاوية الكوخ، كانت قد بدأت تعبث بأسلحتهم.

استدار الزعيم لبين لينظر من فوق كتفه:

— "لا تلمسي ذلك".

قال سوجي بسهولة:

— "إنها بخير. يجب أن تتعلم كيفية التعامل مع الفولاذ. هل يعجبكِ ذلك السكين؟"

قالت الفتاة وهي تختبر توازن النصل على إصبع واحد:

— "نعم".

– "احتفظي به. ستحتاجينه".

حدقت الفتاة بهم:

– "هل أنتم جنود؟"

قال سوجي:

– "نعم".

– "إذن لماذا لا ترتدون زيًا موحدًا؟"

– "لأننا لا نملك أي مال". منحها سوجي ابتسامة عريضة. "هل تودين خياطة بعض الأزياء لنا؟"

تجاهلت الفتاة السؤال:

– "الموغينيون لديهم زي موحد".

– "هذا صحيح".

– "إذن هل لديهم مال أكثر منكم؟"

– "ليس إذا كان لنا ولأبيكِ يد في الأمر". التفت سوجي عائدًا للزعيم ليين. "أرجوك، أيها الزعيم. فقط اسمعنا".

هز الزعيم ليين رأسه:

– "لن أخاطر بالأعمال الانتقامية".

– "لن تكون هناك أعمال انتقامية..."

– "كيف يمكنك ضمان ذلك؟"

قاطعت رين:

– "لأن كل ما يقولونه عني صحيح".

راقصت أقواس صغيرة من اللهب حول ذراعيها وكتفيها، تكفي فقط لإلقاء ظلال طويلة عبر وجهها. لتجعلها تبدو غير بشرية تمامًا.

رأت نظرة مفاجأة باهتة تومض عبر وجه الزعيم ليين. عرفت، رغم الشائعات، أنه حتى الآن لم يصدق حقًا ماهيتها. استطاعت فهم ذلك. من الصعب الإيمان بالآلهة، الإيمان حقًا، حتى يحدقوا في وجهك مباشرة.

لقد جعلت الموغينيين يؤمنون. وستجعله يؤمن هو أيضًا.

قالت:

– "إنهم يقتلون أولئك الفتيات لأنهم خائفون. ويجب أن يكونوا كذلك. لقد أغرقت جزيرة القوس الطويل. أستطيع تدمير كل شيء حولي في نطاق خمسين ياردة. عندما نهاجم لن يكون الأمر مثل المحاولات السابقة. لن تكون هناك فرصة للهزيمة ولا أعمال انتقامية، لأنني لا أستطيع الخسارة. لدي إله. أحتاج منك فقط إبعاد المدنيين عن المدى. وسنتولى نحن الباقي".

زال عن فك الزعيم ليين ذلك التشنج العنيد. لقد كسبته، عرفت ذلك. رأته في عينيه – لأول مرة، كان يفكر في شيء آخر غير الامتثال. كان يفكر في كيف قد يكون طعم الحرية.

قال أخيرًا:

– "يمكنكم نصب كمين لهم عند الحدود الشمالية. لا يعيش الكثير من المدنيين هناك، ويمكننا إخلاء من يعيشون هناك. القصب سيكون طويلًا بما يكفي لإخفائكم – يمكنكم إخفاء حوالي خمسمائة رجل في تلك الحقول وحدها. لن يعرفوا أنكم هنا حتى تختاروا الكشف عن أنفسكم".

قال سوجي:

– "فهمت. شكرًا لك".

– "سيكون لديكم وقت قصير فقط للتمركز. يرسلون جنودًا بكلاب وعصي كل بضع ساعات لتعقب أي شخص قد يختبئ في الحقول".

قالت الفتاة:

– "تمشيط شعرهم من القمل. هكذا يسمون الأمر".

قال سوجي:

– "سيتعين علينا أن نكون قملًا ذكيًا إذن". لمع الارتياح واضحًا على وجهه. لم يعد هذا تفاوضًا؛ الآن أصبح الأمر مجرد لوجستيات. "وهل تعرف كم عدد الرجال لديهم؟"

قال الزعيم ليين:

– "حوالي ثلاثة آلاف".

قالت رين:

– "هذا دقيق جدًا. كيف تعرف؟"

– "إنهم يطلبون حبوبهم منا. نحن نعرف كم يأكلون".

– "ويمكنكم حساب ذلك من الحبوب؟"

قال الزعيم ليين:

– "إنها عملية ضرب بسيطة. نحن لسنا أغبياء".

تراجعت رين للخلف، منبهرة.

– "حسنًا. ثلاثة آلاف إذن".

قال سوجي:

– "يمكننا سحبهم لمائتي ياردة خارج البلدة إذا قسمنا نصف قواتنا حولهم ودفعناهم للحقول. هذا خارج نطاق رين..."

قال الزعيم ليين:

– "لا. أربعمائة".

قالت رين:

– "قد لا يكون ذلك ممكنًا".

قال الزعيم ليين:

– "اجعليه ممكنًا. ابقوا قتالكم بعيدًا عن هذه البلدة".

قالت رين، وتحول صوتها للقسوة:

– "فهمت. تريدون تحريركم دون تحمل العواقب".

وقف الزعيم ليين. كانت الرسالة واضحة؛ هذا اللقاء انتهى.

– "إذا خسرتم، فسيأتون لأجلنا. وأنتم تعرفون ما يمكنهم فعله".

قالت رين:

– "لا يهم. لن نخسر".

لم يقل الزعيم ليين شيئًا. تبعتهما عيناه بصمت، تحاكمهما، وهما يغادران الكوخ. في الزاوية، دندنت ابنته واستمرت في كشط الفولاذ بالفولاذ.

***

تمتمت رين:

– "سار ذلك على ما يرام".

– "بالتأكيد سار كذلك". كان سوجي يبتسم بملء شدقيه.

– "علامَ أنت سعيد جدًا؟ لقد جعل الأمر أصعب بعشر مرات مما كان يجب أن يكون، ولم يعطنا أي شيء في المقابل..."

– "هذا غير صحيح. أعطانا الإذن".

– "الإذن؟ من بحق الجحيم يحتاج للإذن..."

توقف سوجي عن المشي. انزلقت الابتسامة عن وجهه.

– "أنتِ دائمًا بحاجة للإذن. في كل مرة تجلبين قتالًا لقرية، تضعين حياة كل مدني بريء في خطر. من واجبكِ تحذيرهم".

– "اسمع، لو تصرف كل جيش هكذا، فإذن..."

– "اسمعي. أنتِ لا تخوضين حملة لأجل هذه الأرض، أنتِ تقاتلين لأجل الناس. وإذا تعلمتِ الثقة بهم، سيكونون أفضل أسلحتك. سيكونون عينيكِ وأذنيكِ على الأرض. سيكونون امتدادات طبيعية لجيشك. لكنكِ لا تعرضينهم للخطر أبدًا، أبدًا ضد إرادتهم. أتفهمين؟"

حدق فيها بغضب حتى أومأت.

– "جيد". ومشى بخطى سريعة نحو البوابة. تبعته رين، موبخة.

كان شخص ما يقف بانتظارهم في الظلال.

استدعت رين شعلة في يدها، لكن سوجي أمسك كوعها:

— "لا تفعلي. إنه صديق".

الرجل عند البوابة كان، بالفعل، نيكاريًا. لا بد أنه كذلك — ملابسه، الرثة والباهتة، تدلت من هيكله الهزيل. لم يكن أي من الجنود الموغينيين يتضور جوعًا.

كان شابًا جدًا — بالكاد أكثر من صبي. بدا متحمسًا بشكل رهيب لرؤيتهم. ألقى نظرة واحدة على رين، وأضاء وجهه بالكامل.

— "هل أنتِ السبيرية؟"

كان هناك شيء مألوف بشأنه — حاجباه الكثيفان، وكتفاه العريضان. حمل نفسه كقائد بالفطرة، واثق وحازم.

قالت رين:

— "أنت ابن الزعيم ليين. أليس كذلك؟"

قال:

— "مذنب. ليين كينين. سررت بلقائك".

جذب سوجي ذراع كينين وسحبه لعناق قوي:

— "تعال هنا أيها الوغد. هل يعلم والدك أنك هنا؟"

— "يظن أبي أنني ما زلت مختبئًا في الغابة". التفت كينين لـ رين. "إذن هل أنتِ السبيرية؟ أنتِ أصغر مما توقعت".

امتعضت من ذلك:

— "أوه، حقًا؟"

مد يديه:

— "لا، لا، لم أكن... أنا... واو". رمش عدة مرات. "آسف. سمعت الكثير جدًا عنكِ، كنت أتوقع... لم أعرف ما أتوقعه. من الجيد لقاؤك".

أدركت رين أنه لم يكن وقحًا. كان متوترًا. لان تعبيرها:

— "نعم، أنا السبيرية. وأنت هنا لأن..."

— "أنا حليفك". مد كينين يده بسرعة ليصافحها. كانت كفه رطبة بالعرق. حدق فيها، وفمه مفتوح قليلًا، وكأنه شاهدها لتوها تهبط من السماوات على درج من السحب. ثم رمش وتنحنح. "سنساعدكم في القتال. لدي رجال مستعدون للخروج لأجلكم، فقط قولي الكلمة وسنكون..."

قال سوجي:

— "لن تفعلوا شيئًا. أنت تعرف ما طلبه والدك".

التوى وجه كينين بازدراء:

— "أبي جبان".

— "إنه يحاول فقط إبقاءكم أحياء".

— "أحياء؟" عبس كينين. "لقد حكم علينا بجحيم حي. يظن أن الامتثال يعني التسامح، لكنه لا يستمع للتقارير من القرى المحيطة بنا. لا يعرف ما يفعلونه بالنساء. أو أنه لا يهتم".

شد قبضتيه:

— "على بعد ثلاثين ميلًا من هنا، حاولت قرية إخفاء الفتيات في مناجم قريبة، وعندما اكتشف الموغينيون ذلك، أغلقوا المخارج وتركوهن يختنقن لثلاثة أيام. عندما سمحوا للقرويين أخيرًا باستعادة الجثث، وجدوا الفتيات ميتات وأصابعهن مكسورة وتنزف من محاولة حفر طريقهن للخارج. لكن أبي لا يفهم. لقد كان... أعني، منذ مات أخي، وهو..." اهتزت تفاحة آدم في حلقه. "إنه مخطئ. لسنا آمنين هنا؛ ولن نكون أبدًا. دعونا نقاتل بجانبكم. إذا متنا، فعلى الأقل دعونا نمت كرجال".

أدركت رين أن هذا ليس بشأن الإذن. سوجي كان مخطئًا. كينين سيقاتل سواء وافقوا على السماح له أم لا. كان هذا بشأن إثبات الذات. بعد كل ما رآه

كينين، كان بحاجة للغفران عن ذنب البقاء حيًا، ولا يمكنه الحصول على ذلك إلا بوضع حياته على المحك. كانت تعرف ذلك الشعور.

قال سوجي بهدوء:

– "أنت وأصدقاؤك لستم جنودًا".

– "يمكننا أن نكون". قال كينين. "هل ظننت أننا سنستلقي فقط وننتظر الإنقاذ؟ أنا سعيد لرؤيتك يا أخي، لكننا كنا سنبدأ هذا القتال بدونك. ستحتاجون إلينا. كنا نضع تحضيراتنا الخاصة، لقد هيأنا المسرح لكم بالفعل..."

رمقه سوجي بنظرة حادة:

– "ماذا؟ ما الذي كنتم تفعلونه؟"

رفع كينين ذقنه بفخر:

– "كل ما كان أبي خائفًا جدًا من تجربته. لقد رصدنا طرق دورياتهم بالدقيقة. كلها مكتوبة بشيفرة لا يستطيعون قراءتها. أرسلنا إشارات ليعرف القرويون بالضبط متى يهربون أو يختبئون. تأكدنا من أن كل منزل يمتلك سلاحًا. سكاكين مصنوعة من الأوتاد، أو أدوات زراعية هربناها من الحظائر واحدة تلو الأخرى. نحن جاهزون لهذا القتال".

قال سوجي:

– "لو اكتشفوا الأمر لقتلوكم".

سخر كينين:

– "نحن أشجع من ذلك. هل رأيتم أختي الصغيرة؟"

سألت رين:

– "الفتاة في الكوخ؟"

أومأ:

– "إنها معنا أيضًا. الموغينيون يجعلونها تعمل في قاعة الطعام – هناك يجبرون الأطفال على العمل – لذا فهي تدس حفنة من شوكران الماء في بضعة أوعية في كل مرة. لا يفعل الكثير. فقط يسبب بعض القيء والإسهال – لكنه يضعفهم، ولا يشك أحد أبدًا أنها هي".

بمراقبة وجه كينين – وجهه الصادق، الغاضب، اليائس – لم تستطع رين منع شعور بمزيج من الإعجاب والشفقة. شجاعته أذهلتها. هؤلاء المدنيون كانوا ينكزون عش التنين، يخاطرون بحياتهم كل يوم، يستعدون لتمرد لا بد أنهم عرفوا أنهم لن يفوزوا به.

ماذا ظنوا حقًا أنهم يمكنهم تحقيقه؟ كانوا مزارعين وأطفالًا. أفعال مقاومتهم الصغيرة قد تغضب الموغينيين، لكنها لن تطردهم.

ربما، فكرت رين، في ظل هذه الظروف، تلك المقاومة – مهما كانت عقيمة – هي الطريقة الوحيدة للعيش.

أصر كينين:

– "يمكننا مساعدتكم. فقط أخبرونا أين نكون ومتى".

أراد الجانب القاسي منها أن يقول نعم. يمكنها استخدام كينين. كان من السهل جدًا استهلاك وقود المدافع. حتى أكثر القادة انعدامًا للخبرة يمكنه شراء ثوانٍ، أو حتى دقائق، برمي الأجساد في وجه العدو.

لكنها لم تستطع نسيان النظرة في عيني الزعيم ليين.

تعلمت، الآن، ما يعنيه جلب الحرب للجنوب.

قرأت التعبير على وجه سوجي. إياكِ أن تجرئي.

وعرفت أنها إذا قالت الشيء الخطأ الآن، فستخسر دعم كل من الزعيم ليين و"الذئاب الحديدية".

مدت يدها لتلمس ذراع كينين بخفة:

– "سوجي محق. هذه ليست معركتكم".

انفعل كينين:

– "بل هي كذلك بحق الجحيم. هذا وطني".

– "أعرف". حاولت أن تبدو وكأنها تعني ما تقوله. "وأفضل شيء يمكنك فعله هو إبقاء مواطنيك آمنين عندما نهاجم".

بدا كينين منكسرًا:

– "لكن هذا لا شيء".

قال سوجي:

– "أنت مخطئ. هذا كل شيء".

***

حل الليل بحلول الوقت الذي عاد فيه رين وسوجي للمعسكر. خططوا لهجومهم عند الغروب التالي. فكروا في الضرب في تلك اللحظة، تحت جنح الظلام، وقبل أن تتسرب أي أخبار عن وصولهم. لكنهم قرروا التأجيل حتى المساء التالي؛ احتاج الزعيم ليين للوقت لتنظيم إخلاء القرويين، واحتاج الجيش الجنوبي للوقت لاستطلاع التضاريس، ولتموضع قواتهم بشكل مثالي داخل الحقول. قضت هيئة الأركان العامة الساعات القليلة التالية متجمعة حول الخرائط، تحدد خطوط الدخول.

تجاوز الوقت منتصف الليل بكثير عندما تفرقوا أخيرًا للراحة. عندما عادت رين لخيمتها، وجدت لفافة رفيعة موضوعة بعناية فوق حقيبة سفرها.

مدت يدها، توقفت، ثم سحبتها. هذا ليس صحيحًا. لا أحد في المعسكر يتلقى طرودًا شخصية. "التحالف الجنوبي" لا يملك سوى حمامة زاجلة واحدة، وهي مدربة لنقل رسالة باتجاه واحد إلى أنخيلون. صرخت كل غريزة بداخلها أن هذا فخ. قد يكون سطح اللفافة مدهونًا بالسم – عدد لا يحصى من جنرالات نيكان القدامى جربوا تلك الحيلة من قبل.

انحنت فوق اللفافة وشعلة صغيرة تتراقص في كفها، تضيء كل زاوية منها بعناية. لم تستطع رؤية أي شيء خطير – لا إبر رفيعة، ولا بريق داكن على حافة

الرق. مع ذلك، استخدمت أسنانها لسحب كمها فوق أصابعها قبل أن تلتقط اللفافة وتفردها. ثم كادت تسقطها.

ختم الشمع كان يحمل شارة تنين "عائلة يين".

زفرت ببطء، محاولة إبطاء قلبها المتسارع. لا بد أن هذه مزحة — شخص ما نفذ مقلبًا غير مضحك للغاية، وستتأكد من أنه سيعاني لأجله.

كانت الرسالة بالداخل مخربشة بخط طفولي مهتز؛ الحروف كانت ملطخة وفوضوية لدرجة أنها اضطرت للتحديق لقراءتها.

مرحبًا رين،

أخبروني أن أكتب هذا بخطي، لكني لا أرى كيف كان سيحدث فرقًا بما أنني بالكاد كنت أستطيع الكتابة عندما غادرتِ، لذا لم تكوني لتتعرفي عليه على أي حال.

تمتمت لنفسها:

— "هذا ليس مضحكًا".

لكنها عرفت أن هذه ليست مزحة. لا أحد في المعسكر كان يمكنه فعل هذا. لا أحد يعرف.

هذا كيسيغي، في حال لم تجمعي الخيوط. أنا في سجون (المدينة الجديدة) منذ فترة وكان ذلك خطأي، تصرفت بغباء وتباهيت لبعض الناس بأنكِ أختي وأنني أعرفك، ثم تسرب الحديث للحراس فالآن ها أنا ذا.

أنا آسف لأني فعلت هذا بكِ. حقًا أنا آسف.

صديقك يقول أن أخبرك أن هذا لا يجب أن يكون صعبًا. قال أن أخبرك أنني سأمشي حرًا إذا جئتِ إلى (المدينة الجديدة) بنفسك، لكن

إذا جلبتِ جيشًا فسيقطعون رأسي فوق بوابات المدينة. يقول أن هذا لا يجب أن ينتهي بسفك الدماء، وأنه يريد التحدث فقط. يقول إنه لا يريد حربًا. هو مستعد لمنح العفو لكل واحد من حلفائك. هو يريدكِ أنتِ فقط.

رغم أنه لنكون صادقين...

بقية الرسالة كانت مشطوبة بخطوط حبر سميكة.

خطفت رين اللفافة وركضت خارج خيمتها.

استوقفت أول حارس رأته:

— "من أوصل هذه؟"

منحها نظرة فارغة:

— "أوصل ماذا؟"

لوحت باللفافة في وجهه:

— "هذه كانت داخل حقيبتي. هل سلم أي أحد هذه لك؟"

— "لـ لا..."

— "هل رأيت أي أحد يعبث بأغراضي؟"

— "لا، لكن نوبتي بدأت لتوها، عليكِ سؤال جينسين، كان هنا لثلاث ساعات قبل ذلك، ويجب أن يكون... جنرال، هل أنتِ بخير؟"

لم تستطع رين التوقف عن الارتجاف.

نزهة يعرف مكانها. نزهة يعرف أين تنام.

سأل الحارس مجددًا:

— "جنرال؟ هل كل شيء بخير؟"

كومت اللفافة في قبضتها:

— "أحضر لي كيتاي".

***

خفض كيتاي الرسالة:

– "تبًا".

قالت رين:

– "أعرف".

– "هل هذا حقيقي؟"

– "ماذا يعني ذلك؟"

– "أعني، هل هناك أي احتمال أن يكون هذا تزويرًا؟ أن هذا ليس كيسيغي حقًا؟"

اعترفت:

– "لا أعرف. ليست لدي أدنى فكرة".

لم تستطع تحديد ما إذا كان ذلك خط كيسيغي حقًا. بصراحة، لم تكن متأكدة حتى ما إذا كان كيسيغي يعرف القراءة؛ أخوها بالتبني نادرًا ما حضر المدرسة. لم تستطع تحديد ما إذا كانت الرسالة تبدو مثله أيضًا. بالتأكيد يمكنها تخيل الكلمات بصوته، يمكنها تخيله جالسًا على مكتب كتابة، ورسغاه مكبلان، ووجهه النحيل يرتجف بينما يملي نزهة الكلمات عليه واحدة تلو الأخرى. لكن كيف لها أن تعرف بالتأكيد؟ بالكاد تحدثت إلى كيسيغي منذ سنوات.

سأل كيتاي:

– "وماذا لو لم يكن هو؟"

قالت رين بأهدأ نبرة استطاعت استجماعها:

– "لا أعتقد أننا يجب أن نرد. في كلتا الحالتين".

لقد عملت خلال الاحتمالات في الدقائق التي استغرقها وصول كيتاي. وزنت تكلفة حياة أخيها بالتبني، وقررت أنها تستطيع تحمل خسارته.

كيسيغي لم يكن جنرالًا، ولم يكن حتى جنديًا. لا يستطيع نزهة تعذيبه للحصول على معلومات. كيسيغي لا يعرف شيئًا ذا أهمية عن "التحالف

الجنوبي" أو عن رين. كل ما يعرفه عن رين كان سيرة ذاتية لفتاة صغيرة قتلتها منذ زمن طويل في سينغارد، فتاة متجر ساذجة من تيكاني كانت موجودة فقط في ذكريات مكبوتة.

وضع كيتاي يده على ذراعها:

— "رين. هل تريدين الذهاب خلفه؟"

كرهت كيف كان ينظر إليها، وعيناه متسعتان بالشفقة، وكأنها على وشك البكاء. جعلها ذلك تشعر بهشاشة شديدة.

لكن هذا بالضبط ما يريده نزهة. رفضت السماح لهذا بزعزعتها. نزهة تلاعب بها بالعاطفة من قبل. فرقة "السيك" ماتت بسبب عاطفتها.

قالت:

— "المشكلة ليست كيسيغي. إنها تمركزات قوات نزهة. إنها قدرته اللعينة على الوصول — أعني، لقد وضع رسالة في خيمتي اللعينة يا كيتاي. هل يفترض بنا تجاهل ذلك وحسب؟"

— "رين، إذا كنتِ بحاجة لـ..."

— "نحتاج لمناقشة ما إذا كانت قوات نزهة في الجنوب". كان عليها الاستمرار في الحديث؛ كان عليهم نقل المحادثة لشيء آخر، لأنها كانت خائفة مما سيشعر به صدرها إن لم يفعلوا. "وهو ما لا أعتقد أنه ممكن — فينكا تقول إنه يقود قوات والده في إقليم النمر. لكن إذا كانوا في الجنوب، فقد اختبأوا جيداً لدرجة أنه لم يرَ كشاف واحد من كشافينا أي قوات، أو مناطيد، أو عربات إمداد".

قال كيتاي:

— "لا أظنه في الجنوب. أظنه يعبث معكِ وحسب. إنه يجمع المعلومات؛ يريد فقط رؤية كيف ستستجيبين".

— "لن يحصل على استجابة. لن نبتلع الطعم".

– "يمكننا مناقشة ذلك".

صرخت:

– "هذه ليست مناقشة. هذه الرسالة مزورة. وشروط نزهة سخيفة".

تشنجت أصابعها حول اللفافة. بقية الرسالة كانت مكتوبة بخط نزهة الانسيابي والأنيق.

مرحبًا رين،

آن لنا أن نتحدث.

أنا وأنتِ نعلم أن هذه الحرب لا تفيد أحدًا. بلادنا تصدعت. وطننا دُمر، بالحرب، بالكوارث البيئية، وبالشر الأعمى. تواجه نيكان الآن اختبارها الأعظم. والهسبيريون يراقبوننا، ينتظرون ليروا ما إذا كنا سنقف أقوياء أم نصبح مجتمع عبيد آخر ليستغلوه.

أنا أفهم لماذا تكرهينهم. أنا لست أعمى عن نواياهم، ولن أدعهم يحولون جمهوريتنا إلى أرض مناجم لهم. لن أرى هذه الأرض تحكمها أياد أجنبية. وأعرف أنكِ لا تريدين ذلك أيضًا.

أرجوكِ يا رين. عودي للصواب. أحتاجكِ بجانبي.

الشروط التي سردها كانت بسيطة وغير مقبولة. هدنة، تسريح كامل ونزع سلاح، وإعادة كيسيغي سالمًا مقابل رين. سيُسمح لـ "التحالف الجنوبي" بالرحيل أحرارًا، أو الانضمام للجيش الجمهوري إن رغبوا. لم يحدد نزهة ما سيحدث لـ رين. شكت في أن الأمر يتضمن جرعات كل ساعة من اللودانيوم وطاولة عمليات.

سألت:

– "أنا لست مجنونة، صحيح؟ هذا فخ بوضوح؟"

قال كيتاي:

— "لست متأكداً. أعتقد أن هناك عالمًا يريد فيه نزهة بقاءكِ حية. إنه ليس غبيًا، هو يعرف أنكِ ستكونين مفيدة له. قد يحاول إقناعكِ..."

— "الهسبيريون لن يدعوني أمشي حرة أبدًا".

— "إذا أخذتِ كلام نزهة على ظاهره، فيبدو أنه يحاول تحدي الهسبيريين".

نخرت ساخرة:

— "تظن حقًا أنه سيفعل ذلك؟"

— "لا أعرف. عائلة يين... بيت يين أكثر ارتياحًا بكثير في العمل مع الأجانب من أي قادة نيكاريين سابقين. هذا هو سبب غرقهم في الفضة. قد يكونون راضين بالبقاء وكلاء للشياطين ذوي العيون الزرقاء. لكن نزهة..."

— "نزهة شامان".

— "نعم".

— "وتظن أن الهسبيريين يعرفون".

قال كيتاي:

— "أظن أن نزهة يعرف أنه لا يمكنه الوجود في عالم يهيمن عليه الهسبيريون. إنه عالم يصمه بالرجس. رؤيتهم للنظام تتطلب موته وموتكِ".

هل هذا ما كان نزهة يحاول التلميح إليه؟ أنه غير رأيه بشأن الشامانات؟ أنه إذا انضمت إليه، قد يكسر التحالف الذي صاغه والده؟

قالت:

— "لكنني خضت هذا الجدال مع نزهة. وهو يظن أنهم محقون. أننا رجس، وأننا أفضل حالًا موتى. إلا أنه لا يمكنه الموت".

— "إذن عدنا للمربع الأول. ليست لدينا فكرة عما تعنيه هذه الرسالة. وليس لدينا سبب للثقة بـ نزهة".

تنهدت رين:

— "فما هي خطوتنا إذن؟"

– "أظن أننا نبدأ بتقرير ما سنفعله بشأن أخيكِ".

صححت:

– "أخي بالتبني. وأخبرتك، لن نفعل شيئًا".

– "لماذا لا تريدين حتى الحديث عن هذا؟"

منحته نظرة عاجزة:

– "لأنه مجرد أخي. وأنا الأمل العظيم الأخير للجنوب. كيف تظن أن التاريخ سيحكم عليّ إن رميت مصيره لأجل شخص واحد؟"

فتح كيتاي فمه، توقف، وأغلقه. عرفت رين أن عقله يتسابق؛ كان يحاول التوصل لطريقة لإنقاذ كيسيغي، طريقة لإحباط نزهة، أو تبرير لماذا قد تكون حياة واحدة تساوي أكثر من الآلاف.

لم تكن تلك الطرق موجودة. هي عرفت ذلك. وأحبته لمحاولته.

قالت:

– "أرجوك. أرجوك فقط دع هذا الأمر يمر".

كانت ممتنة لأنه لم يجادل.

أعاد اللفافة إليها:

– "إذن لدينا معركة لنفوز بها. وأظن أننا نتفق على أن إظهار هذا لأي شخص آخر لن يفيدنا بشيء".

فهمت رين تلميحه. لا يجب أن يعرف "التحالف الجنوبي" بهذا أبدًا. لا سوجي، ولا زودن، وبالتأكيد ليس غوروباي. العرض كان جذابًا باعتراف الجميع – حتى هي وجدته مغريًا، ربما كانت لتضحي بنفسها لأجله لولا أنها كانت متأكدة جدًا أن ما يكمن في الطرف الآخر أكاذيب.

لو خرج هذا للعلن، سينفجر الاقتتال الفصائلي الداخلي. علمها "حاكم القرد" هذا القدر عن السياسة الجنوبية. يجب أن يبقى هذا سرها.

قالت:

– "بالطبع".

سحبت كرة من اللهب إلى كفها تحت اللفافة. للحظة، احترقت كلمات نزهة بوهج ساطع، وأحمر حارق. اسودت حواف الرق، وتجعدت، ثم التفت على نفسها مثل أرجل عنكبوت يحتضر.

***

قضت رين الساعات القليلة التالية تحاول التقاط فترات قصيرة من النوم المتقطع. لم تدرِ لمَ حاولت؛ لم تكن تستطيع النوم أبدًا قبل المعركة. أخيرًا استسلمت وقضت الساعات الأخيرة حتى الفجر تجوب المعسكر، تترقب شروق الشمس. لم تطق الجلوس ساكنة مع أفكارها. لم تستطع الاستمرار في تعذيب نفسها بالاحتمالات — ما إذا كان كيسيغي حيًا، ما إذا كان نزهة يقول الحقيقة، ما إذا كان يجب أن ترد على الرسالة بدلًا من تجاهلها.

احتاجت لإلهاء. احتاجت لهذه المعركة.

شعرت بالرضا عن تمركزاتهم. رتبوا قواتهم في تشكيل رباعي النقاط. سرب واحد، الذي تقوده هي، سيقود الهجوم ويثبت الجنود الموغينيين في المقدمة قرب حقول الذرة الرفيعة، بينما يلتف سربان أصغر حول الأجنحة الموغينية، حاصرين إياهم داخل مثلث لتشكيل إسفين بين القرية وساحة المعركة. "ذئاب سوجي الحديدية"، السرب الرابع، سيحدثون ثقوبًا عبر خطوط العدو في الخلف، مانعين أي انسحاب نحو منطقة إخلاء المدنيين.

سارت التحضيرات بسلاسة مع انقضاء النهار. بفضل آل ليين، كانوا يعملون بمعلومات أكثر بكثير مما اعتادت عليه في ساحة المعركة. عرفت بالضبط أين ينام الموغينيون. متى يأكلون. أين ومتى يقومون بدوريات. كان الأمر أشبه بحالة كمين نموذجية من الكتب المدرسية، سؤال اختبار كانت لتخوضه في سينغارد.

مع بدء الشمس في انحدارها، راجعت رين التعليمات النهائية قبل أن ترسل قادة أسرابها لمواقعهم. تضافرت خططهم بكفاءة الساعة. تجنبوا

الدوريات التي عرفوا بقدومها. اتجاهات خرائطهم تطابقت تمامًا مع التضاريس الفعلية. فهم جميع قادة الأسراب إشاراتهم وجداولهم الزمنية تمامًا.

العقبة الوحيدة كانت زيهم الموحد.

طلب الزعيم ليين أن يرتدوا زيًا لتمييز أنفسهم عن المدنيين. احتجت رين بأنهم لا يملكون أيًا منها.

قال الزعيم ليين:

— "مؤسف. جدوا بعضًا، أو يلغى الكمين".

توصلوا لحل وسط باستخدام عصابات الرأس — شرائط قماش رفيعة تُربط حول جباههم. لكن قبل ساعة من موعد تحركهم، بدأ قادة الأسراب يبلغون بعدم وجود ما يكفي من القماش الفائض. كان جنودهم يسيرون بالفعل بزي عسكري مهترئ؛ لم يكن لديهم أي قطع إضافية لتمزيقها. سأل زودن رين عما إذا كان يجب عليهم البدء في تمزيق شرائط من أرجل سراويلهم.

تذمرت رين:

— "انسَ الأمر. دعنا نرسلهم وحسب".

قال سوجي:

— "لا يمكنكِ. لقد قطعتِ وعدًا".

— "إنه أمر أحمق! من سيهتم بالزي في وقت الليل؟"

قال كيتاي:

— "قد يهتم الموغينيون. قتل مصدر عمالتهم لا يخدم العلاقة التكافلية. إنه إجراء بسيط، لكنه أقل ما يمكنكِ فعله. إنه الفرق بين عشر أرواح وألف".

في النهاية جعلوا قواتهم تلطخ وجوهها بالطين الأحمر الساطع من بركة قريبة. ترك بقعًا قرمزية على ملابسهم أينما لمسوها، وتيبس على بشرتهم في خطوط جافة بلون الصدأ لا تزول دون ماء.

مسحت رين الصفوف بنظرها:

— "نبدو حمقى. نبدو كأطفال يلعبون بعد وقت عشائهم".

قال سوجي:

— "لا، نبدو كجيش من الطين". سحب إصبعين عبر خده، تاركًا خطًا سميكًا وواضحًا. "أفخر جنود (الإمبراطور الأحمر)، مخبوزين طازجًا من تراب الجنوب".

***

قبل ثلاثين دقيقة من الغروب، جثت رين منخفضة وسط سيقان الذرة الرفيعة. علقت رائحة الزيت ثقيلة في الهواء — الألفا رجل خلفها حملوا مشاعل تقطر، مستعدين لإشعالها عند إشارتها.

تدرب جنود "التحالف الجنوبي" للقتال في الظلام كما فعلوا في خودلا. أضر ذلك برؤيتهم، نعم، لكن الميزة النفسية كانت كبيرة. القوات التي تتعرض لكمين في ليل حالك السواد تتفاعل بذعر، وارتباك، وجبن.

لكن الليلة، أرادت رين ساحة المعركة مضاءة جيدًا. قد يتراجع الموغينيون نحو المدنيين في فوضى الظلام. احتاجت لسحبهم للخارج إلى حقول الحبوب، مما يعني أنها احتاجت لتظهر لهم بالضبط أين يكمن عدوهم.

هل أنتِ مستعدة أيتها المحاربة الصغيرة؟

دندن "العَنقاء" في مؤخرة عقلها، متلهفًا، منتظرًا. تركت رين الغضب القديم يتسرب للداخل، مألوفًا ودافئًا كنار الموقد، تركته يتشرب في أطرافها بينما لعبت رؤى الدمار في رأسها.

آه، كم تاقت لهذا القتال.

أنا مستعدة.

— "رين!"

استدارت بسرعة. شق سوجي طريقه عبر سيقان الذرة، وجهه أحمر ويلهث لالتقاط أنفاسه.

هبطت معدتها. لم يكن يفترض به أن يكون هنا. كان يفترض به أن يكون في الجناح الشرقي مع "ذئابه الحديدية"، متأهبًا ومستعدًا للهجوم.

همست بفحيح:

– "ما الذي تفعله؟"

انثنى جسده يلهث:

– "توقفي. لا تعطي الإشارة. هناك خطب ما".

– "ما الذي تتحدث عنه؟ نحن مستعدون، لقد حان الوقت..."

– "لا. انظري". عبث في جيوبه، أخرج منظارًا، ورماه نحوها. "انظري بتمعن".

رفعته لعينها نحو أسوار البلدة. جاهدت لتمييز أي شيء في الظلام.

– "لا أرى شيئًا".

– "تحركي للغرب. فوق الحقول مباشرة".

حركت رين العدسة. ما رأته لم يكن له أي معنى.

جنود موغينيون متجمعون حول أسوار البلدة. المزيد يتدفقون للخارج مع كل ثانية تمر. كانوا يعرفون عن الكمين. شيء ما — أو شخص ما — نبههم.

لكنهم لم يندفعوا للأمام. أنصالهم لم تكن موجهة للخارج. لم يرتبوا أنفسهم حتى في تشكيلات دفاعية من النوع الذي توقعته رين من جيش تحت الهجوم.

لا — أسلحتهم كانت موجهة نحو بوابات المدينة. لم يكونوا يمنعون المهاجمين من الدخول، بل كانوا يمنعون السكان من الخروج.

ثم فهمت رين استراتيجيتهم.

لم يكونوا ليخوضوا قتالًا عادلًا. لم يخططوا للاشتباك مع "التحالف الجنوبي" على الإطلاق.

ببساطة أخذوا ليانغ كلها رهينة.

أمسكت رين بذراع أقرب ضابط ميداني وهمست:

— "جد كيتاي".

انطلق يركض عائدًا نحو المعسكر.

— "تبًا". ضربت رين بقبضتها على ركبتها. "تبًا — كيف؟"

— "لا أعرف". للمرة الأولى، مُسح التبختر الواثق عن وجه سوجي. بدا مرعوبًا. "ليست لدي أدنى فكرة، لا أعرف ما سنفعله..."

ما الذي كشفهم؟ لقد حضروا لهذا الكمين بضعف حذرهم المعتاد. الدوريات لم يكن بإمكانها رؤيتهم؛ لقد عملوا حول جدول الحراسة بدقة الساعة. هل رآها أحد هي وسوجي يغادران البلدة؟ كان ذلك ممكنًا، لكن كيف عرف الموغينيون متى كان موعد الكمين؟ وكيف عرفوا أنه سيأتي من الشمال؟

لم يهم كيف. حتى لو كان هناك جواسيس داخل صفوفها، لا يمكنها حل ذلك الآن؛ كان لديها مشكلة أكثر إلحاحًا للتعامل معها.

كان الموغينيون يحتجزون مدنيي ليبانغ تحت تهديد السكاكين.

بدأت فرقة صغيرة من الجنود الموغينيين تتحرك نحو خط الكمين. لوح أحدهم بعلم أحمر. أرادوا التفاوض.

عملت رين بجنون عبر كل الطرق الممكنة التي قد ينتهي بها هذا الأمر، ولم تستطع التوصل لواحدة يكون فيها كل من المدنيين والجيش الجنوبي آمنين. سيتعين على الموغينيين تأمين ضمان بأن قوات رين لن تعود أبدًا.

سيطالبون بتضحية دموية. على الأغلب سيذبحون قوات رين، واحدًا مقابل كل مدني يبقونه حيًا.

لم تعرف رين ما إذا كانت تستطيع دفع ذلك الثمن.

— "ما الذي يحدث؟"

كيتاي، أخيرًا. التفتت رين نحوه، تحاول ألا تنزلق في ثرثرة مذعورة وهي تبدأ في شرح ما يحدث، لكن في اللحظة التي استدارت فيها رأت تعبير سوجي يتحول لرعب وهو يرفع إصبعًا، مشيرًا، نحو القرية.

بعد ثانية، سمعت سهمًا يصرخ عبر الهواء.

سقط حامل العلم الموغيني على الأرض.

بشكل غريزي، أدارت رأسها بسرعة، تمسح الصفوف بحثًا عن قوس مرفوع، ووتر يرتجف — من فعلها، أي أحمق مطلق قد...

همس سوجي:

— "يا إلهي". كانت عيناه لا تزال مثبتتين على القرية.

استدارت رين مرة أخرى وظنت أنها تهلوس. ما الذي يفسر ذلك العمود العظيم المتحرك خارج بوابات البلدة، حشد بحجم جيش تقريبًا؟

رفعت المنظار لعينها مجددًا.

كينين. لا بد أنه هو. لقد حشد فرقة مقاومته — لا، من مظهر الأمر، لقد حشد البلدة بأكملها. العمود لم يكن فقط رجال ليانغ المقاتلين؛ كانوا النساء، والشيوخ، وحتى بعض الأطفال. حملوا مشاعل، ومحاريث، ومعازق حقلية، وسكاكين مطبخ، وهراوات مصنوعة بوضوح من أرجل منتزعة من الكراسي.

هاجموا.

عرفوا أن حياتهم هي ثمن هذه المعركة. هجوم رين لا يمكن أن يستمر طالما هم محتجزون كرهائن. عرفوا أن الموغينيين سيجبرونها على الاختيار.

لقد اتخذوا هذا القرار نيابة عنها.

استدار رماة الموغينيين نحو البلدة لبدء المذبحة. أشار قائدهم بأمر.

تساقطت جثث المدنيين من مقدمة العمود في مسح نظيف. لكن القرويين استمروا في المسير فوق موتاهم، يضغطون للأمام بلا هوادة مثل نمل ينفجر للخارج. جولة أخرى من الأسهم. خط آخر من الجثث.

استمر القرويون في المسير.

لم يستطع الجنود الموغينيون الرمي بسرعة كافية لإبقائهم بعيدًا. كان هذا صدامًا من الفولاذ والأجساد الآن، فوضى غير متكافئة تمامًا من الالتحام. جنود

الاتحاد حصدوا القرويين بسرعة قدومهم. ضربوا الأسلحة من أياديهم، طعنوهم بسهولة في أعناقهم وصدورهم لأن ضحاياهم لم يتدربوا قط على الصد.

استمر القرويون في المسير.

تكدست الجثث في الحقل. راقبت رين، مرعوبة، بينما مر نصل عبر كتف امرأة عجوز. لكن المرأة رفعت يديها المرتجفتين وأطبقت على معصم مهاجمها، ثبتته طويلًا بما يكفي ليجد سهم طريقه لجبهته.

استمر القرويون في المسير.

هبطت يد سوجي على كتفها. خرج صوته كحشرجة مخنوقة:

— "ما الذي تنتظرينه؟"

مدت يدها إلى مؤخرة عقلها، عبر قناة روح كيتاي، إلى الإله الذي رقد منتظرًا بصبر.

أمرت: انتقم لهذا.

قال "العنقاء": كل ما تطلبينه.

ومشت رين للأمام عبر حقول الذرة لتمزق العالم وتفتحه بالنار. قتلت دون تمييز. حولتهم جميعًا لرماد، مدنيين وأعداء على حد سواء. رحب مدنيو ليانغ بنيرانها بابتسامات.

كان هذا خيارهم. تضحيتهم.

اندفعت قواتها للأمام من حولها، تلمع الأنصال في الليل الناري. كسروا التشكيل، لكن التشكيل لم يعد يهم، فقط الأجساد، والدم، والفولاذ.

فكرت بينما ذاب محيطها في موجة ضبابية من الحرارة: هكذا نفوز بالجنوب. جعل ذلك الاستمرار أسهل. لم تستطع رؤية الوجوه، لم تستطع رؤية الألم. كل ما رأته كان أشكالًا.

ليس بأنصالنا، بل بأجسادنا.

سيستعيدون الجنوب بالأعداد المحضة. الموغينيون والجمهورية أقوياء، لكن الجنوبيين كثر. وإذا كان الجنوبيون ترابًا كما تقول كل الأساطير، فسوف يسحقون أعداءهم بالقوة الهائلة للأرض حتى يصبح التنفس مجرد حلم لهم. سيدفنونهم بأجسادهم. سيغرقونهم في دمائهم.

الفصل السادس

بعد ذلك، لم يتبقَ سوى التنظيف.

مشَت رين بذهول عبر حقول الذرة الرفيعة، التي سُويت بالأرض الآن لتصبح مساحة منبسطة من الرماد الرمادي الداكن. تصاعد الدخان من ملابسها في دوامات كسولة وبطيئة. لم تلمس الأفيون منذ انطلاقهم في هذه المسيرة. لكنها كانت منتشية الآن بنشوة مألوفة، طنين مبهج بدأ في أطراف أصابعها وتردد عبر صدرها وصولًا لقلبها.

في تيكاني، كان النمل يكتسح موسم الصيف دائمًا. الحرارة الجافة كانت تدفع تلك المخلوقات الحمراء الشرسة إلى نوبة جنون، فتُهاجم أي أطفال صغار أو حيوانات يعترضون طريقها. عضة واحدة تسبب تورمًا؛ ودزينة منها قد تكون قاتلة. رد القرويون بالحمض، مستخدمين عصيًا طويلة لقلب الجرار فوق تلال النمل من مسافة بعيدة. تذكرت رين كيف كانت تجثو على الأرض وهي طفلة وبيدها جرار فارغة، تحدق بعينين نصف مغلقتين بينما تغلي حضارات مدمرة وتحترق تحت ضوء الشمس.

كانت دائمًا ما تطيل البقاء أكثر من اللازم. أحبت الاستماع لهسيس الحمض وهو ينخر في أعمق أنفاق النمل. أحبت رؤية النمل يتدفق بجنون من القمة، هاربًا مباشرة إلى برك الحمض التي وضعتها بعناية في حلقة حول العش. أحبت مشاهدة أرجلهم الصغيرة تتلوي بينما تفور وتذوب.

شعرت بنوع مماثل من المتعة الآن، ابتهاج سادي لمشاهدة حيوات تتبخر ومعرفة أنها من فعلت ذلك. معرفة أنها تمتلك تلك القوة.

ما خطبي؟

شعرت بنفس الابتهاج الغريب والمربك الذي اجتاحها عندما سممت ما ليين. هذه المرة لم تدفعه بعيدًا. بل شربته حتى الثمالة. قوتها مستمدة من الغضب، وما شعرت به الآن هو الوجه الآخر للعملة — الانتقام المتحقق.

لم تكن ليانغ قد ضاعت بالكامل. عندما بحث جنود رين في الأطلال عن أي مدنيين لا يزال في رئاتهم نفس، وجدوا أن معدل النجاة كان مرتفعًا بشكل مفاجئ. المهاجمون الموغينيون كانوا مهملين، تصرفوا بدافع ذعر محموم لا بقسوة محسوبة. غرسوا الفولاذ عشوائيًا في أي لحم مكشوف رأوه بدلًا من استهداف الأعضاء الحيوية كما كان ينبغي.

بلدة ليانغ ماتت. لم يعد بإمكان شعب الزعيم ليين العيش هنا. أعدادهم قليلة جدًا؛ ومنازلهم وممتلكاتهم دُمرت. سيتعين عليهم الزحف جنوبًا مع جيش رين بحثًا عن منازل جديدة، وسيتعين عليهم رؤية أعدادهم تُبتلع في أي قرى تقبل بهم.

لكن الناجين من ليانغ كانوا أحرارًا. ذلك، على الأقل، كان يستحق العناء.

بأعجوبة ما، خرج كينين حيًا. ذهبت رين لرؤيته في اللحظة التي سمعت فيها أنه استعاد وعيه.

أقام أطباء "التحالف الجنوبي" القلائل مركز فرز في ملحمة، أحد المباني القليلة في وسط مدينة ليانغ التي لم تحترق عن بكرة أبيها. عقموا الداخل السليم هيكليًا قدر استطاعتهم، لكنهم لم يتمكنوا من إزالة دنس أمعاء الخنازير المحروقة. بحلول نهاية اليوم، كان الهواء ثقيلًا برائحة الدم الحارة واللاذعة، بشريًا وحيوانيًا على حد سواء.

وجدت رين كينين ممددًا على ملاءة في الهواء الطلق، حيث أرسل الأطباء كل مريض لا يخضع لجراحة فورية. بدا مريعًا. الحروق التي غطت الجانب الأيمن من جسده شوهت جلد وجهه لدرجة أنه لم يستطع التحدث إلا بهمس أجش ومشوش. كانت عيناه مفتوحتين لكن متورمتين، وعينه اليمنى مغطاة

بطبقة بيضاء غشائية. لم تكن رين متأكدة من أنه يستطيع رؤيتها حتى انشق وجهه عن ابتسامة مروعة ومؤلمة.

بدأت قائلة:

– "أنا آسفة..."

لكنه مد يده وأمسك بمعصمها بقوة فاجأتها.

نعب صوته:

– "أخبرتكِ. أخبرتكِ أننا سنقاتل".

***

فرقة مقاومة كينين لم تكن تعمل وحدها. منظمات مماثلة كانت موجودة في جميع أنحاء (خلية النحل). اكتشفت رين ذلك عندما بدأت القرى المتجمعة حول ليبانغ، واحدة تلو الأخرى، في تحرير نفسها بسرعة مذهلة.

بدون القيادة المركزية في ليبانغ، كانت صفوف الجنود الموغينيين المتبقية معزولة، مقطوعة عن كل الاتصالات، والموارد، أو التعزيزات. القرويون المسلحون بالسكاكين والمحاريث أصبح لديهم الآن فرصة للقتال. بدأت التقارير تتدفق عن قرويين في جميع أنحاء إقليم الديك ينتفضون، ويحملون السلاح، ويطهرون قراهم من حكامهم السابقين.

بعد أن أرسلت رين أسرابًا من قوات زودن عبر (خلية النحل) لتسريع العملية، لم تستغرق المعركة في المنطقة المحيطة أكثر من أسبوعين. بعض القوات الموغينية قاومت وسقطت في انفجارات من النار، والغاز الأصفر، والفولاذ، والدم. وآخرون جربوا حظهم واستسلموا، متوسلين النفي أو الرأفة، وكان يتم إعدامهم دائمًا من قبل لجان القرى.

عندما تجولت رين في (خلية النحل)، وجدت نفسها شاهدة على موجة من العنف تجتاح الإقليم.

في بعض القرى الصغيرة، كان المدنيون قد قطعوا رؤوس حراسهم الموغينيين وعلقوها مقلوبة على طول بوابات البلدة مثل عرض ترحيبي لفوانيس العيد. في قرى أخرى، وصلت رين بينما كانت الإعدامات جارية. امتدت هذه الإعدامات على مدى أيام، موكب مشوه كانت فقرته الترفيهية الرئيسية حفلة عنف جماعية.

الابتكار المحض أذهلها. سير الجنوبيون المحررون الموغينيين عراة في السلاسل على طول الشوارع بينما امتدت أيادي المتفرجين بالسكاكين لتقطيع لحمهم. أجبروا الموغينيين على الركوع لساعات على طوب مكسور وحجارة طاحونة معلقة حول أعناقهم. دفنوا الموغينيين أحياء، وقطعوا أوصالهم، وأطلقوا النار عليهم، وخنقوهم، وألقوا بجثثهم في أكوام قذرة ومتعفنة.

لم يقتصر الضحايا على القوات الموغينية. أقسى عقوبات المحررين المنتصرين وقعت على المتعاونين — القضاة، والتجار، والمندوبين الذين خضعوا لحكم الاتحاد. في إحدى القرى على بعد ثلاثة أميال جنوب ليبانغ، عثرت رين صدفة على مراسم علنية حيث رُبط ثلاثة رجال إلى أعمدة، عراة ومكممين بخرق لكتم صراخهم. في الزاوية، حملت امرأتان سكاكين طويلة فوق نار برميل. توهجت الأنصال بلون برتقالي شرس.

استطاعت رين تخمين أن هذا سينتهي بالإخصاء.

التفتت لـ سوجي:

— "هل تعرف ما فعله هؤلاء الرجال؟"

قال:

— "بالتأكيد. تاجروا بالفتيات".

— "هم... ماذا؟"

شرح لها الأمر:

— "أبرموا صفقة لمنع الموغينيين من خطف النساء من الشارع. كل يوم كانوا يأخذون بضع نساء — عادة الفقيرات، أو اليتيمات، اللواتي ليس لديهن

أحد ليقاتل لأجلهن — ويسلمونهن للمقر العام الموغيني. ثم يعودون عند الشروق، يستعيدون الفتيات، ينظفونهن قدر استطاعتهم، ويرسلونهن للمنزل. أبقى ذلك الفتيات الأصغر والنساء الحوامل آمنات، رغم أني لا أظن أن النساء اللواتي اختاروهن كن سعيدات جدًا".

راقب، دون أن يرف له جفن، بينما صعدت فتاة لا يمكن أن يتجاوز عمرها الرابعة عشرة إلى المنصة وسكبت وعاءً من الزيت المغلي فوق رؤوس الرجال.

— "قالوا إنه كان لمصلحة القرية. أظن أن ليس الجميع وافقوا على ذلك".

اختلط الأزيز العالي بالصرخات. قرقرت معدة رين، مخدوعة برائحة اللحم المطهو حديثًا. ضمت ذراعيها على صدرها ونظرت بعيدًا، قامعة الرغبة في التقيؤ.

قهقه سوجي:

— "ما الخطب يا أميرة؟"

— "أنا فقط..." لم تكن رين واثقة من كيفية التعبير عن انزعاجها، ناهيك عن تمييزه عن نفاق واضح. "أليس هذا كثيرًا بعض الشيء؟"

سخر منها:

— "(كثيرًا بعض الشيء)؟ حقًا؟ هذا يصدر منكِ؟"

— "الأمر مختلف عندما..." تلاشى صوتها. كيف كان مختلفًا بالضبط؟ بأي حق تحكم؟ لماذا شعرت بالعار والاشمئزاز الآن، بينما الألم الذي ألحقته بانتظام في ساحة المعركة كان أسوأ بألف مرة؟ "الأمر مختلف عندما يفعله مدنيون. إنه... إنه يبدو خاطئًا".

— "كيف كان الشعور عندما استدعيتِ (العنقاء) في سبير؟"

جفلت:

— "ما علاقة ذلك؟"

— "كان جيداً، أليس كذلك؟" لوى شفته. "أوه، كان مروعًا، أنا متأكد، لا بد أنه ترك ندبة عقلية بحجم فوهة بركان. لكنه كان أيضًا أفضل شيء شعرتِ به على الإطلاق، أليس كذلك؟ شعرتِ وكأنكِ أعدتِ الكون لمكانه. وكأنكِ توازنين الكفة. أليس كذلك؟"

أشار للرجال على المنصة. لم يعودوا يصرخون. واحد فقط كان لا يزال يختلج.

— "أنتِ لا تعرفين ما فعله هؤلاء الرجال. قد تبدو وجوههم بريئة ونيكارية، لكنكِ لم تكوني هنا أثناء الاحتلال، ولا تعرفين الألم الذي تسببوا به. الجنوب لا يحرق أهله إلا لسبب. ليست لديكِ فكرة عما يتعافى منه هؤلاء القرويون. لذا لا تسلبيهم هذا".

علا صوته:

— "أنتِ لا تصلحين الأذى بالتظاهر بأنه لم يحدث أبدًا. تعاملينه كجروح ملتهبة. تحفرين عميقًا بسكين حارق وتقتلعين اللحم المتعفن، ثم، ربما، يكون لديكِ فرصة للشفاء".

لذا عندما استعاد الجنوب نفسه في بحر من الدم، لم توقفه رين. لم تستطع سوى المشاهدة بينما ارتفع مد عنف الفلاحين إلى ذروة حمى لم تكن واثقة أنها تستطيع السيطرة عليها، حتى لو أرادت. لن يعترف أحد بصوت عالٍ بمدى الرضا الذي جلبه هذا — كان على القرويين التظاهر بأن هذا طقس ضرورةٍ لا انغماس — لكن رين رأت اللمعان الجائع في عيونهم وهم يشربون الصرخات.

كان هذا تطهيرًا. احتاجوا لسفك الدم كما احتاجوا للتنفس. بالطبع فهمت ذلك الدافع؛ في الليل، وحدها مع غليونها، عرضت تلك المشاهد الدموية مرارًا وتكرارًا لـ ألتان حتى يجد عقلها بعض مظاهر السلام بينما يشربها هو بنهم. الجنوب احتاج للقصاص ليستمر. كيف لها أن تحرمهم منه؟

وحده كيتاي ظل يحرض لوضع حد لأعمال الشغب. كان بإمكانه السماح بعقوبة الإعدام لكنه أراد النظام؛ أراد محاكمات علنية ليست صورية وأحكامًا أكثر اعتدالًا من الإعدام.

قال:

— "بعض هؤلاء الناس أبرياء. بعضهم كانوا يحاولون فقط البقاء على قيد الحياة".

قال سوجي:

— "هراء. لقد اتخذوا خيارهم".

— "هل تفهم الخيارات التي حصلوا عليها؟" أشار كيتاي عبر الفناء حيث كان رجل معلقًا من كاحليه طوال الأيام الثلاثة الماضية. "لقد خدم كأحد مترجميهم لسبعة أشهر. لماذا؟ لأن الموغينيين أسروا زوجته وابنته وأخبروه أنه يمكنه الخدمة، أو يمكنه مشاهدتهما تدفنان حيتين. ثم بدأوا بتعذيب ابنته أمامه لتوضيح النقطة. ماذا تظنه اختار؟"

لم يتأثر سوجي بتاتًا:

— "لقد ساعدهم على قتل نيكاريين آخرين".

أصر كيتاي:

— "الجميع ساعدوهم على قتل نيكاريين آخرين. النقاء الأيديولوجي شيء جيد وجميل، لكن بعض الناس كانوا يحاولون النجاة وحسب".

قال سوجي:

— "أتعلم، الموغينيون أعطوا أختي خيارًا. قالوا إن بإمكانها أن تكون واحدة من عملائهم المزدوجين وتشي بزملائها القرويين، أو يغتصبوها ويقتلوها. أتعرف ماذا اختارت؟"

احمرت وجنتا كيتاي:

— "أنا لا أقول..."

سأل سوجي:

– "هل تعلم أن الموغينيين أحبوا لعب ألعاب لملء حصة القتل الخاصة بهم؟"

قال كيتاي:

– "أعرف. في جولين نيس..."

– "أعرف ما فعلوه في جولين نيس". كان صوت سوجي كالفولاذ. "أتريد معرفة ما فعلوه هنا؟ كانوا يسوقون حشودًا من القرويين لأسطح أطول المباني التي يجدونها. ثم يهدمون السلالم، ويشعلون النار في الطوابق السفلية، ويقفون في حلقة ليشاهدوا بينما يصرخون. هذا ما كان لأولئك المتعاونين يد فيه. قل لي إنه يفترض بنا أن نغفر ذلك".

قالت رين بهدوء:

– "كيتاي. دع الأمر".

لم يفعل:

– "لكنهم لا يستهدفون الموغينيين ومتعاونيهم فقط".

– "كيتاي، أرجوك..."

همس كيتاي بغضب:

– "إنهم يستهدفون كل من دارت حوله شبهة تعاون ولو من بعيد. هذه ليست عدالة، إنها نوبة قتل جنونية، والهمسات وأصابع الاتهام تنهي حيوات. لا يمكنك معرفة من المذنب حقًا ومن وقع في الجانب السيئ لجيرانه. هذه ليست عدالة، إنها فوضى".

هز سوجي كتفيه:

– "وماذا في ذلك؟ طارد جرذًا، وستكسر بعض الأطباق. هذه ثورة. وليست حفلة شاي لعينة".

***

ساروا في إنهاك صامت على الطريق العائد لـ ليانغ. نشوة النصر تلاشت منذ زمن. أسبوعان من الصرخات والتعذيب، بغض النظر عمن كانوا الضحايا، تركتهم جميعًا شاحبين ومنهكين إلى حد ما.

كانوا على بعد مسيرة نصف يوم عندما ظهر خيال بقلنسوة على الطريق. اندفع ضباط رين للأمام، رماحهم مصوبة، يصرخون للراكب ليتوقف. توقف الراكب، رافعًا يديه ليشير لعدم وجود سلاح.

أصر زودن:

— "انزل! من أنت؟"

— "أوه، بحق السماء". ألقت فينكا القلنسوة عن وجهها وترجلت عن حصانها. تقدمت بخطى واسعة، مبعدة رؤوس الرماح بيد واحدة وكأنها تضرب سحابة من البعوض. "ما هذا بحق الجحيم يا رين؟ كفي هؤلاء الحمقى".

— "فينكا!" اندفعت رين للأمام وعانقت فينكا، لكنها تركتها بسرعة؛ كانت الرائحة لا تطاق. كانت رائحة فينكا كمدبغة جلود مشتعلة. "يا للسلحفاة العظيمة، متى كانت آخر مرة استحممتِ فيها؟"

قالت فينكا:

— "أعطني استراحة لعينة. كنت أهرب بحياتي".

أشار كيتاي:

— "كان لديكِ وقت لوضع طلاء وجه جديد".

— "الجميع كانوا يفعلون ذلك في سينغارد. كان لدي بعض متبقٍ في حقيبتي. الوصول إليه أسهل من الصابون، حسنًا؟"

لم تستطع رين إلا الضحك. ماذا توقعوا أيضًا؟ سرينغ فينكا كانت أميرة سينغاردية مدللة ومتأنقة تحولت لجندية قاتلة ثم لناجية صلبة؛ بالطبع ستدخل منطقة حرب بطلاء أحمر على شفتيها ببساطة لأنها رغبت في ذلك.

تذمرت فينكا:

– "على أي حال، استغرقتم وقتًا طويلًا للعودة. كنت أجوب رقعة الطريق هذه منذ الأمس. أخبروني أنكم متمركزون في ليبانغ".

قالت رين:

– "كنا كذلك. وما زلنا. غادرنا للقيام ببعض التنظيف".

سأل كيتاي:

– "ماذا حدث؟ ظننت أنكِ كنتِ بخير تمامًا في الجمهورية".

تنهدت فينكا بشكل درامي:

– "كُشف غطائي. كان أغبى شيء. كنت هناك، خادمة غير مرئية تمامًا في منزل قاضٍ، ثم بدأت سيدة المنزل تظن أنني أحاول إغواء زوجها وسحبتني للشارع".

بدأ كيتاي:

– "هل كنتِ..."

رمقته فينكا بنظرة لاذعة:

– "بالطبع لا. ليس خطأي أن الرجل الغبي لم يستطع رفع عينيه عن مؤخرتي".

بدا كيتاي مرتبكًا:

– "كنت سأسأل فقط ما إذا تم التعرف عليكِ".

– "أوه. لا، لكن كان الأمر وشيكًا. طردتني زوجته، ثم ذهبت تخبر كل المنازل الأخرى ألا يوظفوني. جلب ذلك انتباهًا أكثر مما يجب. لذا نهبت مخزن الأسلحة في منتصف الليل، وتملقت صبي الإسطبل ليعيرني حصانًا، وشققت طريقي للجنوب". سردت كل هذا باستهتار وقح وكأنها تدردش عن أحدث صيحات الموضة في سينغارد. "في رويجين قالوا إنكِ ذهبتِ جنوبًا، لذا تتبعت أثر الجثث. لم يستغرق الأمر طويلًا لتعقبكِ".

قالت رين:

– "لقد، آاه، انفصلنا عن رويجين".

– "تخيلت ذلك". أومأت فينكا للقوات المنتظرة. "كيف انتزعتِ جيشًا من غوروباي؟"

– "خلقت منصبًا شاغرًا". نظرت رين من فوق كتفها لقواتها. كان سوجي والضباط الآخرون متوقفين في منتصف الطريق، يراقبونهم بفضول.

أخبرتهم رين:

– "إنها حليفة. تابعوا المسير".

استأنف الطابور مسيرته نحو ليانغ. أبقت رين صوتها منخفضًا وهي تتحدث لـ فينكا، وتلفتت لتتأكد من أن سوجي لا يسترق السمع.

– "اسمعي، هل بدأ نزهة بإرسال أي أحد للجنوب؟"

قوست فينكا حاجبها:

– "ليس حسب آخر ما سمعت. لماذا؟"

– "هل أنتِ متأكدة؟"

– "من المفترض أنه لا يزال محبوسًا في القصر. تقول الشائعات إنه ليس بخير في الواقع؛ لقد خرج من الخدمة لبضعة أسابيع".

سألت رين بحدة:

– "ماذا؟" بدأ قلبها ينبض بسرعة كبيرة فجأة. "ماذا يعني ذلك؟"

رمقها كيتاي بنظرة فضولية. تجاهلتها. سألت:

– "هل أصيب؟"

قالت فينكا:

– "لا أظن ذلك. لم يخرج للميدان منذ أسابيع. استدعاه فايسرا من إقليم النمر الشهر الماضي. قضى الكثير من الوقت مع الهسبيريين، يتفاوض مع مندوبيهم، وأعتقد أن الشائعة السائدة هي أنه سقط مريضًا. يبدو ضعيفًا، ولديه ظلال تحت عينيه، أو هكذا يقولون. من الصعب التمييز بين القيل والقال

والحقيقة، بما أن لا أحد أعرفه حصل على نظرة جيدة له، لكن الأمر يبدو خطيرًا".

شعرت رين بطعنة قلق غبية وغريزية، بقايا اهتمام قديم. قمعتها.

— "تظنين أنه سيموت؟"

قالت فينكا:

— "لست متأكدة. يقولون إن لديه أفضل الأطباء الهسبيريين يعملون عليه، رغم أن ذلك قد يضر أكثر مما ينفع. أشك أنه سيقود قوات للخارج في أي وقت قريب".

هل يعني ذلك أنها آمنة؟ هل كان نزهة يعبث معها وحسب؟ مرضه لا ينفي حقيقة أن لديه جواسيس في معسكرها، وأنه يعرف أين تضع رأسها كل ليلة. لكن إذا كانت فينكا محقة، وإذا كان نزهة ووالده بالفعل لا يزالان مشغولين بالشمال، فقد لا يضطرون للقلق بشأن كمين وشيك في الوقت الحالي.

هذه المهلة قد لا تدوم طويلًا. لكنها ستغتنم كل يوم إضافي تحصل عليه.

سألت فينكا:

— "ما الخطب؟ هل أنتِ فزعة من شيء ما؟"

تبادلت رين نظرة مع كيتاي. كانا قد توصلا لاتفاق ضمني — لن يخبرا فينكا عن الرسالة. كلما قل عدد العارفين، كان أفضل.

قالت رين:

— "لا شيء. فقط... أردت التأكد فقط من أننا لن نؤخذ على حين غرة".

نخرت فينكا:

— "ثقي بي. لا أظنه حتى في حالة تسمح له بالمشي".

ساروا للحظات في صمت. استطاعت رين رؤية خيال لييانغ يبرز من الأفق؛ من هنا فصاعدًا كانت الطرق منبسطة فقط.

سألت فينكا بعد فترة:

– "إذن ما الذي كان يحدث هنا بحق الآلهة الأربعة والستين؟ مررت ببضع قرى في طريقي لهنا. لقد جنوا تمامًا".

قالت رين:

– "سكرات النصر. آلام النمو".

قالت فينكا:

– "إنهم يسلخون الناس أحياء".

– "لأنهم تاجروا بفتيات صغيرات مقابل حصص طعام".

– "أوه. عذر مقبول". نفضت فينكا ذرة غبار غير مرئية عن معصمها. "آمل أنهم قاموا بإخصائهم أيضًا".

***

في وقت لاحق من ذلك العصر، بينما كانت رين تتوجه للحقول للإشراف على التدريب الأساسي، اعترضتها امرأة عجوز مجعدة تجر فتاتين نحيلتين من معصميهما.

قالت:

– "سمعنا أنكم تأخذون فتيات. هل ستفيان بالغرض؟"

ذهلت رين من وقاحتها اللحوح لدرجة أنها بدلًا من توجيه المرأة لمنصة التجنيد، توقفت ونظرت. حيرها ما رأته. كانت الفتاتان نحيلتين وهزيلتين، بالتأكيد لا يتجاوز عمرهما الخامسة عشرة، وكانتا تنكمشان خلف المرأة العجوز وكأنهما مرعوبتان من أن يراهما أحد. لا يمكن أن تكونا متطوعتين – كل امرأة أخرى تجندت في الجيش الجنوبي فعلت ذلك بفخر وبملء إرادتها.

حرضتها المرأة العجوز:

– "أنتم تأخذون فتيات".

ترددت رين:

– "نعم، لكن..."

– "إنهما أختان. يمكنكِ أخذهما بقطعتي فضة".

رمشت رين:

– "عفوًا؟"

اقترحت المرأة بنفاد صبر:

– "فضية واحدة؟"

عقدت رين حاجبيها:

– "لن أدفع لكِ شيئًا. ليس هذا ما..."

– "إنهما فتاتان جيدتان. سريعتان. مطيعتان. وليستا عذراوات..."

كررت رين:

– "عذراوات؟ ما الذي تظنين أننا نفعله هنا؟"

نظرت المرأة إليها وكأنها مجنونة:

– "قالوا إنكم تأخذون فتيات. للجيش".

ثم تجمعت القطع. التوت أمعاء رين:

– "نحن لا نوظف بائعات هوى".

لم ترتدع المرأة:

– "فضية واحدة".

صرخت رين:

– "اغربي عن وجهي. وإلا سأرميكِ في السجن".

بصقت المرأة كتلة لعاب عند قدمي رين وانطلقت غاضبة، تجر الفتاتين خلفها.

قالت رين:

– "توقفي. اتركيهما".

توقفت المرأة، وبدا للحظة أنها قد تحتج. فتركت رين تيارًا من النار، رقيقًا جدًا، ينزلق عبر أصابعها ويرقص حول معصمها.

– "أنا لم أكن أطلب".

غادرت المرأة بسرعة دون كلمة أخرى.

التفتت رين للفتاتين. بالكاد تحركتا طوال هذا الوقت. لم تلتقِ أي منهما بعينيها. وقفتا ساكنتين، وأذرعهما تتدلى برخاوة بجانبيهما، ورؤوسهما منخفضة باحترام مثل خدم المنازل الذين ينتظرون الأوامر.

تملكت رين رغبة غريبة لقرص ذراعيهما، وفحص عضلاتهما، ورفع ذقنيهما، وفتح فميهما لترَ ما إذا كانت أسنانهما جيدة.

ما خطبي؟

سألت، لعدم وجود شيء أفضل لقوله:

— "هل تريدان أن تكونا جنديتين؟"

رمت الفتاة الأكبر رين بنظرة خاطفة، ثم هزت كتفيها بتبلد. الأخرى لم تتفاعل إطلاقًا؛ ظلت عيناها مثبتتين على بقعة فارغة من الهواء أمامها.

جربت رين شيئًا آخر:

— "ما اسماكما؟"

قالت الفتاة الأكبر:

— "بيباجي".

هبطت عينا الفتاة الأصغر للأرض.

سألت رين:

— "ما خطبها؟"

انفعلت بيباجي:

— "إنها لا تتكلم". رأت رين ومضة غضب مفاجئة في عينيها — دفاعية حادة، وفهمت حينها أن بيباجي قضت حياتها كلها تحمي أختها من الناس الآخرين.

قالت رين:

— "أفهم. أنتِ تتحدثين نيابة عنها. ما اسمها؟"

خف العداء قليلًا من وجه بيباجي:

– "جيوتو".

– "جيوتو وبيباجي. هل لديكما اسم عائلة؟"

صمت.

– "من أين أنتما؟"

منحتها بيباجي نظرة عابسة:

– "ليس من هنا".

– "أرى ذلك. أخذوا منزلكما أيضًا، هاه؟"

هزت بيباجي كتفيها بفتور، وكأنها وجدت هذا السؤال غبيًا بشكل لا يصدق.

قالت رين:

– "اسمعا". كان صبرها ينفد. أرادت أن تكون في الميدان مع قواتها، لا تستجدي الكلمات من فتاتين صغيرتين عابستين. "ليس لدي وقت لهذا. أنتما حرتان من تلك المرأة، لذا يمكنكما فعل ما يحلو لكما. يمكنكما الانضمام لهذا الجيش إن رغبتما..."

قاطعتها بيباجي:

– "هل نحصل على طعام؟"

– "نعم. مرتين في اليوم".

فكرت بيباجي في هذا للحظة، ثم أومأت:

– "حسنًا".

جعلت نبرتها من الواضح أنه ليس لديها أسئلة أخرى. راقبتهما رين للحظة، ثم هزت كتفيها وأشارت:

– "جيد. الثكنات هناك".

الفصل السابع

بعد أسبوعين، وصل الجيش إلى تيكاني.

كانت رين قد هيأت نفسها للقتال دفاعًا عن مسقط رأسها. لكن حين اقتربت قواتها من أسوار تيكاني الترابية، كان السكون يلف الحقول، والخنادق فارغة، والبوابات مُشرعة على مصراعيها بلا حراس يلوحون في الأفق. لم يكن هذا هدوء الكمين المخادع الذي يسبق العاصفة، بل صمت الهجران الموحش؛ صمت مكانٍ لُفظت منه الحياة. أيًا كانت قوات الاتحاد (الموغين) التي روعت تيكاني يومًا، فقد ولت هاربة بالفعل. عبرت رين من البوابات الشمالية دون أدنى مقاومة، لتدخل مكانًا لم تره منذ غادرته قبل خمس سنوات تقريبًا.

لكنها لم تتعرف عليه.

لم يكن ذلك لأنها نسيت. فمهما حاولت سابقًا، لم تستطع أبدًا أن تمحو ملمس هذا المكان من ذاكرتها؛ لا سحب الغبار الأحمر التي كانت تعصف عبر الشوارع في الأيام العاصفة لتكسو كل شيء بطبقة رقيقة من القرمز، ولا الأضرحة والمعابد المهجورة عند كل زاوية بصفتها بقايا أيام أكثر خرافة، ولا المباني الخشبية المتهالكة التي كانت تنبثق من التراب كأنها ندوب غاضبة وعنيدة. كانت تعرف شوارع تيكاني كما تعرف خطوط كفها؛ تعرف أزقتها، وأنفاقها المخفية، ومواقع تسليم الأفيون، وتعرف أفضل الزوايا للاختباء حين يفور غضب العمة فانغ ويتحول إلى عنف.

لكن تيكاني تغيرت. بدا المكان كله فارغًا، ومجوفًا، وكأن أحدهم بقر أحشاء المدينة بسكين والتهمها، تاركًا خلفه قشرة هشة ومصدومة. لم تكن

تيكاني يومًا من حواضر الإمبراطورية العظمى، لكنها كانت تضج بالحياة. كانت، حالها حال العديد من مدن الجنوب، بؤرة لحكم ذاتي صغير، نُحتت بتحدٍ في التربة الصلبة.

لقد حولها الاتحاد إلى مدينة للموتى.

اختفت معظم المباني المتداعية، إما حرقًا أو تفكيكًا منذ زمن. وحول الجنود "الموغين" ما تبقى منها إلى ثكنة عسكرية كئيبة. المكتبة، ومسرح الأوبرا المكشوف، والمدرسة — وهي الأماكن الوحيدة التي منحت رين يومًا أي سعادة في تيكاني — استحالت هياكل عظمية تحمل آثار تفكيك متعمد. خمنت رين أن جنود الاتحاد جردوا جدرانها لاستخدام خشبها وقودًا للنار.

في حي المتعة، كانت بيوت الدعارة وحدها التي بقيت صامدة.

التفتت رين إلى أقرب ضابط وأمرت:

— "خذ اثني عشر جنديًا — نساءً إن أمكن — ومشطوا كل مبنى من تلك المباني بحثًا عن ناجين. أسرعوا."

كانت تعلم الآن ما الذي سيجدونه على الأرجح. وكانت تعلم أنه كان يجدر بها الذهاب بنفسها، لكنها لم تملك الشجاعة الكافية لذلك.

واصلت السير. وحين اقتربت من مركز البلدة، قرب قاعة القاضي ومكتب المراسم العامة، وجدت أدلة على الإعدامات العلنية: ألواح أرضية المسرح مصبوغة باللون البني بفضل بقع دماء تعود لشهور مضت، وسياط ملقاة بإهمال في أكوام تحت البقعة التي قرأت فيها ذات مرة، قبل عمرٍ مضى، نتيجة اختبار "الكيدجو" وأدركت أنها ذاهبة إلى سينغارد.

ما لم تره هو الجثث. في جولين نيس، كانت الجثث مكدسة عند كل ناصية شارع، أما شوارع تيكاني فكانت خاوية.

لكن ذلك كان منطقيًا؛ حين يكون هدفك الاحتلال، فإنك تنظف الجثث دائمًا، وإلا فاحت رائحتها ونتانتها.

تمتم سوجي بصوت خافت وهو يسير بجوارها، واضعًا يديه في جيوبه ومحدقًا في الدمار مثل طفل يتفحص سوقًا للعطلات:

— "أقسم بالسلحفاة العظيمة... لقد نالوا من هذا المكان حقًا."

قالت رين:

— "اخرس."

— "ما الخطب؟ هل هدموا المقهى المفضل لديكِ؟"

— "قلتُ اخرس."

كرهت فكرة البكاء أمامه، لكنها بالكاد كانت تستطيع التنفس بسبب الثقل الذي يسحق صدرها. شعر رأسها بخفة مرعبة، وصدغاها ينبضان بالألم. غرزت أظافرها في راحة يدها لدرء الدموع. لم ترَ دمارًا واسع النطاق كهذا إلا مرة واحدة من قبل، وكاد يكسرها حينها. لكن هذا كان أسوأ من جولين نيس، لأنه في جولين نيس كان الجميع تقريبًا قد ماتوا. كانت تفضل لو رأت جثثًا بدلًا من الناجين الذين تراهم الآن، يزحفون خارجين من أي منازل آمنة بقيت صامدة، يرمقونها بذهول وارتباك حيوانات قضت وقتًا طويلًا جدًا تعيش في الظلام.

سألوها:

— "هل ذهبوا؟ هل تحررنا؟"

أجابتهم:

— "أنتم أحرار. لقد رحلوا. إلى الأبد."

تلقوا كلماتها بنظرات خائفة ومتشككة، وكأنهم يتوقعون عودة "الموغين" في أي لحظة ليبطشوا بهم جزاءً على جسارتهم. ثم بدأت الشجاعة تدب فيهم. خرج المزيد والمزيد من الأكواخ، والعشش، وجحور الاختباء؛ عددٌ أكبر مما تجرأت رين على أن تأمل بقاءه حيًا. سرت الهمسات عبر مدينة الأشباح، وتدريجيًا بدأ الناجون يملؤون الساحة، يتزاحمون حول الجنود، ويضيقون الدائرة حول رين.

سألوا:

– "هل أنتِ...؟"

قالت:

– "أنا هي."

تركتهم يلمسونها ليدركوا أنها حقيقية. سمحت لهم برؤية نيرانها وهي تتلولب عاليًا في أنماط دقيقة، لتنقل بصمت الكلمات التي لم تستطع أن تنطق بها بصوت عالٍ.

إنه أنا. لقد عدت. أنا آسفة.

قال كيتاي:

– "إنهم بحاجة للاغتسال. الجميع هنا تقريبًا يعانون من القمل؛ علينا احتواء الأمر قبل أن ينتشر بين قواتنا. وهم بحاجة لوجبة جيدة، يجب أن نرتب الحصص الغذائية..."

قاطعته وسألت، وقد رن صوتها غريبًا في أذنيها وكأنه يأتي من خلف باب خشبي سميك:

– "هل يمكنك تولي الأمر؟ أريد... أحتاج أن أواصل المشي."

لمس ذراعها وقال:

– "رين..."

– "أنا بخير."

– "لا يتوجب عليكِ فعل هذا وحدك."

ابتعدت عنه خطوة وقالت:

– "بل يجب عليّ. أنت لا تستطيع أن تفهم."

كان كيتاي يعرف كل جزء من روحها، لكنه لم يستطع مشاركتها هذا. كان الأمر يتعلق بالجذور، بالتراب. لم يكن هو من هنا؛ لم يكن ليعرف كيف يبدو هذا الشعور.

تابعت:

– "أنت... أنت اعتنِ بالناجين. دعني أذهب. أرجوك."
ضغط على يدها وأومأ برأسه:
– "كوني حذرة فقط."

انفصلت رين عن الحشد، واختفت في زقاق جانبي حين لم يكن أحد يراقب، ثم سارت وحيدة عبر المدينة نحو حيها القديم.

لم تكلف نفسها عناء الذهاب إلى منزل عائلة "فانغ". لم يكن هناك شيء لها. كانت تعلم أن العم فانغ قد مات، وأن العمة فانغ و"كيسيغي" قد ماتا على الأرجح في أرلونغ. وباستثناء "كيسيغي"، لم تكن ذكرياتها عن ذلك المنزل تحتوي إلا على البؤس.

ذهبت مباشرة إلى منزل المعلم فيريك.

كانت غرفه فارغة. لم تستطع العثور على أثر واحد له في أي من الغرف العارية؛ وكأنه لم يعش هناك قط. اختفت الكتب، كل واحد منها. حتى أرفف الكتب كانت مفقودة. كل ما تبقى كان كرسيًا صغيرًا، شكت في أن جنود الاتحاد تركوه وشأنه لأنه كان منحوتًا من الحجر لا الخشب.

تذكرت ذلك الكرسي. لقد جلست عليه ليالٍ كثيرة وهي طفلة، تستمع إلى المعلم فيريك يتحدث عن أماكن لم تظن أبدًا أنها ستراها. جلست هناك في الليلة السابقة للاختبار، تبكي بين يديها بينما كان يربت برفق على كتفيها ويهمهم بأنها ستكون بخير. فتاة مثلك؟ ستكونين بخير دائمًا.

قد لا يزال حيًا. ربما فر مبكرًا عند أول نذر الخطر؛ ربما يكون في أحد مخيمات اللاجئين في الشمال. إذا حاولت بجهد كافٍ، يمكنها الحفاظ على الوهم بأنه في مكان ما هناك، آمن وسعيد، وبعيد فقط عن مدارها. حاولت أن تجد العزاء في تلك الفكرة، لكن عدم اليقين، وربما عدم المعرفة أبدًا، كان يؤلم أكثر.

تذوقت الملح على شفتيها، وأدركت أن وجهها مبتل بالدموع. فجأة، وبعنف، مسحتها.

لماذا تحتاجين للعثور عليه؟ سمعت السؤال بصوت ألتان. لماذا يهم هذا بحق الجحيم؟

لم تفكر في المعلم فيريك إلا قليلًا طوال سنوات. كانت قد اقتطعته من عقلها بنفس الطريقة التي عزلت بها نفسها عن سنواتها الست عشرة في تيكاني؛ جلد ثعبان طرحته لتعيد اختراع نفسها من يتيمة حرب إلى طالبة وجندية. كانت تتشبث بذكراه الآن بدافع من حنين مثير للشفقة وجبان. لم يكن سوى أثر من الماضي — تذكير بزمن أسهل حين كانت طفلة صغيرة تحاول حفظ الكلاسيكيات، وكان هو معلمًا طيبًا أراها طريق الخلاص الوحيد.

كانت تبحث عن حياة لن تعود إليها أبدًا. وكانت رين تعلم جيدًا الآن أن الحنين قد يقتلها.

سألها كيتاي حين عادت:

— "هل وجدتِ شيئًا؟"

أجابت:

— "لا. لا يوجد شيء هنا."

***

اختارت رين أن تجعل مقر قيادتها في مجمع الجنرال "الموغيني"، جزئيًا لأنها شعرت أن ذلك حقها كمحررة، وجزئيًا لأنه كان المكان الأكثر أمانًا في المعسكر. قبل أن ينتقلوا إليه، قامت هي وسوجي بتمشيط كل غرفة بحثًا عن أي قتلة مختبئين.

لم يجدوا شيئًا سوى غرف فوضوية لا تزال مليئة بالأطباق القذرة، والزي الرسمي، والأسلحة الاحتياطية. كان الأمر كما لو أن "الموغين" قد تبخروا في

الهواء، تاركين كل ممتلكاتهم خلفهم. حتى المكتب الرئيسي بدا وكأن الجنرال قد خرج ببساطة إلى الغرفة المجاورة لتناول كوب من الشاي.

نبت رين في مكتب الجنرال، وسحبت أكوامًا من المذكرات والخرائط والرسائل. في أحد الأدراج وجدت رزمًا من الورق، كلها رسومات بالفحم للمرأة نفسها. يبدو أن هذا الجنرال كان يعتبر نفسه فنانًا. لم تكن الرسومات سيئة تمامًا — فقد حاول الجنرال باجتهاد التقاط عيني حبيبته، وإن أهمل دقة التفاصيل التشريحية الأخرى. ورافقت كل رسمة الأحرف "الموغينية" ذاتها — هودي، وتعني "فراشة" بلغة النيكان؛ كانت قد نسيت نطقها بالموغينية. لم يكن اسمًا علمًا على الأرجح، بل اسم تدليل.

فكرت: كان وحيدًا. كيف شعر حين علم بمصير جزيرة القوس الطويل؟ حين علم أنه لن تبحر أي سفن عائدة عبر بحر النارين؟

وجدت ملاحظة مكتوبة على ورقة مطوية محشورة بين آخر رسمتين. لم يكن الخط الموغيني مختلفًا كثيرًا عن النيكاني — فقد استعار بشدة من الأحرف النيكانية وإن اختلف النطق كليًا — لكن الأمر استغرق منها عدة دقائق من التدقيق في الحبر الفوضوي المتقطع لفك شفرة ما كُتب.

إذا كان هذا يعني أنني أملك قلبًا خائنًا، فنعم، أتمنى لو أن إمبراطورنا لم يستدعك لأداء للواجب، لأنه انتزعك من بين ذراعي.

إن القارة الشرقية بأسرها - لا بل ثروات هذا الكون - لا تعني لي شيئًا في غيابك.

أصلي كل يوم لكي تعيدك البحار.

فراشتك.

كانت مقتطفًا ممزقًا من رسالة أطول. لم تستطع رين العثور على الباقي.

شعرت بذنب غريب وهي تقلب في أغراض الجنرال. وبشكل سخيف، شعرت وكأنها متطفلة. لقد أمضت وقتًا طويلًا تفكر في كيفية قتل "الموغين" لدرجة أن مجرد فكرة كونهم بشرًا، لهم حياة خاصة وحب وآمال وأحلام، جعلتها تشعر بغثيان غامض.

قال سوجي:

– "انظري إلى تلك الجدران."

تبعت رين نظراته. كان الجنرال يحتفظ بتقويم جداري مفصل، ممتلئ بخط يد أنيق وصغير. كان أكثر وضوحًا بكثير من الرسالة. قلبت إلى الصفحة الأولى وقالت:

– "لقد وصلوا هنا قبل ثلاثة أشهر فقط."

رد سوجي:

– "هذا فقط حين بدأوا في تدوين التقويم. ثقي بي، لقد كانوا في الجنوب لفترة أطول من ذلك بكثير."

بقي اتهامه غير المنطوق معلقًا في الهواء بينهما. قبل ثلاثة أشهر كان بإمكانها القدوم جنوبًا. كان بإمكانها إيقاف هذا.

كانت رين قد قبلت تلك التهمة منذ زمن. كانت تعلم أن هذا خطؤها. كان بإمكانها أن تأخذ بيد الإمبراطورة في ذلك اليوم في "لوسان"، وكان بإمكانها قتل تمرد فايسرا في مهده وقيادة قواتها مباشرة نحو الجنوب. لكن بدلًا من ذلك، لعبت دور الثورية، وكل ما كسبته كان ندبة تتلوى عبر ظهرها وجذعًا مؤلمًا حيث يجب أن تكون يدها.

كرهت كم كانت استراتيجية فايسرا مكشوفة وشفافة منذ البداية، وكرهت نفسها أكثر لفشلها في رؤيتها. بالنظر إلى الوراء، كان واضحًا جدًا لماذا توجب على الجنوب أن يحترق، ولماذا منع فايسرا مساعداته حتى حين جاء أمراء الحرب الجنوبيون يتوسلون عند قدميه.

كان بإمكانه إيقاف تلك المذابح بسهولة. كان يعلم أن الأسطول الهسبيري قادم لمساعدته؛ وكان بإمكانه إرسال نصف جيشه لتلبية استغاثات أمة تحتضر. لكنه تعمد شل الجنوب بدلًا من ذلك. لم يكن مضطرًا للصراع مع أمراء الحرب الجنوبيين على السلطة السياسية إذا ترك "الموغين" يقومون بعمله القذر نيابة عنه. ثم، حين ينقشع الدخان، وتستلقي الإمبراطورية في حطام ممزق، كان ليدخل بجيش الجمهورية ويحرق "الموغين" بالمناطيد والبنادق. بحلول ذلك الوقت، كان الاستقلال الجنوبي سيبدو مثيرًا للضحك— وأي ناجين متبقين كانوا سيسقطون على ركبهم ويعبدونه كمخلصهم.

ماذا لو أخبركِ؟ كان ألتان— هلوسة رين بـ ألتان— قد سألها ذات مرة. ماذا لو جعلك شريكة كاملة؟ هل كنتِ لتغيري ولاءك؟

لم تكن رين تعرف. كانت تحتقر الجنوبيين آنذاك. كرهت شعبها، كرهتهم لحظة رأتهم في المخيمات. كرهت سمرتهم، ولهجاتهم الريفية ثقيلة اللسان، ونظراتهم الخائفة بليدة العينين. كان من السهل جدًا الخلط بين الرعب المحض والغباء، وكانت يائسة للتفكير فيهم كأغبياء لأنها كانت تعلم أنها ليست غبية، وكانت بحاجة لأي سبب يميزها عنهم.

في ذلك الوقت، كان كرهها لذاتها عميقًا لدرجة أنه لو أخبرها فايسرا ببساطة بكل جزء من خطته، لربما اعتبرت شره عبقرية وضحكت. لو لم يتاجر بها، ربما لم تكن لتغادر جانبه أبدًا.

تلوى الغضب في أحشائها. مزقت التقويم من الجدار وسحقته بين أصابعها.

قالت:

— "كنت حمقاء أعمل تحت إمرة فايسرا. لم يكن يجدر بي الوثوق بفضيلته. لكنه لم يكن يثق بخروجي حية من كل هذا."

***

بمجرد أن اعتبروا مجمع الجنرال آمنًا كقاعدة، سارت رين عبر المدينة إلى بيوت الدعارة. لم تكن ترغب في ذلك؛ كانت جائعة ومنهكة، وعيناها وحلقها يؤلمانها من الدموع المكبوتة، وكل ما أرادته هو أن تتكور في زاوية مع غليونها.

لكنها كانت الجنرال فانغ "السبيرية"، وكانت تدين بهذا للناجين.

كانت فينكا هناك بالفعل. لقد بدأت العمل الشاق المتمثل في تنظيم النساء من بيوت الدعارة. غطت البرك والدلاء المقلوبة الأرضيات الحجرية الباردة حيث اغتسلت النساء، بجوار أكوام كثيفة وداكنة من خصلات الشعر المليئة بالقمل التي جُزت من رؤوس صلعاء حديثًا.

وقفت فينكا الآن في وسط الفناء المربع، تشبك يديها خلف ظهرها مثل مدرب عسكري صارم. تجمعت النساء حولها في حلقة عابسة، يتشبثن بالبطانيات حول أكتافهن النحيلة، وعيونهن باهتة وغير مركزة.

قالت فينكا:

— "يجب أن تأكلن. لن أترككن وشأنكن حتى أراكن تبتلعن الطعام."

قالت الفتاة التي أمام فينكا:

— "لا أستطيع."

كان عمر الفتاة يتراوح بين الثالثة عشرة والثلاثين — كان جلدها مشدودًا بإحكام شديد فوق عظامها الهشة التي تشبه عظام الطيور لدرجة أن رين لم تستطع التمييز.

أمسكت فينكا بكتف الفتاة بيد واحدة؛ وبالأخرى، رفعت كعكة مطهوة على البخار قرب وجه الفتاة لدرجة أن رين ظنت أنها قد تبدأ في حشرها في شفتيها.

— "كُلي."

أطبقت الفتاة فمها وتلوت في قبضة فينكا وهي تنتحب.

صرخت فينكا:

— "ما خطبك؟ كُلي! اعتني بنفسك!"

تخلصت الفتاة من قبضتها وتراجعت، عيناها مغمضتان بالدموع، وكتفاها منحنيا كأنها تتوقع ضربًا.

— "فينكا!"

أسرعت رين للأمام وسحبت فينكا من معصمها.

— "ما الذي تفعلينه؟"

كانت وجنتا فينكا شاحبتين كالجير من الغضب، ردت:

— "ماذا تظنينني أفعل بحق الجحيم؟ الجميع أكلن، لكن هذه العاهرة الصغيرة تظن أنها أرفع مقامًا من طعامها..."

وضعت إحدى النساء الأخريات ذراعها حول الفتاة وقالت:

— "إنها لا تزال تحت الصدمة. دعيها وشأنها."

رمقت فينكا الفتاة بنظرة لاذعة وقالت:

— "اخرسي. هل تريدين الموت؟"

بعد صمت طويل، هزت الفتاة رأسها بخوف.

— "إذن كُلي."

ألقت فينكا بالكعكة عليها. ارتدت عن صدرها وسقطت على التراب.

— "أنتِ الآن الفتاة الأكثر حظًا في العالم اللعين. أنتِ حية. لديك طعام. لقد نجوتِ من حافة المجاعة. كل ما عليك فعله هو وضع تلك الكعكة في فمك اللعين."

بدأت الفتاة في البكاء.

أمرت فينكا:

— "توقفي عن ذلك. لا تكوني مثيرة للشفقة."

اختنقت الفتاة بكلماتها:

— "أنتِ لا تفهمين. أنا لا... أنتِ لا تستطيعين..."

قالت فينكا بجمود:

– "أنا أفهم. حدث لي الشيء نفسه في جولين نيس."
رفعت الفتاة عينيها وقالت:
– "إذن أنتِ عاهرة أيضًا. وكان يجب أن نموت كلتانا."
أرجعت فينكا ذراعها للخلف وصفعت الفتاة بقوة على وجهها.
أمسكت رين بذراع فينكا وسحبتها خارج الفناء:
– "فينكا، توقفي."
لم تقاوم فينكا؛ بل تعثرت معها بطواعية وكأنها في غيبوبة.
أدركت رين أنها لم تكن غاضبة. إن كان ثمة شيء، فقد بدت فينكا على وشك الانهيار.
لم يكن الأمر يتعلق بالطعام.
كانت رين تعلم، في أعماقها، أن فينكا لم تدر ظهرها لمقاطعتها الأم وتنضم إلى التحالف الجنوبي – وهو تمرد شكله أناس بشرتهم أغمق بعدة درجات من بشرتها – بدافع أي ولاء حقيقي لقضيتهم. لقد فعلت ذلك بسبب ما حدث في جولين نيس. لأن حاكم التنين يين فايسرا سمح عمدًا بحدوث تلك الفظائع في جولين نيس، وسمح بحدوثها عبر الجنوب بأسره، ولم يرفع إصبعًا لإيقافها.
لقد أخذت فينكا على عاتقها خوض تلك المعارك. لكن كما اكتشفت هي ورين، كانت المعارك سهلة. التدمير كان سهلًا. الجزء الصعب كان ما بعد الكارثة.
سألت رين بهدوء:
– "هل أنتِ بخير؟"
ارتجف صوت فينكا:
– "أحاول فقط جعل الأمر أسهل."
– "أعرف. لكن ليس الجميع بقوتك."

— "من الأفضل لهن أن يتعلمن القوة، وإلا سيمتن في غضون أسابيع قليلة."

— "سينجين. لقد رحل الموغين."

أطلقت فينكا ضحكة هشة:

— "أوه، تظنين أن الأمر ينتهي هكذا ببساطة؟ تظنين أن كل شيء ينتهي بمجرد رحيلهم؟"

— "لم أقصد..."

قاطعتها فينكا:

— "إنهم لا يرحلون أبدًا. هل تفهمين؟ لا يزالون يأتون إليك في نومك. لكن هذه المرة هم أشباح أحلام، ليسوا حقيقيين، ولا مفر منهم لأنهم يعيشون داخل عقلك."

— "فينكا، أنا آسفة، لم..."

واصلت فينكا وكأنها لم تسمع:

— "هل تعلمين أنه بعد جولين نيس، شربت الناجيتان الأخريان من بيت المتعة ذلك مادة الكاوية؟ هل تريدين تخمين كم واحدة من هؤلاء الفتيات ستشنق نفسها؟ ليس لديهن مساحة للضعف يا رين. ليس لديهن وقت للصدمة. لا يمكن أن يكون ذلك خيارًا. هكذا يمتن."

قالت رين:

— "أفهم ذلك. لكن لا يمكنكِ صب جام غضبك عليهن. أنتِ هنا للحماية. أنتِ جندية. إذن تصرفي كجندية."

اتسعت عينا فينكا. للحظة ظنت رين أن فينكا قد تصفعها هي أيضًا. لكن اللحظة مرت، وتهدلت كتفا فينكا، وكأن كل الرغبة في القتال قد استنزفت منها دفعة واحدة.

أشارت إلى بيوت الدعارة وقالت:

– "حسنًا. ضعيهن تحت مسؤولية شخص آخر إذن. أنا انتهيت هنا. واحرقوا ذلك المكان عن بكرة أبيه."

قالت رين:

– "لا يمكننا. إنها من المباني المسورة القليلة التي لا تزال قائمة. حتى نتمكن من إعادة بناء بعض الملاجئ..."

زمجرت فينكا:

– "احرقيه. وإلا سأحضر بعض الزيت وأفعلها بنفسي. أنا لست بارعة جدًا في إشعال الحرائق. لذا يمكنكِ إشعال حريق مسيطر عليه، أو التعامل مع جحيم مستعر. أنتِ اختاري."

أنقذ وصول كشاف رين من عبء الرد.

أبلغ الكشاف:

– "لقد وجدناها. يبدو أن هناك واحدة فقط."

التوت معدة رين. ليس هذا. ليس الآن. لم تكن مستعدة؛ بعد بيوت الدعارة، أرادت فقط أن تنكمش في كرة في مكان ما وتختبئ.

– "أين هي؟"

– "حوالي نصف ميل جنوب حدود المدينة. الأرض موحلة هناك؛ ستحتاجين لارتداء أحذية سميكة. الملازم تشن أخبرني أن أبلغك أنه في الطريق بالفعل. هل آخذكِ؟"

ترددت رين:

– "فينكا..."

استدارت فينكا على عقبيها ونادت من فوق كتفها وهي تبتعد بخطوات واسعة:

– "لا تحسبي حسابي. لا أريد رؤية ذلك. أريد بيوت الدعارة رمادًا بحلول الفجر، وإلا سأفترض أنها وظيفتي."

أرادت رين اللحاق بها. أرادت سحب فينكا من معصمها، وعناقها بقوة، وإمساكها حتى تتمكنا من البكاء، وحتى يهدأ نحيبهما. لكن فينكا كانت ستفسر ذلك كشفقة، وفينكا تمقت الشفقة أكثر من أي شيء آخر. كانت تقرأ الشفقة كإهانة — كتأكيد على أنه بعد كل هذا الوقت، لا يزال الجميع يظنونها هشة ومكسورة، على وشك الانهيار. لم تستطع رين فعل ذلك بها.

قررت أنها ستحرق بيوت الدعارة. يمكن للناجين البقاء بضع ليالٍ في العراء. لديها ما يكفي من النار لإبقائهم دافئين.

سأل الكشاف بهدوء:

— "جنرال؟"

رمشت رين. كانت تحدق في أثر فينكا المبتعد.

— "أعطني لحظة. سأقابلك عند البوابة الشرقية."

عادت إلى مجمع الجنرال لتغيير حذائها وسألت في الثكنات حتى أعارها أحدهم مجرفة احتياطية. ثم تبعت الكشاف إلى حقول القتل.

***

كان المشي أقصر مما توقعت.

عرفت الموقع من مسافة ربع ميل. عرفته من الرائحة، رائحة التفسخ النيئة تحت طبقة رقيقة من الغبار؛ من الحشرات السمينة التي تهرول إلى الأرض والطيور الجارحة التي كانت تجلس بلا مبالاة على شظايا عظمية بيضاء تبرز من التربة. عرفته من التربة المتغيرة اللون والمُزاحة، ومن بقايا الشعر والملابس المتناثرة عبر التراب حيث لم يكلف "الموغين" أنفسهم عناء دفنهم.

توقفت قبل عشرة أقدام من الوصول إلى القبور. احتاجت للتنفس قبل أن تتمكن من إجبار نفسها على الذهاب أبعد.

وضع كيتاي يده على كتفها وقال:

— "دعي شخصًا آخر يقوم بهذا. مسموح لكِ بالعودة."

قالت:

– "لستُ كذلك. ولا أستطيع. يجب أن أكون أنا."

كان يجب أن تكون هي لأن هذا خطؤها. كانت ملزمة بالنظر. كانت بحاجة لمنح الموتى على الأقل ذلك القدر الضئيل من الاحترام.

أرادت أن تدفن كل شيء، أن تكدس أكوامًا من التربة فوق هذا القبر الضحل، وتدكها بإحكام بالمجارف، ثم تمرر العربات فوقها لتسوية هذا الموقع حتى يختفي في المشهد الطبيعي ويدّعوا يومًا أنه لم يكن موجودًا قط.

لكن كان عليهم التعرف على الجثث. الكثير من الجنوبيين كانوا عالقين حاليًا في ذلك البرزخ المرعب من عدم اليقين، بلا وسيلة لمعرفة ما إذا كان أحباؤهم قد ماتوا، وذلك الشك قد يؤلم أكثر من الحزن. بمجرد العثور على الجثث، يمكنهم على الأقل الحداد.

وبعد ذلك، ولأن طقوس الدفن كانت مهمة جدًا في الجنوب، كان يجب تنظيف الجثث. في وقت السلم، كانت الجنازات في تيكاني شأنًا يستمر طوال اليوم. حشود من المعزين – أحيانًا تشمل محترفين مأجورين لزيادة الصفوف، إذا استطاعت عائلة المتوفى تحمل التكلفة – ينوحون ويعولون وهم يتبعون النعش خارج المدينة إلى قطع أراضي الأجداد المعدة بعناية. كانت أرواح الموتى بحاجة لأن تُسترضى برفق لتدخل قبورها حتى ترتاح بدلًا من مطاردة الأحياء؛ وهذا يتطلب قرابين منتظمة من البضائع الورقية المحروقة والبخور لتهدئتها في العالم الآخر.

كان لدى رين فكرة عما تبدو عليه الحياة الآخرة الآن. كانت تعلم أنها ليست مدينة أشباح موازية لطيفة تترجم فيها قرابين الورق المحروق إلى كنوز حقيقية. لكن مع ذلك، ترك جثة حبيب لتتعفن في العراء كان عارًا.

لقد تخلت عن معظم تراثها كفتاة من "إقليم الديك". فقدت لهجتها وتصرفاتها؛ ومنذ عامها الأول في المدرسة، كانت تلبس وتتحدث مثل نخبة سينغارد. لم تكن تؤمن بالخرافات الجنوبية، ولم تكن لتبدأ التظاهر الآن.

لكن الموت مقدس. الموت يطلب الاحترام.

اكتسى وجه كيتاي بذلك الشحوب الرمادي المخضر لشخص على وشك التقيؤ.

مدت يدها لمجرفته وقالت:

— "لست مضطرًا للبقاء إن لم تستطع. هؤلاء ليسوا قومك."

سحب مجرفته من قبضتها ومنحها ابتسامة شاحبة ومنهكة:

— "نحن مترابطان. ألمك سيكون دائمًا ألمي."

بدآ الحفر معًا.

لم يكن الأمر صعبًا. غطى "الموغين" عملهم بطبقة رقيقة فقط من التربة، بالكاد تكفي لإخفاء كتلة الأطراف المتشابكة تحتها. كلما أزالت رين ما يكفي من التراب للكشف عن الطبقة العليا من جثة، توقفت وانتقلت، غير راغبة في تمزيق الأجساد المتحللة والطرية بالفعل.

قال كيتاي بعد ساعة:

— "في الشمال، نحرق موتانا."

مسح العرق عن جبينه، تاركًا وراءه خطًا من الطين.

ردت رين:

— "إذن نحن همجيون. وماذا في ذلك؟"

لم تملك الطاقة للدفاع عما يفعلونه. الدفن الترابي كان أقدم الطقوس الجنوبية. كان "الديكة" أناسًا من الأرض، وأجسادهم وأرواحهم تنتمي إلى الأرض — أرض الأجداد التي كانت مميزة، ومملوكة، ومسكونة بأجيال تمتد بطول تاريخ المقاطعة. فماذا لو جعلهم ذلك حثالة الإمبراطورية ذوي البشرة الطينية؟ الأرض كانت دائمة، لا ترحم. الأرض ستنهض وتبتلع غزاتها بالكامل.

قال كيتاي:

– "لن يتمكنوا من التعرف على نصف هذه الجثث. إنها متحللة للغاية، انظري..."

– "لا يزال لديهم ملابسهم. مجوهرات. شعر. أسنان. سيجدونهم."

واصلا الحفر. مهما كشفا من وجوه، بدت القبور الضحلة وكأنها تمتد بلا نهاية.

سأل كيتاي بعد فترة:

– "هل تبحثين عن شخص ما؟"

قالت رين:

– "لا."

وكانت تعني ذلك. فكرت لفترة وجيزة في البحث عن المعلم فيريك. حاولت التفكير في العلامات المميزة التي قد تحدد هويته. كان طوله وبنيته عاديين جداً. كان بإمكانها البحث عن لحيته ربما – لكن كان هناك مئات الرجال العجائز في تيكاني بلحى تشبه لحيته تمامًا. ملابسه كانت دائمًا عادية؛ ربما قد يكون لديه نرد المقامرة المحظوظ في جيبه الأمامي، لكن رين لم تستطع تحمل فكرة المشي بين الصفوف، وحشر يدها في جيب كل جثة ملتحية للتحقق من أن شخصًا ما قد مات بالفعل.

لن ترى المعلم فيريك مرة أخرى أبدًا. كانت تعلم ذلك مسبقًا.

بعد ساعات، دعت رين أخيرًا للتوقف. كانوا يحفرون لثلاث ساعات. تدلت الشمس منخفضة في السماء؛ وقريبًا، سيكون الظلام حالكًا لدرجة تمنعهم من معرفة ما إذا كانت شفرات مجارفهم تضرب تربة أم لحمًا.

قالت بصوت أجش:

– "عودوا إلى القرية."

كانت بحاجة ماسة لشربة ماء.

– "سنعود غدًا حين تشرق الشمس..."

نادى جندي أبعد قليلًا على المسار:

— "توقفوا. شيء ما يتحرك هنا."

في البداية ظنت رين أن الحركة الطفيفة التي رأتها كانت خدعة ضوء ينعكس على معدن مدفون، أو ربما نسرًا وحيدًا ينقر في الجيف. ثم اقتربت ورأت أنها يد — يد هزيلة مدفوعة عبر فجوة في كومة الجثث، تلوح بوهن شديد.

سارع جنودها لسحب الجثث بعيدًا. كشفت إزالة ست جثث أخيرًا عن صاحب اليد — صبي نحيل يسعل، مغطى بالكامل بالدم الجاف.

كان لا يزال واعيًا حين سحبوه من القبر. رمش في وجوههم بذهول، ثم أغمض عينيه، ومال رأسه إلى الجانب.

أرسلت رين عداءً إلى البلدة لجلب طبيب. في هذه الأثناء، مددوا الصبي على العشب ومسحوا الدم والتراب المتكتل على جلده قدر استطاعتهم باستخدام الماء من مطراتهم. راقبت رين صدر الصبي طوال الوقت — كان داميًا ومتغير اللون، مكسوًا بالدم الجاف والكدمات، لكنه لا يزال يرتفع وينخفض بإيقاع ثابت ومصمم.

حين وصل الطبيب ونظف جذع الصبي بالكحول، علموا أن مصدر الدم لم يكن عميقًا — كان الجرح مجرد قطع بعمق بوصتين تقريبًا في كتفه الأيسر. كاف ليسبب ألمًا مبرحًا لكن ليس للقتل. عمل التراب كمادة قابضة، موقفًا تيارًا من الدم كان سيقتله لولا ذلك.

قال الطبيب:

— "أمسكوه بإحكام."

نزع سدادة زجاجة نبيذ الأرز وسكبها فوق الجرح.

انتفض الصبي مستيقظًا، يهلوس من الألم. رفت عيناه مفتوحتين وتجمدتا على رين.

قالت وهي تثبت ذراعيه ضد الأرض:

– "أنت بخير. أنت حي. كن شجاعًا."

جحظت عيناه. نبض عرق في فكه المطبق بينما كان يتلوى تحت أيديهم، لكنه لم يصرخ ولو لمرة واحدة.

لم يكن بإمكانه النجاة هنا لأكثر من بضعة أيام. العدوى، ونقص الماء، كانا سيقتلانه لو طالت المدة عن ذلك. هذا يعني أن حقول القتل كانت حديثة. "الموغين" ذبحوهم قبل أيام فقط من وصول الجيش الجنوبي.

حاولت رين استيعاب ما يعنيه ذلك.

لماذا ترتكب مذبحة جماعية في بلدة قبل وصول جيش آخر مباشرة؟ لجعل نصر رين أجوف؟ لبصق السم في وجه جيش يعرفون أنهم لا يستطيعون هزيمته؟ لترك رسالة أخيرة وقاسية؟

لا. يا إلهي، لا، أرجوك، لا يمكن أن تكون تلك هي الحقيقة.

لكنها لم تستطع التفكير في أي منطق آخر. اندفع الدم إلى صدغيها وهي تشاهد عيني الصبي تنقلبان إلى مؤخرة رأسه. كانت خائفة من الوقوف؛ ظنت أنها هي أيضًا قد يغمى عليها.

أنتِ فعلت هذا، سخرت حقول الدفن. أنتِ جعلتنا نقتلهم. كنا سنترك هذه البلدة وشأنَها ما لَم تأتِ، لكنكِ جئتِ، لذا كل هذا خطؤكِ.

***

أرسلت رين جنودها عائدين إلى البلدة قبلها. تخلفت هي في الخلف، تنتظر غروب الشمس. أرادت بضع دقائق من الصمت. أرادت الوقوف وحيدة مع القبور.

قال كيتاي:

– "لم يبقَ شيء حي هنا. لنذهب."

قالت:

– "اذهب أنت. سأكون خلفك مباشرة."

توقف في خطواته وسأل:
– "هل سيشعركِ هذا بتحسن؟"
لم يسهب في الشرح، لكنها عرفت ما يعنيه.
– "لا تلمح إلى ذلك."
أصر قائلًا:
– "لكنني محق. إنه يجعل الأمر أسهل."
لم تستطع إنكار ذلك. كان يعرف ما لا تستطيع الاعتراف به بصوت عالٍ؛ كان يقرأ عقلها ككتاب مفتوح.
قالت:
– "أرجوك. فقط دعني أحصل على هذا. أرجوك اذهب فقط."
كان يعرف أفضل من أن يجادل. أومأ برأسه، وضغط على يدها، وغادر مع الآخرين.
كان كيتاي محقًا. كان يعرف أي نوع من الغفران تطلبه من حقول القتل. كان يعلم أنها بحاجة للبقاء لأنه إذا كوت مشهد ما فعله "الموغين" في عينيها، إذا تنفست رائحة الجثث نصف المتعفنة، إذا ذكرت نفسها لماذا لديها سبب للكراهية والاستمرار في الكراهية، فسيصبح من الأسهل التصالح مع ما فعلته بجزيرة القوس الطويل.
لم يكن يهم كم بدت صرخات صبية "الموغين" المحتضرين حادة في أحلامها. كانوا لا يزالون وحوشًا، أشياء بلا قلب تستحق كل ما فعلته وستفعله بهم.
كان يجب أن تكون هذه حقيقتها، وإلا ستتحطم.
لم تكن تعرف كم من الوقت وقفت هناك. لكن حين تحركت أخيرًا للعودة إلى المعسكر، كانت الشمس قد اختفت تمامًا، وحفرت القبور المكشوفة انطباعًا عميقًا في عقلها لدرجة أن كل تفصيل سيبقى إلى الأبد. ترتيب العظام.

كيف تنحني وتتقوس حول بعضها البعض. كيف لمعت تحت آخر أشعة الشمس المحتضرة.

أكد لها ألتان: لن تنسي. لن أدعكِ.

ضغطت على عينيها لتغلقهما، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم استدارت عائدة نحو القرية.

خطت خطوتين قبل أن تتجمد. شيء ما أوقفها. ضيقت عينيها نحو الأشجار. نعم — كانت هناك، ومضة الحركة التي لفتت انتباهها في المرة الأولى. شخص ما كان يركض إلى الغابة.

غرزت رين كعبيها في الأرض وانطلقت للمطاردة.

— "توقف!"

اندفعت عبر الأشجار، وذراعاها مضاءتان بالنار، تلقيان ضوءًا حارًا على الظلام من حولها.

ثم تعثرت وتوقفت. هدفها توقف — لم يكن جنديًا أو جاسوسًا بل طفلة صغيرة، جاثمة في قاع وادٍ ضحل، ذراعاها ملتفتان حول ساقيها ورأسها مطأطأ لأسفل بينما تتحرك شفتاها كأنها تعد أرقامًا.

أحدهم علمها فعل ذلك. أحدهم دربها عليه. رين لُقنت الدرس ذاته حين كانت طفلة صغيرة — إذا طاردوك، وإذا لم تستطيعي التفوق عليهم في الجري، فجدي مكانًا للاختباء وعُدي حتى يرحلوا.

قالت رين وهي تقترب ببطء، مادة ذراعيها، وأصابع يدها اليسرى منفرجة في ما أملت أن تكون إيماءة غير تهديدية:

— "هييه. لا بأس."

هزت الفتاة رأسها واستمرت في العد، وعيناها معتصرتان بقوة كأنها إن لم ترَ رين، قد تختفي رين.

قالت رين وهي تمد أحرف العلة، محاولة استنساخ لهجة فقدتها منذ زمن:

— "أنا لست موغينية. أنا من الديكة. واحدة منكم."

فتحت الفتاة عينيها. وببطء رفعت رأسها.
اقتربت رين أكثر:
— "هل أنتِ وحدك؟"
هزت الفتاة رأسها.
— "كم عددكم؟"
همست الفتاة:
— "ثلاثة."
رأت رين زوجًا آخر من العيون في الظلام، واسعتين ومرعوبتين. اختفتا خلف شجرة بمجرد أن ضبطتهما تنظران إليها.
سحبت حلقة أكبر من النار بسرعة في الهواء حولها، تكفي فقط لإضاءة الفسحة. كشفت عن فتاتين صغيرتين هزيلتين تحدقان إليها بذهول عارٍ. بدت عيونهما ضخمة في وجهيهما المجوفين.
حطمت خطوات صاخبة سكون الشجيرات:
— "ماذا تفعلين؟"
استدارت رين. شخصية ثالثة — أم الفتاتين، أو أخت كبرى، لم تستطع التمييز — اندفعت إلى الفسحة ومدت يدها لمعصمي الفتاتين، تسحبهما بعيداً عن رين.
هزت المرأة الفتاة الأطول من كتفيها وصرخت:
— "هل جننتِ؟ بماذا كنتِ تفكرين؟"
قالت الفتاة:
— "كانت ترتدي النار. أردت أن أنظر."
قالت رين بسرعة:
— "أنتم لستم في خطر. أنا نيكارية، أنا من تيكاني. أنا من الديكة. أنا هنا لحمايتكم."

لكنها عرفت بالفعل أنها ليست بحاجة للشرح. اتسعت عينا المرأة بالتعرف، وبدا أنها أدركت، لأول مرة، أن النيران التي تضيء الفسحة لم تأتِ من مشعل بل من جلد رين.

تحدثت المرأة بصوت هامس:

— "أنتِ السيبرية."

— "نعم."

تحرك فمها لبضع ثوان قبل أن تخرج الكلمات:

— "إذن هل أنتِ... هل هم..."

— "نعم. لقد رحلوا."

— "حقًا؟"

— "نعم. كلهم ماتوا. أنتم في أمان."

لم ترَ أي فرح على وجه المرأة، فقط عدم تصديق صارخ ومذهول. عند إمعان النظر، لم تكن المرأة كبيرة في السن كما ظنت رين. كانت هزيلة وقذرة للغاية، لكن تحت طبقة سميكة من الأوساخ كان وجه شخص لا يكبرها بكثير.

سألتها رين:

— "ماذا تفعلون في الغابة؟"

قالت المرأة:

— "هربنا. بمجرد أن سمعنا أن الموغين قادمون. كنت قد سمعت ما يفعلونه بنساء النيكان. لم أكن لأسمح... أعني، لم يكونوا..."

— "هل هن أخواتك؟"

— "لا. مجرد فتاتين كانتا تعيشان في زقاقي. حاولت إقناع المزيد بالمجيء معي. رفضوا المغادرة."

قالت رين:

— "كنتِ حكيمة في الذهاب. كيف نجوتم طوال هذا الوقت؟"

ترددت المرأة. استطاعت رين قراءة الكذبة وهي تتشكل خلف عينيها. كان لدى المرأة إجابة، لكنها لم تكن متأكدة مما إذا كان يجب أن تنطقها.

قالت الفتاة الصغيرة بصوت عالٍ:

— "السيدة في الكوخ."

تشنج وجه المرأة، مما يعني أن الفتاة قالت الحقيقة.

سألت رين:

— "أي سيدة؟"

قالت الفتاة:

— "إنها تحمينا. إنها تعرف أشياء. تخبرنا متى نختبئ وأي الجذور يمكننا أكلها وأين ننصب الفخاخ للطيور. قالت إنه طالما أطعناها، سنكون في أمان."

قالت رين:

— "إذن كان ينبغي لها أن تأخذكم بعيداً جداً عن هذا المكان."

— "لا تستطيع. لن تغادر هنا."

شعرت رين بشك مفاجئ وحارق حول هوية هذه السيدة.

سألت:

— "ولماذا لا تستطيع المغادرة؟"

قالت المرأة للفتاة:

— "صه."

لكن الفتاة واصلت الحديث:

— "لأنها تقول إنها فقدت ابنتها في قصر حاكم التنين، وهي تنتظر عودتها."

امتلأ فم رين بطعم الدم. تهاوت ركبتاها.

ماذا تفعل هنا؟

وضعت المرأة يداً مترددة على مرفق رين.

– "هل... هل أنتِ بخير؟"

تمتمت رين، والكلمات تبدو ثقيلة وطعمها نحاسي على لسانها:

– "إنها هنا. خذيني إليها."

كان عليها الذهاب. لم يكن لديها خيار. كانت ذبابة عالقة في شبكة عنكبوت؛ كانت فأرًا منومًا يزحف مباشرة إلى فكي أفعى. لم تستطع الابتعاد الآن، ليس قبل أن تعرف ماذا تريد سو داجي.

الفصل الثامن

سارت رين خلف الفتيات عبر مسار متعرج يوغل في قلب الغابة. لم يقو ضوء القمر على اختراق الظلة الشجرية العليا؛ فبدت الأشجار وكأنها تضيق بتهديدات تفح وتطن وتتربص خفية في الظلال. أبقت رين شعلة صغيرة متقدة في راحة يدها لتنير لها الدرب كمصباح، لكن كثافة الأشجار التي تلوح في الأفق جعلتها تخشى تكبير شعلتها خشية أن تضرم النار في المكان بأسره.

حاولت جاهدة أن تأمر قلبها المتسارع بالهدوء. لم تكن طفلة صغيرة مذعورة. ولم تكن تخاف الظلام.

لكنها لم تستطع قمع الرعب مما يكمن بالداخل.

قالت المرأة:

— "من هنا."

خفضت رين رأسها تحت كتلة من الأوراق وشقت طريقها عبر الأحراش، جافلة بينما تخدش الأغصان الشائكة ركبتيها.

ما الذي أفعله بحق الجحيم؟

لو كان كيتاي هنا، لنعتها بالحمقاء. ولاقترح عليها حرق الغابة بأكملها والانتهاء من الأمر، وليذهب التريفيكتا إلى الجحيم. بدلًا من ذلك، كانت رين تسير مباشرة إلى عرين داجي كفريسة مذهولة واقعة تحت التنويم. كانت تتعثر في خطاها نحو المرأة التي لم تدخر جهدًا، طوال الجزء الأكبر من العام الماضي، في محاولة تعذيبها، أو أسرها، أو التلاعب بها.

لكن داجي لم ترغب في قتلها. لم تفعل ذلك من قبل، ولا تفعل ذلك الآن. كانت رين واثقة من ذلك. لو أرادت داجي موت رين، لقتلتها عند سفح المنحدرات الحمراء. لكانت غرزت شظية معدنية عميقًا في شرايين رين وراقبت، بابتسامة، دماءها وهي تنزف حتى الموت على الرمال عند قدميها.

لم تنجُ رين من المنحدرات الحمراء إلا بتخطيط من داجي. لا تزال "الأفعى" بحاجة لشيء منها، وكان على رين —على الأقل— اكتشاف ماهية هذا الشيء.

قالت المرأة:

— "لقد وصلنا."

بشيء من الحذر، وسعت رين شعلتها لتكشف ما حولهم. توقفوا أمام كوخ صغير مشيد من أغصان الشجر والكروم وجلود الغزلان. لم يكن الداخل ليتسع لأكثر من شخصين.

نادت المرأة باتجاه الكوخ:

— "سيدتي، لقد عدنا."

انبعث صوت واهن ومرتجف من الداخل:

— "أسمع أربعة أزواج من الخطوات. ماذا أحضرتم لي؟"

قالت رين:

— "زائرة."

صمت قصير، ثم جاء الرد:

— "ادخلي وحدك."

جثت رين على ركبتيها وزحفت إلى داخل الكوخ.

جلست إمبراطورة نيكان السابقة متدثرة بالظلام. ولت أثوابها ومجوهراتها، وبدت منتنة وقذرة، ملفوفة بأسمال بالية تكلست بالأوساخ لدرجة أن رين لم تستطع تمييز لونها الأصلي. فقد شعرها بريقه؛ واختفى ذلك اللمعان الآسر من عينيها. بدت وكأنها شاخت عشرين عامًا في غضون أشهر. لم يكن هذا مجرد

ضريبة الحرب، ولا ضغط الكفاح من أجل البقاء بينما تتداعى أمة بأكملها. ثمة شيء خارق للطبيعة نخر في محيا داجي، ومزق جمالها بوحشية بطريقة لا يستطيع الزمن ولا المشقة فعلها.

للحظة، حدقت رين في صدمة، تتساءل عما إذا كانت مخطئة في النهاية؛ وإن كانت هذه ليست "الأفعى" الماثلة أمامها بل مجرد عجوز شمطاء في الغابة.

لكن داجي ثبتت عينها السليمة على رين، وتقوست شفتاها المتشققتان في تلك الابتسامة المألوفة أكثر من اللازم.

قالت داجي:

— "استغرقتِ وقتًا طويلًا."

اندفع الدم إلى رأس رين، وقرع الطبول في أذنيها. التفتت بصرها نحو مدخل الكوخ، حيث وقفت الفتيات بالخارج ينتظرن.

أمرت رين:

— "اتركونا."

لم تتزحزح الفتيات. نظرن إلى داجي، في انتظار أمرها.

قالت لهن داجي:

— "اذهبن. عدن إلى القرية. اركضن."

تفرقت الفتيات في الحال.

في اللحظة التي غادرن فيها، انتزعت رين سكينًا من حزامها وضغطت نصله على اللحم الرخو أسفل ذقن داجي.

— "اكسري الختم."

ضحكت داجي فحسب، وعنقها الأبيض ينبض بوضوح قبالة نصل السكين.

— "لن تقتليني."

— "أقسم بالآلهة أنني..."

– "لكنتِ فعلتِ ذلك بالفعل."

أبعدت داجي السكين كما قد تبعد قطة صغيرة ذبابة مزعجة.

تابعت قائلة:

– "كفى تمثيلًا. أنتِ تحتاجينني حية."

أبقت رين السكين ثابتة.

– "اكسري الختم."

نبضت رؤيتها باللون الأحمر. كان عليها التركيز لمنع يدها من الانزلاق، ومن جرح الجلد عن طريق الخطأ. لقد أمضت ساعات طوال تتخيل ما ستفعله إذا وجدت داجي تحت رحمتها يومًا. إذا تمكنت من إجبار داجي على إزالة الحاجز عن عقلها، فلن تضطر للاعتماد على كيتاي مرة أخرى. لن تستيقظ مجددًا في منتصف الليل، وفمها جاف من الكوابيس، ورأسها يسبح برؤى موته. لن تضطر أبدًا لرؤية الدليل على مقدار ما تؤذيه —الشحوب الشبحي الذي يكسو وجهه، والعلامات الهلالية المحفورة في كفه— في كل مرة تستدعي فيها النار.

أمالت داجي رأسها للخلف، تتأملها بابتسامة كسولة ومستمتعة.

– "إنه يقتلكِ، أليس كذلك؟ هل يعاني؟"

– "اكسري الختم. لن أطلب ذلك مرة أخرى."

– "ماذا، لم تستطع (سورقان سيرا) فعل ذلك؟"

زمجرت رين:

– "تعلمين أنها لم تستطع. أنتِ من وضعته، إنه وسمكِ، وأنتِ الوحيدة القادرة على إزالته."

هزت داجي كتفيها.

– "يا للأسف."

ضغطت رين بالنصل بقوة أكبر على جلد داجي. كم من القوة يلزمها لتدفع حتى يسيل الدم؟ ربما لا ينبغي لها أن تستهدف الرقبة —سيكون من السهل جداً

إصابة شريان، وحينها ستنزف داجي حتى الموت قبل أن تفعل أي شيء مفيد.
حركت الطرف الحاد اللامع لأسفل نحو عظمة الترقوة.

— "ربما بعض النقوش ستقنعك. أي جانب تفضلين؟"

تظاهرت داجي بالتثاؤب.

— "التعذيب لن يفيدك."

— "لا تظني أنني لن أفعلها."

— "أعرف أنكِ لن تفعلي. أنتِ لستِ ألتان."

— "لا تختبري صبري اللعين."

أرسلت رين خيطًا من النار يتقوس أسفل حافة النصل، ساخنًا بما يكفي للحرق فقط.

— "لن أعيش حياتي كلها كوحش مقيد بمقود."

راقبتها داجي للحظة طويلة. أزّ المعدن المتوهج ضد عظمة ترقوتها، حارقًا علامات داكنة في لحمها، ومع ذلك لم تجفل داجي. رفعت يديها أخيرًا في استجداء.

— "أنا لا أعرف كيف."

— "أنتِ تكذبين."

— "يا عزيزتي، أقسم لكِ أنني لا أستطيع."

— "لكنكِ..."

لم تستطع رين منع صوتها من التهجدج.

— "لماذا لا؟"

رمقتها داجي بنظرة ملؤها الشفقة.

— "أوه، رونين. ألا تظنين أنني حاولت؟ أتعتقدين أنني لم أكن أحاول منذ ولادتك؟"

لم تكن تسخر من رين حينها. لم يكن هناك أثر للتعالي في صوتها. كان هذا اعترافًا صادقًا —ذلك الحزن في صوتها كشف عن ضعف حقيقي.

تمنت رين بشدة لو كانت داجي تسخر منها.

همست داجي:

— "سأفعل أي شيء لكسر ذلك الختم. أحاول كسره منذ عقود."

لم تكن تقصد الختم الذي وضعته على رين. بل كانت تتحدث عن ختمها هي.

خفضت رين السكين. وانحسرت نيرانها.

— "إذًا لماذا فعلتِ ذلك؟"

— "كنتِ تحاولين قتلي، يا عزيزتي."

— "لا أتحدث عني. بل عنهم."

— "لم أكن أرغب في ذلك. لكنني ظننت أنهم سيقتلون بعضهم البعض. ولم أرغب في الموت."

التقت عيناها بعيني رين.

— "بالتأكيد أنتِ تتفهمين ذلك."

فهمت رين.

لم تكن تعرف القصة الكاملة —لا أحد سوى (جيانغ) وداجي يعرف القصة الكاملة، وكلاهما أخفاها عنها لأسباب قد لا تعرفها أبدًا— لكنها عرفت ما يكفي. ذات مرة، لعنت داجي العضوين الآخرين في التريفيكتا، إمبراطور التنين وحارس البوابة، بختم كبح قواهم جميعًا. ولم تستطع إزالته. قتال واحد، قتال غامض واحد قبل عقدين من الزمان لأسباب لم يفهمها أحد في الإمبراطورية، وتحولت التريفيكتا إلى لا شيء، لأن داجي لم تستطع إزالته.

واحد سيموت، قالت الفتاة الكيتيريدية (تسيفيري)، قبل لحظات من انتزاع التريفيكتا قلبها من صدرها. وواحد سيحكم، وواحد سينام إلى الأبد.

في النهاية، نالت تسيفيري انتقامها.

تراخت رين جالسة على عقبيها. فجأة، نضب كل دافع للقتال من جسدها. كان ينبغي أن تكون غاضبة. أرادت أن تكون غاضبة، أرادت ببساطة أن تطيح برأس داجي في نوبة غضب طائشة. لكن كل ما استطاعت الشعور به، وهي تنظر إلى هذا المخلوق العجوز واليائس، هو شفقة مريرة ومنهكة.

— "يجب أن أقتلكِ."

سقطت السكين من يدها.

— "لماذا لا أستطيع قتلكِ؟"

قالت داجي بصوت خافت:

— "لأنك لا تزالين بحاجة إليّ."

— "لماذا جئتِ إلى هنا؟"

— "لأنتظركِ. بالطبع."

مدت داجي يدها ولمست وجنة رين بإصبعين. لم تجفل رين. لم تكن الحركة قاسية، ولا متعالية. بدت، بشكل غريب، كمحاولة للمواساة.

— "كنت أعني ما قلته في (لوسان). أتمنى لو تدعينني أساعدك. لم يتبق منا سوى القليل."

— "ولكن كيف..."

— "كيف عرفتُ أنك ستأتين إلى تيكاني؟"

تنهدت داجي ضاحكة بخفوت.

— "لأنكم أيها السبيريون جميعكم متشابهون. أنتم مقيدون بجذوركم، هي ما تعرفكم. ظننتِ أنه يمكنك إعادة اختراع نفسك تمامًا في سينغارد وقتل الفتاة التي كنتِ عليها. لكنكِ لا تملكين إلا الانجراف عائدة إلى المكان الذي جئتِ منه. السبيريون هكذا. أَنتم تنتمون إلى القبيلة."

قالت رين:

— "قبيلتي ماتت. هذه ليست قبيلتي."

لويت شفتا داجي في ابتسامة مشفقة.

– "أوه، أنت تعلمين أن هذا ليس صحيحًا. أنتِ الجنوب الآن. إقليم الديك جزء من أسطورة تأسيسك. أنتِ بحاجة لأن يكون كذلك. لم يعد لديك أي شيء آخر."

***

قال كيتاي:

– "هذا جنون."

قالت رين:

– "حسنًا، لا يمكننا وضعها في أي مكان آخر."

لوح كيتاي بيديه، مشيرًا بجموح حول مكتب الجنرال.

– "إذًا ستبقينها هنا؟ نحن ننام هنا!"

– "إذًا ستنام في غرفة أخرى..."

– "أنتِ تعلمين أن هذا ليس ما عنيته بحق الجحيم. هل ستخبرين سوجي؟ جودين؟"

– "بالتأكيد لا، ولا ينبغي لك أنت أيضًا..."

سألت داجي من المدخل:

– "أهذا هو المرساة؟"

جالت عيناها فوق كيتاي، تشربت مرآه وكأنه قطعة فريسة شهية بشكل خاص.

– "هل تنامين معه؟"

جفل كيتاي بوضوح. حدقت رين في داجي، مذهولة للحظة عن الرد.

– "أنا... ماذا؟"

– "يجب أن تجربي ذلك في وقت ما. الرابطة تجعل الأمر مميزًا للغاية."

تقدمت داجي خطوة للأمام، وشفتاها تلتويان بينما واصلت فحص كيتاي.

— "آه، أنا أتذكرك. من الأكاديمية. طالب (إيرجاه). أنت فتى ذكي."

تحركت يد كيتاي نحو حزامه حيث سكينته.

— "اقتربي خطوة واحدة وسأقتلك."

قالت رين بسرعة:

— "إنها ليست عدوتنا. إنها تريد مساعدتنا..."

نبخ ضاحكًا بحدة.

— "هل فقدتِ عقلك؟"

— "لن تؤذينا. لو أرادت إيذائي لفعلت ذلك في المنحدرات الحمراء. لقد تغير ميزان القوى الآن، ليس لديها سبب لـ..."

قال كيتاي ببطء:

— "تلك العاهرة هي السبب في موت والدي."

تلعثمت رين.

قالت داجي:

— "أنا آسفة جدًا."

بشكل غريب، بدت كذلك —كانت عيناها جادتين، واختفى الالتواء الساخر من شفتيها.

— "الوزير (تشن) كان خادمًا مخلصًا. تمنيت لو لم تأخذه الحرب."

بدا كيتاي مذهولًا لأنها تجرأت حتى على مخاطبته.

— "أنتِ وحش."

قالت داجي:

— "لقد قضيت ثلاث سنوات أعيش مع (الكيتيريديين) وأعرف عن البانثيون أكثر مما يعرفه أي منكما بكثير. أنا الوحيدة التي خاضت حربًا ضد الهسبيريين، أو ضد يين فايسرا، في هذا الصدد. أنتم بحاجة إليّ إذا أردتم أي

فرصة للنجاة مما هو قادم، لذا من الأفضل أن تتوقف عن إطلاق التهديدات، أيها الفتى الصغير. هل هذه أفضل استخبارات تملكونها؟"

استدارت داجي فجأة نحو مكتب كيتاي وبدأت تقلب في خرائطه المعلمة بعناية. تحرك كيتاي لإيقافها، لكن رين سدت طريقه.

تمتمت:

– "فقط استمع إليها."

– "أستمع إليها؟ نحن أفضل حالًا بقطع رأسها!"

– "فقط استمع. وإذا كان كلامها مجرد هراء، فسنخبر القرويين بحقيقتها وندعهم ينفذون عدالتهم. يمكنك توجيه الضربة الأولى."

– "أفضل توجيهها الآن."

رفعت داجي بصرها عن المكتب.

– "أنتم ستخسرون."

صاح كيتاي بحدة:

– "هل سألك أحد؟"

نقرّت داجي بأظافرها على الخرائط.

– "من الواضح جداً كيف سيسير هذا. قد تهزمون (الموغين). لم تنتهوا من هذه الحملة بعد، كما تعلمون –تحتاجون لمطاردتهم جنوبًا لمنع إعادة التجمع. لكن لديكم زخم الآن. دربوا ذلك الجيش الفلاحي الصغير جيداً، ومن المحتمل أن تفوزوا. لكن في اللحظة التي تتجه فيها الجمهورية جنوبًا، سيطحنكم فايسرا ويحولكم إلى غبار."

تغيرت نبرة داجي بشكل جذري وهي تتحدث. اختفت الرعشة الواهنة، رعشة الجدة العجوز، وتعمقت طبقة صوتها. رنت كلماتها واضحة، حادة، وواثقة. بدت كما كانت عليه سابقًا. بدت وكأنها حاكم.

قال كيتاي:

– "لقد أبلينا بلاءً حسنًا بما فيه الكفاية بمفردنا."

نخرت داجي ساخرة.

— "بالكاد نجوتم على جبهة واحدة. أنتم لم تحرروا تيكاني، بل احتللتم مقبرة. وليس لديكم أي دفاعات ضد الجمهورية على الإطلاق. هل ظننتم أنهم نسوكم؟ بمجرد أن تنظفوا الاتحاد من أجلهم، سيضربون، بقوة وسرعة، ولن تعرفوا ما الذي أصابكم."

قال كيتاي:

— "جيشنا قوامه الآلاف وهو في ازدياد."

— "ألم يكن من المفترض أن تكون أنت الذكي؟ ضد المناطيد وبنادق الأركبوس، ستحتاجون إلى خمسة أضعاف أعدادكم الحالية."

قوست داجي حاجبًا.

— "أو تحتاجون إلى شامانات."

قلب كيتاي عينيه.

— "لدينا شامان."

لوحت داجي بيدها بزدراء تجاه كيتاي.

— "رونين الصغيرة جندي واحد بمدى قتالي محدود ونقطة ضعف واضحة للغاية. ولا يمكنك الاختباء في كل معركة، يا عزيزتي. ما لم تطلق رين العنان لكارثة بحجم ما فعلته بالاتحاد، فأنتم لستم ندًا لـ يين فايسرا وجيشه."

قالت رين:

— "لقد دفنت إلهًا. يمكنني التعامل مع المناطيد."

ضحكت داجي.

— "أؤكد لكِ، لا يمكنكِ. لم تري قط أسطولًا كاملًا من المناطيد أثناء العمل. أنا رأيت. مَركباتهم القتالية خفيفة ورشيقة كالطيور. قد يكونون يستدعون آلهة خاصة بهم أيضًا. قد تستدعين النار، لكنهم سيدفنونكِ تحت الصواريخ."

صفعت كفها على الخرائط.

— "أنتم أقل عددًا وقوة بشكل مريع، وعليكم اتخاذ خطوات لتصحيح ذلك الآن."

استطاعت رين رؤية تعبير كيتاي يتحول من السخط إلى الفضول. لقد فهم منطق داجي —غاضبًا كما كان، كان أذكى من أن يرفض الحقيقة عندما يراها. وأدرك تمامًا كما أدركت هي أن داجي، لسوء الحظ، لديها وجهة نظر.

السؤال هو ماذا يفعلون حيال ذلك.

عرفت رين إجابتها. رأت داجي تراقبها بترقب، في انتظار أن تنطق باستنتاجها.

قالت:

— "نحن بحاجة إلى المزيد من الشامانات."

— "صحيح، يا عزيزتي. تحتاجون إلى جيش منهم."

كانت هذا العبارة عبثية لدرجة أن رين وكيتاي، للحظة، لم يسعهما إلا التحديق فيها فاغري الأفواه. لكن في الوقت الذي كان كيتاي يصيغ فيه اعتراضات —وعرفت رين أنه لن يكون لديه سوى اعتراضات، استطاعت بالفعل معرفة ذلك من تعبيره— كانت رين تحاول تخيل عالم قد ينجح فيه هذا الأمر.

تمتمت رين:

— "هذا ما أراده ألتان. أراد ألتان دائمًا تحرير (تشولو كوريك)، أراد جيشًا من المجانين..."

قالت داجي بزدراء:

— "ألتان كان أحمقًا. لا يمكنك إعادة شخص ذهب إلى الجبل الحجري. عقولهم محطمة."

— "إذًا كيف..."

— "هيا، يا رونين. هذا سهل. ببساطة، دربوا جددًا."

قالت رين بضعف:
– "لكن ليس لدينا الوقت."
لأن هذا، من بين جميع الاعتراضات الممكنة، بدا الأسهل للشرح.
هزت داجي كتفيها.
– "إذًا كم من الوقت تحتاجين؟"
قال كيتاي بنبرة يائسة للجدار:
– "هذه المحادثة لا تحدث. هذا لا يحدث حقًا."
قالت رين:
– "استغرق الأمر مني سنوات لإدراك أن البانثيون موجود. ونحن بالكاد لدينا أسابيع، لا يمكننا..."
قالت داجي:
– "كان الأمر سيستغرق منكِ أسابيع لو لم يكن (جيانغ) مصممًا جدًا على طرد العنقاء من عقلك. ونصف مشكلتك كانت تآكل أفكارك المسبقة عن العالم. عقلك لم يسمح باحتمالية الشامانية. تلك الافتراضات محطمة الآن. يدرك شعب نيكان أن هذا عالم تمشي فيه الآلهة داخل البشر. لقد رأوكِ تحترقين. إنهم مؤمنون حقيقيون بالفعل."
مدت داجي إصبعًا شاحبًا ونحيلًا ونقرت على جبهة رين.
– "وكل ما عليك فعله هو منحهم القناة للوصول."
– "تريدين منا تكوين جيش من أشخاص مثلي تمامًا."
عرفت رين أنها تبدو حمقاء وهي تكرر نقطة تم توضيحها مرارًا وتكرارًا، لكن كان عليها قولها بصوت عالٍ لتبدو حقيقية.
تفهمت عدم تصديق كيتاي. هذا الحل كان مروعًا. كان هذا غير إنساني، وغير مسؤول بشكل شنيع لدرجة أنها طوال الأشهر التي قضتها هاربة من

الهسبيريين، لم تفكر فيه بجدية ولو لمرة واحدة. لقد عبر ذهنها، بالتأكيد، لكنها دائمًا ما رفضته في غضون ثوانٍ، لأن...

لأن ماذا؟

لأنه خطير؟ كل خيار على الطاولة كان خطيرًا. لقد فتحوا بوابات الطوفان الآن؛ البلاد بأكملها في حرب مفتوحة بين ثلاثة فصائل، واحدة منها تحكم السماء وتمتلك القوة لتحويل الأرض إلى رماد في ثوانٍ، وإذا لم تصحح رين عدم تماثل القوة هذا بطريقة ما، وقريبًا، فقد تسلم نفسها لنزهة في نعش.

لأن هذا وحشي؟ لكنهم كانوا في مرحلة من الحرب حيث سيكون كل خيار وحشيًا، والسؤال الوحيد الآن هو أي خيار يبقيهم على قيد الحياة.

قالت داجي:

— "هذا بسيط جدًا، يا أطفال. أعيدوا الدين إلى هذه البلاد. أظهروا للهسبيريين حقيقة الآلهة."

لم تكن تتحدث إلى كيتاي بعد الآن. كان كيتاي كما لو لم يكن في الغرفة؛ لم يعترف أي منهما باعتراض واحد من اعتراضاته. تحدثت داجي مباشرة إلى رين، من شامان إلى شامان.

سألت داجي:

— "هل تعلمين ما مشكلتك؟ لقد كنتِ تقاتلين في هذه الحرب بأكملها في موقف دفاعي. ما زلتِ تفكرين كشخص هارب. لكن حان الوقت لتبدئي التفكير كحاكم."

***

قال كيتاي:

— "أنتِ لا تفكرين في هذا بجدية."

كانت داجي قد ذهبت، ونفيت إلى غرفة ركنية في المجمع مع حاشية من الحراس. كان هذا الاحتياط خدعة إلى حد كبير—لم يكن لدى رين أدنى شك

في أن داجي يمكنها إسقاط سرب كامل إذا أرادت— لكن الحراس كانوا مجهزين بأبواق إشارة. إذا حدث أي شيء، فعلى الأقل يمكنهم إطلاق إنذار.

بقيت رين في المكتب مع كيتاي. شعر رأسها بالدوار، يسبح باحتمالات لم تفكر فيها من قبل. مرت عدة دقائق في صمت. غرق كيتاي في نوع من الذهول الغاضب والصامت؛ راقبته رين بحذر، خائفة أن ينفجر.

سألته:

— "أنت لا تفكر في الأمر حتى؟"

— "أنتِ تمزحين."

— "قد تكون داجي محقة. سيعيد ذلك توازن الأمور..."

— "هل تسخرين مني؟ بجدية يا رين؟ إنها تتلاعب بكِ، هذا ما تفعله، وأنتِ فقط تأكلين الهراء مباشرة من يدها."

افترضت رين أن ذلك ممكن. قد تحاول داجي تدبير دمارها، وستكون هذه الطريقة الأكثر سادية للقيام بذلك. لكنها رأت النظرة على وجه داجي عندما تحدثت عن الهسبيريين. رأت لمحة من فتاة ليست أكبر منها بكثير، فتاة تملك قوة أكثر مما تعرف ماذا تفعل بها، فتاة استعادت لتوها بلدها وكانت مرعوبة من أن يُنتزع منها مرة أخرى.

قالت رين:

— "لقد تغيرت المخاطر. إنها ليست الإمبراطورة بعد الآن. إنها تحتاجنا تمامًا كما نحتاجها."

طوى كيتاي ذراعيه فوق صدره.

— "أظنكِ مسحورة."

— "ما الذي يعنيه هذا؟"

– "أعني أن للأفعى تأثير غريب عليكِ—لا يا رين، لا تنكري، تعلمين أن هذا صحيح. أنتِ لا تتصرفين بعقلانية حولها، لا تفعلين ذلك أبدًا. تبالغين دائمًا في رد الفعل، تفعلين عكس ما هو حكيم..."

– "ماذا؟ لا، أنا لا..."

– "ماذا عن (لوسان)؟ المنحدرات الحمراء؟ مرتين الآن أتيحت لكِ الفرصة لقتلها ولم تفعلي. لماذا يا رين؟"

– "كنت سأفعل! لكنها غلبتني..."

– "هل فعلت؟ أم أنكِ سمحتِ لها؟"

أصبح صوت كيتاي هادئًا بغضب، بشكل خطير. كرهت رين هذا؛ كانت تفضل لو صرخ.

– "تجعل الأفعى منكِ تفعلين هراءً لا معنى له، ولا أعرف ما إذا كان ذلك لأنها لا تزال تنومكِ مغناطيسيًا، أو إذا كان شيئًا آخر، لكن عليكِ ترتيب عقلك. أنتِ تفكرين بالضبط كما تريدك داجي أن تفكري. لقد أغوتكِ، وأنا أعرف أنكِ لستِ غبية جدًا لدرجة عدم إدراك ذلك."

رمشت رين. هل كان محقًا؟ هل تركت داجي أثر سم على عقلها؟ هل كانت تنوم رين عبر الختم؟

وقفت صامتة للحظة، تحاول التفكير في هذا بهدوء. بموضوعية. نعم—إذا كانت صادقة مع نفسها، كان لداجي تأثير غريب وضخم على نفسيتها. عندما كانت حول الأفعى كانت تجد صعوبة في التنفس. اهتزت أطرافها، وحرقت نيرانها، وارتجفت من الرغبة في خنقها، في قتلها، أو...

أو أن تكون مثلها.

كان هذا هو الأمر. أرادت رين ما تملكه داجي. أرادت ثقتها السهلة، وسلطتها الهادئة. أرادت قوتها.

قالت:

– "لا يمكنك إنكار أن داجي محقة بشأن شيء واحد. الجبهة الجنوبية إلهاء. مشكلتنا الكبرى الآن هي كيف سنتعامل مع نزهة."

تنهد كيتاي.

– "عن طريق إنشاء جيش من أشخاص مثلك؟"

– "هل هذا خطأ فادح؟"

وجدت رين صعوبة متزايدة في التوصل إلى اعتراض وجيه. كانت داجي قد قدمت الفكرة كجوهرة متلألئة، والآن لم تستطع التوقف عن تقليبها مرارًا وتكرارًا في ذهنها، مجترة الاحتمالات.

تخيلي جيشًا من الشامانات، همس صوت هادئ في عقلها. صوت ألتان. تخيلي قوة النيران الهائلة. تخيلي عودة فرقة (السيك). تخيلي الحصول على فرصة ثانية.

قالت:

– "يجب علينا على الأقل مناقشة هذا."

قال كيتاي بحزم:

– "لا. نحن نستبعد هذا، الآن وإلى الأبد."

– "ولكن لماذا..."

– "لأنكِ لا تستطيعين فعل هذا بالبشر." انفجر فيها قائلًا: "تجاهلي احتمالية نهاية العالم الواقعية للحظة –وهو الأمر الذي يصدمني أنكِ لم تفكري فيه بالمناسبة. أنتِ تعلمين ما يفعله هذا بعقل الشخص. هذا ليس شيئًا يمكنكِ فرضه على أي أحد."

– "أظن أنني خرجت من الأمر بخير."

– "بخير ليس مصطلحًا قد يستخدمه أي شخص لوصفك."

– "أنا فعّالة. وهذا كل ما تحتاجه."

قال بأقسى نبرة استطاع حشدها:

– "بالكاد. وكان لديكِ تدريب. لكن جيانغ رحل، و(سورقان سيرا) ماتت. إذا فعلتِ هذا بأي شخص آخر، فهو حكم بالإعدام."

أشارت رين:

– "فرقة السيك مرت بذلك."

– "وأنتِ مستعدة لفرض مصير السيك على أي شخص؟"

جفلت رين. كان هناك، وسيظل دائمًا، مصيران محتملان فقط لفرقة السيك —الموت أو (تشولو كوريك). سمعت رين هذا التحذير يتكرر مرات لا تحصى منذ اللحظة التي انضمت فيها إلى "الأطفال الغريبين"، وشاهدته يتحقق، حتميًا ووحشيًا، مرارًا وتكرارًا. رأت ألتان تبتلعه النيران. رأت باجي يمزق بالرصاص. رأت سوني و(فايلين) مسجونين في عقولهم بواسطة شياطين لم يستطيعوا طردها. وكادت هي نفسها تستسلم لذلك المصير.

هل يمكنها فرضه على شخص آخر؟

نعم. إذا كان ذلك أملهم الوحيد ضد أسطول من المناطيد، فبكل تأكيد نعم. من أجل مستقبل الجنوب النيكاني، من أجل بقائهم —نعم.

قالت:

– "لقد تم ذلك من قبل."

ارتجف صوت كيتاي:

– "لكن ليس بواسطتنا. أبدًا ليس بواسطتنا. لا يمكننا فعل هذا لأشخاص آخرين. لن أكون شريكًا في ذلك."

كان عليها أن تضحك.

– "هذا هو الخط الأخلاقي الذي لن تعبره؟ بحقك يا كيتاي."

– "ألا تفهمين كيف يبدو ذلك الشعور؟ انظري إلى ما حدث لنزهة. أجبرته على استدعاء إلهه و..."

قاطعته بحدة:

– "لم أجبره قط على فعل أي شيء لعين."

– "لا تكذبي على نفسك. لقد دفعتِه لتجاوز حدوده عندما كنتِ تعلمين أن ذلك تعذيب له، وانظري ما الذي جنيتِه، ندبة في ظهرك بحجم جبل (تيانشان)."

تراجعت للخلف باشمئزاز.

– "تبًا لك."

كانت تلك ضربة دنيئة. عرف كيتاي ذلك؛ عرف بالضبط أين تتألم أكثر، ومع ذلك طعن وأدار النصل.

لم يعتذر. بدلًا من ذلك، رفع صوته.

– "لو نحيتِ أحلامك الجامحة بالغزو جانبًا لثانية لعينة، لو توقفتِ عن السكر بوجود الأفعى ذاته، لأدركتِ أن هذا أحد أسوأ الأشياء التي يمكنك فعلها لشخص ما."

– "أوه، وكأنك ستعرف بحق الجحيم."

اتسعت عيناه، غير مصدق.

– "تظنين أنني لا أعرف؟ رين، كنت في جولين نيس، والعنقاء يمزق عقلي، وكان ذلك أقسى تعذيب شعرت به في حياتي."

أخرسها ذلك.

تود لو تركل نفسها لأنها نسيت أنها تستطيع استدعاء النار فقط لأنه يسمح لها بذلك، لأنه كل يوم يسمح لإله شرس بأن ينهش عبر عقله إلى العالم المادي. لقد تحمل كل ذلك في صمت لأنه لم يردها أن تقلق. لقد تحمله جيداً لدرجة أنها توقفت عن التفكير فيه تمامًا.

قالت:

– "أنا آسفة."

مدت يدها لكتفه.

– "أنا آسفة، لم أفكر..."

– "لا، يا رين."

أزاح كيتاي يدها. لم يكن ليهدأ؛ لقد انتهى من الحديث. لن يتجاوزوا هذا، على الأقل ليس الآن.

– "أنتِ لا تفكرين أبدًا."

***

سارت رين عبر تيكاني وحيدة. كان كيتاي قد اندفع غاضبًا إلى مكان ما داخل مجمع الجنرال، ولم تكلف نفسها عناء محاولة العثور عليه.

لقد تشاجرا هكذا من قبل. ليس كثيرًا بعد معركة المنحدرات الحمراء، لكن كل بضعة أسابيع كان نفس الجدال يطفو بينهما، هوة لا يمكنهما جسرها. كان الأمر دائمًا يتلخص في نفس المأزق الجوهري، بمئات التجليات المختلفة. وجدها كيتاي قاسية القلب. مستهترة بشكل مذهل بالحياة البشرية، كما عبر ذات مرة. ووجدته هي ضعيفًا، مترددًا جدًا في اتخاذ إجراء حاسم. كانت دائمًا مقتنعة بأنه لم يستوعب تمامًا المخاطر المطروحة، وأنه لا يزال يتشبث ببعض الأمل المسالم والغريب في الدبلوماسية. ومع ذلك، بطريقة ما، كانت شجاراتهم تتركها دائمًا تشعر بالذنب وبالحرج الغريب، مثل طفل أساء التصرف في الفصل الدراسي.

تبًا لهذا، فكرت. لأنسَ كيتاي. لأنسَ أخلاقه. أحتاج لتذكير نفسي بالمخاطر.

بنت قواتها مطبخًا عامًا في ساحة البلدة. وزع الجنود أوعية من حساء الأرز وجذور "الشانيو" المطهوة بالبخار على طوابير طويلة من المدنيين المنتظرين. سار مساعدو المخيم على طول الطوابير يذكرون المدنيين بعدم الأكل بسرعة كبيرة؛ إذا بدأت بطونهم تؤلمهم، يجب أن يتوقفوا فورًا. بعد فترات طويلة من المجاعة، يمكن أن يكون تمزق المعدة من الإفراط في تناول الطعام قاتلًا.

قطعت رين الطابور وأخذت وعاءين مكدسين بجذور الشانيو، وازنت أحدهما بخفة في ثنية مرفقها الأيمن.

لم يكن مجمع الخيام في الحي الشمالي لتيكاني ليسمى عيادة بشكل صحيح. كان أشبه بمركز فرز طوارئ، شيد من حطام ما كان يُعرف بقاعة المدينة. فُرشت حصائر الخيزران المغطاة بالقماش في صفوف مرتبة خارج غرفة الجراحة، حيث نقل مساعدون بدوا منهكين المطهرات ومسكنات الألم لفلاحين كانت جروحهم تتقيح منذ أشهر.

اقتربت رين من أقرب طبيب وسألت عن الفتى الذي أُخرج من حقول القتل.

أخبرها:

— "هناك في الزاوية. انظري إن كان يمكنك جعله يأكل. لم يلمس شيئًا."

كان جذع الفتى ملفوفًا بالضمادات، وبدا شاحبًا وهزيلًا تمامًا كما وجدوه في القبور. لكنه كان جالسًا، يقظًا وواعيًا.

جلست رين على التراب بجانبه.

— "مرحبًا."

رمش بومةً في وجهها.

بادرت بقولها:

— "أنا رونين. رين. أنا من سحبتك من القبر."

كان صوته حشرجة لاهثة.

— "أعرف من أنتِ."

سألت بلطف:

— "وما اسمك؟"

بدأ قائلًا:

— "زين..." ثم سعل. ضغط يده على صدره وجفل. "زين دولين."

– "يبدو أنك كنت محظوظًا، يا دولين."

نخر ساخرًا عند ذلك.

وضعت وعاءً على الأرض ومدت الآخر.

– "هل أنت جائع؟"

هز رأسه.

– "إذا جوعت نفسك حتى الموت، فأنت فقط تدعهم يفوزون."

هز كتفيه.

جربت شيئًا آخر.

– "به ملح."

قال دولين:

– "هراء."

لم تستطع إلا أن تبتسم. لم يتذوق أحد جنوب إقليم القرد الملح منذ أشهر. كان من السهل أخذ مثل هذا التابل الشائع كأمر مسلم به في وقت السلم، لكن بعد أشهر من الخضروات الماصخة، أصبح الملح ثمينًا كالذهب.

– "أنا لا أكذب." لوحت بالوعاء تحت أنفه. "جربه."

تردد دولين، ثم أومأ. مررت الوعاء بعناية إلى أصابعه المرتعشة.

قرب ملعقة من الشانيو المطهو إلى فمه وقضم الحافة. ثم اتسعت عيناه وتوقف عن الاهتمام بالملعقة، مبتلعًا الباقي كما لو أن رين قد تخطفه منه في أي لحظة.

حذرته:

– "تمهل. هناك المزيد. توقف إذا بدأت معدتك تتقلص."

لم يتحدث مرة أخرى حتى كاد ينهي الوعاء. توقف واستنشق نفسًا عميقًا، وجفونه ترفرف.

– "كنت قد نسيت طعم الملح."

– "أنا أيضًا."

خفض الوعاء وقال:
– "أتدرين كم أصبحنا يائسين؟ كشطنا الرواسب البيضاء عن شواهد القبور وغليناها لأنها تشبه الطعم. القبور." ارتعشت يداه. "قبر أبي."
قالت رين بهدوء:
– "لا تفكر في ذلك. فقط استمتع بهذا."
تركته يأكل في صمت لفترة. أخيرًا وضع وعاءه الفارغ على الأرض وتنهد، وكتا يديه تقبضان على معدته. ثم استدار ليواجهها.
– "لماذا أنتِ هنا؟"
قالت:
– "أريدك أن تخبرني بما حدث."
بدا وكأنه ينكمش.
– "تعنين في الـ..."
– "نعم. من فضلك. إذا كنت تتذكر. بقدر ما تستطيع."
– "لماذا؟"
– "لأنني يجب أن أسمع ذلك."
صمت لفترة طويلة، ونظره معلق على شيء بعيد.
قال أخيرًا:
– "ظننت أنني مت. عندما ضربوني تألمت كثيرًا لدرجة أن كل شيء تحول إلى السواد، وظننت أن هذا هو الموت. أتذكر الشعور بالامتنان لأن الأمر انتهى على الأقل. لم أعد مضطرًا للخوف."
توقف عن الكلام. كان جسده كله يرتجف.
قالت رين، خجلة فجأة:
– "يمكنك التوقف. أنا آسفة، لم يكن ينبغي لي إجبارك."
لكن دولين هز رأسه واستمر.

– "ولكن بعد ذلك استيقظت في الحقل، ورأيت الشمس تشرق فوقي، وأدركت أنني نجوت. لكنهم كانوا يكدسون الجثث فوقي حينها، ولم أردهم أن يدركوا أنني حي. لذا بقيت ساكنًا. استمروا في تكديس الجثث، واحدة تلو الأخرى، حتى كدت لا أستطيع التنفس. ثم حزموا التراب."

انطلقت وخزة ألم عبر كف رين، وأدركت أن أظافرها حفرت أخاديد في جلدها. أجبرتها على الاسترخاء قبل أن تسيل الدم.

سألته:

– "لم يروك أبدًا؟"

– "لم يكونوا ينظرون. إنهم ليسوا دقيقين. لا يهتمون. أرادوا فقط الانتهاء من الأمر."

الاستنتاج غير المنطوق، بالطبع، هو أن دولين ربما لم يكن الوحيد. بل، كان من المرجح أن هناك ضحايا آخرين، جرحى لكنهم لم يموتوا، سقطوا في قبر مبكر واختنقوا ببطء بالتراب وثقل الجثث.

زفرت رين ببطء.

في مكان ما في مؤخرة عقلها، هدأ ألتان. كانت هذه إجابتها. هذا يبرر كل ما فعلته. كان هذا وجه عدوها.

يمكن لكيتاي أن يسهب في الحديث عن الأخلاق. هي لا تهتم. كانت بحاجة للانتقام. أرادت جيشها.

بدأت أكتاف دولين تهتز. كان ينتحب.

مدت رين يدها وربتت على كتفه بشكل أخرق.

– "هييه. أنت بخير –الأمر بخير."

– "ليس كذلك. لا ينبغي أن أكون الوحيد، كان يجب أن أكون ميتًا..."

– "لا تقل ذلك."

تلوى وجهه.

– "لكن لم يكن ينبغي أن أكون أنا."

قالت:

— "اعتدت أن أكره نفسي لكوني حية أيضًا. لم أظن أنه من العدل أنني نجوت. وأن آخرين ماتوا مكاني."

همس دولين:

— "إنه ليس عدلًا. يجب أن أكون في الأرض معهم."

— "وستأتي أيام تتمنى فيها لو كنت كذلك."

لم تفهم رين لماذا احتاجت بشدة لمواساة هذا الصبي، هذا الغريب، عرفت فقط أنها تمنت لو أخبرها أحدهم بالشيء نفسه قبل أشهر.

— "إنه لا يختفي. لن يختفي أبدًا. لكن عندما يؤلمك، استند إليه. البقاء على قيد الحياة أصعب بكثير. هذا لا يعني أنك لا تستحق العيش. بل يعني أنك شجاع."

***

عادت الحياة إلى تيكاني تلك الليلة.

كانت رين قد انسحبت مبكرًا إلى مجمع الجنرال، عازمة على النوم لحظة ملامسة وجهها للفراش. لكن طرقة جاءت على الباب، وفتحته لتجد ليس الحارس أو الرسول الذي توقعته، بل حلقة من النساء، عيونهن مطأطأة بخجل، يوكزن بعضهن البعض وكأنهن يتحدين شخصًا آخر ليكون أول من يتحدث.

سألت رين بحذر:

— "ما الأمر؟"

قالت المرأة في المقدمة:

— "تعالي معنا."

رمشت رين فيهن، محتارة.

— "إلى أين؟"

انفرج وجه المرأة عن ابتسامة.

— "للرقص."

حينها تذكرت رين أنه رغم كل شيء، كان هذا اليوم يوم تحرير، والتحرير يستحق الاحتفال.

لذا تبعتهن إلى وسط البلدة، حيث تشكل حشد من المئات، يحملون مشاعل الخيزران والفوانيس العائمة تحت سماء ليل بلا قمر. قرعت الطبول بلا انقطاع، مرافقة ألحان ناي مترنحة بدت وكأنها تأتي من كل مكان، بينما انطلقت المفرقعات النارية كل بضع ثوانٍ مثل علامات ترقيم موسيقية.

دار الراقصون في وسط الساحة. كان هناك العشرات منهم، معظمهم من الفتيات الصغيرات، يتحركون جميعًا دون تصميم رقصات أو نظام. لم يتم التدرب على أي من هذا. لم يكن ممكنًا ذلك. تحرك كل راقص من الذاكرة، مجمعًا شظايا من عروض من أزمنة سابقة، يتحركون لمجرد فرحة كونهم أحياءً وأحرارًا.

كان ينبغي أن يكون المشهد فوضى عارمة. لكنه كان أجمل شيء رأته عينا رين قط.

توسلت النساء لرين أن تنضم. لكنها رفضت، مفضلة الجلوس على برميل مقلوب والمشاهدة. لم تنضم أبدًا للرقصات عندما عاشت هنا. تلك الرقصات كانت للفتيات الغنيات، الفتيات المبتهجات، الفتيات اللواتي كانت زيجاتهن أحداثًا يُحتفل بها وليست مدعاة للخوف. لم تكن ليتامى الحرب. كانت رين تكتفي بالمشاهدة فقط. أرادت بشدة الانضمام إليهم الآن، لكنها خافت ألا تعرف كيف تتحرك.

تسارعت الطبول. أصبح الراقصون رؤية منومة مغناطيسيًا، كواحل وأذرع تتحرك أسرع فأسرع حتى بدت وكأنها ضباب في ضوء النار، تتحرك بإيقاع بدا متناغمًا مع نبض رين الخاص. رمشت، وللحظة رأت رقصة مختلفة، وسمعت أغنية مختلفة. رأت أجسادًا سمراء ترقص بجانب نار المخيم، تغني كلمات سمعتها منذ زمن طويل بلغة لم تكن تتحدثها لكنها كادت تتذكرها.

كانت ترى هذه الرؤية منذ المرة الأولى التي التقت فيها بالعنقاء. عرفت أن هذه الرؤية تنتهي بالموت.

لكن هذه المرة لم تتحول الأجساد الراقصة إلى هياكل عظمية، بل بقيت حية بغضب وإصرار. ها نحن ذا، قالوا. شاهدينا ونحن نزدهر. لقد هربنا من الماضي، ونحن نملك المستقبل.

– "هيبه."

رمشت رين، واختفت الرؤية. وقف سوجي أمامها، حاملًا كوبين من نبيذ الدخن. مد أحدهما إليها.

– "أتمانعين إن جلست؟"

تزحزحت لتفسح له مكانًا. قرعا كوبيهما وشربا. حركت رين نبيذ الدخن حول لسانها، تتذوق طعمه اللاذع والمسكر.

قال سوجي:

– "أنا مندهش أنكِ لم تختفِ في زقاق مع واحد منهم."

أومأت رين برأسها للراقصين. بدا أن النساء ينجذبن إلى سوجي كالفراش إلى اللهب؛ رأت رين أنه اختفى في خيمته مع ثماني رفيقات مختلفات على الأقل منذ غادروا (رويجين).

قال سوجي:

– "لا أزال أحاول الاختيار. أين نصفك الآخر؟"

– "لست متأكدة."

كانت تمسح الحشد بحثًا عن كيتاي منذ وصولها، لكنها لم تجده.

– "قد يكون نائمًا."

لم تخبر سوجي أنهما تشاجرا. كانت هي وكيتاي ثنائيًا ضد العالم؛ لا ينبغي لأحد آخر أن يعرف عن خلافاتهم.

– "إنه يفوت الكثير."

مال سوجي للخلف، يراقب الراقصين بتعبير مستمتع ونصف مغمض العينين. استطاعت رين أن تلاحظ أنه كان سكرانًا بالفعل؛ كانت حركاته بطيئة ولامبالية، وسحابة من الأبخرة الحامضة تهب نحوها في كل مرة يتحدث فيها.

— "هذا هو الأمر، يا أميرة. هذا أفضل ما يمكن أن يكون. استمتعي بهذا ما دام مستمرًا."

حدقت في النار وحاولت الأخذ بنصيحة سوجي، أن تضيع في الموسيقى والضحك والطبول. لكن ظلمة غير مريحة لبثت في حفرة معدتها، عقدة صلبة من الخوف لم تتبدد مهما حاولت الابتسام.

لم تستطع استمداد أي فرح من هذا.

أكان هذا ما يبدو عليه التحرير؟ لا يمكن أن يكون هذا هو. كان من المفترض أن تبدو الحرية مثل الأمان. كان من المفترض أن تشعر وكأن لا أحد يمكنه إيذاؤها مرة أخرى.

لا، كان الأمر أكثر من ذلك.

أرادت العودة. لم تستطع تذكر لحظة في العامين الماضيين شعرت فيها بالأمان عند إغلاق عينيها. إذا طاردت تلك الذكرى، لكانت آخر مرة عندما كانت في الأكاديمية، عندما بدا العالم محصورًا في الكتب والامتحانات، عندما كانت الحرب لعبة تعكس شيئًا قد لا يحدث أبدًا.

وعرفت أنها لا يمكن أن تستعيد ذلك أبدًا.

لكن يمكنها الحصول على شيء قريب. الأمان. الأمن. وذلك يتطلب نصرًا كاملًا.

لم يهم ما إذا كانت تريد الحرب. الجمهورية ستجلب الحرب إليها، ستطاردها حتى تموت هي أو يموتون هم. والطريقة الوحيدة لتكون آمنة هي أن تضرب أولًا.

حياتك ليست ملكك، قال لها فايسرا ذات مرة، واستفاض في الشرح مرات عديدة في الأسابيع التي تلت ذلك. ليس لديك الحق في السعادة عندما تمسكين بهذا القدر من القوة بين يديك.

عندما تسمعين صراخًا، اركضي نحوه. كلماته الدقيقة. كان يحاول فقط التلاعب بها؛ عرفت ذلك الآن. ومع ذلك، رنت الكلمات صادقة.

ولكن أين الصراخ الآن؟

سأل سوجي:

— "ما الخطب؟"

رمشت واعتدلت في جلستها.

— "همم؟"

— "تبدين وكأن أحدهم تغوط على قبور أسلافك."

— "لا أعرف، أنا فقط..." صرعت لتسمية انزعاجها. "هذا ليس صائبًا."

نخر سوجي.

— "ماذا، الرقص، أم الموسيقى؟ لم أكن أعرف أنك صعبة الإرضاء هكذا."

— "إنهم سعداء. الجميع سعداء للغاية." تدفقت كلماتها أسرع فأسرع، مدفوعة بنبيذ الدخن المحترق في أحشائها. "إنهم يرقصون لأنهم لا يعرفون ما هو قادم، لا يمكنهم رؤية أن العالم بأسره على وشك الانتهاء لأن هذه ليست نهاية حرب واحدة، إنها البداية، و..."

أغلقت يد سوجي على يدها. نظرت رين لأسفل، مفزوعة. كانت راحة يده خشنة ومتصلبة لكنها دافئة؛ كان شعورًا جيدًا بشكل مدهش. لم تسحب يدها.

قال وهو يمسد بابهامه ظهر يدها:

— "تعلمي الاسترخاء، يا أميرة. هذه الحياة التي اخترتها، لن تحصلي على لحظات كثيرة كهذه مرة أخرى. لكن الليالي مثل هذه هي التي تبقيكِ على قيد

الحياة. كل ما تفكرين فيه هو من تقاتلين ضده. لكن هذا؟" أرجح كوبه نحو الراقصين. "هذا ما تقاتلين من أجله."

***

بعد عدة ساعات كان سوجي سكرانًا لدرجة أن رين لم تثق به ليجد مجمع الجنرال بمفرده. سارا في المسار الصخري المظلم معًا، وذراعه ملقاة بثقل فوق كتفيها. في منتصف الطريق تعثرت قدمه بصخرة واندفع للأمام، لافًا ذراعه حول خصرها للتوازن.

كانت الحيلة مكشوفة تمامًا. قلبت رين عينيها وخلصت نفسها من قبضته. تحسس صدرها. صفعت يده بعيدًا.

– "لا تجرب هذا الهراء معي. سأحرق خصيتيك، لقد فعلت ذلك من قبل."

قال:

– "هيا يا أميرة."

لف ذراعه مرة أخرى حول كتفيها، ساحبًا إياها بقرب. شعر جلده بحرارة رهيبة.

رغم نفسها، وجدت رين نفسها تميل نحو تلك الحرارة.

فرشت شفتاه أذنها.

– "لا أحد هنا. لم لا نحظى ببعض المرح؟"

الأمر المحرج هو أنها شعرت ببعض الاهتمام، تحرك خافت وغير مألوف في حفرة معدتها. قمعته. لا تكوني حمقاء لعينة.

سوجي لم يردها. سوجي كان آخر رجل في العالم يجدها جميلة. كان لديه نصيبه من الفتيات الراغبة في المعسكر، جميعهن على الأرجح أجمل وأسهل للتعامل معهن في الصباح مما ستكون عليه رين.

لم يكن هذا عن الشهوة، كان هذا عن القوة. كان هذا عن الامتلاك. أراد الهيمنة عليها فقط ليتمكن لاحقًا من التفاخر بأنه فعل. واعترفت رين أنها مغرية. كان سوجي وسيمًا بلا إنكار، وبالتأكيد خبيرًا. سيعرف ماذا يفعل بأجسادهم حتى لو لم يكن لديها أدنى فكرة. يمكنه أن يريها كيف تفعل كل الأشياء التي سمعت عنها فقط، أو تخيلتها فقط.

لكنها ستكون غبية إذا ذهبت للفراش معه. بمجرد انتشار الخبر، لن ينظر إليها أحد بنفس الطريقة مرة أخرى. كانت حول الجنود لفترة كافية لتعرف كيف يعمل هذا. الرجل يحصل على حقوق التفاخر. أمّا المرأة — وغالبًا ما تكون الجندية الوحيدة في سربها — فتُوسَم بعارٍ يجعلها موضع ازدراء في المعسكر.

قالت رين:

— "دعنا نعيدك إلى فراشك."

— "سيكون هذا مفيداً لكَ."

لم يزح سوجي ذراعه عن كتفها.

— "أنتِ متوترة للغاية. كل هذا الغضب المكبوت. سيفيدكِ أن تطلقي العنان لنفسكِ قليلًا، يا أميرة. احظي ببعض المرح."

مسدت يده عظم ترقوتها. انتفضت رين.

— "سوجي، توقف."

— "ما الخطب؟ هل أنتِ عذراء؟"

سأل هذا بفظاظة شديدة لدرجة أن كل ما استطاعت رين فعله للحظة هو التحديق.

ارتفع حاجباه دهشة.

— "لا. حقًا، يا أميرة؟"

دفعت ذراعه بعيدًا.

— "هذا ليس من شأنك."

لكنه وجد نقطة ضعفها. كان يدرك ذلك —ابتسم، والتمعت أسنانه تحت ضوء القمر.

— "هل صحيح أنه ليس لديكِ رحم؟"

— "ماذا؟"

— "سمعت إشاعة في المعسكر. قيل إنكِ أحرقت رحمكِ في سينغارد. لا يفاجئني هذا. تصرف ذكي، حقًا. رغم أنه مؤسف بشأن السبيريين. الآن أنتِ الأخيرة. هل تندمين على ذلك أبدًا؟"

فحت من بين أسنانها المطبقة:

— "لم أندم على ذلك قط."

— "يا للأسف."

وضع يدًا على بطنها.

— "كان بإمكاننا إنجاب بعض الأطفال السمر الجميلين. ذكائي، وقدراتكِ. ملوك الجنوب."

كان ذلك كافيًا. انتفضت مبتعدة عنه، وقبضتها مرفوعة وركبتاها مثنيتان استعدادًا.

— "المسني مرة أخرى وسأقتلك."

اكتفى بالسخرية. جالت عيناه صعودًا وهبوطًا على جسدها، وكأنه يقيم مقدار القوة اللازمة لتثبيتها على الأرض.

احتبست أنفاس رين في حلقها.

ما خطبها؟ لقد أشعلت حروبًا وأنهتها. ودفنت إلهًا. وأحرقت بلدًا حتى التفحم. لم يكن هناك كيان على وجه الكوكب يمكنه مواجهتها في قتال عادل والانتصار. كانت واثقة من قوتها؛ لقد ضحت بكل شيء لتتأكد من أنها لن تشعر بالعجز مرة أخرى أبدًا.

فلماذا كانت خائفة إلى هذا الحد؟

أخيرًا، رفع يديه في إيماءة استسلام.

– "مجرد عرض. لا داعي لأن تكوني هكذا."

– "ابتعد عني."

رن صوتها عبر الظلام، أعلى مما كانت تنوي. قد يسمعها أحدهم. ربما كان هذا ما يجب أن تريده —أن يأتي شخص ما، أي شخص، راكضًا.

– "الآن، يا سوجي."

– "هل أنتِ دائمًا هكذا؟ أيتها السلحفاة العظيمة، هذا يفسر لماذا..."

قاطعته:

– "هل تسمع ذلك؟"

خُيل إليها أنها سمعت طنينًا نائحًا خافتًا —صوتًا يشبه سربًا بعيدًا من النحل، يزداد علوًا وعلوًا مع كل ثانية تمر.

صمت سوجي، وعقد حاجبيه.

– "ما الذي..."

فحت رين:

– "اخرس. استمع فقط."

نعم —كان الطنين متميزًا الآن. لم يكن الضجيج في رأسها فقط. لم تكن تفزع بلا سبب. كان هذا حقيقيًا.

اتسعت عينا سوجي. لقد سمعه هو أيضًا.

شهق قائلًا:

– "انخفضي!"

واندفع نحوها قبل لحظات فقط من انفجار القنابل الأولى.

الفصل التاسع

ارتطما بالأرض معًا، وأكواع سوجي تحفر بألم في ضلوع رين. سادت لحظة وجيزة جدًا من الصمت، تلاها طنين مخيف في أذنيها. حدقت لأعلى من تحت جسد سوجي الممدد، تئن، في اللحظة التي أضاءت فيها تيكاني بوميض من الضوء البرتقالي.

ثم استؤنف القصف، هدير رعد لم يتوقف.

تدحرج سوجي عن رين. ونهضت هي بتخبط غير متزن على قدميها.

كيتاي.

كان بصرها قد ذهب نصفه، ومعه توازنها؛ وبينما كانت تتعثر نحو مجمع الجنرال، ظلت تترنح إلى الجانب مثل مخمورة.

يجب أن أجد كيتاي.

انطلق أنين حاد ومعذب خلفها. استدارت. على ضوء النار، تمكنت بالكاد من تمييز وجه ضابط شاب، أحد رجال زودن الذي لم تعرف اسمه قط. كان ملقى على الأرض على بعد عدة ياردات. حدقت فيه للحظة، مشوشة تمامًا. كانت هي وسوجي وحدهما في الشارع حتى الآن؛ بقي جميع الضباط الآخرين عند نار الاحتفال، على مسافة خمس دقائق مشيًا من هنا.

هل كان الانفجار؟ هل أمكن لقوة الانفجار أن تقذفه إلى هذا الحد؟

لكن الضابط بدا بخير — رأسه، وكتفاه، وجذعه كانت كلها سليمة، وغير مضرجة بالدماء. وغير محترقة حتى. لماذا كان...

انقشعت البقع السوداء ببطء من رؤية رين، ورأت ما كان مخفيًا في البداية بالدخان والظلام. ساقا الضابط قد نُسفتا تمامًا من أعلى الفخذ.

كان ينظر إليها. يا للآلهة، لا يزال واعيًا. رفع يدًا مرتجفة نحوها. تحرك فمه. لم يخرج أي صوت، على الأقل لا شيء يمكنها سماعه، لكنها فهمت.

أرجوكِ.

مدت يدها للسكين عند حزامها، لكن أصابعها تخبطت بخرق ضد الغمد.

— "سأفعل أنا ذلك". رن صوت سوجي عاليًا كجرس في أذنيها. بدا أنه قد أفاق تمامًا، وتبخر خموله المشبع بالكحول بفعل نفس الأدرينالين الذي يضخ في عروقها. بدا أكثر سيطرة على نفسه مما كانت تشعر هي. بكفاءة حازمة، سحب السكين من يدها وانحنى ليبتر حنجرة الضابط.

حدقت، تترنح في وقفتها.

لم نكن مستعدين.

ظنت أن لديها المزيد من الوقت. عندما دمرت رسالة كيسيغي، عرفت أن نزهة يضعها نصب عينيه، لكنها ظنت أنها قد تحظى بفرصة لتدريب جيشها الجنوبي الجديد بينما تنهي الجمهورية حملتها في الشمال. ظنت، بعد سقوط (خلية النحل)، أن بإمكانهم أخذ لحظة للتنفس.

لم تكن تعلم أن نزهة كان على عتبة بابهم اللعين.

دوت مدافع الهواء بشكل مستمر بتناغم مع أزيز محركات المناطيد. أوركسترا سماوية، فكرت رين بذهول. الآلهة تعزف لحن جنازة لفنائهم.

سمعت صراخًا من وسط البلدة. عرفت أنه لا يوجد دفاع أرضي، ولا فرصة لصد السفن الهوائية. كانت قواتها منتشية بالنصر وسكرى من الاحتفالات. لم يضعوا سوى حراسة هيكلية عند بوابات البلدة لأنهم ظنوا، لمرة واحدة، أنهم آمنون.

ونيران الاحتفال اللعينة — يا للآلهة، لا بد أن النيران كانت مثل منارات، تصرخ بموقعهم من الأرض.

علا الصراخ. تدفقت حشود مذعورة ومشتتة عبر الشوارع، بعيداً عن النيران. ركضت فتاة صغيرة تصرخ في اتجاه رين، ولم يكن لدى رين الوقت لتصرخ، لا، توقفي، انخفضي، قبل أن يهز انفجار الهواء وتلف النيران الجسد الصغير.

أسقط نفس الانفجار رين عن قدميها. تدحرجت على ظهرها وأنت، ضاغطة بيدها السليمة على أذنها اليسرى. كان القصف متكررًا لدرجة أنها لم تعد تسمع أي توقف بين السقوط والآخر، فقط دمدمة متواصلة بينما تنطلق التوهجات البرتقالية النارية في كل مكان نظرت إليه.

دفعت يدها ضد الأرض وأجبرت نفسها على الوقوف.

– "علينا الخروج من هنا". جذبها سوجي من معصمها وسحلها نحو الغابة. انطلقت انفجارات قريبة جداً لدرجة أنها شعرت بالحرارة تلفح وجهها، لكن المناطيد لم تكن تطلق النار فوق الغابات.

كانوا يصوبون فقط على نيران المخيمات – على المدنيين المكشوفين والضعفاء.

قالت:

– "انتظر. كيتاي..."

لم يترك سوجي ذراعها:

– "سنتحرك أعمق بين الأشجار. ليس لديهم رؤية قرب الغابة. سنسلك الطرق الجبلية، نبتعد قدر المستطاع قبل..."

قاومت قبضته:

– "يجب أن نصل لـ كيتاي!"

– "سيشق طريقه للخارج بنفسه. لكنكِ ستموتين في ثوانٍ إذا..."

– "سأتدبر أمري". لم تكن تعرف كيف ستصد المناطيد – لم يبدُ أن لديها نقاط ضعف يمكنها حرقها بسهولة – لكن قد يمكنها توجيه النار نحو آليات التوجيه، أو سلة الذخيرة، أي شيء. لكنها لا تستطيع المغادرة دون كيتاي.

هل كان لا يزال في مجمع الجنرال، أم ذهب للساحة المركزية؟ المجمع أعلى التل كان لا يزال سليمًا، مخفيًا تحت غطاء الظلام، لكن الساحة كانت الآن جحيمًا مستعرًا. لا يمكن أن يكون مصابًا بجروح حرجة — لو كان كذلك، لشعرت هي بالأمر، وحاليًا هي لا تشعر بشيء، مما يعني...

— "انتظري". شددت أصابع سوجي حول معصمها. "لقد توقف".

تحولت السماء للصمت. مات الأزيز.

إنهم يهبطون، أدركت رين. كان هذا هجومًا أرضيًا. المناطيد لم ترغب في إبادة تيكاني جوًا بالكامل. أرادوا أسرى.

لكن ألم يفهموا مخاطر الهجوم الأرضي؟ قد يمتلكون بنادقهم، لكن هي تملك إلهًا، وستسحقهم في اللحظة التي يقتربون فيها. لا يملكون فرصة قتال ضدها إلا إذا حلقوا خارج مداها. كان عليهم أن يفهموا أن إرسال قوات للأسفل هو انتحار.

إلا إذا...

إلا إذا.

زحفت قشعريرة جليدية عبر عروقها.

رأت الأمر الآن. الهسبيريون لم يريدوا قصفها. كانت عينة تجاربهم المفضلة؛ لم يريدوها ممزقة لأشلاء. أرادوا أسرها حية، وتسليمها كاملة ومتلوية لمختبرات "الطائفة الرمادية"، لذا أحضروا الشخص الوحيد في العالم الذي يمكنه مواجهتها في قتال يدوي والفوز.

نزهة، الذي تخيط جروحه نفسها ببعضها بسرعة انفتاحها.

نزهة، الذي تتدفق قواه من البحر.

قالت لـ سوجي:

— "اركض".

في نفس اللحظة التي مزقتهم فيها جولة أخرى من الصواريخ.

للحظة كان العالم صامتًا.

كان كل شيء ظلامًا، ثم بدأت الألوان بالعودة — الأحمر فقط في البداية، أحمر في كل مكان نظرت إليه، ثم كتل مشوشة من الأحمر والأخضر. لم تعرف رين كيف تمكنت من الوقوف، عرفت فقط أنها في لحظة كانت ملقاة على الأرض وفي التالية كانت تترنح عبر الغابة، تتخبط من شجرة لأخرى لأن توازنها تحطم ولم تستطع الوقوف باستقامة. تذوقت الدم على شفتها، لكنها لم تستطع تحديد مكان إصابتها؛ كان الألم مثل كفن، ينبض بشكل موحد عبر جسدها مع كل خطوة تخطوها.

— "سوجي؟"

لا رد. لم تكن واثقة مما إذا كانت قد أخرجت الأصوات فعلًا — لم تستطع سماع صوتها، باستثناء همهمة غريبة عميقة داخل جمجمتها.

— "سوجي؟"

لا شيء بعد.

تعثرت للأمام، تفرك عينيها، تحاول الحصول على إدراك أفضل للعالم ولحواسها غير أنه يؤلم، إنه يؤلم...

عبقت رائحة مألوفة في الهواء. شيء حلو بشكل يثير الغثيان والمرض، شيء جعل معدتها تضطرب وعروقها تؤلمها حنينًا.

فجر الجمهوريون قنابل أفيون.

عرفوا نقطة ضعفها. نووا شل حركتها.

أخذت رين نفسًا عميقًا وسحبت كرة من اللهب إلى يدها. كانت لديها قدرة تحمل للأفيون أعلى من معظم الناس، هدية أشهر وأشهر من إدمان الأفيون وإعادة التأهيل الفاشلة. كل تلك الليالي التي قضتها غائبة عن الوعي، تتحدث مع هلاوس ألتان، قد تشتري لها بضع دقائق إضافية قبل أن تُقطع عن "العنقاء".

عنى ذلك أنه يجب عليها العثور على نزهة الآن.

تمتمت:

— "تعال". أرسلت الشعلة في الهواء فوقها وحولها. لن يتمكن نزهة من مقاومة التوهج؛ سيعمل كمنارة. هو يبحث عنها. سيأتي.

صرخت:

— "أين أنت؟"

شق البرق الهواء ردًا عليها. ثم انهمرت صفيحة من المطر فجأة وبقوة لدرجة أن رين كادت تسقط.

لم يكن هذا مطرًا طبيعيًا. كانت السماء صافية قبل لحظة، لم تكن هناك حتى همسة غيوم، وحتى لو كانت عاصفة تختمر، لما تمكنت من التحرك بهذه السرعة، وبهذه المصادفة...

لكن منذ متى يستطيع نزهة استدعاء المطر؟

بطريقة مروعة ما، بدا الأمر منطقيًا. التنانين تتحكم بالمطر، هكذا قالت الأساطير. حتى في تيكاني، المكان الذي تضاءل فيه الدين منذ زمن ليصبح قصصًا قبل النوم للأطفال، كان القضاة يشعلون عروض البخور للوردات التنانين في النهر خلال سنوات الجفاف لاستجلاب زخات غزيرة.

لكن ذلك يعني أن مجال نزهة لم يكن النهر فقط بل كل الماء حوله. وإذا كان يستطيع استدعاءه، والتحكم به...

إذا كان هذا المطر من فعله، فقد أصبح أقوى بكثير مما خشيت.

— "جنرال؟"

استدارت رين. تجمعت فرقة من القوات حولها. مجندون جدد، لم تتعرف عليهم — نجوا، فلتُباركهم الآلهة؛ كانوا يحتشدون حولها، حتى بعد أن رأوا رفاقهم يُمزقون إربًا للتو.

أذهلها ولاؤهم. لكن موتهم لن يحقق شيئًا.

أمرت:

— "ابتعدوا".

لم يتحركوا. تحدث الذي في المقدمة:

– "سنقاتل معكِ يا جنرال".

– "لا تحاولوا حتى. سيقتلكم جميعًا".

رأت نزهة في ذروة قدراته مرة من قبل. رفع بحيرة كاملة لحماية أسطوله. إذا كان قد أتقن مهاراته منذ ذلك الحين، فلن ينجو واحد منهم لأكثر من بضع ثوانٍ.

لم تكن هذه حرب رجال بعد الآن. كانت حرب آلهة. كان يجب أن ينتهي هذا بينها وبين نزهة، شامان لشامان.

كل ما يمكنها فعله قبل ذلك هو تقليل التداعيات.

قالت لهم:

– "اذهبوا لمساعدة القرويين. أبعدوهم من هنا، أكبر عدد ممكن. ابحثوا عن غطاء تحت الظلام ولا تتوقفوا عن الركض حتى تصبحوا خارج مدى المطر. أسرعوا".

أطاعوا، تاركين إياها وحدها في العاصفة. كان هطول المطر يصم الآذان. لم تستطع رؤية جندي جمهوري واحد، نيكاري أو هسبيري، حولها، مما يعني أن نزهة، أيضًا، قد أرسل تعزيزاته بعيدًا.

كان ليفعل ذلك بدافع النبل. نموذجي. كان دائمًا الحاكم الصالح، الأرستقراطي النبيل. استطاعت تخيل نزهة وهو يعطي الأمر بصوته المتغطرس والواثق. اتركونها لي.

تراقصت النار حول جسدها، تومض وتخبو بينما استمرت صفائح المطر في سحقها. كان الماء ينهمر الآن بقوة لدرجة أنه بدا كصفعات متكررة من الجانب المسطح لسيف. جاهدت لتقف مستقيمة. ارتجفت أصابعها على مقبض نصلها.

ثم أخيرًا رأته، يخطو خطوات واسعة عبر المطر الذي انشق بنظافة حوله كلما تحرك.

قوس من الألم عبر الندبة المعقودة في أسفل ظهرها. طعنت الذكريات عقلها كالخناجر. لمسة، همسة، قبلة. أطبقت على فكها بقوة لتمنع الارتجاف.

بدا أكبر سنًا، رغم مرور عدة أشهر فقط منذ رأته آخر مرة. وأطول. كان يتحرك بشكل مختلف؛ خطوته أكثر حزمًا، مشبعة بحس جديد من السلطة. بموت جينزا، كان نزهة ولي عهد أرلونغ، والمارشال الشاب لجيش والده، والوريث الظاهر لجمهورية نيكان. كان نزهة على وشك امتلاك البلاد بأكملها، ورين وحدها تقف في طريقه.

نظر كل منهما للآخر للحظة في صمت بدا وكأنه يمتد للأبد، ثقل ماضيهما المشترك معلق ثقيلًا بينهما. شعرت رين بوخزة حنين مفاجئة، ذلك المزيج المعقد من الشوق والندم، ولم تستطع جعلها تختفي. قضت وقتًا طويلًا تقاتل بجانبه، لدرجة أنه تعين عليها إجبار نفسها على تذكر كيفية كرهه.

وقف قريبًا بما يكفي لتتمكن من رؤية ابتسامته المشوهة، التموج المعذب الذي شد خطوط الندبة المرسومة في النصف الأيسر من وجهه. وجنتاه وفكه، التي كانت يومًا كمالًا زاويًا، أصبحت خزفًا مهشمًا. بلاطًا مكسورًا. خريطة للبلاد وهي تتداعى.

ادعت فينكا أنه كان مريضًا. بدا أبعد ما يكون عن المرض — لم تستطع رين رصد ذرة ضعف في الطريقة التي يتصرف بها. كان مهيأً للمعركة، فتاكًا. نادى:

— "مرحبًا يا رين". بدا صوته أعمق، وأقسى. بدا مطابقًا تقريبًا لصوت والده. "ماذا حدث ليدكِ؟"

فتحت كفها. زأر اللَهب في وجهه. لوح بيده بازدراء، وأخمدت عاصفة من المطر النار قبل وقت طويل من وصولها إليه.

تبًا. استطاعت رين الشعور بأصابعها تتخدر. وقتها كان ينفد.

قال:

– "هذا لا يجب أن يكون صعبًا. تعالي بهدوء ولن يضطر أحد آخر للموت".

ثبتت كعبيها في التراب:

– "أنت ستعود للوطن في تابوت".

هز كتفيه. بدأ المطر ينهمر بقوة أكبر، يضرب بنشاط لدرجة أن ركبتيها انثنتا.

صرت على أسنانها، تقاتل لتبقى واقفة.

لن تركع له.

كان عليها تجاوز ذلك المطر؛ كان يعمل جيدًا جدًا كدرع. لكن الحل كان بسيطًا للغاية. تعلمته منذ زمن طويل في سينغارد. بعد سنوات، النمط الأساسي لقتالاتهم ظل كما هو. نزهة أقوى منها. أطرافه أطول. حينها والآن، فرصتها الوحيدة تكمن في الاقتراب، حيث لا يهم مدى وصوله.

اندفعت. انخفض نزهة، مستلًا سيفه بسرعة. لكنها صوبت أخفض مما توقع. لم تكن تستهدف رأسه – أرادت مركز ثقله. سقط أسهل مما توقعت. تخبطت للسيطرة بينما سقطا. كانت أخف وزنًا منه بكثير، لن تتمكن من تثبيته إلا إذا أمسكت به في الزاوية الصحيحة تمامًا – لكنه شطب بسيفه للأعلى، وفقدت توازنها وهي تنخفض لتفاديه.

هبط بثقل فوقها. تخبطت. طعن بسيفه للأسفل، مخفقًا وجهها مرتين في الوحل.

فتحت فمها وبصقت نارًا.

غمرت وجهه للحظة مجيدة واحدة. رأت الجلد يتجعد ويتقشر للخلف. التقطت لمحة عظم. ثم تحطم جدار من الماء فوق كليهما، مطفئًا لهبها، تاركًا كليهما يبصقان بحثًا عن الهواء.

تعافت هي أولًا. رفعت ركبتها إلى ضفيرته الشمسية. تخبط هو للخلف. تلوت خارجة من تحته واستقرت في وضعية جثوم.

المطر توقف، أدركت. الضغط زال؛ وساد الصمت الغابة.

في الوقت نفسه شعرت بميل دوار في أطرافها، واندفاع مسكر في صدغيها.

إذن هذا هو الأمر. الأفيون تسرب عميقًا جدًا في مجرى دمها. لم تملك النار، وميزتها الوحيدة كانت أنه فقد الماء. الأمر الآن مسألة أنصال وقبضات وأسنان.

استلت سكينها. تبارزا للحظة واحدة فقط. لم تكن منافسة. جردها من سلاحها أولًا، وبسهولة، مرسلًا نصلها يدور بعيدًا في الظلام.

لا يهم. عرفت أنها لا تستطيع مبارزته بالأنصال. في اللحظة التي غادر فيها المقبض كفها، وجهت ركلة وحشية لمعصم نزهة.

نجح الأمر. أسقط سيفه. الآن ليس لديهما سوى قبضاتهما. كان ذلك مريحًا. كان هذا أسهل بكثير، ومباشرًا أكثر، ووحشيًا أكثر. خمشت عينيه. صفع يدها بعيدًا. عضت كوعه. حشره في فمها. ارتد رأسها للخلف.

لسع الدم عينيها وغيم رؤيتها. لكمت دون نظر. كان نزهة يفعل المثل. جاءت ضرباته نحوها أسرع من أن تتفاداها أو تصدها لكنها ردت الصاع صاعين، سددت بقدر ما سدد، حتى نسيت أنها لا تملك يدًا يمنى لتلكم بها. ضربت بجذع يدها المبتورة. صدها بكوعه. ألم مروع ومعمٍ مزق النصف الأيمن من جذعها. للحظة نسيت كيف تتنفس.

تحرر نزهة من قبضتها، قفز لقدميه، وركل ضلوعها للأسفل. تكورت في كرة، لاهثة جدًا لتصرخ. داس على جذع يدها. ومضت رؤيتها بالبياض.

ركلها في جانبها، مرة تلو الأخرى حتى استلقت على ظهرها، مذهولة جدًا لتفعل أي شيء سوى الشهيق كسمكة خارج الماء. تعثر للخلف، صدره يعلو ويهبط. ثم هبط على ركبتيه، ممتطيًا صدرها، وثبت ذراعيها للأسفل بيديه.

لهث قائلًا:

— "أخبرتكِ... أن تأتي بهدوء".

بصقت دمًا في وجهه.

ضرب بمفاصل يده في عينها اليمنى. ارتطم رأسها بالتراب الرطب. مسح ظهر يده بقميصه، ثم سحبها للخلف ليسدد لكمة ثانية لعينها اليسرى. تلقت الضرب كدمية رخوة، دون صوت، دون استجابة. لكمها خمس، ست، سبع مرات. فقدت العد. كانت مترنحة بالألم والأفيون؛ بدت الضربات كقطرات مطر.

لكن حقيقة أنه كان يضربها عنت شيئًا — حقيقة أنها لم تكن ميتة عنت شيئًا. كان يجب أن تكون ميتة الآن. كان يجب أن يطعنها في القلب أو يمزق حنجرتها وحسب؛ كان ذلك ليكون أسهل. ونزهة لم يكن ساديًا، لم يكن يميل للتعذيب على حساب الكفاءة.

إنه لا يهدف للقتل، أدركت. نزهة أرادها حية. أراد شل حركتها. وحاليًا، أراد فقط أن يؤذي.

كان ذلك الفرق بينهما. وتلك خسارته.

همست:

— "كان يجب أن تقتلني في أرلونغ".

توقفت اللكمات.

مد نزهة يده لعنقها وبدأ يعصر.

خمشت يديه بجنون. ألتان علمها الهروب من الخنق — الأيدي قوية، لكن الأصابع المفردة ليست كذلك، لذا كل ما عليك فعله هو فصلها. واحدًا تلو الآخر. غرست أصابعها تحت إصبعه الأوسط وفصلته عن البقية، ثم سحبت للخلف بقوة، وبقوة أكبر...

لم يفلتها.

طرق أخرى إذن.

أقحمت إبهامها نحو عينيه. لوى وجهه بعيدًا، فانغرست أظافرها في خده بدلًا من ذلك، وعوضت عن خطئها بأن حفرت بعمق وحشية حتى سال الدم. ثلاثة خطوط قرمزية دقيقة شقت فكه الأيمن.

تراخت قبضته، ولو بقدر ضئيل، للحظة عابرة. كان ذلك كل ما احتاجته.

مدت يدها خلفها، تتحسس الأرض بحثًا عن نصله. رأته يسقطه، لا بد أنه في المتناول... لكن أول شيء أطبقت عليه أصابعها لم يكن المقبض، بل حجرًا، ثقيلًا ومسنن الأطراف، بحجم كفها تقريبًا.

هذا سيفي بالغرض.

أهوت بالحجر على صدغ نزهة. ارتطم بالعظم بصوت تهشم مريح. تراخت قبضته. استجمعت كل ذرة قوة متبقية في ذراعها اليسرى وضربت رأسه مجددًا. تجمع الدم داخل جرح غائر قرب عينه اليمنى، وكأنه يتردد، ثم بدأ يتدفق في جداول سميكة.

تهاوى إلى الجانب.

تلوت خارجة من تحته. سقط هو على الأرض.

هل انتهى الأمر؟ هل أفقدته وعيه؟ هل يُعقل أن يكون الأمر بهذه السهولة؟ انحنت بحذر فوقه، تزن الصخرة في يدها استعدادًا لضربة ثالثة وأخيرة.

ثم توقفت، مذهولة.

توقف تدفق الدم. كان جلد نزهة يرتق نفسه بنفسه، جلد شاحب ينمو مجددًا فوق اللحم الأحمر الحي وكأن الزمن عاد للوراء ببساطة.

راقبت بعدم تصدي. كان نزهة يتعافى من الضربات بسرعة مرعبة، كانت تعلم ذلك، لكن العملية استغرقت ساعات في الماضي. الآن، كان جسده يمحو الجروح في ثوانٍ معدودة.

كانت قد أحرقته قبل قليل. حرقًا شديدًا. ولم يكن هناك أثر لذلك أيضًا.

ماذا لو انتزعت قلبه من صدره؟ هل سينبت واحد جديد؟ إذا دفنت سيفه بين ضلوعه، هل سينمو قلبه حوله؟

هناك طريقة واحدة فقط للمعرفة. التقطت السيف من الأرض وجثت فوقه، ممتطية جذعه بركبتيها.

أصدر نزهة أنينًا خافتًا. رفت جفونه.

رفعت رين يدها اليسرى عاليًا، والنصل موجه للأسفل مباشرة. ارتجفت ذراعها؛ بدت أصابعها خرقاء حول المقبض. لكنها لا يمكن أن تخطئ، ليس من هذه الزاوية. لديها ضحية عاجزة وهدف واضح ومكشوف؛ من المستحيل أن تفسد هذا الأمر.

ضربة واحدة قوية في الصدر. هذا كل ما يتطلبه الأمر. ضربة واحدة، وربما لفة للنصل لضمان النتيجة، وسينتهي كل هذا.

لكنها لم تستطع إنزال ذراعها. شيء ما كبح يدها. بدت ذراعها وكأنها جسم دخيل، يتحرك بإرادته الخاصة. صرت على أسنانها وحاولت مجددًا. ظل النصل معلقًا في الهواء.

صرخت بإحباط، واندفعت بجسدها للأمام فوق هيئة نزهة المرتخية، ومع ذلك لم تستطع تقريب النصل ولو قيد أنملة من لحمه.

انفتحت عينا نزهة فجأة، بالتزامن مع صوت طنين أزّ فوق رؤوسهم. رفعت رين بصرها. كان منطاد يقترب، ينقض منخفضًا نحو الفسحة بسرعة مخيفة. أسقطت السيف وتدحرجت مبتعدة عن صدر نزهة.

هبط المنطاد على بعد عشر ياردات فقط. وما إن لامست السلة الأرض حتى قفز الجنود منها، يصرخون بكلمات لم تستطع رين فهمها.

غاصت نحو الأشجار. وطوال اللحظات التالية زحفت بيأس عبر الشجيرات، متجاهلة الأشواك والأغصان التي تخدش عينيها وتمزق جلدها. كوع، ركبة، كوع، ركبة. لم تجرؤ على النظر للخلف. كان عليها الابتعاد وحسب، بأقصى سرعة ممكنة. إذا أمسكوا بها الآن فهي لا شيء؛ بلا سيف، بلا

نار، وبلا جيش. إذا أمسكوا بها الآن، فهي في عداد الموتى. صرخ الألم بها لتتوقف، لكن الخوف دفعها للأمام.

ظلت تنتظر أن تلحق بها الصيحات. أن تشعر ببرودة الفولاذ خلف عنقها.

لكن ذلك لم يحدث.

أخيرًا، عندما توهجت رئتاها كالجمر وشعرت بقلبها يكاد ينفجر من صدرها، توقفت واختلست النظر خلفها.

كان المنطاد يرتفع ببطء في الهواء. راقبته، وقلبها يدق بعنف، وهو يصعد فوق الأشجار. ترنح للحظة، وكأنه غير متأكد من وجهته، ثم انحرف بحدة إلى اليسار وانسحب.

لم يعثروا عليها. لم يحاولوا حتى.

حاولت رين الوقوف وفشلت. عضلاتها أبت أن تطيعها. لم تستطع حتى الجلوس. تداعى عليها أثر الضرب الذي تلقته لتوها دفعة واحدة، مليون ألم وكدمة مختلفة أبقتها ملتصقة بالأرض وكأن أيادي قوية تثبتها للأسفل.

تمددت متكورة على جانبها، عاجزة ومشولة الحركة، تصرخ قهرًا وإحباطًا. لقد أهدرت فرصتها. ولن تستعيدها أبدًا. رحل نزهة، وبقيت هي وحيدة في الوحل، والظلام، والدخان.

الفصل العاشر

استفاقت وهي تغص بالطين؛ فقد تدحرجت فوقه وهي غائبة عن الوعي، فتيبس كقناع فوق النصف السفلي من وجهها. لم تكن قادرة على التنفس أو الرؤية؛ فراحت تخمش عينيها وأنفها وفمها باضطراب، يملؤها رعب من أن يكون صاروخ قد أطاح بملامحها. لكن الطين تقشر في قطع حادة ولزجة تركت جلدها ملتهبًا وواخزًا، وهدأ ذعرها تدريجيًا.

استلقت ساكنة للحظة، تتنفس بعمق، ثم نهضت ببطء على قدميها.

استطاعت الوقوف دون أن تترنح. كانت نشوة الأفيون تتلاشى. تعرف هذه المرحلة من انحسار المخدر جيداً؛ تألف ذلك الجفاف المخدر في لسانها، وذلك الطنين الخافت المربك في صدغيها. كانت بحاجة لساعات أخرى قبل أن يصفو ذهنها تمامًا، لكنها على الأقل قادرة على المشي.

كل شيء يؤلمها. لم ترغب في التوقف لإحصاء جروحها. لم ترد معرفة القائمة الكاملة لما أصابها، ليس الآن. كانت قادرة على تحريك أطرافها الأربعة، وقادرة على الرؤية، والتنفس، والسمع، والمشي. هذا جيد بما يكفي. الباقي يمكنه الانتظار.

ترنحت عائدة نحو القرية، وهي تجفل مع كل خطوة.

كانت الشمس قد بدأت للتو في الشروق. وقع الهجوم بعد منتصف الليل بقليل، ما يعني أنها ظلت ملقاة هناك لخمس ساعات على الأقل. كان ذلك نذير شؤم؛ فلو كان جيشها لا يزال متماسكًا، لكانت مهمتهم الأولى البحث عنها — عن جنرالهم، عن "السبيرية".

لكن لم يأتها أحد.

أدركت أنهم خسروا المعركة؛ كانت تلك نتيجة محسومة سلفًا، فلم يملكوا دفاعات جوية أرضية من الأساس. لكن ما مدى سوء الضرر؟

استقبلها الصمت في ساحة البلدة. لا تزال نيران صغيرة تفرقع عند كل زاوية، وتشتعل داخل فوهات القنابل. تحركت حفنة من الجنود عبر الشوارع، يمشطون الأنقاض ويسحبون الجثث من الحطام. قلة قليلة من تلك الأجساد كانت تتحرك. وقلة أقل كانت كاملة الأعضاء. رأت رين أشلاءً متناثرة أينما نظرت: ذراع هنا، وجذع بلا رأس هناك، وزوج من الأقدام الصغيرة ملقى على الطريق الترابي أمامها مباشرة.

لم تستطع حتى استجماع القوة للتقيؤ. ركزت، وهي لا تزال مذهولة، على التنفس فقط، وعلى البقاء هادئة لمعرفة ما يجب فعله تالياً.

هل يجب أن يختبئوا؟ هل عليها جمع الناجين وإرسالهم للفرار إلى أقرب كهوف؟ أم أنهم آمنون مؤقتًا الآن بعد رحيل المناطيد؟ كيتاي سيعرف ما يجب فعله...

كيتاي.

أين كيتاي؟

حين مدت وعيها نحو "العنقاء"، لم تجد سوى جدار من الصمت. حاولت قمع موجة متصاعدة من الذعر. إذا كان الباب الخلفي لعقلها لا يعمل، فهذا يعني فقط أن كيتاي نائم أو فاقد للوعي. لا يعني أنه رحل. لا يمكن أن يكون قد رحل.

صرخت:

— "أين كيتاي؟"

سألت كل شخص رأته. هزت الجنود المنهكين والناجين شبه الواعين على حد سواء وصرخت بالسؤال في وجوههم. لكن لم يملك أحد أي إجابات؛ قابلوا توسلاتها بصمت مفجع وعيون زجاجية فارغة.

لساعات ظلت تصرخ باسمه في أرجاء تيكاني، تعرج عبر ممرات الأجساد الجريحة، تمسح الحطام بحثًا عن أي علامة لشعره الأجعد الكثيف وأطرافه النحيلة المنمشة. وحين وجدت فينكا، التي نجت بأعجوبة دون أذى، بحثتا معًا، تفقدتا كل شارع وزقاق وطريق مسدود، حتى في المناطق التي كانت بعيدة عن مركز القصف. بحثتا مرتين. وثلاثًا.

لا بد أنه هنا. لا بد أنه بخير. لقد بحثت عنه بهذه الطريقة مرة من قبل، في جولين نيس، حيث كانت فرص نجاته أسوأ بكثير. ومع ذلك أجابها حينها، وأملت أن يفعل ذلك مرة أخرى، أن تسمع صوته الرفيع يخترق الهواء الساكن مرة أخرى.

كانت تعلم أنه حي. وتعلم أنه لم يصب بجروح خطيرة للغاية، ليس أكثر مما أصيبت هي، لأنها كانت ستشعر بذلك. لا بد أنه هنا. لم تجرؤ على التفكير في البدائل لأن البدائل كانت مروعة للغاية، لأنه بدون كيتاي ستكون مجرد...

ستكون مجرد...

ارتجف جسدها بالكامل.

يا إلهي.

قالت فينكا أخيرًا بصوت عالٍ ما كانتا تعرفانه كلتاهما، وهي تلف ذراعيها بقوة حول خصر رين كأنها تخشى أن تؤذي رين نفسها إن تحركت:

— "لقد ذهب. لقد أخذوه. إنه ليس مفقودًا، لقد ذهب."

هزت رين رأسها:

— "علينا مواصلة البحث..."

قالت فينكا:

— "لقد مشينا مرتين عبر كل قدم مربع في دائرة نصف قطرها ميل. إنه ليس هنا. لدينا أشياء أخرى نقلق بشأنها يا رين."

— "لكن كيتاي... لا يمكننا..."

كان صوت فينكا رقيقًا بشكل غير معتاد؛ كانت تبذل جهدًا بطوليًا للمواساة:

— "قد لا يزال بخير. لا توجد جثة."

بالطبع لم تكن هناك جثة. لو كان كيتاي ميتًا لما كانت رين واقفة الآن — مما يترك استنتاجًا واحدًا فقط.

لقد أخذه نزهة أسيرًا.

ويا له من أسير ثمين، رهينة تساوي وزنها ذهبًا. كان ذكيًا جدًا، كان ذكيًا بشكل لعين، وذلك جعله عرضة لأي شخص لديه أدنى فكرة عمن يكون وما الذي يستطيع عقله فعله. ملكة القراصنة "مواغ" حبست كيتاي ذات مرة في منزل آمن وكلفته بموازنة دفاتر حسابات "أنخيلون". ويين فايسرا جعله استراتيجيًا كبيرًا.

فيمَ سيستخدمه نزهة؟ وإلى أي مدى سيكون قاسيًا؟

هذا خطؤها. كان يجب أن تقتله، لم تستطع قتله، والآن هو يملك كيتاي.

أمسكتها فينكا من كتفيها:

— "اهدئي. يجب أن تهدئي، أنتِ ترتجفين. دعينا نأخذكِ إلى طبيب..."

انتزعت رين نفسها من قبضتها بعنف أكبر مما نوت، وقالت:

— "لا تلمسيني."

تراجعت فينكا مذعورة. ترنحت رين مبتعدة. كانت لتجري، لكن كاحلها الأيسر صرخ احتجاجًا كلما تحركت. عرجت بتصميم للأمام، تحاول التنفس، تحاول ألا تبكي. لم يهم إلى أين تذهب، كان عليها فقط الابتعاد عن هذه الأجساد — الدخان، والجمر، والمحتضرين، والموتى.

لم تتبعها فينكا.

ثم وجدت رين نفسها في منتصف الطريق إلى حقول القتل، وحيدة في السهل المغبر. لا جنود في الأفق، لا جواسيس ولا شهود.

أمالت رأسها نحو السماء، وأغمضت عينيها، ومدت يدها للنار.

هيا. هيا...

بالطبع لم تأتِ النار. كانت تعلم أنها لن تأتي؛ كانت تحاول فقط لأنها بحاجة للتأكد، مثلما ينكز المرء الفجوة المؤلمة التي خلفها سن مخلوع ليتفحص حجم الخسارة. حين تلمست الفراغ، وحاولت الميل بوعيها للخلف نحو "البانثيون" كما فعلت مرات عديدة من قبل بسهولة، لم تظفر بشيء.

لا شيء سوى "الختم" — يكمن هناك دائمًا، يسخر منها، وضحكات ألتان تتردد أعلى فأعلى لتجاري يأسها.

كيتاي؟ حاولت إرسال أفكارها إليه. لم تكن رابطة "المرساة" تعمل هكذا؛ لم يكن بوسعهم التواصل تخاطريًا، بل الشعور بألم بعضهم البعض فقط. لكن بغض النظر عن المسافة، كانت أرواحهما لا تزال مرتبطة — ألا يعني ذلك شيئًا؟

أرجوك. قذفت بأفكارها ضد الحاجز في عقلها، تصلي أن تصله بطريقة ما. أرجوك، أنا أحتاجك. أين أنت؟

قوبلت بصمت يصم الآذان.

أمسكت رأسها، ترتجف، وتتنفس في نوبات قصيرة ومسعورة. ثم جاء الرعب المحض والمطلق حين أدركت ما يعنيه هذا.

لم تعد تملك النار.

لم تعد تملك النار.

لقد ذهب كيتاي، ذهب حقًا، وبدونه كانت مكشوفة. عاجزة. فتاة لا تملك ذراعًا للقتال ولا القدرة الشامانية التي تبرر عجزها عن استخدام السيف. ليست "سبيرية"، ولا جندية، ولا إلهة.

أي جيش سيتبعها الآن؟

بيد يائسة، قبضت على سكينها ونحتت علامة استفهام مرتعشة في أعلى فخذها، عميقة بما يكفي لتترك ندوبًا قد تظهر كخطوط بيضاء رفيعة على جلد كيتاي. لقد تواصلا بهذه الطريقة مرة من قبل؛ يجب أن تنجح مرة أخرى.

نحتت علامة أخرى. ثم أخرى. قطعت فخذها حتى أدمته. لكن كيتاي لم يجب أبدًا.

***

كانت تيكاني ملفوفة بصمت مرعب حين عادت من الحقول. لم يبدُ أن أحدًا يعرف ما يجب فعله. هنا وهناك رأت رين جهودًا مفككة للإنقاذ وإعادة البناء. تم إنشاء مركز فرز طبي في ساحة المحرقة، حيث ضربت القنابل بقوة أكبر، لكن رين لم ترَ سوى طبيبين ومساعد واحد، وهو عدد لا يكفي للتعامل مع طوابير الجرحى الممتدة حول الساحة. رأت جنودًا يزيلون الأنقاض أو يقومون بمحاولات عقيمة لإنشاء ملاجئ مؤقتة من الحفر المجوفة حيث كانت تقف المباني. لكن معظم الناجين، مدنيين وجنودًا، وقفوا فقط بذهول، وكأنهم لا يزالون غير قادرين تمامًا على تصديق ما حدث للتو.

لم يكن أحد يصدر الأوامر.

افترضت رين أنها كان يجب أن تكون هي من يصدر الأوامر.

لكنها هي أيضًا كانت تمشي في شرود عاجز. لم تكن تعرف ماذا تقول. كل أمر، كل فعل يمكن أن تتخذه بدا بلا جدوى تمامًا. كيف يمكنهم العودة من هذا؟

لم تستطع إعادة الزمن للوراء. لم تستطع إعادة الموتى.

كان ألتان ليقول: لا تكوني مثيرة للشفقة. استطاعت سماع صوته عاليًا وواضحًا، وكأنه يقف بجوارها تمامًا. توقفي عن التصرف كطفلة مدللة. إذن لقد خسرتِ. أنتِ لا تزالين حية. اجمعي الشتات واعرفي كيف تبدئين من جديد.

أخذت نفسًا عميقًا، وقومت كتفيها، وحاولت على الأقل التصرف وكأنها تعرف ما تفعله.

العودة للأساسيات. كان عليها معرفة الأصول التي لا تزال تملكها، وما خسرته. احتاجت لتحديد قدراتها القتالية. كان عليها جمع ضباطها.

أمسكت بذراع أول "ذئب حديدي" رأته وسألت:

— "أين سوجي؟"

لم تكن لتتفاجأ لو قال إنه لا يعرف. كان معظم "الذئاب الحديدية" يتجولون بلا هدف، وبدا عليهم الارتباك والضياع مثل البقية. لكنها لم تكن مستعدة لنظرة الرعب التي اعتلت وجهه.

بدا وكأنها هددت لتوها بقتله.

توقف قبل أن يجيب:

— "آه، ليس هنا يا سيدتي..."

قاطعته بحدة:

— "أستطيع رؤية ذلك. جده لي. أخبره أنني أريد رؤيته. حالًا."

بدا "الذئب الحديدي" وكأنه يحاول اتخاذ قرار ما. كانت في عينيه نظرة غريبة لم تستطع رين قراءتها تمامًا. تحدٍ؟ مجرد ارتباك؟ فتحت فمها لتسأل مرة أخرى، لكنه أعطاها إيماءة مقتضبة واتجه نحو الحطام.

عادت إلى مجمع الجنرال، أحد المباني القليلة التي بقيت سليمة بفضل أساساتها الحجرية الصلبة. جلست خلف المكتب، وسحبت رزمة من وثائق التخطيط من أحد الأدراج، وفرشتها على مكتبها. ثم بدأت تفكر.

كان الأفيون قد اختفى تقريبًا من مجرى دمها. عاد صفاء ذهنها. عاد عقلها إلى المستوى البارد والمنطقي حيث توجد الاستراتيجية خارج احتكاك الحرب. بدا الشعور مألوفًا، مهدئًا. يمكنها فعل هذا. لقد تدربت على هذا.

للحظة نسيت صدمة ما رأته للتو، ونسيت المليون جرح التي تمزق جسدها، وشغلت نفسها بالخطوات التالية. ستبدأ بالمهام التي لا تحتاج سوجي لأجلها. الأولويات أولًا: جمعت حفنة من العدائين الموثوقين وأمرتهم بإجراء تقييمات بأسرع ما يمكن. أحصت عدد الرجال المتبقين بناءً على تقارير الفرز

وعد الجثث. ودونت قائمة بالضروريات الأساسية التي يحتاجها الجيش للتعافي، أو العثور عليها، أو بنائها خلال الأربع وعشرين ساعة القادمة — وسائل نقل، ومخزونات طعام، ومأوى. أعادت قراءة تقارير الجواسيس حول آخر مواقع معروفة لقوات الجمهورية. كانت تلك الاستخبارات قديمة بوضوح، لكن معرفة الفجوات في معلوماتهم كانت مفيدة.

ثم حاولت التوصل لطريقة لتدمير تلك المناطيد اللعينة.

يمكنها التعامل مع البنادق — فهي تقريبًا مجرد أقواس نشاب أسرع وأكثر فتكًا. لكن السفن الهوائية اللعينة غيرت مشهد المعركة، وأضافت بعدًا إضافيًا لم تستطع المنافسة فيه. احتاجت لطريقة لإسقاطها.

بدأت برسم أفضل ما في ذاكرتها عن بنيتها. تمنت لو تمكنوا من إسقاط ولو منطاد واحد للدراسة، لكن الذاكرة ستفي بالغرض حاليًا. كانت الصور في عين عقلها مشوشة؛ كان عليها التركيز عبر رؤى الدخان والرعد لتتذكر أين وُضعت المدافع، وكيف ثُبتت سلال الركاب بالبالونات.

عرفت شيئًا واحدًا — السفن الهوائية كانت مصممة جيدًا بشكل محبط. كانت مدرعة بكثافة من الأسفل، بلا شقوق ظاهرة يمكن التصويب عليها، وكانت تطفو عاليًا جدًا في الهواء بحيث لا تصل إليها السهام أو المدافع. البالونات التي تبقي المناطيد طافية شكلت أهدافًا واعدة أكثر. إذا استطاعت ثقبها، يمكنها إرسال السفينة بأكملها لتتحطم. لكن بدا أنها مطلية بنوع من المعدن الخفيف القوي بما يكفي لحرف رؤوس السهام، ولم تنجح أبدًا في إطلاق كرة مدفع لارتفاع كافٍ لترى ما يحدث عند الاصطدام.

الصواريخ إذن؟ هل يمكنهم ضبط المسار بدقة؟ ما مقدار القوة المتفجرة التي ستحتاجها تلك الصواريخ؟ وكيف ستنظم قوات المدفعية الأرضية تلك؟

جعدت مخططها بإحباط. هذه الأنواع من المشاكل كانت مجال كيتاي. كان مهندسها، وحلال المشاكل. هي تضع المخططات الكبرى، وكيتاي

يكتشف التفاصيل. كان ليحل هذا اللغز بالفعل، وكان ليبدأ بالفعل في صياغة اختراع أحمق ما ينجح بطريقة أو بأخرى.

طعن ألم لا علاقة له بجروحها صدرها، وانتشر مثل شفرات تتشظى إلى خناجر، تنهش قلبها مثل خطافات تسلق. شهقت، ثم كتمت فمها بيدها. قطرت الدموع على أصابعها. لم تستطع فعل هذا وحدها. يا إلهي، افتقدته كثيرًا.

وبخها ألتان: توقفي عن ذلك. توقفي عن التصرف كطفلة لعينة.

لقد رحل كيتاي. التذمر والنحيب لن يغيرا ذلك. كل ما يمكنها فعله الآن هو التركيز على استعادته.

نحت رسوماتها جانبًا. لن تتمكن من حل هذا الآن. كان عليها التفكير في البقاء الأساسي، كان عليها إيصال ما تبقى من الجيش بأمان عبر الليل. ولأجل ذلك احتاجت سوجي، لكنه لم يظهر بعد.

عبست. لماذا لم يظهر؟ مر أكثر من ساعة. لم تره منذ الهجوم، لكنه بالتأكيد ليس ميتًا أو مأسورًا — لكانت عرفت الآن. وقفت واتجهت بخطوات واسعة نحو الباب. قفزت مذعورة حين رأت "الذئب الحديدي" نفسه من وقت سابق يقف على الجانب الآخر، ويده مرفوعة كأنه كان على وشك الطرق. لم يكن سوجي في الأفق.

سألت بحدة:

— "أين هو؟"

تنحنح "الذئب الحديدي":

— "سوجي يطلب أن تقابليه في خيمته."

بدا ذلك مريبًا لـ رين على الفور. اتخذ سوجي مقرًا له في مجمع الجنرال مثل بقية قيادة الجيش. ما الذي يفعله بحق الجحيم في خيمته؟

— "هل يمزح؟ أنا أنتظر منذ أكثر من ساعة الآن، ويظن أنه يمكنه استدعائي ببساطة؟"

ظل تعبير "الذئب الحديدي" خاليًا بتعمد:

— "هذا كل ما قاله. يمكنني أخذكِ إن أردتِ."

للحظة فكرت رين في رفض الاستدعاء. من يظن سوجي نفسه؟ هي أعلى رتبة منه. هو يرتدي طوق السلطة حول عنقه. كيف يجرؤ على جعلها تنتظر، كيف يجرؤ...

عضت لسانها قبل أن تقول شيئًا متهورًا.

لا تكوني حمقاء. لم تستطع تحمل استعراض للقوة الآن. كيتاي ذهب والنار ذهبت. لم تملك أي ورقة ضغط. لم يكن هذا وقت المخادعة. لمرة واحدة، سيتعين عليها أن تكون دبلوماسية.

قالت بضيق:

— "حسنًا."

وتبعت "الذئب الحديدي" خارج الباب.

***

لم يكن سوجي ينتظر في خيمته.

توقفت رين فجأة عند المدخل وقالت:

— "أنت."

نهض "أمير حرب القردة" من مقعده وقال:

— "مرحبًا يا رونين."

— "ما الذي..." أخذت نفسًا حادًا، ثم تمالكت نفسها. "اخرج."

أشار إلى الطاولة:

— "لماذا لا تجلسين؟ لدينا الكثير لمناقشته."

قالت مرة أخرى:

— "اخرج."

تجاوز الغضب ارتباكها. لم تكن تعرف لماذا غوروباي هنا، لكنها لم تهتم — أرادته أن يرحل. لم يكن يستحق أن يكون هنا. لم يكن هذا نصره، ولم تنزف

قواته في "ليانغ"، ومجرد رؤيته واقفًا هنا في "إقليم الديك"، حيث مات شعبها بينما كان هو يختبئ في "رويجين"، كان أمرًا يفوق الاحتمال. لو كانت لا تزال تملك النار، لأحرقته في مكانه.

قال:

– "يجب أن تكوني ممتنة لوصولنا في هذا الوقت. قواتي كانت تقود جهود الإنقاذ، ألم تلاحظي؟ لولانا، لكان المئات منكم في عداد الموتى."

أطلقت ضحكة نباحية:

– "إذن كانت تلك خطتك؟ تختبئ في جبالك حتى أفوز بمعاركك، وتتبعنا، ثم تدعي نصرنا؟"

تنهد غوروباي:

– "بالكاد أسمي هذا نصرًا."

انشقت طيات الخيمة قبل أن تتمكن من الرد. دخل سوجي بخطوات واسعة، يتبعه ثلاثة من "الذئاب الحديدية" والعديد من صغار ضباط "جودن".

نظرت إليهم رين بدهشة. كانت تنتظر هؤلاء الضباط طوال فترة انتظارها لـ سوجي. هل لهذا السبب لم يستجب أحد؟ هل قضوا كل هذا الوقت معًا؟ يفعلون ماذا؟

قال سوجي:

– "أوه، جيد. جميعنا هنا."

صاحت رين:

– "أين كنتم جميعًا بحق الجحيم؟ لقد كنت أرسل في طلبكم منذ الظهيرة."

تنهد وهز رأسه:

– "أوه يا رين."

– "ماذا؟ ما الذي يحدث؟"

لم يجرؤ أي من ضباط "جودن" على التقاء عينيها.

رمقها سوجي بابتسامة اعتذارية. لعبت أصابعه بمقبض سيفه وقال:

– "لم تكتشفي الأمر بعد؟"

بعد فوات الأوان، أدركت رين أنها وحيدة.

وحيدة، وبلا نارها.

طارت يدها إلى سكينها. اندفع سوجي نحوها. استلت نصلها، وصدت بخرق، ولم تصمد ثلاث ثوانٍ. لوى سكينها من قبضتها بحركة يستخدمها المبارزون المبتدئون، ثم ركلها بعيداً عن متناولها.

سخر منها:

– "أين نارِكِ؟"

رمت بنفسها نحو خصره. ومرة أخرى، تغلب عليها بسهولة. في ذروة تدريبها كان بإمكانها القتال جيداً، كان بإمكانها خمش عينيه أو الحصول على قبضة جيدة وشرسة على منطقته الحساسة. لكنه كان أضخم وأثقل، وكان يملك كلتا يديه. في حركتين، ثبتها على الأرض.

لاحظ قائلًا:

– "إذن فالأمر صحيح. لقد فقدتِها."

تلوت وهي تصرخ.

– "هششش."

أطبقت أصابع سوجي حول حلقها وضغطت.

– "ليس بصوت عالٍ هكذا. تؤذين أذني."

شهقت:

– "ماذا تفعل؟ ماذا تفعل بحق الجحيم..."

رفع غوروباي صوته يقرأ من لفافة:

– "يقول: أخبروها أنني سأخرج حرًا إذا جاءت إلى المدينة الجديدة بنفسها."

حدقت فيه رين بذهول. كان عقلها مشوشًا بالذعر لدرجة استغرق معها لحظة للتعرف على تلك الكلمات.

أين قرأت تلك...

أوه.

أوه، لا.

تابع غوروباي:

– "يقول إن هذا لا يجب أن ينتهي بسفك الدماء، وأنه يريد التحدث فقط. يقول إنه لا يريد حربًا. إنه مستعد لمنح العفو لكل واحد من حلفائك. إنه يريدكِ أنتِ فقط."

وضع غوروباي اللفافة جانبًا وأضاف:

– "أمر بارد للغاية، كما أظن، أن يضحي بعائلته الوحيدة."

هسهست:

– "أيها الثعبان."

لابد أنه علم بهذا من جواسيسه – جواسيسه اللعينين الموجودين في كل مكان، يتنصتون عليها أينما ذهبت، حتى بعد أن ابتعدوا فراسخ عن "رويجين". من كان؟ الحراس؟ الحارس خارج خيمتها؟ هل فتح اللفافة ونسخها قبل أن تراها هي أصلًا؟

ظنت أنها تغلبت عليه، وأنها حصلت أخيرًا على اليد العليا. لكنه كان يلعب اللعبة الطويلة طوال الوقت.

سأل غوروباي:

– "متى كنتِ ستخبريننا أن هناك عرض سلام مطروحًا على الطاولة؟ قبل أم بعد أن تضحي بنا في حرب غير ضرورية؟"

اختنقت بكلماتها:

– "نزهة وغد كاذب. إنه لا يريد التفاوض..."

قال غوروباي:

– "على العكس. بدا متحمسًا جداً لاقتراحنا. ترين، نحن لا نريد أن نموت. وليس لدينا أي وازع من التضحية بكِ، خاصة وأنكِ بدوتِ مستعدة جداً لفعل الشيء نفسه بنا."

– "هل أنت مخدوع؟ أنت تحتاجني..."

رد غوروباي:

– "كنا نحتاجك في الجنوب. ونحن نملك الجنوب. الآن أنتِ مجرد عبء، والعقبة الوحيدة أمام وقف إطلاق النار مع الجمهورية."

بصقت قائلة:

– "إذا كنت تظن أنك ستحصل على هدنة، فأنت غبي لدرجة تستحق الموت. آل يين لا يحفظون عهودهم. أقسم بالآلهة، إذا سلمتني فأنت ميت."

قال غوروباي:

– "ونحن ميتون إن لم نفعل. سنخاطر بفرصنا. سوجي؟"

شدد سوجي قبضته حول عنقها:

– "آسف يا أميرة."

تلوت رين، بقوة تكفي فقط لإجبار سوجي على الميل للأمام واستخدام وزنه لضغطها مرة أخرى ضد التراب. جعل ذلك معصمه قريبًا بما يكفي من فمها. كشرت عن أسنانها وعضت بقوة. مزقت الجلد؛ وتذوقت النحاس والملح على لسانها. صرخ سوجي. اختفى الضغط عن عنقها. ثم اصطدم شيء بجانب رأسها.

سقطت للخلف، وصدغاها يرنان، والدم يسيل على ذقنها.

رأت نسختين من سوجي تلوحان فوقها، وبدا كلاهما ساخطًا للغاية لدرجة أنها لم تستطع إلا أن تضحك.

قالت:

– "طعمك لذيذ."

رد بصفعة على وجهها. ثم أخرى. لسعت الضربات مثل البرق؛ ومع دوران رأسها، وطنين أذنيها، لم تستطع فعل شيء سوى الاستلقاء ساكنة وتلقي الضربات كجثة.

– "لستِ ثرثارة الآن، أليس كذلك؟"

غرغرت بشيء غير مفهوم. سحب قبضته للخلف، وكان ذلك آخر ما رأته.

***

كانت ملقاة على الأرضية نفسها حين استيقظت. كل شيء يؤلم. حين اختلجت، شعرت بامتداد الكدمات على طول ظهرها، كدمات من ضربات لا تتذكر تلقيها. استمر سوجي في الركل طويلًا بعد أن فقدت وعيها.

كان التنفس عذابًا. كان عليها أن تتعلم أخذ أنفاس صغيرة، خانقة وغير كافية، توسع رئتيها بما يكفي فقط لكي لا تكسر ضلوعها التي من المرجح أنها مكسورة.

بعد بضع ثوان، أفسح خوفها المجال للارتباك.

كان يجب أن تكون ميتة.

لماذا لم تمت بعد؟

جاء صوت سوجي:

– "ها هي ذي. أفترض أننا لسنا بحاجة للتحقق من هويتها."

رأت حذاءه يقف على بعد عدة أقدام. مع من كان يتحدث؟ حاولت رين مد عنقها لترى، لكن عينيها المتورمتين حدتا من رؤيتها، ولم تستطع إمالة رأسها لأعلى أكثر من ثلاثين درجة. استلقت متكورة على جانبها؛ واقتصر مجال رؤيتها على الأرضية الترابية وجدار الخيمة.

دوت خطوات قريبة من رأسها. وضع أحدهم كعب حذائه على عنقها.

تحدث صوت غير مألوف:

– "المارشال الشاب يريدها حية."

تصلبت رين. المارشال الشاب. هذا الرجل مبعوث نزهة.

قال المبعوث:

— "كانت أوامره أن نأخذها حية إن استطعنا، وميتة إن قاومت. أقول لنستبق أي مقاومة. لقد رأيت ما يمكنها فعله حين تكون مستيقظة."

تحدث صوت آخر عبر الغرفة:

— "يمكننا إبقاؤها مخدرة. أحضرنا ما يكفي من الأفيون للرحلة. هذا يبقيها غير مؤذية."

سأل سوجي:

— "هل ستراهنون بحياتكم على ذلك؟ هيا، اضغط أقوى قليلًا. لن يشي أحد منا."

جفلت رين، مهيئة نفسها للصدمة. لكنها لم تأتِ أبدًا — فجأة ارتفع الحذاء عن عنقها، وابتعدت الخطوات عن رأسها.

سمعت حفيف طيات الخيمة.

— "لا يمكنكم قتلها."

اتسعت عيناها. داجي؟

سأل سوجي:

— "من هذه الشمطاء؟ ليرمها أحدكم في الخارج."

كانت هناك فورة حركة، وصليل فولاذ، ثم جلبة عالية لأسلحة تسقط على الأرض.

قالت داجي، ببطء شديد، وبهدوء شديد:

— "لا تلمسني. والآن تراجعوا."

ساد الصمت الخيمة.

ارتفع صوت داجي وهي تعبر الخيمة نحو رين:

– "إنها تجسد مختار من الآلهة. جسدها جسر بين هذا العالم والبانثيون. إذا آذيتموها، فإن إلهها سيتدفق بكامل قوته إلى عالمنا. هل واجهتم العنقاء من قبل؟ ستتحولون إلى رماد قبل أن يرتد لكم طرف."

هذا غير صحيح، فكرت رين بذهول. ليس هكذا يعمل الأمر. إذا آذوها الآن، بدون كيتاي، لن يستطيع العنقاء فعل شيء لمساعدتها.

لكن لم يكن أحد منهم يعرف ذلك. لم يعترض أحد. كان الرجال صامتين تمامًا، معلقين بكل كلمة تقولها داجي.

تخيلت رين ما كان يحدث. لقد عانت من تنويم "الأفعى" من قبل. عيون داجي تسبب الشلل – تلك العيون الصفراء الساطعة كعيون الثعابين التي تغوي وتدعو؛ تلك الحدقات التي تتسع لتصبح بوابات لرؤى مظلمة وجميلة لأجنحة الفراشات والحنين البائس. "الأفعى" تجعل فريستها ترغب. تتوق. تتألم.

حين تحدث سوجي أخيرًا، بدا صوته مختلفًا – مذهولًا، مترددًا:

– "إذن ماذا نفعل؟"

قالت داجي:

– "هناك جبل في إقليم الأفعى. ليس بعيداً عن هنا. ستكون مسيرة طويلة، لكن..."

قال أحد مبعوثي نزهة:

– "لدينا منطاد."

تحدث بلهفة، كأنه يحاول إثارة الإعجاب. لو لم تكن رين مرعوبة جداً لضحكت.

– "لدينا الوقود. يمكننا الطيران إلى هناك في أقل من يوم."

هدلت داجي:

– "جيد جداً أيها الضابط."

لم يعترض أحد. داجي أوقعت هؤلاء الرجال في الفخ بحق. جيد، فكرت رين. الآن انزعي أحشاءهم.

لكن داجي لم تتحرك.

قال سوجي بعد صمت:

— "سمعت عن هذا الجبل. من المستحيل العثور عليه."

قالت داجي:

— "فقط لأولئك الذين لا يعرفون إلى أين يذهبون. لكنني كنت هناك مرات عديدة."

سأل سوجي:

— "ومن أنتِ؟"

لم يبدُ السؤالَ كتحد. بل بدا مرتبكًا، كرجل استيقظ للتو من سبات عميق ليجد نفسه في غابة غير مألوفة. كان سوجي يتخبط عبر الضباب، يحاول يائسًا الإمساك بوضوح الرؤية.

أطلقت داجي ضحكة خفيضة:

— "مجرد امرأة عجوز رأت قدرًا لا بأس به من العالم."

— "لكنكِ لا..."

تلاشى صوت سوجي. تبدد سؤاله إلى العدم. تمنت رين لو تستطيع رؤية وجهه.

قال أول مبعوثي نزهة، ذلك الذي وضع حذاءه على عنق رين:

— "سيريد المارشال الشاب رؤيتها أولًا. سيريد أن يعرف أنها..."

قالت داجي بسلاسة:

— "سيكتفي مارشالكم الشاب بتقريركم. أنتم مساعدوه المخلصون. سيثق بكلمتكم. انتظروا أطول من ذلك وتخاطرون باستيقاظها."

— "لكننا كلفنا بـ..."

قالت داجي:

— "يين نزهة ضعيف ومريض. لا يمكنه مواجهة السبيرية الآن. ماذا تظنون أنها ستفعل إذا ضربت؟ ستحرقه في سريره، وستُعرفون بأنكم الرجال الذين أحضروا هذا الوحش إلى عقر داره. هل ستقتلون جنرالكم؟"

قال الجندي:

— "لكنه قال إنها فقدت النار."

ضغطت داجي:

— "وتثق بهذا الرجل؟ ستراهن بحياة المارشال الشاب على كلمات قائد عصابات؟"

تمتم الجندي:

— "لا. لكننا..."

همست داجي:

— "لا تفكر."

كان صوتها كحرير رقيق.

— "لماذا تفكر؟ لا تزعج نفسك بهذه الأفكار. الطاعة أسهل بكثير، أتذكر؟ عليك فقط أن تفعل كما أقول، وستنعم بالسلام."

هبط صمت خاضع آخر على الغرفة.

هدلت داجي:

— "جيد. فتيان مطيعون."

لم تستطع رين رؤية عيني داجي، ليس من هذه الزاوية، لكن حتى هي شعرت بالنعاس، تنجذب نحو التموجات الناعمة والمريحة لصوت داجي.

انحنت داجي فوق رين وملست الشعر بعيداً عن وجهها. تلكأت أصابعها فوق عنق رين المكشوف.

— "الآن، ستريدون تخديرها لأجل الرحلة."

الرحلة.

لم تكن كل هذه مجرد خدعة إذن. إنهم حقًا يأخذونها إلى تشولو كوريك. السجن الحجري، الجحيم داخل الجبل، المكان الذي يؤخذ إليه الشامان الذين جنوا ليحبسوا في الحجر، محاصرين للأبد، غير قادرين على استدعاء آلهتهم وغير قادرين على الموت.

يا إلهي، لا. ليس هناك.

ذهبت رين إلى تشولو كوريك مرة واحدة. مجرد التفكير في العودة جعلها تشعر وكأنها تغرق.

حاولت رفع رأسها. حاولت قول شيء، فعل أي شيء. لكن همسات داجي غسلت أفكارها مثل تيار بارد ومطهر.

– "لا تفكري."

بالكاد سمعت رين كلمات مميزة بعد الآن، مجرد موسيقى، مجرد نغمات رنانة هدأت عقلها كتهويدة.

– "استسلمي يا عزيزتي. ثقي بي، هذا أسهل. هذا أسهل بكثير."

الجزء الثاني

الفصل الحادي عشر

قال ريغا:

— "قبل أن يعيش البشر على هذه الأرض، تخاصم إله الماء وإله النار وشقا السماء نصفين. تصدع كل ذلك الخزف الأزرق اللامع وسقط على الأرض، وانكشفت الأرض بخضرتها للظلام مثل قشرة بيضة مهشمة. تلك صورة جميلة، أليست كذلك؟"

تحركت داجي بحذر نحوه، وأصابعها ممدودة كما لو كانت تقترب من حيوان بري. لم تكن تعرف ما تتوقعه منه. لم يعد أي شيء يفعله ريغا قابلًا للتنبؤ؛ في هذه الأيام لم تستطع التمييز من ثانية لأخرى ما إذا كان على وشك تقبيلها أو ضربها.

كانت ستتفاجأ بدرجة أقل لو كان يصرخ، ويقذف بالأشياء والناس ضد الجدران لأن الأمور ساءت، وكانت تسير من سيء لأسوأ لأسابيع.

لكن ريغا كان يقرأ. كل ما بنوه على مدى السنوات القليلة الماضية، كل صخرة في قلعتهم، كان يتداعى من حولهم، وهو واقف بجوار النافذة ومعه كتاب أساطير للأطفال، يقلب صفحاته بكسل، يقرأ بصوت عالٍ بحق الجحيم وكأنه يظن أنها بحاجة لقصة قبل النوم.

حافظت على صوتها منخفضًا كي لا تفزعه.

— "ريغا، ما الذي يحدث هناك بالخارج؟"

تجاهل سؤالها.

— "أتدرين، أظنني اكتشفت من أين تأتين بكل ذلك البر بالنفس."

قلب الكتاب ليريها الرسوم الملونة.

— " (نووا) تصلح السماء. لقد سمعتِ هذه الأسطورة، أليس كذلك؟ الرجال يدمرون العالم، وعلى المرأة أن تعيد تجميعه. رقعت الإلهة نووا ذلك الصدع الذي أحدثوه في السماء، صخرة تلو صخرة، وعاد العالم صحيحًا مرة أخرى."

حدقت داجي فيه، تبحث بجموح عن شيء لتقوله.

لم تعد تفهم ما يتحدث عنه بعد الآن. لم تكن تعرف متى بدأت التغييرات —ربما بعد (لوسان)، أو ربما منذ (الأراضي الخلفية). بدأ الأمر تدريجيًا للغاية، مثل قطرات صغيرة من الماء انفجرت في النهاية عبر سد، والآن تحول ريغا إلى شخص مختلف تمامًا، شخص يهاجم ويؤذي من حوله ويبتهج بتعذيبها بألغاز كان يعلم أنها لا تملك إجابتها.

اعتاد أن يصب قوته على الآخرين فقط. الآن، الشخص الذي بدا أنه يستمتع بخوفه أكثر هو داجي.

عد إليّ، أرادت أن تصرخ في كل مرة يتحدثان فيها. شيء ما انكسر بينهما، جرح غير مرئي. بدأ الأمر بموت (تسيفيري) ونما مثل تعفن غرغريني، والآن يلوح خلف كل كلمة ينطقان بها، كل أمر يصدرانه.

واحد سيموت، وواحد سيحكم، وواحد سينام إلى الأبد.

قالت:

— "أنت تهذي."

اكتفى بالضحك.

— "أليس الأمر واضحًا؟"

أومأ نحو النافذة.

— "قصصنا تتحرك في دوائر. تنبأت (الكلاسيكيات) كيف سيسير هذا الأمر برمته. أنا وزيا سنحطم العالم. وأنتِ ستصلحينه."

استطاعت داجي أن تلمح الشاطئ المحترق من حيث وقفت. لم تكن بحاجة لمناظير الجنرال (تسولين) الفلكية القوية لتر ما يحدث عبر المضيق. منظار بسيط كان كافيًا.

أضاءت بقع برتقالية الليل. لو لم تكن تعرف الحقيقة، لظنت أنها مفرقعات نارية.

تساءلت، لأنها لم تستطع منع نفسها، عما إذا كان أي من الأطفال الذين لم يأخذهم (شيرو) قد نجحوا على الأقل في مغادرة الجزيرة، عما إذا كان آباؤهم قد كدسوهم في قوارب وأمروهم بالتجديف، دون النظر للوراء أبدًا. لكنها كانت أعلم من أن تأمل. كان (الموغين) دقيقين للغاية.

عرفت أنه بحلول الصباح، لن يُترك أحد على قيد الحياة في تلك الجزيرة.

لقد حكم ريغا علينا بالهلاك.

كانت هذه النهاية. عرفت هذا كحقيقة أساسية، مؤكدة مثل دوران الأرض حول الشمس. سيدفعون الثمن غاليًا لتضحيتهم بدم السبيريين. هذا النوع من الشر لن يمر دون عقاب —لن تسمح الآلهة بذلك.

كل ما حاربوا من أجله، كل ما بنوه —ذهب أدراج الرياح. كل ذلك من أجل مقامرة غبية، غبية للغاية.

— "هل يعجبكِ ما ترينه؟"

اقترب ريغا منها من الخلف ووضع يديه على وركيها.

هل وجد هذا مثيرًا؟ سيفعل.

خفضت المنظار، محاولة إخفاء الخفقان المسعور لقلبها. استدارت وحاولت الابتسام. أحبها ريغا أكثر بكثير عندما تبتسم.

سألته:

— "هل يعرف زيا بالأمر بعد؟"

قال ريغا:

— "سيكون هنا قريبًا بما يكفي. لم أظن أنه سيرغب في تفويت هذا."
— "هذا قاسٍ."
هز كتفيه.
— "سيكون مفيدًا له. إنه يزداد لينًا، علينا أن نشحذ ذلك النصل."
— "وماذا يحدث عندما ينقلب ذلك النصل ضدك؟"
— "لن يفعل أبدًا."
عصر ريغا خصرها، ضاحكًا بخفوت.
— "إنه يحبنا."
انفتح الباب بقوة. اقتحم زيا المكان، في اللحظة المناسبة تمامًا.
سأل بحدة:
— "ما الذي يحدث؟ قالوا إن سبير تتعرض للهجوم."
— "أوه، لقد هوجمت سبير بالفعل."
أشار ريغا إلى النافذة.
— "هذه مجرد العواقب."
— "هذا مستحيل."
خطف زيا المنظار من يدي داجي. حاول توجيهه نحو الشاطئ، لكن يديه ارتجفتا بشدة بحيث لم يستطع تثبيته.
— "أين كانت سفن فايسرا؟"
ريغا، الذي بدا متعجرفًا، لم يجب.
وضعت داجي يدًا على ذراع زيا.
— "يجب عليك..."
صرخ زيا:
— "أين كانت سفن فايسرا؟"
كان يرتجف، وبالكاد يسيطر على نفسه. استطاعت داجي رؤية الصور الظلية الباهتة لمخلوقات حبرية تحت جلده، تجاهد لتتدفق من داخله.

تنهد ريغا.

– "هيا يا زيا. أنت تعرف ما كان علينا فعله."

تحرك فم زيا بلا صوت. راقبت داجي عينيه وهما تتقلبان بين وجه ريغا والنافذة.

مسكين زيا. كان دائمًا مولعًا جداً بـ (هانيلاي). كانت هناك لحظات خشيت فيها أن يحاول الزواج من جنرالته السبيرية الصغيرة المفعمة بالحيوية تلك. لم يكن ريغا ليسمح بذلك بالطبع –كان دائمًا متشددًا بشأن نقاء (النيكار)ا، وكان يكره هانيلاي أيضًا– لكن زيا ربما كان ليفرض الأمر رغم ذلك.

حب مضلل. أصدقاء غيورون. تاقت للوقت الذي كانت فيه تلك أكبر مشاكلهم.

قال زيا:

– "يجب أن أذهب إلى سبير. يجب أن... يجب أن أجدها."

– "أوه، كفى الآن. أنت تعرف ما ستجده."

أشار ريغا بإيماءة واسعة إلى الشاطئ المحترق.

– "يمكنك رؤية الجزيرة بوضوح كافٍ من هنا. كلهم ماتوا، كل واحد منهم. الصراصير دقيقة إن لم تكن شيئًا آخر. لقد انتهى الأمر بالفعل. أي قتال يحدث الآن هو مجرد تنظيف. هانيلاي ميتة، يا زيا. أخبرتك أنه كان من الحماقة تركها تذهب."

بدا زيا وكأن ريغا قد أخذ خنجرًا ولفه في قلبه.

ربت ريغا على ظهره.

– "إنه للأفضل."

همس زيا:

– "لم يكن لديك الحق."

ضحك ريغا ضحكة عميقة وقاسية.

— "الآن ينمو لك عمود فقري؟"

— "دماؤهم عليك. أنت قتلتهم."

قلد ريغا صوته:

— " أنت قتلتهم. لا تحدثني عن قتل الأبرياء. من سوى هضبة (سكاريجون) بالأرض؟ من انتزع قلب (تسيفيري) من صدرها؟"

— "تسيفيري لم تكن غلطتي..."

سخر ريغا:

— "أوه، ليست غلطتك أبدًا. أنت فقط تفقد السيطرة وينتهي الأمر بالناس موتى بالخطأ، ثم تستيقظ وتبدأ في التذمر بشأن الأشخاص الذين يملكون الجرأة لفعل ما هو ضروري وهم في كامل وعيهم. تمالك نفسك يا أخي. أنت قتلت تسيفيري. وتركت هانيلاي تذهب لحتفها. لماذا؟ لأنك تعرف ما هو ضروري وما هو على المحك، وتعرف أنه في المخطط الكبير للأشياء، هاتان العاهرتان الصغيرتان الخاصتان بك كانتا عقبتين لا تستحقان الذكر. فكر في ما حدث كمعروف. أنت تعرف أنه ربما كان كذلك. أنت تعرف أن السبيريين كانوا سيفسدون الحكم الذاتي في اللحظة التي يحصلون عليه، وربما كانوا سيبدؤون في ذبح بعضهم البعض في اللحظة التي ندعهم يتولون المسؤولية. أنت تعرف أن أشخاصًا مثل هانيلاي لم يكونوا أبدًا جيدين بشكل خاص في كونهم أحرارًا."

قال زيا:

— "أنا أكرهك. أتمنى لو كنا جميعًا موتى."

رفع ريغا يده وصفعه بلا مبالاة بظهر كفه عبر وجهه. تردد صدى الضربة عبر الغرفة.

— "لقد حررتك من قيودك."

تقدم ريغا نحو زيا المنكمش، وهو يسحب سيفه ببطء.

— "سحبت كلاكما من المنطقة المحتلة. وجدت (سكان الأراضي الخلفية)، وأخذتكم إلى جبل (تيانشان)، وجلبتكم إلى البانثيون. وتجرؤ على تحديي؟"

أزّ الهواء، كثيفًا بشيء قوي، خانق، ورهيب.

فقط اركع، أرادت داجي الصراخ في زيا. اركع وسينتهي الأمر.

لكنها كانت خرساء، متسمرة في مكانها من الخوف.

لم يتحرك زيا أيضًا. كان المشهد غريبًا، رجل بالغ ينكمش كطفل، لكن داجي عرفت ما الذي جعله يفعل ذلك.

كان الخوف محفورًا في عظام زيا، تمامًا كما كان في عظامها. ضربة بضربة، وجرحًا بجرح —على مدى العقد الماضي، منذ كانوا أطفالًا، تأكد ريغا من ذلك.

أدركت أن كليهما كان يحدق فيها. يطالبان برد. لكن ما كان السؤال؟ ما الذي يمكنها فعله بحق السماء لإصلاح هذا؟

سأل زيا:

— "لا شيء؟"

سخر ريغا:

— "لن تقول أي شيء. داجي الصغيرة تعرف ما هو الأفضل لنا."

زمجر زيا في وجهها:

— "أنتِ جبانة. لطالما كنتِ كذلك."

— "أوه، لا تتنمر عليها..."

— "تبًا لك."

ضرب زيا عصاه على الأرض. جعل الصوت داجي تقفز.

ضحك ريغا.

— "تريد فعل هذا الآن؟"

تمتمت داجي:

– "لا تفعل."

لكن الكلمة خرجت في صرير مرعوب. لم يسمعها أي منهما.

طار زيا نحو ريغا. فتح ريغا كفه وفورًا سقط زيا على الأرض، يعوي من الألم.

تنهد ريغا بمسرحية.

– "أترفع يدك ضدي، يا أخي؟"

لهث زيا:

– "أنت لست أخي."

انفتحت فجوة في الهواء خلفهم. تدفقت وحوش ظلية عبرها، واحدًا تلو الآخر. أشار زيا. اندفعوا، لكن ريغا قطعهم كحيوانات ورقية، بسرعة مجيئهم.

قال ريغا، والابتسامة لم تفارق وجهه أبدًا:

– "أرجوك. يمكنك أن تبلي أفضل من ذلك."

رفع زيا عصاه عاليًا. ورفع ريغا سيفه.

بطريقة ما وجدت داجي القوة للتحرك. ألقت بنفسها في المسافة بينهما قبل لحظات من اندفاعهما نحو بعضهما البعض بقوة كافية لشق شروخ في الأرضية الحجرية، قوة حطمت العالم وكأنه قشرة بيضة. بعد عقود ستتساءل عما إذا كانت تعرف ما كانت تفعله آنذاك، عندما ألقت بيديها ضد صدريهما ونطقت بالتعويذة التي نطقتها. هل عرفت وقبلت العواقب؟ أم أنها فعلت ذلك بالصدفة؟ هل كان كل ما حدث بعد ذلك قسوة من قسوات الصدفة؟

كل ما عرفته في تلك اللحظة هو أن كل صوت وحركة توقفا.

علق الوقت ساكنًا للأبد. سم غريب، شيء لم تستدعه من قبل قط، تسرب عبر الهواء، وجذر نفسه في عقولهم الثلاثة، وتكشف ليتخذ شكلًا لم يره أو يختبره أي منهم من قبل. ثم انهار ريغا على الأرض وترنح زيا للخلف، وربما صرخ كلاهما، لكن الشيء الوحيد الذي استطاعت داجي سماعه وراء الدم

الهادر في أذنيها كان الصدى الشبحي لضحكة (تسيفيري) الباردة الخالية من المرح.

الفصل الثاني عشر

مذكرة خاصة حول جمهورية نيكان، المعروفة سابقًا باسم إمبراطورية نيكان أو إمبراطورية نيكان، إلى مكتب الشؤون الخارجية لجمهورية هسبيريا.

تستمر التجارة المفتوحة في الأراضي النيكانية في الكشف عن أصول تبرر استثمار "التحالف"، وتستمر الجهود المبذولة للاستحواذ على هذه الأصول بسلاسة كما هو متوقع. لقد أمّن التحالف الحقوق لعدة رواسب تعدين حيوية بجهد ضئيل بشكل مدهش (في الحقيقة، أتصور أن النيكارا يجهلون الثروات تحت أقدامهم). بخلاف الشاي والمعادن، اكتشف عملاؤنا عددًا من السلع المحلية التي ستجد سوقًا متلهفة في الوطن. يتمتع الخزف النيكاني بلمعان وشفافية تتفوق، بصراحة تامة، على بضائعنا المحلية. وتماثيل اليشم النيكانية المنحوتة ستجذب بلا شك الزبائن الباحثين عن ديكور داخلي جديد (انظر الصندوق 3، المرفق). الحرفية النسيجية المحلية مثيرة للإعجاب نظرًا لافتقارهم إلى الأنوال الآلية —لقد طور حرفيوهم آليات ذكية بشكل خاص لتسخير قوة الماء لغزل القماش أسرع بكثير مما يمكن لنسّاج واحد فعله. (أتوقع أن نساءنا سيتبخترن في الشوارع بأرواب حريرية ومظلات شمسية قبل وقت طويل!)

واجه ممثلو "الشركة الرمادية" (Gray Company) من "نظام الصانع المقدس" صعوبات أكبر. تثبت المعارضة المحلية للتحول الديني أنها شائكة (انظر الرسالة المرفقة من الأخت بيترا إغناطيوس من البرج الثاني). هذا ليس

بسبب وجود دين قائم يرفض الاستبدال —في الواقع، يبدو معظم السكان الأصليين غير مبالين تمامًا بمسألة الدين— ولكن بسبب الانضباط الاجتماعي الذي يستلزمه الدين. إنهم يجدون العبادة الأسبوعية المنتظمة مضيعة للوقت ويمتعضون من حشرهم في الكنيسة. لقد اعتادوا على طرقهم القذرة والخرافية ويبدون غير قادرين على قبول البرهان الساطع لسمو "الصانع"، حتى عندما يُبسط ببطء أمامهم بلغتهم الخاصة. لكن جهودنا ستستمر، بثبات وإن ببطء؛ فواجبنا تجاه "المهندس" لجلب النظام إلى كل ركن من أركان العالم لا يقتضي أقل من ذلك.

نجد خطرًا ضئيلًا في أن يتمكن السكان الأصليون لنيكان من تنظيم انتفاضة مسلحة مركزة. لطالما أشارت دراساتنا للإمبراطورية إلى أن ثقافتهم الاستراتيجية أصبحت مسالمة وراكدة بفعل إمبراطورية لا تميل إلى التوسع الإقليمي. لم تنظم الجمهورية أبدًا حملة بحرية لغزو أمة أخرى. باستثناء غزوهم لجزيرة سبير، لم تفعل الجمهورية سوى امتصاص العدوان الأجنبي. الآن وقد انتهى يين فايسرا من قمع بقايا نظام سو داجي في الشمال، نتوقع أنه خلال جدول زمني مدته خمس سنوات يمكن وضع مخاوفنا من الحرب الداخلية جانبًا.

التهديدات الكبرى الآن هي حركات العصابات المحلية في الجنوب، التي تتركز قواعدها في إقليمي الديك والقرد. ورقتهم الرابحة المتصورة هي السبيرية فانغ رونين، التي أقنعت عروضها النارية المتمردين بمعتقد شاماني وثني ينافس "نظام الصانع المقدس". (يعتقد وسطاؤنا في "الشركة الرمادية" أن هذه القدرات الشامانية هي تجليات للفوضى لم يسبق رؤيتها من قبل —انظر الملحق 1: الشامانية النيكانية). لا ينبغي لهذا التهديد أن يقلق التحالف بشكل كبير. أعداد الشامانات قليلة —بصرف النظر عن السبيرية ووريث يين فايسرا، لم تحدد

"الشركة الرمادية" أي آخرين في القارة. لا يزال المتمردون الجنوبيون متأخرين بقرون حتى عن اتحاد (الموغين) القديم على كل جبهة، وهم يحاولون محاربة المناطيد بالعصي والحجارة.

آلهتهم المزعومة لن تنقذهم. تؤكد لي الأخت بيترا أنه بالإضافة إلى صواريخ الأفيون المحسنة، التي تأكدنا من أنها تبطل القدرة الشامانية، فإن الجهود البحثية لابتكار تدابير مضادة تسير بسلاسة، وأنه في غضون عدة أسابيع سنمتلك أسلحة لا تستطيع حتى السيبيرية التغلب عليها. (انظر الملحق 2: ملاحظات بحثية حول يين نزهة). سيسقط الجنوب عندما تسقط السيبيرية. وبغياب أي تدخل إلهي، سنحدث فورًا في هذه الأمة البربرية كل تأثير قد نرغب فيه.

باسم المهندس الإلهي،
اللواء جوزيفوس بيليال تاركيت

الفصل الثالث عشر

عندما استيقظت رين، كان رأسها يغيم في ضباب كثيف، وفمها جافًا كأنه حُشي بشرانق دودة القز، بينما تلوى ألم نابض ممتدًا من الندوب في ظهرها عبر كل عضلة في نصفها السفلي. سمعت هديرًا عاليًا بدا وكأنه يغلفها، يغرق أفكارها، ويجعل عظامها ترتج بفعل صدى ارتداداته.

هبطت معدتها؛ وبدا أن الأرضية تترنح. هل هي في منطاد؟

فرك شيء بارد ورطب جبهتها. أجبرت جفنيها النابضين بالألم على الانفتاح. تبلورت ملامح داجي تدريجيًا في بؤرة رؤيتها. كانت تمسح وجه رين بقطعة قماش.

قالت داجي:

— "أخيرًا. بدأت أقلق".

جلست رين وجالت ببصرها في المكان. عن قرب، كانت مقصورة المنطاد أكبر بكثير مما تخيلت دائمًا. كانتا تجلسان وحيدتين في غرفة بحجم قمرة سفينة، ولا بد أنها واحدة من غرف عديدة، إذ لم يظهر أي من الجنود الجمهوريين في الجوار.

قالت رين:

— "ابتعدي عني".

قلبت داجي عينيها وهي تواصل فرك الأوساخ عن وجنتي رين. تحولت قطعة القماش إلى لون الصدأ البني بسبب الدم الجاف.

— "أوه، اصمتي. لقد أنقذت حياتكِ للتو".

— "أنا لن أذهب..." جاهدت رين لفهم أفكارها، محاولة تذكر سبب خوفها. "الجبل. الجبل. لن أذهب..."

دست داجي كعكة صلبة وبائتة في يدها:

— "كُلي. تحتاجين لقوتكِ. وإلا فلن تنجي من الحبس الحجري".

حدقت رين فيها بقلة حيلة. لم ترفع الكعكة؛ بالكاد امتلكت أصابعها القوة للإطباق عليها.

— "لماذا تفعلين هذا؟"

— "أنا أنقذ كلينا". قالت داجي. "وربما أنقذ إمبراطوريتكِ الجنوبية الوليدة أيضًا، لو توقفتِ عن الهستيريا واستمعتِ".

— "الجيش..."

— "جيشك تخلى عنكِ. ضباطكِ المخلصون ليسوا في وضع يسمح لهم بالمساعدة. لقد أَطاح بكِ (التَحالف الجَنوبي)، ولا يمكنكِ استدعاء النار".

ملست داجي شعر رين خلف أذنيها. "أنا أضمن لنا عبورًا آمنًا إلى (تشولو كوريك)".

— "ولكن لماذا..."

— "لأن قوتي الآن لا تكفي. نحتاج لحليف. صديق مشترك، يقضي الأبدية حاليًا — حسب علمي — داخل جبل".

رمشت رين. فهمت كلمات داجي، لكنها لم تفهم ما تعنيه؛ استغرق الأمر لحظة من الأفكار التي تمخضت ببطء في عقلها قبل أن تتجمع القطع معًا.

ثم جفلت.

لم تفكر في جيانغ منذ ما يقرب من عام. لم تسمح لنفسها بذلك؛ فالذكريات كانت مؤلمة للغاية. لم يكن معلمها فحسب، بل سيدها. وثقت به؛ ووعدها بأن يبقيها آمنة. ثم، في اللحظة التي انحدر فيها عالمها إلى الحرب، تخلى عنها ببساطة. تركها ليحبس نفسه في صخرة لعينة.

قالت رين بصوت أجش:

– "لن يخرج. إنه خائف جداً".
لوت داجي شفتها:
– "أهذا ما تظنينه؟"
– "إنه يريد الاختباء. لن يغادر. إنه... هناك خطب ما..."
قالت داجي بضراوة:
– "ختمه يتآكل". لمعت عينها السليمة. "أعرف. شعرت بذلك أنا أيضًا. إنه يزداد قوة – إنه يعود لنفسه. لم أكن أعرف ما كنت أفعله عندما ختمت ثلاثتنا، لكني كنت دائمًا أشك – وآمل – أنني لم أفعل ذلك بشكل صحيح. ولم أفعل. الختم كان شيئًا مكسورًا وناقصًا، والآن يتلاشى. الآن أنا – نحن – نحصل على فرصة ثانية".
هزت رين رأسها بضعف:
– "لا يهم. لن يغادر".
عادت داجي لتربيت على صدغي رين:
– "أوه، سيضطر لذلك. أنا أحتاجه".
قالت رين:
– "لكنني احتجته".
شعرت بوخزة حادة في صدرها، مزيج مؤلم من الإحباط واليأس كانت بارعة جداً في قمعه حتى الآن. أرادت ركل شيء ما؛ أرادت البكاء. كيف يمكن للجروح القديمة، بعد كل هذا الوقت، أن تلسع بحدة هكذا؟
رمقتها داجي بنظرة شفقة:
– "ربما احتجتِه. لكن زيا ليس مرساتكِ. إنه مرساتي أنا".

***

ربما استغرقت بقية الرحلة دقائق أو ساعات. لم تعرف رين؛ قضتها في ذهول مؤلم، تفقد الوعي وتستعيده بينما يئن جسدها من كدماته التي لا تعد ولا

تحصى. لاذت داجي بالصمت، حذرة من المتلصصين. أخيرًا تباطأ هدير المحرك إلى أنين، ثم توقف. انتفضت رين مستيقظة تمامًا عندما ارتطمت المقصورة بالأرض بزاوية مائلة وأصدرت صريرًا حادًا وهي تُسحب لعدة أقدام قبل التوقف. ثم دخل جنود جمهوريون إلى مقصورتها، وحملوا جسدها المقيد على نقالة خشبية، وأخرجوها إلى هواء الجبل الجليدي.

لم تقاوم. أرادتها داجي أن تلعب دور العاجزة.

عرفت أنهم وصلوا إلى إقليم الأفعى. ميزت شكل هذه الجبال؛ لقد سلكت هذا الطريق من قبل. لكن جزءًا من عقلها لم يستطع قبول أنهم حقًا، وفعليًا، في جبال كوخونين.

مر أقل من يوم منذ خانها سوجي في تيكاني. وقطعوا نصف البلاد في الوقت المنقضي منذ ذلك الحين. لكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا — هذه الرحلة كان يجب أن تستغرق أسابيع. رأت رين المناطيد تطير، وعرفت مدى سرعتها، لكن هذا كان سخيفًا. هذا أخذ مفاهيمها الراسخة عن الوقت، والمكان، والمسافة، ومزقها إربًا.

هل هكذا يسافر الهسبيريون بانتظام؟ حاولت تخيل المكانية من منظورهم. كيف سيكون المجتمع لو استطاع المرء عبور القارة في أيام معدودة؟ لو استطاعت الاستيقاظ صباحًا في سينغارد، والنوم في أرلونغ مساءً؟

لا عجب أنهم يتصرفون وكأنهم يملكون العالم. بالنسبة لهم، لا بد أنه يبدو صغيرًا جدًا.

سأل جندي:

— "أي طريق؟"

قالت داجي:

— "للأعلى. المدخل يقع قرب القمة. لن تكون هناك مساحة في الأعلى لهبوط مركبة. سيتعين علينا التسلق".

كانت رين مقيدة بإحكام شديد إلى النقالة لدرجة أنها بالكاد استطاعت رفع رأسها. لم تستطع رؤية كم تبقى من المسافة، لكنها شكت أن الأمر سيستغرق ساعات. ممر المشي الوحيد لمدخل (تشولو كوريك) يضيق بغدر مع الارتفاع. لم تكن لتوجد مساحة لهبوط شيء بحجم المنطاد لأكثر من ثلث الطريق صعودًا.

على الأقل لم تضطر هي للتسلق. بينما كان الجنود يرفعونها لأعلى الجبل، هدهدتها النقالة المتأرجحة في نوع من نصف نوم. شعر رأسها بالخفة والضبابية. لم تكن واثقة مما إذا كانوا قد خدروها، أم أن جسدها ينهار من الجروح التي أصابتها سابقًا. قضت المسيرة في شرود بالكاد واعٍ، مذهولة بما يكفي لتنتج الكدمات من حذاء سوجي مجرد ألم خافت، وشبه مريح.

لم تدرك أنهم وصلوا (تشولو كوريك) حتى سمعت كشط الباب الحجري وهو ينزلق مفتوحًا.

قالت داجي:

— "نحتاج لضوء".

سمعت رين طقطقة بينما أشعل أحدهم مشعلًا.

الآن، فكرت. هذه هي اللحظة التي ستنقلب فيها داجي على الجنود، بالتأكيد. حصلت على ما أرادت؛ أمنت عبورًا آمنًا لـ (تشولو كوريك)، والآن عليها فقط تنويمهم مغناطيسيًا، واستدراجهم للهاوية، والدفع بهم.

قالت داجي:

— "ادخلوا. لا شيء يدعو للخوف هنا. مجرد تماثيل".

حمل الجنود رين إلى الظلام المخيم. ضغط هائل أطبق عليها، مثل يد غير مرئية أغلقت على أنفها وفمها.

شهقت رين، مقوسة ظهرها ضد النقالة. تجرعت كميات ضخمة من الهواء، لكنه كان رقيقًا وغير كافٍ، ولم يفعل شيئًا لإيقاف البقع السوداء التي

تزحف عند حواف رؤيتها. يمكنها التنفس بقوة تمزق رئتيها ومع ذلك لن يكون كافيًا. الجزء الداخلي من (تشولو كوريك) كان أرضيًا جداً، ماديًا بحزم، مكانًا صلبًا بلا أي تقاطع ممكن مع مستوى الروح.

كان الشعور أسوأ من الغرق.

بالكاد تحملت رين الضغط في المرة الأولى التي جاءت فيها هنا مع ألتان. كان الأمر أسوأ بكثير الآن بعد أن عاشت وتنفست لسنوات مع الألوهية التي تبعد عنها مجرد فكرة عابرة. أصبح "العنقاء" جزءًا منها، حضورًا دائمًا ومطمئنًا في عقلها. حتى في غياب كيتاي، ظلت تشعر بأوهى خيط من الاتصال بإلهها، لكن الآن حتى ذلك قد اختفى. الآن شعرت وكأن ثقل الجبل قد يحطمها من الداخل.

قرع الجندي في المقدمة مفاصل يده على جبهتها:

— "آه، اخرسي".

لم تدرك رين حتى أنها كانت تصرخ.

حشر أحدهم خرقة في فمها. جعل ذلك الاختناق أسوأ. هرب التفكير العقلاني. نسيت أن هذه كلها خدعة، كلها جزء من خطة داجي. كيف يمكن لـ داجي — سو داجي، التي عاشت مع صوت إلهها لفترة أطول مما عاشت رين — أن تتحمل هذا؟ كيف يمكنها المشي بهدوء للأمام دون صراخ بينما تتلوى رين، محتجزة في اللحظة الأخيرة من الغرق قبل الموت؟

صفر الجندي الذي يحمل ساقيها صفيرًا منخفضًا تردد صداه عبر الجبل:

— "كل هؤلاء كانوا شامانات؟ يا للسلحفاة العظيمة. منذ متى وهم هنا؟"

قالت داجي:

— "منذ وُجدت هذه الإمبراطورية. وسيكونون هنا طويلًا بعد موتنا".

— "لا يمكنهم الموت؟"

— "لا. أجسادهم لم تعد فانية. لقد أصبحوا قنوات مفتوحة للآلهة، ولذا هم محبوسون هنا كي لا يدمروا العالم".

نقر الجندي بلسانه:

– "يا للجحيم. هذا قاسٍ".

توقف الجنود وأنزلوا نقالة رين للأرض. انحنى الذي عند رأسها فوقها؛ لمعت أسنانه باللون الأصفر في ضوء المشعل.

– "هذه محطتكِ أيتها السبيرية".

حدقت متجاوزة إياه نحو صفوف وصفوف من القواعد الفارغة، تمتد أعمق داخل الجبل أبعد مما تستطيع رين رؤيته. ذهب نصف عقلها من الخوف. تخبطت، عاجزة، بينما فك الجنود قيودها عن النقالة وسحبوها نحو أقرب قاعدة.

ومضت عيناها نحو داجي، تتوسل بصمت دون جدوى. لماذا لا تفعل شيئًا؟ ألم تستمر هذه المسرحية لفترة كافية؟ داجي لم تكن بحاجة لحبس رين. احتاجت فقط للمرور الآمن لـ (تشولو كوريك). لم يعد لها نفع بالجنود الجمهوريين؛ كان يجب أن تتخلص منهم بالفعل.

لكن داجي كانت تقف هناك وحسب، عيناها نصف مغلقتين، وجهها هادئ، تراقب بينما يضع الجنود رين في منتصف القاعدة.

عبرت فكرة مروعة عقل رين.

داجي لم تكن تراوغ فقط.

احتاجت داجي للمرور الآمن لـ (تشولو كوريك). احتاجت للمعلم جيانغ. لكن لا شيء في خطتها تطلب وجود رين.

يا آلهة.

كان عليها الخروج من هنا. لن تنجو من هذا – لا توجد طريقة تمكنها من الوصول للباب وأسفل الجبل قبلهم في حالتها هذه، ليس وساقاها مقيدتان بهذا الإحكام. لكن يمكنها الوصول لحافة الممر. يمكنها القفز.

أي شيء أفضل من الأبدية في الصخر.

توقفت عن المقاومة وارتخت ضد أذرع الجنود، متظاهرة بالإغماء. نجح الأمر. تراخت قبضتهم، بالكاد بما يكفي لتنتزع جذعها وتتحرر. انخفضت تحت أيديهم واندفعت نحو الحافة. كانت ساقاها مقيدتين بإحكام شديد لدرجة أنها لم تستطع سوى القيام بجرجرة مترنحة، لكنها كانت قريبة جداً — مجرد أقدام قليلة، يمكنها مراوغتهم لخطوتين فقط...

لكنها وصلت للحافة ورأت الهاوية الفاغرة، وتحولت أطرافها إلى رصاص.

اقفزي.

لم تستطع.

لم يهم أنها عرفت أن الأبدية في (تشولو كوريك) أسوأ من الموت. ظلت عاجزة عن فعلها. لم تكن تريد الموت.

— "تعالي هنا". التفت أذرع قوية حول وسطها وسحبتها للخلف بعيداً عن الحافة. "لن تفلتي بهذه السهولة".

سحب الجنود ساقيها للأعلى بحيث حملوها بينهم ككيس أرز. ومعًا، قلبوها لوضعية الوقوف ورتبوها على القاعدة.

صرخت رين: "توقفوا!"، لكن كلماتها خرجت مكتومة وبلا معنى خلف كمامتها. "توقفوا، أرجوكم لا... داجي! داجي! أخبريهم!"

لم تلتقِ داجي بعينيها.

قالت بهدوء، وكأنها توجه الخدم لمكان تحريك طاولة:

— "تأكدا من أن قدميها في المركز. اسنداها لتقف مستقيمة. وسيقوم الحجر بالباقي".

جربت رين كل شيء للهرب — الركل، التخبط، التلوي، والارتخاء التام. لم يتركوها. كانوا أقوياء جداً وكانت هي ضعيفة جداً — متضورة جوعًا، مصابة، ومجففة.

لم يعد لديها مخارج. كانت محاصرة، ولا يمكنها حتى الموت.

سأل أحدهم:

— "والآن؟"

قالت داجي:

— "الآن يقوم الجبل بعمله". وبدأت ترتل بلغة "الكترايد"، ودبت الحياة في الصخور.

راقبت رين قاعدة التمثال برعب. في البداية بدت حركته خدعة من ضوء المشعل، لكن بعد ذلك شعرت باللمسة الجليدية للحجر حول كاحليها بينما زحفت القاعدة للأعلى والتهمتها، متصلبة في غلاف غير متحرك فوق سطح جلدها. لم يكن لديها وقت للمقاومة؛ في ثوان، وصل لركبتيها. الجندي الذي كان يمسكها مستقيمة ترك ذراعيها وقفز بعيداً عندما وصل الصخر لخصرها. جسدها العلوي كان حرًا الآن لكن ذلك لم يحدث فرقًا؛ مهما تخبطت لم تستطع كسر قبضة الحجر على ساقيها. بعد لحظات وصل لصدرها، واعتقل مرفقيها حيث ثنتهما، وزحف صاعداً عنقها. أمالت رأسها للأعلى، يائسة لإبعاد أنفها عن الصخر. لم يهم. زحف الحجر فوق وجهها. وأغلق فوق عينيها.

ثم لم ترَ شيئًا. لم تسمع شيئًا. لم تشعر بالحجر ضدها؛ لقد أصبح جزءًا منها، غلافًا خارجيًا طبيعيًا جعلها ساكنة تمامًا.

لم تستطع الحراك.

لم تستطع الحراك.

شدت عضلاتها ضد الصخر لكن شيئًا لم يتزحزح ولو قيد شعرة، وكل ما فعله ذلك هو إغراق أعصابها بقلق شديد لدرجة أنها ضغطت بقوة أكبر وأكبر بينما انفجر الذعر بداخلها، يشتد ثانية تلو الأخرى بلا أي متنفس ممكن.

لم تستطع التنفس. وفي البداية كانت ممتنة لذلك على الأقل — بدون هواء، بالتأكيد ستفقد الوعي قريبًا، وحينها سينتهي هذا التعذيب. استطاعت شعور رئتيها تنفجران، تحترقان. قريبًا ستغيب عن الوعي. قريبًا سينتهي الأمر.

لكن شيئًا لم يحدث.

كانت تغرق، تغرق للأبد، لكنها لا يمكن أن تموت.

احتاجت للصراخ ولم تستطع. رغبت بشدة في التلوي والتخبط لدرجة أن قلبها كاد ينفجر من صدرها وحتى ذلك كان ليكون أفضل لأنها حينها ستكون ميتة على الأقل، لكنها بدلًا من ذلك علقت ساكنة في لحظة لا تنتهي تمتد إلى أبدية مؤكدة.

المعرفة بأن هذا يمكن وسيستمر، لأيام فوق مواسم فوق سنوات، كانت تعذيبًا يفوق التصديق.

كان يجب أن أقفز، فكرت. أتمنى لو كنت ميتة.

تكررت الفكرة في عقلها مرارًا وتكرارًا، البلسم الوحيد ضد واقعها الجديد والمرعب.

أتمنى لو كنت ميتة.

أتمنى لو كنت ميتة.

أتمنى...

مجرد التفكير في العدم أصبح خيالًا. تخيلت أنها قفزت حقًا، تخيلت السقوط القصير والمنتشي والتهشم المريح لعظامها ضد قاع الحفرة، متبوعًا بلاشيء. كررت التسلسل مرات عديدة في عقلها لدرجة أنها لثوانٍ وجيزة في كل مرة خدعت نفسها بالتفكير أنها فعلتها حقًا.

لم تستطع إدامة ذعرها للأبد. في النهاية انحسر، وحل محله عجز بليد وفارغ. استسلم جسدها أخيرًا للحقيقة — لن تهرب. ولن تموت. ستبقى واقفة هنا، نصف ميتة ونصف حية، واعية وتفكر للأبدية.

لم تملك شيئًا الآن سوى عقلها.

في يوم من الأيام علمها جيانغ التأمل، إفراغ عقلها لساعات في كل مرة بينما يستقر جسدها في الذهول السلمي لوعاء فارغ. كان ذلك، بلا شك، كيف نجا هنا طوال هذا الوقت، ولماذا دخل هذا المكان طوعًا أصلًا. تمنت رين لو

كانت تملك تلك المهارة. لكنها لم تحقق ذلك السكون الداخلي ولو لمرة. تمرد عقلها ضد الملل. كان على أفكارها أن تتجول.

لم يكن لديها شيء آخر تفعله سوى البحث في الذكريات للتسلية. انكبت عليها، وفككتها ومطتها وتلذذت بها، مطيلة أمد كل تفصيل أخير. تذكرت تيكاني. تذكرت فترات بعد الظهيرة الدافئة واللذيذة التي قضتها في غرفة المعلم فيريك تناقش كل تفصيل في الكتب التي أعارها إياها لتوّه، مادة ذراعيها لاستلام المزيد. تذكرت اللعب مع الطفل كيسيغي في الفناء، متظاهرة بأنها كل وحش معروف في حديقة حيوان الإمبراطور، تزأر وتفح فقط لتجعله يضحك. تذكرت الدقائق الهادئة والمسروقة في الظلام، فواصل وجيزة حين كانت وحيدة تمامًا، حرة من المتجر ومن "العمة فانغ"، قادرة على التنفس دون خوف.

عندما فشلت تيكاني في إرضائها حولت عقلها لـ سينغارد — ذلك المكان القاسي والمخيف الذي، للمفارقة، احتوى الآن أسعد ذكرياتها. تذكرت الدراسة في غرف القبو الباردة لمكتبة الأكاديمية مع كيتاي، تراقبه يمرر أصابعه النحيلة عبر خط شعره القلق وهو يقلب لفافة تلو الأخرى. تذكرت التدريب في الصباحات الباكرة مع جيانغ في حديقة "اللور"، تصد ضرباته وعصابة معقودة حول عينيها.

أصبحت بارعة جدًا في استكشاف شقوق عقلها، منقبة عن ذكريات لم تكن تعلم أنها لا تزال تملكها. ذكريات لم تسمح لنفسها بالاعتراف بها حتى الآن خوفًا من أن تكسرها.

تذكرت المرة الأولى التي وقعت فيها عيناها على نزهة، وكل المرات بعدها.

آلمتها رؤيته. آلمتها بشدة.

كانا بريئين جداً ذات مرة. كان عذابًا تذكر الوجه الذي ارتداه قبل عام واحد فقط: جميل ومغرور ولا يطاق في آن واحد، يبتسم بابتهاج تارة أو يرتدي تكشيرة سخيفة لجرو هائج تارة أخرى.

لكنها كانت محاصرة هنا للأبدية. تلك الذكريات كانت الأشياء الوحيدة التي تملكها الآن، والألم كان الطريقة الوحيدة التي ستشعر بها بأي شيء مرة أخرى.

تتبعت تاريخهما بالكامل من اللحظة التي قابلته فيها لأول مرة في سينغارد إلى اللحظة التي شعرت فيها بنصله ينزلق في عضلات ظهرها. تذكرت كم كان وسيمًا بشكل طفولي، وكيف كانت تنجذب وتنفر في آن واحد من ذلك الوجه المنحوت والمتغطرس. تذكرت كيف حولته سينغارد من أمير صغير تافه ومدلل لجندي صلب قيد التدريب. تذكرت المرة الأولى التي تبارزا فيها ضد بعضهما والمرة الأولى التي قاتلا فيها جنبًا لجنب في المعركة — كيف بدا عداؤهما وشراكتهما ملائمين بشكل طبيعي جداً، مثل ارتداء قفاز مفقود، مثل العثور على نصفها الآخر.

تذكرت كم أصبح أطول منها، وكيف أنهما حين يتعانقان، يستقر رأسها بنعومة تحت ذقنه. تذكرت كم بدت عيناه داكنتين تحت ضوء القمر تلك الليلة عند الأرصفة. حين ظنت أنه سيقبلها. قبل أن يضغط نصلًا في ظهرها مباشرة.

كان تقليب تلك الذكريات مؤلمًا للغاية. كان مهينًا تذكر مدى سرعة تصديقها لأكاذيبه. شعرت بأنها حمقاء كبيرة، لثقتها به، لحبها له، لظنها أن أيًا من تلك الآلاف من اللحظات الصغيرة التي تشاركاها خلال وقتها القصير في جيش فايسرا عنت أنه حقًا، وفعليًا اهتم لأمرها، بينما في الحقيقة كان نزهة يتلاعب بها تمامًا كما فعل والده.

عاشت تلك التفاعلات مرات عديدة لدرجة أنها بدأت تفقد كل معناها. تلاشى لسعها لحرق باهت، ثم للاشيء على الإطلاق. خدرت نفسها تجاه أهميتها. لقد ملّت من ألمها الخاص.

لذا التفتت لآخر شيء لا يزال بإمكانه إيذاؤها. ذهبت تبحث عن "الختم" ووجدته لا يزال هناك، جاهزًا ومنتظرًا في مؤخرة عقلها، يتحداها للدخول.

تساءلت بإيجاز لمَ لم يختفِ الختم. كان نتاج سحر الإلهة نوا، ولم يكن هناك اتصال بالآلهة في (تشولو كوريك). لكن ربما عندما جلبت داجي السحر للعالم، انقطع الاتصال، بنفس الطريقة التي يبقى بها السم بعد موت الأفعى.

كانت رين ممتنة له. هنا على الأقل إلهاء واحد عن عقلها. شيء يمكنها اللعب معه، ومغازلته. بالنسبة للسجناء في الحبس الانفرادي، السكين ترفيه أفضل من العدم.

ماذا سيحدث لو لمسته الآن؟ قد لا تعود أبدًا. هنا، مع عدم وجود شيء من الواقع ليشتتها، قد ينتهي بها المطاف محاصرة في كذبة مشبعة بالسم للأبد.

لكن لم يكن لديها شيء آخر. لا واقع لتعود إليه، سوى ذكرياتها البائتة.

مالت للأمام وسقطت عبر البوابة.

قال ألتان:

– "مرحبًا. كيف انتهى بنا المطاف هنا؟"

كان يقف قريبًا جدًا. بضع بوصات فقط تفصل بينهما.

قالت:

– "ابقَ بعيدًا. لا تلمسني".

– "وظننت أنكِ أردتِ رؤيتي". متجاهلًا أمرها مد يده، وأمسك ذقنها بأصابعه، وأمال رأسها للأعلى. "ماذا حدث لكِ يا عزيزتي؟"

– "لقد خُنْت".

قلدها ساخرًا:

– "(لقد خُنْت). تباً لهذا الهراء. أنتِ رميتِ كل شيء. كان لديكِ جيش. كان لديكِ لييانغ. كان الجنوب في راحة يدكِ وأفسدتِ كل شيء، أيتها القطعة الجرباء، قذرة البشرة من القذارة..."

لماذا كانت خائفة هكذا؟ عرفت أنها تملك السيطرة. ألتان كان خيالها؛ ألتان كان ميتًا.

– "تراجع".

لم يفعل سوى الاقتراب أكثر.

شعرت بومضة ذعر. أين كانت سلاسله؟ لماذا لا يطيع؟

ألقى عليها ابتسامة ساخرة:

– "لا يمكنكِ إخباري بما أفعل".

– "أنت لست حقيقيًا. أنت موجود فقط في عقلي..."

– "يا عزيزتي، أنا عقلكِ. أنا أنتِ. أنا كل ما تبقى لديكِ. الأمر أنا وأنتِ فقط الآن، وأنا لن أذهب لأي مكان. أنتِ لا تريدين السلام. تريدين المحاسبة. تريدين معرفة ما فعلتِه بالضبط ولا تريدين نسيانه. لذا فلنبدأ". شددت أصابعه حول ذقنها. "اعترفي بما فعلتِه".

– "خسرت الجنوب".

صفع صدغها بكفه. عرفت أن الضربة ليست حقيقية، وأن كل ما تشعر به هلوسة، لكنها لسعت مع ذلك. تركتها تلسع. هذا خيالها، وقررت أنها تستحق هذا العقاب.

– "لم تخسري الجنوب فقط. بل وهبتِه. كان نزهة تحت رحمتكِ. كان نصلكِ يضغط على جلده. كل ما كان عليكِ فعله هو إنزال ذراعكِ وكنتِ لتفوزي. كان بإمكانكِ قتله. لماذا لم تفعلي؟"

– "لا أعرف".

– "أنا أعرف". ضربة أخرى طنانة، هذه المرة لصدغها الأيسر. ارتد رأس رين للجانب. أمسك ألتان بحنجرتها وغرس أظافره في الجلد حول حنجرتها. كان الألم مبرحًا. "لأنكِ مثيرة للشفقة. تحتاجين لتكوني كلبة لشخص ما. تحتاجين لحذاء شخص ما لتلعقيه".

تجمد دم رين — ليس من البؤس الذي استجلبته لنفسها، بل من خوف حقيقي، وغير مسيطر عليه. لم تعرف إلى أين يتجه هذا؛ لم تستطع التنبؤ بما سيفعله عقلها تاليًا. أرادت التوقف. كان يجب أن تترك الختم وشأنه.

بصق ألتان:

— "أنتِ ضعيفة. أنتِ شقية غبية، عاطفية، ومتباكية، خنتِ كل من حولك لأنكِ لم تتجاوزي إعجابكِ الطفولي. هل ظننتِ أنه أحبكِ؟ هل تظنين أنه أحبكِ يومًا؟"

سحب قبضته للخلف مجددًا. تموجت رعشة عبر الختم. تذبذبت صورة ألتان كانعكاس على بحيرة بدده حجر. جاءت رعشة ثانية. اختفى ألتان. ثم فهمت رين أن هذه لم تكن هلوسة — شيء ما كان يرتطم بالحجر على بعد بوصات من وجهها.

في المرة الثالثة، شعرت بها، هزة بدأت في أنفها واهتزت عبر جسدها بالكامل. اصطكت أسنانها.

اصطكت أسنانها.

حركة. مما يعني...

هزة رابعة. تهشم الحجر. انسكبت رين من القاعدة وتدحرجت بقوة على الأرضية الحجرية. انطلق الألم في ركبتيها؛ وكان شعورًا رائعًا. بصقت الخرقة من فمها. هواء الجبل، بائتًا ورطبًا كما كان، كان طعمه لذيذًا. الاختناق الذي شعرت به سابقًا اختفى؛ مقارنة بالحبس، كان طعم الهواء الطلق كالفرق بين رطوبة خفيفة وبين الوجود تحت الماء. لفترة طويلة ركعت ورأسها متدلٍ بين كتفيها وتنفسّت فقط، مذهولة بشعور الهواء وهو يندفع داخلًا وخارجًا من رئتيها.

ثنت أصابعها. لمست وجهها، شعرت بأصابعها على وجنتيها. نعيم تلك الأحاسيس، وحرية الحركة المحضة، جعلتها ترغب في البكاء.

قال صوت لم تسمعه منذ دهر:

– "يا للسلحفاة العظيمة. من الواضح أن أحدهم لم يتعلم التأمل قط".

أخذت عينا رين لحظة للتكيف مع ضوء المشعل. خيالان وقفا فوقها. لليسار، داجي. وعلى اليمين كان جيانغ، مغطى من الرأس للقدم بغبار رمادي، يبتسم بعرض ترحيبًا وكأنهما رأيا بعضهما بالأمس فقط.

– "لديكِ تراب في شعركِ". انحنى لفك قيود ساقيها. "يا إلهي، إنه في كل مكان. سنضطر لتغطيسكِ في جدول".

نفرت رين من لمسته:

– "ابتعد عني".

– "أنتِ بخير أيتها الصغيرة؟" كانت نبرته خفيفة جدًا. وعادية جدًا.

حدقت فيه، مذهولة. لقد رحل لعام كامل. بدا الأمر كعقود. كيف يتصرف وكأن كل شيء طبيعي؟

لوح جيانغ بيده أمام وجهها:

– "مرحبًا؟ هل ستظلين جالسة هناك وحسب؟"

استجمعت صوتها:

– "لقد تخليت عني".

تلاشت ابتسامته:

– "آه، يا صغيرة".

– "لقد تركتني". تعبيره المجروح جعلها تغضب أكثر. بدا كاستهزاء. لا يحق لـ جيانغ التملص من هذه المحادثة كما تملص من كل شيء، متجنبًا المسؤولية بادعاء الجنون ببراعة لدرجة أنهم صدقوا جميعًا ذلك. لم يكن مجنونًا كما ظن الجميع قط. لن تبدأ في الوقوع في ذلك الآن. "احتجتك — ألتان احتاجك — وكل ما فعلته كان، كان..."

تحدث جيانغ بهدوء لدرجة أنها كادت لا تسمعه:

– "لم أستطع إنقاذ ألتان".

تكسر صوتها:
— "لكن كان بإمكانك إنقاذي".
بدا مصدومًا. لمرة واحدة لم يكن لديه رد ذكي، ولا عذر أو تمويه.
ظنت أنه قد يعتذر.
لكنه أمال رأسه للجانب، والتوى فمه عائدًا لابتسامة:
— "لِمَ، وأفسد كل متعتكِ؟"
في يوم من الأيام كانت فكاهة جيانغ مزعجة في أسوأ الأحوال، وبلسمًا مرحبًا به في بيئة مروعة في أفضلها. في يوم من الأيام كان الشخص الوحيد الذي جعلها تضحك بانتظام.
الآن رأت الأحمر.
لم تفكر. اندفعت نحوه، وأصابعها تتكور في قبضة في منتصف الطريق لوجهه. ومضت يده من كمه. أمسك معصمها، وأجبر ذراعها بعيدًا بقوة أكبر مما توقعت.
دائمًا ما تنسى كم كان جيانغ قويًا. كل تلك القوة، مخفية داخل هيكل هزيل وغريب الأطوار.
أمسك قبضتها معلقة بينهما:
— "هل سيجعلكِ ضربي تشعرين بتحسن؟"
— "نعم".
— "حقًا؟"
حدقت فيه للحظة، تتنفس بصعوبة. ثم تركت يدها ترتخي.
قالت:
— "لقد هربت". لم يكن اتهامًا عادلًا. عرفت ذلك. لكن كان هناك جزء منها لم يتوقف أبدًا عن كونه تلميذته. الجزء الذي كان مرعوبًا واحتاج، ولا يزال يحتاج، حمايته.

– "لقد غادرت". لم تستطع منع صوتها من التكسر. "تركتني وحدي".
تحول صوته للين:
– "أوه يا رين. هل تظنين أن هذا المكان كان ملجأ بأي شكل؟"
لم ترد رين أن تغفر. أرادت البقاء غاضبة. كانت تغذي هذا الاستياء لفترة أطول مما يجب. لا يمكنها تركه يمر ببساطة؛ شعرت وكأنها خُدعت وسُلب منها شيء تستحقه.

لكن رعب الحبس كان قريبًا جدًا. لقد هربت لتوها من سجنها الحجري. ولا شيء، لا شيء، يمكن أن يجعلها تدخله مرة أخرى. سترمي نفسها عن الحافة أولًا.

سألته:
– "إذن لماذا فعلت ذلك؟"
قال:
– "لحمايتكِ. لحماية كل من حولي. أنا آسف لأني لم أستطع التفكير في طريقة أفضل".

لم يكن لديها رد على ذلك. أرعبتها كلماته. إذا كان جيانغ قد رأى هذا الجحيم كأفضل البدائل، فمما كان خائفًا إذن؟
مد جيانغ يديه في إيماءة تصالحية:
– "أنا آسف يا صغيرة. أنا آسف جدًا".
أشاحت بوجهها وهزت رأسها، ضامة ذراعيها لصدرها. لا يمكنها المسامحة بهذه السهولة. احتاجت وقتًا لتدع غضبها يحترق حتى نهايته. لم تستطع التقاء عينيه؛ كانت سعيدة لأن ضوء النار كان خافتًا جدًا ليتمكن من رؤية دموعها.
سألت وهي تمسح وجنتيها:
– "إذن ما الذي تغير؟ ختمك تآكل. ألست خائفًا مما سيخرج من خلاله؟"

قال جيانغ:

— "أوه، أنا مرعوب. ليست لدي فكرة عما قد تسببه حريتي. لكن تعليق نفسي في الزمن ليس إجابة. هذه القصة يجب أن تنتهي، بطريقة أو بأخرى".

كانت داجي تراقب تبادلهما بصمت، وفمها ملتوٍ بتعبير غير مقروء. والآن، قطع صوتها البارد الهواء كالسكين:

— "هذه القصة ستنتهي. بالطريقة التي كان مقدرًا لها دائمًا".

وضع جيانغ يده على كتف رين:

— "تعالي يا صغيرة. لنرَ كيف انكسر العالم بينما كنت غائبًا".

مجددًا، عرض عليها يده. هذه المرة، أخذتها. ومعًا اقتربا من الباب المفتوح، دائرة من الضوء المعمي.

***

البياض المحض للشمس على الثلج كان عذابًا. لكن رين تلذذت بالألم المنطلق عبر عينيها بقدر ما ابتهجت بلسعة الرياح الباردة على وجهها، وبالحجر والثلج نصف الذائب تحت أصابع قدميها. فتحت فمها وأخذت نفسًا عميقًا من هواء الجبل الجليدي. في تلك اللحظة، كان أروع شيء تذوقته على الإطلاق.

قالت داجي:

— "كونوا مستعدين للمسير. لا أستطيع طيران ذلك المنطاد. سيتعين علينا الذهاب سيرًا حتى نجد بعض الخيول".

نظرت رين للخلف نحوها ثم رمشت، مذهولة.

العجوز الشمطاء من تيكاني رحلت. عقود كاملة ذابت عن وجه داجي. اختفت الخطوط حول عينيها، والجلد حول عينها المقلوعة كان ناعمًا وبلا ندوب، ومقلة العين بطريقة ما، وبشكل إعجازي، شفيت.

جيانغ، أيضًا، كان مفعمًا بالحياة بشكل صارخ أكثر مما رأته عليه من قبل. لم يبدُ أصغر سنًا وحسب. لم يكن ذلك جديدًا — امتلك جيانغ دائمًا تلك السمة الخالدة، وكأنه انتزع من مكان خارج الزمن. لكنه الآن بدا صلبًا. قويًا. كان لديه نظرة مختلفة في عينيه — أقل غرابة، وأقل تسلية هادئة، وأكثر تركيزًا مما رأته عليه قط.

هذا الرجل حارب في حروب الخشخاش. هذا الرجل كاد يحكم الإمبراطورية.

سألها:

— "هل هناك خطب ما؟"

هزت رين رأسها، رامشة:

— "لا شيء. أنا فقط... ممم، أين قوات نزهة؟"

هزت داجي كتفيها:

— "تعاملت معهم بمجرد أن أدخلوكِ في الجبل".

قالت رين بساخط:

— "ولم يكن بإمكانكِ تحريري أبكر قليلًا؟"

رمتها داجي بابتسامة جليدية:

— "ظننت أنه يجب أن تعرفي كيف كان الشعور".

***

صنعوا مأوى في تلك الليلة تحت تجويف صغير قرب قاعدة الجبل. دندن جيانغ وهو يشرع في بناء نار. اختفت داجي بين الأشجار، وبعد عشرين دقيقة، عادت بسلسلة من الجرذان الميتة، التي شرعت في سلخها بخنجر.

ارتمت رين بظهرها ضد جذع شجرة، تحاول إبقاء عينيها مفتوحتين. عبثية هذا المشهد كانت لتذهلها لو امتلكت الطاقة. كانت تجلس عند نار مخيم مع اثنين من أقوى الشخصيات في تاريخ نيكان، شخصيات بالنسبة لمعظم

الناس لم توجد إلا في مسرحيات خيال الظل، تراقبهما يحضران العشاء. أي شخص آخر كان ليفغر فاهه انبهارًا.

لكن رين كانت منهكة جدًا حتى للتفكير. التسلق للأسفل لم يكن شاقًا، لكن (تشولو كوريك) استنزفها؛ شعرت وكأنها نجت بالكاد من السقوط أسفل شلال. كادت تنجرف للنوم عندما وكزها جيانغ في معدتها بعصا.

قفزت:

— "ماذا؟"

وكزها مجددًا:

— "أنتِ هادئة جدًا".

فركت جانبها:

— "أريد فقط الجلوس لثانية. في سلام. هل يمكنني فعل ذلك؟"

— "حسنًا، الآن أنتِ وقحة وحسب".

رفعت يدًا فاترة وضربته على ساقه.

تجاهل ذلك وجلس بجوارها:

— "نحتاج للحديث عن الخطوات التالية".

تنهدت:

— "تحدث إذن".

فرك يديه معًا ومدهما فوق اللهب:

— "حسنًا، داجي أطلعتني على القليل فقط. لقد كان يومًا مؤلمًا جدًا بالنسبة لي".

تمتمت رين:

— "كذلك أنا".

— "لكن حسب فهمي، لقد ذهبتِ وقسمتِ البلاد لنصفين".

— "لم يكن ذلك خطأي".

غمز لها جيانغ:

– "أوه، أعرف. يين فايسرا كان دائمًا عفريتًا صغيرًا متعطشًا للدماء. فماذا نفعل الآن؟ نسوي أرلونغ بالأرض؟"

فغرت فمها نحوه للحظة، بانتظار أن يقهقه، قبل أن تدرك أنه كان جادًا تمامًا. كانت نظرته صادقة. لم تكن لديها فكرة عما كان جيانغ الجديد هذا قادرًا عليه، لكن كان عليها أخذ كلماته على محمل الجد.

قالت:

– "لا يمكننا فعل ذلك. علينا اختراقهم أولًا. لديهم... لديهم شخص ما".

– "من؟"

تدخلت داجي من الجانب الآخر للنار:

– "مرساتها".

قوس جيانغ حاجبًا:

– "لديها مرساة؟ منذ متى؟ كان يمكنكِ إخباري".

قالت داجي:

– "لقد استعدتك من الصخر بعد ظهر اليوم فقط".

– "لكن ذلك يبدو ذا صلة..."

قاطعتهما رين:

– "كيتاي. تشين كيتاي. كان في فصلي في سينغارد. أخذه نزهة من تيكاني، ونحتاج لاستعادته".

فرك جيانغ ذقنه:

– "أذكره. طفل نحيل؟ أذنان كبيرتان، شعر كغابة كثيفة؟ ذكي أكثر مما ينبغي لمصلحته؟"

– "هذا هو".

سألت داجي:

– "هل تعرف الجمهورية أنه مرساتكِ؟"

– "لا". باستثناء تشاغان، كل من عرف أن لديها مرساة مات في بحيرة بويانغ. "لا يمكن لأحد أن يعرف".

ضغطت داجي:

– "وليس لديهم سبب لإيذائه؟"

قالت رين:

– "نزهة لن يفعل ذلك. إنهما صديقان".

قال جيانغ:

– "الأصدقاء لا يرسلون قاذفات المناطيد خلف الأصدقاء".

قالت رين بنفاد صبر:

– "المغزى هو أن كيتاي حي. وأول شيء نحتاج لفعله هو استعادته".

تبادل جيانغ وداجي نظرة طويلة ومتفحصة.

قالت رين:

– "أرجوكما. سأتبع أي خطة تريدانها، لكني أحتاج لـ كيتاي. بدونه أنا عديمة الفائدة".

طمأنها جيانغ:

– "سنستعيده. هل هناك أي فرصة لنجلب لكِ جيشًا؟"

نخرت داجي.

تنهدت رين مجددًا:

– "قواتي خانتني للجمهورية، وقائدهم يريدني ميتة على الأرجح".

قال جيانغ:

– "هذا ليس رائعًا".

وافقت رين:

– "لا".

– "فمن يملك جيش المقاومة؟"

— "(التحالف الجنوبي)".

— "إذن هم من سنتعامل معهم. اشرحي لي سياساتهم".

قررت رين، إن لم يكن سيدعها تنام، فمن الأفضل أن تسليه.

— "حاكم القرد ليو غوروباي يسيطر على نواة الجيش. يانغ سوجي يقود (الذئاب الحديدية). ما ليين قاد ثاني أكبر فرقة، قوات قطاع الطرق، قبل أن يموت. زودن كان نائبه. كانوا موالين لي لفترة، حتى... حسنًا. ظنوا أنهم سيقايضونني مقابل الحصانة".

— "ومن القيادة الآن؟"

— "غوروباي، بالتأكيد. وسوجي".

فكر جيانغ في هذا للحظة، ثم قال بنبرة مرحة:

— "سيتعين عليكِ قتلهم جميعًا، بالطبع".

— "عذرًا، ماذا؟"

استلقى بظهره ضد الجذع، ومد ساقيه، ووضع كاحلًا فوق الآخر.

— "اضربي في أقرب وقت ممكن بعد التقائكِ بالتحالف. اقضِ عليهم نومهم. أحيانًا يكون من الأسهل القضاء عليهم في معركة، لكن ذلك يميل لترك انطباع عام سيئ. ذوق سيئ، وكل ذلك".

حدقت رين فيه بعدم تصدي. لم تعرف ما صدمها أكثر — اقتراحه، أم النبرة المستهترة التي قاله بها. جيانغ الذي عرفته أحب نفخ الفقاعات في الجدول بقصبة للمتعة. هذا الـ جيانغ ناقش القتل وكأنه يسرد وصفة لعصيدة.

سألت داجي:

— "ماذا ظننتِ سيحدث عندما تعودين؟"

— "لا أعرف، ظننت ربما... ربما سيدركون أنهم بحاجة إلي".

لم تفكر رين بتلك الأبعاد. كانت لديها فكرة نصف مشكلة بأنها قد تتمكن من الحديث للعودة لحظوتهم، الآن بعد أن علموا أنها كانت محقة بشأن الجمهورية.

لكن الآن بعد أن فكرت في الأمر، كانوا على الأرجح سيطلقون النار عليها بمجرد رؤيتها.

قال جيانغ:

— "أنتِ سيئة جداً في هذا. إنه أمر لطيف".

زلقت داجي غصنًا رفيعًا مشذبًا عبر الجرذان المسلوخة، ثم ثبتتها فوق النار المتراقصة.

— "لا يمكنكِ خوض حرب على جبهات متعددة. في اللحظة التي تسمعين فيها همسات معارضة في صفوفكِ الخاصة، تطردينها للخارج. بكل القوة اللازمة".

سألت رين:

— "أهذا ما فعلتموه؟"

قال جيانغ بسعادة:

— "أوه، نعم. طوال الوقت. أنا توليت القتل العلني، بالطبع. كان على ريغا فقط نطق الاسم، وكنت أجعل الوحوش تمزقهم من الرأس للقدم. المغزى كان المشهد، لثني أي شخص آخر عن الانشقاق". أومأ نحو داجي. "وهذه تكفلت بكل شيء أردنا إبقاءه طي الكتمان. أوقات جميلة".

قالت رين:

— "لكنهم كرهوكم".

لم تعرف سوى القليل عن حكم "التريفيكتا" إلا ما أخبرها به فايسرا، لكنها عرفت أن الجميع تقريبًا استاءوا منهم. "التريفيكتا" حافظوا على الدعم السياسي عبر العنف المحض. لم يحبهم أحد، لكن الجميع خافوهم. بعد اختفاء ريغا، السبب الوحيد لعدم إزاحة أمراء الحرب الاثني عشر لـ داجي عن العرش هو أنهم كرهوا بعضهم البعض بنفس القدر.

قالت داجي:

– "النخب ذات المصالح الراسخة ستكرهكِ دائمًا. هذا حتمي. لكن النخب لا تهم، الجماهير هي المهمة. ما عليك فعله هو تغليف نفسكِ بالأسطورة. موت أعدائكِ يصبح جزءًا من أسطورتكِ. في النهاية تصبحين بعيدة جدًا عن الواقع بحيث لا ينطبق عليكِ الصواب والخطأ. هويتكِ تصبح جزءًا لا يتجزأ من فكرة الأمة ذاتها. سيحبونكِ مهما فعلتِ".

سألت رين:

– "أشعر أنكِ تستهينين بالعامة".

– "ماذا تعنين؟"

– "أعني... لا أحد يصبح أسطورة بين عشية وضحاها. الناس ليسوا عميانًا. أنا لن أعبد أيقونة كهذه".

سألت داجي:

– "ألم تعبدي ألتان؟"

صفر جيانغ من بين أسنانه:

– "ضربة تحت الحزام".

قالت رين:

– "تبًا لكما".

ابتسمت داجي فقط:

– "الناس ينجذبون للقوة يا عزيزتي. لا يملكون منع أنفسهم. القوة تغري. مارسيها، استعرضيها، وسيتبعونكِ".

قالت رين:

– "لا أستطيع فقط التنمر على الناس للحصول على ما أريد".

أمالت داجي رأسها:

– "حقًا؟ كيف حصلتِ على قيادة قوات ما ليين إذن؟"

قالت رين:

– "تركتُه يموت".

قالت داجي:

— "أعيدي الصياغة".

— "حسنًا. قتلته". كان قول ذلك بصوت عالٍ مريحًا بشكل مفاجئ. قالتها مجددًا. "قتلته. ولا أشعر بالسوء حيال ذلك. كان قائدًا قذرًا، كان يهدر قواته، أذلني، واحتجت لإزاحته من طريقي..."

ضغطت داجي:

— "وليس هذا هو شعوركِ تجاه الآخرين؟"

توقفت رين. ما مدى صعوبة قتل القيادة الجنوبية بأكملها — سوجي، وغوروباي، وليو داي؟ فكرت في التفاصيل. ماذا عن حراسهم؟ هل سيتعين عليها ضربهم جميعًا مرة واحدة، في حال حذروا بعضهم البعض؟

أخافها أن هذا لم يعد سؤالًا حول ما إذا كانت ستفعل ذلك، بل كيف.

قالت داجي:

— "لا يمكنكِ القيادة عبر لجنة. التاريخ الدموي الكامل لهذه البلاد دليل على ذلك. لقد رأيتِ مجالس أمراء الحرب. تعلمين أنهم لا يستطيعون إنجاز أي شيء بمفردهم. هل تعلمين كيف انطلقت حروب الخلافة؟ أحد جنرالات الإمبراطور الأحمر المفضلين طالب منافسه بإعطائه فرقة موسيقيين من الأراضي الداخلية أُسروا في غارة على الحدود. أرسل له منافسه الموسيقيين، لكنه حطم كل آلاتهم. ذبح الجنرال الأول الموسيقيين انتقامًا، وذلك أطلق ما يقرب من قرن من الحرب. هكذا تصبح الحكومات متعددة الفصائل تافهة. وفري على نفسكِ الصداع يا صغيرة. اقتلي منافسيكِ بمجرد رؤيتهم".

— "لكن ذلك ليس..." توقفت رين، تحاول استخلاص الطبيعة الدقيقة لاعتراضها. لماذا كان من الصعب جداً تقديم الحجة؟ "هم لا يستحقون ذلك. سيكون الأمر مختلفًا لو كانوا ضباطًا جمهوريين، لكنهم يقاتلون لأجل الجنوب. من الخطأ مجرد..."

تنهدت داجي بقلة حيلة:

– "عزيزتي الفتاة. توقفي عن التظاهر بالاهتمام بالأخلاق، إنه أمر محرج. في مرحلة ما، سيتعين عليكِ إقناع نفسكِ بأنكِ فوق الصواب والخطأ. الأخلاق لا تنطبق عليكِ".

قلبت الجرذان المشكوكة فوق النار، كاشفة بطونها غير المطهوة للهب.

– "ضعي ذلك في رأسكِ. سيتعين عليكِ أن تصبحي أكثر حسمًا إن كنتِ ستقودين يومًا. لستِ فتاة صغيرة بعد الآن، ولستِ مجرد جندية أيضًا. أنتِ في السباق للعرش، ولديكِ إله في صفكِ. تريدين قيادة كاملة لذلك الجيش؟ هذه البلاد؟ خذيها".

قالت رين بتعب:

– "وكيف تقترحين فعل ذلك؟"

تبادل داجي وجيانغ نظرة.

لم تستطع رين قراءتها، ولم تعجبها. كانت نظرة محملة بعقود من التاريخ المشترك، بأسرار وتلميحات لم تستطع البدء في فهمها. فجأة شعرت كطفلة صغيرة تجلس بينهما – فتاة قروية بين أساطير، فانية بين آلهة، عديمة الخبرة بشكل مؤسف وفي غير مكانها تمامًا.

قالت داجي أخيرًا:

– "بسهولة. سنستعيد مرساتكِ. ثم سنذهب لإيقاظ مرساتنا".

الفصل الرابع عشر

في صباح اليوم التالي، انطلقوا نحو قلب أرض العدو. قرروا أن مقر القيادة الجمهوري في زمن الحرب هو المكان الأرجح لوجود كيتاي. لابد أن نزهة وفايسرا يتواجدان على الخطوط الأمامية، وإذا كانا يستغلان كيتاي كما ينبغي لأي شخص في موقعهما أن يفعل، فلا بد أنه هناك بصحبتهما.

تحركت جبهة القتال بعيداً نحو الغرب في فترة زمنية قصيرة جداً. عبر الثلاثة خلال "إقليم الأفعى"، واجتازوا الطرف الشمالي لـ "إقليم التنين"، ووجدوا نقطة التقاء نهر "موروي" الغربي بنهر "موروي" الجنوبي في "إقليم الأرنب"، حيث سرقوا طوفاً وقاموا برحلة سريعة إلى "إقليم الخنزير". كل ميل يمر دون أن تجد رين دليلًا على مقاومة التحالف الجنوبي، كان يبدو وكأنه لكمة أخرى في أحشائها.

كان ذلك يعني أن نزهة قد دفعهم بالفعل إلى هذا الحد عبر البلاد. وربما يعني أنهم قد أُبيدوا عن بكرة أبيهم.

بذلوا قصارى جهدهم لتجنب المدنيين في رحلتهم. لم يكن ذلك صعبًا؛ فهذا الامتداد من وسط نيكان كان مستنقعًا موبوءًا بالحرب، وقد وقع جزء كبير منه مباشرة في مسار سد "الممرات الأربعة" المدمر. كان اللاجئون المتبقون ندرة، والقلة الشاردة من الأرواح التي لمحوها مالت إلى الانعزال.

حدقت رين في الضفاف بينما كان طوفهم يطفو عبر "إقليم الخنزير"، تحاول تخيل كيف كانت تبدو هذه المنطقة قبل عام بالكاد. قرى بأكملها، وبلدات، ومدن كانت مزدهرة هنا ذات يوم. ثم انهار السد بلا سابق إنذار،

وغرق مئات الآلاف من القرويين أو فروا جنوبًا نحو أرلونغ. وحين عاد الناجون، وجدوا قراهم لا تزال مغمورة تحت مياه الفيضان، وأراضي الأجداد التي آوت أجيالًا قد ابتلعها النهر.

لم تكن المنطقة قد تعافت بعد. الحقول التي كانت تنمو فيها محاصيل الذرة الرفيعة والشعير باتت ترقد تحت طبقة من الماء بسمك ثلاث بوصات، تفوح منها الآن رائحة نتنة لجثث متحللة. من حين لآخر، كانت رين تلمح علامات حياة على الضفاف — إما مخيمات صغيرة من الخيام أو قرى ضئيلة لا تزيد عن ستة أو سبعة أكواخ من القش. لم يكن هناك شيء أكبر من ذلك أبدًا. كانت هذه مخابئ للكفاف، وليست مستوطنات طويلة الأمد.

سيمضي وقت طويل قبل أن تُنبت هذه المنطقة مدنًا مرة أخرى. لم يكن تدمير السد هو المصدر الوحيد للخراب. كان نهر "موروي" بالفعل نهرًا متقلبًا، يميل للفيضان على ضفافه في السنوات الممطرة بشكل لا يمكن التنبؤ به، ومن خلال تدمير كل الغطاء النباتي، دمر هذا الفيضان العظيم الدفاعات الطبيعية للمنطقة. وقبل ذلك، وفي طريقهم للحرب نحو الداخل، قام جنود "الموغين" بقطع وحرق العديد من الحقول لدرجة ضمنت المجاعة المحلية لسنوات. في رويجين، سمعت رين قصصًا عن أطفال يلعبون في الحقول ونبشوا متفجرات دُفنت منذ زمن بعيد، وعن أطفال محوا نصف قراهم عن طريق الخطأ لأنهم فتحوا عبوات غاز بدافع الفضول.

كم عدد تلك العبوات التي لا تزال كامنة ومخفية في الحقول؟ ومن سيتطوع لاكتشافها؟

كل يوم منذ نهاية "حرب الخشخاش الثالثة"، كانت رين تتعلم أن انتصارها في سبير بات أقل أهمية شيئًا فشيئًا. لم تنتهِ الحرب حين هلك الإمبراطور "ريوهاي" على جزيرة القوس الطويل. ولم تنتهِ الحرب حين هزم جيش فايسرا البحرية الإمبراطورية عند "المنحدرات الحمراء".

كانت غبية جدًا حين ظنت يومًا أنها إذا أنهت الاتحاد، فإنها ستنهي الألم. الحرب لا تنتهي، ليس بهذه النظافة — إنها تستمر في التراكم عبر أوجاع صغيرة تتكدس فوق بعضها البعض حتى تنفجر من جديد في جروح نيئة.

***

فقط حين وصلوا إلى قلب "إقليم الخنزير"، وجدوا أدلة على قتال حديث.

لا — ليس قتالًا. الدمار كان الكلمة الأنسب. رأت رين حطام منازل القش التي لا تزال متكتلة قرب أساساتها، بدلًا من أن تكون مبعثرة في أنماط الخرائب القديمة. رأت علامات حروق لم تمحها الرياح والأمطار بعد. هنا وهناك، في الخنادق وعلى طول المدرجات، رأت جثثًا لم تتحلل بالكامل — لحمًا متعفنًا متكتلًا فوق عظام لم تُنهش بالكامل بعد.

أثبت هذا أن الحرب الأهلية لم تنتهِ. كانت رين محقة — لم يكافئ فايسرا الجنوب على خيانتهم. لا بد أنه وجه مناطيده نحو التحالف الجنوبي في اللحظة التي غادرت فيها رين وداجي إلى تشولو كوريك. لقد طاردهم إلى "إقليم الخنزير"، ولا بد أن "إقليم الخنزير" قد أبدى مقاومة. لم يكن لديهم سبب للثقة بالجمهورية؛ فأمير حربهم قُطع رأسه بلا مراسم في أرلونغ بعد أيام من هزيمة داجي. لا بد أنهم احتشدوا إلى جانب التحالف الجنوبي.

ومن مظهر الأمور، فإن فايسرا قد سحقهم بسبب وقاحتهم.

أطلقت رين صفيرًا وقالت:

— "ما الذي حدث هنا؟"

كانوا قد انعطفوا عند زاوية للنهر نحو شاطئ غريب؛ المنطقة التي كان يجب أن تقف فيها الأشجار كانت محروقة ومسواة بالأرض، وكأن عملاقًا مشتعلًا قد داس عبرها في نوبة هياج طائشة.

قالت داجي:

– "نفس الشيء الذي حدث في المرة الماضية. يحضرون قاذفاتهم، وإذا لم يتمكنوا من العثور على عدوهم يهاجمون بشكل عشوائي. يسوون التضاريس بالأرض ليجعلوا اختباء المتمردين أصعب."

قالت رين وهي لا تزال مرتبكة:

– "لكن تلك ليست علامات قصف. ليست كلها في أنماط حفر."

قال جيانغ:

– "لا، هذا هو الهلام."

– "الهلام؟"

– "إنه ما استخدموه في المرة الماضية. شيء اخترعته الطائفة الرمادية في أبراجها. يشتعل حين يلامس أي كائنات حية – نباتات، حيوانات، بشر. لم نكتشف أبدًا كيفية إطفائه – الماء والخنق لا يجديان نفعًا. عليك الانتظار حتى يحترق بالكامل. وهذا يستغرق وقتًا طويلًا جدًا."

أرعبت التبعات رين. هذا يعني أن الهسبيريين لم يسيطروا على السماء فحسب؛ بل كانوا يملكون أيضًا نيرانًا تنافس نيرانها.

كان الدمار هنا أسوأ بكثير من الحطام في تيكاني. لا بد أن "إقليم الخنزير" قاوم بضراوة؛ كان ذلك الشيء الوحيد الذي يبرر انتقامًا بهذا الحجم. لكنهم لا بد أنهم عرفوا أنهم لا يستطيعون الفوز. كيف كان الشعور حين أمطرت السماوات نارًا لا تموت؟ كيف كان يبدو قتال السماء نفسها؟ حاولت تخيل اللحظة التي تحولت فيها هذه الغابة إلى رقعة شطرنج من الأخضر، والأسود، والأخضر، والأسود، حين تحول المدنيون الذين يركضون مذعورين عبر الأشجار إلى فحم وهم يرتعشون ويدخنون.

قالت داجي وهي تمرر أصابعها بكسل عبر الماء:

– "الحملات الجوية ذكية جدًا في الواقع. تسقط القنابل فوق المناطق المكتظة التي لا تملك دفاعات مدمجة، فيظنون أنهم مكشوفون تمامًا. ثم تُحلق

بمناطيدك فوق أوسع منطقة ممكنة، ليعرفوا أنه لا أحد آمن بغض النظر عن مكان اختبائهم."

أدركت رين أنها لم تكن تتحدث من باب التخمين. كان هذا كله من واقع الخبرة. لقد خاضت داجي الحرب نفسها، قبل عقود.

تابعت داجي:

– "تحلق بالسفن الهوائية بجداول عشوائية. أحياناً في النهار والليل، حتى يرتاع السكان من مجرد الخروج، رغم أنهم أكثر أمانًا حيث لن تنهار منازلهم فوق رؤوسهم. عندئذ تكون قد سلبتهم كل شيء. النوم، الطعام، الراحة، الأمان. لا أحد يجرؤ على التحرك في العراء، وبذلك تكون قد قطعت الاتصالات والصناعة أيضًا."

قالت رين:

– "توقفي. أنا أفهم."

تجاهلتها داجي:

– "تدفعهم إلى الانهيار التام. يتحول الخوف إلى يأس، واليأس إلى ذعر، ثم يتحول الذعر إلى خضوع مطلق. إنها مذهلة، قوة الحرب النفسية. وكل ما يتطلبه الأمر هو بضع قنابل."

سألت رين:

– "إذن ماذا فعلتم؟"

رمشت داجي ببطء تجاهها وكأن الإجابة بديهية:

– "ذهبنا إلى البانثيون يا عزيزتي."

قال جيانغ:

– "أصبحت الأمور أسهل بكثير بعد ذلك. اعتدت اختطافهم من السماء كالبعوض. جعلنا الأمر أنا وريغا لعبة. الرقم القياسي كان أربع مركبات في خمس ثوانٍ."

قال ذلك بعفوية لدرجة أن رين لم تستطع إلا التحديق. وفورًا، كأن بعوضة طنت في أذنه، هز رأسه بسرعة وأشاح بوجهه.

أيًا كان من خرج من تشولو كوريك، لم يكن الرجل الذي عرفته في سينغارد. المعلم جيانغ في سينغارد لم يكن لديه أي ذكرى عن "حرب الخشخاش الثانية". لكن هذا الـ جيانغ كان يلقي بإشارات عابرة ومستمرة عنها ثم يتراجع بسرعة، وكأنه يغمس أصابع قدميه في محيط من الذاكرة فقط ليرى ما إذا كان سيعجبه، ثم ينكمش مبتعدًا لأن الماء بارد جدًا.

لم تكن هفوات الذاكرة هي ما يزعجها بشأن جيانغ. منذ غادروا تشولو كوريك، كانت تراقبه، تتبع تحركاته وأنماط صوته لتعقب الاختلافات. كان مألوفًا بشكل منعش ومختلفًا بشكل صادم في آن واحد، وغالبًا في غضون الجملة نفسها. لم تستطع التنبؤ بالتحولات في نبرة صوته، أو الحدة المفاجئة في نظرته. أحيانًا كان ودودًا وغريب الأطوار. وفي أحيان أخرى كان يتصرف كرجل خاض حروبًا وانتصر فيها.

عرفت رين أن "ختمه" يتآكل. لكن ماذا يعني ذلك؟ هل يحدث تدريجيًا، ذكرى مستعادة تلو الأخرى، حتى يجمع كل ما فقده؟ أم سيكون الأمر متقلبًا وغير متوقع، مثل الطريقة التي يتعامل بها جيانغ مع كل شيء آخر؟

ما أربكها أكثر كانت الأوقات التي انزلق فيها جيانغ بالكامل تقريبًا إلى جلده السابق، حين تصرف تمامًا مثل المعلم الذي عرفته يومًا، لدرجة أنها كل يوم، لفترات قصيرة، كادت تنسى أن أي شيء قد تغير.

كان يمازحها بشأن شعرها، الذي كان مقصوصًا بفوضوية قرب صدغيها لدرجة أنها بدت وكأنها نشأت في البرية. كان يمازحها بشأن جذع ذراعها ("كيتاي محق، يجب أن تثبتي نصلًا عليه")، وبشأن التحالف الجنوبي ("فقدان حزام إنجاز، لكن فقدان جيش بأكمله شيء آخر تمامًا")، وبشأن ألتان ("لا يمكنك حتى ذكره دون أن تحمري خجلًا، أيتها الطفلة الميؤوس منها")، وبشأن نزهة ("حسنًا، لا جدال في الأذواق"). تلك النكات كانت ستستدعي صفعة لو

جاءت من أي شخص آخر، لكن حين نطق بها جيانغ بأسلوبه المنفصل والجامد، جعلتها تضحك بطريقة ما.

خلال فترات ما بعد الظهيرة الطويلة والمملة وهم يطفون عبر امتدادات النهر الفارغة، كان يميل رأسه للخلف نحو السماء الصافية ويصدح بأغانٍ بذيئة وماجنة جعلت كلماتُها داجي تشخر ورين تحمر خجلًا. من حين لآخر، كان يبارزها، يترنحان ذهابًا وإيابًا على الطوف غير المستوي، يعلمها حيلًا ذهنية لتثبيت توازنها، وينكزها في خاصرتها بعصاه حتى تصحح وضعيتها.

في تلك الأوقات شعرت رين وكأنها طالبة مرة أخرى، تواقة وسعيدة، تتعلم من معلم تعشقه. لكن حتمًا، كانت ابتسامته تنزلق دائمًا، وتتشنج كتفاه، وتغادر الضحكة عينيه، وكأن شبح من كان عليه قد فر فجأة.

مرة واحدة فقط، بعد ما يقرب من ثلاثة أسابيع في رحلتهم، وحين غفت داجي أثناء نوبة حراسة جيانغ، استجمعت رين الجرأة لتسأله عن الأمر.

قال جيانغ فورًا بمجرد أن فتحت فمها:

— "هاتي ما عندك."

— "آه... عفواً، ماذا؟"

— "كنتِ ترمقينني بنظرات فتاة قروية متيمة منذ غادرنا الجبل. هيا. فاتحيني بالأمر."

أرادت أن تضحك وتضربه في آن واحد. ضربت نغزة من الحنين معدتها كهراوة، وتبعثرت أسئلتها على لسانها. لم تستطع تذكر ما أرادت سؤاله. لم تكن تعرف حتى من أين تبدأ.

لان تعبير وجهه وقال:

— "هل تحاولين معرفة ما إذا كنت أذكركِ؟ لأنني أذكركِ، كما تعلمين. نسيانكِ صعب."

— "أعرف أنك تذكر، لكن..."

شعرت بانعقاد لسانها وحيرة، كما شعرت غالبًا خلال السنوات التي قضتها كمتدربة لـ جيانغ، تتلمس الحقيقة حول الآلهة قبل حتى أن تفهم ما كانت تبحث عنه. شعرت بغياب المعرفة كفجوة بداخلها. لكنها لم تعرف كيف تصيغ أسئلتها، ولم تستطع تتبع ملامح ما ينقصها.

– "أفترض أنني أردت أن أعرف... حسنًا، الختم، قالت داجي إن..."

اتخذ صوت جيانغ حدة قاسية:

– "تريدين معرفة ما يفعله الختم بي. تتساءلين إن كنت الرجل نفسه الذي دربك. أنا لست كذلك."

ارتجفت رين بينما صعدت الذكريات دون استئذان إلى عقلها: ومضات من الرؤية التي أرتها إياها "سورقان سيرا" ذات مرة، كابوس من الجثث المنهوشة والضحك الجنوني.

– "إذن هل أنت..."

أمال جيانغ رأسه:

– "حارس البوابة؟ يد ريغا اليمنى؟ الرجل الذي أطاح بالموغين؟ لا. لا أظن أنني هو أيضًا."

– "أنا لا أفهم."

توقف، ضاربًا بخفة على ذقنه:

– "كيف يمكنني وصف الأمر؟ إنه مثل رؤية انعكاس مشوه في مرآة. أحيانًا نكون الشخص نفسه وأحيانًا لا؛ أحيانًا يتحرك معي، وأحيانًا يتصرف بإرادته الخاصة. أحيانًا ألتقط لمحات من ماضيه، لكن الأمر يبدو وكأنني أشاهد من بعيد كمراقب عاجز، وذلك..."

توقف فجأة، جافلاً، وضغط بأصابعه على صدغيه. راقبت رين الصداع وهو يمر؛ لقد شهدت هذه التشنجات من قبل. لم تدم أبدًا أكثر من بضعة ثوانٍ.

حثته بعد أن استرخت الخطوط حول عينيه:

– "وفي أوقات أخرى؟"

— "في أوقات أخرى تكون الذكريات من منظوري، لكن يبدو الأمر وكأنني أختبرها للمرة الأولى. بالنسبة له، هي ذكرى. هو يعرف بالفعل ما حدث. لكن بالنسبة لي، الأمر يشبه مشاهدة قصة تتكشف، لكنني لا أعرف نهايتها. الشيء الوحيد الذي أعرفه، بيقين مطلق، هو أنني فعلت ذلك. أرى الجثث، وأعرف أنني المسؤول."

حاولت رين استيعاب ذلك، وفشلت. لم تستطع رؤية كيف يمكن للمرء العيش بمجموعتين مختلفتين من الذكريات، تنتميان لشخصيتين مختلفتين، ويظل عاقلًا.

سألت:

— "هل يؤلم؟"

— "معرفة ما فعلته؟ نعم، يؤلم. بشكل لا يشبه أي شيء يمكن أن تتخيليه أبدًا."

لم تكن رين بحاجة للتخيل. كانت تعرف جيدًا كيف يشعر المرء حين تأكل هاوية من الذنب روحه، ومحاولة النوم بينما تهمس هوة من الأرواح المنتقمة بأنها هي من وضعتهم هناك، ولذلك فهي تستحق الموت.

لكنها كانت تمتلك ذكرياتها. كانت تعرف ما فعلته، وتصالحت معه. كيف ارتبط جيانغ بجرائمه؟ كيف يمكنه تحمل المسؤولية عنها إذا كان لا يزال لا يستطيع التماهي مع الشخص الذي ارتكبها؟ وإذا لم يستطع مواجهة ماضيه، ولم يستطع حتى التعرف عليه كماضيه هو، فهل كان محكومًا عليه بالبقاء رجلًا منقسمًا، محاصرًا في انشقاق نفسيته؟

صاغت سؤالها التالي بحذر. استطاعت أن تدرك أنها دفعته إلى الحافة — بدا شاحبًا ومضطربًا، مستعدًا للهرب إذا قالت الشيء الخطأ. تذكرت وقتها في الأكاديمية، حين كان عليها تنميق وتحوير كلماتها حتى لا يسخر منها جيانغ، أو يتجاهلها، أو يتظاهر ببساطة أنها لم تتحدث.

فهمت الآن ما كان خائفًا منه.

ابتلعت ريقها، وهزت رأسها، وبدأت من جديد:

– "هل تظن... هل تظن أنك ستتحول عائدًا للشخص الذي كان من المفترض أن تكونه؟ قبل الختم؟"

استفسر:

– "هل هذا من تريدينني أن أصبح؟"

قالت:

– "أظن أن هذا هو الرجل الذي نحتاجه."

ثم اندفعت بكلماتها التالية قبل أن تتراجع جرأتها:

– "لكن سورقان سيرا قالت إن ذلك الرجل كان وحشًا."

لم يجب لفترة. جلس مستندًا للخلف، يراقب الشاطئ، ويمرر أصابعه عبر الماء العكر. لم تستطع معرفة ما يدور خلف تلك العيون الشاحبة جدًا.

قال أخيرًا:

– "سورقان سيرا كانت محقة."

***

كانت رين تظن – تأمل، في الواقع – أنها حين تقترب بما يكفي من كيتاي، ستبدأ باستشعار وجوده، ألفة دافئة قد تقوى تدريجيًا كلما اقتربت أكثر. لم تظن أن الأمر سيكون مفاجئًا هكذا. في صباح أحد الأيام استيقظت ترتجف وتشهق، وأعصابها تتخدر وكأن النار أضرمت فيها.

سألت داجي بحدة:

– "ما الخطب؟"

أخذت رين عدة أنفاس عميقة، تحاول تحديد ما تغير. شعرت وكأنها كانت تغرق ببطء دون أن تدرك، حتى اندفعت فجأة نحو الهواء ذات يوم.

– "لا شيء، أنا... أظن أننا قريبون."

لم يكن سؤالًا؛ بدا جيانغ متيقنًا:

— "إنه مرساتكِ. كيف تشعرين؟"

كافحت للتعبير عن الشعور:

— "إنه... كأنني اكتملت من جديد."

لم يكن الأمر وكأنها تستطيع قراءة أفكار كيتاي أو استشعار عواطفه. لم تتلقَ أي رسائل منه بعد، ولا حتى ندوبًا في جلدها. لكنها عرفت، بنفس اليقين الذي تعرف به أن الشمس ستغرب، أنه قريب.

— "إنه مثل... أتعلم حين تمرض لفترة طويلة، وتنسى كيف هو شعور أن تكون معافى؟ تعتاد على طنين رأسك، وانسداد أذنيك، أو احتقان أنفك — ولا تلاحظ حتى أنك لست على ما يرام. حتى تصبح كذلك."

لم تكن واثقة أن كلامها كان منطقيًا؛ بدت الكلمات غبية وهي تتعثر خارجة من فمها. لكن جيانغ وداجي أومآ فقط.

بالطبع فهما. كانا الوحيدين اللذين يمكنهما الفهم.

قالت داجي:

— "قريبًا ستبدئين بالشعور بألمه. إذا كان قد عانى من أي ألم. سيعطينا ذلك دليلًا حول كيفية معاملته. وذلك الشعور سيصبح أقوى وأقوى كلما اقتربنا. ملائم، أليس كذلك؟ حمامتنا الزاجلة الخاصة."

كانت شكوكهم في محلها — كيتاي كان محتجزًا هناك تمامًا على جبهة القتال الجمهورية. في صباح اليوم التالي، وبعد أسابيع طويلة على طريق بدا مكونًا من حفر قنابل لا تنتهي وقرى أشباح، ارتفعت "المدينة الجديدة" من الأفق كلطخة صارخة من الألوان ضد خلفية محروقة.

كان من المنطقي أن تقيم الجمهورية قاعدتها هنا، في واحدة من أكثر المدن دموية في تاريخ الـ "نيكان". "المدينة الجديدة"، التي سميت يومًا "أراباك"، خدمت كحصن عسكري منذ حملات الإمبراطور الأحمر. في الأصل كانت

سلسلة من الحصون الدفاعية التي تقاتل عليها أمراء الحرب لفترة طويلة لدرجة أن الحدود بين "إقليم الخنزير" و"إقليم الأرنب" رُسمت بالدم. تطلبت آلة الحرب عمالة ومواهب، لذا على مر السنين، انتقل المدنيون — أطباء، ومزارعون، وحرفيون، وفنانون — مع عائلاتهم إلى مجمعات الحصون، التي نمت لتستوعب حشود الناس الذين كان عملهم الوحيد هو القتال.

الآن، كانت "المدينة الجديدة" المركز الحدودي للجيش الجمهوري والقاعدة الجوية لأسطول مناطيد "هسبيريا". كانت القيادة العسكرية العليا للجمهورية متمركزة خلف تلك الأسوار، وكذلك كان كيتاي.

توجب على رين وجيانغ وداجي أن يبتكروا حيلًا كلما اقتربوا من المدينة. بدأوا السفر ليلًا فقط، وحتى في ذلك الحين في دفعات قصيرة وحذرة، يختبئون في شجيرات الغابة لتجنب المناطيد التي كانت تحوم حول المدينة في دوريات منتظمة، مسلطة أضواء قوية بشكل غير طبيعي على الأرض في الأسفل. غيروا مظاهرهم — قصت داجي شعرها قصيرًا فوق أذنيها، وبدأت رين تخفي عينيها خلف خصلات فوضوية من الشعر، وصبغ جيانغ خصلاته البيضاء بلون بني غني بمزيج من قشور الجوز والمغرة، وهي مكونات وجدها بسهولة لدرجة اضطرت رين لافتراض أنه فعل ذلك من قبل. اتفقوا على قصة للتغطية في حال أوقفهم الحراس — كانوا عائلة من اللاجئين، رين ابنتهم، يسافرون من "إقليم الأفعى" للم شملهم مع شقيق داجي، وهو موظف حكومي من مستوى منخفض في "إقليم التنين".

وجدت رين هذه الحيلة الأخيرة سخيفة.

— "لن يظن أحد أنني ابنتك."

سأل جيانغ:

— "لِمَ لا؟"

— "نحن لا نتشابه في شيء! أولًا، بشرتك أفتح من بشرتي بمليون مرة..."

ربت على رأسها قائلًا:

– "آه يا عزيزتي. هذا خطؤكِ. ماذا قلت لكِ عن البقاء تحت الشمس؟"

على بعد نصف ميل من البوابات وجدوا حشودًا. اتضح أن لاجئين حقيقيين قد تدفقوا إلى "المدينة الجديدة" في أسراب. كانت تلك الحصون الشيء الوحيد على بعد أميال الذي يضمن الأمان من حملات القصف.

سألت رين:

– "كيف سندخل؟"

قالت داجي، وكأن الأمر بديهي:

– "بالطريقة التي تقتربين بها من أي مدينة أخرى. مباشرة عبر البوابات."

لقت رين نظرة مشككة على الطوابير المتلوية من البوابات حول أسوار الحصن.

– "إنهم لا يسمحون لأحد بالدخول."

قالت داجي:

– "أنا مقنعة جدًا."

– "ألستِ خائفة أن يتعرفوا عليكِ؟"

رمقتها داجي بنظرة ساخرة:

– "ليس إذا أمرتهم بالنسيان."

بالتأكيد لا يمكن أن يكون الأمر بهذه السهولة. تبعتها رين بذهول، بينما قادتهم داجي مباشرة إلى البوابات، متجاهلة صيحات الشكوى من كل شخص آخر في الطابور، وطالبت بجرأة بالسماح لهم بالمرور لدرجة أن رين كانت متأكدة أنهم سيتعرضون لإطلاق النار.

لكن الجنود رمشوا فقط، وأومأوا، وأفسحوا الطريق.

قالت داجي وهي تمر:

– "هذا لم يحدث قط."

أومأوا، وعيونهم مزججة.

– "أنتم لم تروني أبدًا، وليس لديكم أدنى فكرة عما أبدو عليه."
أشارت لـ جيانغ ورين بالتبعية. أطاعت رين وهي مدهوشة.
سأل جيانغ:
– "منزعجة؟"
تمتمت:
– "لقد أخبرتهم فقط بما يجب فعله. أخبرتهم فقط، دون حتى أن... أعني، لم تكن تحاول حتى."
رمق جيانغ داجي بنظرة ولعة:
– "أوه، نعم. أخبرناكِ أنها مقنعة."
كلمة "مقنعة" لم تصف نصف الحقيقة. كانت رين تعرف عن تنويم داجي. لقد وقعت ضحية له بنفسها مرات عديدة. لكن في الماضي، كانت أوهام داجي تستغرق لحظات طويلة من الملاطفة الحذرة. لم ترها رين قط تنطق بمثل هذه الأوامر العفوية والمستخفة مع التوقع الكامل بأنها ستُطاع.
هل كان ذلك لأن جيانغ تحرر الآن من تشولو كوريك؟ هل تتضخم قوى داجي حين تقوى "مراسيها"؟ وإذا كان الأمر كذلك، فماذا سيحدث حين يوقظون "ريغا"؟

***

خلف أسوارها، بدت "المدينة الجديدة" وكأنها لكمة على الوجه.
كانت رين قد ذعرت في المرة الأولى التي غادرت فيها تيكاني، حين استيقظت في الصباح الثاني من رحلتها إلى سينغارد وكانت قافلتها قد سافرت بعيدًا بما يكفي لتبدو البيئة المحيطة غريبة حقًا. استغرقها الأمر أيامًا لتعتاد على المشهد الطبيعي المتحول، والجبال المبتعدة، والحقيقة المرعبة بأنها حين تنام ليلًا على حصيرتها الضيقة في عربة القافلة، لم تكن جدران تيكاني الترابية تحميها.

لقد جابت إمبراطورية "نيكان" منذ ذلك الحين. وانجرفت في الصخب الطاغي لـ سينغارد، ومشت على ألواح "المدينة العائمة" في "أنخيلون"، ودخلت "قصر الخريف" في "لوسان" الوارفة والملكية. ظنت أنها فهمت تنوع المدن في الإمبراطورية، الممتد من الفقر المغبر في تيكاني إلى الفوضى المتعرجة لأكواخ "خوردالين" الساحلية إلى القنوات الزرقاء الياقوتية في أرلونغ.

لكن "المدينة الجديدة" كانت غريبة بمقياس مختلف. كان الهسبيريون هنا منذ أشهر فقط — لم يكن من الممكن أن يفككوا ويبنوا فوق حصون "نيكان" الحجرية التي وقفت هناك لقرون. ومع ذلك، بدا هيكلها المعماري متغيرًا بشكل جذري — دُعمت الحصون القديمة بعدد من المنشآت الجديدة التي فرضت إحساسًا كتليًا بالنظام، محولة المشهد الحضري إلى مكان من الخطوط المستقيمة بدلًا من الأزقة المنحنية والمتعرجة التي اعتادت عليها رين.

اختفت أيضًا كل الزخارف النيكانية. لم ترَ أي فوانيس، ولا لافتات جدارية، ولا أسطح معابد مائلة أو نوافذ مشبكة، والتي كانت لتظهر حتى في هذه المدينة العسكرية النفعية المتقشفة. بدلًا من ذلك، أينما نظرت، رأت الزجاج — زجاجًا شفافًا على معظم النوافذ، وأنماطًا ملونة في المباني الأكبر، ورسومًا زجاجية تصور مشاهد لم تتعرف عليها.

كان التأثير صادمًا. "أراباك"، المدينة التي تملك أكثر من ألف عام من التاريخ، بدا وكأنها مُحيت ببساطة.

لم تكن هذه المرة الأولى التي ترى فيها رين العمارة الهسبيرية. "خوردالين" وسينغارد أيضًا أعيد بناؤهما بواسطة الاحتلال الأجنبي. لكن تلك كانت مدنًا بُنيت أولًا على جذور نيكانية، واستعادها النيكانيون لاحقًا. هناك، كانت العمارة الغربية بقايا غريبة من الماضي. أما "المدينة الجديدة"، فبدت وكأن قطعة من "هسبيريا" قد اقتطعت وأسقطت كاملة في "نيكان".

وجدت رين نفسها تحدق في أشياء لم تحلم قط بوجودها. عند كل ناصية شارع رأت أضواء تومض بكل لون يمكن تصوره، لا تعمل بالنار، بل بمصدر طاقة لم تستطع رؤيته. رأت ما يشبه عربة سوداء وحشية مثبتة على مسارات فولاذية، تدمدم بثقل فوق الشوارع المعبدة جيدًا بينما تنبعث خيوط رقيقة من البخار من رأسها. لم يدفعها أو يسحبها شيء — لا عمال، ولا خيول.

رأت مناطيد مصغرة تئز حول المدينة، آلات صغيرة ومثالية لدرجة أنها خالتها في البداية طيورًا صاخبة. لكن أنينها كان لا لبس فيه: نسخة أرق وأعلى حدة من أنين محرك السفن الهوائية الذي باتت تربطه الآن بالموت.

لا أحد يتحكم بها. لا أحد يسحب خيوطها أو حتى يصرخ بالأوامر. بدت المناطيد المصغرة وكأنها تملك عقولًا خاصة بها؛ تغطس وتنعطف ذاتيًا عبر المساحات بين المباني، وتراوغ ببراعة داخلة إلى النوافذ لتسليم الرسائل والطرود.

عرفت رين أنها لا تستطيع الاستمرار في التحديق هكذا. كلما طال وقوفها هنا، وعيناها تندفعان حول مليون مشهد جديد ومذهل، كلما برزت أكثر. لكنها لم تستطع التحرك. شعرت بالدوار، والارتباك، وكأنها انتُزعت من الأرض وألقيت لتنجرف في كون مختلف تمامًا. قضت معظم حياتها تشعر أنها لا تنتمي، لكن هذه كانت المرة الأولى التي تشعر فيها أنها غريبة حقًا.

ستة أشهر. ستة أشهر، وحول الهسبيريون بلدية نهرية إلى شيء كهذا.

كم سيستغرقهم الأمر لإعادة تشكيل الأمة بأكملها؟

لفت انتباهها عربة نحاسية تئز وتبدو ذاتية القيادة عبر الشارع، وكانت مذهولة لدرجة أنها لم تلاحظ وقوفها على مسارين فولاذيين رفيعين. لم ترَ العربة السوداء بلا جياد وهي تنزلق بلا صوت في اتجاهها حتى أصبحت على بعد أقدام قليلة، تندفع مباشرة نحوها.

— "تحركي!"

طرحها جيانغ أرضًا. مرت العربة بسرعة بجوارهما، تدمدم بلامبالاة على طول مسارها المقدر سلفًا.

زحفت رين للوقوف وقلبها يدق.

جذبتها داجي من معصمها وسحبتها بعيدًا عن الطريق الرئيسي موبخة:

— "ما خطبك؟ هل تريدين أن يُقبض علينا؟"

كانوا يجذبون المارة؛ رأت رين حارسًا هسبيريًا يرمقهم بحذر، وذراعاه تحتضنان بندقيته.

اعتذرت رين:

— "أنا آسفة."

تبعتها متجاوزة حشدًا من المدنيين إلى زقاق ضيق. كانت لا تزال تشعر بدوار رهيب. استندت إلى الجدار البارد والمظلم وأخذت نفسًا.

— "إنه فقط... هذا المكان، لم..."

لدهشتها، بدت داجي متعاطفة:

— "أعرف. أنا أشعر بذلك أيضًا."

— "لا أفهم."

لم تستطع رين وضع عدم ارتياحها في كلمات. كانت بالكاد تستطيع التنفس.

— "لا أعرف لماذا..."

قالت داجي:

— "أنا أعرف. إنه إدراك أن المستقبل لا يشملكِ."

كانت نبرة جيانغ فظة، وباردة تقريبًا. لم تتعرف عليها رين على الإطلاق:

— "دعونا لا نتلكأ. نحن نضيع الوقت. أين كيتاي؟"

رمقته بنظرة محيرة:

— "كيف لي أن أعرف؟"

بدا نافد الصبر:

– "بالتأكيد أرسلتِ رسالة."

– "لكن لا يوجد..." تلعثمت. "أوه. فهمت."

جالت ببصرها في الزقاق. كان رفيعًا وضيقًا، ليس ممرًا بقدر ما هو شريط ضيق من المساحة بين مبنيين مربعين.

– "هل يمكنكما التغطية علي؟"

أومأت داجي:

– "كوني سريعة."

تحركا لحراسة جانبي الزقاق. جلست رين بمحاذاة الجدار وسحبت سكينها من حزامها. أرسلت سؤالًا سابرًا إلى مؤخرة عقلها، مترددًا، ومتأملًا.

هل أنت هناك؟

لدهشتها، ومض لهب صغير للحياة في يدها. كادت تصرخ من الارتياح. صنعت قفصًا بأصابعها فوق النصل، منتظرة حتى توهج الطرف باللون البرتقالي. احتاجت فقط للندب، لا التشويه؛ الحرق السريع سيكون أسهل من استخراج الدم.

لكن داجي هزت رأسها:

– "عليكِ ضغطه بعمق. عليكِ أن تنزفي. وإلا فلن يشعر به حتى."

– "حسنًا."

أمسكت رين بالطرف فوق المنطقة اللحمية في أسفل ساقها اليسرى، لكنها وجدت أنها لا تستطيع منع أصابعها من الارتجاف.

سألت داجي:

– "هل تريدين مني فعله؟"

– "لا... لا، سأفعله."

أطبقت رين أسنانها بقوة للتأكد من أنها لن تعض لسانها. أخذت نفسًا. ثم دفعت الطرف داخل جلدها.

صرخت ربلة ساقها. كل دافع أخبرها بسحب يدها بعيدًا، لكنها أبقت المعدن مغروزًا داخل لحمها.

لم تستطع منع أصابعها من الارتجاف. سقطت السكين بجلجلة على الأرض.

التقطتها، محرجة، غير قادرة على الالتقاء بعيني داجي.

لماذا كان الألم رهيبًا هكذا الآن؟ لقد ألحقت بنفسها أضرارًا أسوأ من قبل. كان لا يزال لديها ندوب حروق بيضاء باهتة على ذراعيها من شمع الشمعة الذي قطرته على نفسها ذات مرة لتبقى مستيقظة. علامات متموجة ومتغضنة تغطي فخذيها حيث طعنت نفسها ذات مرة للهرب من هلاوسها.

لكن تلك الجروح كانت نتاج نوبات محمومة ويائسة. كانت واعية الآن، صافية الذهن وهادئة، وحضور ذهنها الكامل جعل من الأصعب بكثير إلحاق الألم بنفسها عمدًا.

أغمضت عينيها بقوة.

قال ألتان: تماسكي.

فكرت في الوقت الذي ضربها فيه رمح وأسقطها من السماء فوق "المنحدرات الحمراء". حين ثبتتها داجي تحت صارية. حين حطم كيتاي يدها، ثم سحب البقايا المشوهة عبر الأصفاد الحديدية. جسدها مر بما هو أسوأ بكثير من قطع ضحل بنصل نظيف. كان هذا ألمًا صغيرًا. كان هذا لا شيء.

غرزت المعدن تحت جلدها. هذه المرة ثبتت يدها وهي تنحت حرفًا واحدًا بخطوط واضحة ومتساوية.

أين؟

***

مرت دقائق. لم يجب كيتاي.

نظرت رين إلى ذراعها كل بضعة ثوانٍ، تترقب ندوبًا شاحبة لم تظهر.

حاولت ألا تذعر. كان هناك مليون سبب لعدم إجابته بعد. قد يكون نائمًا. قد يكون مخدرًا. قد يكون رأى الرسالة، لكنه إما يفتقر لأي وسيلة للرد، أو لا يستطيع لأنه تحت المراقبة. كان يحتاج وقتًا.

في تلك الأثناء، لم يكن لديهم شيء يفعلونه سوى الانتظار.

أرادت داجي البقاء مختبئة داخل الزقاق، لكن جيانغ اقترح أن يمشوا بطول "المدينة الجديدة". كان هذا بزعم جمع المعلومات الاستخباراتية. أراد رسم طرق الخروج وتحديد مواقع مراكز الحراسة، بحيث إذا ومتى استجاب كيتاي، يمكنهم إخراجه بسلاسة.

لكن رين شكت في أن جيانغ، مثلها، أراد استكشاف "المدينة الجديدة" ببساطة بدافع من انبهار محض ومريض. ليرى كم تغيرت الأمور، وليفهم تمامًا ما كان الهسبيريون قادرين عليه.

قال لـ داجي حين اعترضت:

— "مرت عقود. نحتاج لمعرفة ما نواجهه."

وهكذا، والأوشحة ملفوفة بإحكام فوق أنوفهم، غامروا بالخروج مرة أخرى إلى الشارع.

أول شيء لاحظته رين هو أن "المدينة الجديدة" كانت نظيفة.

اكتشفت السبب بسرعة. كانت المراسيم المطبوعة على أوراق ضخمة من الرق ملصقة على طول الجدران بأحرف هسبيرية ونيكانية. ممنوع التبول في الشارع. ممنوع إلقاء القمامة من النوافذ. ممنوع بيع الكحول غير المرخص. ممنوع ترك الحيوانات طليقة في الشارع. ممنوع الألعاب النارية، والمقامرة، والشجار، والقتال، أو الصراخ.

رأت رين مراسيم كهذه من قبل — غالبًا ما نشر القضاة النيكانيون إشعارات عامة كهذه في محاولات عقيمة لتنظيف مدنهم الجامحة. لكن هنا كانت المراسيم تُتبع. "المدينة الجديدة" كانت بعيدة عن كونها نقية تمامًا؛ كان بها كل الصخب المزدحم لأي مدينة كبيرة. لكن ذلك كان وظيفة لعدد سكانها

المتضخم، وليس عاداتهم. كانت الشوارع مغبرة، لكنها خالية من القمامة. لم تفح رائحة الهواء بالقذارة، أو البراز، أو القمامة المتعفنة، بل بالرائحة العادية للعديد من البشر المتعبين المكدسين في مكان واحد.

توقف جيانغ عند لوحة معدنية مثبتة على مصباح شارع، منقوشة بخط نيكاني وهسبيري متناوب:

— "انظروا إلى ذلك."

المبادئ الأربعة الجوهرية للنظام

اللياقة

الاستقامة

التقشف

التواضع

تحت ذلك كانت قائمة بقواعد "الحفاظ على النظام المجتمعي".

لا تبصق. اصطف بتهذيب في الطابور لانتظار دورك. مارس النظافة.

وتحت تلك القاعدة الأخيرة كانت قائمة أخرى فرعية توضح:

الممارسات غير الصحية تشمل:

عدم غسل اليدين قبل الطهي أو الأكل.

تحضير اللحوم النيئة بنفس النصل المستخدم للخضروات.

إعادة استخدام زيت الطهي.

واستمرت لثمانية أسطر أخرى.

قالت رين:

— "هذا بغيض."

انتابتها رغبة مفاجئة في تمزيقها، لكن اللوحة اللامعة بدت فخمة ورسمية لدرجة خافت معها أن يبدأ أحد المناطيد المصغرة بمهاجمتها إن فعلت.

سأل جيانغ:

— "ما العيب في غسل يديكِ؟ يبدو عادلًا لي."

— "لا يوجد عيب، إنه فقط..."

تلاشى صوتها، غير متأكدة كيف تصيغ عدم ارتياحها. شعرت وكأنها طفلة صغيرة تُوبخ لتنهي أرزها. لم تكن تكره فكرة النظافة بحد ذاتها، بل الافتراض بأن النيكانيين كانوا متخلفين جدًا، وهمجيين جدًا، لدرجة أن الهسبيريين اضطروا لتذكيرهم بنص ضخم وواضح كيف لا يتصرفون كحيوانات.

— "أعني، نحن نعرف كل هذا مسبقًا."

قهقه جيانغ:

— "هل نعرف؟ هل زرتِ سينغارد من قبل؟"

— "لا يوجد شيء معيب في سينغارد."

لم تكن رين تعرف لماذا تدافع عن العاصمة النيكانية القديمة. كانت تعلم أن سينغارد مقرفة. في المرة الأولى التي سافرت فيها شمالًا، حُذرت من أكل أي شيء من باعة الشوارع رخيصي الثمن، لأنهم ينتجون صلصة الصويا من الشعر البشري ومياه الصرف الصحي. ومع ذلك الآن، لسبب ما، شعرت بحمية للمكان. سينغارد كانت العاصمة؛ سينغارد كانت بهجة ساطعة، وكانت لتفضل صخبها وضجيجها بمراحل على هذا السيرك الممسوخ من المدن.

— "لنواصل المشي وحسب."

لم ينحسر عدم ارتياحها وهم يتوغلون أعمق في "المدينة الجديدة". بل ازداد سوءًا. كلما انعطفت عند زاوية رأت شيئًا — زخارف جديدة، تقنيات جديدة، أزياء جديدة — عززت كم كان هذا المكان غريبًا وشاذًا.

حتى الضوضاء الخلفية أربكتها. كانت قد اعتادت على المشهد الصوتي لبلادها؛ كان كل ما عرفته يومًا. عرفت صيحات جوانب الطرق، وعجلاتها الصريرية، ومساوميها الثرثارين وخطواتها المزدحمة. عرفت لغتها، وتوقعت تركيبات معينة من الحروف الصوتية والساكنة وتنغيمات صوتية. لكن ضوضاء "المدينة الجديدة" صدحت بسجل مختلف تمامًا. من المقاهي وعازفي الشوارع سمعت ألحانًا جديدة من الموسيقى، مريعة ومتنافرة. سمعت أصواتًا كثيرة جدًا تتحدث الهسبيرية، أو محاولة ما بلهجة هسبيرية.

المدن النيكانية كانت صاخبة، لكن صخبها كان من نوع مختلف — محلي، منفصل، غير منتظم. بدت "المدينة الجديدة" وكأنها تدار بنبض قلب ميكانيكي دائم الحضور، آلاف من آلاتها تئز، وتطن، وتئن بلا نهاية. بمجرد أن لاحظته رين، لم تستطع إخراجه من رأسها. لم تستطع تخيل العيش ضد هذه الخلفية؛ كانت لتدفعها للجنون. كيف ينام أي أحد في هذه المدينة؟

سأل جيانغ:

— "هل أنتِ بخير؟"

— "ماذا؟ بالطبع..."

— "أنتِ تتعرقين."

نظرت رين للأسفل، وأدركت أن مقدمة سترتها كانت مبتلة بالكامل.

ما الخطب معها؟ لم تشعر قط بذعر كهذا من قبل — هذا الضيق المنخفض والمتصاعد من الاختناق التدريجي. شعرت وكأنها أُسقطت معصوبة العينين في عالم من الجن. لم تكن تريد أن تكون هنا. أرادت الركض، عائدة للخارج عبر الأسوار وإلى الغابات؛ أي شيء للابتعاد عن هذا الاغتراب اليائس والمربك.

كانت نبرة داجي رقيقة بشكل غير معهود:

– "هكذا شعرنا في المرة الماضية. جاءوا، وأعادوا بناء مدننا، وحولوها وفقًا لمبادئهم في النظام، وكدنا لا نتحمل الأمر."

قالت رين:

– "لكن لديهم مدنهم الخاصة. ماذا يريدون هنا؟"

– "يريدون محونا. إنه تفويضهم الإلهي. يريدون جعلنا أفضل، وتحسيننا، بتحويلنا إلى مرآة لأنفسهم. الهسبيريون يفهمون الثقافة كخط مستقيم."

سحبت داجي إصبعها عبر الهواء.

– "نقطة انطلاق واحدة، ووجهة واحدة. هم في نهاية الخط. أحبوا الموغين لأنهم اقتربوا. لكن أي ثقافة أو دولة تحيد هي بالضرورة أدنى منزلة. نحن أدنى منزلة، حتى نتحدث، ونلبس، ونتصرف، ونعبد تمامًا مثلهم."

أرعب ذلك رين.

حتى الآن كانت تدرك التهديد الهسبيري من حيث القوة الصلبة – عبر ذكريات أساطيل السفن الهوائية، والبنادق المدخنة، والصواريخ المنفجرة. رأتهم كعدو في ساحة المعركة.

لم تفكر قط في أن هذا الشكل البديل من المحو الناعم قد يكون أسوأ بكثير.

لكن ماذا لو أراد النيكانيون هذا المستقبل؟ كانت "المدينة الجديدة" مليئة بالسكان النيكانيين – لا بد أنهم يفوقون الهسبيريين عددًا بنسبة خمسة لواحد – وبدوا راضين تمامًا بترتيبهم الجديد. سعداء، حتى.

كيف تغيرت الأمور بهذه السرعة؟ ذات مرة كان أي نيكاني في القارة ليركض من مجرد رؤية الشياطين زرق العيون. كانوا معبئين برهاب الأجانب بفضل قرون من الشائعات والصور النمطية، قصص صدقتها رين نصف تصديق حتى التقت بالهسبيريين لحمًا ودمًا. يأكلون طعامهم نيئًا. يسرقون الأطفال اليتامى ليطبخوهم في حساء. قضبانهم أكبر بثلاث مرات من الطبيعي، وفتحات نسائهم كهفية لتستوعبها.

لكن النيكانيين في "المدينة الجديدة" بدوا وكأنهم يعشقون جيرانهم الجدد. أومأوا، وابتسموا، وحيوا الجنود الهسبيريين وهم يمرون. باعوا طعامًا هسبيريًا من عربات متوقفة عند نواصي الشوارع — معجنات بنية تشبه الصخور، ودوائر صفراء صلبة تفوح منها روائح نفاذة، وأنواعًا من السمك رطبة ومسنه لدرجة فوجئت رين أنها لم تتعفن. هم — الطبقة العليا، على الأقل — بدأوا في تقليد اللباس الهسبيري. التجار، والبيروقراطيون، والضباط ساروا في الشوارع مرتدين سراويل ضيقة، وجوارب بيضاء سميكة مسحوبة لركبهم، ومعاطف غريبة تزرر فوق خصورهم لكن تتدلى في الخلف متجاوزة أردافهم مثل ذيول البط.

بدأوا حتى في تعلم الهسبيرية. بدت كهسبيرية ركيكة — لهجة مقصوصة ومهجنة مزجت اللغتين وجعلتهما، بشكل غريب، مفهومتين لبعضهما البعض. جمل أجنبية طعمت التبادلات بين التجار والزبائن، الجنود والمدنيين — يوم جيد. بكم هذا؟ أيهم؟ شكرًا لك.

لكن رغم كل ادعاءاتهم وجهودهم، لم يكونوا مساوين للهسبيريين. لم يمكنهم أن يكونوا، بحكم عرقهم. لاحظت رين هذا سريعًا بما يكفي — كان واضحًا من الطرق التي انحنى بها النيكانيون وتذللوا، يومئون بملق بينما يأمرهم الهسبيريون. لم تكن مفاجأة. كانت هذه فكرة الهسبيريين عن نظام اجتماعي طبيعي.

صعدت كلمات الأخت "بيترا" إلى عقلها. النيكانيون أمة تشبه القطيع بشكل خاص. تسمعون جيداً، لكن الفكر المستقل صعب عليكم. أدمغتكم، التي نعرف أنها مؤشر على قدرتكم العقلية، هي بطبيعتها أصغر.

همس جيانغ:

— "انظروا. بدأوا في إحضار نسائهم."

تبعت رين نظره ورأت امرأة طويلة، بلون القمح، تخطو خارجة من العربة التي بلا جياد، وخصرها مغلف في باقات ضخمة من القماش المكشكش. مدت

يدًا مرتدية قفازًا. ركض خادم نيكاني لمساعدتها على النزول، ثم انحنى لالتقاط حقائبها.

لم تستطع رين التوقف عن التحديق في تنانير المرأة، التي تقوست خارجة من خصرها في شكل غير طبيعي لفنجان شاي مقلوب.

— "هل هم..."

قال جيانغ، مستبقًا حيرتها:

— "إطار خشبي. لا تقلقي، لا تزال هناك سيقان تحتها. يظنون أنها موضة."

— "لماذا؟"

هز جيانغ كتفيه:

— "أمر يفوق فهمي."

قبل الآن، لم ترَ رين قط مدنيين هسبيريين عاديين — هسبيريين لم يكونوا جنودًا، ولا جزءًا من الطائفة الرمادية. هسبيريين لم يكن لديهم أي عمل رسمي مزعوم في "نيكان" سوى إبقاء أزواجهم بصحبة. الآن يتنزهون في شوارع "المدينة الجديدة" وكأنهم ينتمون للمكان.

ارتجفت لتفكيرها فيما يعنيه ذلك. إذا كان الهسبيريون يشحنون زوجاتهم، فهذا يعني أنهم ينوون البقاء.

لسعت وخزة حادة ومفاجئة قصبة ساقها اليسرى. سقطت على ركبتها وسحبت ساق بنطالها للأعلى، تأمل بحرارة أن يستمر الألم.

لبضع ثوان لم تشعر بشيء. ثم جاءت طعنة أخرى من الألم حادة لدرجة شعرت وكأن إبرة اخترقت لحمها بالكامل وخرجت من الجانب الآخر. أطلقت أنينًا هادئًا من الارتياح.

سألت داجي بحدة:

— "ما الخطب؟"

همست رين:

– "إنه كيتاي. إنه يكتب ردًا، انظري..."

هسهست داجي:

– "ليس هنا."

جذبت رين للأعلى من ذراعها وسحبتها عبر الشارع. استمر الألم يطعن ساق رين اليسرى، العذاب يشتد مع كل ثانية.

على الأرجح لم يكن لدى كيتاي إمكانية الوصول لنصل حاد ونظيف. ربما كان ينحت لحمه بمسمار، أو قطعة من خشب الخردة، أو الحافة المسننة لمزهرية محطمة. ربما كان يستخدم أظافره الخاصة لنحت الضربات الطويلة والمسننة التي جرت في التواءات حادة بطول قصبة ساقها، مخلفة ندوبًا لم تستطع الانتظار لرؤيتها.

لم يهم كم كان الألم سيئًا. شعرت بالرضا. كل طعنة كانت دليلًا على أن كيتاي هنا، وأنه سمعها، وأنه يكتب ردًا.

أخيرًا وصلوا إلى ناصية شارع فارغة. تركت داجي ذراع رين.

– "ماذا تقول؟"

شمرت رين ساق بنطالها للركبة. كان كيتاي قد كتب أربعة رموز، محفورة في خطوط بيضاء شاحبة على طول باطن ربلة ساقها.

قالت رين:

– "ثلاثة، ستة. شمال شرق."

خمن جيانغ:

– "إحداثيات. لا بد أن تكون كذلك. تقاطع الشارعين الثالث والسادس. هذا منطقي، هذه المدينة مرتبة كشبكة."

سألت داجي:

– "إذن أيهم الإحداثي الرأسي؟"

فكرت رين للحظة:

– "كيف تقرئين مواقع الويكي؟"

– "لعبة اللوحة؟" فكر جيانغ للحظة. "الرأسي أولًا، ثم الأفقي، نقطة الأصل في الجنوب الغربي. هل هو..."

قالت رين:

– "نعم. إنه يعشقها."

كان كيتاي مهووسًا بلعبة الاستراتيجية تلك. حاول دائمًا جعل الطلاب الآخرين يلعبون معه في سينغارد، لكن لم يقبل أحد قط. الخسارة أمام كيتاي كانت مزعجة للغاية؛ كان يستمر في إلقاء محاضرات عليك حول كل زلاتك الاستراتيجية وهو ينظف قطعك من اللوحة.

– "الشارع الثالث شمالًا. الشارع السادس شرقًا."

لم يستطع أي منهم تحديد موقعهم بالنسبة للشبكة، لذا توجب عليهم أولًا العثور على الركن الجنوبي الغربي للمدينة، ثم عد الكتل السكنية وهم يتحركون للشمال الشرقي. استغرقهم الأمر الجزء الأكبر من الساعة. طوال الوقت كان جيانغ يتذمر تحت أنفاسه: "اتجاهات غبية، ذلك الصبي؛ هناك أربعة جوانب لتقاطع طرق، يمكن أن يكون في أي منها، كان يجب أن يضيف وصفًا."

لكنهم لم يحتاجوا لواحد. حين انعطفت رين عند الزاوية نحو الشارع السادس، أصبح موقع كيتاي واضحًا.

هيمن مبنى ضخم على الكتلة السكنية أمامهم. على عكس المباني الأخرى، التي كانت سقالات هسبيرية مبنية فوق أساسات نيكانية، شُيد هذا بوضوح من الصفر. لمع الطوب الأحمر. امتدت نوافذ الزجاج الملون على طول كل جدار، تصور شارات مختلفة – لفائف، وموازين، وسلالم.

في المركز كان رمز عرفته رين جيدًا: دائرة معقدة منقوشة بنمط ساعة، تروس معقدة تتشابك في نمط متماثل. رمز الطائفة الرمادية. تصميم المهندس المثالي.

أطلق جيانغ صفيرًا:

– "حسنًا، هذا ليس سجنًا."

قالت رين:

– "الأمر أسوأ. هذه كنيسة."

الفصل الخامس عشر

قال جيانغ:

– "هذا سهل بما فيه الكفاية."

كانوا يقفون متكومين عند جدار متجر للشاي على الجهة المقابلة من الشارع، وعيونهم تراقب الباب المزدوج السميك للكنيسة.

– "سنقوم فقط بقتل أحد هؤلاء المبشرين وانتحال صفته. نسحبه إلى زاوية، ونجرده من رداء الكهنوت..."

قاطعت رين:

– "لا يمكنك فعل ذلك. أنت من نيكان. وجميع أفراد الطائفة الرمادية من هسبيريا."

فرك جيانغ ذقنه.

– "همم. نقطة وجيهة بشكل مدمر."

اقترحت داجي:

– "مدخل الخدم، إذًا؟ يكون لديهم دائمًا بعض النيكارا في متناول اليد لكنس الأرضيات، ويمكنني التفاوض معهم حتى تجدي كيتاي."

قال جيانغ:

– "مخاطرة كبيرة. لا نعرف عددهم، ونحتاج لشراء وقت أكثر من خمس دقائق للبحث."

– "إذًا سأسألهم عما أحتاج، ثم أغرز الإبر في أجسادهم."

مد جيانغ يده ليدس خصلة شعر خلف أذنها.

— "عزيزتي، ينتبه الناس إليكِ بدرجة أقل عندما لا تتركين وراءكِ دربًا من الجثث."

قلبت داجي عينيها.

الفتت رين نظرها مرة أخرى نحو الكنيسة. ثم ضربها الحل فجأة—كان واضحًا بشكل يعمي الأبصار، لدرجة أنها كادت تضحك.

قالت:

— "لسنا مضطرين لفعل أي من ذلك."

أشارت إلى طابور المدنيين من النيكارا الممتد أمام المبنى. وكأنهم تلقوا إشارة، انفتح البابان الثقيلان، وخرج أحد إخوة الطائفة الرمادية، باسطًا يديه ترحيبًا بالرعية.

— "يمكننا ببساطة الدخول سيرًا."

***

دسوا أنفسهم داخل الكنيسة ورؤوسهم مطأطأة، يسيرون بطاعة خلف بقية الحشد في رتل واحد. توترت رين حين مروا بالكاهن ذي الرداء الرمادي الواقف عند الأبواب، لكن كل ما فعله هو وضع يده على كتفها وتمتمة كلمات ترحيب خافتة وهو يستقبلها في الداخل، تمامًا كما فعل مع كل شخص في الطابور قبلها. لم ينظر حتى إلى وجهها.

كان الجزء الداخلي للكنيسة عبارة عن غرفة واسعة واحدة ذات عوارض عالية، مكتظة بمقاعد منخفضة مرتبة في صفوف مزدوجة أنيقة. ألقى ضوء الشمس المتدفق عبر النوافذ الزجاجية الملونة بقعًا ملونة جميلة بغرابة على الأرضية الخشبية الملساء. في المقدمة كانت هناك منصة مرتفعة حيث وقف نصف دزينة من الهسبيريين ذوي الأردية الرمادية في الانتظار، يراقبون بتجبر بينما يتخذ النيكارا مقاعدهم.

جالت رين ببصرها في الغرفة، تحاول العثور على أبواب قد تؤدي إلى غرف مخفية أو ممرات.

أومأ جيانغ برأسه نحو الطرف الآخر من القاعة:

– "هناك."

لمحت رين بابًا مطويًا خلف ستارة. وقف كاهن واحد أمامه؛ وتدلت حلقة من المفاتيح بوضوح من حزامه.

قالت داجي:

– "انتظرا هنا."

انفصلت عن الطابور وسارت بثقة عبر الغرفة. اتسعت عينا الكاهن في ارتباك وهي تقترب، لكنهما فقدتا التركيز بمجرد أن بدأت داجي في التحدث. بعد ثوانٍ، مرر الكاهن المفاتيح إلى يدي داجي، وفتح الباب، ثم انصرف في الاتجاه الآخر.

التفتت داجي من فوق كتفها ولوحت بنفاد صبر لرين لتلحق بها.

دست المفاتيح في راحة يد رين وقالت:

– "اذهبي. هذه تفتح أبواب الزنازين. يجب أن يكون الطريق خاليًا لمدة ساعة ونصف، وبعدها يمكنك الانضمام إلى الحشد وهم يغادرون."

– "لكن ألستِ..."

– "سنغطي خروجكِ من هنا." دفعت داجي رين نحو الباب. "كوني سريعة."

كان النيكاراوين قد أوشكوا على الانتهاء من ملء مقاعدهم؛ ولم يتبق واقفًا سوى حفنة من الناس. أسرعت داجي عائدة إلى جانب جيانغ، وجلسا معًا في الصف الخلفي تمامًا.

كادت رين تضحك من السخافة. لقد جاءت إلى "المدينة الجديدة" مع اثنين من أقوى الشامانات في تاريخ نيكارا، كائنات من الأساطير والخرافات، وها هم هنا يقدمون الولاء لإله زائف.

تردد صدى صرير عظيم عبر القاعة بينما أغلقت الأبواب المزدوجة، حابسة إياهم في الداخل. بقلب يخفق بشدة، انزلق رين عبر الباب وأسرعت نزولًا على الدرج.

***

خلف الباب، امتد درج لولبي أفضى إلى ممر مظلم. استدعت رين شعلة صغيرة في يدها وحملتها أمامها كالمشعل. كانوا محقين —لقد تم تحويل هذا القبو بالكامل إلى سجن. كانت الزنازين تصطف على جانبي الممر. وارت رين وجهها وهي تتقدم، مختلسة النظر يمنة ويسرة بحثًا عن كيتاي. لم تكن بحاجة لذلك العناء؛ فالسجناء كانوا بالكاد يقظين. كان معظمهم متكومين في زوايا زنازينهم، إما نائمين أو يحدقون في الفراغ. أصدر قلة منهم أنينًا خافتًا، لكن لم يبدِ أي منهم إشارة تدل على ملاحظته لوجودها.

يا للظرافة، فكرت رين. كان من المنطقي أن يبقي الهسبيريون خطاتهم ومؤمنيهم تحت سقف واحد. "الطائفة الرمادية" تعشق التناظر. "المهندس الإلهي" يحتشد ضد الفوضى. النور ضد الظلام. العباد في الأعلى، والخطاة في الأسفل؛ الجانب غير المرئي من السعي القاسي الذي لا يرحم للانتقال من البربرية إلى حضارة منظمة.

كانت زنزانة كيتاي في نهاية الرواق التالي. عرفت ذلك لحظة انعطافها. كل ما رأته بضوء شعلتها الخافت كان انحناءة كتفه وصورة رأسه الظلية، ملتفتًا بعيدًا عن القضبان. لكنها عرفت. اهتز جسدها كله بترقب لاهف، كمغناطيس ينجذب لنقيضه. عرفت.

انطلقت تركض.

كان نائمًا حين وصلت لزنزانته، متكورًا على سرير نقال وركبتاه مضمومتان إلى صدره. بدا ضئيلًا جدًا. وسرواله الأيسر غارق بالدماء.

عبثت رين بالمفاتيح بخرق، تجرب عدة مفاتيح قبل أن تجد ذلك الذي يلائم القفل. جذبت الباب بقوة. انفتح بصرير معدني عالٍ تردد صداه في الممر.

انتفض كيتاي وجفل جالسًا، وقبضتاه مرفوعتان كمن يستعد للقتال.

همست:

— "هذه أنا."

رمش بعينين ذابلتين، وكأنه غير متأكد مما إذا كان يحلم أم لا.

— "أوه، مرحبًا."

اندفعت نحوه.

اصطدما فوق سريره. نهض في منتصف الطريق لملاقاتها، لكنها طرحته أرضًا مرة أخرى، ولفّت ذراعيها بإحكام حول جسده النحيل. كان عليها أن تمسكه، أن تشعر بوزنه، أن تعرف أنه حقيقي وصلب وموجود هناك. الفراغ في صدرها، ذلك الشعور المؤلم بالغياب الذي لازمها منذ تيكاني، ذاب أخيرًا.

شعرت أنها عادت لنفسها مرة أخرى. شعرت بالاكتمال.

تمتم في كتفها:

— "استغرقتِ وقتًا طويلًا."

— "هل استطعت معرفة أنني قادمة؟"

تراجع للخلف، مبتسمًا.

— "شعرت بكِ أمس. استيقظت، وشعرت وكأنني غُمرت بماء بارد. لم أكن أسعد من ذلك قط."

بدا أفضل مما كانت تخشى. كان نحيفًا، بالطبع، لكنه كان نحيفًا بشكل مؤلم منذ (رويجين)، وعظام وجنتيه لم تبرز أكثر مما كانت عليه بالفعل. كانت ذراعاه وساقاه طليقة باستثناء قيد حديدي حول كاحله الأيسر، متصل بسلسلة ذات ارتخاء كافٍ لمنحه حرية الحركة حول الزنزانة. لم يبدُ عليه أنه تعرض للتعذيب. لم تكنْ هناك جروح أو كدمات أو آثار ضرب على جلده الشاحب. جروحه الوحيدة كانت تلك التي فتحها هو بنفسه في ساقه.

كانت سبابته متيبسة بدمٍ جاف. لقد فعلها بظفره.

مدت يدها لساقه.

– "هل أنت..."

– "الأمر بخير. توقف النزيف، سأنظفه لاحقًا."

وقف كيتاي.

– "مع من جئتِ؟"

– "ثلثي التريفيكتا."

لم يفوت لحظة.

– "أي اثنين؟"

– "الأفعى وحارس البوابة."

– "بالطبع. ومتى سنقابل إمبراطور التنين؟"

– "سنناقش ذلك لاحقًا."

خشخشت بالمفاتيح أمامه.

– "لنخرجك من هنا أولًا. أقفال؟"

هز كاحله أمامها، وبدا عليه الإعجاب.

– "كيف حصلتِ على..."

– "إن داجي مقنعة."

قربت شعلة من القفل وبدأت تقلب المفاتيح للعثور على واحد يبدو مطابقًا.

– "إذن لا مزيد من تهشيم العظام."

نخر ساخرًا.

– "الشكر للآلهة."

ما إن عثرت على مفتاح فضي بدا بالحجم المناسب، حتى سمعت الصرير الذي لا تخطئه الأذن لباب ينزلق مفتوحًا، تلاه وقع خطوات خافت يتردد عبر

الممر. تجمدت. كانت داجي قد وعدتها بأكثر من ساعة؛ كانت تخطط للاختباء في الطابق السفلي حتى ينتهي أي طقس كان يجري في القاعة الرئيسية. هل ساءت الأمور في الأعلى؟

همس كيتاي:

— "اختبئي."

— "أين؟"

أشار إلى سريره. لم ترَ رين كيف يمكن لذلك أن ينجح —كان هيكلًا واهيًا وضيقًا، بالكاد يبلغ عرضه قدمين، بأرجل خشبية متقاطعة لا تكفي لإخفاء أرنب.

— "ادخلي تحت هذا."

جذب كيتاي غطاءه. كانت الملاءة القطنية رقيقة لكنها معتمة تمامًا؛ تتدلى من حافة السرير بطول يكفي للمس الأرض.

زحفت رين تحت السرير وانكمشت على نفسها، تجاهد لجعل تنفسها غير مسموع. سمعت القفل ينقر عائدًا لمكانه بينما دفع كيتاي باب الزنزانة ليغلقه.

أخرجت رأسها من بين الأغطية، مرتبكة.

— "انتظر، لمَ لا نقوم فقط بـ..."

همس:

— "ششش. قلت اختبئي."

ارتفعت أصوات الخطوات في الممر، ثم توقفت خارج الزنزانة تمامًا.

— "مرحبًا، كيتاي."

غرزت رين أظافرها في راحة يدها، تطبق على أسنانها بجنون في محاولة للبقاء صامتة. كانت تعرف شخصًا واحدًا فقط يمكنه التحدث بذلك المزيج الدقيق من الثقة، والتعالي، والزمالة الزائفة.

— "مساء الخير."

كانت نبرة كيتاي كلها خفة ولا مبالاة مرحة.

— "توقيت جيد. لقد أخذت قيلولتي للتو."

انفتح الباب بصرير. بالكاد تجرأت رين على التنفس.

إذا تحرك نحو السرير، ستقتله. كانت تملك ميزتين —عنصر المفاجأة والنار. لن تتردد هذه المرة. أولًا سيل من اللهب على وجهه ليفزعه ويعميه، ثم أربعة أصابع بيضاء من شدة الحرارة تنغرس كمخلب حول عنقه. ستمزق شريانه قبل أن يدرك حتى ما يحدث.

كان نزهة يقف فوقها تمامًا.

— "كيف حالك؟ هل الإقامة لا تزال ملائمة؟"

قال كيتاي:

— "أرغب في بعض الكتب الجديدة. ومصابيح القراءة الخاصة بي ينفد زيتها."

— "سأهتم بذلك."

— "شكرًا لك." قال كيتاي بجمود. "وكيف هي حياة فأر التجارب؟"

— "لا تكن وغدًا يا كيتاي."

مط كيتاي كلماته:

— "اعتذاري. لقد كنت سريعًا جدًا في إرسال رين إلى المصير ذاته، لدرجة أنني دائمًا ما أذهل من المفارقة."

— "اسمع أيها الأحمق..."

سأل كيتاي:

— "لماذا تسمح لهم بفعل ذلك؟ أنا فضولي فقط. بالتأكيد أنت لا تستمتع بالأذى."

قال نزهة بهدوء:

— "إنه لا يؤلم. إنه الوقت الوحيد الذي لا أشعر فيه بالألم."

ساد صمت، امتد إلى صمت أطول وأكثر حرجًا.

سأل كيتاي أخيرًا:

– "أفترض أن المجلس لا يزال يسبب لك المتاعب؟"

سمعت صوت حفيف. كان نزهة يجلس.

– "إنهم مجانين. كلهم."

ضحك كيتاي بخفوت.

– "على الأقل نحن نتفق على شيء ما."

ذهلت رين من سرعة استقرارهم في دردشة ودية. لا –ودية لم تكن الكلمة الصحيحة تمامًا؛ بدوا بعيدين كل البعد عن الصداقة. لكنهم أيضًا لم يبدوا كسجين ومحقق معه. بدوا كطالبين في السنة الثانية في "سينغارد" يشتكيان من واجبات (جيما) المنزلية. كانوا معارف قدامى يأخذون مقاعدهم على رقعة (الويكي)، يستأنفون لعبة من حيث توقفوها.

لكن هل كان هذا مفاجئًا حقًا؟ الحنين نهش صدر رين لمجرد سماع صوت نزهة. أرادت استعادة تلك الألفة معه أيضًا. لا يهم أنه قبل ثلاثين ثانية كانت مستعدة لقتله. صوته، مجرد وجوده، جعل قلبها يؤلمها –تمنت بيأس لو أمكنهم أن يعلقوا في مأزق، لو أمكن تعليق الحروب المحيطة بهم لدقيقة واحدة فقط، حتى يتمكنوا من التحدث كأصدقاء مرة أخرى. مرة واحدة فقط.

قال نزهة:

– "حلفاؤنا الشماليون لن يرسلوا المزيد من القوات إلى أراباك حتى يحصلوا على الإغاثة. يظنون أنني أسبح في الفضة، وأنني أمنعها عنهم وحسب – لكن اللعنة يا كيتاي، هم لا يفهمون. الخزائن فارغة".

سأل كيتاي:

– "وأين ذهب المال؟"

قالها بخفة، لكنه قصد بوضوح أن يضرب على وتر حساس.

تحولت نبرة نزهة إلى الحدة:

– "إياك أن تجرؤ على اتهام..."

– "أنت تحصل على مساعدات كثيرة جدًا من (الهسبيريين) ليكون جيشك مجهزًا بشكل سيء هكذا. شخص ما يستنزفك حتى آخر قطرة. هيا يا نزهة، لقد ناقشنا هذا بالفعل. رتب بيتك من الداخل".

– "أنت تكيل اتهامات لا أساس لها..."

قال كيتاي:

– "أنا أخبرك فقط بما هو ماثل أمامك مباشرة. أنت تعلم أنني محق. لم تكن لتستمر في المجيء إلى هنا لو لم تظن أنني قد أكون مفيدًا".

– "قل شيئًا مفيدًا إذن".

بدا صوت نزهة أنفيًا، ونكدًا، وتافهًا جدًا حينها، يشبه كثيرًا كيف كان صوته في عامهم الأول في سينغارد، لدرجة أن رين كادت تضحك.

قال كيتاي:

– "كنت أخبرك بأشياء واضحة جدًا لدرجة أن طفلًا يمكنه رؤيتها. جنرالاتك يختلسون الأموال المخصصة للإغاثة – ربما يكدسونها في قصورهم الصيفية، لذا هذا هو المكان الأول الذي سترغب في التحقق منه. هذه هي مشكلة كل تلك الفضة الهسبيرية. قاعدتك بأكملها أصبحت فاسدة. قد تبدأ بتقليل الرشاوى".

قال نزهة محبطًا:

– "لكن عليك رشوتهم لإبقائهم في صفك. وإلا فلن يقدموا جبهة موحدة، وإذا لم تكن لدينا جبهة موحدة فإن الهسبيريين سيدوسوننا وكأن حكومتنا غير موجودة أصلاً".

قال كيتاي:

– "مسكين يا نزهة. لقد قيدوا يديك خلف ظهرك، أليس كذلك؟"

— "هذا كله غبي جداً. أحتاج لقيادة جيش موحدة. أحتاج للحرية لوضع أولوية مطلقة للجبهة الجنوبية، وأريد تحويل القوات من الشمال للتعامل مع رين دون تقديم كل هذه التنازلات. أنا فقط لا أعرف لماذا..."

— "أنا أعرف لماذا. أنت لست (المارشال الأعظم)، أنت (المارشال الشاب). هذا هو لقبك، أليس كذلك؟ الجنرالات والهسبيريون يظنون أنك مجرد أمير صغير مدلل وغبي لا يعرف ما يفعله. يظنون أنك مثل جينزا تمامًا. ولن يضعوك مسؤولًا عن مناطيدهم حتى لو زحفت على ركبتيك وتوسلت".

لم تعرف رين ما الذي فاجأها أكثر — صراحة كيتاي، أم أن نزهة لم يعاقبه بعد عليها، أم أن أي شيء يقوله كيتاي قد يكون صحيحًا.

لم يكن أي من هذا منطقيًا. افترضت أن نزهة يتقلب في النعيم والسلطة. أنه يمتلك أسطول المناطيد بأكمله تحت تصرفه. بدا مهيمنًا جداً عندما نزل على تيكاني، ظنت أن الجمهورية بأكملها تدعمه.

لكن هذا كان أول مؤشر لها على أن نزهة لم يكن متماسكًا كما ظنت. هنا، وحيداً في القبو مع زميله القديم وسجينه، وربما الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يكون صادقًا معه، بدا نزهة خائفًا وحسب.

خمن كيتاي:

— "أظن أن الأمور لم تتحسن مع تاركيت أيضًا".

زمجر نزهة:

— "إنه وغد متعالٍ. هل تعرف ما الذي ألقى باللوم عليه في الحملة الأخيرة؟ افتقارنا للروح القتالية. قال إن النيكاريين بطبيعتهم لا يملكون روحًا قتالية".

— "ادعاء جريء للغاية بالنظر لتاريخنا، كما أظن".

لم يضحك نزهة.

— "لا يوجد خطأ في قواتنا. إنهم مدربون بشكل لا يصدق، وهم ممتازون في الميدان، لكن المشكلة هي إعادة الهيكلة ودمج القوات..."

– "ماذا الآن؟"

– "فكرة أخرى من أفكار تاركيت". بصق نزهة الاسم وكأنه سم. "يريدون فرق هجوم جوي وأرضي منسقة".

قال كيتاي:

– "مثير للاهتمام. كنت لأظن أنهم مغرورون جدًا لفعل ذلك".

– "إنه ليس دمجًا حقيقيًا. يعني أنهم يريدون منا أن نجرّ عربات الفحم الخاصة بهم أينما قرروا الذهاب. يعني أننا مجرد بغال لعينة لهم..."

– "هناك أدوار أسوأ لتلعبها على جبهة القتال".

– "ليس إذا أردنا كسب احترامهم يومًا ما".

قال كيتاي بخفة:

– "أظن أننا كلانا نعلم أن فرصك في كسب احترام الهسبيريين أبحرت وولت منذ زمن طويل. إذن من الذي ستلقي القنابل عليه تاليًا؟ هل استسلم إقليم الخنزير؟"

تسللت نبرة سخط لصوت نزهة:

– "إذا وافقت على المساعدة في التخطيط، يمكنني إخبارك".

تنهد كيتاي:

– "للأسف، لست يائسًا لمغادرة هذه الزنزانة لتلك الدرجة".

– "لا، يبدو أنك تحب الأسر".

– "أحب معرفة أن الكلمات التي تخرج من فمي لن تسبب موت أشخاص أصبحت مولعًا بهم. إنه هذا الشيء المسمى بالأخلاق. قد ترغب في تجربته يومًا ما".

قال نزهة:

– "لا أحد يجب أن يموت. لم يكن يجب على أحد أن يموت أبدًا. لكن رين خدعت أولئك الحمقى للمراهنة بكل شيء على نتيجة الكل أو اللاشيء".

جفلت رين عند سماع اسمها من فمه هذه المرة. قالها بعنف شديد.

قال كيتاي بحذر:

– "رين لا تقف خلف هذا. رين ميتة".

– "هراء. البلاد كلها كانت ستتحدث لو رحلت".

– "أوه، تظن أن مناطيدك الجميلة أخطأتها؟"

أصر نزهة:

– "لا يمكن أن تكون ميتة. إنها مختبئة فقط، لا بد أن تكون كذلك. لم يجدوا جثة أبدًا، والجنوب لم يكن ليقاتل بهذه الشراسة لو عرفوا أنها رحلت. إنها الشيء الوحيد الذي يلتفون حوله. بدونها لا أمل لهم. كانوا ليستسلموا".

سمعت رين حفيف ملابس. ربما كان كيتاي يهز كتفيه.

– "أفترض أنك تعرف أفضل مني".

ساد صمت آخر الزنزانة. استلقت رين ساكنة تمامًا، ودقات قلبها تقرع بصوت عالٍ لدرجة أنها ذُهلت لعدم اكتشافها.

قال نزهة أخيرًا:

– "لم أرد هذه الحرب".

بدا صوته هشًا بشكل غريب – دفاعيًا حتى. لم تعرف رين كيف تفسر ذلك.

– "لم أرد ذلك أبدًا. لماذا لم تستطع فهم ذلك؟"

– "حسنًا، لقد وضعت نصلًا في ظهرها".

– "لم أرد للأمور أن تكون هكذا".

– "أوه يا آلهة، دعنا لا نخوض في هذا الطريق مجددًا".

– "كنا لندعها تأخذ الجنوب لو جاءت فقط للطاولة. الآلهة تعلم أننا ممتنون لأنها خلصتنا من الموغينيين. وهي جندية جيدة. الأفضل على الإطلاق. كنا لنقبل عودتها لجانبنا بسعادة؛ كنا لنجعلها جنرالاً في طرفة عين..."

قال كيتاي:

— "يبدو أنك خلطت بيني وبين شخص أبله".

— "إنها مأساة أننا في جانبين مختلفين يا كيتاي. أنت تعلم ذلك. كنا لنكون جيدين جداً متحدين، ثلاثتنا".

— "كنا متحدين. وكنا جيدين. والدك كانت لديه خطط أخرى".

أصر نزهة:

— "يمكننا التعافي من هذا. نعم، لقد أفسدنا الأمر — أنا أفسدت الأمر، أعترف بذلك — لكن فكر فيما يمكن للجمهورية تحقيقه، لو قاتلنا حقًا لإنجاحها. أنت أذكى من أن تتجاهل إمكانياتها..."

— "ما زلت تتحدث عن هذا الهراء؟ أرجوك لا تتعالَ عليّ يا نزهة".

توسل نزهة:

— "ساعدني. معًا يمكننا إنهاء هذا الأمر برمته في أسابيع، بغض النظر عما إذا كانت رين حية أم ميتة. أنت أذكى شخص قابلته في حياتي. لو كان لديك وصول لمواردنا..."

— "أترى، من الصعب أن آخذك على محمل الجد عندما تفعل أشياء مثل إلقاء القنابل على أطفال أبرياء".

— "ذلك الكمين كان خطأ..."

صرخ كيتاي:

— "النوم وتفويت التمام الصباحي خطأ. إهمال توصيل وجباتي في الوقت المحدد خطأ. ما فعلته كان قتلاً بدم بارد. ورين وأنا نعلم أننا إذا انضممنا إليك، فسيحدث ذلك مجددًا، لأننا والجنوب قابلون للتخلص منا تمامًا بالنسبة لك. أنت ووالدك تظنان أننا أدوات للمقايضة أو الرمي حسب راحتكما، وهو بالضبط ما فعلتموه".

— "لم يكن لدي خيار..."

– "كان لديك ألف خيار. أنت رسمت الخطوط في أرلونغ. أنت بدأت هذه الحرب، وليس خطئي إذا لم تكن تملك الجرأة لإنهائها. لذا أخبر فايسرا أنه قد يقطع رأسي أيضًا، لأنه حينها يمكنه استخدامه للزينة على الأقل".

لم يقل نزهة شيئًا. سمعت رين حفيف القماش وهو يقف. كان يغادر؛ بدت خطواته قاسية وغاضبة ضد الحجر. تمنت لو تستطيع رؤية وجهه. أملت أن يعطي أي رد، أي نوع من رد الفعل، فقط لتعرف ما إذا كان كيتاي قد هزّه أم لا. لكنها سمعت فقط الصرير وهو يدفع الباب ليغلقه خلفه، ثم طقطقة القفل.

***

سحب كيتاي البطانية عن السرير وساعد رين على النهوض:

– "آسف لم يكن لدي وقت لتحذيرك. ظننت فقط أنه يجب عليكِ السماع".

مررت له المفاتيح:

– "منذ متى وهو على هذا الحال؟"

– "كل يوم منذ وصلت هنا. كان سلوكه جيدًا جدًا اليوم في الواقع؛ لم تريه في أسوأ حالاته. حاول مليون شيء مختلف لكسري". انحنى كيتاي لفك أغلاله. "لكن كان يجدر به تذكر أنه لم يعرف أبدًا كيفية فعل ذلك. ليس في سينغارد، وبالتأكيد ليس الآن".

شعرت رين بفيض مؤلم من الفخر. تنسى أحيانًا كم يمكن لـ كيتاي أن يكون صامدًا. لم يكن أحد ليشتبه في ذلك بالنظر إليه – النموذج الأصلي للباحث النحيل والقلق – لكنه تحمل المشقة بجلد حديدي. سينغارد لم تكسره. وحتى جولين نيس لم تدمره. نزهة لم يكن ليكسره أبدًا.

لا، همس الصوت الصغير في رأسها الذي يشبه صوت ألتان كثيرًا. الشخص الوحيد القادر على كسره هو أنتِ.

قال كيتاي فجأة:

— "خلفك".

التفتت رين، متوقعة جنديًا. لكنه كان مجرد أحد أفراد "الطائفة الرمادية" — شاب في ثوب كنسي، يحمل صينية طعام.

فغر فاه عندما رآها. انتقلت عيناه، بارتباك، بينها وبين كيتاي، وكأنه يحاول تحديد العدد المناسب للأشخاص في زنزانة واحدة.

— "أنتِ..."

لوى كيتاي المفتاح وجذب باب الزنزانة مفتوحًا.

بعد فوات الأوان، استدار المبشر للهرب. غرست رين كعبيها في الأرض وطاردته. كانت ساقاه أطول بكثير من ساقيها، وربما كان ليهرب، لكنه تعثر في ثوبه الكنسي بمجرد وصوله للزاوية. ترنح — لجزء من الثانية فقط، لكن ذلك كان كافيًا. أمسكت رين بذراعه، وسحبته لتفقده توازنه أكثر، وركلت خلف ركبتيه. سقط. استدعت النار إلى كفها. عادت بسرعة، وبشكل طبيعي جداً، كقفاز مهترئ ينزلق فوق أصابع منتظرة.

غرزت يدها ذات المخالب في حنجرته. استسلم اللحم الطري لأظافرها المحترقة مثل التوفو الذي ينشق تحت الفولاذ. سهل. انتهى الأمر في ثوانٍ. مات دون حتى أن يئن؛ اختارت حنجرته لأنها لم ترد له أن يصرخ.

اعتدلت، وزفرت، ومسحت يدها في الجدار. ضخامة ما فعلته لتوها لم تضربها بعد؛ حدث الأمر بسرعة كبيرة، لم يبدُ حقيقيًا حتى. لم تقرر قتل المبشر؛ لم تفكر في الأمر حتى. احتاجت ببساطة لحماية كيتاي. الباقي كان غريزة.

شعرت برغبة مفاجئة وغريبة في الضحك.

أمالت رأسها، تراقب الخطوط القرمزية تلمع رطبة وساطعة على الرخام. لسبب ما، منحها ذلك اندفاعًا دوارًا من البهجة، نفس النشوة المربكة التي شعرت بها عندما سممت ما ليين.

لم يكن الأمر يتعلق بالعنف.

كان يتعلق بالقوة.

لم يكن الأمر بجودة قتل نزهة، لكنه بدا قريبًا. للحظة جامحة وغير مقيدة، فكرت في سحب إصبعها الدامي على طول الجدار ورسم زهرة له.

لا. لا. هذا انغماس زائد. لم يكن لديها وقت. مرت موجة الدوار. عادت لرشدها؛ كانت مسيطرة.

ركزي.

نادت عبر الممر:

– "تعال هنا. ساعدني في جره لزنزانتك. سنضعه على السرير، نغطيه ببطانية – سيشتري لنا بعض الوقت".

تجول كيتاي خطوتين خارج زنزانته، وانثنى، وتقيأ.

***

تم هروبهم من الكنيسة بسهولة مذهلة. انتظر رين وكيتاي عند باب الزنازين، يسترقان السمع عبر الخشب لعظة هسبيرية مستمرة، حتى سمعا المدنيين النيكاريين ينهضون من مقاعدهم. ثم فتحا الباب شقًا وانزلقا للخارج لينضما لزحام الأجساد المتحركة، غير مرئيين في الحشد. انضم إليهما جيانغ وداجي بينما تدفقوا خارج الأبواب، لكن لم يتحدث أي منهم حتى مشوا لعدة دقائق وصولًا للطرف الآخر من الشارع.

قال جيانغ لـ كيتاي بمجرد أن انعطفوا عند الزاوية:

– "لقد ازددت طولًا. من الجيد رؤيتك مجددًا".

حدق فيه كيتاي للحظة، وكأنه غير متأكد من كيفية الرد:

– "إذن أنت (حارس البوابة)".

– "هذا أنا".

– "وكنت تختبئ في سينغارد طوال هذا الوقت".

قال جيانغ:

– "فقدت عقلي لفترة. بدأت في استعادته الآن فقط".

قال كيتاي بضعف:

– "هذا منطقي".

فكرت رين، مع أخذ كل شيء في الاعتبار، أنه يتقبل الأمر بشكل جيد نوعًا ما.

قالت داجي:

– "الأسئلة لاحقًا". ورمت لـ كيتاي سترة بنية، كانت أقل لفتًا للانتباه بكثير من الأسمال الممزقة التي كان يرتديها منذ تيكاني. "ارتدِ هذا ولنذهب".

غادروا (المدينة الجديدة) في عربة غسيل يجرها حصان. سائقها الأصلي كان يحمل تصريح بوابة لأخذ بياضات المستوصف للنهر لغسلها؛ سحرته داجي ليتخلى عن العربة والتصريح معًا. بينما قادت داجي العربة بثقة عبر الشوارع، اختبأ رين، وكيتاي، وجيانغ تحت أكوام من البياضات مكدسة بارتفاع جعل التنفس صعبًا. تململت رين، تشعر بالحر والحكة، تحاول ألا تفكر في البقع البنية المحيطة بها. شعرت بالعربة تتوقف مرة واحدة فقط. سمعت داجي تجيب على أسئلة أحد الحراس بلغة هسبيرية ركيكة ومقنعة للغاية، ثم مروا عبر البوابات.

واصلت داجي القيادة. لم تدعهم يخرجون من أكوام البياضات إلا بعد أكثر من ساعة، عندما أصبحت (المدينة الجديدة) مجرد خط صغير خلفهم، وعندما تلاشى صوت المناطيد وأصبح الضجيج الوحيد حولهم هو طنين الزيز المستمر.

شعرت رين بالارتياح عندما تلاشت (المدينة الجديدة) عن ناظريها. لو كان الأمر بيدها، لما وطأت قدماها ذلك المكان مرة أخرى أبدًا.

في تلك الليلة، وعلى وجبة من جذر "شانيو" المجفف ورغيف مسروق من الخبز الهسبيري السميك والمطاطي، استجوب داجي وجيانغ كيتاي عن كل شذرة معلومة التقطها حول الجمهورية. لم يكن لديه تفاصيل مؤكدة عن أماكن القوات أو خطط الحملة — نزهة لم يعطه إلا معلومات كافية لطلب نصيحته دون خلق ثغرة أمنية — لكن القليل الذي عرفه كان مفيدًا بشكل هائل.

قال كيتاي:

— "إنهم في مرحلة النهاية الآن، لكن الأمر يستغرق وقتًا أطول مما يلزم. انقلب فايسرا على (التحالف الجنوبي) في اللحظة التي فشلوا فيها في تسليم جثتكِ، كما كنتِ لتتوقعي. لكن (حاكم القرد) — حسنًا، في الواقع هو عمل سوجي على الأرجح — حشد دفاعًا قويًا بشكل مفاجئ. تعلموا بسرعة كبيرة إنشاء ملاجئ قنابل جيدة. بمجرد أن أدرك فايسرا أن السفن الهوائية لا تنجز المهمة، أرسل قوات برية. تراجع الجنوبيون لزاوية إقليم الخنزير في الوقت الحالي. تحصنوا تحت الجبال وفرضوا حالة جمود لأسابيع، ولهذا السبب يتمركز الجميع في أراباك".

صححت رين:

— "(المدينة الجديدة)".

هز رأسه:

— "لا تزال أراباك. لا أحد هنا يسميها (المدينة الجديدة) إلا الهسبيريون، أو النيكاريون في حضرة الهسبيريين".

سألت داجي:

— "إذن التأخير مجرد نتيجة للتضاريس؟ ماذا عن (المارشال الشاب)؟ الكلام في الشارع يقول إنه ينهار".

رمقتها رين بنظرة مندهشة:

— "أين سمعتِ ذلك؟"

— "امرأتان عجوزان كانتا تثرثران في المقعد خلفنا". قالت داجي. "قالتا لو كان يين جينزا هو المسؤول لكان كل المتمردين الجنوبيين قد أُبيدوا منذ أشهر".
عبس جيانغ، ناكشًا أذنه بإصبعه الصغير:
— "جينزا؟ شقي يين الأكبر؟"
— "نعم".
— "أظن أنني درسته في سينغارد. وغد مطلق. ماذا حدث له؟"
قالت داجي:
— "أصبح جريئًا. حولته للحم مفروم وأرسلته لـ فايسرا في سلة فطائر".
قوس جيانغ حاجبًا:
— "عزيزتي، فعلتِ ماذا بحق الجحيم؟"
عاد كيتاي بسرعة للموضوع:
— "نزهة منهك. ليس خطأه بالكامل. مستشاروه الهسبيريون يواصلون تقديم مطالب مجنونة لا يستطيع تلبيتها، والحكومة الجمهورية تسحبه في عشرين اتجاهًا مختلفًا لدرجة أنه لا يعرف حتى في أي اتجاه يتحطم".
قالت رين:
— "لا أفهم. قد تظن أنه سيبلي بلاءً أفضل بميزاته".
— "الأمر ليس بهذه البساطة. هذه تظل حربًا على جبهات متعددة. الجمهورية غزت الشمال تقريبًا — جون مات، بالمناسبة؛ سلخوه حيًا على منصة قبل بضعة أسابيع — لكن لا تزال هناك بضعة أقاليم صامدة".
انتعشت رين:
— "حقًا؟" كان ذلك أول خبر جيد تسمعه منذ فترة طويلة. "أي أقاليم مسلحة؟"
قال كيتاي:

— "إقليم الثور يبدي أفضل مقاومة حاليًا، لكنهم سيموتون جميعًا في غضون أسابيع. ليس لديهم تنظيم. منقسمون لثلاثة فصائل لا تتواصل فيما بينها — وهو ما كان ميزتهم لفترة، في الواقع، لأن نزهة لم يعرف أبدًا ما ستفعله الكتائب الفردية تاليًا. لكن تلك ليست استراتيجية دفاع مستدامة. يحتاج نزهة فقط للتعامل معهم واحدًا تلو الآخر".

"ثم هناك إقليم الكلب، الذي كان دائمًا هامشيًا جدًا للإمبراطورية لدرجة لم يفكر أحد في الاهتمام به كثيرًا. لكن ذلك جعلهم يقدرون استقلالهم الذاتي. وهم أقل احتمالًا للخضوع لـ فايسرا الآن بعد أن أراد الهسبيريون الدخول وتحويل المنطقة بأكملها لمناجم فحم".

سألت داجي:

— "كم عدد الرجال لديهم؟"

تنهد كيتاي:

— "لم يحتاجوا لرجال بعد. لم ترسل الجمهورية حتى مندوبًا للتفاوض. في الوقت الحالي، هم ليسوا على خريطة نزهة. لكن بمجرد أن يصبحوا كذلك، سينتهون. سكانهم قليلون جدًا؛ لن يكون لديهم ما يكفي من القوات للنجاة من الموجة الأولى للهجمات".

هتفت رين:

— "إذن يجب أن ننضم إليهم! هذا مثالي — نكسر الحصار عن قواتنا، ونرسل رسولًا للمقدمة ثم نلتقي بـ (حاكم الكلب)..."

قالت داجي:

— "الضيف السيئ هو من يظهر دون إعلان".

ردت رين:

— "ليس إذا كان ضيف ثالث يحمل سكينًا على حنجرة المضيف".

قال جيانغ:

— "لقد ضعت في هذا التشبيه".

قال كيتاي:

— "إنها ليست أسوأ فكرة. كان نزهة مقتنعًا بأن سوجي وغوروباي نويا الإرسال لـ إقليم الكلب طلبًا للمساعدة. لذا هو الخيار المتوقع، لكنه أيضًا خيارنا الوحيد المتبقي. نحتاج لحلفاء حيثما أمكننا الحصول عليهم. منقسمين، نحن جيف".

عبست رين في وجهه. كان هناك شيء غريب في نبرة كيتاي، رغم أنها لم تستطع تحديد ماهيته بالضبط. لم يبدُ حادًا ومنخرطًا كما يفعل عادة في مجالس الاستراتيجية. بدلًا من ذلك، خرجت الكلمات بنبرة رتيبة ومسطحة، وكأنه يسمع إجابة امتحان محفوظة بفتور.

ما الذي حدث له في أراباك؟ لم يتعرض لتعذيب جسدي، لكنه كان وحيداً مع نزهة لأسابيع. هل انقلب ضدها؟ هل يتظاهر فقط بأنه حليفهم الآن؟ جعلها الاحتمال ترتعد.

لكن كيتاي لا يستطيع إخفاء كذبة كهذه. أرواحهما مرتبطة. كانت لتشعر بذلك. على الأقل، أملت أن تشعر بذلك.

لماذا، إذن، كان يتحدث كرجل خسر بالفعل؟

التفت جيانغ لـ داجي:

— "إقليم الكلب، إذن. مثير للاهتمام. ما رأيكِ؟ الطريق لعاصمتهم يأخذنا بالقرب من سلسلة تيانشان، وسيكون من اللطيف الحصول على غطاء أرضي لجزء منه على الأقل".

هزت داجي كتفيها:

— "حسنًا. لكني لا أرى لماذا نحتاج لـ (التحالف الجنوبي) لذلك".

— "إنهم آلاف من الأجساد الدافئة".

— "آلاف علينا جرهم معنا عبر الجبال. وما هو أكثر، لقد باعوها". نترت داجي ذقنا تجاه رين. "يستحقون أن يُتركوا خلفنا".

– "هذا خطأ القيادة. الجماهير قابلة للتشكيل، أنتِ تعرفين ذلك".

– "سيكون الأمر فوضويًا".

– "لقد هربت لتوّي من الجبل الحجري. دعيني أتمطى قليلًا يا عزيزتي. أحصل على بعض التمرين. إنه جيد للعقل".

تنهدت داجي:

– "لك ما أردت. إلى إقليم الكلب إذن".

نظر كيتاي بينهما:

– "أنا آسف. هل فاتني شيء؟"

شاركته رين ارتباكه. التبادل بين داجي وجيانغ مر بسرعة كبيرة لدرجة أنها بالكاد تابعت ما يحدث. الاثنان غالبًا ما تحدثا باختزال مُطعَّم بتلميحات لماضيهما المشترك، شيفرة جعلت رين تشعر باستمرار كدخيلة في رحلتهم لـ أراباك. كان تذكيرًا منتظمًا بأنه مهما بلغت القوة التي تملكها، فإن "التريفيكتا" لديهم عقود من التاريخ خلفهم لا تعرفها إلا كقصص. رأوا أكثر بكثير. وفعلوا أكثر بكثير.

قالت داجي:

– "لقد تقرر الأمر. سنذهب لإحضار جيشكِ ونأخذهم شمالًا. متفقون؟"

بدا كيتاي متحيرًا:

– "لكن... ماذا عن الحصار؟"

مد جيانغ ذراعيه فوق رأسه، متثائبًا:

– "أوه، سنكسر الحصار ونخرجهم".

رمش كيتاي فيه:

– "لكن كيف ستفعل ذلك؟"

قهقهت داجي. منحه جيانغ نظرة مستمتعة، وكأنه متفاجئ من أن كيتاي سأل حتى.

قال ببساطة، وكأن تلك الحقيقة كانت إجابة كافية:

– "أنا (حارس البوابة)".

***

كان الليل دافئًا بشكل مريح، لذا أخمدوا نار المخيم بعد الأكل وناموا على العربة في نوبات. تطوع كيتاي لأخذ نوبة الحراسة الأولى. لم ترتح رين منذ الشروق – كانت عظامها مجهدة، وصدغاها لا يزالان ينبضان من الصدمة الحسية لـ (المدينة الجديدة) – لكنها أجلت النوم لعدة دقائق لتتمكن من الجلوس بجانبه. أرادت هذه الدقائق القليلة معه وحدها.

قالت:

– "أنا سعيدة لأنك هنا". كلمات ضحلة وشعور ضحل لم يقترب حتى من التعبير عما شعرت به.

لكن كيتاي أومأ فقط. لقد فهم.

شعرت بشرارة دفء من كل نقطة تلامس بينهما – يدها مستقرة على يده، وذراعه ملفوفة حول خصرها، ورأسها مستند بين ذقنه وكتفه. تاقت لشعور جلده ضد جلدها. كل لمسة كانت طمأنة بأنه حقيقي، وأنه حي، وأنه هنا.

تحركت ضده:

– "بمَ تفكر؟"

– "لا شيء". لا يزال يتحدث بتلك النبرة المسطحة والباهتة. "أنا متعب فقط".

– "لا تكذب عليّ". أرادت كل شيء مطروحًا في العلن. لم تستطع تحمل لحظة أخرى من استسلام كيتاي الغريب؛ لم تطق التفكير بوجود جزء منه لا تفهمه. "ما الذي يضايقك؟"

صمت للحظة طويلة قبل أن يتحدث:

– "إنه فقط... لا أعرف يا رين. أراباك كانت..."

– "إنها مريعة".

– "ليست بالضرورة مريعة، إنها فقط غريبة. وكنت هناك لفترة طويلة، والآن أنا في الخارج، لا أزال غير قادر على التوقف عن التفكير في الهسبيريين".

– "ماذا عنهم؟"

– "لا أعرف، أنا فقط..." عبثت أصابعه في حضنه؛ كان يصارع بوضوح بشأن كم يريد إخبارها. لا شيء كان يمكن أن يحضرها لما قاله تاليًا. "هل تظنين أنهم قد يكونون ببساطة أفضل منا؟"

التفتت لتحدق فيه:

– "كيتاي. ماذا يعني هذا بحق الجحيم؟"

قال:

– "عندما أحضرني نزهة لأول مرة لـ أراباك، قضى اليومين الأولين يعطيني جولة في المدينة. يريني كل ما بنوه في بضعة أسابيع فقط. أتتذكرين كم كان لا يطاق عندما وصلنا لـ أرلونغ أول مرة؟ لم يتوقف عن الثرثرة حول هذا الابتكار البحري وذاك. لكن هذه المرة، كل ما رأيته كان أعجوبة حقًا. في كل مكان نظرت إليه رأيت أشياء لم أحلم بوجودها قط".

طوت ذراعيها على صدرها:

– "وماذا في ذلك؟"

– "إذن كيف بنوها؟ كيف خلقوا أشياء تتحدى كل قانون معروف للعالم الطبيعي؟ معرفتهم في مجالات عديدة – الرياضيات، الفيزياء، الميكانيكا، الهندسة – تكسف معرفتنا لدرجة مرعبة. كل ما نكتشفه في جبل يويلو، لا بد أنهم عرفوه بالفعل لقرون". التوت أصابعه في حضنه. "لماذا؟ ما الذي يملكونه ولا نملكه نحن؟"

قالت:

– "لا أعرف. لكن هذا لا يعني أنهم فقط أفضل طبيعيًا، أيًا كان ما يعنيه ذلك بحق الجحيم..."

– "ولكن هل يعقل؟ كل عضو في (الطائفة الرمادية) قابلته يعتقد أنهم متفوقون علينا فطريًا وبيولوجيًا. ولا يقولون هذا ليكونوا قساة أو متعالين. يرونه كحقيقة. حقيقة علمية، بسيطة كحقيقة أن المحيط مالح وأن الشمس تشرق كل صباح".

لم تتوقف أصابعه عن الالتواء. تملكت رين رغبة مفاجئة لصفعها.

– "يرون التطور البشري كسلم، وهم في قمته، أو على الأقل أبعد ما يمكن الوصول إليه حاليًا. ونحن – النيكاريين – نتشبث بالدرجات السفلى. أقرب للحيوانات منا للبشر".

– "هذا هراء".

– "حقًا؟ لقد بنوا مناطيد. ليست فقط قادرة على الطيران، بل كانت تطير لعقود، وها نحن هنا بمعرفة بدائية فقط عن الإبحار لأننا قصفنا أساطيلنا الخاصة لقطع صغيرة في حروب أهلية حول اللاشيء. لماذا؟"

عصر الفزع معدة رين. لم ترد سماع هذه الكلمات من فم كيتاي. بدا هذا أسوأ من الخيانة. بدا كاكتشاف أن أعز أصدقائها شخص غريب تمامًا.

ستكون كاذبة لو قالت إنها لم تطرح هذه الأسئلة على نفسها أبدًا. بالطبع فعلت. سألتها خلال كل تلك الأسابيع التي قضتها تخضع للفحوصات في مقصورة الأخت بيترا، واضعة جسدها العاري والعاجز تحت تصرف الهسبيرية، سامحة لها بأخذ القياسات وتدوينها بينما تشرح بنبرة باردة وواقعية أن دماغ رين أصغر، وقامتها أقصر، وعيناها ترى أقل بسبب عرقها.

بالطبع تساءلت، كثيرًا، عما إذا كان الهسبيريون محقين. لكنها كرهت كيف تحدث كيتاي وكأنه قرر بالفعل أنهم كذلك.

قال:

– "قد يكونون مخطئين بشكل مريع بشأننا. لكنهم محقون بشأن كل شيء آخر تقريبًا؛ لم يكونوا ليبنوا كل ذلك لو لم يكونوا كذلك. انظري لمدينة أقاموها

في أسابيع. قارني ذلك بأرقى مدن الإمبراطورية. ألا يمكنكِ على الأقل رؤية وجهة نظري؟"

فكرت رين في شوارع (المدينة الجديدة) النظيفة، وتخطيطها الشبكي الأنيق، ووسائل نقلها السريعة والفعالة. النيكاريون لم يبنوا شيئًا كهذا قط. حتى في سينغارد، عاصمة (الإمبراطور الأحمر) وجوهرة تاج الإمبراطورية، كانت مياه الصرف الصحي تندفع بحرية في الشوارع كمياه الأمطار.

حاولت ضخ بعض المرح في صوتها:

– "ربما هو (صانعهم). ربما تلك الصلوات تنجح".

لم يبتسم.

– "إنه ليس دينهم. ربما له علاقة بالأمر – (المهندس الإلهي) بالتأكيد أكثر ودية للبحث العلمي من أي من آلهتنا. لكني لا أظن أنهم يحتاجون لآلهة على الإطلاق. لديهم آلات، وتلك ربما أقوى من أي شيء يمكنهم استدعاؤه. يعيدون كتابة سيناريو العالم، تمامًا مثلكِ. ولا يحتاجون للتضحية بعقلهم لفعل ذلك".

لم يكن لدى رين رد على ذلك.

جيانغ كان ليمتلك إجابة. جيانغ، الذي كان واثقًا جدًا من أن "البانثيون" يقع في مركز الكون، حذرها مرة من معاملة العالم المادي كشيء يجب ميكنته، والسيطرة عليه، وعسكرته. آمن بشدة أن المجتمعات الهسبيرية والموغينية نسيت منذ زمن طويل وحدتها الجوهرية مع الوجود الكوني، وضاعت روحيًا نتيجة لذلك.

لكن رين لم تكن مهتمة أبدًا بعلم الكونيات أو اللاهوت. اهتمت فقط بالآلهة لما يمكن أن تمنحها من قوة، ولم تستطع صياغة القليل الذي تذكرته من ثرثرة جيانغ في أي نوع من الاعتراض المقبول.

سألت أخيرًا:

– "وماذا في ذلك؟ ماذا يعني ذلك بالنسبة لنا؟"

كانت تعرف استنتاج كيتاي بالفعل. أرادت فقط سماعه يقوله بصوت عالٍ، لترَ إن كان يجرؤ. لأن الاستنتاج المنطقي كان مرعبًا. إذا كانوا منفصلين بعمقٍ هكذا بحكم العرق، إذا كان الهسبيريون أذكى فطريًا، وأكثر قدرة، وأقوى — فما جدوى المقاومة إذن؟ لماذا لا يكون العالم لهم؟

تردد:

— "رين، أنا فقط أظن..."

اتهمته:

— "تظن أنه يجب علينا الاستسلام وحسب. أننا سنكون أفضل حالًا تحت حكمهم".

— "لا أظن ذلك. لكني أظن أنه قد يكون حتميًا".

— "إنه ليس حتميًا. لا شيء حتمي أبدًا". أشارت رين نحو العربة، حيث رقد جيانغ وداجي نائمين. "كانا طفلين في الشمال المحتل. لم يمتلكا بنادق أو سفنًا هوائية، وطردوا الهسبيريين ووحدوا الإمبراطورية..."

— "وخسروها بعد عقدين فقط. احتمالاتنا لا تبدو أفضل كثيرًا في المرة الثانية".

— "سنكون أقوى هذه المرة".

— "تعرفين أن هذا غير صحيح يا رين. كبلد، كشعب، نحن أضعف مما كنا عليه في أي وقت مضى. إذا هزمناهم، فسيكون ذلك بسبب ضربة حظ هائلة، وسيأتي بتكلفة عظيمة في الأرواح البشرية. لذا لا تلوميني لتسائلي عما إذا كان الأمر يستحق العناء".

سألته فجأة:

— "هل تعرف كيف كانت سينغارد بالنسبة لي؟"

عبس:

— "لماذا..."

– "لا، اسمع. هل تعرف كيف كان شعور أن تكون (أحمق القرية) الذي ظن الجميع أنه بالكاد يعرف القراءة والكتابة لأن لكتني كانت قروية، وبشرتي داكنة، ولم أكن أعرف أنه يفترض بي الانحناء للمعلم في نهاية كل حصة؟"

– "أنا لا أقول..."

– "ظننت أن هناك شيئًا خاطئًا بي فطريًا. أنني ولدت فقط أقبح، وأضعف، وأقل ذكاءً من كل من حولي. ظننت ذلك، لأن ذلك ما أخبرني به الجميع. وأنت تجادل بأن ذلك يعني أنه لم يكن لدي الحق في تحديهم".

– "ليس هذا ما عنيته".

– "لكنه مماثل. إذا كان الهسبيريون أفضل فطريًا، فالدرجة التالية على السلم هي الشماليون شاحبو البشرة مثلك، و(السبيريون) يقبعون في القاع".

كانت تحرق بصمة يد في العشب الذي يجلسون عليه؛ تصاعد الدخان حولهم. "وبعد ذلك، بمنطقك، لا بأس بأن الإمبراطورية حولتنا لعبيد. لا بأس بأنهم محونا من الخريطة، وأن التواريخ الرسمية تذكرنا فقط في الحواشي. إنه أمر طبيعي فقط".

قال كيتاي:

– "تعرفين أنني لن أجادل بذلك أبدًا".

– "تلك هي مآلات منطقك. ولن أقبل بذلك. لا أستطيع".

ضم ركبتيه لصدره. بدا صغيرًا جدًا حينها، نسخة متضائلة كثيرًا من كيتاي الذي عرفته دائمًا.

– "ألا تفهمين؟ لا يزال لا يوجد مسار منظور يؤدي لنصرنا. ماذا تظنين سيحدث بعد وصولنا لـ إقليم الكلب؟ يمكنكِ الاختباء من السفن الهوائية قليلًا، لكن كيف بحق الجحيم ستهزمينها؟"

قالت:

– "بسيطة. لدينا خطة".

أطلق ضحكة مهتزة وعاجزة:

– "لنسمعها إذن".

– "لدينا مشكلة تفاوت في القوة الآن. مما يعني أننا نفوز فقط إذا حدثت هذه الحرب في ثلاث مراحل. الأولى هي تراجع استراتيجي. هذا ما يحدث الآن، سواء قصدنا ذلك أم لا. الثانية هي الجمود الطويل. ثم، أخيرًا، الهجوم المضاد".

تنهد:

– "وكيف ستطلقين هذا الهجوم المضاد؟ تملكين ربما عُشر قدراتهم بعيدة المدى".

– "هذا لا بأس به. نحن نملك آلهة".

– "لا يمكنكِ الفوز بهذه الحرب بحفنة من الشامانات فقط".

– "هزمت الاتحاد بمفردي، أليس كذلك؟"

– "حسنًا، باستثناء الإبادة الجماعية..."

أصرت:

– "يمكننا هزيمتهم بشامانية تستهدف فقط المقاتلين المسلحين في ساحة المعركة. بنفس الطريقة التي كنا نصطاد بها الموغينيين الآن".

– "ربما. لكن الأمر يقتصر عليكِ وجيانغ و(الأفعى)، هذا ليس كافيًا تقريبًا..."

رفعت ذقنها:

– "كافيًا؟ ماذا لو كان هناك المزيد؟"

قال كيتاي:

– "إياكِ أن تجرئي على فتح (تشولو كوريك)".

– "لا". ارتعدت عند التفكير في ذلك المكان. "لن نعود لذلك الجبل. لكن جيانغ وداجي يريدان الزحف شمالًا. صعودًا لجبل تيانشان".

– "هذا ما سمعته". نظر إليها بتشكك. "ماذا يوجد في جبل تيانشان؟"

– "هيا يا كيتاي. يمكنك استنتاج ذلك".

تجولت نظرته نحو "التريفيكتا". رأت عينيه تتسعان بينما سقطت القطع في مكانها في عقله.

قال:

– "أنتِ مجنونة".

– "على الأرجح".

تحرك فمه لعدة ثوانٍ قبل أن يخرج الكلمات:

– "لكن... القصص... أعني، (إمبراطور التنين) ميت".

قالت رين:

– "(إمبراطور التنين) نائم. وكان نائمًا لفترة طويلة جدًا. لكن الختم يتآكل. جيانغ يتذكر من كان، وما كان يستطيع فعله، مما يعني أن ريغا على وشك الاستيقاظ. وبمجرد أن يفعل، بمجرد أن نوحد (التريفيكتا)، سوف نجعل هسبيريا تري كيف تبدو الألوهية الحقة".

الفصل السادس عشر

كانت جبهة القتال أسفل جبال باولي لغزًا.

الوديان صامتة. المناطيد لا تطن، والسيوف لا تصطك، والهواء ليس ثقيلًا بحرق مسحوق النار اللاذع. لم ترَ رين ولم تسمع أي علامات لقتال نشط، على الأقل ليس طوال الأيام السبعة التي استغرقها وصول جماعتهم إلى الخطوط الأمامية.

عندما اقتربوا فقط، أدركت السبب. "التحالف الجنوبي" كان محاصرًا. الجمهورية ثبتتهم ضد سفح الجبل خلف سلسلة من الحصون المؤقتة، كل منها مزروع على بعد نصف ميل داخل الآخر، محاطة بخطوط من المدافع والبنادق المثبتة المستعدة لحصد أي شخص يحاول كسر الجمود. الحصون كانت منشآت مؤقتة لكنها بدت صلبة كالطوب، مدعومة بأكوام من أكياس الرمل، وجدرانها الحجرية منيعة باستثناء شقوق صغيرة تكفي بالكاد لفوهة إطلاق البندقية. الرماية بالسهام كانت عقيمة بالتأكيد ضد تلك الحصون، وشكت رين أن المدافع البدائية التي يمتلكها "التحالف الجنوبي" بالكاد ستحدث خدشًا فيها أيضًا.

لكن الجمهورية أيضًا لم تستطع اختراق سفح الجبل. الوديان والكهوف على طول سلسلة باولي الجنوبية عملت كملاجئ طبيعية من القنابل، مما يعني أن هجمات المناطيد المستمرة ستكون مجرد إهدار للذخيرة. التضاريس تحت الأرض لا يمكن رسم خرائط لها من الجو، مما أعطى الجنوبيين ميزة دفاعية

كبيرة. هذا، افترضت رين، كان السبب الوحيد الذي منع الجمهورية من شن هجوم بري حتى الآن.

"التحالف الجنوبي" لم يكن لديه القوة البشرية لكسر الحصار. والجمهورية لم ترد استنزاف القوات اللازمة للاقتحام. في الوقت الحالي، ظل كلا الجانبين متحصنًا في مواقعه. لكن هذه المواجهة ستنتهي، كما تنتهي كل الحصارات، في اللحظة التي ينفد فيها الطعام والماء من الجنوبيين أخيرًا.

قالت داجي:

– "للأسف، زميلكِ القديم في الفصل بارع جدًا في حروب الحصار".

قضوا الصباح يطوفون حول محيط الحصار في عربة الغسيل، بحثًا عن طريقة للتسلل عبر الخطوط الجمهورية دون أن يلاحظهم أحد. "لقد حاصرهم عند كل مفترق طرق حرج. لا توجد طريقة سهلة للتسلل عبر تلك الدشم إلا إذا أثرنا جلبة".

قالت رين:

– "أعتقد أن إثارة جلبة هو بالضبط ما نريده".

أشار كيتاي:

– "لا، هذا ما تريدينه عندما تكسرين الحصار للخارج. لكن علينا الدخول وحشد القوات أولًا. لا نعرف في أي حالة هم. إثارة جلبة تضع حدًا زمنيًا صارمًا للمدة التي يستغرقها الجنوبيون للتعبئة".

إذن بقي السؤال: كيف يتسلل المرء عبر أعظم تجمع للقوة العسكرية شوهد على القارة على الإطلاق؟

اقترح كيتاي بعد توقف:

– "يمكننا السباحة للداخل. أظن أنني رأيت جدولًا قبل ميل".

قالت رين:

– "سيطلقون النار علينا في الماء".

أشار كيتاي:

— "إنهم يحرسون تدفقات النهر المؤدية للخارج. لا يهتمون كثيرًا بالناس المتسللين للداخل. نحصل على بعض قصب الخيزران، ونسبح في الطبقات السفلية حيث الطين — الأفضل أن نفعل ذلك عندما تمطر أيضًا؛ سيعظم ذلك غطائنا المائي".

جال بنظره حول العربة. هزت داجي كتفيها، صامتة.

قالت رين، بما أنه لم يبدُ أن أحدًا لديه خطة أفضل:

— "إذن سنسبح. ماذا بعد؟"

— "عليكم المرور عبر أنفاق المناجم القديمة". فوجئت رين عندما تحدث جيانغ. كان صامتًا طوال الصباح، يحدق بهدوء حول جبهة القتال وكأنه يتجول في حديقة نباتية. الآن فجأة كانت نظرته مركزة، وصوته حازمًا وواثقًا. "لن تكونوا تحت الأرض لفترة طويلة. فقط حتى تخرجوا على الجانب الآخر إلى الغابات. إنه ليس طريق خروج مثاليًا — تلك الأنفاق ليست مضاءة جيدًا، ومن المحتمل أن يسقط عدد غير قليل من الناس في الحفر ويكسروا أعناقهم. لكن لا يوجد طريق آخر يبقيكم آمنين من المناطيد".

مرة أخرى، كان تحوله في السلوك مفاجئًا لدرجة أن رين لم تستطع منع نفسها من التحديق. كان جيانغ يتصرف كجنرال محنك، ينسج عرضًا أجزاء استراتيجية معًا كشخص خطط لكمائن كهذه مائة مرة من قبل. هذا لم يكن هو. هذا كان شخصًا غريبًا.

تابع قائلًا:

— "التحدي الحقيقي هو جعل الجنوبيين يتبعونكم للخارج. سيتعين عليكم التصرف بتكتم حيال الأمر. إذا كان سوجي قد حاول بيعكِ لـ فايسرا مرة، فقد يفعل ذلك مجددًا. هل هناك أي شخص في التحالف لا تزالين تثقين به؟"

قالت رين فورًا:

– "فينكا. وكينين أيضًا، على الأرجح، إذا كان لا يزال حيًا. يمكننا محاولة استمالة ضباط زودن، لكنهم سيحتاجون للإقناع".

سألت داجي:

– "هل تستطيع فينكا تعبئة نصف الجيش على الأقل؟"

فكرت رين في ذلك للحظة. لم تكن تعرف مدى النفوذ الذي تملكه فينكا. لم تكن فينكا محبوبة جدًا بين الجنوبيين؛ كانت بطبيعتها فظة وخشنة، شمالية شاحبة البشرة بلهجة سينغارد حادة ومن الواضح أنها لا تنتمي للمكان. لكنها يمكن أن تكون ساحرة عندما تريد. ربما تمكنت من التملص بالكلام من أي شكوك حول صلاتها بـ رين. أو ربما قتلها سوجي منذ زمن طويل.

قررت رين أن تكون متفائلة:

– "على الأرجح. يمكننا جعلها تحشد حشدًا، وبمجرد بدء المعركة، يجب أن يتبعهم الباقون".

أشار جيانغ لـ رين وكيتاي:

– "أفترض أننا لا نستطيع فعل أفضل من ذلك. أنتما الاثنان اذهبا أولًا وجدا رجالكما. اجمعوا أكبر عدد ممكن منهم خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة، وأخبروهم بالضغط بقوة نحو المناجم المواجهة للغرب عندما نكسر الخطوط الأمامية. إذا اضطررتم لكشف غطائكم قبل ذلك، فقط أرسلوا شعلة وسنكسر الجبهة مبكرًا".

قال كيتاي:

– "هناك ما لا يقل عن ألفي جندي جمهوري على الجبهة".

مسح جيانغ الحصون بنظره للحظة، ثم هز رأسه:

– "أوه، لا. ضعف ذلك، على الأقل".

عقد كيتاي حاجبيه:

– "إذن كيف ستقوم بـ...؟"

قال جيانغ بهدوء شديد:

– "قلت سنكسر الجبهة".

رمش كيتاي فيه، عاجزًا بوضوح عن الكلام.

تمتمت رين:

– "فقط ثق به".

عادت بذاكرتها لذكريات الصرخات العاوية، وأشكال الظلام الملتفة من العدم. فكرت في وجه تسيفيري المصدوم بينما غاصت أصابع جيانغ المخلبية في قفصها الصدري.

لم تكن تثق بـ جيانغ الواثق والقادر حديثًا هذا. لم تكن لديها فكرة عمن هو، أو ماذا يستطيع أن يفعل. لكنها خافته، مما يعني أن الجمهورية يجب أن تخافه أيضًا.

قال كيتاي:

– "حسنًا". ما زال يبدو متحيرًا، لكنه لم يلح في النقطة. "ما هي إشارتك إذن؟"

قهقه جيانغ فقط:

– "أوه، أظن أنكم ستعرفون".

***

قالت فينكا:

– "أنتم تمزحون معي".

بدت مريعة. فقدت قدرًا مذهلًا من الوزن. كانت منهكة، ونحيلة، وعظام وجنتيها الحادة تبرز تحت عينين غائرتين محاطتين بهالات أرجوانية.

لم يكن من السهل العثور عليها. تسلق رين وكيتاي خارج النهر إلى ما بدا وكأنه معسكر جيش مهجور منذ زمن طويل. نقاط الحراسة الأقرب إليهم كانت خالية؛ أكياس الرمل القليلة المرئية كانت مبعثرة بلا فائدة عبر التراب. كانت رين لتفترض أن "التحالف الجنوبي" قد هرب بالفعل، لولا أن الجذوع

المتفحمة قرب سفح الجبل كانت دليلًا على نيران مخيمات أُخمدت حديثًا، وحفر المراحيض كانت تفوح منها رائحة براز طازج.

بدا أن الجيش بأكمله قد ذهب تحت الأرض.

غامر رين وكيتاي بالدخول للأنفاق، ونصبوا كمينًا لأول جندي صادفوه، وطالبوه بقيادتهم إلى فينكا. كان يجلس الآن بوداعة في زاوية الغرفة خافتة الإضاءة، مكممًا بحبل، وعيناه تنتقلان ذهابًا وإيابًا بمزيج متساوٍ من الرعب والارتباك.

قال كيتاي:

– "مرحبًا بكِ أنتِ أيضًا". واتجه نحو كومة من الخرائط ملقاة على الأرض وبدأ في البحث خلالها. "هل هذه محدثة؟ هل تمانعين لو ألقيت نظرة؟"

قالت فينكا بصوت ضعيف:

– "افعل ما يحلو لك". لم تنظر إليه حتى. كانت عيناها، المتسعتان بعدم تصدي، مثبتتين على رين. "ظننت أنهم حملوكِ لتلك الجبل. ظل سوجي يتبجح بذلك مرارًا وتكرارًا، قال إنكِ عالقة في الحجر للأبد".

قالت رين:

– "بعض الأصدقاء القدامى أخرجوني. يبدو أن حالكِ كان أسوأ بكثير".

ضغطت فينكا بكفيها على صدغيها:

– "يا إلهي يا رين، لقد كان كابوسًا. بصراحة لا أعرف ما هي خطة سوجي في هذه المرحلة. بدأت أظن أننا سندفن هنا".

سألت رين:

– "إذن سوجي هو المسؤول؟"

– "هو وغوروباي معًا". بدت فينكا خجلة. "أنتِ، آاه، ربما تسمعين عن بعض الأشياء التي قلتها. أعني، بعد تيكاني، كانوا يطاردونني أنا أيضًا، وأنا..."

– "أنا واثقة أنكِ قلتِ كل ما احتجتِ لقوله لإبعادهم عن ظهركِ. لا أهتم بذلك. فقط أطلعينا على ما حدث".

أومأت فينكا:

— "شنت الجمهورية هجومًا ثانيًا بعد بضعة أيام من الغارة الجوية الأولى. قادنا سوجي في تراجع للشمال — كانت الفكرة هي العودة لـ رويجين — لكن الجمهورية ظلت تدفعنا شرقًا، لذا حوصرنا مقابل هذه الجبال بدلًا من ذلك. نسمي هذا (السندان)، لأنهم يظلون يضربوننا وليس لدينا مكان نركض إليه. أنا واثقة أنهم سيقومون بدفعتهم النهائية في أي يوم الآن؛ هم يعرفون أن مؤننا نفدت تقريبًا".

رفع كيتاي رأسه عن الخرائط:

— "أنا مصدوم أنكم وصلتم للجبال أصلًا. كيف بحق الأرض صمدتم طوال هذا الوقت؟"

قالت فينكا:

— "إنه خطأ مدفعيتهم. يظلون يطلقون النار تحت أقدامهم. حرفيًا. نزهة جهز جيشه بتكنولوجيا هسبيرية جديدة، لكنهم لا يعرفون كيفية استخدامها، وأخمن أنهم تحركوا قبل أن يتدربوا بشكل صحيح، لذا في نصف الوقت الذي يحاولون ضربنا فيه يفجرون أنفسهم في العملية".

لا عجب أن نزهة بدا مهزوزًا جدًا وهو يتذمر بشأن دمج القوات. لم تستطع رين منع نفسها من الابتسام.

سألت فينكا:

— "شيء مضحك؟"

— "لا شيء. إنه فقط... أتتذكرين تلك الليلة على البرج، كيف ظل نزهة يتباهى بأن التكنولوجيا الهسبيرية ستفوز بالإمبراطورية لنا؟"

قالت فينكا بجفاف:

— "نعم، لقد مروا بآلام النمو. لسوء الحظ، قذيفة المدفع الطائشة تؤلم بنفس القدر".

رفع كيتاي خريطة ونقر على سهم يلتف جنوبًا:

– "هل هكذا كنتِ ستخرجينهم؟ ضغط قوي عند الحدود الجنوبية؟"

– "هذا ما يخطط له سوجي. بدا رهاننا الأفضل. نزهة ليس لديه رجاله على تلك الحدود؛ إنها تحت سيطرة (حاكم الثور) الجديد. باي لين. هناك رواسب تنجستن ضخمة على جانب إقليم القرد من الحدود، وعرض غوروباي تعدينها له إذا حفر لنا ممر هروب".

قال كيتاي:

– "لن ينجح ذلك".

رمقته فينكا بنظرة ساخطة:

– "كنا نخطط لهذا لأسابيع".

– "بالتأكيد، لكني أعرف باي لين. اعتاد المجيء لعزبتنا في سينغارد للعب (الويكي) مع والديّ طوال الوقت. الرجل لا يملك عمودًا فقريًا – اعتاد أبي تسميته (أعظم متملق في الإمبراطورية). لا توجد طريقة يخاطر فيها بإغضاب فايسرا. سيدع نزهة يبيدكم ويرسل عمالًا لتعدين التنجستن بنفسه".

أبرزت فينكا ذقنها:

– "حسنًا. تعال أنت بشيء أفضل إذن".

نقر كيتاي نقطة شمالية على الحصار:

– "علينا المرور عبر أنفاق المناجم القديمة. ستخرجنا على الجانب الآخر من سلسلة باولي".

– "جربنا تلك الأنفاق. إنها مسدودة".

– "إذن سنفجر ثقبًا عبر المدخل".

بدت فينكا متشككة:

– "ستحتاج للكثير من القوة النارية".

مطت رين كلماتها:

– "يا عزيزي. أتساءل كيف سنتدبر ذلك".

نخرت فينكا:

– "لا توجد أنفاق كهوف هنا تؤدي للمناجم. سيتعين علينا عبور (المنطقة الميتة)، التي يبلغ طولها ميلًا على الأقل. نزهة يضع نصف مشاته متمركزين بالخارج مباشرة. نحن نعمل بثلثي الأعداد التي كانت لدينا في تيكاني، وليس لدينا دفاع جوي. هذا لن ينجح".

قال كيتاي:

– "سينجح. لدينا حلفاء".

انتعشت فينكا:

– "من؟ وكم عددهم؟"

قالت رين:

– "اثنان".

– "أيها الأوغاد..."

أوضح كيتاي:

– "رين أحضرت (التريفيكتا)".

ضيقت فينكا عينيها فيهم:

– "ماذا، مثل دمى خيال الظل؟"

– "(التريفيكتا) الأصليين. اثنان منهم، على الأقل. الإمبراطورة. والمعلم جيانغ. إنهما (الأفعى) و(حارس البوابة)".

قالت فينكا ببطء:

– "هل تخبراني أن معلم مادة "الأساطير" جيانغ، الرجل الذي احتفظ بحديقة مخدرات في سينغارد، سيخرجنا بمفرده من هذا الحصار؟"

حك كيتاي ذقنه:

– "تقريبًا، نعم".

قالت رين:

– "إنه فقط أقوى شامان في نيكان. أعني، هذا ما نظنه. الحكم لا يزال معلقًا بشأن (إمبراطور التنين)".

بدت فينكا وكأنها لا تعرف ما إذا كانت ستضحك أم تبكي. اختلج عرق تحت عينها اليسرى:

– "آخر مرة رأيت فيها جيانغ كان يحاول قص شعري بمقص حديقة".

– "إنه على حاله تقريبًا الآن. لكنه يستطيع استدعاء وحوش يمكنها مسح كتائب كاملة في ثوانٍ، إذا كان التاريخ مرجعًا، لذا لدينا ما نعمل به أكثر قليلًا".

جرت فينكا كفيها على وجهها وأنت:

– "أنا لا... أنا فقط... أتعلمان ماذا؟ حسنًا. بالتأكيد. قد يحدث هذا أيضًا. تباً للجحيم يا رين. تمنيت لو وصلتِ قبل بضعة أيام فقط. اخترتِ وقتًا مريعًا للظهور".

سألت رين:

– "ولمَ ذلك؟"

– "فايسرا يقوم بجولته لتفقد القوات غدًا".

كرر كيتاي:

– "جولة؟ فايسرا لا يقود؟"

– "لا، نزهة في القيادة. فايسرا يبقى في الخلف في أرلونغ، يحكم مملكته الجديدة، ويتصرف بلطف مع الهسبيريين".

بالطبع، فكرت رين. لمَ قد تتوقع خلاف ذلك؟ خاض فايسرا الحرب الأهلية من غرفة عرشه في أرلونغ، مرسلًا رين للخارج مثل كلب صيد مطيع بينما جلس في الخلف وجنى المكافآت. فايسرا لا يوسخ يديه أبدًا. هو فقط يحول الناس لأسلحة ثم يتخلص منهم.

قالت فينكا:

— "يأتي لـ أراباك كل ثلاثة أسابيع. ثم يطير لهنا لإجراء تقييم للقوات قبل مغادرته مباشرة. نوع من مراسم الحشد — إنه أمر لا يطاق. اكتشفنا الجدول لأنهم يبدؤون دائمًا بإطلاق النار في الهواء عندما يكون هنا".

سأل كيتاي:

— "لماذا هذه مشكلة؟ هذا جيد لنا".

جعدت فينكا أنفها:

— "كيف ذلك؟ هذا يعني أن الخط الأمامي بأكمله سيكون مسلحًا بالكامل وفي حالة تأهب، وسيتعين علينا التعامل مع حرس فايسرا الخاص علاوة على ذلك".

— "يضعهم ذلك أيضًا في موقف دفاعي. لأن لديهم الآن هدفًا لحمايته".

نظرت فينكا بينهما:

— "لكنكما لستما... أوه. أوه، أنتما لستما جادين بحق الجحيم. هل هذه خطتكما؟"

لم تفكر رين في استهداف فايسرا حتى قالها كيتاي بصوت عالٍ. لكن الأمر كان منطقيًا تمامًا. إذا كانت أهم شخصية في الجمهورية ستضع نفسها على الخطوط الأمامية، فبالطبع يجب أن تصوب في اتجاهه. على أقل تقدير، سيشتت ذلك انتباه الجيش الجمهوري — إذا كانوا مشغولين بالاحتشاد حول فايسرا، فسيسحب ذلك القوات بعيداً عن طريق هروب "التحالف الجنوبي".

قالت:

— "إنه يستحق ذلك منذ زمن. لمَ ليس الآن؟"

قالت فينكا، وقد تجاوزت مرحلة عدم التصدي وأصبحت مستسلمة وحسب:

— "أنا... بالتأكيد. وأنتما متأكدان أن المعلم جيانغ يستطيع إخلاء (المنطقة الميتة)؟"

– "سنقلق نحن بشأن كسر الجبهة. تولّي أنتِ الإخلاء. كم شخصًا هنا سيستمع لكِ؟"

– "على الأرجح الكثير، إذا أخبرتهم أنكِ عدتِ. سوجي وغوروباي لا يملكون الكثير من حسن النية بين الصفوف حاليًا".

– "جيد. أخبري كل ضابط تجدينه أن يقود شمالًا في تشكيل وتدي عندما تبدأ الأشياء بالانفجار عند الحدود. متى يصل فايسرا؟"

– "عادة في الصباحات. هذا هو الوقت الذي أقاموا فيه عروضهم في المرتين الأخيرتين لزيارته".

سأل كيتاي:

– "بزوغ الفجر؟"

– "أبعد قليلًا. عشرون دقيقة، ربما؟"

التفتت رين للجندي المكمم في الزاوية:

– "إذن سننطلق للمناجم بعد عشرين دقيقة من الفجر. هل ستساعدنا؟"

أومأ بجنون. تقدمت نحوه وسحبت الحبل من فمه. سعل لينظف حلقه.

قال وعيناه تدمعان:

– "ليست لدي أدنى فكرة عما يحدث. وأنا واثق تمامًا أننا جميعًا على وشك الموت".

– "هذا لا بأس به. طالما ستفعل ما أقوله".

***

لبقية الليل تبعت رين فينكا عبر الكهوف والأنفاق، تهمس بنفس الرسالة لكل من يكترث بالاستماع. السبيرية عادت. أحضرت حلفاء. احزموا أمتعتكم وجهزوا أسلحتكم. انشروا الكلمة. عند الفجر، نتحرك.

لكن عندما حانت الساعة أخيرًا، كانت الأنفاق هادئة بشكل محبط. توقعت رين ذلك. "التحالف الجنوبي" كان جيشًا مهترئًا يعيش على حصص

ممتدة. الطاعون أصاب الصفوف بالإنهاك؛ حتى أولئك الذين آمنوا بها تمامًا لم يمتلكوا الطاقة لقيادة الهجوم. كانوا يعانون من مشكلة العمل الجماعي — الجميع كان يأمل أن يقوم شخص آخر بالخطوة الأولى.

كانت رين سعيدة بفعل ذلك بالضبط.

قال لها جيانغ:

— "أعطهم ركلة في المؤخرة إن لم يتحركوا. اجلبي الجحيم لعتبة بابهم".

لذا بعد عشرين دقيقة من شروق الشمس، بمجرد أن بدأت نغمات موسيقى العرض الخافتة تنتقل عبر هواء الصباح الساكن من الخط الجمهوري، مشت رين أمام أفواه الكهوف، مدت يدها نحو السماء، واستدعت عمودًا من النار البرتقالية الساطعة.

شكلت النيران عمودًا سميكًا يمتد للسماوات. منارة، ودعوة. وقفت وعيناها مغلقتان وذراعاها ممدودتان، تتلذذ بلمسة الهواء الساخن ضد جلدها، تستحم في هديره الصم. بعد دقيقة، رأت عبر تموج الحرارة مجموعة من النقاط السوداء — مناطيد ترتفع لملاقاتها.

ثم انفجر الجنوبيون خارج كهوفهم وأنفاقهم مثل نمل يتدفق من التراب. ركضوا متجاوزينها، حقائب نصف محزومة تتدلى من أكتافهم، وأقدام حافية تضرب التراب.

وقفت رين ساكنة في مركز الذعر المحموم.

بدا أن الزمن يتمدد للحظة. عرفت أنه يجب عليها الانضمام للحشد الهارب. عرفت أنه يجب عليها حشدهم، واستخدام نارها لتوجيه ذعرهم المرتبك إلى هجوم مركز. في لحظة، ستفعل.

لكن الآن، أرادت الاستمتاع بهذا.

أخيرًا عادت هذه الحرب تحت سيطرتها. اختارت هذه المعركة. حددت وقتها ومكانها. نطقت الكلمة، وانفجر العالم بالحركة.

كانت هذه فوضى، لكن الفوضى هي حيث تزدهر. عالم في سلام، في جمود، في وقف إطلاق نار، لا نفع له بها. فهمت الآن ما تحتاج لفعله للتشبث بالسلطة: إغراق العالم في الفوضى، وصياغة سلطتها من القطع المكسورة.

الجيش الجمهوري كان ينتظرهم عند الجبهة الشمالية.

وقف المشاة خلف عدة صفوف من المدافع، والبنادق المثبتة، والرماة — ثلاثة أنواع من المدفعية، مزيج من تكنولوجيات نيكان وهسبيريا المصممة لتمزيق اللحم من مسافة. ستة مناطيد حلقت في السماء فوقهم كآلهة حارسة.

هبط قلب رين وهي تمسح الأفق. لم يكن لـ جيانغ أي أثر. لقد وعدهم بعبور آمن. لكن هذا كان هذا فخ موت.

أين هو؟

امتلأ فمها بطعم الرماد. كان هذا خطأها. رغم تقلبه العقلي الواضح، وثقت به. وضعت حياتها ومصير الجنوب في يديه بكل سذاجة تلميذة في سينغارد. ومرة أخرى، خذلها.

قالت فينكا، ولعظيم فضلها لم تبدُ خائفة ولو قليلًا:

— "إنها رحلة انتحارية إذن". مدت يدها لسيفها، وكأنه يستطيع فعل أي شيء ضد الهجوم الجوي الوشيك. "أفترض أن هذا كان يجب أن ينتهي في وقت ما. لقد كان ممتعًا يا رفاق".

— "انتظروا". أشار كيتاي للخط الأمامي في اللحظة التي خطا فيها جيانغ، من العدم على ما يبدو، إلى المساحة الفارغة بين الجيشين.

لم يشهر سلاحًا ولم يحمل درعًا. هرول بلامبالاة وأكتافه مرخية عبر الحقل، ويداه في جيوبه، وكأنه خرج لتوّه من باب منزله لنزهة مسائية معتدلة. لم يتوقف حتى وصل لمركز خط المناطيد تمامًا. ثم استدار ليواجهها، رأسه مائل للجانب كطفل مفتون.

غرست رين أظافرها في كفها.

لم تستطع التنفس.

هذا هو الأمر. راهنت بحياة كل شخص في "التحالف الجنوبي" على ما سيحدث تاليًا. مصير الجنوب معلق برجل واحد، رجل غير مستقر بوضوح، ولم تستطع رين القول بصدق ما إذا كانت تؤمن بـ جيانغ أم لا.

انخفضت المناطيد قليلًا نحوه، مثل مفترسات تطارد فريستها. بأعجوبة، لم تبدأ في إطلاق النار بعد.

هل نووا الرحمة؟ هل أرادوا الإبقاء على "التحالف الجنوبي" ليأخذوهم أحياء، ليتم تعذيبهم واستجوابهم لاحقًا؟ أم أنهم كانوا مرتبكين ومذهولين جدًا بهذا الأحمق الوحيد والانتحاري لدرجة أنهم أرادوا الاقتراب أكثر لإلقاء نظرة أفضل؟

هل لديهم أي فكرة عما هو؟

لا بد أن شخصًا ما على الجبهة الجمهورية صرخ بأمر، لأن المدفعية بأكملها أدارت فوهاتها لتصوب نحو جيانغ.

شيء غير مرئي نبض عبر الهواء.

لم يتحرك جيانغ، لكن شيئًا ما في العالم تغير، أزاح أصواته وألوانه قليلًا عن توازنها. وقف الشعر على ذراع رين. شعرت بخفة رأس شديدة ولذيذة. طاقة غريبة ومبهجة دندنت تحت جلدها مباشرة، إحساس لا يصدق بالإمكانية. شعرت وكأنها كرة قطن مغمورة في الزيت، تنتظر فقط أصغر شرارة لتشتعل.

رفع جيانغ يدًا واحدة في الهواء. انفرجت أصابعه. تموج الهواء حوله وتشوه. ثم انفجرت السماء إلى ظل مثل زجاجة حبر تحطمت على رق.

رأت رين التأثيرات قبل السبب. سقطت أجساد. انهار خط الرماية بأكمله. المنطاد الأقرب لـ جيانغ انحرف للجانب وضرب جاره، مرسلًا كليهما للارتطام بالأرض في كرة من نار.

فقط بعد انقشاع موجة الدخان رأت رين مصدر الدمار — أطياف سوداء تشبه الضباب ثعبنت عبر الهواء، منطلقة عبر الأجساد، والأسلحة، والدروع

بسهولة موحدة. في أحيان علقت ساكنة، وللحظات وجيزة جدًا، استطاعت بالكاد تمييز أشكالها — أسد، تنين، كيرين — قبل أن تختفي عائدة لظلال بلا شكل. لم تتبع أي قوانين معروفة للعالم المادي. مر المعدن خلالها وكأنها غير مادية، لكن أنيابها مزقت اللحم بسهولة أحد السيوف.

لقد استدعى جيانغ كل وحش من حديقة حيوان الإمبراطور، وكانوا يمزقون العالم المادي كالفولاذ عبر الورق.

المناطيد الأربعة الأخرى لم تتمكن من إطلاق النار أبدًا. أسطول من الظلال السوداء الشبيهة بالطيور مزق البالونات التي أبقتها طافية، ثاقبًا المراكز ومحلقًا للخارج من الجانب الآخر في خطوط أنيقة ومستقيمة. انفجرت البالونات إلى لا شيء. هوت سلال المناطيد بسرعة مذهلة، حيث تابعت وحوش جيانغ إحداث الفوضى في القوات الأرضية. كافح الجنود الجمهوريون ببسالة ضد الأطياف، ملوحين بأنصالهم بيأس ضد الهجوم، لكن كان بإمكانهم قتال الرياح بدلًا من ذلك.

قالت فينكا وهي فاغرة فاها، وذراعاها تتدليان بجانبها:

— "يا للجحيم المقدس". كان يجب أن تقود الهجوم نحو المناجم، لكن لا هي ولا أي من "التحالف الجنوبي" تحركوا قيد أنملة. كل ما بدا أن أيًا منهم قادر على فعله هو المشاهدة.

تمتمت رين:

— "أخبرتك. إنه شامان".

— "لم أظن أَن الشامانات أقوياء لتلك الدرجة".

رمقتها رين بنظرة ساخطة:

— "لقد رأيتني أستدعي اللهب!"

أشارت فينكا لـ جيانغ. كان لا يزال وحيدًا في (المنطقة الميتة). كان مكشوفًا جدًا، ومعرضًا للخطر جدًا. لكن لم يبدُ أن أي رصاصة قادرة على

اختراق جلده، وكل سهم صوب نحوه سقط بلا ضرر على الأرض قبل وقت طويل من وصوله إليه. أينما أشار، تلت الانفجارات.

قالت فينكا بتوقير:

— "أنتِ، لا تستطيعين فعل ذلك".

كانت محقة. شعرت رين بوخزة غيرة وهي تشاهد جيانغ يقود أطيافه كالموسيقار، كل تلويحة من ذراعه تحفز هجمة أخرى من الفوضى الظليلة.

ظنت أنها فهمت حدود الدمار الشاماني. سوت حقلًا من الجثث بالأرض من قبل. سوت بلدًا بالأرض.

لكن ما فعلته لجزيرة القوس الطويل كان حلقة فريدة من التدخل الإلهي. لا يمكن — ولا ينبغي — تكرارها أبدًا. في القتال التقليدي، في ساحة معركة حيث التمييز بين الحليف والعدو يهم فعلًا، لا يمكنها منافسة جيانغ. يمكنها حرق حفنة من الجنود في وقت واحد، العشرات إذا كان لديها هدف واضح ومتجمع. لكن جيانغ كان ينسف أسرابًا كاملة بمجرد تلويحات من يده.

لا عجب أنه تصرف باستهتار كهذا من قبل. هذا لم يكن قتالًا بالنسبة له، هذا كان لعب أطفال.

أرادت رين قوة كتلك.

استطاعت أن ترى الآن كيف أصبح "التريفيكتا" أسطورة. هكذا ذبحوا "الكترايد". هكذا وحدوا بلدًا، وأعلنوا أنفسهم حكامه، وانتزعوه من كل من هسبيريا والاتحاد.

إذن كيف خسروه أصلًا؟

***

أخيرًا عاد "التحالف الجنوبي" لرشده. تحت توجيه فينكا وكيتاي بدأوا اندفاعًا محمومًا نحو الحصار المشتت. انشقت أطياف ظل جيانغ لتسمح لهم بالمرور دون أذى. كانت سيطرته مذهلة — لا بد أنه كان هناك أكثر من مائة

وحش في الميدان، كل منها ينسج طريقه بشكل مستقل عبر كتلة الأجساد، وجميعها تميز تمامًا بين الجنوبيين والجمهوريين.

بقيت رين وجيانغ وحدهما خلف الخطوط الأمامية.

لم ينتهِ الأمر. أسطول ثانٍ من المناطيد كان يقترب بسرعة من الشرق. دوي يصم الآذان شق السماء. أصبح الهواء فجأة كثيفًا بالصواريخ. ألقت رين بنفسها على الأرض، جافلة بينما أرعدت الانفجارات فوقها.

أدركت القوات الجمهورية استراتيجيتها الوحيدة القابلة للتطبيق. لاحظوا حدود جيانغ — وحوشه قد تكون قادرة على إسقاط الصواريخ من الهواء، لكن أعدادها مقيدة بحزمة بحجم حقل صغير. لا يستطيع تمزيق القوات الأرضية والدفاع ضد المناطيد في نفس الوقت. لا يستطيع استدعاء حشد لا ينتهي.

رفعت رين رأسها في اللحظة التي انسلخت فيها ثلاث سفن هوائية عن الأسطول وانحرفت نحو المناجم. فهمت خطتهم في لحظة — لم يتمكنوا من الاعتماد على القضاء على جيانغ، لذا سيقضون على "التحالف الجنوبي" بدلًا من ذلك.

سيطلقون النار على كيتاي.

أوه، تباً، لا.

أخبرت "العنقاء": دورك. أرهم كل ما لدينا.

استجاب الإله بابتهاج.

انفجر عالمها للبرتقالي. لم تستدعِ رين ألسنة لهب بهذه العظمة للمعركة من قبل. أبقت النار دائمًا ملجمة في نطاق عشرين ياردة؛ أي أبعد من ذلك وتخاطر بأضرار جانبية للحلفاء والمدنيين. لكن الآن لديها أهداف واضحة عبر حقل فارغ. الآن يمكنها إرسال أعمدة هادرة عظيمة بارتفاع خمسين ياردة في السماء، يمكنها تغليف سلال المناطيد باللهب، يمكنها حرق القوات بالداخل، يمكنها تفحيم البالونات حتى تنفجر للداخل.

واحدة تلو الأخرى سقطت المناطيد.

كان الشعور جيداً بجنون. لم تكن مجرد حرية المدى، الإذن بالتدمير دون قيد. كل شيء بدا سهلًا جدًا. لم تكن تستدعي اللهب، كانت هي اللهب؛ تلك الأعمدة العظيمة كانت امتدادات طبيعية لجسدها، بسيطة في القيادة كأصابع يديها وقدميها. شعرت بحضور "العنقاء" قريبًا جدًا لدرجة أنها قد تكون في عالم الروح. قد تكون في سبير.

كان هذا من فعل جيانغ. فتح البوابة للفراغ ليدخل الوحوش، والآن رقت الفجوة بين العوالم قليلًا أكثر. مزق صغيرة جدًا من الواقع فصلتهم عن كون هائج من الاحتمالات اللانهائية، وذلك جعل العالم المادي طيعًا للغاية. جعلها تشعر بالألوهية.

لاحظت منطادًا آخر يطير في الاتجاه المعاكس للأسطول. مدافعه لم تكن تطلق النار. نمط طيرانه بدا عشوائيًا — لم تستطع معرفة ما إذا كان المنطاد قد تضرر، أم أن هناك خطبًا ما بالطاقم. ارتفع عدة أقدام في الارتفاع فوق بقية الأسطول، ترنح للحظة، ثم استدار عائدًا في اتجاه (المدينة الجديدة).

عرفت رين حينها بالضبط من كان على متن ذلك المنطاد. شخص يحتاج للحماية بشدة. شخص يجب استخراجه من المعركة، فورًا.

صرخت وهي تشير:

— "يا معلم! أسقط تلك السفينة!"

لم تستطع نيرانها الوصول لذلك الارتفاع، لكن ربما وحوشه تستطيع.

لم يجب جيانغ. لم تكن واثقة حتى من أنه سمعها. عيناه الشاحبتان أصبحتا فارغتين تمامًا؛ بدا محاصرًا في خضم سيمفونية دماره الخاصة.

لكن بعد ذلك انسلخت مجموعة صغيرة من الظلال عن البقية، وانطلقت للأعلى عبر الهواء، وسقطت على البالون مثل قطيع ذئاب جائع. بعد لحظات بدأت المقصورة تتدحرج نحو الأرض.

هز التحطم الأرض. انطلقت رين تركض نحو الحطام.

مات معظم الطاقم عند الارتطام. تعاملت بسرعة مع الناجين. تقدم جنديان هسبيريان مترنحين عندما رأياها قادمة. أحدهما كان معه بندقية، لذا قضت عليه أولًا، مغلفة رأسه وكتفيه بكرة من لهب قبل أن يكون لديه وقت لسحب الزناد. الجندي الآخر كان معه سكين. لكنه أصيب في التحطم، وحركاته كانت بطيئة بشكل هزلي. تركته رين يقترب، لوت المقبض من يده، وحشرت النصل في عنقه بقوة لدرجة أن الطرف خرج من خلال عينه.

ثم بدأت الحفر خلال الحطام.

يين فايسرا كان لا يزال حيًا. وجدته مثبتًا تحت جزء من هيكل السلة وجثتي اثنين من حراسه، يلهث بصوت أجش وهو يصارع لتحرير نفسه. اتسعت عيناه عندما رآها. التواء الخوف كان مرئيًا للحظة فقط قبل أن يستعيد وجهه قناعه المعتاد من الهدوء، لكن رين رأت. شعرت بنبضة وحشية من الابتهاج.

مد يده لسكين ملقى عند خصره. حشرت إصبع قدمها تحت مقبضه ونترته بعيدًا عن متناوله. جلست للخلف وانتظرت، متوقعة أن يخرج سلاحًا آخر، لكنه بدا غير مسلح بخلاف ذلك. كل ما استطاع فعله هو التلوي.

سهل. هذا سهل جدًا. يمكنها قتله حيث يرقد، يمكنها إخراج أحشائه بسكينه الخاص دون مراسم أكثر من جزار يذبح خنزيرًا. لكن ذلك سيكون غير مرضٍ بشكل فظيع. أرادت استغلال هذه اللحظة لأقصى حد.

ثبتت نفسها تحت هيكل المقصورة ودفعت ساقيها ضد الأرض. الهيكل كان أثقل مما بدا. تلك الأشياء بدت أنيقة وخفيفة الوزن في الهواء؛ الآن تطلب الأمر كل قوتها لإزاحته عن ساقي فايسرا.

أخيرًا، صارع للخروج من تحت الجثث. أسقطت الهيكل.

أمرت:

— "انهض".

لدهشتها، أطاع.

نهض ببطء لقدميه. آلمه الوقوف بشدة — استطاعت معرفة ذلك من انحناء كتفيه والطريقة التي جفل بها بينما اهتزت ساقه اليسرى تحته. لكنه لم يصدر صوت احتجاج.

لا، الرئيس الأول لجمهورية نيكان لديه كرامة تمنعه من ذلك.

وقفا وجهًا لوجه للحظة في صمت. تفحصته رين من أعلى لأسفل، تحفر كل تفصيل له في ذاكرتها. أرادت تذكر كل شيء عن هذه اللحظة.

كان حقًا نسخة طبق الأصل من نزهة — نسخة أكبر سنًا، وأقسى، نذير مقلق لكل ما كان يفترض بـ نزهة أن يكونه. لا عجب أنها ألقت بولائها له بتلهف شديد. كانت منجذبة إليه؛ يمكنها الاعتراف بهذا لنفسها، الآن بعد أن لم يعد الأمر يهم. لا يمكن لذلك إذلالها بعد الآن. يمكنها الإقرار بأنه منذ وقت ليس ببعيد، أرادت أن تُقاد وتُمتلك من قبل شخص يشبه نزهة.

يا آلهة، كنت غبية جدًا.

كل يوم منذ هروبها من أرلونغ، تساءلت عما ستقوله لـ فايسرا إذا رأته مرة أخرى. ما قد تفعله إذا أصبح تحت رحمتها يومًا. تخيلت هذه اللحظة مرات عديدة، لكن الآن، وهو يقف ضعيفًا وعرضة للخطر أمامها، لم تستطع التفكير في شيء لتقوله.

لم يكن هناك المزيد ليقال. لم تسعَ لإجابات أو تفسيرات منه. عرفت جيدًا لماذا خانها. عرفت أنه اعتبرها أقل من إنسان وأقرب لحيوان. لم تكن بحاجة لاعترافه أو احترامه. لم تكن بحاجة لشيء منه على الإطلاق.

احتاجت فقط لرحيله. خارج المعادلة؛ خارج رقعة الشطرنج.

قال:

— "أنتِ تدركين أنهم سيدمرونكِ".

رفعت ذقنها:

— "أهذه كلماتكِ الأخيرة؟"

— "كل ما تفعلينه يقنعهم بأنه لا ينبغي لكِ الوجود". سال الدم من شفتيه. كان يعلم أنه رجل ميت؛ كل ما استطاع فعله الآن هو محاولة زعزعتها. "في كل مرة تستدعين النار، تذكرين (نظام الغراي) لماذا لا يمكنكِ البقاء حرة. السبب الوحيد لوقوفكِ هنا الآن هو أنكِ كنتِ مفيدة في الجنوب. لكنهم سيأتون لأجلكِ قريبًا يا عزيزتي. هذه أيامكِ الأخيرة. استمتعي بها".

لم تجفل رين.

إذا ظن أنه يستطيع إرباكها بالكلمات، فهو مخطئ. في الماضي، ربما، كان بإمكانه التلاعب بها بالتملق، والمدح، والإهانات وكأنها صلصال بين يديه. في الماضي، تشبثت بكل ما قاله لأنها كانت ضعيفة وتائهة، تتخبط بحثًا عن أي شيء صلب لتتمسك به. لكن لا شيء يقوله يمكنه هزها الآن.

لم تستطع الشعور بالاشمئزاز الذي توقعته عند رؤيته. قضت وقتًا طويلًا تفكر في فايسرا كوحش. هذا الرجل قايض كل شيء مقابل السلطة — حلفاءه الجنوبيين، وأبناءه الثلاثة جميعهم، ورين نفسها. لكنها وجدت أنها لا تستطيع لومه على ذلك. مثلها، مثل "التريفيكتا"، كان فايسرا يلاحق رؤيته لـ نيكان فقط بتصميم قاسي وهدف وحيد. الفرق الوحيد بينهما هو أنه خسر.

سألت بنعومة:

— "هل تعرف خطأك الأكبر؟ كان يجب أن تراهن عليّ".

قبل أن يتمكن فايسرا من الرد، أمسكت بذقنه وقربت فمه من فمها. حاول الالتواء بعيدًا. أمسكت بمؤخرة رأسه وأبقته مضغوطًا ضد وجهها. قاوم، لكنه كان ضعيفًا جدًا. عض بشفتيها بيأس. ملأ طعم الدم فمها، لكنها ضغطت شفتيها بقوة أكبر ضد شفتيه.

ثم صبت اللهب في فمه.

لم يكن كافيًا قتله ببساطة. كان عليها إذلاله وتشويهه. كان عليها إجبار جحيم أسفل حلقه وتفحيمه من الداخل، لتشعر بلحمه المحترق ينسلخ تحت

أصابعها. أرادت الإفراط في القتل. كان عليها تحويله لكومة من شيء لا يمكن إصلاحه، ولا التعرف عليه.

هذا لا يمكنه إلغاء الماضي. لا يمكنه إعادة سوني، أو باجي، أو رامسا، لا يمكنه محو كل التعذيب الذي عانته بأوامره. لا يمكنه محو الندبة على ظهرها أو استعادة يدها المفقودة. لكن الشعور كان جيداً.

المغزى من الانتقام لم يكن الشفاء. المغزى كان أن النشوة، مهما كانت مؤقتة، تغرق الألم.

ارتخى جسده ضدها. تركت جسده يسقط؛ سقط للأمام، وصدره يتكور فوق ركبتيه، وكأنه ينحني لها.

تنفسّت بعمق، تستنشق الرائحة الدخانية لأحشائه المحترقة. عرفت أن هذه النشوة لن تدوم. ستتلاشى في دقائق، وحينها ستطلب المزيد. كادت تتمنى لو يعود للحياة لتقتله مجددًا، ثم مجددًا، لتستمر في تجربة إثارة رؤية الخوف البائس في عينيه قبل أن تطفئ نيرانها ضوءهما.

شعرت بنفس الطريقة الآن كما تشعر في كل مرة تدمر فيها كتيبة موغينية. عرفت أن الانتقام مخدر. عرفت أنه لا يمكنه إعالتها للأبد. لكن حاليًا، بينما كانت تركب موجة النشوة، قبل أن يتحطم الأدرينالين ويعود ثقل ورعب ما فعلته لتوها يتدفق عبر شقوق عقلها، بينما وقفت تتنفس بصعوبة فوق الرماد المسود للرجل الذي دمر كل شيء أحبته تقريبًا، بدا الأمر أفضل من أي شيء في العالم.

***

لم ترَ المنطاد الأخير ينقض منخفضًا عبر الدخان نحو جيانغ إلا بعد فوات الأوان.

صرخت:

— "انتبه!" لكن دوي المدافع أغرق صوتها.

سقط جيانغ كدمية قطعت خيوطها. اختفت وحوشه. انحرف المنطاد بتردد للخلف، وكأنه يحاول تقييم الضرر قبل أخذ طلقة ثانية. ألقت رأسها للخلف وصرخت نارًا. تيار واحد من اللهب مزق بالون السفينة الهوائية. دارت المقصورة لولبيًا نحو الأرض وانفجرت.

ركضت رين عبر الحطام المتساقط نحو جيانغ.

رقد ساكنًا حيث سقط. ضغطت أصابعها في عنقه. شعرت بنبض، قوي ومصر. جيد. ربتت بيدها فوق جسده، تحاول التحقق من مدى جروحه. لكن لم يكن هناك دم — ملابسه كانت جافة.

لم يكونوا في أمان بعد. انطلقت البنادق حولهم؛ لم ينهِ جيانغ المدفعية الجمهورية.

— "أنهضيه". تجسدت داجي، من العدم على ما يبدو. كانت عيناها جامحتين ومذعورتين؛ وشعرها وملابسها محترقة بالسواد. حشرت يديها تحت إبطي جيانغ ورفعته لوضعية الجلوس. "أسرعي".

سألت رين:

— "ما خطبه؟ إنه حتى ليس..."

هزت داجي رأسها في نفس اللحظة التي تردد فيها صدى إطلاق نار البنادق حولهما. انخفضتا كلتاهما.

همست داجي:

— "بسرعة!"

سحبت رين إحدى ذراعي جيانغ حول كتفها. وأخذت داجي الأخرى. معًا ترنحتا للوقوف وركضتا بحثًا عن غطاء، وجيانغ يتدلى بينهما كمخمور.

بطريقة ما وصلوا دون أذى للحرس الخلفي لـ "التحالف الجنوبي". وقفت فينكا وخط من المدافعين عند قاعدة الجبال، يطلقون النار ردًا على الجمهوريين بينما تجمع المدنيون حول مداخل الأنفاق المسدودة.

— "أوه، الحمد لله، ها أنتم ذا". أسقطت فينكا قوسها لتساعدهم في رفع جيانغ نحو عربة. "هل هو مصاب؟"

— "لا أستطيع التحديد". ساعدت رين داجي في دفع ساقي جيانغ لأعلى العربة. لم يبدُ مصابًا. في الواقع، كان لا يزال واعيًا. سحب ركبتيه لوضعية جلوس مقرفصة، يتأرجح ذهابًا وإيابًا، مطلقًا نوبات من القهقهات المنخفضة والعصبية.

لم تستطع رين النظر إليه. كان هذا خطأ، كان هذا خطأً جدًا. اعتصرت أمعاءها بمزيج من الرعب والعار؛ أرادت التقيؤ.

همس جيانغ فجأة:

— "ريغا". توقف عن القهقهة. جلس ساكنًا تمامًا، وعيناه مثبتتان على شيء لم تستطع رين رؤيته.

تراجعت داجي وكأنها صُفعت.

كررت رين:

— "ريغا؟ ماذا..."

قال جيانغ:

— "إنه هنا". بدأت كتافه ترتجف.

— "إنه ليس هنا". هرب الدم من وجه داجي. بدت مرعوبة. "زيا، استمع إلي..."

همس جيانغ:

— "إنه سيقتلني".

انقلبت عيناه إلى مؤخرة رأسه. ارتجف بقوة لدرجة أن أسنانه اصطكت. ثم تهاوى إلى الجانب ورقد ساكنًا.

الفصل السابع عشر

بدت أنفاق التعدين أقرب إلى المقابر منها إلى طريق للنجاة. بعد أن فجرت رين المداخل بالنار وعدة براميل موضوعة بإحكام من البارود المتفجر، تدفق التحالف الجنوبي في طابور مكتظ من الأجساد عبر ممر لا يتسع إلا لثلاثة رجال يسيرون جنبًا إلى جنب. بدا وكأنه يمتد لأميال. أحاط بهم من كل جانب حجر بارد، وهواء آسن، وسواد حالك يلوح في الأفق وكأنه يطبق عليهم كالكماشة كلما توغلوا أعمق في جوف الأرض.

تعثروا عبر الظلام، يتلمسون جدران النفق وينقرون الأرض أمامهم للتحقق من أي انحدارات مفاجئة. كرهت رين ذلك — أرادت إشعال كل بوصة من جسدها لتتحول إلى قنديل بشري — لكنها علمت أن النار ستخنقهم في أماكن مكتظة كهذه. أراها ألتان ذات مرة، باستخدام حمامة في إناء زجاجي، مدى سرعة التهام النيران للهواء الصالح للتنفس. تذكرت بوضوح ذلك الانبهار النهم في عينيه وهو يراقب عنق الحمامة الصغير ينبض باضطراب، ثم يسكن.

لذا سارت في مقدمة الطابور، تضيء الطريق بلهب صغير يرتعش داخل كف يدها المقوسة، بينما تبعها مؤخرة الصف في ظلام دامس.

بعد ساعة من رحلتهم، بدأ الجنود خلفها يتوسلون للتوقف. أراد الجميع الراحة. كانوا منهكين؛ الكثير منهم كانوا يسيرون بجروح مفتوحة غير مضمدة تقطر دمًا في التراب. جادلوا بأن المناطيد لا يمكنها الوصول إليهم تحت الأرض. بالتأكيد سيكونون بأمان لعشرين دقيقة.

رفضت رين. ربما تكون هي وجيانغ قد دمرا الخطوط الأمامية للجمهورية، لكن نزهة لا يزال حيًا بالتأكيد، وهي لا تثق بأنه سيستسلم. لا بد

أنه طلب تعزيزات منذ فترة طويلة. قد تكون القوات البرية تستعد لدخول الأنفاق بينما هم يسيرون. يمكن لـ نزهة استخدام المتفجرات والغاز السام لطردهم كالفئران الآن، وحينها سيختفي التحالف الجنوبي بصرخات مكتومة تحت الأرض، وسيكون الدليل الوحيد على وجودهم يومًا ما هو عظام متحجرة تُكشف بعد دهور حين تتآكل الجبال.

أمرتهم بالاستمرار حتى يخرجوا من الجانب الآخر. ولدهشتها السارة، أطاعتها القوات دون سؤال. كانت تتوقع سماع القليل من الاعتراض على الأقل — فهي لم تنضم مجددًا لصفوفهم إلا للتو، بلا تفسير أو اعتذار، قبل أن تقحمهم في منطقة حرب دمرتها الآلهة.

لكنها أخرجتهم من "السندان". فعلت ما فشل التحالف الجنوبي في فعله لشهور. في هذه اللحظة، كانت كلمتها أمرًا مقدسًا.

أخيرًا، وبعد ما بدا وكأنه دهر، خرجوا إلى مصادفة طبيعية مذهلة — كهف انشق سقفه عن صدع مسنن في الظلام، كاشفًا السماء في الأعلى. توقفت رين عن المشي وأمالت رأسها نحو النجوم. بعد يوم قضته تحت الأرض تحاول إقناع قلبها المتسارع في كل ثانية بأنها لا تُدفن حية، شعرت وكأنها نجت من الغرق للتو.

هل كانت سماء الليل ساطعة هكذا دائمًا؟

أشار كيتاي إلى حافة صخرية في الجدار المقابل:

— "يجب أن نرتاح هنا."

حدقت رين ورأت درجًا منحوتًا في الصخر — مجموعة ضيقة وشديدة الانحدار من الدرجات، بناها على الأرجح عمال مناجم لم يعودوا لهذه الأنفاق منذ سنوات.

تابع كيتاي:

— "إذا بدأ أي شيء في القدوم عبر تلك الأنفاق، فلدينا طريق للخروج."

قالت رين:

– "حسنًا."

شعرت فجأة بموجة من الإرهاق كان الأدرينالين والخوف يكبحانها حتى الآن. كانت لا تزال خائفة. لكنها لم تستطع دفع نفسها أو الجيش لأبعد من ذلك، وإلا سينهارون.

– "فقط حتى الفجر. نتحرك في اللحظة التي تشرق فيها الشمس."

تردد أنين جماعي من الارتياح عبر الأنفاق حين أصدرت الأمر. وضع الجنوبيون أمتعتهم، وانتشروا عبر الكهف والأنفاق المجاورة له، وبسطوا حصائر النوم على التراب. لم ترد رين شيئًا أكثر من التكور في زاوية وإغلاق عينيها.

لكنها كانت المسؤولة الآن، وكان لديها عمل لتقوم به.

سارت عبر الكتل المتجمعة من الجنود والمدنيين، تحصي الأعداد المتبقية لديها. أشعلت مشاعلهم ودفأتهم بنارها. أجابت بصدق عن كل سؤال طرحوه حول مكان تواجدها – أخبرتهم عن تشولو كوريك، وعودة "التريفيكتا"، واقتحامها لـ "المدينة الجديدة".

وجدت، لدهشتها، عددًا كبيرًا من الوجوه الجديدة ليس من "إقليم القرد" أو "إقليم الديك"، بل من الشمال – معظمهم رجال في مقتبل وشباب العمر يتمتعون بالبنية القوية للعمال.

قالت لـ فينكا:

– "لا أفهم. من أين جاء هؤلاء؟"

أجابت فينكا:

– "إنهم عمال مناجم. أقام الهسبيريون مناجم للتنجستن في جميع أنحاء سلسلة جبال (دابا) بعد استيلائهم على أرلونغ. لديهم آلات حفر تخترق جانب الجبل كما لم ترين من قبل. لكنهم ظلوا بحاجة لأجساد دافئة للقيام بالعمل

الخطر — الزحف إلى الأنفاق، وتحميل العربات، واختبار واجهة الصخر. نزل الشماليون للعمل."

قالت رين:

— "أخمن أن الأمر لم يعجبهم كثيرًا."

— "ماذا تتوقعين؟ لا أحد يفر من وظيفة جيدة لينضم لمتمردين وقطاع طرق. مما سمعته، كانت تلك المناجم جحيمًا. الآلات كانت مصائد للموت. بعض هؤلاء الرجال لم يُسمح لهم برؤية ضوء الشمس لأيام. انضموا فور رؤيتهم لنا قادمين."

استغرق الأمر من رين قرابة الساعتين للتحرك عبر الأنفاق. أراد الجميع التحدث إليها، وسماع صوتها، ولمسها. لم يصدقوا أنها عادت أو أنها لا تزال حية. كان عليهم رؤية نارها بأعينهم.

أكدت لهم مرارًا وتكرارًا:

— "أنا حقيقية. لقد عدت. ولدي خطة."

بسرعة تحول شكهم وارتباكهم إلى دهشة، ثم امتنان، ثم ولاء واضح وراسخ. كلما تحدثت رين إلى القوات، فهمت أكثر كيف مر اليوم الماضي في أذهانهم. كانوا على شفا الإبادة، محاصرين لأسابيع في أنفاق بلا طعام أو ماء كافٍ، ينتظرون موتًا وشيكًا بالرصاص، أو الحرق، أو الجوع. ثم ظهرت رين، عائدةً من الجبل الحجري بخدش بالكاد واثنين من "التريفيكتا" في صحبتها، وقلبت حظوظهم في صباح فوضوي واحد.

بالنسبة لهم، ما حدث للتو كان تدخلًا إلهيًا.

ربما شككوا فيها من قبل. لكن لا يمكنهم التشكيك الآن. لقد أثبتت بما لا يدع مجالًا للشك أن سوجي كان مخطئًا — أن الجمهورية لن ترحمهم أبدًا، وأنها هي أمل الجنوب الأفضل للبقاء. وأدركت رين، وهي تمشي عبر حشود الوجوه المذهولة والممتنة، أن هذا الجيش أصبح أخيرًا ملكها وإلى الأبد.

***

لم يكن جيانغ يتحسن.

استعاد وعيه بعد وقت قصير من وصولهم إلى الكهف، لكنه لم ينطق بكلمة مفهومة منذ ذلك الحين. لم يبدِ أي إشارة على أنه رأى رين وهي تقترب من حصيرة نومه، حيث جلس كطفل ركبتيه مضمومتين إلى صدره. بدا تائهًا في مكان ما داخل نفسه، مكان مضطرب ومرعب، ورغم أن رين استطاعت أن تدرك من ارتعاش فمه وحركة عينيه جيئة وذهابًا أنه يقاتل ليشق طريقه عائدًا، لم تكن لديها أي فكرة عن كيفية الوصول إليه.

قالت:

— "مرحبًا أيها المعلم."

تصرف وكأنه لم يسمعها. عبثت أصابعه بلا وعي بحاشية قميصه. أصبح شاحبًا كالموتى، وعروقه الياقوتية ظاهرة تحت جلده كخطوط مائية.

ركعت بجانبه وقالت:

— "أفترض أنه يجب علينا شكرك."

وضعت يدها على يده، آملة أن يهدئه التلامس الجسدي. سحب يده بعيدًا بعنف. حينها فقط نظر إليها مباشرة. رأت رين الخوف في عينيه — ليس جفلة المفاجأة اللحظية، بل رعبًا عميقًا يعصر العظام ولم يستطع التحرر منه.

قالت داجي:

— "إنه على هذه الحال منذ ساعات."

كانت متكورة بمحاذاة الجدار على بعد عدة أقدام، تقضم شريطًا من لحم الخنزير المقدد.

— "لن تحصلي منه على أي استجابة أخرى. دعيه وشأنه، سيكون بخير."

لم تصدق رين مدى اللامبالاة في صوتها:

— "إنه لا يبدو بخير."

— "سيتجاوز الأمر. لقد مر بهذا من قبل."

– "أنا واثقة أنكِ تعرفين. أنتِ من فعلتِ ذلك به."

عرفت رين أنها كانت قاسية. لكنها قصدت أن تؤذي. أرادت لكلماتها أن تلتوي كالخناجر، لأن تعبير الألم الذي استخرجته على وجه داجي كان المنفذ الوحيد للرعب المربك الذي شعرت به حين نظرت إلى جيانغ.

قالت داجي بصوت قاسٍ:

– "أنا السبب الوحيد لكونه حيًا من الأساس. فعلت ما توجب علي فعله لمنحه الفرصة الوحيدة للسلام التي قد يحصل عليها أبدًا."

نظرت رين مرة أخرى إلى جيانغ، الذي كان الآن منحنيًا، يهمس بترهات في أصابعه الملتفة.

– "وهذا هو السلام؟"

قالت داجي:

– "في ذلك الوقت كان عقله يقتله. أنا أسكتته."

ظهر كيتاي من حول جدار الكهف معلنًا:

– "لدينا مشكلة. عليكِ فعل شيء بشأن سوجي وغوروباي."

أنت رين:

– "تبًا."

لم تلمح سوجي أو غوروباي منذ بدأ الهروب. لم يخطرا حتى ببالها. كانت مأخوذة بنشوة الهروب، وبالهدف الوحيد المتمثل في إنقاذ الجنوب، لدرجة أنها نسيت تمامًا أن ليس الجميع قد يرحبون بعودتها.

تابع كيتاي:

– "إنهما يثيران القلاقل. يخبران قواتهما بضرورة الانفصال بمجرد عثورنا على المخرج. نصلح هذا الليلة، أو سنواجه انشقاقًا أو انقلابًا في الصباح."

قالت داجي:

– "الفتى محق. عليكِ التصرف الآن."

بدأت رين:

– "لكن لا يوجد ما..." ثم استوعب عقلها المنهك أخيرًا ما كانت تلمح إليه داجي. "فهمت."

وقفت.

سأل كيتاي وعيناه تتنقلان بينها وبين داجي:

– "ماذا؟ لم... ماذا تنوين..."

قالت رين:

– "إعدام. الأمر بسيط وواضح. هل تعرف أين هما؟"

رمش كيتاي بذهول من هذا التصعيد المفاجئ:

– "انتظري. هذا لا يعني... أعني، لقد أنقذتِ حياتهما للتو..."

قالت داجي ببطء:

– "هذان الاثنان باعاها للجمهورية دون تفكير. إذا ظننت أنهما لن يخونانكم مجددًا، فأنت أغبى من أن تستحق الحياة."

حدق كيتاي بحدة في رين:

– "هل كانت هذه فكرتها؟"

قالت داجي:

– "إنه الخيار الوحيد لديكم."

سأل كيتاي:

– "هل هكذا حكمتِ؟ بقتل كل من يختلف معكِ؟"

أجابت داجي بلا مبالاة:

– "بالطبع. لا يمكنك القيادة بفعالية حين يكون لديك منشقون بهذا القدر من النفوذ. كان لـ (ريغا) أعداء كثر. أنا و(زيا) تكفلنا بهم لأجله. هكذا أبقينا الجبهة النيكانية متحدة."

– "ذلك لم يدم طويلًا جدًا."

رفعت داجي حاجبًا:

— "هم لم يدوموا طويلًا جدًا. أنا دمت لعشرين عامًا. ولم يكن ذلك باللين."

قالت رين لـ كيتاي:

— "لقد فعلنا هذا من قبل. (ما ليين)..."

قاطعها كيتاي بحدة:

— "(ما ليين) كان على فراش الموت. وذلك كان مختلفًا. كنا نعمل من نقطة ضعف حينها، لم تكن لدينا خيارات أخرى..."

قالت رين:

— "ليس لدينا خيارات أخرى الآن. قد تطيعني الصفوف في الوقت الحالي، لكن ذلك الولاء ليس مستدامًا. ليس حيث نحن ذاهبون. وغوروباي وسوجي ذكيان جدًا. يتمتعان بجاذبية طاغية بطريقة لن أمتلكها أبدًا، ومع الوقت والمساحة سيجدان طريقة للإطاحة بي."

جادل كيتاي:

— "هذا ليس محتومًا. بصرف النظر عن الأخطاء، هما قائدان جيدان. يمكنك العمل معهما."

كانت حجة ضعيفة، واستطاعت رين أن تدرك أنه يعرف ذلك. عرفوا جميعًا أن هذه الليلة يجب أن تنتهي بالدم. لم تستطع رين الاستمرار في تقاسم السلطة مع تحالف تحدّاها، وعرقلها، وخانها عند كل منعطف. إذا كانت ستقود الجنوب، فعليها أن تفعل ذلك برؤيتها الخاصة. وحيدة وبلا معارضة.

توقف كيتاي عن المحاولة. كلاهما عرف أنه لا يوجد شيء يمكنه قوله. كان لديهم خيار واحد فقط؛ وكان هو أذكى من ألا يراه. قد يكرهها لهذا، لكنه سيسامحها، كما فعل دائمًا. كان عليه دائمًا مسامحتها بدافع الضرورة.

سحبت داجي سكينها بهدوء من غمده وسلمته لـ رين من جهة المقبض.

قالت رين:

– "لا أحتاج لذلك."

قالت داجي:

– "الأنصال أكثر هدوءًا. النار تسبب عذابًا. وأنتِ لا تريدين لصرخاتهم أن تزعج النائمين."

***

تعاملت رين مع "أمير حرب القرد" أولًا.

كان غوروباي يعلم بقدومها. كان يقف في الأنفاق مع ضباطه، الأشخاص الوحيدين في الكهف الذين لم يبدوا نائمين. كانوا يتناقشون بهدوء حول شيء ما. صمتوا حين رأوها تقترب، لكنهم لم يتحركوا نحو أسلحتهم.

قال غوروباي:

– "اتركونا."

غادر ضباطه دون كلمة أخرى. أبقوا رؤوسهم منخفضة وهم يمرون؛ لم يمنح أي منهم رين ولو نظرة وداع.

قال غوروباي لـ رين:

– "إنهم جنود جيدون. ليس لديك سبب لإذائهم."

أجابت:

– "أعرف. لن أفعل."

وكانت تعني ذلك. بدون غوروباي لقيادتهم، لم يكن لدى أي من ضباطه سبب لخيانتها. كانت تعرف هؤلاء الرجال. لم يكونوا طلاب سلطة طامحين؛ كانوا جنودًا أكفاء وذوي عقول عقلانية. كانوا يهتمون بالجنوب، وعرفوا الآن أنها فرصتهم الأفضل للبقاء.

تأملها غوروباي للحظة وسأل:

– "هل ستحرقينني؟"

سحبت السكين التي أعطتها إياها داجي:

– "لا. أنت تستحق أفضل من ذلك."

رفع غوروباي ذراعيه في الهواء. لم يمد يده لسلاح. أدركت رين أنه استسلم لمصيره. لم تبقَ فيه رغبة للقتال. لقد خسر بشكل كامل. حوصر في الجبال وتم تجويعه من قبل جنرال صبي، ثم كان خلاصه الوحيد هو "السبيرية" التي ظن أنه باعها لعدوه. لو نجحت مقامرته، لو حافظ فايسرا والجمهورية على كلمتهم، لكان غوروباي قد أصبح بطلًا قوميًا. منقذ الجنوب.

لكن ذلك لم يحدث، لذا سيموت كخائن موصوم بالعار. هكذا كانت أهواء التاريخ قاسية.

قال غوروباي:

– "أنتِ أسوأ شيء حدث لهذا البلد."

لم يحملَ صوته غضبًا أو سبابًا، مجرد استسلام. لم يكن يحاول إيذاءها. كان يدلي بشهادته الأخيرة.

– "هؤلاء الناس يستحقون أفضل منكِ."

قالت:

– "أنا بالضبط ما يستحقونه. هم لا يريدون السلام، يريدون الانتقام. وأنا هو."

– "الانتقام لا يصنع أمة مستقرة."

ردت:

– "ولا الجبن يفعل. هذا حيث فشلت. كنت تقاتل فقط من أجل البقاء يا غوروباي. أنا كنت أقاتل للفوز. والتاريخ لا يحابي الاستقرار، بل يحابي المبادرة."

وجهت النصل نحو قلبه ودفعت يدها للأمام في حركة واحدة سريعة وسلسة. جحظت عيناه. سحبت النصل وتراجعت للخلف قبل لحظة من انهياره، ممسكًا بصدره.

لقد صوبت بشكل سيئ. عرفت ذلك بمجرد أن شعرت بالنصل يلامس الجسد. كانت يدها اليسرى خرقاء وضعيفة؛ لم تثقب قلبه بل بوصة تحته. لقد وضعته في ألم مبرح، لكن قلبه لن يتوقف عن النبض حتى ينزف بالكامل.

تلوى غوروباي عند قدميها، لكنه لم يصدر صوتًا واحدًا. لا صرخات، لا أنين. احترمت ذلك.

قالت:

– "كنت لتكون قائدًا رائعًا في وقت السلم."

لقد كان صادقًا معها؛ يجدر بها منحه الشيء ذاته في المقابل.

– "لكننا لا نحتاج للسلام الآن. نحتاج للدم."

دوت خطوات خلفها. استدارت، ثم استرخت – كان مجرد كيتاي. تقدم ووقف فوق جسد غوروباي الصامت والمختلج، وفمه ملتوٍ باشمئزاز.

قال:

– "أرى أنك بدأتِ بدوني."

– "لم أظن أنَك ترغب في المجيء."

شعر صوتها منفصلًا عن جسدها. ارتجفت يدها وهي تشاهد دم غوروباي يتجمع فوق الأرضية الحجرية. جسدها بالكامل كان يرتجف؛ استطاعت سماع اصطكاك أسنانها في جمجمتها. سجلت رد الفعل الفسيولوجي هذا بفضول بعيد ومذهول.

ما الخطب معها؟

شعرت بنفس هذه النشوة العصبية حين قتلت (ما ليين). وحين قتلت الكاهن في "أراباك". في المرات الثلاث قتلت ليس بالنار، بل بيدها. كانت قادرة على قسوة كهذه، حتى بدون قوة "العنقاء"، وذلك أسعدها وأخافها في آن واحد.

أمسك غوروباي بكاحل كيتاي، مختنقًا. خرج الدم فقاعات من فمه.

قال كيتاي:

– "لا تكوني قاسية يا رين."

أخذ السكين من يدها، وركع فوق غوروباي، ومرر الطرف الحاد على طول الشريان في عنقه. رُش الدم على جدار الكهف. انتفض غوروباي انتفاضة أخيرة وعنيفة، ثم توقف عن الحركة.

***

أمسكت رين بـ سوجي بينما كان يحاول الفرار.

شخص ما في معسكر غوروباي حذره ليركض. كانوا متأخرين جدًا. بحلول الوقت الذي وصل فيه سوجي و"الذئاب الحديدية" إلى المخرج الغربي للكهف، كانت رين تنتظر بالفعل في النفق.

لوحت له:

— "ذاهب إلى مكان ما؟"

تعثر سوجي وتوقف. اختفت ابتسامته الواثقة المعتادة، وحلت محلها نظرة يائسة وخطيرة لذئب محاصر.

زمجر:

— "ابتعدي عن طريقي."

رسمت رين بإصبع سبابتها عبر الهواء. تقوست تيارات عفوية من اللهب من طرف إصبعها ورقصت على طول جدران النفق.

قالت:

— "كما ترى، لقد استعدت ناري."

سحب سوجي سيفه. لدهشة رين، لم يحذُ "الذئاب الحديدية" حذوه. لم يكونوا محتشدين خلف سوجي كأتباع مخلصين. لا — لو كانوا مخلصين، لكانوا انضموا إليه في الهجوم بالفعل.

بدلًا من ذلك تراجعوا، منتظرين.

قرأت رين النظرات في عيونهم — تعبيرات متطابقة من شكٍ محسوب — وخاطرت بمقامرة جامحة.

أمرت:

– "جردوه من سلاحه."

أطاعوا فورًا.

اندفع سوجي نحو رين. سحبه "الذئاب الحديدية" للخلف. اثنان أجبراه على الركوع. وواحد انتزع النصل من يديه ورماه عبر النفق. الثالث جذب رأسه للخلف ليُجبر على النظر لأعلى نحو رين.

صرخ سوجي:

– "ما الذي تفعلونه بحق الجحيم؟ اتركوني!"

لم ينطق أي من "الذئاب الحديدية" بكلمة.

قالت رين:

– "أوه، يا سوجي."

سارت نحوه وانحنت لتشعث شعره. عض مثل كلب، لكنه لم يستطع الوصول لأصابعها.

– "ماذا ظننت أنه سيحدث؟"

دق قلبها بعدم تصديق منتشٍ. سار هذا بسلاسة رائعة وسخيفة؛ لم تكن لتتخيل نتيجة أفضل.

ربتت على رأسه:

– "يمكنك التوسل الآن، إن أردت."

بصق كتلة من اللعاب على صدرها. سددت مقدمة حذائها بقوة في معدته. تهاوى إلى الجانب.

أمرت رين:

– "أفلتوه."

ترك "الذئاب الحديدية" سوجي ينهار على الأرض. استمرت هي في الركل.

لم توحش به كما فعل بها. أبقت ركلاتها محصورة في أحشائه، وفخذيه، ومنطقته الحساسة. لم تهدف لكسر ضلوعه أو ركبتيه — لا، احتاجته قادرًا على الوقوف أمام حشد.

لكن سماع اللهاثات الأنثوية الصغيرة تهرب من حلقه كان شعورًا جيدًا. أبقى تلك النشوة العصبية تضخ عبر عروقها.

لم تصدق أنها فكرت ذات مرة، ولو للحظة، في النوم معه. فكرت في وزن ذراعه حول خصرها، وحرارة أنفاسه ضد أذنها. ركلت بقوة أكبر.

لهث سوجي:

— "أيتها العاهرة."

هدلت:

— "أحب الطريقة التي تتحدث بها إلي."

حاول أن يهسهس بإهانة أخرى، لكنها صدمت قدمها في فمه. شعرت بأصابع قدمها تشق شفته ضد أسنانه. لم يسبق لها أن شوهت خصمًا بقوة غاشمة محضة. فعلت ذلك كثيرًا بالنار، بالطبع. لكن هذا كان نوعًا مختلفًا من الرضا، مثل المتعة التي استمدتها من سماع تمزق القماش.

تعجبت من مدى هشاشة الأجساد البشرية. ناعمة جدًا. مجرد لحم على عظم.

كبحت نفسها عن تهشيم جمجمته. احتاجت وجه سوجي سليمًا. محطمًا، ربما، لكن يمكن التعرف عليه.

كانت هي وكيتاي قد قررا عدم قتله الآن. كان يجب أن يكون موته عرضًا علنيًا، مشهدًا يضفي الشرعية على سلطتها ويحول استيلاءها على الحكم من سر مفضوح إلى حقيقة معترف بها عالميًا.

داجي، التي فعلت هذا النوع من الأشياء كثيرًا، شددت على أهمية الإعدام الاستعراضي.

قالت لها: لا تدعيهم يخافون فقط. اجعليهم يعرفون.
أمرت رين "الذئاب الحديدية":
— "قيدوه."
كانت تعلم، بيقين، أنها تستطيع الوثوق بهم. لا أحد يريد أن يحترق.
— "احرسوه في نوبات خلال الليل. سننهي هذا في الصباح."

***

عند الفجر، وقفت رين في وسط الكهف، تمامًا تحت شعاع الشمس الوحيد الذي اخترق السقف الحجري المتصدع. كانت تدرك كم بدا هذا رمزيًا بشكل سخيف — الطريقة التي لمع بها جلدها مثل البرونز المصقول، وكيف كانت هي الشخصية الأكثر سطوعًا في الظلام. لم يهم أن الحشد المتفرج كان يعرف أن هذا مدبر. هذه الصورة ستنحفر في أذهانهم إلى الأبد.

ركع سوجي بجانبها، ويداه مقيدتان خلف ظهره. طقطق الدم الجاف فوق كل بوصة من جلده المكشوف.

قالت:

— "ربما تساءلتم أين كنت في الأشهر الماضية. ولماذا اختفيت بعد الهجوم على تيكاني."

أشارت إلى رأس سوجي المنحني. لم يتحرك؛ كان نصف واعيًا فقط.

— "هذا الرجل نصب لي كمينًا وأرسلني إلى تشولو كوريك لأتعفن. لقد خانني للمارشال الشاب. وخانكم جميعًا."

كان الكهف صامتًا لدرجة أن الصوت الوحيد الذي سمعته رين ردًا على ذلك كان صدى كلماتها.

كان الحشد معها. استطاعت رؤية ذلك في التجهم المرسوم على وجوههم والبريق الغاضب البارد في عيونهم. كل شخص في هذا الكهف أراد رؤية سوجي يموت.

ركلت رين ظهر سوجي بقوة، فترنح للأمام وأطلق أنينًا مكتومًا. لم يستطع التحدث دفاعًا عن نفسه؛ كان فمه محشوًا بالقماش.

— "هذا الرجل حاصركم في السندان. حاول قتل الشخص الوحيد الذي يمكنه إنقاذكم. لماذا؟ لأنه كان غيورًا. (يانغ سوجي) لم يطق رؤية سبيرية تقود رجاله. احتاج لتولي المسؤولية بنفسه. أراد امتلاك التحالف الجنوبي."

لم تكن تعرف من أين تأتي كلماتها، لكنها تدفقت بسهولة سخيفة. شعرت وكأنها ممثلة مسرحية، تتلو سطورًا من مسرحية كلاسيكية، كل جملة درامية تُلقى بصوت عميق وقوي لا يشبه صوتها في شيء.

متى تعلمت التمثيل هكذا؟ في أعماقها، كان جزء منها خائفًا من أن القناع قد يسقط في أي دقيقة، وأن صوتها سيتلعثم، وسيرونها جميعًا على حقيقتها: الفتاة المرعوبة.

فكرت: أدّي الدور. كانت تلك نصيحة داجي أيضًا. عليكِ فقط ارتداء هذا الجلد لفترة كافية حتى يصبح قطعة منكِ.

أعلنت:

— "التحالف الجنوبي انتهى الآن."

قوبلت كلماتها بصمت مطبق. لم يرد أحد. انتظروا.

رفعت صوتها:

— "(يانغ سوجي) وأمير حرب القردة دليلان على فشل سياسات التحالف. كادا يدمرانكم بقتالهما الداخلي. لم تكن لديهم استراتيجية. خاناني وقاداكم للضلال. لكنني عدت. أنا تحريركم. والآن، أنا وحدي سأتخذ القرارات لهذا الجيش. هل يعترض أحد؟"

بالطبع لم يعترض أحد. كانت تملكهم في راحة يدها. كانت سبيريتهم، ومنقذتهم، والوحيدة التي أنقذتهم مرة تلو الأخرى من موت محقق.

— "جيد."

أشارت للأسفل نحو سوجي. عرفت أن لا أحد سيحاول حمايته. لم ينطق شخص واحد دفاعًا عنه. لم يكونوا يراقبون ليروا ما إذا كانت ستقتله. كانوا يراقبون ليروا كيف ستفعل ذلك.

— "هذا ما يحدث لمن يعصاني."

نظرت إلى أحد "الذئاب الحديدية".

— "أزل الكمامة."

تقدم "الذئب الحديدي" وسحب الخرقة المتكتلة من فم سوجي. ترنح سوجي للأمام، يلهث.

ضغطت رين بطرف سكينها تحت ذقنه وأجبرت نظره للأعلى نحو الحشد.

— "اعترف بخطاياك."

زمجر سوجي وتمتم بشيء غير مفهوم.

دفعت رين النصل بقوة أكبر قليلًا ضد لحم سوجي، تراقب بمتعة بينما اهتز حلقه بتوتر ضد الفولاذ.

قالت بنعومة:

— "كل ما عليك فعله هو الاعتراف. ثم ينتهي كل هذا."

لم يرد كيتاي منها إجبار الاعتراف. ظن كيتاي أن سوجي سيتمرد ويهاجم لفظيًا، وأن كلماته المحتضرة قد تضرها فقط. لكن رين لم تستطع ترك سوجي يموت بكرامته، لأنه حينها قد يجد منتقدوها عزاءً في ذكراه.

كان عليها أن تمحوه. علمت رين أن خيانته لم تكن قراره وحده — كل شخص في هذا الكهف كان متواطئًا بشكل ما في غدره. لكنها لم تستطع إعدامهم جميعًا. كان يجب أن يكون سوجي كبش الفداء. جسده كان يجب أن يتحمل عبء ذنب الجميع. هذا الانتقال في القيادة تطلب تطهيرًا علنيًا، وكان سوجي خروفه المضحى به.

نكزته بالسكين نكزة أخرى. تجمعت قطرات الدم على الطرف.

— "اعترف."

قال سوجي بصوت أجش:

— "لم أفعل شيئًا."

قالت:

— "لقد بعتني لـ نزهة. وحاصرتهم في هذا الجبل ليموتوا."

لم يكن ذلك صحيحًا تمامًا. لم يقصد سوجي سوى حماية الجنوب. حسب علمها، اتخذ سوجي أفضل القرارات الاستراتيجية الممكنة نظرًا لتفوق الجمهورية الساحق. بالتأكيد ظن سوجي أنه السبب الوحيد لبقاء التحالف الجنوبي طوال هذه المدة. ربما كان محقًا حتى.

لكن المنطق لم يكن له مكان في هذه الطقوس. الغضب والاستياء هما السيدان هنا.

طالبت:

— "قلها. لقد بعتني. لقد خنتهم."

استدار ليواجهها:

— "أنتِ تنتمين لذلك الجبل، أيتها العاهرة."

ضحكتَ فقط. لم تهاجم باللهب، مهما كان ذلك مغريًا. كان عليها الحفاظ على قناع من الهدوء اللامبالي لتفاقم الفرق بينهما — هو الذئب الغاضب، النابح، المحاصر، وهي الصوت الجليدي للسلطة التي لا تتزعزع.

كررت بثبات:

— "لقد بعتني. لقد خنتهم."

قال سوجي:

— "كنتِ ستقودينهم إلى حتفهم. فعلت ما توجب علي فعله لإنقاذهم منكِ."

التفتت رين للحشد:

– "إذن لندع الناس يقررون. هل يظن أحد أن هذا الرجل أنقذكم؟"
مرة أخرى، لم يتحدث أحد.
رفع سوجي صوته ليخاطب الحشد، وتكسر صوته بالخوف:
– "نزهة أخبرني أنه يريد السبيرية فقط. لقد وعد أن هذا كل ما يتطلبه الأمر، قال..."
تحدثت رين فوق صوته:
– "هل يصدق أحد أن هذا الرجل كان غبيًا بما يكفي لارتكاب خطأ بسيط كهذا؟"
كان التلميح واضحًا. لقد اتهمت سوجي للتو بالعمالة. كانت هذه كذبة بالطبع، لكنها لم تكن بحاجة لإظهار دليل. لم تكن بحاجة حتى لتقديم حجة حقيقية. كل ما كان عليها فعله هو التلميح. سيقبل هؤلاء الناس أي رواية تعطيهم إياها لأنهم أرادوا تغذية غضبهم. لقد صدر الحكم قبل أن تبدأ المحاكمة.
أشارت رين إلى سوجي كصياد يشير إلى فريسة لقطيع من الكلاب.
– "أروه. أروه ما يفعله الجنوب بخونته."
تراجعت للخلف. ساد صمت قصير ومترقب. ثم اندفع الحشد للأمام، واختفى سوجي تحت كتلة من الأجساد.
لم يضربوه فحسب. بل مزقوا لحمه. لا بد أنه صرخ، لكن رين لم تستطع سماعه. لم تستطع رؤيته أيضًا؛ التقطت فقط لمحات باهتة من الدم يلمع خلال الحشد. كان أمرًا لا يصدق، حقًا، مدى سهولة أن تتمكن كتلة من الرجال والنساء الضعفاء وشبه الجوعى معًا من انتزاع أطراف كاملة من جذع. رأت قطعًا من زي سوجي تطير في الهواء. وتحت أقدام الحشد تدحرج ما بدا وكأنه مقلة عين.
لم تنضم إليهم. لم تكن مضطرة لذلك.
تحول وجه كيتاي إلى لون رمادي مريض:

– "هذه فوضى. هذا خطير."
قالت رين:
– "ليس بالنسبة لنا."
كان هذا عنفًا، لكنه لم يكن فوضى. كان هذا الغضب مسيطرًا عليه تمامًا، ومضبوطًا بدقة، وموجهًا، موجة هائلة من القوة لا يمكن لأحد غيرها التحكم بها. ولم يكن وقوده الاستياء تجاه سوجي فحسب. بمعنى ما، لم تكن هذه المذبحة تتعلق بـ سوجي على الإطلاق. كان هذا عرضًا لتغيير الولاء، اعتذارًا شنيعًا من قبل أي شخص تحدث ضدها من قبل. كانت هذه أضحية دم لرمز جديد.

وإذا كان أي شخص لا يزال يشك في قيادتها، فإن الصراخ سيضرب الخوف عميقًا في قلوبهم على الأقل. أي شخص على الهامش يفهم الآن ثمن المعارضة. سواء بالحب أو الكراهية، العشق أو الخوف، ستمتلكهم بطريقة أو بأخرى.

التقت عين داجي، الواقفة في الطرف البعيد من الحشد، بعين رين وابتسمت.

كان قلب رين يدق بقوة لدرجة أنها بالكاد استطاعت السمع.

فهمت ما كانت تعنيه داجي الآن. يمكنها تحقيق الكثير بمجرد استعراض بسيط للقوة. كل ما عليها فعله هو أن تصبح التجسد الرمزي للسلطة والتحرير، ويمكنها قتل رجل بمجرد الإشارة إليه. يمكنها جعل هؤلاء الناس يفعلون أي شيء.

لديكِ إله في صفك. تريدين هذه الأمة؟ خذيها.

تدريجيًا توقف الهيجان. تفرق الحشد من وسط الكهف كقطيع ذئاب يتراجع حين ينفد اللحم وتُنظف العظام.

كان سوجي ميتًا منذ فترة. ليس ميتًا فحسب — بل ممثلًا به، جثته مدنسة تمامًا لدرجة لم يبقَ جزء واحد يبدو بشريًا بشكل يمكن التعرف عليه. دمر الحشد جسده وبفعلهم ذلك أظهروا رفضهم لكل ما دافع عنه — مزيج ماكر من مقاومة العصابات والسياسة الذكية التي، في ظروف مختلفة، ربما كانت لتنجح. في ظروف مختلفة، ربما كان (يانغ سوجي) ليحرر الجنوب.

لكن هكذا سقطت أهواء القدر. مات سوجي، وتم تحويل ضباطه، واكتمل الاستحواذ.

الفصل الثامن عشر

كانت تربة الكهف صلبة وعصية على حفر قبر، لذا كومت رين وكيتاي رفات غوروباي وسوجي معًا في هرم فوضوي وسط الكهوف، وأغرقاها بالزيت، ووقفا بعيدًا لمشاهدتها تحترق.

استغرق الأمر قرابة النصف ساعة لتتلاشى الجثث. أرادت رين تسريع العملية بنيرانها الخاصة، لكن كيتاي لم يسمح لها؛ أصر على أن يقفا وقفة حداد أمام المحرقة بينما يتابع الجنوبيون مسيرهم دونهما. وجدت رين في ذلك مضيعة هائلة للوقت، لكن لم يكن بالإمكان ثني كيتاي. كان يعتقد أنهما مدينان بهذا لضحاياهما، وأنه بخلاف ذلك ستبدو رين كقاتلة متجردة من المشاعر بدلًا من قائدة حقيقية.

بعد عشرين دقيقة، بدا واضحًا أنه ندم على قراره. تحول لون وجنتيه إلى الرمادي؛ وبدا وكأنه يوشك على التقيؤ.

سأل:

— "أتعرفين ما الذي لن أتجاوزه أبدًا؟"

— "ماذا؟"

— "الرائحة تشبه لحم الخنزير كثيرًا. إنها تجعلني جائعًا. أعني... لا أستطيع الأكل الآن حتى لو حاولت، لكن لا يمكنني منع لعابي من السيلان. هل هذا مقزز؟"

قالت رين، وهي تشعر بارتياح سري:

— "ليس مقززًا. ظننت أنني الوحيدة التي تشعر بذلك".

لكنها كانت قادرة على الأكل الآن، حتى وهي جالسة أمام الجثث. لم تأكل منذ ظهيرة اليوم السابق، وكانت تتضور جوعًا. كان لديها حصة من جذور "شانيو" المجففة في جيبها، لكن بدا من الخطأ مضغها بينما لا يزال الهواء يطقطق برائحة اللحم المشوي. فقط عندما انكمشت الجثث إلى كتل سوداء حالكة وأصبحت رائحة الهواء فحمًا لا لحمًا، شعرت بالراحة الكافية لإخراج طعامها. مضغت ببطء رقائق الجذر التي تشبه العملات المعدنية، تحرك لسانها حول القطع النشوية حتى لينها لعابها بما يكفي لبلعها، بينما تحولت البقايا الأخيرة لـ سوجي وغوروباي إلى عظام ورماد.

ثم نهضت وانضمت لجيشها في مسيرهم.

بعد خروجهم من الجانب الآخر لأنفاق المناجم، واصلوا السير بمحاذاة الغابة والجبل خلف ظهورهم. أخبرت الجنوبيين أنهم يتحركون شمالًا لملاقاة "حاكم الكلب" ومتمرديه لتشكيل آخر معقل منظم ضد الجمهورية متبقٍ في الإمبراطورية. سيكون حالهم أفضل بدمج أعدادهم. لم تكن تكذب. كانت تنوي طلب مساعدة "حاكم الكلب". إذا كانت الشائعات صحيحة بأنه يملك سيوفًا ورجالًا، فستكون حمقاء إذا تجاهلتهم.

لكنها لم تخبر أحدًا سوى كيتاي عن خطتهم لتسلق "جبل تيانشان".

تعلمت الآن أنه يجب عليها دائمًا افتراض وجود جاسوس للجمهورية في صفوفها. انقلاب "حاكم القرد" أثبت تلك النقطة. آخر ما أرادته هو أن يغير الهسبيريون على "جبل تيانشان" قبل وصولها إليه.

كما أنها حجبت الحقيقة لسبب أكثر جوهرية. كانت بحاجة لجنودها ليؤمنوا بأنهم مهمون. وأن دماءهم وعرقهم هي الأشياء الوحيدة التي يمكنها تدوير عجلات التاريخ. كانت تنوي كسب هذه الحرب بالشامانات، نعم، لكنها لا تستطيع الحفاظ على قبضتها على البلاد دون قلوب الناس. ولهذا احتاجت منهم أن يؤمنوا بأنهم هم من يكتبون سيناريو الكون. لا الآلهة.

كانت السماوات فوقهم صافية وصامتة. نزهة ومناطيده توقفوا في الوقت الحالي، وربما لأجل غير مسمى. لم تعرف رين كم ستدوم فترة السماح هذه، لكنها لم تكن لتجلس وتنتظر انقضاءها.

كانت أعصابها متوترة وهم يتحركون على طول التلال. قواتها كانت مكشوفة وعرضة للخطر للغاية، وتحركوا بوتيرة بطيئة ومحبطة. لم يكن ذلك بسبب سوء الانضباط. فجنودها، الذين أضعفتهم بالفعل أشهر من الحصار، كانوا مثقلين بالعربات التي تحمل ترسانات الأسلحة، والمعدات الطبية، وما تبقى من إمداداتهم الغذائية الشحيحة. والمطر الذي لا يرحم، والذي بدأ بعد الظهر كرذاذ وسرعان ما تحول إلى صفائح سميكة وثقيلة، حول طرقهم إلى لا شيء سوى وحل يمتد لأميال.

قال كيتاي:

— "لن نقطع عشرة أميال اليوم بهذا المعدل. علينا التخفف من الأحمال".

لذا أعطت رين الأمر بالتخلص من أكبر قدر ممكن من الإمدادات التي يمكنهم تحمل خسارتها. الطعام والدواء كانا لا يقدران بثمن، لكن كل شيء آخر تقريبًا وجب ذهابه. اختار الجميع غيارين من الملابس وتخلصوا من الباقي، ومعظمها سترات صيفية خفيفة لن توفر أي حماية من ثلوج الجبل. تخلصوا أيضًا من العديد من أسلحتهم وذخائرهم — ببساطة لم يكن لديهم الرجال لمواصلة جر الأقواس المثبتة، وصناديق مسحوق النار، والدروع الاحتياطية التي سحبوها طوال الطريق من رويجين.

كرهت رين ذلك. كرهوا جميعًا ذلك. مشهد كل هذا الهدر المحض كان لا يُطاق؛ كان مؤلمًا مشاهدة الأسلحة مكدسة في أكوام جاهزة للحرق فقط كي لا تتمكن الجمهورية من العثور عليها وإعادة استخدامها.

قالت داجي لـ رين:

— "عندما تبدأ المعارك النهائية، لن يتوقف الأمر على السيوف والرماح. مصير هذه الأمة يعتمد على مدى سرعة وصولنا إلى جبل تيانشان. الباقي غير ذي أهمية".

تسارعت وتيرة مسيرهم بشكل ملحوظ بعد أن تخلصوا من مؤنهم. لكن بعد فترة وجيزة، تحول المطر من زخات غزيرة إلى طوفان عنيف وجارف لم يظهر أي علامات على التوقف طوال فترة ما بعد الظهر. أصبح الوحل كابوسًا. في أجزاء من الطريق، خاضوا عبر طين أسود وصل حتى كواحلهم. أحذيتهم القطنية والقشية المهترئة لم تستطع منعه؛ لم يكن أي منهم يرتدي ملابس مناسبة لمثل هذا المناخ الرطب.

دخل عقل رين في دوامة ذعر وهي تفكر في العواقب. وحل كهذا لم يكن مجرد إزعاج، بل كان تهديدًا خطيرًا لصحة جيشها. قلة منهم امتلكوا أحذية جلدية؛ على الأرجح سيصابون جميعًا بالتهابات. ثم ستتعفن أصابع أقدامهم وتسقط، وسيضطرون للجلوس على جانب الطريق ليموتوا لأنهم لا يستطيعون مواصلة المشي. وإذا نجوا من التهابات القدم، فقد لا يزالون يصابون بالغرغرينا من الجروح التي أصابتهم عند كسر الحصار، لأنه لم يكن هناك ما يكفي من الإمدادات الطبية للجميع. أو قد يتضورون جوعًا ببساطة، لأنه لم تكن لديها فكرة كيف سيبحثون عن الطعام في مثل هذه الارتفاعات العالية، أو...

تسارعت أنفاسها. وغامت رؤيتها. شعرت بدوار شديد لدرجة أنها اضطرت للتوقف عن المشي للحظة والتنفس، ويدها السليمة الوحيدة تضغط على صدرها النابض.

بدأت ضخامة هذه الرحلة تتسرب إليها. الآن بعد أن تلاشى أدرينالين الصباح، الآن وقد توقفت عن الترنح من المزيج المسكر للثقة المجنونة والبهجة الثملة، بدأت تفهم مخاطر المسار الذي رسمته للجنوبيين.

وكان من المرجح جدًا أنهم جميعًا سيموتون.

الخسائر الفادحة كانت حتمية. بقاؤهم كان غير مؤكد. إذا غامروا بالمضي قدمًا، فقد يمحون أنفسهم من التاريخ تمامًا وكأنهم لم يوجدوا قط.

لكن إذا بقوا حيث هم، سيموتون. وإذا فاوضوا للاستسلام، سيموتون. وإذا جربوا حظهم الآن ضد نزهة، ثلاثة شامانات وجيش ضعيف ضد القوة العسكرية المشتركة للجمهورية والغرب، سيموتون. لكن إذا وصلوا إلى جبل تيانشان، إذا استطاعوا إيقاظ "إمبراطور التنين"، فإن ساحة اللعب ستصبح مختلفة جدًا جدًا.

قد تكون هذه نهاية قصتهم أو بداية فصل مجيد. ولم يكن لدى رين خيار الآن سوى سحبهم عبر سلسلة الجبال بأسنانها.

***

كان الطقس، لا المناطيد، هو ما أثبت بسرعة أنه عقبتهم الكبرى. صعدوا سلسلة باولي في منتصف ذوبان الجليد في أواخر الصيف، وذلك يعني ذلك سيول أنهار هادرة، وطرقًا زلقة بالوحل، وزخات مطر استمرت لأيام في المرة الواحدة. عند عدة معابر وصل الوحل إلى خصورهم، ولم يتمكنوا من المضي إلا بعد قطع جذوع الخيزران وبناء جسر مؤقت حتى لا تغوص عربات الإمداد، على الأقل، تحت السطح.

في الليل بحثوا عن مأوى في الكهوف إن وجدوا، لأنها وفرت درعًا ضد المطر والتهديد الدائم للغارات الجوية. لكن، كما اكتشفت رين بسرعة، لم توفر أي حماية ضد الحشرات والهوام — أعشاش عناكب منتفخة، وثعابين صغيرة متكدسة معًا في كرات مروعة ومتلوية، وجرذان حادة الأسنان بحجم قطط المنازل تقريبًا. الطريق الذي اختاروه كان نادرًا ما يسلكه البشر لدرجة أن الآفات بدت وكأنها ضاعفت أعدادها لتعويض ذلك.

في إحدى الأمسيات كانت رين قد وضعت لتوها فراش نومها عندما هرول عقرب بطول كفها نحوها، وذيله متأهب، وإبرته تلوح جيئة وذهابًا في الهواء. تجمدت، خائفة جداً من الصراخ.

ارتطم سهم بالتراب على بعد بوصات فقط أمام العقرب. هرول العقرب للخلف واختفى في شق في جدار الكهف.

خفضت فينكا قوسها:

— "أنتِ بخير؟"

زفرت رين. شعر رأسها بخفة تدعو للدوار.

— "نعم. يا للسلحفاة العظيمة اللعينة".

أخرجت فينكا كيسًا من جيبها وناولته لـ رين:

— "احرقي بعض الخزامى وزيت (التونغ). ثم افركي البقايا على جلدكِ. إنها تكره الرائحة".

أحرقت رين الخليط في كفها وفركته حول عنقها.

— "متى اكتشفتِ ذلك؟"

— "كانت الأنفاقَ عند (السندان) تعج بتلك الأشياء". قالت فينكا. "لم نعرف بالأمر إلا بعد أن استيقظ اثنان من الجنود متورمين ومختنقين، وحينها بدأنا النوم في نوبات وتنظيف الجدران بالبخور كل مساء. آسفة بشأن ذلك. كان يجب أن يحذرك أحد".

— "شكرًا على أية حال". عرضت رين يدها على فينكا. كشطت فينكا المرهم المتبقي من جلد رين وربتت به حول عظام ترقوتها. ثم وضعت حصيرتها بجوار حصيرة رين، وجلست، وضغطت بكفيها على صدغيها.

أنت قائلة:

— "لقد كان أسبوعًا لعينًا".

انضمت إليها رين على الفراش:

— "أجل".

للحظة جلستا بجانب بعضهما في صمت، تتنفسان ببطء، وتراقبان الشقوق في الجدار تحسبًا لعودة العقرب. كان الكهف ضيقًا وباردًا ببرودة تنخر العظام، لذا ضغطتا جسديهما ببعضهما بقوة، واختلطت أنفاسهما الضبابية في الهواء الجليدي.

كان شعورًا جيدًا أن تكون فينكا بجانبها مجددًا. فكرت رين، مضحك كيف يتغير الناس. لم تكن لتحلم أبدًا بأن فينكا — سرينغ فينكا، السينغاردية الجميلة والمدللة التي تحولت لمحاربة شرسة ونحيلة — ستصبح مصدرًا للراحة كهذا.

ذات مرة، منذ وقت ليس ببعيد، كرهت كل منهما الأخرى بتلك الحدة الخاصة التي لا تستطيع استجماعها سوى فتيات المدارس. اعتادت رين صر أسنانها كلما سمعت صوت فينكا العالي والمشاكس، واعتادت تخيل اقتلاع عيني فينكا بأظافرها. كانتا لتتعاركا كالقطط البرية في فناء المدرسة لولا خوفهما الشديد من الطرد.

لا شيء من ذلك يهم الآن. لم تعودا فتاتين صغيرتين غبيتين. لم تعودا طالبتين. الحرب حولتهما كلتيهما إلى مخلوقين لا يمكن تخيلهما تمامًا، وعلاقتهما تحولت معهما. لم تعلقا أبدًا على كيفية حدوث ذلك. لم تكونا بحاجة لذلك. كانت رابطتهما مصوغة من الضرورة، والألم، وفهم مشترك وحميم للجحيم.

همست فينكا:

— "قولي لي الحقيقة. إلى أين نذهب بحق الجحيم؟"

تثاءبت رين:

— "إقليم الكلب. ظننت أنني أوضحت ذلك". كانت بالفعل نصف نائمة؛ بعد يوم كامل من التسلق، شعرت بأطرافها أثقل من الرصاص.

أصرت فينكا:

– "لكن هذا مجرد خيال، أليس كذلك؟ جيش (حاكم الكلب) ليس هناك حقًا، أليس كذلك؟"

توقفت رين، تفكر.

إخبار فينكا بالحقيقة كان مخاطرة، نعم. كان من الخطر الآن مشاركة الأسرار مع أي شخص ليس بحاجة ماسة للمعرفة. لكن فينكا كانت، وبشكل مذهل، واحدة من أكثر الناس ولاءً ممن عرفتهم. أدارت فينكا ظهرها لعائلتها دون تردد لتتبع مجموعة من الجنوبيين في ثورة ضد إقليمها الأم. ولم تنظر للوراء ولو لمرة. قد تكون فينكا وقحة وهشة، لكنها لم تملك عظمة متقلبة في جسدها. كانت صريحة وصادقة، غالبًا لدرجة القسوة، وطالبت بالصدق في المقابل.

قالت فينكا، عندما طال صمت رين أكثر مما يجب:

– "أنا لست جاسوسة لعينة".

قالت رين بسرعة:

– "أعرف. إنه فقط... أنتِ محقة". جالت عيناها في الكهف، تتأكد من أن أحدًا لا يستمع. "ليست لدي أدنى فكرة عما يوجد في إقليم الكلب".

رفعت فينكا حاجبيها:

– "عذرًا؟"

– "هذه هي الحقيقة. لا أعرف ما إذا كان لديهم جيش. قد يكونون فيلقًا. كافيًا لدفع الجمهورية للخلف. أو قد يكونون جميعًا قد انشقوا، أو ماتوا. معلوماتي مبنية على معلومات كيتاي، ومعلوماته مبنية على تعليقات عابرة أدلى بها نزهة قبل أسابيع".

طالبت فينكا:

– "إذن ما الذي يوجد في الشمال؟ إلى أين تذهبين؟ لا يهمني ما تخبرين به أي شخص آخر يا رين، لكن عليكِ إخباري". تفحصت وجه رين للحظة. "أنتِ ذاهبة لإيقاظ الثالث، أليس كذلك؟"

رمشت رين، متفاجئة:

— "كيف خمنتِ؟"

— "أليس الأمر واضحًا؟ لقد سحبتِ المعلم جيانغ والإمبراطورة. (حارس البوابة) و(الأفعى). هناك واحد فقط مفقود، ولم يؤكد أحد أبدًا أنه مات. إذن أين هو؟ في مكان ما في سلسلة باولي، أفترض؟"

أجابت رين تلقائيًا، مرتبكة من نبرة فينكا الواقعية:

— "جبال وودانغ. علينا عبور إقليم الكلب أولًا. لكن كيف... أعني، هل هذا مقبول بالنسبة لكِ؟ ألا تظنين أن هذا جنون؟"

قالت فينكا:

— "رأيت أشياء أغرب في الأسبوع الماضي. أنتِ تشهرين النار وكأنها سيف. جيانغ — أعني، المعلم جيانغ اللعين، أحمق سينغارد الكبير، مزق لتوّه أسطولًا كاملًا من السماء. لم أعد أعرف ما هو الجنون بعد الآن. آمل فقط أنكِ تعرفين ما تفعلينه".

قالت رين:

— "لا أعرف. ليست لدي أدنى فكرة".

كانت صادقة. لم تكن لديها أدنى فكرة عما يستطيع "إمبراطور التنين" فعله. داجي وجيانغ كانا كتومين بشكل محبط حول الموضوع. داجي، عند سؤالها، أعطت أوصافًا غامضة فقط — إنه قوي، إنه أسطوري، إنه لا يشبه شيئًا رأيتِه من قبل. في هذه الأثناء، في نصف الوقت كان جيانغ يتصرف وكأنه لم يسمع باسم ريغا قط. الشيء الوحيد الذي استندت إليه رين هو أن كليهما بدا واثقًا جدًا من أن "إمبراطور التنين"، بمجرد إيقاظه، يمكنه تسوية الجمهورية بالأرض.

أخبرت فينكا:

– "كل ما أعرفه هو أنه يخيف جيانغ. وأي شيء يخيفه يجب أن يرعب العالم".

***

اشتد بؤسهم في الأيام التالية، لأنهم وصلوا أخيرًا لارتفاع عالٍ بما يكفي ليكون كل شيء مرصوفًا بالجليد.

في البداية لم ترتدع رين. كانت لديها فكرة غير ناضجة بأنها قد تكون قادرة على تسهيل رحلتهم بقوة اللهب المحضة. نجح الأمر في البداية. أصبحت شعلة بشرية. أذابت الطرق الزلقة حتى أصبحت وحلًا قابلًا للمشي، وغلت الماء للشرب، وأشعلت نيران المخيمات بالإشارة، وأبقت القافلة دافئة بالمشي بين الصفوف.

لكن بعد يومين من هذا اللهب المستمر، حل إنهاك مخدر، ووجدت صعوبة متزايدة في الوصول لقوة كانت تستنزفها وتعذب كيتاي.

كانت تقول في كل مرة تجده فيها يرتجف فوق عربة، شاحبًا كالشبح، وأصابعه تضغط على صدغيه بقوة تترك أخاديد صغيرة:

– "أنا آسفة".

وكان يقول في كل مرة:

– "أنا بخير".

لكنها عرفت أنه يكذب. لا يمكنها الاستمرار في الضغط عليه هكذا؛ سيدمرهما ذلك كليهما. بدأت تستدعي النار لعدة ساعات فقط في اليوم، وفقط لتنظيف الطرق أمامهم. لم يعد لدى القوات الآن سوى مخزونهم المتضائل من المشاعل للاعتماد عليه للتدفئة. قضمة الصقيع وانخفاض حرارة الجسم نخرت في صفوفهم. توقف الجنود عن الاستيقاظ بعد خلودهم للنوم.

في تلك الأثناء، كان جيانغ يتدهور بسرعة مرعبة.

هذه المسيرة كانت تقتله. لم تكن هناك طريقة أخرى لوصف الأمر. أصبح هزيلًا وشاحبًا، ولم يكن يأكل. لم يعد يستطيع المشي بمفرده؛ اضطروا لجره على عربة. لم يستعد صفاء ذهنه أيضًا. أحيانًا كان هادئًا بشكل رحيم، ودودًا، وسهل الانقياد كطفل. وفي أغلب الأحيان كان ينغلق على نفسه، ممسوسًا برؤى مروعة لا يستطيع بقيتهم رؤيتها، يهاجم كلما حاول أي شخص مساعدته. حينها يصبح خطيرًا. حينها تبدأ الظلال في الزحف.

بناءً على نصيحة داجي، أبقوه غالبًا في حالة تخدير، يسقونه شاي اللودانيوم حتى يغرق عائدًا ضد زوايا العربة في ذهول. أمرض رين رؤية عينيه بليدتين وفاقدتي الإدراك، واللعاب يسيل من جانب فمه، لكنها لم تستطع التفكير في أي خيارات أفضل. احتاجوا لإبقائه مستقرًا حتى يصلوا لجبل تيانشان.

لم تكن تعرف ما الذي يقدر جيانغ على فعله عندما يختل توازنه.

لكنهم لم يستطيعوا تخديره باستمرار دون التسبب بضرر دائم لعقله. كان لا يزال بحاجة لفترات منتظمة من الصحوة، وهذه كانت مؤلمة ومهينة لدرجة أن رين لم تستطع إجبار نفسها على المشاهدة.

في إحدى الليالي أيقظ جيانغ المعسكر بصراخ معذب لدرجة أن رين اندفعت فورًا خارج الخيمة التي كانت تنام فيها وهرعت لجانبه.

— "يا معلم؟" ضغطت على يده. "ما الخطب؟"

طارت عيناه مفتوحتين. نظر إليها بعينيه الواسعتين الشاحبتين، وللحظة، بدا هادئًا تقريبًا.

— "هانيلاي؟"

ترنحت رين.

سمعت ذلك الاسم من قبل. مرة واحدة فقط، وباختصار، لكنها لن تنساه أبدًا. تذكرت الجثو على أرضية الغابة المتجمدة، وكاحلها ينبض بالألم، بينما

كانت عمة تشاغان، (سورقان سيرا)، تمسك وجهها بيديها وتنطق اسمًا جعل "الكترايد" المحيطين بهم ينتفضون. إنها تشبه هانيلاي.

ابتلعت ريقها:

– "يا معلم... من..."

ارتجفت ذراع جيانغ بعنف.

– "أعرف إلى أين نحن ذاهبون". شددت قبضتها، لكن ذلك بدا وكأنه يزيد من هياجه فقط. "وأنا لا... لا يمكننا... لا تجبريني على إيقاظه".

سألت بحذر:

– "هل تعني ريغا؟" لم تكن مستعدة للطريقة التي جفل بها عند سماع الاسم.

منحها نظرة رعب مطلق ومذل:

– "إنه الشر المتجسد".

طالبته:

– "ما الذي تتحدث عنه؟ إنه مرساتك، لماذا لا..."

– "استمعي إلي". مد جيانغ يده الأخرى وأمسك ذراعها فوق الكوع. "أعرف ما تريد فعله. إنها تكذب عليكِ. لا يمكنكِ الذهاب".

انغرست أظافره بألم في لحمها. تلوت رين، لكن قبضة جيانغ كانت كالحديد.

قالت:

– "أنت تؤلمني".

لم يتركها. حدق فيها، عيناه جامحتان ومكثفتان كما لم ترهما من قبل. شيء ما كان ضائعًا خلفهما. شيء ما مكسور، ومكبوت، يحاول بيأس حفر طريقه للخارج.

قال جيانغ بإلحاح:

– "أنتِ لا تفهمين ما أنتِ على وشك فعله. لا تتسلقي ذلك الجبل. اقتليني أولًا. اقتليها".

اشتدت قبضته. دمعت عينا رين من الألم، لكنها لم تنتر ذراعها بعيدًا؛ كانت خائفة جدًا من إفزاعه.

– "يا معلم، أرجوك..."

همس بفحيح:

– "أنهي هذا قبل أن يبدأ".

لم تعرف رين ماذا تفعل أو تقول. أين داجي بحق الأرض؟ هي وحدها تعرف كيف تبقي جيانغ هادئًا؛ هي وحدها تستطيع همس المزيج الصحيح من الكلمات لإيقاف هذيانه.

سألت:

– "ماذا يوجد على جبل تيانشان؟ لماذا أنت خائف من ريغا؟ من هي هانيلاي؟"

أرخى جيانغ أصابعه. اتسعت عيناه بأقل قدر، وظنت رين أنها رأت شظية من العقلانية والتعرف تبزغ على وجهه. فتح فمه. لكن في اللحظة التي ظنت فيها أنه على وشك الإجابة، ألقى رأسه للخلف وضحك.

يجب أن أغادر، فكرت رين، مرعوبة فجأة. ما كان يجب أن تقترب منه أبدًا. كان يجب أن تتركه لصراخه حتى يتلاشى من تلقاء نفسه. يجب أن تغادر الآن، تبتعد، وعندما يحل الصباح، سيكون جيانغ هادئًا مرة أخرى وكل شيء سيكون طبيعيًا ولن يتحدثا عن هذا أبدًا.

عرفت أنه يحاول إخبارها بشيء ما. كانت هناك حقيقة مخفية هنا، شيء مروع ورهيب، لكنها لم ترد أن تعرف. أرادت فقط الهرب والبكاء.

قال جيانغ فجأة:

– "ألتان".

تجمدت رين، جاثمة في منتصف الطريق بين الجلوس والوقوف.
– "أنا آسف". حدق جيانغ في عينيها؛ كان يخاطبها. "أنا آسف جدًا. كان بإمكاني حمايتكِ. لكنهم..."
هزت رين رأسها:
– "توقف. أرجوك يا معلم، توقف..."
مد جيانغ يده لمعصمها:
– "أنتِ لا تفهمين. لقد آذوني وقالوا إنهم سيؤذونكِ أكثر لذا اضطررت لتركك تذهبين، ألا تفهمين..."
صرخت رين:
– "اخرس!"
تراجع جيانغ وكأنها ضربته. بدأ جسده بالكامل يرتجف بقوة لدرجة أنها خافت أن يتحطم فعلًا كمزهرية خزفية، لكن بعد ذلك، وفجأة، سكن. لم يكن يتنفس؛ صدره لم يرتفع أو يهبط. لفترة طويلة جلس ورأسه محني وعيناه مغلقتان. عندما فتحهما أخيرًا، كانتا بيضاوين بلمعان ساطع ومريع.
– "لا ينبغي لكِ أن تكوني هنا".
لم تعرف رين من كان يتحدث عبر فمه، لكن ذلك لم يكن جيانغ.
ثم ابتسم، وكان ذلك أبشع منظر رأته في حياتها.
سأل:
– "ألا تعرفين أفضل من ذلك؟ إنه يريدكم جميعًا موتى".
نهض وتقدم نحوها. تدافعت لقدميها وتراجعت خطوة واحدة مرتجفة للخلف. اركضي، همس صوت صغير في عقلها. اركضي أيتها الحمقاء. لكنها لم تستطع الحركة، لم تستطع إبعاد عينيها عن وجهه. كانت متسمرة في مكانها، مرعوبة ومفتونة في آن واحد.
ضحك مرة أخرى، صوت عالٍ ومقلق للأعصاب:

— "ريغا سيقتلكِ عندما يجدكِ. بسبب هانيلاي. بسبب ما فعلته هانيلاي. سيقتلكم جميعًا".

أمسكها من كتفيها وهزها بقوة. شعرت رين بقشعريرة جليدية وهي تدرك لأول مرة أنها ليست آمنة هنا، جسديًا ليست آمنة، لأنه لم تكن لديها فكرة عما يمكن أو سيقوم به جيانغ لها.

مال جيانغ أقرب. لم يكن معه سلاح. لكن رين عرفت أنه لم يحتج واحداً قط.

سخر:

— "أنتم جميعًا حثالة. وكان يجب أن أفعل ما أراده اللعين وحسب".

مدت رين يدها للنار.

— "زيا، توقف!"

ركضت داجي لداخل الخيمة. جفلت رين للخلف، وقلبها يدق بارتياح.

استدار جيانغ نحو داجي، وتلك السخرية المروعة لا تزال محفورة على وجهه. للحظة ظنت رين أنه سيضربها، لكن داجي أمسكت ذراعه قبل أن يتمكن من التحرك وغرست إبرة في وريده. وقف متصلبًا، يترنح على قدميه. تحول تعبيره للهدوء، ثم سقط على ركبتيه.

تلعثم في الكلام:

— "أنتِ. أيتها الساقطة. هذا كله خطؤكِ".

قالت داجي:

— "اذهب للنوم. فقط اذهب للنوم".

قال جيانغ شيئًا آخر، لكنه كان متلعثمًا وبلا معنى. خمشت ذراع واحدة الأرض — ظنت رين أنه يمد يده للإبرة، وتوترت لقتال — لكنه مال للأمام وانهار على الأرض.

***

– "ابتعدي عن هنا". دفعت داجي رين خارج الخيمة إلى هواء الليل البارد. تعثرت رين معها، مذهولة جدًا لتعترض. بمجرد أن مشيتا إلى حافة جليدية بعيدًا عن سمع المعسكر الرئيسي، أدارت داجي رين وهزتها من كتفيها وكأنها طفلة عاصية. "بمَ كنتِ تفكرين؟ هل جننتِ؟"

صرخت رين:

– "ماذا كان ذلك؟" مسحت وجنتيها بجنون. دموع ساخنة ظلت تنسكب على وجهها، لكنها لم تستطع إيقافها. "ما هو؟"

هزت داجي رأسها وضغطت يدها على صدرها. استغرق الأمر من رين لحظة لتدرك أنها لا تتظاهر وحسب. كان هناك خطب ما.

همست داجي بإلحاح:

– "شعلة". تحولت شفتاها إلى لون بنفسجي داكن وصادم. "أرجوكِ".

أشعلت رين نارًا في كفها ومدتها بينهما:

– "هاكِ".

انحنت داجي فوق الدفء. بقيت هكذا لفترة طويلة، عيناها مغلقتان، وأصابعها تختلج فوق النار. ببطء عاد اللون لوجهها.

قالت أخيرًا:

– "أنتِ تعرفين ما كان ذلك. إنه يستعيد عقله".

ابتلعت رين ريقها، تحاول استيعاب أسئلتها المتسارعة، لترتيبها بنسق منطقي:

– "لكن... لكن هذا ليس هو. هو ليس هكذا، بالتأكيد لم يكن هكذا أبدًا..."

– "أنتِ لم تعرفي جيانغ الحقيقي. عرفتِ ظل رجل. عرفتِ زيفًا، تقليدًا. ذلك ليس جيانغ، لم يكن أبدًا".

صرخت رين:

– "وهذا هو؟ كان سيقتلني!"

لم تجب داجي على سؤالها:

– "إنه يتأقلم. إنه فقط... مشوش، هذا كل شيء..."

– "مشوش؟ ألم تسمعيه؟ إنه خائف. إنه مرعوب مما يحدث له، ولا يريد أن يصبح ذلك الشخص لأنه يعرف شيئًا – شيئًا لا تخبرينني به. لا يمكننا فعل هذا به". ارتجف صوت رين. "علينا العودة".

– "لا". هزت داجي رأسها بعنف. لمعت عيناها في ضوء القمر؛ بشعرها الأشعث وتعبيرها الجائع واليائس، بدت مجنونة تقريبًا مثل جيانغ. "لا عودة للوراء. لقد انتظرت طويلًا جدًا لهذا".

– "لا أهتم بحق الجحيم بما تريدين".

اهتز صوت داجي:

– "أنتِ لا تفهمين. اضطررت لمراقبته كل هذه السنوات، اضطررت لإبقائه محبوسًا في سينغارد وأنا أعلم تمامًا أنني حولته لأحمق متردد. أخذت عقله منه. الآن لديه فرصة لاستعادته. ولا يمكنني أخذ ذلك منه. ولا حتى إن كان أسعد حالًا هكذا".

قالت رين:

– "لكن لا يمكنكِ. إنه خائف جدًا".

– "لا يهم ما يظنه هذا الـ جيانغ. هذا الـ جيانغ ليس حقيقيًا. جيانغ الحقيقي يحتاج للعودة". بدت داجي وكأنها على وشك البكاء. "أنا أحتاجه ليعود".

ثم رأت رين الدموع تلمع على وجنتي داجي. داجي، الأفعى، الإمبراطورة السابقة لـ نيكان، كانت تبكي. الأفعى كانت تبكي بحق الجحيم.

كانت رين مستاءة جدًا لتشعر بالتعاطف. لا. لا، لا يحق لـ داجي فعل هذا، لا يحق لها الوقوف هنا والانتحاب كأنها بريئة من الانهيار العقلي المرعب الذي يشهدونه، بينما داجي هي السبب الكامل في انكسار جيانغ.

قالت رين:

— "إذن ما كان يجب عليكِ أن تختميه".

احمرت عينا داجي حول الحواف:

— "تظنين أنني لم أستطع الشعور بما فعلت؟ نحن مرتبطان. تعرفين كيف يبدو ذلك. شعرت بارتباكه. شعرت بمدى ضياعه، شعرت به ينقب في زوايا عقله بحثًا عن شيء لم يعرف أنه فقده، بحدة أكبر لأنني عرفت ما لم يكن لديه وصول إليه".

سألت رين ببؤس:

— "إذن لماذا اضطررتِ لفعل ذلك؟"

ما الذي كان مروعًا، مروعًا لدرجة تزلزل الأرض، لدرجة أن تخاطر داجي بحياتها وتكسر روح جيانغ لإيقافه؟

لقد تشاجرا، أخبرتها داجي ذات مرة.

حول ماذا؟

هزت داجي رأسها فقط. اهتز عنقها الشاحب.

— "لا تسأليني هذا أبدًا".

— "لدي الحق في المعرفة".

قالت داجي ببرود:

— "ليس لديكِ الحق في شيء. لقد تقاتلا. وأنا أوقفتهما. هذا كل ما في الأمر..."

ارتفع صوت رين بينما كبرت الشعلة، تمتد بخطورة، بتهديد قريب من جلد داجي:

— "هراء. هناك المزيد، هناك شيء لا تخبرينني به، أستحق أن أعرف..."

— "رونين".

لمعت عينا داجي بلون أصفر كالأفعى. تجمدت أطراف رين فجأة في مكانها. لم تستطع انتزاع نظراتها من وجه داجي. فهمت فورًا أن هذا تحدٍ — معركة إرادات إلهية.

أتجرئين؟

في وقت مضى، ربما كانت رين لتقاتل. كان بإمكانها إجبار داجي على الخضوع؛ فعلتها من قبل. لكنها كانت منهكة للغاية، مستنزفة من سحب "العنقاء" يومًا بعد يوم عبر عقل كيتاي المتألم. لم تستطع استدعاء الغضب بعد ما رأته لتوها. شعرت كشظية رقيقة من الصقيع، لمسة واحدة وتتحطم.

سحبت رين شعلتها عائدة ليدها.

عادت حدقتا داجي للونهما الأسود الطبيعي والجميل. ارتخت رين، متحررة من قبضتهما.

توقفت داجي عن البكاء؛ تلاشى الاحمرار حول عينيها. واختفت أيضًا الحشرجة الهشة في صوتها، وحلت محلها ثقة باردة ومنفصلة.

— "لو كنت مكانك، لتوقفت عن القلق. نوبات جيانغ ستزداد سوءًا. لكنه لن يموت. لا يمكنه الموت — يمكنكِ الوثوق بي في ذلك. لكن كلما حاولتِ النبش في عقله، ومحاولة استعادة ما تظنين أنكِ فقدتِه، ستعذبين نفسكِ أكثر. تخلّي عن الرجل الذي تتذكرينه. لن تستعيديه أبدًا".

عادتا معًا لخيمة جيانغ. جلست رين بجوار مكان رقود جيانغ وراقبته، وقلبها يعتصر شفقة. بدا بائسًا جدًا، حتى في نومه الخالي من الأحلام والمحفز بالمورفين. كانت ملامحه مضغوطة في عبوس قلق، وأصابعه تعتصر بطانياته وكأنه يتمسك بحافة جرف.

أدركت أن هذه لن تكون المرة الأخيرة التي تراه يعاني هكذا. سيزداد سوءًا وسوءًا كلما اقتربوا من الجبل. سيتدهور حتى ينكسر أخيرًا، ويبرز منتصر بين الشخصيات المتصارعة في عقله.

هل يمكنها فعل هذا به؟

سيكون الأمر أسهل لو كان جيانغ المختوم مشتقًا حقًا، لو كان حقًا ظلًا باهتًا للشخصية الأخرى الحقيقية. لكن جيانغ الذي عرفته في سينغارد كان شخصًا كاملًا بحد ذاته، شخصًا لديه رغبات وذكريات وأهواء.

ذلك الـ جيانغ كان خائفًا جدًا ممن كان عليه — وممن هو على وشك أن يصبح عليه. وجد ملجأ في عقله المقسم. كيف يمكنها أخذ ذلك منه؟

حاولت تخيل كيف كان شعور ختم جيانغ طوال تلك السنوات التي عاشها في سينغارد. ماذا لو كانت محجوبة ليس فقط عن "البانثيون" بل عن ذكرياتها الخاصة؟ ماذا لو كانت محتجزة خلف جدار في عقلها، تصرخ في عذاب صامت بينما يتولى أحمق أخرق السيطرة على أطرافها ولسانها؟

لو كانت مكانه، لكانت أرادت أن تكون حرة بالطبع.

لكن ماذا لو استطاع شخص ما محو كل ذكريات ما فعلته؟

لا مزيد من الذنب. لا مزيد من الكوابيس. لن يكون لديها جيوب ملتهبة في ذاكرتها كجروح فاغرة تؤلم عند اللمس. لن تسمع صرخات عندما تحاول النوم. لن ترى أجسادًا تحترق في كل مرة تغمض فيها عينيها.

ربما كان ذلك ملجأ الجبان. لكنها كانت لتريده هي أيضًا.

***

في الصباح التالي، استعاد جيانغ درجة ما من الصفاء. النوم، مهما كان قسريًا، ساعد — اختفت الظلال من تحت عينيه، وفقد وجهه تكشيرة الرعب، مستقرًا عائدًا في هدوء وادع.

قالت عندما استيقظ:

— "مرحبًا يا معلم. كيف تشعر؟"

تثاءب:

— "أخشى أنني لا أعرف ما تعنين".

قررت أن تضغط عليه:

– "لقد حظيت بليلة سيئة".

– "هل فعلت؟"

أزعجتها لا مبالاته المسلية:

– "ناديتني بـ ألتان".

حك مؤخرة رأسه:

– "أوه، حقًا؟ أنا آسف، كان ذلك وقحًا للغاية. أعرف أنكِ اعتدتِ تتبعه بتلك العيون اللامعة كعيون الجراء".

تجاهلت ذلك. اخرسي، تحدث صوت صغير في عقلها. توقفي عن الكلام، ابتعدي. لكنها لم تنتهِ. أرادت دفعه، لترَكم يتذكر.

– "وطلبت مني قتلك".

لم تستطع التحديد ما إذا كانت ضحكته تبدو عصبية، أم أن تلك كانت الطريقة التي ضحك بها جيانغ دائمًا – عالية، ومقلقة، وحمقاء.

مد يده ليربت على كتفها:

– "يا إلهي يا رونين. بالتأكيد علمتكِ أفضل من أن تقلقي بشأن الأشياء الصغيرة".

***

كانت نصيحة جيانغ مستهترة. لكن مع زيادة ارتفاعهم ورقة الهواء، فقدت رين الطاقة العقلية للتفكير في أي شيء سوى ضرورات المسير اليومية. نيرانها جعلت الممرات الجبلية محتملة بالكاد؛ الجليد كان يتجمد مجددًا بسرعة ذوبانه تقريبًا. في الليل، عندما انخفضت درجات الحرارة بشكل خطير، بدأ الجنود ينامون في نوبات مدتها ساعة واحدة فقط لمنع أي شخص من الاستسلام للظلام المخدر والمغري.

على الأقل البيئة، وليس الجمهورية، شكلت الجزء الأكبر من مشاكلهم. في الأيام القليلة الأولى من المسير أبقت رين عينيها مثبتتين على السماء الرمادية الشاحبة، متوقعة تجسد أشكال داكنة من الغيوم في أي لحظة. لكن الأسطول لم يأتِ أبدًا. طرح كيتاي عددًا من النظريات حول سبب عدم ملاحقتهم — الهسبيريون لديهم وقود منخفض، أو التضاريس الجبلية الضبابية جعلت الطيران الأعمى خطيرًا، أو الأسطول تضرر بشدة عند (السندان) لدرجة أن الهسبيريين لم يوافقوا على إرسال السفن المتبقية لمطاردة عدو يمكنه استدعاء الظلال من العدم.

قال للضباط، ونبرته مليئة بوضوح بثقة مصطنعة:

— "لقد رأوا لتوهم ما يمكننا فعله. يعرفون أنه انتحار أن يلاحقونا. قد يتتبعون مكاننا. لكنهم لن يخاطروا بهجوم".

أملت رين بحق الآلهة أن يكون محقًا.

مر أسبوع آخر وبقيت السماوات خالية، لكن ذلك لم يقترب حتى من إشعارها بالراحة. وماذا لو اختار نزهة تركهم يعيشون ليوم آخر؟ قد يغير رأيه غدًا. قد يرضخ تحت الضغط الداخلي لنصر سريع. لم يكن من الصعب تمييزهم ضد التضاريس — قد يقرر أن تتبعهم عبر الجبال لا يستحق العناء، وأن استنزاف الوقود والموارد تكلفة باهظة جدًا لتبرير استئصال أي بؤرة للشامانية قد يجدها.

كانت تدرك جيدًا أنه مع كل خطوة تخطوها، تتحرك تحت تهديد الإبادة الفورية. الجمهورية قادرة على إلحاق الموت الجماعي في ثوانٍ. يمكنهم إنهاء هذا في أي وقت. لكن كل ما استطاعت فعله هو المضي قدمًا والأمل في أن يكون الوقت قد فات جدًا بحلول الوقت الذي يدرك فيه نزهة أنه كان يجب عليه قتلها منذ زمن طويل.

الفصل التاسع عشر

جعلت رحلة المنطاد إلى تشولو كوريك العالم يبدو ضئيلاً للغاية في عيني رين. لكن مسيرهم الشاق عبر سلسلة جبال باولي بدا سرمديًا، وبدت الجبال — التي لم تعرفها من قبل سوى كعلامات صغيرة على الخريطة — وكأنها تضم إقليمًا أعظم من الإمبراطورية نفسها. امتدت الأسابيع المرهقة لتصبح شهورًا رتيبة ومضنية، وبطريقة ما، حين طال المسير لدرجة بدا معها أنه لم يكن هناك زمن لم يكونوا فيه يتسلقون، تحولت الفظائع اليومية التي واجهوها إلى روتين معتاد.

تعلموا تسلق الممرات الخادعة والضيقة بالحبال والسكاكين بدلًا من معاول الجليد. تعلموا سكب الماء الدافئ على مناطقهم الحساسة عند قضاء الحاجة؛ وإلا فإن درجات الحرارة المتجمدة كانت ستصيبهم بقضمات صقيع. تعلموا شرب ماء الفلفل المغلي باستمرار لأنه الشيء الوحيد الذي يبقيهم دافئين، مما يعني أنهم قضوا نصف لياليهم جاثمين لتخفيف حدة الإسهال.

تعلموا كم يمكن لـ "عمى الثلج" أن يكون مرعبًا حين تحمر عيونهم وتلتهب وينطفئ بصرهم لساعات في كل مرة. تعلموا التركيز على الرمادي الكئيب للمسارات تحت أقدامهم بدلًا من الثلج الذي يحيط بهم. وفي الظهيرة، حين كانت الشمس تنعكس بوهج ساطع عن القمم البيضاء لدرجة تصيبهم بالصداع، كانوا يتوقفون ويجلسون في خيامهم المظللة حتى يخفت السطوع.

تكيفوا بهذه الطرق وبغيرها. قرروا أنه إذا كانت أفضل تقنيات "هسبيريا" لم تستطع قتلهم، فإن الجبال بالتأكيد لن تفعل، لذا تعلموا عشرات الطرق للبقاء على قيد الحياة في تضاريس عازمة على دفنهم.

***

لم يتعافَ جيانغ، لكن حالته لم تزدد سوءًا بشكل ملحوظ. في معظم الأيام كان يجلس مطيعًا على العربة، ينحت تماثيل لحيوانات مشوهة من اللحاء شبه المتجمد بسكين باهتة ومتاكلة، لأن رين وداجي لم تأتمناه على أدوات أكثر حدة.

استمرت هذياناته. وتجاوزت مرحلة الثرثرة غير المفهومة المعتادة. كلما زارته رين، كان يندفع في نوبات سباب تتضمن أشخاصًا وأحداثًا لم تسمع بها من قبل. مرارًا وتكرارًا، كان يخاطبها إما باسم ألتان أو هانيلاي. نادرًا ما ناداها باسمها. والأكثر ندرة أن ينظر إليها على الإطلاق؛ في الغالب كان يتحدث إلى الثلج، يتمتم بإلحاح خافت، وكأنها مؤرخ حاضر لتسجيل تاريخ ينزلق بسرعة من بين أصابعه.

ظلت داجي متكتمة حين ضغطت عليها رين بشأن أي شيء يتعلق بالظروف التي أدت لختم جيانغ. لكن، وكأنه نوع من المقايضة، وافقت على الإجابة عن أسئلة حول أقوال جيانغ الأخرى. كل ليلة حين كانوا يقيمون المخيم، كانت تجلس مع رين وكيتاي، تسرد تواريخ لم تكن رين لتجدها أبدًا في مكتبات سينغارد.

اتخذت هذه المناقشات شكل استجوابات مباشرة. أطلقت رين الأسئلة على داجي، واحدًا تلو الآخر، واستجابت داجي لكل ما أمكنها، وغالبًا بتفاصيل دقيقة، وكأنها بالثرثرة حول الحكايات الثانوية، يمكنها تشتيت رين عن الأسئلة المهمة.

عرفت رين ما كانت تفعله داجي. عرفت أنه يتم خداعها بشأن شيء ما. لكنها أخذت ما يمكنها الحصول عليه. الوصول إلى داجي كان أشبه بلفافة مفتوحة تحتوي على كل الأسرار الخفية لتاريخ "النيكان". ستكون حمقاء إن لم تجارِها.

سألتها:

– "لماذا يشبه ريغا آل يين إلى هذا الحد؟"

أجابت داجي:

– "لأنه واحد منهم. كان يجب أن يكون ذلك واضحًا. والده كان (يين زيكسو)، الأخ الأصغر لحاكم التنين."

– "شقيق فايسرا؟"

– "لا، عم فايسرا. حاكم التنين في ذلك الوقت كان (يين فارا). والد فايسرا."

إذن نزهة هو ابن أخ ريغا. تساءلت رين عما إذا كانت قوتهم تنتقل عبر الدم، مثل انجذاب "السبيريين" لـ "العنقاء". لكن آل يين كانت لديهم علاقات مختلفة تمامًا بالتنين. كان ريغا شامانًا حقيقيًا، شخصًا ذهب إلى "البانثيون" وتشبع بقوة مُنحت وقُبلت بحرية. أما نزهة فكان عبدًا لشيء منحرف وفاسد، مخلوق ما كان ينبغي له أن يوجد في العالم المادي.

قالت داجي:

– "كان يجب أن يكون (زيكسو) هو الحاكم طوال الوقت. كان قائدًا بالفطرة. حاسمًا، لا يرحم، ومتمكنًا. كان (فارا) الأكبر، لكنه كان طفلاً. وديعًا، مرعوبًا من المواجهة. ينحني دائمًا للرجال الذين يخافهم، ينحني لأنه كان خائفًا جدًا من أن ينكسر. بعد بضع سنوات من الاحتلال، قرر الهسبيريون أنهم يريدون نقل شحنات من أفيون الموغين إلى الميناء عند (المنحدرات الحمراء). وافق (فارا)، وأرسل شقيقه الأصغر لتوجيه سفن الشحن الهسبيرية عبر القناة.

وبدلاً من ذلك، فخخ (زيكسو) الميناء بالمتفجرات وأغرق الأسطول الموغيني."

قالت رين:

– "أحب (زيكسو) هذا."

ردت داجي:

– "كان ميتًا بحلول الوقت الذي سمعت فيه اسمه لأول مرة. لكن ريغا أخبرني الكثير عنه. كان معجبًا بوالده دائمًا. كان متهورًا ومندفعًا بشكل رهيب. لم يطق إهانة قط. كنتما لتنسجما بشكل رائع، لكن فقط إن لم تقتلا بعضكما البعض أولًا."

قالت رين:

– "أخمن أن الهسبيريين أعدموه رميًا بالرصاص."

– "كانوا ليودوا ذلك كثيرًا. لكن الحرب المفتوحة لم تكن قد اندلعت بعد، ولم يرغبوا في استفزازها بقتل عضو من عائلة نخبوية. بدلاً من ذلك، نفى (فارا) أخاه (زيكسو) إلى المنطقة المحتلة في شمال (إقليم الحصان). أرسل عائلته بأكملها بعيدًا وشطب اسمه من سجلات النسب. لهذا لن تجدي صورة له أبدًا في القصر بـ أرلونغ. كان ريغا يتيمًا حين التقينا. كان الموغين قد أشغلوا والده حتى الموت في معسكر عمل، والآلهة وحدها تعلم ما حدث لأمه المسكينة. حين رأيت ريغا لأول مرة، كان شيئًا مثيرًا للشفقة، مجرد جلد وعظم، يكافح للوصول إلى الغد بسرقة الطعام من أكوام القمامة."

قال كيتاي:

– "إذن التقيتم كأطفال."

هزت داجي كتفيها:

– "نشأنا جميعًا في الشمال المحتل. ربما كنا أنا وجيانغ من السكان الأصليين. أو أطفال لاجئين. أصبح من المستحيل التذكر الآن. فقدنا جميعًا

آباءنا في وقت مبكر، قبل أن يتمكنوا من إخبارنا من أي الأقاليم نحن. ربما لهذا السبب كنا عازمين جداً على التوحيد. كنا من اللا مكان، فأردنا حكم كل مكان."

بدا غريبًا تخيل "التريفيكتا" كأطفال صغار. في عقل رين، كانوا قد نبعوا مكتملي التكوين إلى العالم، أقوياء وآلهة. نادرًا ما فكرت في أنهم مروا بوقت كانوا فيه مجرد بشر مثلما كانت هي ذات يوم. صغارًا. مرعوبين. ضعفاء.

لقد نشأوا خلال أحلك فترة في تاريخ "النيكان". عرفت رين بلداً في سلام نسبي قبل الحرب الثالثة، لكن "التريفيكتا" ولدوا في البؤس. نشأوا وهم لا يعرفون شيئًا سوى القمع، والإذلال، والمعاناة.

لا عجب أنهم ارتكبوا الفظائع التي ارتكبوها. ولا عجب أنهم وجدوها مبررة تمامًا.

سألت رين:

— "كيف خرجتم؟"

قالت داجي:

— "اهتم الموغين بالجنود البالغين، لا الأطفال. لم يلاحظنا أحد. الجزء الأصعب، في الواقع، كان تهريبي عبر المضيفات في بيت الدعارة."

ومضت عاطفة غير قابلة للتمييز عبر وجه داجي، التواءة في شفتها وحركة في حاجبها اختفت بسرعة.

— "لم نكن نعرف إلى أين نحن ذاهبون، فقط أردنا الخروج. بمجرد عبورنا الحدود، تجولنا لأيام في السهوب وكدنا نموت جوعًا قبل أن يجدنا (الكيتريد). لقد آوونا. ودربونا."

قالت رين:

— "ثم قتلتموهم."

تنهدت داجي:

— "نعم. كان ذلك مؤسفًا."

– "ما زالوا يكرهونكم بسبب ذلك. يريدونكم موتى. تعلمين ذلك، أليس كذلك؟ إنهم فقط يحاولون اكتشاف طريقة لتنفيذ الأمر."

هزت داجي كتفيها:

– "دعوهم يكرهون. في ذلك الوقت كانت استراتيجيتنا بأكملها مبنية على سحق المعارضة. أينما وجدناها. في أوقات كتلك، لا يمكنك ترك التهديدات النائمة وشأنها. أنا آسفة لموت (تسيفيري). أعرف أن جيانغ أحبها. لكنني لا أندم على شيء."

اتضح أن داجي فعلت عددًا مرعبًا من الأشياء التي تستحق الندم. نقبت رين عن تفاصيل كل منها. جعلتها تتحدث عن الأكاذيب التي روتها. المنافسين الذين قتلتهم. الأبرياء الذين ضحت بهم في حسابات الاستراتيجية الدموية. عبر محادثات امتدت لأيام، ثم أسابيع، لونت داجي صورة لـ "تريفيكتا" كانوا أكثر قسوة وكفاءة بكثير مما تخيلته رين أبدًا.

لكن ذلك لم يكن كافيًا. تحدثت داجي دائمًا فقط عن القصص المسلية، والتفاصيل الثانوية. لم تتحدث أبدًا عن اليوم الذي ختمت فيه "مراسيها". وما لم تُسأل، لم تتحدث أبدًا عن ريغا نفسه. كانت تجيب عن أي من أسئلة رين حول ماضيه، لكنها لم تعطِ سوى أكثر التفاصيل شحًا وغموضًا حول قدراته أو شخصيته.

سألت رين:

– "كيف كان يبدو؟"

– "مبهرًا. جميلاً."

أصدرت رين صوتًا يعبر عن السخط:

– "أنتِ تتحدثين عن لوحة، لا عن رجل."

– "لا توجد طريقة أخرى لوصفه. كان مهيبًا. كل ما يمكن أن ترغبين فيه من قائد وأكثر."

وجدت رين ذلك غير مرضٍ للغاية، لكنها علمت أن هذا الخط من الاستجواب لن يسفر إلا عن الإجابات ذاتها.

– "إذن لماذا أدخلتِه في سبات؟"

– "أنتِ تعرفين السبب."

حاولت رين مباغتتها:

– "إذن لماذا أنتِ خائفة منه؟"

احتفظ صوت داجي بهدوئه الجليدي الحذر:

– "أنا لست خائفة منه."

– "هذا هراء. كلكما خائفان."

– "أنا لست..."

– "جيانغ خائف على الأقل. يصرخ باسم ريغا في نومه. يجفل كلما ذكرته. ويبدو مقتنعًا بأننا نسحبه أعلى الجبل ليموت. لماذا؟"

قالت داجي غير مكترثة:

– "كنا نحب ريغا. وإذا خفناه يومًا، فذلك لأنه كان عظيمًا، والحكام العظماء يثيرون الخوف دائمًا في قلوب الضعفاء."

بإحباط، غيرت رين مسارها مرة أخرى:

– "من هي هانيلاي؟"

لمرة واحدة، بدت داجي مذهولة:

– "أين سمعتِ هذا الاسم؟"

– "أجيبي عن السؤال."

رفعت داجي حاجبًا، غير كاشفة عن شيء:

– "أنتِ أولاً."

– "قالت (سورقان سيرا) مرة أنني أشبه هانيلاي. هل عرفتِها؟"

تحول شيء ما في تعبير داجي. لم تستطع رين قراءته تمامًا — تسلية؟ ارتياح؟ بدت أقل توترًا مما كانت عليه قبل لحظة، لكن رين لم تعرف ما الذي تغير.

— "هانيلاي لا تهمكِ. هانيلاي ماتت."

ألحت رين:

— "من كانت؟ سبيرية؟ هل عرفتِها؟"

قالت داجي:

— "نعم. عرفتها. ونعم، كانت سبيرية. جنرال، في الواقع. قاتلت بجانبنا في (حرب الخشخاش الثانية). كانت امرأة مثيرة للإعجاب. شجاعة جدًا، وغبية جدًا."

— "غبية؟ لماذا..."

وقفت داجي، منهية الحديث بوضوح:

— "لأنها تحدت ريغا. لا أحد يتحدى ريغا إن كان ذكيًا."

توقفت المحادثة هناك. حاولت رين مرات عديدة أخرى فتح الموضوع، لكن داجي رفضت كشف أي شيء آخر. لم تنطق بكلمة أبدًا عما يمكن لـ ريغا فعله بالتحديد. ولا كلمة عما فعله ريغا بـ جيانغ، أو الليلة التي فقد فيها جيانغ عقله، أو كيف لشخص يُفترض أنه عظيم وقوي بهذا القدر أن يغفل عن الهجوم على سبير. كانت تلك الفجوات وحدها كافية لـ رين لتجميع أكثر النظريات غموضًا، رغم أنها كرهت ما تؤول إليه.

لم ترد للأمر أن يكون صحيحًا. كانت التبعات مؤلمة جدًا.

عرفت أن داجي تكذب عليها بشأن شيء ما، لكن جزءًا منها لم يرد أن يعرف. أرادت فقط الاستمرار في المسير في حالة من عدم التصديق، والاستمرار في افتراض أن هذه الحرب ستنتهي بمجرد إيقاظهم للإمبراطور التنين. لكن الماضي استمر في نكز عقلها مثل لسان يعبث بقرحة مفتوحة، وأصبح عذاب عدم المعرفة، والبقاء في الظلام، أكبر من أن يُحتمل.

أخيرًا، قررت رين الحصول على إجاباتها من جيانغ بدلاً منها.

سيكون ذلك صعبًا. عليها الانفراد به. كانت داجي بجانب جيانغ باستمرار، ليل نهار. ينامون، ويسيرون، ويأكلون معًا. في المخيم، غالبًا ما جلسوا ورؤوسهم متلاصقة، يتهامسون بأشياء لم تستطع رين سوى التخمين بشأنها. كلما حاولت رين التحدث إلى جيانغ، كانت داجي حاضرة، تحوم على مسافة تسمح لها بالسمع.

كان عليها تحييد داجي، ولو لعدة ساعات.

سألت كيتاي:

— "هل يمكنك إحضار جرعة قوية من (اللودانوم)؟"

— "بشكل سري؟"

رمقها بنظرة قلقة:

— "لماذا؟"

قالت بسرعة:

— "ليس لي. لأجل (الأفعى)."

بزغ الفهم على وجهه:

— "أنتِ تلعبين لعبة خطرة هنا."

قالت:

— "لا يهمني. يجب أن أعرف."

***

أثبتت داجي أنها سهلة التخدير بشكل صادم. ربما كانت يقظة كصقر، لكن متطلبات المسير أرهقتها تمامًا مثل أي شخص آخر. كان عليها أن تنام في النهاية. لم يتطلب الأمر من رين سوى التسلل إلى خيمة داجي وتثبيت منشفة مغموسة بـ (اللودانوم) فوق فمها لنصف دقيقة حتى ارتخى وجهها تمامًا.

طقطقت بأصابعها بجوار أذني داجي عدة مرات للتأكد من أنها فاقدة للوعي تمامًا. لم تتزحزح داجي.

ثم هزت جيانغ ليصحو.

كان محاصرًا في كابوس آخر من كوابيسه. تجمعت حبات العرق على صدغيه وهو يختلج في نومه، يتمتم بتعاويذ بلغة رطانة بدت كمزيج من (الموغينية) و(الكيتريد).

قرصت رين ذراعه، ثم أطبقت بكفها على فمه. انفتحت عيناه فجأة. قالت:

— "لا تصرخ. أريد فقط التحدث. أومئ برأسك إن كنت تفهم."

بأعجوبة، انسحب الخوف من وجهه. ولارتياحها الشديد، أومأ برأسه.

اعتدل في جلسته. جالت عيناه الشاحبتان في الخيمة واستقرت على هيئة داجي المرتخية. التوت شفتاه بتسلية، وكأنه خمن بالضبط ما فعلته رين.

— "إنها ليست ميتة، أليس كذلك؟"

— "نائمة فقط."

وقفت رين وأشارت إلى الباب.

— "هيا. إلى الخارج."

تبعها بطاعة. بمجرد خروجهما قرب الحافة، حيث ستطغى الرياح العاوية على أي شيء يقولانه وتمنع المتلصصين، التفتت إلى جيانغ وطالبت:

— "من هي هانيلاي؟"

ارتخى وجهه.

كررت رين بضراوة:

— "من هي هانيلاي؟"

كانت تعلم من التجربة أنها قد تحصل فقط على دقيقة أو اثنتين من الصفاء الذهني منه، لذا احتاجت لاستغلال تلك النافذة القصيرة بأفضل شكل. قضت ذلك اليوم بأكمله مع كيتاي في محاولة معرفة ما تسأله أولاً. كان الأمر

أشبه بمحاولة استطلاع منطقة جديدة في ظلام دامس؛ كان هناك ببساطة الكثير مما لا يعرفونه.

في النهاية، قررا السؤال عن هانيلاي. هانيلاي، بجانب ألتان، كان الاسم الذي ينادي به جيانغ رين في أغلب الأحيان حين ينسى من تكون. نطق بذلك الاسم باستمرار، إما في نومه أو خلال هلاوسه اليومية المتقطعة. كانت شخصًا يربطه بوضوح بالألم، والخوف، والرهبة. هانيلاي ربطت "التريفيكتا" بـ "السبيريين". مهما كان ما يخفيه جيانغ عنهم، كانت هانيلاي هي المفتاح.

صحت شكوكها. ارتجف جيانغ عند سماع الكلمة.

قال:

– "لا تفعلي هذا."

– "أفعل ماذا؟"

– "أرجوكِ لا تجعليني أتذكر." كانت عيناه كعيون طفل، متسعتين بالخوف.

ذكرت رين نفسها: إنه ليس بريئًا. كان وحشًا بقدر ما كانت هي وداجي. لقد ذبح ابنة (سورقان سيرا) ونصف عشيرة (الكيتريد) بابتسامة على وجهه، حتى وإن تظاهر بعدم التذكر.

قالت رين:

– "ليس من حقك أن تنسى. مهما كان ما فعلته، أنت لا تستحق النسيان. أخبرني عن هانيلاي."

هز رأسه بشكل محموم:

– "أنتِ لا تفهمين. كلما ضغطتِ، اقترب هو أكثر، الآخر..."

قاطعته بحدة:

– "سيعود بغض النظر عن ذلك. أنت مجرد واجهة. أنت وهم بنيته لأنك خائف جداً من مواجهة ما فعلته. لكن لا يمكنك الاستمرار في الاختباء أيها

المعلم. إذا كانت هناك ذرة من الشجاعة متبقية فيك، فستخبرني. أنت تدين لي بذلك. وتدين لها بذلك."

بصقت الكلمات القليلة الأخيرة بقوة لدرجة جعلت جيانغ يجفل.

كانت تتشبث بقشة، تلقي بعبارات لترى ما قد يصيب الهدف. لم تكن تعرف ماذا تعني هانيلاي لـ جيانغ. لم تكن تعرف كيف سيكون رد فعله. لكن لدهشتها، بدا أن الأمر نجح. لم يهرب جيانغ. لم يغلق على نفسه، كما فعل كثيرًا من قبل، حين كانت عيناه تتزجّجان وعقله يتراجع للداخل. حدق فيها لفترة طويلة، ولم يبدُ خائفًا، ولا مرتبكًا، بل مستغرقًا في التفكير.

لأول مرة منذ وقت طويل، بدا كالرجل الذي عرفته رين في سينغارد.

— "هانيلاي."

سحب الاسم ببطء، كل مقطع صوتي كان تنهيدة.

— "لقد كانت غلطتي."

سألت رين:

— "ماذا حدث؟ هل قتلتها؟"

— "أنا..." ابتلع جيانغ ريقه. الكلمات التالية تدفقت منه سريعة وخافتة، وكأنه يبصق سمًا كان يحتجزه تحت لسانه. "لم أرد... لم يكن ذلك ما اخترته. ريغا قرر بدوني، وداجي لم تخبرني إلا بعد فوات الأوان، لكنني حاولت تحذيرها..."

قالت رين وقد غمرتها المعلومات:

— "انتظر لحظة. تحذير من؟"

واصل الحديث وكأنه لم يسمع:

— "كان يجب أن أوقف هانيلاي. لم يكن يجدر بها إخباره. أرادت المساعدة، لكنها لم تكن لتحصل عليها أبدًا، وكنت أعرف ذلك. كان يجب أن تغادر، لولا الأطفال..."

كررت رين:

– "الأطفال؟"

أي أطفال؟ عما كان جيانغ يتحدث؟ أصبحت هذه القصة أكثر تعقيداً ورعبًا بكثير. دار عقلها، يحاول تجميع سردية تجعل من كل هذا منطقيًا، لكن كل ما اقترحته كان مرعبًا.

– "أطفال مثل ألتان؟ مثلي؟"

رمش جيانغ:

– "ألتان؟ لا، لا... الفتى المسكين، لم ينجُ أبدًا..."

– "ينجو من ماذا؟"

أمسكت رين بياقة جيانغ، تحاول الإمساك بالحقيقة قبل أن تفر.

– "جيانغ، من أنا؟"

لكن اللحظة مرت. حدق جيانغ فيها، وعيناه الشاحبتان فارغتان. الرجل الذي يملك الإجابات قد رحل.

صرخت رين:

– "تبًا!"

تطاير الشرر من قبضتها، شائطًا مقدمة سترة جيانغ.

جفل متراجعًا وقال بصوت صغير:

– "أنا آسف. لا أستطيع... لا تؤذيني."

– "أوه، بحق الجحيم."

لم تستطع تحمل رؤيته ينكمش هكذا، رجل كامل النمو يتصرف كطفل. أرادت التقيؤ من الخزي. أمسكت بذراعه وسحبته عائدة نحو خيمته. أطاع تعليماتها دون كلمة، زاحفًا بخنوع إلى بطانيته دون حتى نظرة إلى هيئة داجي الممدة.

قبل أن تغادر رين جعلته يبتلع كوبًا من شاي (اللودانوم). سيكون نومه هادئًا، بلا أحلام. وغدًا، إذا حاول جيانغ إخبار أي شخص بما حدث، يمكنها بسهولة التظاهر بأن كل ما قاله كان مجرد ثرثرته المعتادة غير المفهومة.

***

سأل كيتاي لما بدا وكأنه المرة المئة:

– "هذا كل ما قاله؟ (لولا الأطفال)؟"

– "هذا كل ما استطعت الحصول عليه."

جرت رين قدمًا ثقيلة أمام الأخرى ودفعت نفسها لأعلى المنحدر. ساروا لساعة واحدة فقط منذ الشروق، لكنها كانت منهكة بالفعل لدرجة أنها لم تعرف كيف ستكمل اليوم. لم تستطع النوم، مع ترداد كلمات جيانغ مرارًا وتكرارًا في عقلها. لم تكن منطقية الآن أكثر مما كانت عليه حين نطقها لأول مرة؛ أسئلتها الألف غير المجابة أنبتت ألفًا غيرها.

– "لم يقل أطفال من، لم يقل أين..."

قال كيتاي:

– "أعني، لا بد أنهم أطفال السبيريين. صحيح؟ مع تورط هانيلاي، لا يوجد أحد آخر."

قال ذلك مسبقًا. كانوا يصطدمون بنفس الجدار طوال الصباح، لكن ذلك كان الاستنتاج الوحيد الذي استطاعوا استنباطه بأي درجة من اليقين. فعل جيانغ شيئًا لـ هانيلاي وأطفال السبيريين، ولا يزال يتعفن بالذنب بسببه.

لكن ماذا فعل؟

أعلن كيتاي بعد صمت:

– "هذا عبث. هناك الكثير من المجاهيل. لا يمكننا تجميع قصة عبر التخمين. ليس لدينا أدنى فكرة عما حدث قبل عشرين عامًا."

قالت رين:

– "إلا إذا فعلنا ذلك مرة أخرى."

رمقها بنظرة جانبية:

– "هل ستفعلين ذلك مرة أخرى؟"

– "رين."

قبل أن تتمكن رين من الرد، شقت فينكا طريقها إلى مقدمة الطابور، ووجهها محتقن باللون الأحمر. كان هذا نادرًا. عادة ما كانت فينكا تسير قرب مؤخرة الصف، تشرف على الخلف لتراقب المتخلفين والهاربين.

– "هناك مشكلة."

أشارت رين للقوات بالتوقف.

– "ماذا حدث؟"

كان لدى فينكا تعبير غريب على وجهها:

– "إنها فتاتان. الجنود... آه، أعني، إنهم..."

سألت رين بحدة:

– "هل لمسوهما؟"

كانت قد جعلت سياستها بشأن الاعتداء الجنسي واضحة جدًا. في المرة الأولى التي ضُبط فيها جنديان يحاصران امرأة شابة بمفردها في منتصف الليل، قامت هي وفينكا بخصي الجنديين وتركتهما ينزفان في التراب وقضيباهما محشوان في فميهما. لم يحدث ذلك مرة أخرى.

قالت فينكا بسرعة:

– "ليس هذا. لكنهم تجمهروا عليهما. يريدون عقابًا."

قطبت رين جبينها:

– "على ماذا؟"

بدت فينكا غير مرتاحة للغاية:

– "لانتهاك الجثث."

بسرعة، تبعت رين فينكا أسفل الطابور.

أول شيء رأته حين اخترقتا الحشد المتجمهر كان جثة. تعرفت على وجه أحد ضباط "أمير حرب القردة" السابقين. كان جسده ممددًا في الثلج، ذراعاه وساقاه متباعدة وكأنه أُعد للتشريح. بدا وسطه وكأن دبًا أخذ قضمتين كبيرتين من لحمه — واحدة حول صدره، وواحدة قرب معدته.

ثم رأت رين الفتاتين، كلتاهما تركعان وأيديهما مقيدة خلف ظهريهما. كانت أيديهما ملطخة بالدم. وكذلك أفواههما وأذقانهما.

اضطربت معدة رين حين أدركت ما حدث.

زمجر جندي — أحد رجال غوروباي الآخرين:

— "يجب أن تُحرقا."

وقف فوق الفتاة الأطول، ويده على سيفه كأنه مستعد لقطع رأسها في التو واللحظة.

سألت رين بسرعة:

— "هل قتلتماه؟"

رفعت الفتاة الأطول رأسها بحدة، وعيناها تلمعان بالتحدي:

— "كان ميتًا. كان ميتًا بالفعل، كان مريضًا، لم..."

حشر الجندي حذاءه في أسفل ظهرها:

— "اخرسي، أيتها العاهرة الصغيرة."

أطبق فم الفتاة واتسعت عيناها بالألم، لكنها لم تئن.

قالت رين:

— "فكوا قيودهما."

لم يتحرك الجنود.

رفعت رين صوتها، تحاول شحنه بنفس الرنين الذي جاء بسهولة في الكهف:

— "ما هذا، محاكمة؟ العدالة لي أنا لأطبقها، وليست لكم. فكوا قيودهما ودعوهما وشأنهما."

أطاعوا بتجهم، ثم تفرقوا عائدين إلى طابور المسير. ركعت رين أمام الفتاتين. لم تتعرف عليهما في البداية، لكنها رأت الآن أنهما الفتاتان اللتان جندتهما في "خلية النحل" — المشردة الشاحبة الجميلة وأختها الخجولة المنمشة. كانت وجوههما هزيلة وضامرة، لكنها تعرفت على تلك النظرة القاسية الصوانية في عيونهما.

تذكرت أسماءهما أخيرًا:

— "بيباجي؟ جيوتو؟"

لم تبديا أي إشارة على أنهما سمعتا. فركت بيباجي ذراعي جيوتو، مهدئة أنين أختها بهمسات خافتة.

قالت رين، لأنها لم تكن متأكدة مما يجب قوله:

— "لقد أكلتماه."

كان الأمر غريبًا جدًا، وغير متوقع جدًا. لم تعرف ما يفترض بها فعله تاليًا.

قالت بيباجي:

— "أخبرتكِ أنه كان ميتًا."

إذا كانت خائفة، فقد قامت بعمل مذهل في إخفاء ذلك.

— "لم يكن يتنفس حين وجدناه."

بجانبها، مصت جيوتو أطراف أصابعها.

حدقت فيهما رين بذهول:

— "لا يمكنكما فعل ذلك. هذا ليس... أعني، هذا انتهاك. هذا مقرف."

رمقتها بيباجي بنظرة ضجرة للغاية — ذلك النوع من التحديق الغائر واللامبالي الذي لا ينتجه سوى الجوع. قالت عيناها: تفضلي. اقتليني. لن أشعر حتى.

— "إنه طعام."

لاحظت رين حينها أن الجثة لم تكن منهوشة بوحشية كما بدت في البداية. الثلج الملطخ بالدم جعل الأمر يبدو كذلك فقط. لم تُحدث الفتاتان سوى شقين أنيقين. واحد فوق القلب، وواحد فوق الكبد. ذهبتا مباشرة للأعضاء التي توفر أكبر قدر من الغذاء، مما يعني أنهما حصدتا اللحم من الجثث من قبل. كانتا متمرستين في هذا الآن — كانت هذه المرة الأولى فقط التي يُضبطن فيها.

لكن ما الذي يفترض بـ رين فعله حيال ذلك؟ إجبارهما على الجوع؟ لم تستطع أمرهما بالعيش على الحصص التموينية. لم يكن هناك ما يكفي من أي شيء للجميع. كانت لدى رين حصص كافية لأنه بالطبع لديها؛ هي الجنرال، هي السبيرية، الشخص الوحيد في هذا الطابور الذي لا يُسمح له بالجوع. في حين أن بيباجي وجيوتو لم تكونا ذات أهمية، ولا حتى جنديتين مدربتين. كانتا قابلتين للتضحية.

هل يمكنها معاقبة هاتين الفتاتين لرغبتهما في البقاء على قيد الحياة؟

قالت أخيرًا:

— "خذا كل ما تريدانه وضعاه في حقيبة."

بالكاد صدقت الكلمات التي تخرج من فمها، لكن في تلك اللحظة، بدت كالأشياء الوحيدة المناسبة لقولها.

— "لفاه في أوراق شجر حتى لا يتسرب الدم. كُلا فقط حين لا ينظر أحد. إذا ضبطوكما مرة أخرى، سيمزقونكما إربًا، ولن أتمكن من مساعدتكما. هل تفهمان؟"

اندفع لسان بيباجي ليلعق الدم من زاوية شفتها السفلى.

كررت رين:

— "هل تفهمان؟"

تمتمت بيباجي:

— "كما تقولين."

أعطت جيوتو إيماءة. ودون كلمة أخرى، ركعتا مرة أخرى فوق الجثة واستأنفتا ببراعة سحب الأعضاء من الجيفة.

***

لم تكن بيباجي وجيوتو الوحيدتين اللتين لجأتا لأكل اللحم البشري. كانتا الأوليين فقط. كلما طال المسير، أصبح من الواضح أكثر أن إمدادات طعامهم لن تصمد. كان الجيش يقتات على حصة واحدة من الـ (مايلو) المملح المجفف وكوب واحد من حساء الأرز يوميًا. بحثوا عن الطعام بأفضل ما يمكنهم — حتى أن بعض الجنود بدأوا في ابتلاع لحاء الشجر لكبح آلام جوعهم — لكن في هذا الارتفاع، كان الغطاء النباتي نادرًا ولم تكن هناك حياة برية في الأفق.

لذا لم تتفاجأ رين حين دارت شائعات عن جثث — عادة لضحايا الصقيع أو الجوع — قُسمت وأُكلت نيئة، أو شويت، أو رُزمت للطريق.

نصحها كيتاي:

— "لا تقولي شيئًا. إذا أجازتِه، سترعبينهم. وإذا استنكرتِه، سيكرهونكِ. لكن إذا لزمتِ الصمت، تحصلين على إنكار مقبول."

لم ترَ رين خيارًا آخر لديها. علمت أن هذا المسير سيكون شاقًا، لكن آفاقهم بدت أكثر قتامة مع كل يوم يمر. المعنويات، التي كانت قوية ومتوهجة في بداية رحلتهم، بدأت تذبل. همسات الانشقاق والشكاوى حول رين نخرت الطابور. إنها لا تعرف إلى أين تذهب. مدربة في سينغارد، ولا تستطيع إيجاد طريقها عبر جبل لعين. قادتنا إلى هنا لنمت.

انهار النظام على طول الطابور. تجاهل الجنود بشكل روتيني، أو لم يسمعوا، أوامرها. استغرق الأمر قرابة الساعة لحث المخيم على المسير في الصباحات. في البداية، كان عدد الهاربين حفنة، ثم أصبحوا العشرات. اقترحت فينكا إرسال فرق بحث لمطاردتهم، لكن رين لم ترَ جدوى من ذلك. ما النفع

الذي سيجديه هذا؟ حكم الهاربون على أنفسهم بالموت — وحيدين، سيتجمدون أو يموتون جوعًا في غضون أيام. أعدادهم لم تشكل فارقًا في نصرها أو هزيمتها النهائية.

كل ما يهم هو جبل (تيانشان). كان مستقبلهم معروضًا بوضوح بالأسود والأبيض الآن — إما أن يوقظوا ريغا، أو يموتوا.

بدأت الأيام تتداخل ببعضها. لم يكن هناك فرق بين لحظة من المعاناة الرتيبة والتي تليها. بدأت رين، المنهكة لدرجة تفوق التصديق، تشعر بحس عميق بالانفصال. شعرت كأنها مراقب، لا مشارك، كأنها تشاهد عرض دمى الظل عن كفاح جميل وانتحاري، شيء حدث بالفعل في الماضي وكُرس في الأسطورة.

لم يكونوا بشرًا، كانوا قصصًا؛ كانوا لوحات تتلوي عبر لفائف الجدران. تحولت التضاريس حولهم وهم يسيرون، أصبحت أكثر سطوعًا، وحدة، وجمالًا، وكأنها تتشوه لتطابق المكانة الأسطورية لرحلتهم. لمع الثلج ببياض أنقى. أصبح الضباب أكثر كثافة، والجبال التي يلفها بدت أقل صلابة، وأكثر ضبابية عند الحواف. تحولت السماء لدرجة شاحبة من الأزرق، ليست الصبغة المبهجة ليوم صيفي ساطع بل الظل الباهت لألوان مائية مسحت بشرود على قماش بفرشاة سميكة من شعر الأرنب.

رأوا طيورًا قرمزية تكنس ذيولها ثلاثة أضعاف طول أجسادها. رأوا وجوهًا بشرية محفورة في لحاء الشجر، ليست منحوتة بل نامية عضويًا — تعبيرات هادئة وسعيدة راقبتهم يمرون بلا استعجال أو استياء. رأوا غزلانًا بيضاء شاحبة وقفت ساكنة تمامًا حين اقتربوا، هادئة بما يكفي لتمرر رين يدها فوق آذانها الناعمة. حاولوا صيدها للطعام، بلا جدوى — فرت الغزلان عند رؤية الفولاذ. وشعرت رين بارتياح سري، لأنه لم يبدُ صحيحًا التهام أي شيء بذلك الجمال.

لم تكن رين تعرف ما إذا كانت تلك هلاوس ناجمة عن الإرهاق المحموم. لكن إن كانت كذلك، فقد كانت هلاوس جماعية — رؤى مشتركة لأمة جميلة، أسطورية، ووليدة في طور التكوين.

لأنه كان رائعًا تذكر أن هذه الأرض لا تزال يمكن أن تكون جميلة بشكل يحبس الأنفاس، أن هناك ما هو محاك في قلب الأقاليم الاثنا عشر أكثر من الدم والفولاذ والتراب. أنه بعد قرون من الحرب، لا يزال هذا البلد قماشة للآلهة، وأن جوهرهم السماوي لا يزال يتسرب عبر الشقوق بين العوالم.

ربما لهذا السبب أراد الهسبيريون بشدة جعل "النيكان" ملكًا لهم. لم تستطع رين تخيل بلدهم إلا بالاستنباط من أحيائهم الاستعمارية المهجورة، لكنها تصورتها كمكان كئيب، رمادي وباهت كالعباءات التي يرتدونها، وربما كان هذا سبب اضطرارهم لتشييد مدنهم الصارخة ذات الأضواء الوامضة والضوضاء الصاخبة: لإنكار حقيقة أن عالمهم خالٍ جوهريًا من الألوهية.

ربما كان هذا ما دفع الاتحاد أيضًا. لماذا تقتل الأطفال وتحتجز بلدًا كرهينة إلا لأجل الوعد بتعلم التحدث إلى الآلهة؟ الإمبراطوريات العظمى في العالم اليقظ جنت بسبب ما نسيته لدرجة أنها قررت ذبح الناس الوحيدين الذين لا يزالون يستطيعون الحلم.

كان هذا ما أبقى رين مستمرة حين تخدرت قدماها من البرد لدرجة أنها بالكاد شعرت بهما وهي تجرهما عبر الثلج، حين نبض صدغاها بشدة من البياض الساطع لدرجة أن ومضات حمراء زاهية اندفعت عبر رؤيتها — فكرة أن النجاة موعودة، والنصر مقدر، لأن حقيقة الكون كانت في صفهم. لأن "البانثيون" الفوضوي وغير المفهوم وحده يمكنه تفسير الجمال الشاسع والمخيف لهذه الأرض، وهو شيء لن يتمكن الهسبيريون أبدًا من فهمه بتشبثهم المهووس واليائس بالنظام.

لذا سارت رين لأنها عرفت، أنه في نهاية رحلتهم، كان الخلاص الإلهي ينتظر. سارت لأن كل خطوة قربتها أكثر إلى الآلهة.

سارت حتى توقف كيتاي فجأة أمامها ببضع خطوات ذات صباح. توترت، وقلبها يسابق الزمن برهبة، لكن حين استدار، رأت أنه يبتسم.

أشار بإصبعه، وتبعت نظره أسفل المسار نحو زهرة أوركيد زرقاء وحيدة تشق طريقها بتردد عبر الثلج.

زفرت وكبتت الرغبة في البكاء.

لا يمكن لزهور الأوركيد النمو في الارتفاعات التي كانوا يسيرون فيها. يمكنها النمو فقط في الارتفاعات المنخفضة، في الوديان والتلال.

لقد عبروا إلى "إقليم الكلب". لقد بدأوا نزولهم. من هنا فصاعداً، كانوا يسيرون للأسفل.

الفصل العشرون

من بين الأقاليم الاثني عشر، كان إقليم الكلب هو الأرض القفر الحقيقية في الإمبراطورية.

كان إقليم الجرذ مدقع الفقر، وإقليم القرد أرضًا زراعية خاملة ومعزولة، وإقليم الخنزير سهلًا خارجًا عن القانون يعج بقطاع الطرق. أما إقليم الكلب فكان نائيًا، وجبليًا، ومعدود السكان لدرجة أن قطعان الياك فاقت عدد البشر — وربما كان هذا هو السبب الوحيد لعدم غزوه من قبل الجمهورية حتى الآن.

عندما هبطت رين وقواتها من الجبال عابرين الحدود إلى هضبة سكاريكون، لم يروا أي أثر للحضارة البشرية.

افترضت أن أملها كان أحمق منذ البداية؛ الأمل بأن يكون أمير الحرب الكلب وجيشه في انتظارهم بأذرع مفتوحة عند سفوح جبال باولي. كان ذلك اللقاء حلمًا فارغًا دومًا، كذبة أخبرت بها الجنوبيين منذ بداية المسيرة لمنحهم سببًا للمواصلة. لكن مر وقت طويل جداً منذ هروبهم من "السندان" لدرجة أنها بدأت تصدق الكذبة نفسها.

قد يجدون حلفاء رغم ذلك. كان إقليم الكلب أرضًا شاسعة ومفتوحة، ولم يصلوا إلا إلى الحافة الجنوبية الشرقية من حدوده. ربما لا يزال بإمكانهم العثور على قطعان الأغنام والياك المتنقلة التي اشتهر بها الإقليم. لكن رين عرفت أن الجنون سيمسها إن أبقت عينيها مثبتتين على السهول البعيدة، آملة في ظهور خيالات بشرية في الأفق.

لم يكن بوسعهم افتراض قدوم المساعدة. خيارهم الوحيد هو مواصلة الدفع نحو جبل تيانشان، بمفردهم.

سارت المسيرة عبر الهضبة بسهولة أكبر بكثير من رحلتهم عبر الجبال. كانوا لا يزالون منهكين؛ وأعدادهم تتناقص بسبب الجوع والمرض. لكن الآن، وقد توقفت الأرض عن الانزلاق بغدر تحت أقدامهم، ولم يعد الهواء يعض ببرودة كافية للقتل، قطعوا ثلاثة أضعاف المسافة يوميًا مقارنة بما قطعوه في سلسلة باولي. تحسنت الروح المعنوية. وخفتت همسات المعارضة. وبينما اقتربت سلسلة جبال تيانشان البعيدة يومًا بعد يوم، لم تعد خطًا ضبابيًا في الأفق بل خيالًا جبليًا واضح التضاريس ومسننًا قبالة السماء الشمالية، بدأت رين تجرؤ على الأمل بأنهم قد ينجحون بالفعل. أن كل خططهم، وكل حديثهم عن التريفيكتا الذي بدا حتى الآن كخيال بعيد المنال، قد يتحقق واقعًا.

لكنها لم تكتشف بعد ما الذي ستفعله إن حدث ذلك.

كزها كيتاي في كتفها.

— "رين. انظري."

كانت تتعثر في مشيتها بذهول، نصف نائمة من التعب.

— "ماذا؟"

رفع ذقنها لأعلى ليوقفها عن التحديق في الأرض. وأشار بإصبعه.

— "هناك."

لم تصدق عينيها حين رأتها، لكن هتافًا تصاعد عبر الطابور أكد أن الجميع رأوا ما رأته —المخطط الخارجي لقرية، ظاهر بوضوح قبالة السهوب. سحب كثيفة من الدخان تتصاعد من أسطح الأكواخ المستديرة التي وعدت بالمأوى، والدفء، وعشاء مطهو.

سرّع الطابور خطاه.

قالت رين:

— "انتظروا. لا نعرف إن كانوا ودودين."

رمقها كيتاي بنظرة ساخرة. من حولهم، سار الجنوبيون وأيديهم على أسلحتهم.

– "لا أظن أن مسألة دعوتنا تهم كثيرًا."

***

قال أمير الحرب الكلب، تشوان تشولانغ:

– "أنتِ أصغر مما توقعت."

هزت رين كتفيها.

– "آخر شخص قال لي ذلك، جعلت الغوغاء يمزقونه إربًا."

لم تستطرد في الحديث. كانت مشغولة للغاية بشق طريقها مضغًا عبر الوليمة المفروشة على الحصير أمامها –لحم ضأن قاسٍ وجاف؛ وكعك مطهو بالبخار ذو ملمس رملي؛ وحساء مرق الضأن؛ وكوب باردٍ وحامض من حليب الياك لبلع كل ذلك. كان الطعام، بأي معيار، فظيعًا –غالبًا ما كان إقليم الكلب مثارًا للسخرية بسبب طعامه القاسي عديم النكهة. لكن بعد أشهر في الجبال، اشتهى لسانها أي نكهات بخلاف اللدغة الكليلة للماء المغلي بالفلفل.

عرفت أنها تتصرف بوقاحة. لكن طالما لم يكن أحد يحاول قتلها فعليًا، فإنها ستأكل.

مصت آخر لقمة عصارية من نخاع الخروف من العظم، وأخذت نفسًا عميقًا وراضيًا، ثم مسحت يدها في سروالها.

قالت بفظاظة:

– "لا أعرفك على الإطلاق. انتقال للسلطة؟"

كانت قد التقت بأمير الحرب الكلب السابق مرة واحدة من قبل، لفترة وجيزة، في قمة ما بعد الحرب التي عقدتها الإمبراطورة في (لوسان). لم يترك انطباعًا كبيرًا؛ وبالكاد استطاعت تذكر ملامحه جيدًا بما يكفي لتعرف أن الرجل الذي تتعشى معه الآن كان أنحف، وأطول، وأصغر سنًا بكثير. لكنها استطاعت

أيضًا اكتشاف بعض التشابه العائلي في ملامحه —امتلك تشولانغ نفس العينين الطويلتين الضيقتين والجبهة العالية كالرجل الذي افترضت رين أنه والده.

تنهد تشولانغ.

— "أخبرت والدي ألا يجيب على استدعاء فايسرا. كان يجب أن يكون أذكى من أن يفترض أن أمير حرب التنين أراد التحدث فحسب."

وافق كيتاي:

— "غباء منه. هل أرسل فايسرا رأسه إليك؟"

قسى صوت تشولانغ:

— "فايسرا لن يكون رحيمًا أبدًا. لقد أرسل لي سلسلة من اللفائف يهدد فيها بسلخ والدي حيًا وتسليمي جلده المدبوغ إذا لم يستسلم إقليم الكلب."

كانت نبرة كيتاي محايدة تمامًا، خالية من الحكم.

— "إذًا تركت والدك يموت."

قال تشولانغ:

— "أعرف أي نوع من الرجال كان والدي. كان ليسقط على نصله بدلًا من الانحناء. أرسل فايسرا طردًا بالفعل. لم أفتحه قط؛ لقد دفنته."

ارتجف صوته، بالكاد، وهو ينهي حديثه. إنه شاب، أدركت رين. تصرف تشولانغ كجنرال، ومن الواضح أن رجاله عاملوه كذلك، لكن صوته فضح هشاشة لم يستطع جلده الذي لوحته الشمس ولحيته الكثة إخفاءها.

كان مثلهم تمامًا. شاب، خائف، بلا أدنى فكرة عما يفعله، ومع ذلك يبذل قصارى جهده للتظاهر بعكس ذلك.

أشار كيتاي حول المخيم.

— "أفترض أن هذه ليست العاصمة الدائمة؟"

هز تشولانغ رأسه.

– " (جورولان) مكان جميل. معابد منحوتة في جانب الجبل، وتماثيل عظيمة بارتفاع المباني أينما نظرت. هجرناها في اللحظة التي أرسلوا فيها ما افترضت أنه رأس والدي في سلة. لم أكن متحمسًا للتعرض للطعن في سريري."

قالت رين:

– "يبدو أنك حصلت على تأجيل للتنفيذ في الوقت الحالي."

رمقها تشولانغ بنظرة ساخرة.

– "فقط لأننا لم نشكل أبدًا رقمًا كبيرًا على رقعة الشطرنج النيكانية من قبل. لا أحد يعرف تمامًا ماذا يفعل بنا."

كان ذلك صحيحًا. لطالما كان إقليم الكلب حالة شاذة في السياسة الإمبراطورية. كانوا أبعد من مراكز القوة ليشعروا بنير أي نظام، لكن لم يحاول أي من أباطرة القلب بجدية فرض المزيد من السيطرة، لأن الهضبة القاحلة المتناثرة لم تكن تحوي إلا القليل جدًا مما يستحق السيطرة عليه. رعاة الكلاب يربون الماشية من أجل الكفاف ولا يتاجرون. أرضهم لا تستحق الزراعة؛ لا شيء سوى العشب يمكن أن يتجذر في التربة الصخرية الرقيقة.

قالت رين:

– "لكن لابد أنك تدرك أن الجمهورية لن تتجاهلك للأبد."

تنهد تشولانغ.

– "نحن ندرك ذلك جيدًا. الأمر يتعلق بالمبدأ، أتوقع. تغيير النظام يتطلب هيمنة كاملة. وإلا، إذا كانت لديك شقوق في أساسك حتى قبل أن تبدأ الحكم، فهذا يرسخ سابقة سيئة."

قال كيتاي:

– "ليس هذا فحسب. إنها معادنكم. أخبرني نزهة أن الهسبيريين كانوا يناقشون الأمر. يعتقدون أن هناك فحمًا، وتنجستن، وفضة تحت هذه الهضبة.

إنهم متحمسون جداً لذلك –لقد جهزوا كل أنواع الآلات للحفر تحت سطح الأرض بمجرد أن يعرفوا أن التحرك آمن."

لم يبدُ تشولانغ متفاجئًا.

– "وأتوقع أن تعريفهم للأمان يتضمن إزالتنا الكاملة."

قال كيتاي:

– "تقريبًا."

قالت رين بلهفة:

– "إذاً نحن في نفس الصفحة."

ربما بلهفة مفرطة –استطاعت سماع الجوع العاري في صوتها– لكن الجيش الجنوبي سار لفترة طويلة جداً على أصغر شذرات الأمل لدرجة أنها كانت يائسة لترسيخ هذا التحالف.

– "أنت تحتاجنا. ونحن نحتاجك. سنقبل أي ضيافة يمكنك تقديمها – جنودي يتضورون جوعًا، لكنهم منضبطون– وبعد ذلك يمكننا حصر عدد القوات التي لدينا..."

رفع تشولانغ يداً ليقاطعها.

– "لن تجدي تحالفك هنا، أيتها السبيرية."

تلعثمت قائلة:

– "لكن الجمهورية عدوتك."

– "الجمهورية فرضت عقوبات على الهضبة منذ بدأت مسيرتكم." لم يحمل صوت تشولانغ أي أثر للعداء، فقط استسلام حذر. "نحن بالكاد نصمد بأنفسنا. وليس لدينا دفاعات لننظمها. كان عدد سكاننا دائمًا جزءًا ضئيلًا من سكان الأقاليم الأخرى، وليس لدينا أسلحة سوى الأقواس وأدوات الزراعة. وبالتأكيد لا مسحوق نار. يمكنني أن أقدم لكم وجبة جيدة وراحة لليلة. لكن إذا كنتِ تبحثين عن جيش هنا، فلن تجديه."

عرفت رين ذلك. لقد لاحظت الفقر الواضح في مخيم تشولانغ. كان بإمكانها تخمين حجم قوات إقليم الكلب بناءً على حرسه الشخصي الهزيل. عرفت أن هذه لم تكن قاعدة يمكنها منها شن مقاومة —كانت مكشوفة جدًا، ومفتوحة جدًا، ومعرضة جدًا للغارات الجوية. عرفت أنه لا يوجد جيش هنا، وبالتأكيد ليس جيشًا يمكنه هزيمة حشد من المناطيد.

لكنها لم تأتِ هنا من أجل الجيش.

قالت:

— "الأمر لا يتعلق بأعداد القوات. نحن نحتاج فقط إلى دليل يصعد بنا الجبال."

ضاقت عينا تشولانغ.

— "إلى أين تحاولون الذهاب؟"

أومأت برأسها نحو السلاسل الجبلية في البعيد.

اتسعت عيناه.

— "جبل تيانشان؟"

قالت رين:

— "هناك شيء هناك سيساعدنا على الفوز. لكن عليك مرافقتنا إلى هناك."

بدا متشككًا.

— "هل تخططين لإخباري ما هو؟"

تبادلت رين نظرة مع كيتاي، الذي هز رأسه.

قالت بصدق:

— "من الأفضل ألا تعرف. حتى ضباطي لا يعرفون."

صمت تشولانغ، يتفحصها.

تفهمت رين تردده. كان أمير حرب حديث العهد، مُثقلًا بإرث والده المقتول، يحاول إيجاد طريقة لإبقاء شعبه على قيد الحياة عندما بدت كل

الخيارات قاتمة. وها هي ذي، الهاربة الأكثر طلبًا من الجمهورية، تطلب منه تحدي الحذر لمساعدتها في تسلق جبل بعيد لغرض لا يمكنه تبيّنه.

كان هذا الاقتراح سخيفًا. لكن كان عليه أن يعرف، بعد موت والده، أن هذا هو الخيار الوحيد المتاح له. التحدي كان سخيفًا. والأمل كان سخيفًا. وكلما طال صمت تشولانغ، وحاجباه معقودان، زاد يقين رين أنه أدرك هذا أيضًا.

قال أخيرًا:

— "يروون قصصًا عن ذلك الجبل."

سألت:

— "أي قصص؟"

— "الضباب هناك كثيف كالجدران. المسارات لا تتصرف كما ينبغي للمسارات؛ تلتوي وتلتف عائدة على نفسها وترسلك للمشي في دوائر. إذا ضللتِ طريقك، فلن تجديه مرة أخرى أبدًا. ولم يعد أحد غامر بالصعود إلى القمة حيًا."

قالت رين:

— "ثلاثة أشخاص عادوا. وسيصبحون أربعة عما قريب."

***

عرض عليهم تشولانغ الضيافة في مستوطنته لتلك الليلة. اعتذر قائلًا:

— "إنه ليس مأوىً كبيرًا. هذا موقع مؤقت؛ لن يكون مريحًا جدًا. وليس لدينا المساحة لإيواء الجميع. لكن يمكننا إطعامكم، وإعطاؤكم أغطية، وإرسال أطبائنا للاعتناء بجراحاكم. سكني تحت تصرفكم، إن أردتموه."

في البداية رفضت رين من باب اللياقة، مصرة على أن خيمتها تكفي. لكن حين أراها تشولانغ وكيتاي كوخه المستدير، وهو هيكل قوي بشكل مثير

للإعجاب يمكنه توفير مأوى أفضل بكثير ضد رياح الليل العاوية مقارنة بجدران خيمتها الواهية والممزقة، قبلت على الفور.

قال تشولانغ:

– "خذاه. سأنام تحت النجوم الليلة."

لقد مر وقت طويل جدًا منذ قدم أي شخص لرين لطفًا بسيطًا كهذا دون توقع أي شيء في المقابل، لدرجة أنها استغرقت لحظة لتتذكر كيف ترد.

– "شكرًا لك. حقًا."

استدار ليغادر.

– "ارتاحي جيدًا، أيتها السبيرية. سنزحف نحو تيانشان عند الفجر."

احتل حصير نوم مبطن، بسماكة بوصتين على الأقل، وسط الكوخ. آلم ظهر رين وكتفاها لمجرد النظر إليه. بعد أسابيع من النوم متكورة على التراب البارد والقاسي، بدا هذا رفاهية لا يمكن تصورها.

قال كيتاي، مرددًا أفكارها:

– "مسكن لطيف. هل تريدين مني تولي نوبة الحراسة الأولى؟"

– "لا، انطلق أنت ونم. أريد أن أفكر."

كانت تعلم أنه منهك؛ لقد ضبطت عينيه تنزلقان للإغلاق أكثر من مرة خلال مقابلتهم مع تشولانغ. جلست متربعة بجانب الحصير، انتظرت زحف كيتاي تحت الأغطية، ثم أمسكت بيده.

تكونت أصابعه حول أصابعها.

– "رين."

– "أجل؟"

بدا صوته صغيرًا جدًا في الظلام.

– "آمل أننا نعرف ما نفعله."

أخذت نفسًا عميقًا، وزفرته ببطء، وعصرت أصابعه.

— "أنا أيضًا."

كان تبادلًا لا معنى له، غير كافٍ، ولم يقترب من التعبير عن المخاوف التي أثقلت عقليهما، ولا عن ضخامة ما هو قادم. لكنها عرفت ما يقصده. عرفت حيرته، وخوفه، ورعبه العميق الذي يهز العظام من أن خياراتهم لم تكن جيدة —أنهم كانوا يتنقلون في غابة من الثعابين حاملين ثقل مستقبل الجنوب على أكتافهم، وأن خطوة خاطئة واحدة ستدمر كل شيء.

كانوا سيوقظون ريغا.

هذا ما قرروه، بعد العديد من النقاشات المهموسة. الحسابات لم تتغير.

لم يكونوا حمقى. فهموا المخاطر، وفهموا تحذيرات جيانغ الغامضة. عرفوا أن التريفيكتا لن يكونوا خيرين كما ادعت داجي —وأن أيًا كان ما أصبح عليه ريغا، عندما يستيقظ أخيرًا، قد يكون أخطر من نزهة أو الجمهورية.

لكن التريفيكتا كانوا "نيكارا". يين ريغا، بخلاف ابن أخيه، لن ينحني أبدًا للهسبيريين. ربما ارتكبوا فظائع، وربما يفعلون ذلك مرة أخرى، لكن نظامهم على الأقل كان عدوًا للتعدي الهسبيري.

شن مقاومة مسلحة بدونهم كان انتحارًا؛ والاستسلام للجمهورية سيقودهم لمصير أسوأ من الموت. كان التريفيكتا وحوشًا —وعرفت رين بيقين أنهم سيصبحون كذلك مرة أخرى— لكنها احتاجت الوحوش في صفها. أي خيار آخر كان لديهم؟

الضرورة لم تجعل الأمر أسهل. لا تزال رين تشعر، مع كل خطوة خطوها نحو جبل تيانشان، وكأنها حيوان صغير يسير إلى فخ. لكنهم اتخذوا خيارهم، ولم يكن هناك ما يمكنهم فعله الآن سوى المضي فيه حتى النهاية والأمل في الخروج أحياء.

جلست ساكنة في الظلام، ممسكة بيد كيتاي بإحكام حتى استقرت أنفاسه أخيرًا في إيقاع بطيء وهادئ.

— "لا تفزعي."

قفزت رين إلى قدميها. كفنت النار جسدها. انحنت، مستعدة للانقضاض. كان عليها القتال باللهب—سيفها ملقى على الجانب الآخر من حصير النوم، أبعد من أن تصل إليه.

كان عليّ أن أعرف. تسارعت أفكارها. ما كان ينبغي الوثوق بتشولانغ بهذه السهولة، كان عليّ أن أعرف أنه سيبيعنا...

قال الدخيل مرة أخرى، ويداه ممدودتان أمامه:

— "لا تفزعي."

هذه المرة، جعلها صوته تتريث. ميزت رين ذلك الصوت. وميزت وجه الدخيل أيضًا، بمجرد أن تقدم للأمام وأصبحت ملامحه مرئية في ضوء النار الخافت.

— "تبًا." رغم نفسها، انفجرت ضاحكة. "إنه أنت."

قال تشاغان:

— "مرحبًا. هل يمكنني سرقتكِ لحديث؟"

***

— "كيف عرفت أنني سأكون هنا؟"

سارا عبر مخيم تشولانغ دون إزعاج. خفض الحراس رؤوسهم وهم يقتربون من المحيط وسمحوا لهم بالمغادرة دون سؤال.

إذًا لا بد أن تشولانغ عرف بوجود تشاغان هنا. والأكثر من ذلك، لا بد أنه سمح له بالدخول إلى كوخها دون تحذيرها.

وغد، فكرت رين.

قال تشاغان:

— "كنت أقتفي أثرك منذ غادرتِ أراباك. آسف للمفاجأة، بالمناسبة. لم أرغب في الإعلان عن وجودي."

— "كيف أقنعت تشولانغ بالسماح لك بالتسلل عبر مخيمه؟"

– "عشائر المئة تربطها علاقات وثيقة بأقاليم الحدود. في زمن الإمبراطور الأحمر، كانت سينغارد ترسل خريجيها الفقراء ذوي الرتب الدنيا إلى هناك لقتلنا."

– "أفترض أن الأمور لم تسر بتلك الطريقة."

– "عندما تكون وحيداً على الجبهة، فإن شن حرب غير مبررة هو آخر ما تريد القيام به. أقمنا علاقات تجارية قوية منذ زمن طويل. أحببنا جنود إقليم الكلب. رسمنا خطوطًا غير رسمية في الرمال واتفقنا ألا نتجاوزها، طالما امتنعوا عن التعدي على أراضينا. لقد نجح الأمر حتى الآن."

ظلت رين تختلس النظر إليه جانبيًا وهما يمشيان، مذهولة بمدى الاختلاف الذي بدا عليه. كان أكثر صلابة بكثير. سابقًا كان مثل طيف، روح أثيرية تتحرك عبر العالم كما يمر الضوء عبر الهواء، حاضرًا لكنه لا ينتمي تمامًا. لكن الآن عندما مشى، بدا وكأنه يترك آثار أقدام فعلية.

قال:

– "أنتِ تحدقين بي."

– "أنا فَضولية. تبدو مختلفًا."

– "أشعر باختلاف. عندما أغادر المستوى المادي الآن، لا يوجد أحد على الجانب الآخر يسحبني للعودة. اضطررت لتعلم أن أكون مرساتي الخاصة. الشعور... "

لم تسأله كيف يبدو الأمر حين يفتقد (قارا)، في كل ثانية من كل يوم. لم تكن بحاجة للتخمين بشأن الألم الفاغر، والغياب الناهش لتلك الخسارة. كانت تعرف.

ضربتها فكرة.

– "إذًا هل أنت..."

قال بصراحة:

– "لا. أنا أموت." لم يبد منزعجًا من ذلك؛ قالها بلا مبالاة كما لو كان يخبرها أنه سيذهب للسوق الأسبوع المقبل. "يصبح الأمر أصعب في كل مرة — الوصول للآلهة، أعني. لن أتمكن أبدًا من الذهاب بعيدًا، أو البقاء طويلًا، كما اعتدت. ليس إذا أردت الاستيقاظ مرة أخرى. لكنني لا أطيق قضاء كل وقتي في هذا العالم، هذا المكان المادي بشكل فظيع." أشار حول السهوب بازدراء. "لذا لا أستطيع التوقف. وفي يوم ما سأذهب بعيدًا جدًا. ولن أعود."

توقفت عن المشي. لم تعرف ماذا تقول.

– "تشاغان. أنا..."

قال:

– "لست قلقًا بشكل خاص. وأود بشدة التحدث عن شيء آخر."

غيرت الموضوع.

– "إذًا كيف جرت الأمور في الوطن؟"

آخر مرة رأت فيها تشاغان، كان يسابق الريح شمالًا على حصان حربي بعد انقلاب ابن عمه (بيكتر) الدموي. حينها، خشيت أنه يركض لحتفه. لكن مما يبدو، فقد خرج من صراع القوة ذاك سالمًا، ومسؤولًا، ومعه قوات وموارد وفيرة.

قال تشاغان:

– "بشكل جيد بما يكفي. من الواضح أن بيكتر لم يعد مشكلة بعد الآن."

أعجبت رين، وإن لم تكن متفاجئة للغاية.

– "كيف دبرت ذلك؟"

– "القتل والمؤامرة. الوسائل المعتادة، بالطبع."

– "بالطبع. أنت تقود الكيتيريديين الآن، إذًا؟"

رمقها بابتسامة رفيعة الشفتين.

— "أرجوكِ يا رين. أنا أقود عشائر المئة. لأول مرة منذ قرن نحن متحدون، وأنا أتحدث هنا نيابة عنهم."

أومأ برأسه نحو شيء أمامهما. نظرت رين لأعلى. كانت تفترض أنهم يمشون فقط بعيدًا عن سمع أي شخص في مستوطنة تشولانغ، لكن عندما تتبعت خط نظر تشاغان رأت نيران مخيمات وخيالات نحيلة قبالة ضوء القمر. اقتربوا، وميزت عشرات الخيام القماشية، وخيولًا مستريحة، وحراسًا أقواسهم جاهزة. مخيم جيش.

قالت:

— "لقد أحضرت كتيبة كاملة."

قال تشاغان:

— "بالطبع. لم أكن لأسير ضد التريفيكتا بأي شيء أقل."

توقفت رين عن المشي. تلاشت الزمالة بينهما. كورت كفها في قبضة، تجهز نفسها لقتال.

— "تشاغان..."

— "أنا هنا كصديق." رفع يديه ليوضح أنه بلا سلاح، رغم أن رين عرفت أنه مع تشاغان، لا يهم السلاح. "لكنني أعرف ما تنوين فعله، ونحن بحاجة ماسة للتحدث. هل ستجلسين؟"

قالت:

— "أريد من كل رعاتك ترك أقواسهم وجعابهم في كومة بجانبي. وأريدك أن تقسم على قبر أمك أنني سأعود سالمة إلى الجنوبيين قبل الفجر."

— "رين، بحقك. إنه أنا."

بقيت حازمة.

— "أنا لا أمزح."

كانت قد افترقت عن تشاغان آخر مرة بشروط ودية. عرفت أن مصالحهم، على الأقل فيما يتعلق بالجمهورية، كانت متوافقة. لكنها لا تزال لا تثق

بتشاغان، ولا بأي من الكيتيريديين، ألا يضعوا سهمًا في جبهتها إذا قرروا أنها تهديد. لقد تعاملت مع العدالة الكيتيريدية من قبل؛ وعرفت أنها نجت فقط لأن (سورقان سيرا) اعتبرتها مفيدة.

أشار تشاغان لرجاله، الذين أطاعوا بتردد.

— "كما تشائين. أقسم بقبر (كالاغان) من النايماد أننا لن نؤذيك. أفضل؟"

جلست رين وعقدت ساقيها.

— "أفضل بكثير. تابع."

— "شكرًا لك."

جثا تشاغان قبالة لها. بسط حقيبته، وسحب قارورة من مسحوق أزرق كوبالتي، ونزع الفلين قبل تقديمها لها.

— "العقي طرف إصبعك وامسحيه على لسانك. مرة واحدة يجب أن تكفي. واتخذي وضعية مريحة. إنه يأخذ مفعوله بسرعة، تتذكرين..."

— "تمهل." لم تلمس القارورة. "أخبرني بما يحدث قبل أن ألقي بروحي في الهاوية معك. أي إله سنزور الآن؟"

قال:

— "ليس الآلهة. الموتى."

قفز قلبها دقة.

— " ألتان؟ هل وجدته؟"

— "لا." عبر ظل من عدم الارتياح وجه تشاغان. "إنه ليس... لم يسبق لي... لا. لكنها سبيرية. معظم الأرواح تذوب إلى لا شيء عندما تموت. لهذا السبب من الصعب التواصل مع الموتى؛ لقد اختفوا بالفعل من عالم الأشياء الواعية. لكن نوعكِ يبقى. إنهم مقيدون بالاستياء وبإله يتغذى عليه، مما يعني أنهم غالبًا لا يستطيعون الرحيل. إنهم أشباح جائعة."

لعقت رين طرف سبابتها ودسته في القارورة، تديره حتى غطى مسحوق ناعم وزغبي جلدها حتى المفصل الأول.

— "هل نتحدث إلى تيرزا؟"

أخذ تشاغان القارورة وفعل المثل.

— "لا. شخص أحدث عهدًا. لا أعتقد أنكِ قابلتها."

نظرت لأعلى.

— "من؟"

قال تشاغان بفظاظة:

— " هانيلاي."

دون تردد وضعت رين إصبعها المغطى بالمسحوق في فمها ومصته.

فورًا، تلاشى مخيم الكيتيريديين وذاب مثل ألوان دوّمت في الماء.

أغمضت رين عينيها. شعرت بروحها تحلق عاليًا، تهرب من جسدها الثقيل، ذلك الكيس الأخرق من العظام والأعضاء واللحم، تحلق نحو السماوات كطائر تحرر من قفصه.

قال تشاغان:

— "سننتظر هنا."

طافا معًا في فضاء مظلم —مستوى ليس حالك السواد تمامًا، بل مكفن في شفق ضبابي.

— "عندما اكتشفت أنكِ تسيرين إلى تيانشان، ذهبت للبحث. احتجت لفهم المخاطر. أعرف أنه لا يوجد حي يمكنه دفعك عن المسار الذي اخترتِه."

أومأ نحو كرة حمراء من الضوء في الفراغ، نجم بعيد كبر حجمه مع اقترابه. "لكنها قد تفعل."

أصبح النجم عمودًا من اللهب ثم امرأة، سُحبت بالقرب أمامهما، تتوهج بحرارة حمراء وكأنها تحترق من الداخل.

حدقت رين، عاجزة عن الكلام.

عرفت هذا الوجه. عرفت تلك الذقن المدببة، وذلك الفك المستقيم، وتينك العينين القاسيتين المتجهمتين. رأت ذلك الوجه يحدق فيها عائدًا من المرايا.

قال تشاغان:

— "مرحبًا، هانيلاي. هذه هي الصديقة التي أخبرتك عنها كثيرًا."

التفتت هانيلاي نحو رين، وعيناها تجولان بتجبر فوقها كملكة تمسح رغيتها. استولى شعور غريب على قلب رين، شوق غريب لا يمكن تسميته. شعرت به مرة واحدة فقط من قبل، قبل عامين، عندما رفعت أصابعها قبالة أصابع ألتان واندهشت من تطابق بشرتهما الداكنة. لم تظن أبدًا أنها ستشعر به مرة أخرى.

اشتبهت في صلتها بهانيلاي. اشتبهت بذلك لفترة طويلة. الآن، وهي تحدق في ذلك الوجه، عرفت أن الأمر لا يمكن إنكاره. عرفت الكلمة المناسبة لذلك، كلمة لم تستخدمها مع أي شخص من قبل. لم تجرؤ على قولها بصوت عالٍ.

ومع ذلك، لم تظهر هانيلاي أي تلميح للتعرف عليها.

سألت:

— "أنتِ التي تسافرين مع جيانغ زيا؟"

قالت رين:

— "نعم. وأنتِ..."

زمجرت هانيلاي. توهجت عيناها بالأحمر. قفزت نيرانها وانبسطت كانفجار معلق في الزمن، بتلات برتقالية مميتة تتفتح نحو رين.

قال تشاغان بسرعة:

— "لا تخافي. الموتى لا يمكنهم إيذاؤك. تلك النيران ليست حقيقية، إنها مجرد إسقاطات."

كان محقًا. أزبدت هانيلاي وزمجرت، تصرخ بشكل غير مفهوم بينما انطلقت النار من كل جزء من جسدها. لكنها لم تقترب أبدًا من رين. لم تحمل نيرانها حرارة؛ ورغم أنها التوت وقفزت، ظل مستوى الشفق باردًا بشكل محايد كما كان دائمًا.

ومع ذلك، كانت مرعبة. تطلب الأمر كل قوة إرادة رين لعدم الانكماش بعيدًا.

– "ما خطبها؟"

قال تشاغان:

– "إنها ميتة. ميتة منذ زمن طويل. وعندما لا تتلاشى الأرواح عائدة إلى الهاوية، تحتاج لأربطة، كراهيتها العالقة التي تمنعها من الرحيل. هي ليست شخصًا بعد الآن. هي غضب."

– "لكنني رأيت تيرزا من قبل. تيرزا لم تكن..."

– "تيرزا كانت تملك السيطرة. غضبها كان مكبوحًا، لأنها اختارت ظروف موتها. هانيلاي لم تفعل."

تأملت رين هانيلاي. الآن لم تبدُ نيرانها النابضة وتجهمها الملتوي مخيفة جدًا. بدت بائسة.

كم من الوقت ظلت هانيلاي تنجرف في غضبها؟

قال تشاغان:

– "ليس لديك ما تخافينه. إنها تريد التحدث إليكِ، هي فقط لا تعرف كيف. إذا تحدثتِ إليها، ستجيب. هيا."

عرفت رين ما كان عليها سؤاله.

كانت هذه فرصتها، أخيرًا، لاستخراج الحقيقة —السر الذي تقيح طويلًا بينها وبين جيانغ وداجي. لم تكن تريد أن تعرف؛ كانت خائفة من المعرفة. كان الأمر مثل غرز سكين في جرح مسموم لسحب السم؛ الألم كان مهولًا. لكن حتى

لو دمرها هذا السر، كان عليها سماعه. كان عليها تسلق ذلك الجبل بعيون مفتوحة.

نظرت مباشرة في وجه هانيلاي الغاضب والمتألم.

– "ماذا فعل بكِ؟"

عوت هانيلاي.

طارت الأصوات نحو رين كهجوم من السهام —ليست كلها لهانيلاي، وليست كلها لبالغين. شظايا مئات المظالم اعتدت عليها كفسيفساء من الألم، مجمعة تفاصيل لوحة، حتى الآن، لم تلمحها إلا من مسافة.

– ريغا...

– عندما أخذوا أطفالنا...

– لا خيار آخر...

– هل كنتِ لتختاري؟...

– لم يهم، لَم يهم أي من ذلك...

– أرادوا الآلهة، لم يريدوا سوى الآلهة أبدًا، وشعرنا بالأسف لأجلهم لأننا لم نستطع التخيل...

– من أجل أطفالنا...

– ريغا...

– كان ليتركنا وشأننا...

– فقط اتركونا وشأننا، لم نرد أبدًا...

– ثم ريغا...

– ريغا...

– ريغا!

قالت رين:

– "أنا أفهم."

لم تفهم، ليس كليًا، لكنها سمعت ما يكفي لتجميع الخطوط العريضة وكان ذلك كافيًا؛ لم تستطع تحمل سماع المزيد؛ لم تستطع التفكير في جيانغ بتلك الطريقة.

– "أنا أفهم، توقفوا..."

لكن الأصوات لم تتوقف، بل تصاعدت، صرخات تتكدس فوق صرخات بحجم لا يطاق.

– وجيانغ لم...

– جيانغ أبدًا...

– لقد وعد...

– عندما ريغا...

– زيا...

– قال إنه أحبنا...

قال إنه أحبني.

قالت رين:

– "توقفوا. لا أستطيع..."

قطع صوت تشاغان عقلها كشظية من الجليد.

– "لا تستطيعين؟ أم أنكِ لا تريدين أن تعرفي؟"

توحدت الأصوات عائدة في صوت واحد.

صرخت هانيلاي، تطير نحو رين:

– "خائنة. خائنة غبية، إمبريالية، مثيرة للشفقة..."

تشوه صوتها إلى طابع مزدوج عميق، ثم انشق إلى جوقة. عندما تحدثت هانيلاي، لم يتحرك فمها لنفسها فحسب، بل لحشد من الموتى. كادت رين

تراهم، حشد من السبيريين خلف هانيلاي، جميعهم يبصقون الغضب في وجهها.

– "تسمعين شهادتنا وترفضيننا، تدنسين قبور أسلافك، أنتِ يا من نجوتِ، يا من تحملين دماءنا، كيف تجرئين على تسمية نفسك سبيرية، كيف تجرئين..."

قالت رين:

– "كفى. اجعلها تتوقف..."

قال تشاغان:

– "استمعي إليها."

تأجج الغضب في رين.

– "قلت كفى."

في كل مرة استخدمت فيها هذا المخدر من قبل، كان تشاغان يرشدها عائدة من عالم الروح، ساحبًا روحها المذهولة والمرعوبة إلى أرض الأحياء. لكن رين انتهت من التجول كطفل ضائع. انتهت من السماح لتشاغان بالتلاعب بها بالأطياف والظلال.

في اللحظة التي ضربت روحها جسدها، دافعة إياها للوعي كسباح يكسر السطح، نهضت رين على ركبتيها وأمسكت به من كتفيه.

– "ماذا كان ذلك بحق الجحيم؟"

قال تشاغان:

– "كان عليكِ أن تعرفي. لم تكوني لتصدقي ذلك من فم أي شخص آخر."

– "وماذا في ذلك، كنت ستخيفني وتطردني بشبح لعين؟"

– "رين. أنت تتحدثين عن إحياء الرجل الذي أباد عرقك."

– "الموغين أَبادوا السبيريين..."

– "وريغا سمح لهم. هل سمعتِ هانيلاي؟ تلك هي القصة الكاملة. ذلك ما لم تكن الأفعى لتخبرك به أبدًا. الاتحاد اختطف أطفال السبيريين وطالب بأسرار الشامانية كفدية. عرف ريغا أن هانيلاي ستكشف كل شيء للموغين، عرف أنها اهتمت بأولئك الأطفال العشرين أكثر من مصير البر الرئيسي، وذبح شعبها لأجل ذلك. ظن أن السبيريين حيوانات. يمكن التخلص منهم. وتظنين أنه سيعاملك باختلاف؟ أسلافك سيشعرون بالاشمئزاز. ألتان لم يكن..."

قالت بحدة:

– "لا تفعل. لا تحدثني عن ألتان. أنت تعرف جيدًا ما كان ألتان ليفعله."

فتح فمه ليرد، رأى النظرة على وجهها، ثم أغلقه. ابتلع ريقه.

– "رين، أنا فقط..."

قالت بحزم:

– "ريغا هو فرصتنا الأفضل والوحيدة لكسب هذه الحرب."

– "ربما. لكن ماذا يأتي بعد ذلك؟ من يحكم الإمبراطورية حينها، أنتِ أم هم؟"

– "لا أعرف. من يهتم؟"

قال بضيق:

– "لا يمكنكِ أن تكوني بهذا الحمق. بالتأكيد فكرتِ في صراع القوة هذا. الأمر لا يتعلق فقط بالعدو. إنه يتعلق بما سيبدو عليه العالم بعد ذلك. وإذا كنتِ تنوين البقاء في السلطة، فمن الأفضل أن تبدئي بوزن فرصك ضد التريفيكتا مجتمعين. تظنين أنكِ قادرة عليهم؟"

قالت مجددًا:

– "لا أعرف. لكنني أعرف شيئًا واحدًا بالتأكيد. بدونهم، ليس لدي أي فرصة مطلقًا ضد الجمهورية والهسبيريين. وهم الخصوم الوحيدون الذين يهمون الآن."

— "هذا ليس صحيحًا. الاحتلال الهسبيري سيكون صعبًا. لكنه قابل للنجاة..."

سخرت:

— "قابل للنجاة بالنسبة لك، فقط لأنك تختبئ في أرض قفر صحراوية جافة وميتة لدرجة أن أحدًا لن يكلف نفسه عناء التعدي على أرضك. لا تناقشني في المخاطر يا تشاغان. ستكون بخير تمامًا هناك في الشمال في جحرك القذر بغض النظر عما يحدث."

قال تشاغان بحدة:

— "انتبهي لكيفية حديثك معي."

حدقت رين فيه، غير مصدقة. تذكرت الآن لماذا كانت تستاء منه دائمًا، لماذا شعرت دائمًا برغبة ملحة في صفع ذلك التعبير المتجهم العليم عن وجهه. كان التعالي المحض. الطريقة التي يتحدث بها دائمًا وكأنه يعرف أفضل، وكأنه يحاضر أطفالًا حمقى.

قالت:

— "أنا لست الفتاة التي قابلتها في (خوردالين) بعد الآن. لست القائدة الفاشلة لـ (السيك). أنا أعرف ما أفعله الآن. أنت تحاول حماية شعبك. أنا أتفهم ذلك. لكنني أحاول حماية شعبي. أعرف ما فعله التريفيكتا بك، وأعرف أنك تريد انتقامك، لكن الآن أنا أحتاجهم. ولا يمكنك إعطائي أوامر."

— "عنادك سيدمرك."

قوست حاجبًا.

— "هل هذا تهديد؟"

قال بضيق:

— "لا تبدئي بهذا. رين، جئت هنا كصديق."

استدعت شرارة صغيرة من اللهب في راحة يدها.

— "وأنا كذلك."

— "لن أقاتلك. لكن يجب أن تعرفي ما الذي تقحمين نفسك فيه..."

قالت بصوت عالٍ:

— "أعرف جيدًا. أعرف تمامًا أي نوع من الرجال هو جيانغ، وأعرف تمامًا ما تخطط له داجي، ولا أهتم. بدون ريغا نحن لا نملك شيئًا. لا جيش. لا أسلحة. ستقصفنا المناطيد في ثوانٍ وسيكون ذلك كل شيء؛ سينتهي هذا الكفاح برمته وسنكون لا شيء أكثر من ومضة في التاريخ. لكن التريفيكتا يمنحوننا فرصة للقتال. سأتعامل مع التداعيات لاحقًا. لكنني لن أزحف إلى النسيان بأنين، وكان عليك أن تعرف ذلك قبل أن تأتي إلى هنا. إذا كنت خائفًا لهذه الدرجة من التريفيكتا، فكان يجب أن تحاول قتلي. ما كان ينبغي لك حتى أن تعطيني الخيار."

وقفت. استدار رماة الكيتيريديين لمواجهتها، منزعجين، لكنها تجاهلتهم. عرفت أنهم لن يجرؤوا على إيذائها.

— "لكنك لا تستطيع، أليس كذلك؟ لأن يديك مقيدتان أيضًا. لأنك تعرف أنه عندما ينتهي الهسبيريون منا، سيأتون لأجلك. تعرف بشأن صانعهم وكيف ينظرون للعالم. وتعرف أن رؤيتهم لمستقبل هذه القارة لا تشملك. ستتقلص أراضيك وتصغر، حتى اليوم الذي يقرر فيه الهسبيريون أنهم يريدونك خارج الخريطة أيضًا. وأنت تحتاجني لتلك المعركة. سورقان سيرا عرفت ذلك. أنتم هالكون بدوني."

التقطت سكينها عن الأرض. هذه المقابلة انتهت.

— "سأنطلق إلى جبل تيانشان غدًا. لا يوجد شيء يمكنك فعله لإيقافي."

رمقها تشاغان بعينين ضيقتين وحاسبتين.

— "رجالي سيكونون خارج ذلك الجبل، مستعدين لإطلاق النار على كل ما يخرج."

قالت:

– "إذًا صوّب جيدًا. طالما أنك لا تصوب نحوي."

الفصل الحادي والعشرون

بعد سبعة أيام، وقفت رين مع جيانغ وداجي عند سفح جبل تيانشان، يستعدون للتسلق الأخير. حمل جيانغ غزالًا صغيرًا متدليًا من فوق كتفيه، وساقاه النحيلتان مقيدتان بحبل. حاولت رين ألا تنظر إلى عينيه الكبيرتين المتلألأتين. كانت تعلم أن هناك قوة في حياة هاربة. التعويذة لكسر الختم المتآكل تتطلب موتًا.

لوح الجبل عاليًا فوقهم، جميلًا بشكل مخادع في خضرته الوارفة ورقع ثلجه النقي، محجوبًا بضبابه الشهير الكثيف لدرجة أنها بالكاد استطاعت رؤية نصف ميل أعلى المسار. بارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم، كان أعلى قمة في الإمبراطورية، لكن "المعبد السماوي" كان يقع عند ثلثي الطريق فقط أعلى الجبل. ومع ذلك، سيستغرق التسلق يومًا كاملًا، وعلى الأرجح لن يصلوا للمعبد حتى الغروب.

قالت رين وهي تستدير لتواجه كيتاي:

— "حسنًا. أراك الليلة".

لم يكن قادمًا معها. رغم اعتراضاته، اتفق كلاهما على أنه سيكون مجرد عبء على الجبل — سيكون أكثر أمانًا في الوادي، محاطًا بقوات تشولانغ.

— "الليلة". وافقها، منحنيًا ليعطيها عناقًا قويًا وسريعًا. لامست شفتاه أذنها. "لا تفسدي هذا".

— "لا أستطيع أن أعد بشيء". منحته رين قهقهة ساخرة. كان عليها أن تضحك، لتقنع خوفها بفكاهة قاسية، وإلا ستتحطم من الرعب. "إنه يوم واحد فقط يا عزيزي، لا تفتقدني كثيرًا".

لم يضحك.
قال، وتعبيره فجأة قاتم:
— "عودي للأسفل". شدت أصابعه بقوة حول أصابعها. "اسمعي يا رين. لا أهتم بما يحدث هناك في الأعلى. لكن عودي إليّ".

***

كان الطريق الصاعد لجبل تيانشان مسارًا مقدسًا.

في كل الأساطير، كان تيانشان الموقع الذي هبطت منه الآلهة. حيث وقف لي غونغ عندما نحت البرق في السماء بعصاه. حيث اعتنت "الملكة الأم للغرب" بشجرة خوخ الخلود التي حكمت على "سيدة القمر تشانغ إي" بأبدية من العذاب. حيث سقطت سانشينغمو، أخت إيرلانغ شين المنتقم، عندما نفتها السماوات لحبها فانيًا.

كان واضحًا لماذا اختارت الآلهة هذا المكان، حيث الهواء النقي بارد وعذب، وحيث الزهور التي تزين الطريق تتفتح بألوان ساطعة لدرجة أنها لا تبدو حقيقية. المسار، الذي نادرًا ما يُطأ لدرجة أنه كاد يختفي، كان صامتًا وهم يمشون. لم يتحدث أحد. وباستثناء خطواتهم، لم تسمع رين شيئًا — لا زقزقة طيور ولا همهمة حشرات. جبل تيانشان، بكل جماله الطبيعي، بدا خاليًا من أي حياة أخرى.

جاءت المناطيد عند منتصف النهار.

ظنت رين أنها تخيلت الأزيز في البداية؛ كان خافتًا جدًا. ظنت أن الطنين كان استرجاعًا ناجمًا عن الخوف، جلبه التوتر والإنهاك النابض.

لكن بعد ذلك تجمدت داجي في خطواتها، وأدركت رين أنها سمعته أيضًا.

نظر جيانغ للسماء وتأوه:
— "يا للجحيم".

ببطء ظهرت الطائرات من الجدار الضبابي الأبيض الكثيف، واحدة تلو الأخرى، أشكال سوداء نصف مخفية في السحب مثل وحوش متربصة.

وقفت رين، وجيانغ، وداجي ساكنين بالأسفل، مكشوفين ضد الثلج الأبيض، ثلاثة أهداف عارية أمام فرقة إعدام.

منذ متى عرف نزهة مكانها؟ منذ وصلت إقليم الكلب؟ منذ بدأت المسيرة؟ لا بد أنه تعقب الجنوبيين بمركبات استطلاع، متربصًا غير مرئي خلف الأفق، متتبعًا تحركاتهم عبر سلسلة باولي، منتظرًا ليرى إلى أين سيقودونه مثل صياد يتبع غزالًا صغيرًا لقطيعه. لا بد أنه أدرك أنهم يزحفون غربًا طلبًا للخلاص. وبعد خسارته المدمرة عند (السندان)، وفي حاجة ماسة لنصر يسلمه للهسبيريين، لا بد أنه قرر الانتظار للقضاء على المقاومة من منبعها.

همست داجي:

– "ما الذي تنتظره؟ اضربهم".

هز جيانغ رأسه:

– "ليسوا في المدى".

كان محقًا. السفن الهوائية زحفت بتردد عبر الضباب، مفترسات صبورة تراقب لترَ أين ستهرع فريستها تاليًا. لكنها بقيت تحلق على مسافة جعلتها مجرد أشكال ضبابية في السماء، حيث علموا أن ظلال جيانغ لا يمكنها الوصول. لم يقتربوا. ولم يطلقوا النار.

نزهة يعرف،* فكرت رين. كانت متأكدة؛ كان ذلك التفسير الوحيد. بطريقة ما، فهم نزهة ما كانت تحاول فعله، أو على الأقل تقريبًا له. لم يكن مستعدًا لقتل "التريفيكتا" بعد. احتاج لاكتشاف، لأجل مشرفيه الهسبيريين، ما يكمن بالضبط في تلك الغرفة.

قالت داجي بحدة، معيدة نظرها للمسار:

– "إذن أسرعوا. تسلقوا".

لم يكن هناك خيار آخر سوى الاتباع.

تسلقت رين الصخر الزلق، وكل تحفظاتها طُردت من عقلها بخوف جليدي خالص. أسئلتها عن "التريفيكتا" لم تهم الآن. مهما فعل جيانغ، مهما كان يخفيه عنها، أيًا كان الأطفال — لم يهم. نزهة يتربص فوقها، مستعداً لتحويل عظامها لغبار بأمر واحد. كان لديها طريق واحد للنجاة وذلك كان ريغا.

قد تكون على وشك إيقاظ وحش. لم تهتم.

أبعد للأعلى، كان المسار مغلفاً بضباب كثيف لدرجة أن رين بالكاد استطاعت الرؤية أو التنفس. كان هذا ضباب جبل تيانشان الشهير، ما يسمى بالكفن المنيع لـ "إمبراطورة السماوات الأربع"، الملقى للأسفل لمنع الفانين من اكتشاف أبواب السماوات. الرطوبة كانت كثيفة لدرجة أنها شعرت وكأنها تتحرك عبر الماء. لم تستطع رؤية حتى قدم أمامها؛ اضطرت للتسلق على أطرافها الأربعة، مصغية بيأس لصوت خطوات داجي.

كانت لا تزال تسمع أسطول المناطيد، لكنها لم تستطع رؤيتها على الإطلاق الآن. الطنين أصبح أخف أيضًا، وكأن الأسطول اقترب من الجبل أولًا ثم تراجع للخلف.

ألم يستطيعوا رؤية إلى أين يذهبون؟ لا بد أن هذا هو السبب — إذا كان الضباب خطرًا على المتسلقين، فلا بد أنه كذلك بشكل مضاعف للطائرات. لا بد أنهم تراجعوا لسماء أكثر صفاءً، منتظرين حتى يكتشفوا الموقع الدقيق لأهدافهم.

كم من الوقت منحهم ذلك؟ ساعات؟ دقائق؟

كانت تجد صعوبة متزايدة في التنفس. اعتادت على الهواء الرقيق في المسيرة، لكن نادرًا ما صعدوا لارتفاعات كهذه. زحف التعب لساقيها وذراعيها واشتد ليصبح حرقًا صارخًا. كل خطوة بدت كتعذيب. تباطأت لثلث سرعتها الأولية، تجر قدميها للأمام بكل أونصة طاقة أخيرة تستطيع عصرها من عضلاتها.

لم تستطع التوقف. اتفقوا في البداية على التخييم في منتصف الجبل إذا تعبوا بسرعة كبيرة، لكن مع تتبع المناطيد لهم من الأعلى، لم يعد ذلك خيارًا.

واحدة تلو الأخرى، قالت لنفسها. خطوة واحدة. ثم أخرى.

ثم أخرى، حتى أخيرًا، أفسح المسار المنحدر الطريق لحجر مسطح. سقطت على أطرافها الأربعة، صدرها يعلو ويهبط، يائسة لبضع ثوانٍ فقط من الراحة.

همست داجي خلفها:

— "هناك".

رفعت رين رأسها، تحدق عبر الضباب، حتى برز "المعبد السماوي" — باغودا مهيبة من تسعة طوابق بجدران حمراء وأسقف كوبلتية مائلة، تلمع بنظافة وكأنها بنيت البارحة فقط.

المعبد لم يكن له أبواب. ثقب مربع نحت في الجدار حيث كان يجب أن يكون الباب، كاشفًا لا شيء سوى الظلام بالداخل. لم يكن هناك حاجز ضد الرياح والبرد. أيًا كان ما يقبع بالداخل لم يحتج لدفاعات — الداخل نبض بقوة داكنة ومتفرقعة خاصة به. استطاعت رين الشعور بها في الهواء، تزداد كثافة كلما اقتربت — توتر غامض جعل جلدها يوخز بعدم ارتياح.

هنا، الحدود بين عالم الآلهة وعالم البشر تضببت. هذا المكان مبارك. هذا المكان ملعون. لم تعرف أيهما.

دعاها مدخل المعبد المظلم، مغريًا. تملكت رين رغبة مفاجئة وقابضة للقلب في الهرب.

قالت داجي خلفها:

— "حسنًا. ادخلي".

ابتلعت رين ريقها وخطت فوق اللوح المرتفع عند العتبة، ملقية بالنيران في الظلام لتضيء طريقها. الغرفة في الطابق الأرضي لم تكن دافئة. ولم تكن باردة أيضًا. لم تكن شيئًا على الإطلاق، غياب لدرجة الحرارة، مكان مكيف

تمامًا ليتركها دون تأثر. الهواء لم يتحرك. لم يكن هناك غبار. كان هذا فضاءً منحوتًا خارج حدود العالم الطبيعي، غرفة خارج الزمن.

ببطء تكيفت عيناها مع الداخل الخافت.

"المعبد السماوي" لم يكن له نوافذ. الجدران في الطوابق التسعة كانت حجرًا صلبًا. حتى السقف، على عكس الأسقف في كل باغودا رأتها رين، كان مغلقًا أمام السماء، حاجبًا كل ضوء باستثناء التوهج الأحمر في كفها.

بحذر، ألقت بنيرانها أعلى وأوسع، تحاول جلب الضوء لكل زاوية من الغرفة دون إشعال أي شيء. ميزت أشكال الآلهة الأربعة والستين فوقها، تماثيل جاثمة على قواعد تمامًا مثل تلك التي رأتها دائمًا في "البانثيون". شوهت النيران ظلالها، جعلتها تلوح كبيرة ومهددة على الجدران الحجرية العالية.

نعم — الآلهة كانت حاضرة هنا بلا شك. لم تشعر بهم فحسب، بل استطاعت سماعهم. همسات غريبة تقوست حولها، ناطقة بكلمات عابرة اختفت بمجرد أن حاولت التقاطها. تلكأت تحت قاعدة "العنقاء". حدقت عيناه بها من الأسفل — بحنان، وسخرية، وجرأة. مضى وقت طويل يا صغيرة.

في وسط الغرفة وقف مذبح.

قال جيانغ:

— "يا للسلحفاة العظيمة. لقد قمتِ بعمل كبير عليه حقًا".

رقد "إمبراطور التنين" ساكنًا على سرير من اليشم الخالص، ويداه مطويتان بسلام فوق صدره. لم يبدُ كشخص كان في غيبوبة بلا طعام أو ماء لعقدين. لم يبدُ كشخص حي على الإطلاق. بدا جزءًا من المعبد، ساكنًا ودائمًا كالحجر. صدره لم يرتفع أو يهبط؛ لم تستطع رين معرفة ما إذا كان لا يزال يتنفس.

شبه عائلة يين كان خارقًا للطبيعة. وجهه كان خزفًا منحوتًا: حواجب قوية، أنف مستقيم، ترتيب جميل لزوايا حادة. شعره الأسود الفاحم الطويل انسدل

بأناقة فوق كتفيه. شعرت رين بالدوار وعيناها تتبعان ملامحه النبيلة النائمة. شعرت وكأنها تحدق في جثة نزهة.

قالت داجي:

– "دعونا لا نطيل هذا الأمر. زيا؟"

تحرك جيانغ بسرعة. قبل أن تتمكن رين من الرمش، أسقط الغزال الصغير على البلاط الحجري وحشر نصلًا في عنقه.

تحرك فم الغزال بجنون، لكن لم يخرج صراخ، فقط غرغرة مؤلمة ومد مذهل من الدم.

– "بسرعة الآن، قبل أن يذهب". سحبت داجي رين بعيدًا بينما جر جيانغ شكل الغزال المتلوي ضد قاعدة المذبح.

استمر اختناق الغزال لفترة طويلة ومعذبة. أخيرًا، تضاءلت مقاومته إلى ارتجافات دقيقة بينما تسرب دمه عبر الأرضية، جاريًا في جداول مستقيمة ونظيفة حيث التقى البلاط الحجري. طوال الوقت ركعت داجي فوقه، ويد واحدة تضغط على جنبه، تتمتم بشيء تحت أنفاسها.

ملأ صوت طقطقة الكهف، هزيم رعد طويل ومتواصل نما أعلى وأعلى حتى بدا أن الباغودا على وشك الانفجار. شعرت رين بالقوة في الهواء. قوة أكبر مما يجب – تكتلت في حلقها، تخنقها. انكمشت للخلف ضد الجدار، مرعوبة فجأة.

تحدثت داجي أسرع وأسرع، كلمات غير مفهومة تتساقط بلهفة من شفتيها.

كان جيانغ ساكنًا تمامًا. التوى وجهه في تكشيرة غريبة وغير مألوفة؛ لم تستطع رين معرفة ما إذا كان مرعوبًا أم منتشيًا.

ثم سطع انفجار من الضوء الأبيض، تبعه ضجيج كصاعقة رعد. لم تدرك رين أنها قذفت عن قدميها حتى شعرت بظهرها يرتطم بالجدار البعيد.

انفجرت النجوم خلف جفنيها. كان الألم مبرحًا. أرادت التكور في كرة والتأرجح ذهابًا وإيابًا حتى يتوقف، لكن الخوف سيطر؛ الخوف جعلها تزحف لركبتيها، تسعل، وتحدق بانتظار عودة بصرها.

وقف جيانغ وظهره للجدار المقابل، بلا حراك، وتعبيره فارغ. انهارت داجي ضد قاعدة المذبح. سال خيط رفيع من الدم من بين شفتيها. تعثرت رين للأمام لتساعدها على النهوض، لكن داجي هزت رأسها وأشارت للمذبح، حيث، لأول مرة منذ أكثر من عشرين عامًا، نهض يين ريغا.

***

كانت عينا "إمبراطور التنين" بلون الكوبلت الخالص واللامع. جالتا ببطء حول الغرفة وهو يجلس، يشرب مشاهد الباغودا.

لم تستطع رين الحركة. لم تستطع حتى الكلام — كل الكلمات بدت غير كافية. بدت قوة ما تطبق فكها مغلقًا، جاذبية ما جعلت الهواء في المعبد أثقل من الصخر.

— "هل تسمعني؟" داجي، ناهضة لركبتيها، سحبت يدي ريغا بين يديها. "ريغا؟"

حدق فيها لفترة طويلة. ثم نعب، بصوت ككشط الحصى:

— "داجي".

أصدر جيانغ صوت اختناق.

ومضت نظرة ريغا بإيجاز نحوه، ثم عادت لـ داجي.

— "منذ متى وأنا غائب؟"

— "عشرون عامًا". تنحنحت داجي. "هل... هل تعرف أين أنت؟"

جلس ريغا صامتًا للحظة، وحاجباه معقودان.

— "كنت أنجرف". قال. على الأقل صوته لم يشبه صوت نزهة في شيء — كان صوته أجش من قلة الاستخدام، نصل صدئ يجر على حجر. "لا أعرف

أين. كان ظلامًا، والآلهة كانت صامتة. ولم أستطع العودة. لم أستطع إيجاد الطريق. وظللت أتساءل، من يمكن أن يكون..." أعادت عيناه التركيز فجأة على داجي، وكأنه أدرك لتوّه أنه يتحدث بصوت عالٍ. "أتذكر الآن. لقد تشاجرنا".

اهتز عنق داجي الشاحب:

– "نعم".

– "وأنتِ أوقفتِ الأمر". استقرت نظرته على وجه داجي لفترة طويلة. مر شيء بينهما لم تفهمه رين – شيء مليء بالندم، والشوق، والاستياء. شيء خطير.

فجأة، أشاح ريغا بوجهه.

– "زيا". أمر. نما صوته أنعم، وأعلى، يتردد صداه عن جدران الباغودا.

ارتفع رأس جيانغ بحدة:

– "نعم".

– "لقد عدت لرشدك إذن؟" نهض ريغا لقدميه، نافضًا ذراع داجي المعروضة. كان أطول بكثير من نزهة – لو وقفا جنبًا لجنب، لجعل نزهة يبدو كطفل. "هل تجاوزت تلك الفتاة الغبية؟ هذا هو سبب قتالنا، أليس كذلك؟"

كان وجه جيانغ غير مقروء كالحجر:

– "من الجيد رؤيتك مجددًا".

التفت ريغا نحو رين:

– "وما هذا؟"

لم تستطع رين الكلام بعد. حاولت أخذ خطوة للخلف، لكن لرعبها وجدت نفسها متجمدة في مكانها. كانت نظرة ريغا كمسامير فولاذية تثبت قدميها بالأرض، تشلها بجهد معدوم على ما يبدو.

– "كم هذا مثير للاهتمام". أمال ريغا رأسه، وعيناه تمسحان هيئتها من أعلى لأسفل وكأنه يتفحص دابة حمل في سوق. "ظننت أنهم قتلوهم جميعًا".

حاولت رين سحب سكينها. ذراعها لم تستجب.

قال ريغا بنعومة:

– "اركعي".

أطاعت فورًا. كان صوته كقوة فيزيائية بحد ذاته، قادرًا على ثني ركبتيها وإجبار نظرها للأرض. اهتز في عظامها. هز أساسات الباغودا ذاتها.

مشى ريغا ببطء نحوها:

– "إنها أقصر من الآخرين. لِمَ ذلك؟"

لم يجب أحد. أصدر صوت همهمة.

– "أفترض أن هانيلاي كانت قصيرة. هل تتبع الأوامر؟"

أخيرًا، تمكنت رين من بصق كلمة:

– "الأوامر؟"

قالت داجي بحدة:

– "رين، كوني هادئة".

ضحك ريغا فقط:

– "أنا منبهر يا زيا. لقد وجدت حقًا واحدة أخرى لتحتفظ بها، أليس كذلك؟ دائمًا ما أحببت حيواناتك الأليفة".

زمجرت رين:

– "لست حيوانه الأليف".

– "أوه، إنها تتكلم".

انحنى ريغا ومنحها ابتسامة عريضة ورهيبة. ثم مد يده، وأمسك بياقتها، وسحبها للهواء في حركة واحدة سلسة وسهلة. شهقت رين بينما غاص إبهاماه بألم في قصبتها الهوائية. ركلت بقدميها، لكنها كانت تتأرجح بوصات كاملة عن الأرض، وكل ما استطاعت فعله هو ملامسة ركبتي ريغا بأصابع قدميها. كل تخبطها لم يكن له تأثير أكثر من طفل يلقي نوبة غضب. سحبها ريغا نحوه

حتى تساوت عيونهما، ووجهاهما قريبان جداً لدرجة أنها استطاعت الشعور بحرارة أنفاسه على وجنتيها عندما تحدث.

همس:

– "كنت نائمًا لفترة طويلة جداً أيتها السبيرية الصغيرة. لست في مزاج للمعارضة".

قالت داجي:

– "أوه، اتركها. ستقتلها هكذا".

رمقها ريغا بنظرة غاضبة:

– "هل أعطيتكِ الإذن بالتحدث؟"

أصرت داجي:

– "إنها مفيدة. إنها قوية، ساعدتنا للوصول لهنا..."

– "حقًا؟ هذا مثير للشفقة. اعتدتِ إنجاز هذه الأمور بمفردكِ". لوت شفة ريغا بتسلية. "ما الأمر؟ هل ضاجع زيا هذه أيضًا؟ يجب أن أقول، معاييره انخفضت".

قالت داجي بسرعة:

– "ليس الأمر كذلك. إنها مجرد طفلة يا ريغا، لا تؤذها..."

قهقه ريغا بصوت منخفض:

– "ما هذا يا عزيزتي؟ هل طورتِ ضميرًا أخيرًا؟"

أصبح صوت داجي حادًا:

– "ريغا، استمع إليّ، اتركها".

فتح ريغا أصابعه.

سقطت رين على الأرض، ممسكة بحنجرتها بلا صوت. لاحت ساقا ريغا فوقها. انكمشت، مستعدة لركلة وحشية، لكنه خطى فوقها ببساطة وكأنها مسند قدمين.

كان متجهًا لـ داجي.

بدأت داجي:

— "ريغا..."

قبل أن يسحب ريغا يده للخلف ويصفعها عبر وجهها. ارتد رأس داجي للجانب. صرخت وأمسكت بوجنتها.

قال ريغا:

— "اخرسي". وصفعها مجددًا. ثم مجددًا، ومجددًا، حتى أزهرت بصمة يد قرمزية زاهية على وجنة داجي الشاحبة كالورق. "اخرسي، أيتها العاهرة اللعينة".

راقبتهم رين من حيث رقدت، مذهولة.

لأطول وقت اعتبرت داجي — سو داجي، الأفعى، الإمبراطورة السابقة لـ نيكان — أقوى كائن على وجه الأرض. منذ اللحظة التي قابلتها فيها، خافتها. أرادت بشدة أن تكون مثلها.

لكن ها هي داجي تقف، أكتافها منحنية وكأنها تحاول الانكماش إلى لا شيء بينما يضربها ريغا وكأنها كلبة. وكانت تتلقى الضرب وحسب.

سأل ريغا بصوت أجش:

— "هل ظننتِ أنني نسيت؟ أيتها العاهرة الخائنة الصغيرة، هل ظننتِ أنني لا أعرف من وضعني هنا؟"

رفع يده عاليًا. انكمشت داجي ضد الجدار وأطلقت نشيجًا متباكيًا.

تنهد:

— "أوه، لا تكوني هكذا". وضع أصابعه تحت ذقن داجي وأجبر رأسها للأعلى. "اعتدتِ أن تكوني جميلة جدًا عندما تبكين. متى توقفتِ عن كونكِ جميلة جدًا؟"

أرادت رين التقيؤ.

بالتأكيد لن تقبل داجي بهذا. بالتأكيد ستضرب بالمثل. بالتأكيد سيدافع جيانغ عنها.

لكنهما نظرا بعيدًا فقط — داجي ليديها، وجيانغ للأرض. كلاهما كان يرتجف. ثم أدركت رين أن هذا لم يكن جديدًا عليهما؛ كانت هذه استجابة مدربة لرعب عاشا معه لسنوات. رعب مشل لدرجة أنه الآن، بعد عشرين عامًا، بعد نصف عمر من الحرية من الرجل الذي كرهوه، لا يزالون يرتعدون بخنوع أمامه مثل كلاب ملسوعة بالسوط.

ذهلت رين.

ماذا فعل ريغا بهما؟

وإذا أعادته أسفل الجبل، ماذا سيفعل بها؟

قال "العنقاء": اقتليه. اقتليه الآن.

كان ظهر ريغا لها. يمكنها إنهاء هذا في ثوانٍ؛ كل ما يتطلبه الأمر قفزة سريعة، واندفاعة، وطعنة. أمسكت بمقبض سكينها، ونهضت لقدميها بصمت قدر استطاعتها، وغرست كعبيها في الأرض. يمكنها استدعاء "العنقاء"، لكن أحيانًا الفولاذ أسرع من النار...

لا. لا. إذا آذت "التريفيكتا"، فهي وحيدة. لقد قطعت كل هذا الطريق. هو أملها الأخير والأفضل؛ لا يمكنها رمي هذا هباءً.

عرفت أنها أيقظت وحشًا. لكنها عرفت هذا من البداية؛ عرفت أنها بحاجة لوحوش في صفها.

قالت:

— "أنا لست عدوتك. ولست خادمتك أيضًا. أنا السبيرية الأخيرة. وجئت لطلب مساعدتك".

لم يستدر ريغا، لكن يده سقطت عن ذقن داجي. وقف ساكنًا جدًا، ورأسه مائل. تعثرت داجي للخلف، تفرك فكها، وتحدق في رين بدهشة واسعة العينين.

خرجت كلمات رين مهتزة وطفولية؛ لم تستطع منعها:

– "أعرف ما فعلت. أعرف كل شيء. ولا أهتم. الماضي لا يهم. نيكان في خطر الآن، وأنا أحتاجك".

استدار ريغا. كانت عيناه واسعتين، وفمه نصف مفتوح في ابتسامة غير مصدقة.

– "تعرفين؟" تقدم نحوها، خطواته منخفضة ومهددة كنمر يقترب من فريسته. "ما الذي تظنين أنكِ تعرفينه؟"

تراجعت رين خطوة للخلف دون تفكير. كل شيء عنه أشع بالخطر؛ تلك الابتسامة على وجهه جعلتها ترغب في الاستدارة والركض.

– "سبير". قالت. "رأيت... أعرف... أعرف أنك تخليت عنها. أعرف أنك تركتهم".

انحنى نحوها:

– "أهذا ما تظنينه؟ إذن لماذا لا تريدين قتلي يا طفلة؟"

تنفسّت:

– "لأني لا أهتم. لأن هناك عدوًا آخر على شواطئنا أسوأ منك بعشر مرات، وأحتاجك لتدميرهم. لقد قمت باختيار ضروري في سبير. أفهم ذلك. أنا قايضت بحيوات أيضًا".

تفحصها ريغا للحظة طويلة في صمت. بذلت رين قصارى جهدها لملاقاة نظرته، وقلبها يدق بعنف لدرجة أنها خافت أن ينفجر.

لم تستطع قراءة تعبيره. لم تكن لديها فكرة عما يفكر فيه. شيء ما كان غير صحيح، شيء ما كان خطأً – استطاعت معرفة ذلك من تعبير داجي المرعوب – لكنها لم تستطع الهرب، كان عليها رؤية هذا للنهاية.

ثم ألقى ريغا رأسه للخلف وضحك. كانت قهقهته شيئًا مروعًا، تشبه نزهة كثيرًا، وقاسية بابتهاج.

– "أنتِ لا تعرفين شيئًا".

كررت رين بيأس:

– "لا أهتم. الهسبيريون هنا يا ريغا، إنهم بالخارج مباشرة، تحتاج للعمل معي..."

رفع يده:

– "أوه، اخرسي".

ضربتها قوة غير مرئية للأمام إلى الأرض. صرخت رضفتا ركبتيها ألمًا. انحنت على أطرافها الأربعة، تحاول وتفشل في النهوض.

جثا ريغا أمامها وأمسك وجهها بين يديه:

– "انظري إلي".

أغمضت رين عينيها بقوة.

لم يهم. انغرست أطراف أصابع ريغا بقوة في صدغيها لدرجة ظنت أنه على وشك تحطيم جمجمتها بين يديه. حضور قاسٍ وبارد فرض طريقه إلى عقلها، يحفر عبر ذكرياتها بتجاهل متصلب، منتزعًا كلًّ ما جعل فم رين يجف رعبًا. "العمة فانغ"، تلوّي الجلد لتشكل كدمات تحت ملابسها حيث لا يرى أحد. شيرو، يغرز الإبر بإهمال في عروقها بقوة وحشية. بيترا، تمرر معدنًا باردًا على جسدها العاري، وشفتيها الرفيعتين تلتويان بتسلية كلما جفلت رين.

استمر الأمر لما بدا وكأنه دهر. لم تدرك رين أنها كانت تصرخ حتى تشنجت حنجرتها من الإجهاد.

قال ريغا:

– "آه. ها نحن ذا".

توقفت الذكريات. وجدت نفسها منحنية فوق الأرض، تلهث، واللعاب يقطر من فمها.

قال ريغا مرة أخرى:

– "انظري إلي".

وهذه المرة أطاعت بإنهاك.

لم يبقَ فيها قتال. أرادت فقط أن ينتهي هذا. إذا فعلت فقط ما قاله، هل سينتهي الأمر؟

استفسر ريغا:

— "هل هذا ما أردتِ رؤيته؟"

تحول وجهه لوجه ألتان. وابتسم.

وعندها أخيرًا، فهمت رين ما عنته داجي عندما قالت إن قوة ريغا تكمن في الخوف.

لم يكن يرهب بالقوة الغاشمة فحسب. بل أرهب بقوة محضة وساحقة. لقد نقب في ذاكرتها عن الشخص الوحيد الذي ظنت يومًا أنه قوي بشكل مخيف لدرجة أنها لم تملك سوى الطاعة — لا، تاقت للطاعة، لأن الخوف والحب كانا حقًا وجهين لعملة واحدة.

رأت الآن ما ربط جيانغ وداجي بـ ريغا. كان نفس السبب الذي جذبها يومًا لـ ألتان. مع ألتان، كان الأمر دائمًا سهلًا جدًا. لم تضطر أبدًا للتفكير. هو يغضب وهي تتبع، عمياء ودون سؤال، لأن الانبهار بهدفه كان أبسط من ابتكار هدف خاص بها. لقد أرعبها. وكانت لتموت لأجله.

تمتم ريغا:

— "ألتان ترينغسين. أذكر الاسم. ابن أخ هانيلاي، أليس كذلك يا زيا؟ فخر الجزيرة؟"

اجتاحت صور جديدة عقلها.

رأت أمواجًا تتحطم على شاطئ وعر. رأت صبيًا يخوض في المياه الضحلة. كان صغيرًا جدًا، لا يتجاوز الرابعة أو الخامسة. وقف وحيدًا على الشاطئ، رمح ثلاثي في يده، وعيناه الداكنتان مضيقتان بتركيز وهو يراقب الأمواج. شعره الأسود الحبري سقط في تموجات ناعمة حول وجنتين برونزيتين من الشمس، ووجهه مشدود بتركيز ناضج ومكثف ينتمي لشخص أكبر سنًا

بكثير. ببطء، ودون إبعاد نظره عن الماء، رفع الرمح الثلاثي فوق كتفه في وقفة متدربة رأتها رين مرات عديدة من قبل.

أدركت بصدمة أنها تنظر لـ ألتان.

قال صوت — صوت ريغا من فمها، لأن هذه كانت ذكرى ريغا، وهي تختبر شيئًا فعله ريغا بالفعل من داخل جسده:

— "تعال".

قبل عشرين عامًا، اقترب يين ريغا من ألتان ترينغسين وقال:

— "تعال الآن. عمتك تنتظر".

مد ريغا يده. وألتان، دون سؤال أو تردد، أخذها.

سمعت ضحك ريغا يجلجل في عقلها. هل ترين الآن؟

تعثرت رين للخلف، مرعوبة، لكنها كانت لا تزال عالقة في الرؤية، مجبرة على المشاهدة طالما أراد ريغا ذلك، ولم تستطع استعادة حواسها. لم تستطع العودة لجسدها، لم تستطع العودة لجبل تيانشان — استطاعت فقط الاستمرار في المشاهدة بينما قاد ريغا ألتان لقارب ينتظر أسفل الشاطئ، قارب يرفع ألوان الاتحاد.

أطفال آخرون كانوا ينتظرون على الأسطح. العشرات منهم. وبينهم يقف رجل واحد — رجل نحيل ومغزلي تحركت يداه عبر أكتاف الأطفال، ورقصت عيناه الضيقتان بابتهاج فضولي وهو يراقبهم بنفس الطريقة التي راقب بها رين يومًا، وجهه الضيق حاد الذقن الذي حام فوقها في أسوأ لحظات حياتها وطارد كوابيسها حتى الآن.

شيرو.

قبل عشرين عامًا، أخذ الدكتور إييمتشي شيرو يد ألتان وقاده على متن القارب.

ثم تركبت كل القطع؛ القطعة الأخيرة والمروعة من اللغز سقطت في مكانها. الاتحاد لم يختطف أطفال سبير. كان "التريفيكتا". كان ريغا طوال

الوقت؛ ريغا من سلم الأطفال للاتحاد؛ ريغا من أجبر هانيلاي عندما عارضت، ثم شاهد جزيرتها تصعد في الدخان عندما اتخذت الخيار الخاطئ.

— "أنتِ محقة". أزاح ريغا يديه عن صدغي رين، تاركًا إياها تلهث على ركبتيها. "أنا أتخذ خيارات صعبة. أفعل كل ما يجب عليّ فعله. لكني لا أعمل مع (السبيريين). حاولت مع هانيلاي. تلك العاهرة حاولت الانشقاق. نوعكم لا يخدم، يسببون المتاعب فقط. وأنتِ لن تكوني مختلفة".

نبض رأس رين بالألم. شهقت بحثًا عن الهواء، تحدق في الأرض حتى توقفت رؤيتها عن الدوران، تحاول شراء بضع ثوانٍ.

كانت مخطئة بشكل مريع. لا يوجد استرضاء لـ ريغا. لا يمكنها استجداء تحالف من شخص لا يظنها بشرًا.

لم يكن هذا عن الإذلال.

هذا عن البقاء.

ثم أصبحت الحسبة واضحة بصرامة.

أملت بيأس شديد في نتيجة مختلفة. تسلقت ذلك الجبل مستعدة لفعل أي شيء تقريبًا لـ "التريفيكتا". عرفت أنهم فعلوا أشياء مروعة. كانت لتتغاضى عن تلك الأشياء، لو أمكنها فقط استعارة قوتهم. لو عنى ذلك النصر ضد الجمهورية، كانت لتغفر لـ "التريفيكتا" أي شيء تقريبًا.

لكن ليس هذا.

رفعت رأسها:

— "شكرًا لك".

التوى فم ريغا في سخرية:

— "على ماذا أيتها الفتاة الصغيرة؟"

— "لجعل هذا سهلًا". أغمضت عينيها، مركزة عبر ألمها على نقطة واحدة من الغضب. ثم قلبت كفها للخارج.

دامت دفقات اللهب لثانيتين فقط، بالكاد طويلة بما يكفي للسع ملابس ريغا قبل أن تخمد.

"العنقاء" لم يختفِ. رين لا تزال تشعر برابطها بالإله، أوضح من أي وقت مضى في "المعبد السماوي". لكن "العنقاء" كان مكبوتًا، يصرخ، يصارع ضد عدو لم تستطع رين إدراكه.

في مكان ما على المستوى الروحي، كانت الآلهة في حرب.

قتال يدوي إذن.

استلت رين سيفها. سحب ريغا نصله من فوق المذبح قبل لحظة من اندفاعها نحوه، صادرًا بقوة أرسلت موجات صدمة تمزق ذراعها.

كان بطيئًا بشكل غير متوقع. أخرقًا بشكل غريب. قام بالحركات الصحيحة، لكن دائمًا متأخرًا بجزء من الثانية، وكأنه لا يزال يتذكر كيفية توجيه الأفكار إلى أفعال. بعد عشرين عامًا من النوم، لم يتأقلم ريغا بعد مع جسده المادي، وذلك العيب وحده هو ما كان يبقي رين حية.

لم يكن ذلك كافيًا. مهاراتها بالسيف كانت مريعة. لم تتدرب أبدًا بيدها اليسرى. لم يكن لديها توازن. ببطئه كما كان، بالكاد تمكنت من مجاراته، وفي ثوانٍ وضعها في موقف دفاعي. لم تستطع حتى التفكير في الرد؛ كانت مركزة جدًا على تجنب نصله.

رفع ريغا سيفه فوق رأسه. نترت نصلها للأعلى في الوقت المناسب لملاقاة ضربة كانت تهدف لشقها نصفين. انثنى كتفها من الارتطام. توترت، متوقعة ضربة جانبية، لكن ريغا لم يرفع نصله عن نصلها. ضغط للأسفل، بقوة أكبر وأكبر، حتى أصبح الفولاذ المتقاطع على بعد بوصات من وجه رين.

قال:

— "اركعي".

ارتجفت ركبتا رين.

— "سأكون رحيمًا. سأسمح لكِ بالخدمة. تحتاجين فقط للركوع".

خارت ذراعها. شطب للأسفل. غاصت لليسار، متفادية نصله بالكاد، بينما سقط سيفها من أصابعها الخدرة للأرض. كشط ريغا قدمه فوق المقبض وركله للجانب الآخر من الغرفة.

نظر من فوق كتفه:

– "زيا. تخلص من ذلك".

كان جيانغ لا يزال واقفًا حيث تجمد عندما نزل ريغا عن المذبح. عند سماع اسمه، رفع رأسه، وحاجباه معقودان في ارتباك.

تنفسّت رين:

– "يا معلم. أرجوك..."

تحرك جيانغ ببطء نحو السيف، انحنى ليلتقطه، ثم تردد. هبطت عيناه على رين وعبس، يضيق عينيه وكأنه يحاول تذكر أين رآها من قبل.

قال ريغا بضجر:

– "هيا الآن يا زيا. لا تتلكأ".

رمش جيانغ، ثم رفع السيف عن الأرض.

تدافعت رين لقدميها، يدها تتخبط بحثًا عن سكينها لتتذكر فقط أنها تمد أصابع وهمية، وأن يدها اليمنى ليست هناك.

اندفعت نحو ساقي ريغا. لو استطاعت فقط إخلال توازنه، وإسقاطه أرضًا...

رآها قادمة. تنحى جانبًا وكنس ركبته عاليًا في عظمة قصها. شيء ما تصدع في قفصها الصدري. سقطت للأرض، غير قادرة حتى على الشهيق.

– "اكتفيتِ؟" انحنى، وأمسك بياقتها، وسحبها للأعلى لتواجهه. ثم ضرب بقبضته في معدتها.

أرسلتها الضربة تترنح للخلف حتى ارتطمت بالجدار. ارتطم رأسها بالحجر. انفجرت النجوم خلف عينيها. انزلقت بلا عظم للأرض، تختنق. لم

تستطع التنفس. لم تستطع الحركة. لم تستطع إدراك أي شيء سوى ومضات نابضة، بيضاء وحارقة من الألم.

لم تملك سلاحًا، ولا درعًا، ولا نارًا.

للمرة الأولى، استوعبت أنها قد لا تغادر هذا المعبد حية.

نقر ريغا بنصله على جانب عنقها، وكأنه يتدرب على أرجحته قبل تنفيذها.

— "أكره فعل هذا. قتل آخرتكم. إنه نهائي جدًا. لكنكم أيها السبيريون لم تمنحوني خيارًا قط. كان لا بد لكم دائمًا أن تكونوا مزعجين للغاية".

سحب سيفه للخلف. أغمضت رين عينيها بقوة وانتظرت هبوط النصل.

لم يهبط أبدًا.

سمعت طقطقة تكسر. فتحت عينيها. وقف جيانغ بينها وبين ريغا. كانت عصاه شظايا، والقرمزي يلطخ كلا من جذعه ونصل ريغا. التوى جيانغ للخلف. التقت عيناهما.

همس:

— "اركضي".

أرجح ريغا سيفه مجددًا. شيء أسود صفر عبر الهواء، وانزلق نصل ريغا عبر الأرض.

سخر ريغا:

— "نسيت. كان لديك دائمًا نقطة ضعف تجاه السبيريين".

وجه ركلة وحشية للجرح في جانب جيانغ. انثنى جيانغ. في الزاوية، شهقت داجي وأمسكت بمعدتها، ووجهها منقبض من الألم.

ترددت رين، ممزقة بين جيانغ والباب.

همس جيانغ بفحيح:

— "لا يستطيع قتلي. اركضي".

ترنحت لقدميها. كان الباب على بعد عشرة أقدام. كان ذلك لا شيء. ساقاها تؤلمانها بشدة، كل شيء يؤلم بشدة، لكنها عضت على الألم وأجبرت نفسها على مواصلة التحرك. خمسة أقدام...

انفجر دوي خلفها. تعثرت وسقطت.

كرر جيانغ، رغم أن صوته بدا مجهدًا:

— "اركضي". شمت رين الدم. أرادت النظر للخلف لكن عرفت أنها لا تستطيع، عرفت أنه يجب عليها مواصلة التحرك. ثلاثة أقدام. كانت قريبة جدًا.

صرخ جيانغ:

— "ناديهم. أنهي هذا".

عرفت رين بالضبط ما يعنيه.

في الخارج، تعثرت إلى الضباب.

رفضت الشعور بالذنب لهذا. كان هذا خيارها الوحيد؛ هذا ما أراده جيانغ. اتخذ خياره، والآن تتخذ هي خيارها. قلبت كفًا مفتوحة للسماء.

أنا أطلق عنانك.

هذه المرة جاء "العنقاء". كان "التنين" مشتتًا، يصارع ضد "حارس البوابة"، ولذا كان إلهها حرًا. تدفقت النار عبر ذراعها وللأعلى في الضباب، منارة ساطعة ضد خلفية من الرمادي.

صرخ "العنقاء"، مبتهجًا. في تلك اللحظة شعرت رين بحضوره الإلهي أقرب، وبشكل أكثر حميمية مما شعرت به من قبل، تزامن فاق ما شعرت به يومًا في سبير. هنا حيث الحدود بين الإنسان والإله ضبابية، تداخلت إرادتاهما حتى لم يعودا كائنين منفصلين، أحدهما يمر عبر الآخر، بل كيانًا واحدًا، يمزق نسيج العالم ليعيد كتابة التاريخ.

اخترقت النار الضباب الكثيف، ملتفة في عمود طويل وساطع لدرجة أن رين ظنت أنه لا بد مرئي للعالم بأسره. انكمشت السحب التي حجبت جبل تيانشان، كاشفة الباغودا ضد وجه الحجر العاري.

لا بد أن نزهة رأى. كانت رين تعول على ذلك. كان يتبعها طوال هذا الطريق، والآن سلمته كل ما أراده هو والهسبيريون — كل أقوى شامانات العالم متجمعين في مكان واحد، أهداف مفتوحة محاصرة فوق الجبل.

ها هي فرصتك يا نزهة. خذها الآن.

واحدة تلو الأخرى، ظهرت السفن الهوائية من خلف السحب، أشكال سوداء ضبابية توجهت نحو منارتها التي لا تخطئها العين. كانوا يحلقون، ينتظرون، يبحثون عن هدف. الآن حصلوا عليه.

طاروا في تشكيل نصف دائري، محيطين بالباغودا من كل زاوية. لم تستطع رين رؤية نزهة من هذه المسافة، لكنها تخيلته يركب في مركز الأسطول، وعيناه مثبتتان عليها. رفعت يدها ولوحت.

تمتمت:

— "مرحبًا هناك. على الرحب والسعة".

ثم أطفأت نيرانها وركضت، في نفس اللحظة التي أدار فيها كل منطاد في السماء مدافعَه نحو الجبل وأطلق النار.

***

شقت الانفجارات السماء. لم تتلاشَ. تدحرجت مثل رعد لا ينتهي، تزداد علوًا وعلوًا حتى لم تعد رين تسمع أفكارها. لم تستطع معرفة ما إذا كانت قد قذفت عن الأرض؛ حركت ساقيها لكنها لم تشعر بشيء تحت ركبتيها سوى ارتدادات عميقة في عظامها. تحركت وكأنها تطفو، محمولة بصدمة مخدرة كتمت كل الألم.

شيء ما نبض في الهواء. ليس ضجيجًا، بل إحساسًا — استطاعت الشعور به، سميكًا كعصيدة متخثرة، سكون متفرقع أصبح مألوفًا جدًا الآن.

جازفت بنظرة خلفها. تدفقت الوحوش خارج الباغودا — ليست الكيانات الظليلة والمشوهة التي رأت جيانغ يستدعيها من قبل، بل مخلوقات صلبة، لا نهائية في العدد، واللون، والحجم، والشكل، وكأن جيانغ فتح حقًا بوابات حديقة حيوان الإمبراطور وترك كل واحد من تلك المخلوقات ذات المخالب، والأنياب، والأجنحة، والصرخات يدخل العالم الفاني.

تحولت بلا نهاية بين الأشكال. راقبت رين بينما أصبح عنقاء كيرين أصبح أسدًا أصبح شيئًا مجنحًا انطلق نحو أسطول المناطيد كالسهم، مصحوبًا بالكاكوفونيا الصارخة لإخوته وأخواته.

أطلق الهسبيريون النار ردًا. أصبح الهدير عاليًا لدرجة أن الجبل نفسه بدا وكأنه يهتز.

جيد، فكرت رين. اضربوهم بكل ما لديكم.

ليكن هذا الاختبار النهائي. ليثبت هذا أنه حتى أكثر الشامانات أسطورية في تاريخ نيكان لم يستطيعوا الوقوف في وجه آلات "المهندس الإلهي".

هل ترين هذا يا أخت بيترا؟ هل هذا يثبت صحة رأيك؟

أرادت الوقوف ساكنة والمشاهدة، لتنبهر بدمار لم يكن، لمرة واحدة، من صنع يديها. أرادت أن ترى، بنفس الطريقة التي يمزق بها الأطفال الصغار أعشاش الطيور بابتهاج، كم هو عظيم الندب الذي يمكن للقوتين العظيمتين المعلنتين ذاتيًا على هذه الأرض أن تمزقاه في نسيج العالم.

انفجر صاروخ فوقها. ألقت رين بنفسها للأمام في اللحظة التي تحطمت فيها صخرة في التراب خلفها. شظايا الحطام، التي لا تزال حمراء متوهجة من الارتطام، لطخت ظهور ساقيها.

قال صوت ألتان بينما كانت تتسلق للوقوف، وقلبها يضرب ضد ضلوعها: تماسكي بحق الجحيم. واخرجي من هذا الجبل اللعين.

احتاجت لطريقة أسرع للنزول. الصواريخ لم تضربها بعد، لكنها ستفعل حتمًا؛ عندما تطلق المناطيد النار بشكل جماعي فهي لا تميز.

توقفت، تقيم الأسطول.

السفن الهوائية لن تهبط. سيكون ذلك غباءً. لكن كان عليهم الاقتراب. لا يمكنهم التصويب بشكل صحيح على الباغودا من مسافة بعيدة جدًا؛ كان عليهم الانخفاض للحصول على لقطة جيدة لـ "التريفيكتا".

مما أعطى رين مخرجًا واحدًا وواضحًا.

زفرت بحدة. آه، تباً.

رأت منطادًا واحدًا فقط في نطاق القفز، ولم تكن واثقة من قدرتها على القيام بتلك القفزة. في أفضل حالاتها القتالية، كانت لتأخذها بثقة. لكنها كانت منهكة. كل جزء من جسدها كان مهشمًا ومؤلمًا. شعرت بساقيها مثقلتين بمراسي، ورئتاها تحترقان بحثًا عن النفس.

المنطاد الأقرب كان ينحرف للأعلى. إذا صعد عاليًا جدًا فلن تلحق به أبدًا — لا يمكنها القفز بذلك المسار.

لا مزيد من الوقت للتفكير. الآن أو أبدًا. جثت منخفضة، ودفعت قدميها ضد التراب، واستجمعت كل أونصة أخيرة من قوتها وهي تأخذ قفزة ركض عن الجرف.

علقت أصابعها بقضيب حديدي في قاع المقصورة. مال المنطاد بخطورة لجانب واحد، مسحوبًا لأسفل بوزنها المفاجئ. كورت رين أصابعها بإحكام بينما تخبط معصمها الآخر بلا فائدة في الهواء.

أعاد المنطاد ضبط توازنه. لا بد أن طياره عرف بوجودها — تأرجح جيئة وذهابًا، محاولًا نفضها عنه. حفر القضيب المعدني الرفيع في لحمها، كاد يقطع مفاصلها. صرخت ألمًا.

شيء ما — أحد وحوش جيانغ، صاروخ طائش، أو حطام طائر؛ لم تستطع رين الرؤية — ضرب الجانب المقابل للمقصورة. ترنح المنطاد، قالبًا إياها للأعلى. جاهدت للحفاظ على قبضتها. لم يكونوا قريبين من أي أرض صلبة بعد — إذا أفلتت الآن فستسقط لموتها.

ارتكبت خطأ النظر للأسفل. لاحت الهاوية. قفز قلبها دقة، وأغمضت عينيها بقوة.

استمر المنطاد في الارتفاع. شعرت به يبتعد عن الجبل، متراجعًا لسماء أكثر أمانًا. توقف الترنح.

الطيار اكتشف هويتها. أراد أخذها حية.

لا. أوه، لا لا لا...

شيء ما صرخ فوق رأسها. رفعت رين بصرها. شيء ما ثقب جانب المنطاد — انكمش البالون بينما هرب الهواء من الثقب بصفير يصم الآذان.

أصبحت حركات المنطاد عشوائية، ينخفض نحو الجبل تارة ويلتوي بعيدًا تارة أخرى. قاتلت رين للحفاظ على تماسكها لكن أصابعها كانت زلقة بالعرق؛ انزلق إبهامها عن القضيب الحديدي، مخدرًا، وحينها أصبحت أربعة أصابع فقط بينها وبين الهاوية.

فقد الطيار كل السيطرة. بدأ المنطاد يغوص بأنفه.

لكن — شكرًا للآلهة — كان يترنح نحو الجبل.

راقبت رين السطح الصخري، تقاتل لتبقى هادئة. كان عليها القفز بمجرد أن تكون قريبة بما يكفي، قبل أن يسحقها المنطاد في حطامه مباشرة.

لاح الوجه الصخري أقرب فأقرب.

أخذت نفسًا عميقًا.

ثلاثة، اثنان، واحد. زفرت وأفلتت يدها.

***

هل أنا ميتة؟

كان العالم أسود. جسدها كان يحترق، ولم تستطع الرؤية.

لكن الموت لن يؤلم هكذا. الموت كان سهلًا؛ اقتربت منه مرات عديدة الآن لدرجة أنها عرفت أن الموت يشبه السقوط للخلف في حفرة سوداء من العدم المريح. الموت يجعل الألم يختفي. لكن ألمها اشتد فقط.

آه، رين. رن صوت ألتان في صدغيها — متسليًا، مازحًا. دائمًا مفاجأة.

لمرة واحدة لم تنفر من حضوره. كانت ممتنة للرفقة. احتاجته ليرشح الرعب.

شيء خاطئ؟

قالت:

— "أنا الوحيدة الآن. هم... هم ليسوا... أنا الوحيدة".

من اللطيف أن تكوني الوحيدة.

— "لكني أردت حلفاء".

ضحك فقط. ألم يكن يجب أن تعرفي أفضل الآن؟

وكان محقًا — كان يجب أن تعرف أفضل من وضع مصيرها في أيدي أناس أقوى منها. كان يجب أن تتعلم، مرات عديدة، أن كل من تعهدت لهم بإيمانها سيستخدمونها ويسيئون معاملتها حتمًا.

لكنها أرادت اتباع "التريفيكتا". أرادت شخصًا آخر ليخوض معاركها عنها، لأنها كانت منهكة جدًا، جدًا. أرادت جيانغ، وأرادت تصديق أن داجي هي المرأة التي أملت أن تكونها. أرادت تصديق أنها تستطيع إلقاء هذه الحرب على شخص آخر. ودائمًا ما تشبثت بأوهامها بقوة أكبر مما يجب.

قال ألتان: انسي أولئك الأوغاد. يمكننا فعل هذا بمفردنا.

نخرت، متذوقة الدم:

— "أجل".

بعد وقت طويل، توقفت الانفجارات. بحلول ذلك الوقت، كانت رؤية رين قد عادت بالكامل. في البداية رأت بقعًا من الألوان فقط — رقعًا حمراء كبيرة ضد السماء البيضاء، تتوهج مع كل دوي. ثم توضحت رؤيتها، ميزت بين سحب الدخان والحرائق التي خلقتها.

استلقت مسطحة على ظهرها، رأسها مائل للسماء، وضحكت.

لقد فعلتها.

لقد فعلتها بحق الجحيم.

بضربة واحدة، تخلصت من "التريفيكتا" والأسطول الهسبيري. اثنتان من أعظم القوى التي رأتها الإمبراطورية قط — ذهبتا، مسحتا عن وجه الأرض بلا نصب تذكاري سوى الرماد. توازن العالم بأسره تغير لتوّه. رأت القوى تنعكس في عقلها.

لفترة طويلة كانت تخوض حربًا مجنونة، وبلا أمل، ويائسة. والآن بدت قابلة للفوز جدًا، جدًا.

بشكل خافت جدًا في مؤخرة عقلها، وإن كان مكتومًا ومجهدًا بالباب الخلفي الروحي الذي يمر عبر عقل كيتاي، سمعت "العنقاء" يضحك أيضًا — القهقهة المنخفضة والقاسية لإله حصل أخيرًا على كل ما أراده.

همست للدخان الملتف الذي تبدد صاعدًا إلى الضباب المتشكل من جديد:

— "تبًا لكم جميعًا". وقامت بإيماءة وقحة بيدها. "هذا لأجل سبير".

كانت لترَ شيئًا لو كان أي شخص في "المعبد السماوي" لا يزال حيًا. كانت لترَ حركة. بينما كانت تحدق، لعب ضباب الجبل الحيل بعينيها، جعلها تعتقد باستمرار أنها التقطت لمحة باهتة لخيال يتعثر خارجًا من الباغودا. لكن كلما نظرت أقرب، كل ما رأته كان دخانًا.

***

استغرق الأمر بضع لحظات ليبدأ عقلها العقلاني بالعمل مجددًا.

الأساسيات أولًا. أولًا عليها النزول من هذا الجبل. ثم عليها الحصول على رعاية طبية. جروحها المفتوحة لم تكن عميقة، ومعظمها توقف عن النزيف، لكن مليون شيء آخر — التعرض للجو، الضلوع المكسورة، الأعضاء المكدومة — قد تقتلها إن لم تتحرك بسرعة.

لكن الحركة كانت عذابًا. انثنت ركبتاها مع كل خطوة. صرخت ضلوعها احتجاجًا كلما تنفست. صرت على أسنانها وأجبرت نفسها على السير بصعوبة للأمام. لم تستطع تدبر أكثر من ترنح مثير للشفقة مع كل خطوة. اشتد الألم في ساقيها — شيء ما، في مكان ما، كان مكسورًا. لم يهم. كيتاي كان ينتظرها بالأسفل. كان عليها فقط العودة لـ كيتاي.

تناثر الحطام الصامت عند قاعدة جبل تيانشان. ليس فقط حطام المناطيد المدمرة — قاذفات نزهة أهلكت قوات تشولانغ أيضًا. رأت شظايا مدافع أرضية مختلطة بهياكل السفن الهوائية. شكلت الحفر أنصاف دوائر نظيفة بشكل مروع في التراب.

وقفت لحظة في الصمت، تستنشق الرماد. لا شيء يتحرك. كانت الناجية الوحيدة في الأفق.

ثم سمعته — طنينًا مشوهًا، الأنين المنحدر لمحرك يحتضر. دارت حول نفسها. نظرت للأعلى.

في ضوء القمر رأت خياله الأسود فقط — صغيرًا لكنه يكبر، يطير مباشرة نحوها. لن ينجح. أيًا كان ما أبقاه مشتعلًا فقد تدمر — رأت الدخان يتدفق من الخلف في سحب كثيفة ومتماوجة.

لكنه كان لا يزال يطلق النار.

تبًا.

سقطت رين على الأرض.

تناثر الرصاص بلا هدف عبر الأرض المحروقة. الطيار لم يكن يصوب، احتاج فقط لتدمير شيء ما، أي شيء، قبل أن تخرج حياته عن سيطرته. أطلق المنطاد جولة أخيرة من المدافع، ثم ترنح نحو جانب الجبل وانفجر في كرة من نار.

وقفت، دون خدش.

صرخت في وجه الجبل، في البقعة التي تصاعدت منها الأعمدة من حطام المنطاد الأخير:

– "لقد أخطأتني!"

– "لقد أخطأتني أيها اللعين!"

بالطبع لم يجب أحد. تلاشى صوتها، الرفيع والمبحوح، بلا صدى في الهواء المتجمد.

لكنها صرختها مجددًا، ثم مجددًا، ثم مجددًا. كان الشعور جيدًا جدًا أن تقول إنها نجت، إنها خرجت منتصرة أخيرًا بحق الجحيم، لدرجة أنها لم تهتم حتى بأنها تصرخ للجثث.

الجزء الثالث

الفصل الثاني والعشرون

أرلونغ، قبل تسع سنوات

أشار يين فايسرا بإصبع واحد:

— "نزهة. تعال إلى هنا."

ركض نزهة إلى جانبه مبتهجًا. كان في منتصف درس منهك عن الكلاسيكيات، لكن معلمه انحنى وغادر الغرفة بمجرد ظهور والده في المدخل.

سأل فايسرا:

— "كيف تسير دراستك؟ هل تعمل بجد؟"

كبت نزهة غريزته في الثرثرة، وبدلًا من ذلك قلب رده في ذهنه بعناية. لم يسبق لـ فايسرا أن طرح عليه أسئلة كهذه من قبل؛ لم يظهر قط اهتمامًا كبيرًا بأي من أطفاله باستثناء جينزا. لم يرد نزهة أن يظنه والده متباهيًا أو أحمق.

قال بحذر:

— "يقول المعلم (تشاو) إنني أتقدم بشكل جيد. لقد أتقنت أساسيات قواعد لغة الـ (نيكان) القديمة، ويمكنني الآن تلاوة مئة واثنين وعشرين قصيدة من سلالة (جين). الأسبوع القادم سنـ..."

قاطعه فايسرا، بصوت لم يبدُ مهتمًا ولا مسرورًا بشكل خاص:

— "جيد. تمشَّ معي."

تبع نزهة والده بقلب منقبض قليلًا، خارجًا من الجناح الشرقي إلى قاعة الاستقبال الرئيسية. لم يكن متأكدًا تمامًا إلى أين يذهبان. كان قصر أرلونغ مكانًا

فخمًا وباردًا، يتكون في الغالب من فضاءات فارغة وممرات طويلة عالية الأسقف، تكسوها منسوجات تصور تاريخ "إقليم التنين" العائد إلى سقوط سلالة الإمبراطور الأحمر.

توقف فايسرا أمام صورة مفصلة لـ يين فارا، حاكم التنين السابق قبل "حرب الخشخاش الثانية". لطالما كره نزهة هذه المنسوجة. لم يعرف جده قط، لكن ملامح فارا الصارمة والهزيلة جعلته يشعر بالضآلة وعدم الأهمية في كل مرة يمر تحتها.

سأل فايسرا:

— "هل رغبت يومًا في الحكم يا نزهة؟"

قطب نزهة جبينه، مرتبكًا:

— "لماذا قد أرغب في ذلك؟"

لم يكن الحكم مكتوبًا في طالعه أبدًا. جينزا، الابن البكر، هو من سيرث لقب حاكم التنين وكل المسؤوليات التي تأتي معه. كان نزهة الابن الثاني فقط. كان مقدرًا له أن يصبح جنديًا، وجنرال أخيه الأكثر ولاءً.

— "ألم تفكر في الأمر قط؟"

شعر نزهة بشكل غامض وكأنه يفشل في اختبار ما، لكنه لم يعرف ماذا يقول غير ذلك:

— "إنه ليس مكاني."

صمت فايسرا للحظة، ثم قال:

— "لا، أفترض أنه ليس كذلك. هل تود سماع قصة؟"

قصة؟ تردد نزهة، غير واثق من كيفية الرد. لم يقص عليه فايسرا حكايات من قبل. لكن رغم أن نزهة لم تكن لديه أدنى فكرة عن كيفية تبادل الحديث مع والده، لم يستطع تحمل تفويت هذه الفرصة.

قال بحذر:

— "نعم. أود ذلك."

نظر فايسرا إليه:

– "هل تعرف لماذا لا نسمح لك بالذهاب إلى تلك المغارات؟"

تحمس نزهة:

– "بسبب الوحوش؟"

هل ستكون قصة وحوش؟ تمنى أن تكون كذلك. شعر بوميض من الإثارة. كانت مربيات طفولته يعرفن أن حكاياته المفضلة هي تلك التي تدور حول الوحوش التي لا تعد ولا تحصى والتي يشاع أنها تتربص في المغارات – التنانين، والسراطين آكلة لحوم البشر، والنساء الأسماك اللواتي يجعلنك تحبهن ثم يغرقنك بمجرد أن تقترب أكثر مما ينبغي.

قهقه فايسرا. لم يسمع نزهة والده يقهقه من قبل قط.

– "وحوش؟ هل تحب قصص المغارات؟"

أومأ نزهة:

– "كثيرًا جدًا."

وضع فايسرا يده على كتفه.

كبت نزهة جفلة. لم يكن خائفًا من لمسة والده – لم يكن فايسرا عنيفًا تجاهه أبدًا. لكن فايسرا لم يداعبه هكذا من قبل أيضًا. العناق، والقبلات، واللمسات المطمئنة – تلك كانت تخص والدة نزهة، السيدة (سايخارا)، التي كادت تخنق أطفالها بالعاطفة.

لطالما فكر نزهة في والده كتمثال – بعيد، ومنذر بالسوء، وغير قابل للمس. بدا له فايسرا أقل شبها برجل وأقرب إلى إله، المثال الكامل لكل ما تربى ليصبح عليه. كل كلمة نطق بها بين فايسرا كانت مباشرة وموجزة، وكل فعل كان فعالًا ومدروسًا. لم يظهر لأطفاله عاطفة تتجاوز إيماءة رضا رصينة عابرة. ولم يحكِ أبدًا حكايات خرافية.

إذن ما الذي يحدث؟

للمرة الأولى لاحظ نزهة أن عيني والده تبدوان زجاجيتين قليلًا، وأن حديثه بدا أبطأ بكثير من المعتاد. وأنفاسه... انبعثت رائحة نفاذة وحامضة في وجه نزهة كلما تحدث فايسرا. شم نزهة تلك الرائحة مرتين من قبل — مرة في مساكن الخدم، حين كان يتجول بعد موعد نومه حيث لم يكن ينبغي له أن يكون، ومرة في غرفة جينزا.

تململ تحت يد فايسرا، وشعر بعدم ارتياح مفاجئ. لم يعد يريد قصة. أراد العودة لدرسه.

قال فايسرا:

— "سأحكي لك قصة عن المغارة. أنت تعلم أن أرلونغ صعدت كقوة جنوبية في عقود الحرب التي تلت موت الإمبراطور الأحمر. لكن في السنوات الأخيرة من حكم الإمبراطور الأحمر، بعد أن تخلى عن إقليم التنين ليبني عاصمة جديدة في سينغارد، كانت أرلونغ تعتبر مكانًا ملعونًا. كانت هذه الجزر تقع داخل وادٍ للموت، من الأمواج المتكسرة وضفاف الأنهار الفائضة. لم تنجُ أي سفينة أبحرت مارّة بـ (المنحدرات الحمراء). كل شيء كان يتحطم حتى الموت ضد تلك الصخور."

بقي نزهة ساكنًا تمامًا وهو يستمع. لم يسمع هذه القصة من قبل. ولم يكن متأكدًا من أنه أحبها.

تابع فايسرا:

— "أخيرًا، رجل يدعى (يو)، متبحر في فنون الشامانية، استدعى سيد التنانين للنهر الغربي وتوسل مساعدته للسيطرة على الأنهار. بين ليلة وضحاها، تحولت أرلونغ. هدأت المياه. وتوقف الفيضان. بنى شعب أرلونغ القنوات وحقول الأرز بين الجزر. وفي بضع سنوات قصيرة، أصبح إقليم التنين جوهرة إمبراطورية النيكان، أرض الجمال والوفرة." توقف فايسرا. "وحده (يو) استمر في المعاناة."

بدا فايسرا عالقًا في حلم يقظة، لا يتحدث إلى نزهة بل إلى المنسوجات، وكأنه يتلو نسب السلالة للقاعة الصامتة.

ابتلع نزهة ريقه:

– "اممم. لماذا..."

قال فايسرا:

– "لا يمكن تبديل الطبيعة. بل كبح جماحها وحسب. دائمًا، هددت مياه أرلونغ بكسر قيدها وإغراق المدينة الجديدة في غضبها. أُجبر (يو) على قضاء حياته في حالة من الهلوسة الشامانية، يستدعي التنين دائمًا، ويسمع همساته في أذنيه دائمًا. بعد عدة عشرات من السنين على هذا الحال، أراد (يو) بشدة إنهاء حياته. وحين اكتمل استحواذ الإله، حين لم يعد قادرًا على الموت، أراد أن يحصن نفسه في تشولو كوريك. لكنه علم أنه إذا سعى للسلام، كان على شخص آخر حمل عباءته. لم يستطع (يو) أن يكون بتلك القسوة، ولا بتلك الأنانية. إذن ماذا حدث؟"

لم يعرف نزهة. لكنه استطاع تجميع الأمر مثل قطع أحجية منطقية، من النوع الذي كان معلموه يدربونه دائمًا على حله لاختبار (الكيدجو).

قال أبي إن هذه قصة مغارة. وقصص المغارات تدور حول الوحوش.

قال نزهة:

– "تحول (يو). لقد أصبح الوحش."

مسد فايسرا خصلة شعر خلف أذن نزهة:

– "ليس وحشًا يا نزهة. بل منقذًا. لقد قدم التضحية القصوى لأجل أرلونغ. لكن أرلونغ نسيته فورًا تقريبًا. رأوا شكله الجديد المرعب، ولفائفه المتعرجة وحراشفه الحادة، واستقبلوه ليس بالامتنان بل بالخوف. حتى زوجته لم تتعرف عليه. ألقت نظرة واحدة عليه وصرخت. رماه إخوتها بالحجارة

وطردوه خارج القرية، عائدًا إلى المغارة حيث أمضى عقودًا يصلي لحمايتهم. هو..."

تلاشى صوت فايسرا.

نظر نزهة لأعلى:

— "أبي؟"

كان فايسرا يحدق بصمت في المنسوجات. وبارتباك، تبع نزهة عينيه. لم تحتوِ أي من هذه المنسوجات القصة التي سمعها للتو. كانت كلها صورًا للسلالة، صف لا ينتهي من الصور المطرزة بدقة لأسلاف نزهة الذين ماتوا منذ زمن طويل.

ما الذي كان يحاول أبوه إخباره به؟

ما التضحيات التي قدمها آل يين لأجل أرلونغ؟

قال فايسرا فجأة:

— "أخبرني معلموك أنك أردت زيارة المغارات."

تصلب نزهة. هل كان هذا هو الموضوع؟ هل هو في ورطة؟ نعم، لقد سأل، مرات أكثر بكثير مما ينبغي. لقد توسل وتذمر، متعهدًا بالبقاء في المياه الضحلة أو حتى على ضفة النهر المقابلة لو سمحوا له فقط بالاقتراب بما يكفي لاختلاس النظر داخل أفواه الكهوف.

قال:

— "أعتذر يا أبي. لن أسأل مرة أخرى — كنت مجرد فضولي..."

— "بشأن ماذا؟"

— "ظننت... أعني، سمعت عن كنوز، وظننت..."

تلاشى صوت نزهة. اشتعلت وجنتاه. بدت كلماته غبية وطفولية وهو ينطقها. أقسم بصمت ألا يعصي كلمة والده مرة أخرى.

لكن فايسرا لم يوبخه. اكتفى بالتحديق في نزهة لفترة طويلة جدًا، وتعبيره غير قابل للقراءة. أخيرًا، ربت على كتف نزهة مرة أخرى.

قال بصوت بدا متعبًا للغاية:

— "لا تذهب إلى تلك المغارات يا نزهة. لا تحمل عبء أمة بأسرها. إنه أثقل مما ينبغي. وأنت لست قويًا بما يكفي."

الفصل الثالث والعشرون

قال كيتاي:

— "إذا كانت حساباتي صحيحة، فإن الانفجارات في جبل (تيانشان) دمرت ما يقرب من ثلثي الأسطول الهسبيري في (نيكان). هذا... هذا كثير."

سأل تشولانغ:

— "ثلثين فقط؟ ليس كله؟"

أجاب كيتاي:

— "لم يرسل نزهة الأسطول بأكمله غربًا. آخر ما سمعته، أن (الكونسورتيوم) أقرضه ثمانيًا وأربعين طائرة. أسقطنا ستًا في (السندان). ورأيت حوالي ثلاثين عند الجبل. ونعلم أن اثنتين هربتا عائدتين للغرب."

تمتمت فينكا:

— "مع أي قدر من الحظ، لم يكن نزهة على متنهما."

فركت رين عينيها المؤلمتين، منهكة لدرجة تمنعها من الضحك. الأربعة — هي، وتشولانغ، وكيتاي، وفينكا — وقفوا حول الطاولة في كوخ تشولانغ. كانوا جميعًا شاحبين ويرتجفون من الإعياء، ومع ذلك، بدا اجتماعهم مشبعًا بطاقة ملحة ومشتعلة. ثقة هادئة ومذهولة؛ وطعم أمل لم يشعر به أي منهم منذ شهور.

كان هذا هو الفرق بين الفرار للنجاة بحياتهم وبين التخطيط لهجوم. فهموا جميعًا حجم ما قد يكون في متناول اليد. كان جنونًا. وكان مثيرًا.

سألت رين:

— "بأي سرعة تظن أن الهسبيريين سيرسلون بدائل؟"

قال كيتاي:

— "لست متأكداً. ربما يترددون. حين كنت في أراباك، ظللت أسمع شائعات بأن (الكونسورتيوم) يعيد النظر في استثماراته. كلما استغرق نزهة وقتًا أطول لتوطيد الجنوب، أصبحوا أكثر حساسية بشأن المساعدات العسكرية. (الكونسورتيوم) كيان مراوغ — يحتاجون لتصويت بالإجماع من جميع الدول الأعضاء لإرسال قوات إلى أي موقع أجنبي. وناخبوهم أصبحوا أقل ارتياحًا لفقدان الأرواح — وتكاليف المناطيد، التي تعتبر باهظة — لصالح قوة لا يفهمونها."

قال تشولانغ:

— "إذن هم جبناء. نمور من ورق. جاءوا مستعدين لكسب حروبنا نيابة عنا، لكن في اللحظة التي يخافون فيها، سيتراجعون جميعًا؟"

قالت رين:

— "لن ينتهي الأمر بهذه السهولة. كانت لديهم أطماع في هذه القارة لفترة طويلة جداً. لن نخيفهم بمجرد تهديدات. علينا جعل الأمر حقيقيًا."

ابتلعت ريقها ورفعت ذقنها.

— "إذا أردنا إنهاء هذا للأبد، سيتعين علينا احتلال أرلونغ."

لم يضحك أحد.

كان مذهلًا كيف أن تلك الجملة البسيطة، التي كانت لتبدو قبل أسبوع مجرد نكتة قاسية، بدت الآن قابلة للتحقيق تمامًا. هزيمة الجمهورية لم تعد حلم يقظة. كانت مسألة إطار زمني.

نجت رين من المسير الطويل بشظايا ضئيلة فقط من الجيش. الأرقام التي جمعها كيتاي كانت محبطة. نصف الجنود الذين غادروا "السندان" أصبحوا الآن في عداد الموتى أو المفقودين. ووصل معدل الخسائر بين المدنيين إلى الثلثين.

لكن رين كانت لا تزال تقود الناجين. وفي هذه اللحظة، كانت تملك أكبر ميزة عسكرية حازتها منذ بدأت هذه الحرب.

كان الهسبيريون مضطربين. لقد تكبد نزهة للتو هزيمة ذات أبعاد ملحمية. فبدلًا من قصفها إلى أشلاء تحت سماء مفتوحة، تبع رين إلى جبل (تيانشان) وخسر معظم أسطوله. سقطت هذه الكارثة على كتفيه، وبالتأكيد علم (الكونسورتيوم) بذلك. لمرة واحدة، كان لدى الجنوبيين فرصة قتالية لهزيمة الجمهورية. لكن للاستفادة من زخمهم، كان عليهم التحرك بأسرع ما يمكن.

قالت رين، صانعة حركة كماشة بيدها:

— "يجب أن نهاجم على جبهتين. استراتيجية مزدوجة المحاور من الشمال والجنوب، مثل تلك التي جربها الموغين خلال (حرب الخشخاش الثالثة)."

قالت فينكا:

— "لم تنجح معهم بشكل جيد."

ردت رين:

— "لولا وجودي، لكانت نجحت. كانت لديهم الفكرة الصحيحة — أجبروا الإمبراطورية على تقسيم التعزيزات على طول جبهتين مهددتين. والأكثر من ذلك، نزهة يعلم أن قوته البشرية تنفد. سيرمي بكل ما لديه علينا إذا تركزنا في جبهة واحدة. لا أريد خوض تلك المقامرة. أفضل استنزافه حتى الجفاف."

التقط كيتاي أفكار رين بسلاسة وغزلها بصوت عالٍ في خطة قابلة للتنفيذ:

— "إذن نضربه من الشمال الغربي والشمال الشرقي. نرسل رتلًا أولًا عبر أقاليم الكبش، والفأر، والنمر. ثم تضرب القوة الرئيسية في قلب البلاد، تمامًا حين يكون قد نشر قواته بشكل رقيق محاولًا الحفاظ على الأراضي التي وضع يده عليها للتو. إذا تصرفنا بسرعة، قد ننهي هذا الأمر في غضون ستة أشهر."

قال تشولانغ:

— "لحظة. ستحققون كل هذا بأي جيش؟"

قال كيتاي:

– "حسنًا، جيشك."

– "لقد فقدت ثمانين جنديًا في جبل (تيانشان). لست بصدد إرسال المزيد إلى حتفهم."

قالت رين:

– "ستموتون إن بقيتم هنا. هل ظننت أن نزهة سيترككم وشأنكم الآن بعد أن اخترتم صفكم؟ أنتم في عداد الموتى بالفعل. المسألة هي متى وكيف."

أضاف كيتاي:

– "قد تشترون بضعة أشهر إضافية بينما هو منشغل بنا. لكن إذا تمكنت الجمهورية من القضاء علينا، فبالتأكيد لن تكون لديكم فرصة. اسأل نفسك ما إذا كان الأمر يستحق بضعة أشهر أخرى من العيش في الخيام على السهول."

لم يقل تشولانغ شيئًا.

أخبرته فينكا:

– "لن تفكر في رد مفحم. لقد فكر هو بخمس حجج مسبقًا."

عبس تشولانغ:

– "اكمل إذن."

قال كيتاي:

– "من الواضح أن الجبهة الشمالية الشرقية ستكون خدعة – إنها لا تحدد نهاية اللعبة – لكننا لا نزال نكسب ميزة مادية صلبة من الضرب هناك مبكرًا. بها قواعد للصناعة الحربية – ترسانات، وأحواض بناء سفن، وكل تلك الأشياء الجيدة. لذا حتى لو لم يأخذنا نزهة على محمل الجد في الشمال، فهو نصر في كلتا الحالتين." أومأ لـ فينكا. "أنتِ تذهبين مع تشولانغ. خذي بضع مئات من الرجال من الجيش الجنوبي؛ أنتِ اختاري."

قالت فينكا:

– "لست أرفض هذه المهمة، لكن لنفترض أنك أخطأت في الحساب، واتجهنا مباشرة إلى حمام دم؟"

أكد لها كيتاي:

– "لن يحدث ذلك. ليس لدى نزهة قاعدة محلية موالية في الشمال. لقد انحنوا للجمهورية مؤخرًا فقط، والمدنيون لا يهتمون بمن يفوز في هذا القتال. لقد فقدوا إمبراطورتهم، وفقدوا (جون لوران)، وهم ساخطون تحت حكم أرلونغ تمامًا مثلنا. ليس لديهم مصلحة أيديولوجية في هذا."

– "لكنهم الشمال. جزء من أيديولوجيتهم هو كره أمثالكم. لن ينحنوا للفلاحين."

– "إذن من الجيد أننا نرسل (سرينغ فينكا). أيتها الأميرة السينغاردية ذات الوجه الخزفي."

ضحكت فينكا بسخرية:

– "حسنًا."

سأل تشولانغ:

– "لكن ماذا ستفعلون أنتم في الجبهة الجنوبية الشرقية؟ سنترككم مع شظايا جيش."

قالت رين:

– "لا بأس. لدينا شامانات."

– "أي شامانات؟ أنت الوحيدة المتبقية."

– "لست مضطرة لأن أكون الوحيدة."

كان الأمر كما لو أنها وضعت فتيلًا مشتعلًا في منتصف الطاولة. ساد الصمت الغرفة. تصلب كيتاي. وحدق فيها تشولانغ وفينكا وفميهما مفتوحان.

رفضت رين أن تدع ذلك يزعزعها. لن تتخذ موقفًا دفاعيًا؛ لأن ذلك سيبرر عدم تصديقهم فقط. كانت تتساءل عن كيفية تقديم هذا الاقتراح منذ

نزلت من الجبل. ثم أصبح الأمر واضحًا — لكي يبدو الجنون طبيعيًا، كان عليها ببساطة مناقشته وكأنه منطق سليم. كان عليها فقط تشويه فكرتهم عن الطبيعي.

تابعت بهدوء:

— "كان لدى سو داجي الفكرة الصحيحة. الطريقة الوحيدة ليكون لنا فرصة ضد الهسبيريين هي مطابقة (صانعهم) بآلهتنا الخاصة. كان بإمكان (التريفيكتا) تدبر الأمر. ربما كانوا ليستولوا على الإمبراطورية الآن لو تركت ريغا ينفذ ما أراد. لكنهم كانوا طغاة. بمرور الوقت، كانوا ليسببوا ضررًا أكثر من النفع."

والآن القفزة المنطقية الحاسمة.

— "لكن بما أننا لا نملكهم، نحتاج لشاماناتنا الخاصين. لدينا مئات الجنود المستعدين للقيام بذلك. نحتاج فقط لتدريبهم. لقد وضعنا جدولًا للحملة مدته ستة أشهر. يمكنني تجهيز المجندين للقتال في أسبوعين."

نظرت حول الطاولة، منتظرة اعتراض أحدهم.

كل شيء توقف على ما سيحدث تاليًا. كانت رين تختبر حدود سلطتها في أعقاب تحول تكتوني في القوة. شعر هذا باختلاف كبير عن المرة الأولى التي قفزت فيها إلى القيادة، قبل أشهر فقط حين خاطبت رجال (ما ليين) بفم جاف وركبتين ترتجفان. في ذلك الوقت كانت خائفة، تتشبث بالقش، وتخفي افتقارها التام للاستراتيجية بشجاعة مصطنعة.

الآن كانت تعرف بالضبط ما تحتاج لفعله. كانت تحتاج فقط لإجبار الجميع على نفس الصفحة. كانت لديها رؤية للمستقبل — شيء مرعب، وشيء عظيم. هل يمكنها تحويله لواقع بكلماتها؟

فتحت فينكا فمها، ثم أغلقته، ثم فتحته مرة أخرى:

— "لكن في الماضي... رين، أنا فقط... أخبرتني مرة أن..."

قاطعتها رين:

– "أنا أفهم المخاطر. في ذلك الوقت لم أظن أنها تستحق العناء. لكنكِ رأيتِ ما حدث على ذلك الجبل. من الواضح الآن أنها تستحق. لا يزال لدى الهسبيريين أربعة عشر منطادًا على الأقل، وذلك يمنحهم ميزة لا يمكننا مواجهتها. ليس بدون المزيد من... حسنًا، المزيد مني."

ساد صمت آخر.

ثم هز تشولانغ رأسه وتنهد:

– "اسمعي. إذا أراد أي من رجالي التطوع، فلن أوقفهم."

قالت رين:

– "شكرًا لك."

جيد بما يكفي – كان ذلك أقصى تأييد ستحصل عليه. طالما لم يحاول تشولانغ إيقافها، لم تهتم بمدى عدم الارتياح الذي بدا عليه.

نظرت إلى يمينها:

– "كيتاي؟"

احتاجت لسماع صوته قبل أن تتمكن من الاستمرار. لم تكن تنتظر إذنه – لم تحتج إذنه أبدًا لأي شيء – لكنها أرادت سماع تأكيده. أرادت شخصًا آخر، شخصًا يعمل عقله أسرع بكثير مما سيعمل عقلها أبدًا، ليقيم القوى المؤثرة والأرواح المعرضة للخطر ويقول: نعم، هذه الحسابات صحيحة. هذه التضحية ضرورية. أنتِ لستِ مجنونة. العالم هو المجنون.

لفترة طويلة وقف كيتاي ساكنًا، يحدق في الطاولة، وأصابعه تنقر بشكل عشوائي على السطح الخشبي. ثم نظر إليها. لا، نظر من خلالها. كان عقله بالفعل في مكان آخر. كان يفكر مسبقًا متجاوزًا هذه المحادثة.

– "ليس أكثر من عدة..."

أكدت له:

– "لن نحتاج لأكثر من حفنة. ثلاثة على الأكثر – ما يكفي فقط لنتمكن من نشر الهجوم عبر مستويات متعددة."

همس:

— "واحد لكل اتجاه أصلي. لأن التأثير يتضاعف أضعافًا مضاعفة إذا..."

— "صحيح. أنا أنجز الكثير. لكنني لست كافية. وجود شامان آخر واحد فقط يربك التشكيلات الدفاعية بشكل لا يمكننا الحلم به."

قالت فينكا:

— "بحق الجحيم. منذ متى وأنتِ تفكرين في هذا؟"

لم تفوت رين لحظة:

— "منذ تيكاني."

لم تكسبهم تمامًا بعد. رأت الشك عالقًا في عيونهم — ربما لم يثيروا اعتراضات، لكنهم ما زالوا لا يحبون الأمر. شعرت بنبضة من الإحباط. كيف تجعلهم يرون؟ لقد تجاوزوا منذ زمن طويل حروب الفولاذ والأجساد التي تتصادم في الحقول الفانية. الحرب تحدث على المستوى الإلهي الآن — آلهتها مقابل (صانع) الهسبيريين. ما رأته على جبل (تيانشان) كان رؤية للمستقبل، لكيف سينتهي هذا حتمًا. لا يمكنهم الجفول عن ذلك المستقبل. كان عليهم خوض نوع الحرب الذي يزحزح الجبال.

قالت:

— "الغرب لا يتصور هذه الحرب كصراع مادي. الأمر يتعلق بنزاع حول تفسيرات الألوهية. يتخيلون أنهم لأنهم يطيعون المهندس الإلهي، يمكنهم سحقنا كالنمل. لقد أثبتنا خطأهم للتو. وسنفعلها مجددًا."

مالت للأمام، ضاغطة بكفها على الطاولة.

— "لدينا فرصة واحدة الآن — ربما الفرصة الوحيدة التي سنحصل عليها أبدًا — لاستعادة هذا البلد. الجمهورية تترنح، لكنهم سيتعافون. علينا ضربهم بقوة قبل ذلك الحين. وحين نفعل، لا يمكن أن يكون هجومًا فاترًا. نحتاج

للإفراط في القتل. نحتاج لإرعاب حلفاء نزهة بشدة لدرجة تجعلهم يهرعون عائدين لنصف كرتهم الأرضية ولا يجرؤون أبدًا على العودة لهنا مجددًا."

لم يعترض أحد. عرفت أنهم لن يفعلوا. الاعتراضات لم تكن موجودة.

سأل كيتاي بهدوء:

– "ما هي خطتكِ لحين يفقدون السيطرة؟"

قال حين. وليس إذا. لم تكن هذه فرضية. لقد انتقلوا إلى عالم اللوجستيات الآن، مما يعني أنها فازت بالفعل.

قالت:

– "لن يفعلوا."

الكلمات التالية التي نطقت بها بدت كندوب أعيد فتحها، مألوفة ومؤلمة، كلمات حملت ثقل كل الذنب الذي حاولت قمعه لفترة طويلة. كلمات تنتمي لإرث علمت الآن أنه ليس لديها خيار سوى مواجهته.

– "لأننا سنكون (السيك). وقانون (السيك) الأول هو أننا ننتقي."

***

بدا العالم مختلفًا حين خرجت رين من كوخ تشولانغ.

رأت نفس معسكر الجيش العشوائي الذي واجهته عند دخولها. مرت بنفس النيران الواهية التي تومض تحت رياح السهوب القاسية؛ ونفس مجموعات الجنود والمدنيين ناقصي الوزن مع القليل جدًا للأكل، أو الشرب، أو الارتداء؛ ونفس العيون النحيلة، والبالية، والجائعة.

لكن رين لم ترَ ضعفًا هنا.

رأت جيشًا يعيد البناء. أمة في طور التكوين. يا إلهي، لقد أثارها ذلك. هل فهموا ما كانوا على وشك أن يصبحوه؟

قال كيتاي:

– "انظري. إنهم يروون أساطير عنكِ بالفعل."

تبعت رين نظره. نصبت حفنة من الجنود الأصغر سنًا مسرحًا في وسط المعسكر بدفع طاولتين معًا. مُدت ملاءة بيضاء مشدودة بين عمودين، حرق خلفها مصباح صغير، ملقيًا بظلال مشوهة على القماش الفارغ.

توقفت للمشاهدة.

جلب مشهد القماش ذكريات حلوة لدرجة الألم: أربعة أيام من الصيف وسط حشود سينغارد الحارة واللزجة؛ الراحة الباردة للأرضية الرخامية في قصر عائلة كيتاي؛ ولائم من خمسة أطباق من الأطعمة الغنية التي لم تتذوقها من قبل ولم تلمسها منذ ذلك الحين. لم يكن عرض الدمى هذا احترافيًا ولو بجزء بسيط من الأداء الذي رأته خلال مهرجان الصيف في سينغارد، والذي تضمن دمى تتحرك بسلاسة، وقضبانها وخيوطها غير مرئية لدرجة أن رين كادت تصدق وجود مخلوقات صغيرة ترقص على الجانب الآخر. هؤلاء المحركون كانوا مرئيين تمامًا خلف المسرح، يرتدون دعائم رثة ومخاطة على عجل في أيديهم تشبه البشر بشكل غامض.

لم تدرك رين أن الشكل الأزرق غير المحدد في المقدمة هو نزهة إلا حين بدأت المسرحية.

— "أنا المارشال الشاب!" تبنى محرك الدمى الصوت الأنفي الرفيع لطفل مشاكس. "قال أبي إنه كان من المفترض أن نربح هذه الحرب!"

— "لقد قت أسطولنا لكارثة!" تحدث الممثل الآخر بـ (نيكانية) حلقية ومكسرة، في إشارة لجندي هسبيري. "أيها الفتى الأحمق! لماذا تطلق النار على (التريفيكتا)؟"

— "لم أكن أعلم أن بإمكانهم الرد!"

كانت المشاهد التالية سيئة بنفس القدر، سطرًا تلو الآخر من الفكاهة الفجة والغبية. لكن في أعقاب (تيانشان)، كانت الفكاهة الفجة هي ما أراده الجنوبيون. ابتهجوا بإذلال نزهة. جعل ذلك قتالهم الوشيك يبدو قابلًا للفوز.

استأنف كيتاي المشي:

— "هيا. إنه مجرد المزيد من الشيء نفسه."

سألت رين:

— "ماذا يقولون أيضًا؟"

— "من يهتم؟"

— "لا أهتم بما يقولونه عن نزهة. ماذا يقولون عني؟"

— "آه."

عرف ما كانت تسأله حقًا. ماذا يعرفون؟

قال بعد صمت:

— "لا أحد يعرف أنكِ انقلبتِ على (التريفيكتا). يعرفون أنكِ ذهبتِ إلى جبل (تيانشان) لطلب المساعدة، وأن الشامانات في الداخل ضحوا بأنفسهم لإنقاذنا من أسطول المناطيد. هذا كل ما يعرفونه."

— "إذن يظنون أن (التريفيكتا) ماتوا أبطالًا."

رفع كيتاي حاجبًا في وجهها:

— "ألن تفترضي الشيء نفسه؟ هل ستقومين بتصحيحهم؟"

فكرت في ذلك للحظة، ووجدت نفسها في الموقف الغريب المتمثل في تحديد السرد التاريخي لأمة.

هل تسمح لإرث (التريفيكتا) بالبقاء؟

يمكنها تدميرهم. كان يجدر بها تدميرهم، لما فعلوه بها.

لكن سردية البطل كانت صحيحة جزئيًا. أحد (التريفيكتا) مات بشرف. واحد، على الأقل، استحق أن يُذكر كرجل صالح. وذلك يصنع أسطورة جميلة — شامانات حقبة سابقة من عظمة "النيكان" تخلوا عن حياتهم لضمان بزوغ فجر جديد.

لقد أنهت رين (التريفيكتا). يمكنها منحهم الكرامة في الموت، إذا كان ذلك ما اختارته. أحبت أنها تملك القوة للاختيار.

قررت:

– "لا. دعهم يعيشون في الأسطورة."

يمكنها أن تكون كريمة مع أشباح (التريفيكتا). يمكنهم أن يصبحوا أساطير – الأساطير هي كل ما سيكونونه أبدًا. رغم كل أحلام ريغا وجيانغ وداجي بالمجد، انتهت قصتهم في المعبد السماوي. يمكنها السماح لهم باحتلال هذه المقدمة الصغيرة في التاريخ. كان لديها المهمة الأكثر متعة المتمثلة في تشكيل المستقبل. وحين تنتهي، لن يتذكر أحد حتى أسماء (التريفيكتا).

***

كان لدى رين لقاء آخر تلك الليلة قبل أن تنام.

انطلقت وحيدة لمقابلة تشاغان في معسكره. كان (الكيتريد) يحزمون أمتعتهم. أُخمدت نيران معسكرهم ودُفنت الأدلة؛ ولُفت خيامهم وبطانياتهم ورُبطت على خيولهم.

سألته:

– "لن تبقى في الجوار؟"

– "فعلت ما جئت لأفعله." لم يسألها تشاغان عما حدث على الجبل. كان يعرف بالفعل بوضوح؛ استقبلها بابتسامة معجبة وهزة من رأسه. "أحسنتِ صنعًا أيتها السبيرية. كان ذلك ذكيًا."

قالت، مسرورة رغماً عنها:

– "شكرًا لك."

لم يسبق لـ تشاغان أن جاملها من قبل. طوال علاقتهم تقريبًا، منذ اليوم الذي التقيا فيه لأول مرة في "خوردالين"، كان يعاملها كطفلة ضالة عاجزة عن اتخاذ قرارات عقلانية.

الآن، وللمرة الأولى، تصرف وكأنه يحترمها حقًا.

سألته:

– "هل تظن أنهم ماتوا؟ أعني، ألا توجد فرصة أنهم..."

– "بالتأكيد. كانوا أقوياء، لكن رابطة (المرساة) أبقتهم في قيادة أجسادهم الخاصة، مما يعني أنهم كانوا دائمًا فانين. لقد رحلوا. لقد شعرت بذلك. وارتحنا منهم."

أومأت برأسها، مرتاحة:

– "إنه ما تستحقه. لأجل (تسيفيري)."

التوت شفته:

– "دعونا لا نتظاهر بأنك فعلتِ ذلك لأجل دَيْن دم."

– "لقد كان دَيْن دم. لكن ليس دَيْنك. والآن لابد أنك تعرف ما علي فعله تاليًا."

زفر ببطء:

– "أستطيع التخمين."

– "ألن تحاول إيقافي؟"

– "أنت تخلطين بيني وبين عمتي يا رين."

– "(سورقان سيرا) كانت لتقتلني في الحال."

– "أوه، كانت لتغتالك منذ زمن طويل."

مرر تشاغان يده برفق عبر طول عنق حصانه. أدركت رين أنها تعرف المخلوق — كان حصان الحرب الأسود نفسه الذي ركبه تشاغان خارجًا من الغابات بجوار بحيرة "بويانغ" آخر مرة رأته فيها. عدل سرجه وهو يتحدث، يشد كل عقدة بعناية متمرسة.

– "(سورقان سيرا) كانت مرتعبة من عودة الشامانية النيكانية. ظنت أنها ستعني نهاية العالم."

– "وأنت لا تظن ذلك؟"

– "العالم ينتهي بالفعل. ترين، العشائر المئة تعلم أن الزمن يتحرك في دائرة. لا توجد قصص جديدة أبدًا، فقط قصص قديمة تُروى مرارًا وتكرارًا بينما

يتحرك هذا الكون عبر دورات حضارته وينهار إلى اليأس. نحن على شفا عصر من الفوضى مجددًا، ولا يوجد شيء يمكننا فعله لإيقافه. أنا فقط أفضل المراهنة على خيول معينة في السباق."

قالت رين:

– "لكنك ستشاهد البقية من مسافة آمنة."

كانت تمزح. كانت تعرف أفضل من أن تطلب من تشاغان البقاء والمساعدة. لم تكن بتلك الأنانية – استغل النيكانيون شعب تشاغان بما يكفي.

لو توجب عليها أن تكون صادقة، لودت لو جاء تشاغان معها جنوبًا. لم تطق وجوده من قبل أبدًا، لكن رؤيته أعادت ذكريات (السيك). ذكريات سوني، وباجي، ورامسا، وقارا. وألتان. من بين كل الأطفال الغريبين، كانوا هم الوحيدين المتبقين، وكلاهما مكلف بشكل مستقل بجلب النظام لأممهما المتصدعة. تشاغان، بطريقة ما، نجح بالفعل. تمنت رين بشدة لو يقرضها قوته.

لكنها أخذت منه الكثير بالفعل. لا يمكنها طلب المزيد.

– "معكِ، تعلمت أنه من الأفضل الحفاظ على مسافة آمنة من التداعيات."

شد تشاغان العقدة الأخيرة وربت على الحصان خلف أذنيه.

– "حظًا سعيدًا أيتها السبيرية. أنتِ مجنونة كأقصى ما يكون الجنون، لكنك لست مجنونة تمامًا مثل (ترينغسين)."

– "سآخذ ذلك كإطراء."

– "إنه السبب الوحيد الذي يجعلني أظن أنكِ قد تفوزين."

قالت رين متفاجئة:

– "شكرًا لك. على كل شيء."

اعترف بذلك بابتسامة رفيعة الشفتين.

– "هناك شيء أخير قبل أن تذهبي. لم أرد فقط توديعك. نحتاج للحديث عن نزهة."

توترت:

– "نعم؟"

صهل الحصان باضطراب، وكأنه استشعر قلقها، وضرب بحوافره الأمامية في التراب. سلم تشاغان لجاكه بسرعة لأقرب راكب.

قال لها:

– "اجلسي."

أطاعت. كان قلبها يدق بقوة شديدة.

– "ماذا تعرف؟"

جلس متربعًا قبالتها:

– "بدأت البحث في أمر آل يين بعد أن سمعت ما حدث في (المنحدرات الحمراء). كان من الصعب فصل الحقيقة عن الأسطورة – بيت يين محاط بالشائعات، وهم جيدون في حماية أسرارهم. لكنني أظن أنني كونت فكرة أفضل عما حدث لـ نزهة. ولماذا هو على ما هو عليه." أمال رأسه نحوها. "ماذا تعرفين عن مصدر قدرات نزهة؟"

قالت:

– "أخبرني قصة ذات مرة. إنها... إنها غريبة. ليست الطريقة التي ظننت أن الشامانية تعمل بها."

ضغط تشاغان:

– "كيف ذلك؟"

لماذا شعرت فجأة وكأن رأسها يدور؟ ضغطت رين بأظافرها في راحة يدها، تحاول إبطاء تنفسها. لا ينبغي أن يكون الحديث عن نزهة بهذه الصعوبة. كانت تناقش كيفية قتله مع كيتاي لشهور الآن.

لكن سؤال تشاغان أعاد ذكريات أرلونغ، ذكريات لحظات نادرة من الضعف وكلمات قاسية ندمت عليها. جعلتها تشعر. وهي لا تريد أن تشعر.

أجبرت صوتها على البقاء متزنًا:

— "حين نحتاج آلهتنا، نستدعيهم. لكن نزهة لم يسعَ للتنين أبدًا. أخبرني أنه واجه واحدًا حين كان صغيرًا، لكن حين تحدث عن الأمر، جعله يبدو... حقيقيًا."

— "كل الآلهة حقيقية."

أوضحت:

— "حقيقية في هذا المستوى. في العالم المادي. قال إنه حين كان طفلًا، تجول في مغارة تحت الماء والتقى بتنين، قتل أخاه وطالب به — أيًا كان ما يعنيه ذلك. جعل الأمر يبدو وكأن إلهه يمشي على هذه الأرض."

فرك تشاغان ذقنه:

— "فهمت. نعم. هذا ما ظننته."

— "لكن... هذا... هل يمكنهم فعل ذلك؟"

— "ليس أمرًا لا يمكن تصوره. هناك جيوب في هذا العالم حيث يكون الحد الفاصل بين عالمنا وعالم الروح أرق." ضغط تشاغان كفيه معًا للتوضيح. "جبل (تيانشان) أحدها. معبد (سبير) آخر. ومغارة المنعطفات التسعة هي الثالث. ذلك الكهف هو مصدر كل قوة نزهة."

"ارتبط آل يين بالتنين لفترة طويلة. مياه أرلونغ قديمة، وتلك المنحدرات قوية بتاريخ موتاها. يتدفق السحر بسلاسة عبر تلك المياه. هل تساءلتِ يومًا كيف أن أرلونغ غنية جدًا، ووارفة جدًا، حتى حين تكون الأقاليم المحيطَة بها قاحلة؟ قوة إلهية حمت المنطقة لقرون."

— "لكن كيف..."

– "لقد زرتِ الجزيرة الميتة. ترين كيف لا ينمو شيء هناك. هل تساءلتِ يومًا لماذا؟"

– "ظننت... أعني، ألم تكن تلك مجرد حرب كيماوية للموغين؟ ألم يسمموها فقط؟"

هز تشاغان رأسه:

– "ليس هذا كل شيء. هالة (العنقاء) تنبض عبر الجزيرة، تمامًا كما ينبض الماء عبر أرلونغ."

– "إذن فالتنين..."

– "التنين. إذا أمكنك تسميته كذلك." صنع تشاغان وجهًا مشمئزًا. "أشبه بمخلوق مسكين مسحور ربما كان يومًا سرطان بحر، أو نجم بحر، أو دلفينًا. لا بد أنه سبح في شبكة سحر التنين الحقيقي وأصبح دون قصد تجسيدًا ماديًا للمحيط، الذي رغبته هي..."

– "التدمير؟"

– "لا. دافع (العنقاء) هو التدمير. المحيط يرغب في الإغراق، في الامتلاك. كنوز كل الحضارات العظيمة سقطت حتمًا في أعماقه المظلمة، والتنين يتوق لامتلاكها جميعًا. إنه يحب جمع الأشياء الجميلة."

الطريقة التي قالها بها جعلت رين تنكمش:

– "وهو يجمع نزهة."

– "هذا تعبير مخفف ولطيف للأمر. لكن الكلمة أضعف مما ينبغي. التنين لا يريد فقط جمع نزهة وكأنه مزهرية أو لوحة لا تقدر بثمن. إنه يريد امتلاكه، جسدًا وروحًا."

صعدت العصارة الصفراوية في حلق رين وهي تتذكر الطريقة التي ارتجف بها نزهة حين تحدث عن التنين.

ماذا فعلت به؟

لأول مرة، شعرت بوخزة ذنب لدفع نزهة إلى الحافة، ولنعتها له بالجبان لرفضه استدعاء القوة التي ربما كانت لتنقذهم.

في ذلك الوقت ظنت أن نزهة يتصرف فقط بتدليل وأنانية. لم تفهم أبدًا كيف يمكنه كره عطاياه بهذا القدر حين كانت مفيدة بوضوح. كرهته لأنه نعت كليهما بالمقيتين.

لم تأخذ لحظة أبدًا للتفكير في أنه، على عكسها، لم يختر ألمه كجزية. لم يستطع استمداد الرضا منه كما تفعل هي، لأنه بالنسبة له، لم يكن الثمن الضروري لمخرج. بالنسبة له، كان مجرد تعذيب.

قال تشاغان:

— "إنه ينجذب لذلك المخلوق. وينجذب لذلك المكان. هو مرسوخ جسديًا. إنه مصدر كل قوته."

أخذت رين نفسًا عميقًا. ركزي على ما يهم.

— "هذا لا يخبرني كيف أقتله."

قال تشاغان:

— "لكنه يخبرك أين تضربين. إذا أردتِ إنهاء نزهة، عليك الذهاب إلى المصدر."

فهمت:

— "علي أخذ أرلونغ."

وافقها:

— "يجب أن تدمروا أرلونغ. وإلا فإن الماء سيستمر في شفائه. سيستمر في حمايته. ويجب أن تعرفي الآن أنه حين تتركين أعداءك أحياء، فإن الحروب لا تنتهي."

الفصل الرابع والعشرين

في صباح اليوم التالي، خرجت رين من كوخ تشولانغ لتجد أمامها حشدًا غفيرًا من الناس، يمتد حتى يغيب طرفه عن الناظرين.

كان كيتاي قد أطلق نداءً لطلب المتطوعين في الليلة السابقة، محددًا أعمار الجنود ما بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين. أرادت رين مجندين في مثل سنها. كانت بحاجة إلى غضبهم ليكون جارفًا لا كابح له؛ احتاجت جنودًا مستعدين لإلقاء أرواحهم في الهاوية دون ذلك التردد الحذر الذي باتت تربطه بالرجال الذين يكبرونها بضعفين أو ثلاثة.

لكن كان من الواضح أن أحدًا لم يكترث لحدود السن. تنوع الحشد ما بين مدنيين تجاوزوا الستين وأطفال في السابعة من عمرهم.

وقفت رين أمام الحشد وسمحت لخياله، للحظة واحدة، بتصور ما قد يحدث لو حولتهم جميعًا إلى شامانات. لم يكن خيارًا حقيقيًا، بل مجرد خيال جامح ومريع. تخيلت صحاري تتحول في دوامات، ومحيطات تشمخ كالجبال. رأت العالم كله ينقلب رأسًا على عقب، يزبد بفوضى بدائية، ودغدغها شعور رهيب بمعرفة أنها لو أرادت جعل ذلك يحدث، فإنها تستطيع.

كنت لتفخر بي جدًا يا ألتان. هذا ما أردته دائمًا.

قالت للحشد:

— "المعايير كانت من الخامسة عشرة إلى الخامسة والعشرين. عندما أعود لا أريد رؤية أي شخص لا تنطبق عليه الشروط."

استدارت وعادت إلى الكوخ.

سأل كيتاي مستمتعًا:

— "ماذا الآن؟ امتحان تحريري؟"

— "اجعلهم ينتظرون. سنرى من يريد الأمر حقًا."

تركتهم جالسين لساعات. ومع امتداد النهار، تسرب المزيد والمزيد منهم مبتعدين، بعد أن نالت منهم الشمس الحارقة والرياح التي لا ترحم. معظمهم — أولئك الذين اشتبهت رين أنهم تطوعوا بدافع شجاعة مؤقتة وغير مستدامة— غادروا خلال الساعة الأولى. كانت سعيدة لرؤيتهم يرحلون. وشعرت بالارتياح أيضًا عندما وقف أصغر المتطوعين أخيرًا وغادروا، إما بمفردهم أو مجرورين من قبل أمهاتهم.

لكن ذلك أبقى على حشد يناهز الخمسين. لا يزال العدد كبيرًا جدًا.

في وقت متأخر من بعد الظهر، وبعد أن قطعت الشمس قوسها الحارق عبر السماء، خرجت رين مجددًا لتخاطبهم.

أمرت قائلة:

— "اغرزوا نصلًا تحت ظفر الإصبع الرابع، من الطرف حتى المنبت." كان اختبارًا جيدًا لتحمل الألم. لقد تعلمت من ألتان أن هذا النوع من الجروح يشفى بسهولة ولا يميل للالتهاب، لكنه يؤلم بشدة. "إذا كنتم تريدون هذا، أروني دماءكم."

سرت همهمات التردد عبر الحشد. للحظة لم يتحرك أحد، وكأنهم يحاولون جميعًا تقرير ما إذا كانت تمزح أم لا.

قالت رين:

— "أنا لا أمزح. لدي سكاكين إذا احتجتم إليها."

غرز ثمانية متطوعين سكاكينهم في منابت أظافرهم كما طلبت. تناثرت قطرات حمراء داكنة على التراب. صرخ اثنان؛ بينما كتم الستة الآخرون صرخاتهم بفكوك مطبقة.

صرفت رين الجميع وأدخلت الستة الصامتين إلى الكوخ.

***

ميزت اثنين منهم فقط. كان هناك دولين —الفتى الذي وجدته مدفونًا حيًا في تيكاني. كانت سعيدة لرؤيته قد نجا من المسيرة. ثم، ولدهشتها، كانت هناك بيباجي.

سألت رين:

– "أين أختك؟"

قالت بيباجي:

– "إنها بخير." ولم تستطرد.

تأملتها رين للحظة، ثم هزت كتفيها ومسحت الآخرين بنظرها.

– "هل قام أي منكم بالمسيرة مع عائلته؟"

أومأ اثنان منهم، كلاهما جنديان فتيان بلمحة شوارب خفيفة.

– "هل تحبونهم؟"

أومأوا مرة أخرى.

قالت رين:

– "إذا فعلتم هذا فلن تروهم مرة أخرى أبدًا." لم تكن تلك الحقيقة تمامًا، لكن كان عليها اختبار عزيمتهم. "الأمر خطير جدًا. قوتكم ستكون متقلبة، وأنا لا أملك الخبرة لمساعدتكم في كبحها حول المدنيين، مما يعني أنه سيُسمح لكم فقط بقضاء الوقت مع أشخاص آخرين في هذه الكتيبة. فكروا مليًا."

بعد صمت طويل وغير مريح، وقف كلا الفتيين وغادرا. بقي أربعة.

قالت لهم رين:

– "افهموا التضحية التي تقدمونها." شعرت الآن أنها تبالغ في توضيح النقطة. لكنها كانت مدينة لهم بتكرار هذا التحذير قدر المستطاع. لم تكن بحاجة للشامانات الأربعة جميعهم. احتاجت قوات لن تفقد شجاعتها في منتصف التدريب أو تخيف الآخرين. "أنا أطلب منكم المقامرة بسلامة عقولكم. إذا دخلتم الفراغ ستجدون وحوشًا على الجانب الآخر. وقد لا تكونون

أقوياء بما يكفي لشق طريقكم للعودة. مات أساتذتي قبل أن يتمكنوا من تعليمي كل ما يعرفونه. سأكون مرشدة مقبولة بالكاد."

لم ينبس أحد بكلمة. هل كانوا مرعوبين جداً لدرجة عدم القدرة على الكلام، أم أنهم لم يبالوا فحسب؟

— "قد تفقدون السيطرة على أجسادكم وعقولكم. وإذا حدث ذلك، فسأضطر لقتلكم."

مجددًا، لا رد فعل.

رفع دولين يده.

أومأت له.

— "نعم؟"

سأل:

— "هل سنكون قادرين على فعل ما تفعلينه؟"

— "ليس بتلك الجودة. وليس بتلك السهولة. أنا معتادة على ذلك. سيكون الأمر مؤلمًا لكم."

— "كم سيكون مؤلمًا؟"

— "سيكون أسوأ شيء عرفتموه في حياتكم." كان عليها أن تكون صادقة؛ لا يمكنها استدراجهم لشيء لا يفهمونه. "إذا فشلتم، ستفقدون عقولكم للأبد. وإذا نجحتم، فلن تمتلكوا عقولكم لأنفسكم مرة أخرى أبدًا. ستعيشون على حافة الجنون. ستكونون خائفين باستمرار. قد يصبح شرب (اللاودانوم) الطريقة الوحيدة للحصول على نوم ليلة هانئة. قد تقتلون أبرياء حولكم لأنكم لا تعرفون ما تفعلونه. وقد تقتلون أنفسكم."

قوبلت كلماتها بنظرات فارغة. انتظرت رين، مستعدة تمامًا لأن يقفوا جميعًا ويغادروا.

رفع دولين يده مرة أخرى.

– "أيتها الجنرال؟ مع كل الاحترام، هل يمكننا التوقف عن إضاعة الوقت والبدء بحق الجحيم؟"

***

وهكذا شرعت رين في مهمة خلق الشامانات.

قضوا الأمسية الأولى جالسين في دائرة على أرضية الكوخ، يشبهون تلاميذ قرية على وشك تعلم كتابة أحرفهم الأولى. طلبت رين أسماءهم أولًا. كانت ليانهوا فتاة ممشوقة واسعة العينين من إقليم الكلب، تحمل سلسلة من الندوب المروعة على ذراعيها، وعظمتي الترقوة، وعلى طول ظهرها بقدر ما استطاعت رين رؤيته. لم تشرح سببها، ولم يكن أحد جريئًا بما يكفي للسؤال.

لم تكن رين واثقة بشأنها. بدت واهنة بشكل مريع –حتى إنها تحدثت بهمس مرتعش بالكاد يُسمع. لكن رين كانت تعلم جيداً الآن أن المظاهر الرقيقة قد تخفي الفولاذ. إما أن تثبت ليانهوا قيمتها، أو تنهار في يومين وتتوقف عن إضاعة وقتها.

ميرتشي، رجل طويل ونحيل يكبر رين بضع سنوات، كان الجندي الوحيد صاحب الخبرة بين صفوفهم. خدم في الفرقة الرابعة من الميليشيا الإمبراطورية عندما غزا الموغين؛ وكان جزءًا من قوة التحرير على الساحل الشرقي بعد سقوط جزيرة القوس الطويل، وشهد عواقب جولين نيس. رأى القتال لأول مرة في معركة سينغارد.

أخبر رين:

– "كنت في المدينة عندما أحرقتِ نصفها. كانوا يتهامسون عن سبيرية حينها. لم أظن قط أنني سأكون هنا الآنَ."

الشيء الوحيد الذي ربطهم جميعًا كان رعبًا لا يمكن وصفه. جميعهم رأوا أسوأ ما في العالم، وجميعهم خرجوا من التجربة أحياء.

كان ذلك مهمًا. إذا لم تكن تملك مرساة، فأنت بحاجة لشيء يساعدك على العودة من عالم الروح —شيء فانٍ وبشري تمامًا. امتلك ألتان كراهيته. وامتلكت رين انتقامها. وهؤلاء المجندون الأربعة امتلكوا إرادة شرسة لا تلين للبقاء على قيد الحياة في ظل احتمالات مستحيلة.

سألت بيباجي بمجرد انتهاء التعارف:

— "ماذا يحدث الآن؟"

قالت رين:

— "الآن سأمنحكم دينًا."

ناضلت هي وكيتاي طوال اليوم للتوصل إلى طريقة لتقديم البانثيون للمبتدئين. في سينغارد، استغرق الأمر من رين عامًا كاملًا تقريبًا لتهيئة عقلها لاستيعاب الآلهة. تحت تعليمات جيانغ حلت الألغاز، وتأملت لساعات، وقرأت عشرات النصوص في اللاهوت والفلسفة، كل ذلك لتتمكن من قبول أن افتراضاتها حول العالم الطبيعي كانت قائمة على أوهام.

لم يمتلك مجندوها تلك الرفاهية. كان عليهم شق طريقهم بمخالبهم إلى السماء.

التغيير الضروري والأساسي يكمن في نماذجهم للعالم الطبيعي. رأى الهسبيريون وغالبية النيكارا الكون مقسمًا بوضوح بين الجسد والعقل. رأوا العالم المادي كشيء منفصل، ثابت، ودائم. لكن استدعاء الآلهة يتطلب الفهم الأساسي بأن العالم مائع —أن الوجود نفسه مائع— وأن عالم اليقظة ليس أكثر من سيناريو يمكن كتابته إذا تمكنوا من العثور على الفرشاة المناسبة، نمط يمكنهم نسجه بألوان مختلفة تمامًا لو عرفوا فقط كيف يديرون النول.

الجزء الأصعب في تدريب رين كان الإيمان. لكن الإيمان يصبح سهلًا جدًا عندما يكون الدليل على القوة الخارقة ماثلًا أمام عينيك.

كان كيتاي قد قال:

– "نحن نثق بأن الشمس ستشرق كل صباح حتى لو لم نكن نعرف ما يحركها. لذا فقط أرِهم الشمس."

فتحت رين كفها تجاه المجندين. رقص خيط صغير من النار بين أصابعها، ينسج دخوله وخروجه كسمكة شبوط بين القصب.

سألت:

– "ما الذي أفعله الآن؟"

لم تتوقع أن يعرف أي منهم الإجابة، لكنها احتاجت أن تكون واضحة بشأن أفكارهم المسبقة.

قال دولين:

– "سحر."

– "غير مفيد. (سحر) كلمة للتأثيرات التي لا يمكننا تفسير أسبابها. كيف أتسبب في هذا؟"

تبادلوا نظرات مترددة.

غامرت بيباجي قائلة:

– "استدعيتِ الآلهة للمساعدة؟"

أغلقت رين قبضتها.

– "وما هي الآلهة؟"

مزيد من التردد. شعرت رين ببوادر انزعاج بين المجندين. قررت تخطي خط الاستجواب التالي. كل ما أرادته من جيانغ كان إجابات مباشرة، لكنه حجبها عنها لأشهر. لم تكن بحاجة لتكرار ذلك الإحباط.

– "أول شيء يجب أن تتقبلوه هو أن الآلهة موجودة. إنها حقيقية وملموسة، حاضرة ومرئية مثل أي منا. ربما أكثر من ذلك. هل يمكنكم تصديق ذلك؟"

قال دولين:

– "بالطبع."

أومأ الآخرون بالموافقة.

– "جيد. تقيم الآلهة في مستوى يتجاوز هذا المستوى. يمكنكم التفكير فيه كالسماوات. مهمتنا كشامانات هي استدعاؤهم للأسفل للتأثير على المادة حولنا. نحن نعمل كقناة –البوابة للقوة الإلهية."

سألت بيباجي:

– "أي نوع من الأماكن هي السماوات؟"

توقفت رين، تتساءل عن أفضل طريقة للشرح. كيف وصفها جيانغ ذات مرة؟

– "المكان الوحيد الحقيقي. المكان الذي لم يتقرر فيه شيء. المكان الذي تزورينه عندما تحلمين."

قوبل هذا بنظرات حائرة. أدركت رين أنها لا تصل لنتيجة. قررت البدء من جديد، محاولة التفكير في الكلمات المناسبة لشرح مفاهيم باتت الآن مألوفة لها كالتنفس.

– "عليكم التوقف عن التفكير في عالمنا باعتباره المجال الحقيقي الوحيد. هذا العالم ليس دائمًا. إنه لا يوجد بشكل موضوعي، مهما كان معنى ذلك. الحكيم العظيم (جوانغزي) قال ذات مرة إنه لا يعرف ما إذا كان يحلم بأنه تحول إلى فراشة في الليل، أم أنه كان يعيش دائمًا في حلم فراشة. هذا العالم هو حلم فراشة. هذا العالم هو حلم الآلهة. وعندما نحلم بالآلهة، فهذا يعني فقط أننا استيقظنا. هل هذا منطقي؟"

بدا المجندون مذهولين.

قال ميرتشي:

– "ليس قيد أنملة."

منطقي. استطاعت رين سماع كم بدت كلماتها كالهراء، رغم أنها آمنت تمامًا بصحتها.

لا عجب أنها ظنت جيانغ مجنونًا ذات يوم. كيف بحق الأرض تشرح الكون وتبدو عاقلًا؟

جربت نهجًا مختلفًا.

– "لا تفرطوا في التفكير. فقط تصوروا الأمر هكذا. عالمنا مسرح عرائس، والأشياء التي نظنها مادية بشكل موضوعي هي مجرد ظلال. كل شيء يتغير باستمرار، في تدفق دائم. والآلهة تتربص خلف الكواليس، تحرك العرائس."

قالت بيباجي:

– "لكنكِ تريدين منا الاستيلاء على العرائس."

– "صحيح! جيد. هذا كل ما تعنيه الشامانية. إنها إعادة صياغة الواقع."

– "إذًا لماذا قد يسمحون لنا؟ لو كنت إلهًا لما أردت إقراض قوتي لشخص ما هكذا."

– "الآلهة لا تهتم بأشياء كهذه. إنهم لا يفكرون كالبشر؛ ليسوا فاعلين أنانيين. إنهم... إنهم غرائز. لديهم دافع واحد ومركّز. في البانثيون، يتم الحفاظ على توازنهم بواسطة البقية. لكن عندما تفتحين البوابة، تسمحين لهم بفرض إرادتهم على العالم."

– "ما هي إرادة إلهكِ؟"

قالت رين بسهولة:

– "أن يحرق. أن يلتهم ويطهر. لكن كل إله مختلف. الإله القرد يريد الفوضى. التنين يريد الامتلاك."

– "وكم عدد الآلهة الموجودة؟"

– "أربعة وستون. أربعة وستون إلهًا للبانثيون، جميعهم قوى متعارضة تشكل هذا العالم."

كررت بيباجي ببطء:

– "قوى متعارضة. إذًا هم جميعًا غرائز مختلفة. وجميعهم يريدون أشياء مختلفة."

– "نعم! ممتاز."
– "إذًا كيف نختار؟ أم هم يختاروننا؟ هل اختارك إله النار لأنك سبيرية، أم..."
قاطع ميرتشي:
– "مهلًا. هل يمكننا إنزال هذا من مستوى التجريد؟ الآلهة، البانثيون — عظيم، حسنًا، أيًا كان. كيف نستدعيهم؟"
قالت له رين:
– "شيء واحد في كل مرة. علينا فقط اجتياز النظرية الأساسية..."
– "المخدرات هي المفتاح، أليس كذلك؟ هذا ما سمعته."
– "سنصل لذلك. المخدرات تمنحك الوصول، نعم، لكن عليك أولًا فهم ما تصل إليه..."
قاطع ميرتشي مجددًا:
– "إذًا المخدرات تمنحك قدرات؟ أي مخدرات؟ الفطر الضاحك؟ بذور الخشخاش؟"
– "هذا ليس... نحن لا... لا. هل كنت تستمع حتى؟"
شعرت رين برغبة مفاجئة في صفعه على صدغه، كما اعتاد جيانغ أن يفعل كلما ظن أنها تنفد صبرها. بدأت تفهم الآن أي طالبة لا تطاق كانت عليها.
– "المخدرات لا تمنح قدرات. لا تفعل شيئًا سوى السماح لك برؤية العالم كما هو حقًا. الآلهة تحمل القوة. هم القوة. كل ما يمكننا فعله هو السماح لهم بالعبور."
سألت بيباجي:
– "لماذا لا تحتاجين أبدًا لتعاطي المخدرات؟"
فاجأ ذلك رين.
– "كيف تعرفين ذلك؟"

– "كنت أراقبكِ أثناء المسيرة. كان لديك نار في يدك من النهار إلى الليل، لكنك بدوتِ دائمًا واعية تمامًا. لا يمكن أن تكوني تبتلعين بذور الخشخاش طوال الوقت. كنتِ لتسيرين مباشرة من فوق حافة الجبل."

قهقه المجندون الآخرون بتوتر. لكن بيباجي حدقت بترقب في رين بحدة جعلتها غير مرتاحة.

قالت رين:

– "أنا تجاوزت تلك المرحلة."

بدت بيباجي غير مقتنعة.

– "يبدو أنك في المرحلة التي نحتاج أن نكون فيها."

– "قطعًا لا. أنتم لا تريدون ذلك. لا تريدون ذلك أبدًا."

– "ولكن لماذا..."

انفجرت رين:

– "لأن الإله حينها يكون دائمًا في رأسك. يصرخون فيك دائمًا، يحاولون إخضاعك لإرادتهم. يحاولون محوك. وحينها لا مهرب. جسدك لم يعد فانيًا، فلا يمكنك الموت، لكن لا يمكنك استعادة السيطرة، لذا الطريقة الوحيدة للحفاظ على سلامة العالم منك هي حبسك في جبل حجري مع مئات الشامانات الآخرين الذين ارتكبوا ذلك الخطأ."

جالت رين بنظرها في الغرفة، تحدق بثبات في عيني كل واحد منهم بالدور.

– "وسأغرز قبضة عبر قلوبكم قبل أن يصل الأمر لذلك. هذا أرحم."

توقفوا عن القهقهة.

***

في وقت متأخر من ذلك المساء، وبعد عدة ساعات أخرى من وصف دقيق لشعور دخول البانثيون، أعطت رين مجنديها جرعاتهم الأولى من بذور الخشخاش.

لم يحدث الكثير. أصبحوا جميعًا منتشين ببلادة وسخافة. تدحرجوا على الأرض، يتتبعون أنماطًا في الهواء بأصابعهم ويدندنون بلا توقف حول حقائق عميقة تافهة جعلت رين ترغب في فقأ عينيها بإبهامها. غلبت ليانهوا نوبة من الضحك عالي النبرة كلما وجه أحدهم كلمة نحوها. ظل ميرتشي يمسد الأرض ويتمتم حول مدى نعومتها. جلست بيباجي ودولين ساكنين تمامًا، وعيونهم مغلقة بشدة بشيء أملت رين أن يكون تركيزًا، حتى بدأ دولين في الشخير.

ثم نزلوا جميعًا من نشوتهم وتقيؤوا.

تأوهت بيباجي وهي تفرك عينيها المحتقنتين بالدم:

— "لم ينجح الأمر."

قالت رين:

— "لأنكِ لم تحاولي الرؤية." لم تتوقع أن ينجح أي منهم من المحاولة الأولى، لكنها كانت تأمل في شيء ما. ألمح تلميح للقاء إلهي. ليس مجرد أربع ساعات من الحماقة.

اشتكى ميرتشي:

— "لا يوجد شيء لرؤيته. كلما حاولت الميل للخلف، أو أيًا كان ما قلتِ إنه يشبهه، لم أرَ سوى الظلام."

— "لأنك لم تركز."

— "كنت أحاول."

— "حسنًا، لم تحاول بجدية كافية." قالت رين بحدة. الإشراف على مجموعة من الحمقى المنتشين لم يكن ممتعًا حين كانت الشخص الوحيد الرصين في الغرفة. "كان بإمكانك على الأقل التفكير في البانثيون، بدلًا من محاولة فعل أشياء لا توصف إلا بكومة من التراب."

انفعل ميرتشي:

– "فكرت فيه كثيرًا. كان بإمكانك إعطاؤنا تعليمات أوضح من (انتشوا واستدعوا إلهًا)."

عرفت رين أنه محق. الخطأ يكمن في تدريسها. هي فقط لم تعرف كيف تشرح الأمور بوضوح أكثر مما فعلت. تمنت لو كان تشاغان لا يزال معها، هو الذي عرف الكون وأسراره جيدًا لدرجة تمكنه بسهولة من تبسيطها لمفاهيم يمكنهم فهمها. تمنت لو كان لديها داجي أو حتى سورقان سيرا، اللتان كانتا لتزرعا رؤية في عقولهم تحطم مفاهيمهم عن الحقيقي وغير الحقيقي. احتاجت لطريقة ما لكسر المنطق في أدمغتهم كما فعل جيانغ معها، لكن لم تكن لديها أدنى فكرة عن كيفية تكرار منهجه الذي استغرق عامًا، ناهيك عن اختصاره في أسبوعين.

مددت ذراعيها فوق رأسها. كانت تجلس في وضعية محدبة لساعات، وشعرت بألم رهيب في كتفيها.

أخبرتهم:

– "عودوا لخيامكم وناموا. سنحاول مرة أخرى في الصباح."

***

اعترفت لكيتاي بعد الليلة الثالثة من إعطاء مجنديها المخدرات دون نتائج:

– "ربما كانت هذه فكرة غبية. عقولهم كالصخور. لا أستطيع إدخال أي شيء، وهم يظنون أن كل ما أقوله غبي."

فرك كتفها بتعاطف.

– "انظري للأمر من منظورهم. أنتِ ظننتِ أن كل شيء غبي عندما تعهدتِ بدراسة مادة (الأساطير) لأول مرة. ظننتِ أن جيانغ فقد عقله بوضوح."

– "لكن ذلك كان لأنني لم أكن أعرف ما الذي نفعله بحق الجحيم!"

– "لا بد أنه كانت لديكِ فكرة ما."

كانت لديه وجهة نظر. في عامها الثاني، لم تكن تعرف هوية جيانغ الحقيقية، لكنها عرفت أنه يستطيع فعل أشياء لا ينبغي له القدرة عليها. رأته يستدعي الظلال دون أن يتحرك. شعرت بالريح تهب والماء يتحرك بأمره. عرفت أن لديه قوة، وكانت جائعة جدًا لاكتساب تلك القوة، لدرجة أنها لم تهتم بنوع الحواجز العقلية التي جعلها تقفز فوقها.

لكن معظم ذلك العام استُهلك في سلسلة احتياطات جيانغ اللامتناهية لمنعها من أن تصبح بالضبط ما أصبحت عليه في النهاية. رين لم تكن بحاجة للاهتمام بالسلامة أو الاستقرار طويل الأمد. احتاجت فقط قوات يمكنها أن تعتصر منها، كحد أقصى، فائدة لعدة أشهر.

اقترح كيتاي:

— "أريحي عقلكِ قليلًا. لا جدوى من نطح رأسك بالحائط. تعالي لري ما كنت أعمل عليه."

تبعته خارج الخيمة. كان كيتاي قد أقام محطة عمل خارجية على بعد عشر دقائق سيرًا من المخيم، تكونت من أدوات مبعثرة على الأرض، ورسوم بيانية مثبتة بصخور لمنعها من الطيران في رياح الهضبة التي لا تهدأ، وهيكل ضخم واحد مغطى بقماش مشمع ثقيل. مد يده وسحب القماش بكلتا يديه، كاشفًا عن منطاد مقلوب على جانبه ومشطور لنصفين، أحشاؤه الداخلية معروضة كأمعاء حيوان مفرغ.

قال:

— "لست الوحيدة التي توازن عدم تكافؤ القوة."

اقتربت رين لفحص الجزء الداخلي لمحرك المنطاد، ممررة أصابعها على البطانة الخارجية للهيكل. لم تكن مصنوعة من أي مادة يمكنها التعرف عليها — لا خشب، ولا خيزران، وبالتأكيد ليس معدنًا ثقيلًا. بدت آليات الطاقة أغرب، مجموعة معقدة ومتشابكة من التروس والمسامير ذكرتها بساعة الأخت بيترا

المستديرة بحجم القبضة، تلك الآلة المعقدة تمامًا التي آمن الهسبيريون أنها دليل لا يقبل الجدل على أن العالم صممه مهندس عظيم.

قال كيتاي:

— "إنها المركبة الوحيدة التي بقيت سليمة نسبيًا. البقية كانت حطامًا محترقًا ومهشمًا. لكن هذه لا بد أنها فقدت الطاقة فقط عندما كانت قريبة من الأرض. تروسها كلها لا تزال تعمل."

قالت رين بحدة:

— "مهلًا." ظنت أن كيتاي كان يدرس فقط كيف تعمل، ليس كيفية تشغيلها. "أنت تخبرني أنه يمكننا الطيران بهذا؟"

— "ربما. لا أزال بعيدًا بضعة أيام عن محاولة طيران تجريبية. لكن نعم، بمجرد أن نركب السلة معًا، نظريًا ينبغي أن أكون قادرًا على رفعه..."

— "يا للهول." تسارع نبض رين لمجرد التفكير فيما يمكن أن يعنيه هذا. كل أنواع المناورات التكتيكية ستنفتح إذا كان لديهم منطاد يعمل. لا يزالون غير قادرين على مواجهة الأسطول الهسبيري وجهًا لوجه في الهواء الطلق —سيكونون أقل عددًا ببساطة— لكن يمكنهم استخدام السفر الجوي لأغراض أخرى كثيرة. "هذا يحل الكثير. النقل الجماعي. تحركات الإمداد السريعة. عبور الأنهار..."

— "ليس بهذه السرعة." نقر كيتاي على أسطوانة نحاسية متعرجة في وسط الفوضى المعوية. "اكتشفت أخيرًا مصدر وقوده. يحرق الفحم، لكن بفاعلية منخفضة جدًا. هذه الأشياء مبنية بمواد خفيفة الوزن قدر الإمكان، لكنها لا تزال ثقيلة بشكل فظيع. لا يمكنها البقاء طافية لأكثر من يوم، ولا يمكنها حمل ما يكفي من الفحم لإطالة رحلتها وإلا ستغرق."

قالت بخيبة أمل:

— "فهمت."

إذًا هذا يحل جزئيًا اللغز المركزي حول سبب استخدام نزهة للأسطول بضبط النفس هذا خلال المسيرة فوق جبال باولي. المناطيد كانت استعراضًا

سريعًا لائقًا للقوة. لكنها لم تمنح الهسبيريين سيادة كاملة على السماء. كانوا لا يزالون يعتمدون على الدعم الأرضي للوقود.

قال كيتاي:

– "لا يزال أفضل من لا شيء. سأحاول جعله يطير خلال الأسبوع المقبل."

تمتمت رين:

– "أنت مذهل."

لطالما كان كيتاي ذكيًا بشكل رائع —حقًا، كان ينبغي أن تتوقف عن الشعور بالمفاجأة من اختراعاته بعد أن وجد طريقة لجعلها تطير— لكن تعلم تشغيل منطاد كان إنجازًا على مقياس مختلف تمامًا. كانت هذه تقنية فضائية، تقنية يفترض أنها متقدمة بقرون عن إنجازات النيكارا، وبطريقة ما جمع طريقة عملها في أيام معدودة.

– "هل اكتشفت هذا بمجرد النظر إليه؟"

– "فككت القطع التي بدت قابلة للإزالة، وأمضيت وقتًا طويلًا أحدق في القطع التي لم تكن كذلك." مرر أصابعه خلال غرة شعره، ماسحًا المحرك. "المبادئ الأساسية كانت سهلة بما يكفي. لا يزال هناك الكثير مما لا أعرفه."

– "لكن حينها... حينها كيف." رمشت في التروس المعدنية المعقدة. بدت متطورة بشكل مخيف. لم تكن لتعرف من أين تبدأ. "أعني، كيف اكتشفت العلم وراءها؟"

هز كتفيه.

– "لم أفعل. لا أستطيع. لا أعرف ماهية نصف هذه الأشياء أو ما تفعله. إنها لغز بالنسبة لي وستظل كذلك حتى أصبح ملمًا بأساسيات هذه التقنية، وهو ما لن يحدث حتى أدرس في أبراجهم الرمادية."

– "لكن إذا لم تكن تملك حتى الأساسيات، فكيف..."

– "لم أحتج إليها، أرأيتِ؟ لا يهم. نحن لا نبني أي مناطيد خاصة بنا، علينا فقط تعلم كيف نطير بهذا الواحد. عليّ فقط العبث بالأرجاء حتى أعيد خلق ظروف العمل الأصلية."

تجمدت.

– "ماذا قلت؟"

– "قلت، عليّ فقط العبث بالأرجاء حتى..." توقف ورمقها بنظرة غريبة. "أنتِ بخير؟"

قالت بذهول:

– "نعم." تردد صدى كلمات كيتاي في عقلها كقرع الأجراس. ظروف العمل الأصلية.

أيتها السلحفاة العظيمة، هل كان الأمر بتلك السهولة؟

– "تبًا، يا كيتاي، لقد وجدتها."

أخيرًا، جرت رين مجنديها إلى البانثيون بالقوة.

كان حلًا بسيطًا جدًا. لماذا لم تره من قبل؟ كان ينبغي أن تبدأ من هنا، بإعادة خلق ظروف العمل الأصلية للقائها الخاص بالألوهية.

لقد استدعت العنقاء لأول مرة قبل عام كامل من أخذ جيانغ إياها إلى البانثيون. لم تكن تعرف ما تفعله. كل ما تذكرته هو أنها هزمت نزهة في حلقة قتال، وضربته حتى شارف على الموت لأنه صفعها ولم تستطع تحمل الإهانة، ثم اندفعت خارج المبنى إلى الهواء البارد لأنها لم تستطع احتواء موجة القوة المتدفقة بداخلها.

لم تستدعِ النار في ذلك اليوم. لكنها لمست البانثيون. وكان ذلك المحفز لكل ما حدث بعد ذلك –بمجرد أن قابلت الآلهة، مزق ذلك ثقبًا في عالمها لم يستطع ملأه سوى اللقاءات المتكررة بالألوهية.

ما الذي دفعها للآلهة قبل أن تعرف أسماءهم حتى؟

الغضب. غضب حارق ومستاء.

والخوف.

سألت رين مجنديها:

— "ما هو أسوأ شيء حدث لكم على الإطلاق؟"

كالعادة، ردوا بتردد حائر.

ترددت بيباجي:

— "أنتِ لا... أنتِ لا تريدين منا أن نقول فعليًا، هل..."

— "بلى أريد." قالت رين. "أخبروني. صفوا أسوأ شيء مررتم به على الإطلاق. شيء لا تريدون حدوثه مرة أخرى أبدًا."

جفلت بيباجي.

— "أنا لن..."

— "أعرف أنه من الصعب إعادة عيشه. لكن الألم هو أسرع طريق للبانثيون. ابحثوا عن ندوبكم. مرروا سكينًا خلالها. ادفعوا أنفسكم. ما الذكرى التي طفت لتوها في عقولكم؟"

ارتفعت بقعتا لون في وجه بيباجي. بدأت ترمش بسرعة كبيرة.

— "حسنًا. خذوا لحظة للتفكير في الأمر." التفتت رين لدولين. "كم من الوقت قضيت في حفرة الدفن تلك؟"

تراجع.

— "أنا..."

— "يومين؟ ثلاثة؟ بدوت قريبًا من التحلل عندما وجدناك."

كان صوت دولين مخنوقًا.

— "لا أريد التفكير في ذلك."

أصرت رين:

— "يجب عليك. هذه هي الطريقة الوحيدة لنجاح هذا. فلنجرب سؤالًا مختلفًا. ماذا ترون عندما ترون وجه الموغين؟"

قال ميرتشي:
— "سهل. أرى حشرة لعينة."
— "جيد." قالت رين، رغم أنها عرفت أن تلك كانت شجاعة مصطنعة، وليست الاستياء الأكال الذي احتاجته منهم. "وماذا ستفعلون بهم لو استطعتم؟ كيف ستسحقونهم؟"
عندما أثار هذا نظرات خرقاء، قست صوتها. "لا تتصرفوا بصدمة كهذه. أنتم هنا لتعلم القتل، لهذا السبب سجلتم أسماءكم. ليس للدفاع عن النفس، وليس بدافع النبل. كل واحد منكم يريد الدم. ماذا ستفعلون بهم؟"
انفجرت بيباجي:
— "أريدهم عاجزين مثلي تمامًا. أريد الوقوف فوق وجوههم والبصق سمًا في عيونهم. أريدهم أن يذبلوا عند لمستي."
— "لماذا؟"
قالت بيباجي:
— "لأنهم لمسوني. وجعلني ذلك أرغب في الموت."
— "جيد." مدت رين وعاء بذور الخشخاش نحوها. "الآن فلنجرب هذا مرة أخرى."

***

نجحت بيباجي أولًا.
في المرات القليلة الماضية التي انتشت فيها بيباجي، كانت تتأرجح ذهابًا وإيابًا على الأرض، تضحك لنفسها على نكات لا يسمعها غيرها. لكن هذه المرة جلست ساكنة تمامًا لعدة دقائق قبل أن تسقط فجأة للخلف كدمية قطعت خيوطها. بقيت عيناها مفتوحتين لكنهما كانتا بيضاوين بشكل مرعب؛ حدقتاها انقلبتا بالكامل إلى داخل رأسها.
— "النجدة!" أمسكت ليانهوا بكتفي بيباجي. "النجدة، أظن أنها..."

لكن يد بيباجي انطلقت في الهواء، وأصابعها مفرودة للخارج في إيماءة حازمة لا تقبل الجدل. توقفي.

قالت رين بحدة:

— "دعيها ترقد. لا تلمسيها."

تكرت أصابع بيباجي كمخالب ضد الأرض، تحفر أخاديد طويلة في التراب. انبعثت أنات منخفضة وحنجرية من حلقها.

أصر ميرتشي:

— "إنها تتألم." غرفها من على الأرض وسحبها إلى حجره، يربت على خديها بجنون. "هييه. هييه. هل تسمعينني؟"

تحركت شفتا بيباجي بسرعة كبيرة، تنطق بسيل من المقاطع التي لم تشكل أي لغة يمكن لرين التعرف عليها. تحولت أطراف أصابعها إلى لون أرجواني متعفن تحت التراب. عندما رفرفت عيناها لتفتح، كل ما رأته رين تحت رموشها كان بركًا مظلمة، سوداء بالكامل.

أخيرًا. شعرت رين بنبضة من فخر شرس ووحشي، مصحوبة بأخف وخزة من الخوف. أي نوع من الآلهة استدعته بيباجي من عبر الفراغ؟ هل كان أقوى منها؟

تلعثم صوت ميرتشي.

— "بيباجي؟"

رفعت بيباجي يدًا مرتعشة لوجهه.

— "أنا..."

تشنج وجهها وتمدد في ابتسامة عريضة بعينين معذبتين، وكأن شيئًا بداخلها، شيئًا لا يفهم تعابير البشر، كان يرتدي جلدها كقناع.

همست رين:

— "ابتعد."

كان المجندون الآخرون قد تراجعوا بالفعل إلى الطرف المقابل من الكوخ. نظر ميرتشي لأسفل، وارتخى وجهه بذهول. غطت خطوط سوداء ذراعيه في كل مكان لمست فيه بشرته بشرة بيباجي.

رمشت بيباجي وجلست، تحدق حولها وكأنها استيقظت لتوها من حلم عميق الامتصاص. كانت عيناها لا تزالان بنفس السواد البركاني المقلق.

— "أين نحن؟"

صرخت رين:

— "ميرتشي، ابتعد!"

دفع ميرتشي بيباجي بعيدًا. انهارت في كومة على الأرض، وأطرافها ترتجف. انكمش بعيدًا، يمسح بجنون على ساعديه وكأنه يستطيع فرك جلده لينظفه. لكن السواد لم يتوقف عن الانتشار. بدا وكأن كل وريد في جسد ميرتشي قد ارتفع إلى سطح جلده، متضخمًا كجداول تتحول إلى أنهار.

يجب أن أساعده، فكرت رين. أنا فعلت هذا، هذا خطئي...

لكنها لم تستطع حمل نفسها على التحرك. لم تكن تعرف ما ستفعله لو استطاعت.

جحظت عينا ميرتشي. فتح فمه ليتقيأ، ثم سقط جانبيًا، يتلوى.

زحفت بيباجي للخلف، وأصابعها مطبقة على فمها. هربت أنفاس حادة ومتشنجة من خلف أصابعها.

همست، مرارًا وتكرارًا:

— "أوه، يا إلهي. أوه، يا إلهي. ماذا فعلت؟"

كان دولين وليانهوا متراجعين ضد الجدار المقابل. ظلت ليانهوا ترمق الباب، وكأنها تفكر في الانطلاق هربًا. ارتفع أنين بيباجي إلى عويل صارخ. زحفت نحو ميرتشي وهزت كتفيه، محاولة إيقاظه، لكن كل ما فعلته هو حفر فوهات في لحم متيبس حيثما التقت أصابعها بجلده.

أخيرًا عادت رين لرشدها.

أمرت بيباجي:

— "إلى الزاوية. اجلسي على يديك. لا تلمسي أحدًا."

لارتياحها الشديد، أطاعت بيباجي. حولت رين انتباهها لميرتشي. خفت تخبطه إلى ارتعاش خفيف، وغطت بقع سوداء وأرجوانية الآن كل بوصة مرئية من جلده، والتي برزت تحتها عروقه وكأنها تبلورت إلى حجر.

لم يكن لديها أدنى فكرة عما يمكن لأطباء تشولانغ فعله له، لكنها كانت مدينة له بالمحاولة.

أمرت:

— "ليساعدني أحدكم في رفعه." لكن لا دولين ولا ليانهوا تحركا؛ كانا متجمدين من الصدمة.

كان عليها سحب ميرتشي للخارج بنفسها إذًا. كان أطول من أن ترفعه على كتفها؛ خيارها الوحيد هو سحبه من ساقه. انحنت وأمسكت بقصبة ساقه، حذرة ألا تحتك بجلده المكشوف. نبض كتفها من وزنه وهي تسحب، لكن الأدرينالين ركل فيها، معارضًا الألم، وبطريقة ما وجدت الطاقة لسحبه خارج الكوخ ونحو المستوصف.

قالت له:

— "اصمد. فقط تنفس. سنصلح هذا."

كان يمكنها التحدث إلى صخرة بالقدر نفسه من الجدوى. عندما نظرت للخلف بعد لحظات لتفقد حاله، كانت عيناه قد أصبحتا زجاجيتين، وتدهور لحمه كثيرًا لدرجة أنه بدا كجثة عمرها ثلاثة أيام. لم يستجب عندما هزته. اختفى نبضه. لم تعرف متى توقف عن التنفس.

ظلت تعرج للأمام. لكنها عرفت، قبل وقت طويل من وصولها للمستوصف، أنها لم تكن بحاجة لطبيب الآن، بل لحفار قبور.

***

كانت بيباجي قد اختفت عندما عادت رين للكوخ.

سألت بحدة:

— "أين هي؟"

كان دولين وليانهوا جالسين مصدومين ضد الجدار حيث تركتهما. كان من الواضح أنهما بكيا؛ عيون دولين محتقنة وغير مركزة، بينما جلست ليانهوا ترتجف وقبضتاها مضمومتان ضد عينيها.

قال دولين:

— "هربت. قالت إنها لا تستطيع البقاء هنا بعد الآن."

— "وسمحت لها؟" أرادت رين صفعه، فقط لمحو ذلك التعبير البليد والمذهول عن وجهه. "هل تعرف أين ذهبت؟"

— "أظن نحو التل، ربما، قالت..."

انطلقت رين راكضة.

كان من السهل تتبع بيباجي لحسن الحظ؛ آثار أقدامها النحيلة كانت مطبوعة حديثًا في الثلج. لحقت رين بها عند حافة صخرية بارتفاع عشرين قدمًا أعلى التل. كانت منحنية، تسعل، منهكة من الركض.

نادت رين:

— "إلى أين تظنين أنكِ ذاهبة؟"

لم ترد بيباجي. استقامت وواجهت الحافة، تمد كاحلًا نحيلًا وكأنها تختبر الفراغ قبل أن تندفع للأمام.

— "بيباجي، ابتعدي عن هناك." قاست رين المسافة بينهما، تحسب. إذا قامت بقفزة راكضة فقد تمسك بيباجي من ساقيها قبل أن تقفز، لكن فقط إذا ترددت بيباجي. بدت الفتاة مستعدة للقفز—أي حركات مفاجئة قد تفزعها للسقوط عن الحافة.

— "أنتِ مشوشة." أبقت رين نبرتها منخفضة ولطيفة، ويدها ممدودة وكأنها تقتربُ من حيوان بري. "أنتِ غارقة بالمشاعر، أنا أفهم، لكن هذا طبيعي..."

— "إنه فظيع." لم تستدر بيباجي. "هذا... أنا لم... لا أستطيع..."

كانت تتلكأ. لم تكن واثقة بعد مما إذا كانت تريد الموت. جيد. لاحظت رين أن أصابعها لم تعد أرجوانية. لقد انتزعت بعض السيطرة مرة أخرى على نفسها. جعلها ذلك آمنة للمس.

اندفعت رين للأمام وأسقطتها أرضًا من خصرها. هبطتا ممددتين معًا في الثلج. تسلقت رين، وجذبت بيباجي غير المقاومة بعيدًا عن الحافة من قميصها، ثم ثبتتها بركبة ضد معدتها حتى لا تتمكن من الهرب.

سألت رين:

— "هل ستقفزين؟"

ارتفع وانخفض صدر بيباجي الضيق.

— "لا."

— "إذًا انهضي." وقفت رين ومدت يدها لبيباجي.

لكن بيباجي بقيت على الأرض، وكتفاها تهتزان بعنف، ووجهها مشوه مرة أخرى بالنشيج.

— "توقفي عن البكاء. انظري إليّ." انحنت رين وأمسكت بيباجي من ذقنها. لم تكن تعرف ما الذي دفعها لفعل ذلك. لم تتصرف هكذا من قبل قط. لكن فايسرا فعل هذا بها مرة، وقد نجح في فرض انتباهها، ولو بصدم الخوف وإرجاعه لمؤخرة عقلها. "هل تريدين الاستقالة؟"

حدقت بيباجي فيها بصمت، والدموع تخطط وجهها. بدت مذهولة لدرجة الصمت.

قالت رين:

– "لأنكِ تستطيعين الاستقالة. سأتركك تذهبين الآن، إذا كان هذا ما تريدينه. لا أحد يجبرك على أن تكوني شامان. لا يتوجب عليك الذهاب للبانثيون مرة أخرى أبدًا. يمكنك ترك هذا الجيش أيضًا، إن كنتِ تفضلين. يمكنك العودة لأختك والعثور على مكان للعيش في إقليم الكلب. هل هذا ما تريدينه؟"

خفت نشيج بيباجي. بدت حائرة.

– "لكنني لا... لا أعرف. لا أعرف ما..."

– "أنا أعرف." قالت رين. "أعرف أنكِ لا تريدين الاستقالة. لأن ذلك كان شعورًا جيدًا، أليس كذلك؟ عندما أسقطتِ الإله؟ تلك الموجة من القوة كانت أفضل شيء شعرت به في حياتك وأنتِ تعلمين ذلك. كم هو جيد إدراك ما يمكنك فعله؟ من المؤسف أن ضحيتك الأولى كانت حليفًا، لكن تخيلي وضع يديك على قوات العدو. تخيلي إسقاط جيوش بلمسة واحدة فقط."

أخذت بيباجي نفسًا عميقًا ومخشخشًا.

– "لقد أخبرتني... الإلهة، أعني... أخبرتني أنني لن أخاف مرة أخرى أبدًا."

– "تلك هي القوة." قالت رين. "وأنتِ لن تتخلي عن ذلك. أنا أعرفك. أنتِ أنا."

حدقت بيباجي، ليس تمامًا في رين، بل في الفراغ خلفها. بدت ضائعة في عقلها الخاص.

جلست رين بجانب بيباجي بحيث كانتا جنبًا إلى جنب، تنظران من فوق الحافة معًا.

– "ماذا رأيتِ عندما ابتلعتِ البذور؟"

عضت بيباجي شفتها ونظرت بعيدًا.

– "أخبريني."

– "لا أستطيع، إنه..."

– "انظري إليّ." رفعت رين قميصها. كان جذعها العلوي ملفوفًا بإحكام بالضمادات، وأضلاعها لا تزال متصدعة من ركلة ريغا. لكن بصمة يد ألتان السوداء، المحفورة بوضوح كما يوم تركها، كانت مرئية أسفل عظمة القص مباشرة. تركت رين بيباجي تحدق طويلًا بما يكفي لفهم شكلها، ثم التفتت للجانب لتريها النتوءات البارزة حيث غرز نزهة نصلًا في أسفل ظهرها ذات مرة.

ابيض وجه بيباجي عند الرؤية.

– "كيف..."

– "تلقيت كلا هاتين الندبتين من رجلين ظننت أنني أحبهما." قالت رين. "أحدهما ميت الآن. والآخر سيكون كذلك. أنا أفهم كيف يبدو الإذلال. احتفظي بأسرارك إن أردتِ. لكن لا شيء يمكنك قوله سيجعلني أفكر بكِ بشكل أقل."

حدقت بيباجي لفترة طويلة في بصمة يد ألتان. عندما تحدثت أخيرًا، كان ذلك بهمس منخفض لدرجة أن رين اضطرت للميل بالقرب لتسمعها فوق الريح.

– "كنا في بيت الدعارة عندما جاؤوا. بدأوا المسير صعودًا على الدرج، وأخبرت (جيوتو) أن تختبئ. هي..." انكسر صوت بيباجي. أخذت نفسًا مرتعشًا، ثم تابعت. "لم تملك الوقت للخروج من الباب، لذا اختبأت تحت البطانيات. كدستها فوقها. أكوام وأكوام من معاطف الشتاء. وأخبرتها ألا تتحرك، ألا تصدر صوتًا واحدًا، مهما حدث، مهما سمعت. ثم دخلوا، ووجدوني، وهم... وهم..." ابتلعت بيباجي ريقها. "وجيوتو لم تتحرك."

قالت رين بلطف:

– "لقد حميتها."

– "لا." هزت بيباجي رأسها بعنف. "لم أفعل. لأن... لأنه بعد أن رحلوا، فتحت الخزانة. وأزلت البطانيات. وجيوتو لم تكن تتحرك." تجعد وجهها. "لم تكن قد تحركت. كانت تختنق، لم تكن تستطيع التنفس بحق الجحيم هناك،

ومع ذلك لم تتحرك لأن هذا ما أخبرتها به. ظننت أنني قتلتها. ولم أفعل، لأنها بدأت تتنفس مرة أخرى، لكنني السبب في أن..."

أطلقت عويلًا صغيرًا وضغطت وجهها بين يديها. لم تكمل. لم تكن بحاجة لذلك؛ استطاعت رين تجميع بقية هذه القصة بنفسها.

ذلك يفسر لماذا تتبع جيوتو أختها في كل مكان. لماذا لم تتركها بيباجي وحدها أبدًا حتى الآن. لماذا جيوتو لم —ولم تستطع— التحدث. ولماذا ترد على كل من يكلمها بنظرة ميتة ومسكونة.

أرادت رين وضع ذراع حول كتفي بيباجي المرتجفين، ومعانقتها بإحكام، وإخبارها أنه ليس لديها ما تخجل منه ولا شيء لتتوب عنه. أنها نجت، والنجاة كانت كافية. أرادت إخبارها بالذهاب لأختها والهرب بعيداً عن هذا المكان وعدم التفكير في البانثيون مرة أخرى أبدًا. أرادت إخبار بيباجي أن الأمر انتهى.

بدلًا من ذلك، قالت بأقسى صوت استطاعت تخيله:

— "توقفي عن البكاء."

رفعت بيباجي رأسها، فزعة.

— "أنتِ تعيشين في بلد في حالة حرب. هل ظننتِ أنك مميزة؟ تظنين أنكِ الوحيدة التي عانت؟ انظري حولك. على الأقل أنتِ حيّة. هناك الآلاف غيرك لم يكونوا محظوظين بقدرك. وهناك آلاف آخرون سيلقون نفس المصير إن لم تتمكني من قبول القوة التي يمكن أن تحوزيها."

سمعت نبرة فولاذية لا ترحم في صوتها لم تستخدمها من قبل قط. كان صوت شخص غريب. لكنها عرفت بالضبط من أين أتى، لأن كل ما قالته كان صدى لأشياء أخبرها بها فايسرا ذات مرة، الهدية الحقيقية الوحيدة التي قدمها لها.

عندما تسمعين صراخًا، اركضي نحوه.

— "كل ما أخبرتني به للتو؟ ذلك هو مفتاحك للآلهة. امسكي ذلك في عقلك ولا تنسي أبدًا الطريقة التي تشعرين بها الآن. ذلك ما يمنحك القوة. وذلك ما سيبقيكِ بشرية."

أمسكت رين بأصابع بيباجي. كانت أصابع نحيلة، قذرة وبها ندوب. لا تشبه مطلقًا كيف يفترض بأصابع فتاة شابة جميلة أن تبدو. كانت أصابع حطمت أجسادًا. أصابع مثل أصابعها تمامًا.

— "لديك القدرة على تسميم أي شخص تلمسينه. يمكنك التأكد من ألا يعاني أحد مثلك ومثل أختك مرة أخرى أبدًا. استخدميها."

***

جاءت الاختراقات الأخرى أسرع بكثير بعد نجاح بيباجي. بعد يومين، أطلقت ليانهوا أنينًا صغيرًا وانهارت على جانبها. في البداية خافت رين أنها تعاطت جرعة زائدة وأغمي عليها، لكنها لاحظت حينها أن الندوب عبر ذراعي ليانهوا وعظمي ترقوتها كانت تختفي —جلد جديد أملس التحم فوق مناطق كانت سابقًا مخططة بقسوة بشفرة.

سألت رين عندما استيقظت ليانهوا:

— "ماذا رأيتِ؟"

تمتمت ليانهوا:

— "امرأة جميلة. كانت تحمل زهرة لوتس في يد، ومجموعة من مزامير القصب في الأخرى. ابتسمت لي وقالت إن بإمكانها إصلاحي."

— "هل تظنين أنها قد تساعدك في إصلاح الآخرين؟"

— "أظن ذلك. وضعت شيئًا في يدي. كان أبيض وحارًا، ورأيته يسطع عبر أصابعي، وكأنني... كأنني كنت أحمل الشمس نفسها."

أيتها السلحفاة العظيمة. قفز قلب رين للاحتمالات. يمكننا استخدام هذا.

عندما تمكنت ليانهوا من استدعاء إلهتها مع الاحتفاظ بوعيها، جعلتها رين تختبر قدراتها على سلسلة من الحيوانات المصابة—سناجب بسيقان مهشمة، طيور بأجنحة مكسورة، وأرانب محروقة حتى مشارف الموت. وكان لدى ليانهوا من الفطنة ما يكفي كي لا تسأل من أين كانت تأتي تلك الحيوانات. وحين أعادت جميع الكائنات إلى عافيتها التامة دون أي آثارٍ جانبية ظاهرة، سمحت لها رين أن تُجرّب على جسدها هي.

قالت وهي ترفع قميصها قليلًا:

— "هذان الضلعان يؤلمانني. هل تحتاجين إلى نزع الضمادات أيضًا؟"

— "لا أظن."

مرّت ليانهوا بأصابعها فوق شرائط الكتّان بخفّةٍ كادت تُدغدغ. ثم شعرت رين بحرارةٍ حارقة، عند حدٍّ دقيق بين الراحة والعذاب. وبعد ثوانٍ، اختفى الألم في ضلوعها. ولأول مرة منذ صعودها جبل تيانشان، استطاعت أن تتنفس دون أن تتقلص ملامحها وجعًا.

همست رين بإعجاب وهي تُدير جذعها يمينًا ويسارًا:

— "أيتها السلحفاة العظيمة... شكرًا لكِ."

— "هل..."

توقفت أصابع ليانهوا في الهواء فوق ذراع رين اليمنى، كأنها تنتظر إذنًا. كانت تحدّق في الجذع المبتور.

— "أم... هل تريدينني أن أُحاول؟"

فاجأها السؤال. لم يخطر ببال رين حتى أن تُفكّر في استعادة يدها المفقودة. رمشت دون جواب، عالقةً بين الرغبة البديهية —— نعم، من فضلكِ، جرّبي الآن —— وبين خوفٍ من أن تسمح لنفسها بالأمل.

قالت ليانهوا بسرعة:

— "لا أعرف إن كنت أستطيع. وأعني... إن لم تكوني تريدين——"

— "لا——لا، آسفة،"

قالت رين على عجل.

— "بالطبع أريد. نعم. جرّبي."

سحبت ليانهوا الكمّ عن الجذع، وأرست أصابعها الباردة حيث ينتهي معصم رين بكتلةٍ ملساء. مرّت دقائق. جلست ليانهوا ساكنة، وعيناها مغمضتان بإحكامٍ في تركيز، لكن رين لم تشعر بشيء —— لا حرارة، ولا وخز —— سوى تنميلٍ شبحيٍّ في الموضع الذي كان ينبغي أن تكون فيه يدها. تسلّلت الدقائق ببطء، غير أن ذلك التنميل، إن كان حقيقيًا أصلًا، لم يشتدّ إلى شيءٍ آخر.

قالت أخيرًا:

— "توقفي. لا أستطيع... يكفي."

بدت ليانهوا وكأنها تنكمش اعتذارًا.

— "أظن... أم... أن هناك حدودًا. لكن ربما أستطيع المحاولة مجددًا، إن..."

— "لا تقلقي،"

قالت رين وهي تسحب الكمّ سريعًا فوق معصمها، آملةً ألا تلاحظ ليانهوا الانكسار العالق في صوتها. لماذا بدا صدرها مشدودًا هكذا؟ لقد كانت تعلم أنه لن ينجح؛ كان من الحماقة أن تتخيّل غير ذلك.

— "لا بأس. هناك أشياء لا يمكن إصلاحها."

***

أما من حيث ضخامة المشهد، فقد تفوق دولين عليهم جميعًا. بعد أسبوع واحد، وبعد محاولات فاشلة كثيرة لدرجة أن رين فكرت في إراحته من بؤسه، تناول جرعة إضافية من بذور الخشخاش وعلى وجهه نظرة تصميم عنيد، واستدعى "السلحفاة العظيمة" على الفور.

في كل أسطورة قيلت لرين، كانت السلحفاة مخلوقًا صبورًا، وحاميًا، وخيرًا. كانت الحارس المظلم للأرض، تمثل طول العمر والتربة الخصبة الباردة. ارتدى القرويون في تيكاني قلادات من اليشم محفورة كصدفة السلحفاة لجلب

الحظ السعيد والاستقرار. وفي سينغارد، غالبًا ما كانت توضع سلاحف حجرية ضخمة أمام المقابر لحماية أرواح الموتى.

لم يستحضر دولين شيئًا من ذلك. لقد فتح حفرة انهيار في الأرض.

حدث الأمر دون سابق إنذار. في لحظة كانت الأرض ثابتة تحت أقدامهم، وفي اللحظة التالية ظهرت دائرة بقطر حوالي خمسة أقدام داخل الكوخ، تهوي لأسفل نحو أعماق حالكة السواد وغير مؤكدة. بمعجزة ما لم يسقط أحد بداخلها؛ تدافع بيباجي وليانهوا مبتعدتين عن الحافة وهما تصرخان.

انتهت الحفرة عند قدمي دولين تمامًا. توقفت عن الاتساع، لكن التربة والصخور عند الحواف كانت لا تزال تتفتت داخل الحفرة، يتردد صداها في العدم.

تحدثت رين ببطء، محاولة ألا تفزع دولين خشية أن يدفنهم جميعًا بالخطأ.

— "جيد جدًا. الآن هل تظن أنك قادر على إغلاق ذلك الشيء مرة أخرى؟"

بدا مذهولًا، فاغرًا فاه أمام الحفرة وكأنه يحاول إقناع نفسه بأنه ليس فقط أنها موجودة، بل إنه في الواقع من خلقها.

— "لا أعرف."

كان يرتجف. وضعت رين يدها بخفة على كتفه.

— "بم تشعر؟"

بدا دولين مشوشًا.

— "إنها... إنها جائعة. أظن... أنها تريد المزيد."

— "المزيد من ماذا؟"

— "المزيد من... الانكشاف. تريد أن ترى ضوء الشمس." انكسر صوته. استطاعت رين تخمين أي ذكرى استدعاها حين وصل للبانثيون. عرفت أنه يتذكر كيف كان شعور أن يُدفن حيًا. "تريد أن تكون حرة."

قالت رين:

– "منطقي. لكن ربما جرب ذلك وأنت على مسافة جيدة بعيداً عن بقيتنا."

ابتلع دولين ريقه بصعوبة، ثم أومأ. توقفت الحفرة عن الهدر.

نادت بيباجي من الجانب الآخر للحفرة:

– "أيتها الجنرال فانغ؟ أظن أننا بحاجة لكوخ أكبر."

***

في اليوم التالي، انطلقت رين ومجندوها قبل شروق الشمس للارتحال إلى الهضبة الصحراوية، حيث لا يمكن لأي شيء يستدعونه أن يؤذي أحداً في مستوطنة تشولانغ.

سأل كيتاي:

– "إلى أي مسافة ستذهبون؟"

– "خمسة أميال."

– "ليس بعيداً بما يكفي. اذهبي عشرة أميال على الأقل."

– "سأكون خارج نطاقك!"

– "ثمانية إذاً. لكن أبعديهم عن هنا قدر استطاعتك. لا جدوى من القضاء علينا قبل أن يفعل نزهة ذلك نيابة عنا."

لذا، طوحت رين حقيبة محشوة بمؤونة أربعة أيام وما يكفي من المخدرات لقتل فيل فوق ظهرها، ثم قادت مجنديها نحو الامتداد الشاسع لهضبة سكاريكون. ساروا للجزء الأكبر من الصباح، ولم يتوقفوا إلا عندما تسلقت الشمس عاليًا في السماء الزرقاء الصافية، خابزة الهواء في حرارة لافحة لم تستطع حتى الرياح تبديدها.

قررت رين:

– "هنا جيد."

امتدت سهوب قاحلة ومسطحة في كل اتجاه بمدى بصرها. لم يكونوا بالقرب من أي أشجار أو صخور أو تلال يمكن أن تكون مأوى، لكن ذلك لا بأس به؛ لقد حزموا قماشًا لخيمتين، ولم تنذر السماء بأي هطول لعدة أيام على الأقل.

سحبت حقيبتها وتركتها تسقط على الأرض.

– "ليشرب الجميع بعض الماء، ثم سنبدأ العمل."

كانت بيباجي ترشف بنهم بالفعل من مطرتها. تجشأت ومسحت فمها بظهر يدها.

– "ما الذي نفعله بالضبط؟"

ابتسمت رين.

– "تراجعوا للخلف."

تراجعوا بضع خطوات للوراء، يراقبونها بحذر.

– "أبعد."

انتظرت حتى أصبحوا على بعد عشرين خطوة على الأقل. ثم مدت يدًا نحو السماء واستدعت النار.

تموجت خلالها كصاعقة برق. كان الشعور لذيذًا. سحبت المزيد، منتشية بالإطلاق الماجن للقوة، الانغماس المتهور الذي جلب أصداء من النشوة المحضة التي اختبرتها على جبل تيانشان.

رأت وجوههم، واسعة العيون بالإعجاب والبهجة، وضحكت.

تلبثت في عمود الحرارة لبضع ثوانٍ شهية أخرى، ثم سحبت النيران عائدة إلى جسدها.

قالت:

– "دوركم."

***

للساعات القليلة التالية، أشرفت رين بينما وضعت بيباجي وليانهوا مهاراتهما ضد بعضهما البعض. كانت بيباجي تجثو وتضغط بيديها على التراب. بعد ثوانٍ، كانت جميع أنواع المخلوقات —ديدان، وثعابين، وجرذان سهوب طويلة السيقان، وطيور حفرة— تندفع للسطح، تتلوى وتصرخ، وتخمش بيأس في العروق السوداء التي انطلقت عبر أجسادها المتورمة.

كانت رين تقول: "توقفي"، وكانت ليانهوا تبدأ بسرعة في عملية العكس، تشفي المخلوقات واحدًا تلو الآخر حتى يتلاشى التعفن.

سرعان ما أصبحت حدود مهارات ليانهوا واضحة. كان بإمكانها جعل الجروح السطحية تختفي في أقل من دقيقة، ويمكنها شفاء العظام المكسورة والنزيف الداخلي إذا منحت وقتًا أطول قليلًا، لكن بدا أنها قادرة فقط على عكس الإصابات التي لا تهدد الحياة. كانت معظم أهداف بيباجي تقترب من الموت في ثوانٍ، وحتى أفضل جهود ليانهوا لم تستطع إعادتهم.

كانت حدود بيباجي أقل وضوحًا. في البداية ظنت رين أنها تتطلب تلامسًا جلديًا مباشرًا مع ضحاياها، لكن اتضح حينها أن سمها يمكنه التسرب عبر التراب، واصلًا لكائنات تبعد عدة أقدام.

اقترحت رين:

— "جربي مياه البركة." خطرت لها فكرة مروعة ومثيرة للتو، لكنها لم ترد قولها بصوت عالٍ حتى تحصل على تأكيد. "انظري إن كان ذلك يسرع الانتشار."

احتج دولين:

— "نحن نحتاج ذلك الماء للشرب. البركة التالية تبعد ميلًا."

— "إذًا املأوا مطراتكم الآن، وسننقل مخيمنا للبركة الأخرى بمجرد أن تنتهي بيباجي."

أطاعوا. بمجرد امتلاء جميع المطرات، انحنت بيباجي فوق البركة، عابسة بتركيز وهي تغمس أطراف أصابعها في الماء. لم يحدث شيء. كانت رين تأمل رؤية خطوط سوداء تنطلق عبر البركة، لكن الماء ظل بنيًا مخضرًا عكرًا. ثم بدأت الأسماك تطفو ببطونها للأعلى، منتفخة ومتغيرة اللون.

قال دولين:

– "مقرف. أظن أننا سنصطاد العشاء من مكان آخر."

لم تعلق رين. كانت تطبق قبضتها بشدة لدرجة ابيضاض مفاصلها.

هذا هو. هكذا سأهزم نزهة.

لا يمكن قتل نزهة لأن التنين يحميه دائمًا، يقطب جروحه معًا بعد ثوانٍ من انفتاحها. لكن تشاغان أخبرها أن مصدر قوته هو النهر الذي يجري عبر كهوف أرلونغ.

ماذا لو هاجمت النهر نفسه؟

سألت بيباجي:

– "هل يمكنني التوقف؟" كانت الأسماك والضفادع والحشرات لا تزال تطفو ميتة في الماء حولها. "هذا يبدو، ممم، مفرطًا."

تمتمت رين:

– "حسنًا. توقفي."

وقفت بيباجي، وبدا عليها الاشمئزاز، ومسحت أصابعها بسرعة في سروالها.

لم تستطع رين التوقف عن التحديق في البركة. كان الماء حالك السواد الآن، محبرة من الجثث.

نزهة لم يقابل بيباجي من قبل. لن تكون لديه أدنى فكرة من هي أو ما يمكنها فعله. كل ما سيراه هو فتاة نحيلة وجميلة بعيني غزال ذات رموش طويلة، تبدو في غير محلها تمامًا في ساحة المعركة، قبل لحظات من تحويلها عروقه إلى وحل.

***

بعد ذلك ركزت رين انتباهها على دولين. كان لديه ولع بحفر الانهيار — بحلول اليوم الأول، كان بإمكانه بسهولة استدعاء واحدة عند الطلب بأي شكل أو حجم ضمن قطر عشرة أقدام. لكن حفر الانهيار كان يجب أن تفتح بجوار مكان وقوفه مباشرة؛ كان على قدميه أن تكونا عند حافة الشق.

شكل هذا مشكلة. بالتأكيد، كانت لحفر الانهيار إمكانات كبيرة للتعطيل التكتيكي، لكن فقط إذا كان دولين واقفًا مباشرة في خط النار.

سألته رين:

— "هل يمكنك فعل أي شيء آخر بالأرض؟ إذا كنت تستطيع تحريكها لأسفل، فهل يمكنك تحريكها لأعلى؟ جانبيًا؟ هزها في مكانها؟"

لم تكن متأكدة مما يدور في ذهنها. كانت لديها صورة غامضة لأعمدة عظيمة من التراب تتخبط عبر الهواء كالأفاعي. أو ربما زلازل —تلك يمكن أن تربك وتشتت الخطوط الدفاعية دون خسائر مدنية مفرطة.

— "سأحاول." خفض ذقنه، وحاجباه معقودان في تركيز.

شعرت رين بهزات تحت قدميها، خافتة جدًا في البداية لدرجة أنها لم تكن متأكدة ما إذا كانت تتخيلها. نمت أقوى. عبرت فكرة أنها ربما يجب أن تتراجع بذهنها للحظة قبل أن تطير في الهواء.

اصطدم ظهرها بالأرض. تبع ذلك رأسها بقرقعة. حدقت في السماء، وفمها مفتوح كسمكة، تحاول التنفس. لم تستطع الشعور بأطراف أصابعها. ولا أصابع قدميها.

سمعت صراخًا. ظهر وجها دولين وليانهوا فوقها. كانت بيباجي تصرخ بشيء ما، لكن صوتها كان مكتومًا وخافتًا. شعرت رين بيدي ليانهوا تتحركان تحت قميصها، تدفعان للأعلى لتستقرا على ضلوعها، ثم انتشرت حرارة رائعة وحارقة عبر جذعها ورأسها حتى شُحذ صراخ دولين إلى كلمات مفهومة.

– "هل أنتِ بخير؟"

لهثت:

– "بخير. أنا بخير."

عندما أبعدت ليانهوا يديها، تكورت رين على جانبها وضحكت. لم تستطع منع نفسها؛ انسكب الضحك منها كشلال، ملحًا ومبهجًا.

بدت ليانهوا قلقة للغاية.

– "أيتها الجنرال، هل أنتِ..."

قالت رين بصوت مبحوح:

– "سنفوز." لم تستطع فهم لماذا كانت الوحيدة التي تضحك. لماذا لم يضحكوا؟ لماذا لم يطيروا فرحًا؟ "أوه، يا آلهتي. يا للهول. هذا هو. سنفوز."

***

قضوا اليومين الأخيرين في ضبط أوقات استجابتهم، وحدودهم، والجرعات اللازمة. حددوا المدة التي يستغرقها بدء مفعول النشوة بعد ابتلاع البذور—عشرون دقيقة لبيباجي وليانهوا، وعشر لدولين. تعلموا كم من الوقت يكونون مفيدين خلال نشوتهم—ليس أكثر من ساعة لأي منهم— وكم يستغرق نزولهم من حالتهم اللعابية عديمة الفائدة.

ظلت مهاراتهم فنًا غير كامل—لم يكن بإمكانهم تحقيق الكفاءة العسكرية لفرقة "السيك" الأصلية في أسبوعين. لكنهم أصبحوا معتادين بما يكفي على الوصول لآلهتهم بحيث يمكنهم تكرار نتائجهم في ساحة المعركة. كان ذلك أفضل ما سيحصلون عليه.

أخبرتهم رين بالعودة إلى المخيم الأساسي بدونها. أرادت الارتحال أبعد قليلًا قبل أن تعود. لم يسألوها إلى أين تذهب، ولم تخبرهم.

وحدها، سارت حتى وجدت منطقة منعزلة عند قاعدة تل، في مواجهة جبل تيانشان البعيد.

التقطت أكبر صخور استطاعت إيجادها ورتبتها في كومة دائرية تواجه الشمس الغاربة. كان نصبًا تذكاريًا بائسًا، لكنه سيبقى في مكانه. بالكاد يزور أحد هذا الجبل. مع الوقت، ستمحو الرياح والثلج والعواصف كل أثر لهذه الصخور، لكن في الوقت الحالي، كان هذا جيداً بما يكفي.

لم يستحق جيانغ الكثير. لكنه استحق شيئًا ما.

كانت قد رأت النظرة على وجهه قبل أن تهرب من المعبد. كان يعرف تمامًا ما فعله. في تلك اللحظة كان مكتملًا وواعيًا، متصالحًا مع ماضيه، ومسيطرًا بالكامل. وقد اختار إنقاذها.

قالت:

— "شكرًا لك."

بدا صوتها رفيعًا وغير كافٍ قبالة الهواء البارد والكثيف. شعر صدرها بضيق شديد.

لقد أحبته كأب ذات مرة.

علمها كل ما عرفه. قادها إلى البانثيون. ثم تخلى عنها، وعاد إليها، وخانها، وأنقذها. ترك الكثيرين يموتون —ترك شعبها يموت— لكنه أنقذها.

ما الذي يفترض بها فعله بحق الجحيم بإرث كهذا؟

تجمعت دموع ساخنة في عينيها. مسحتها بانزعاج. لم تكن هنا لتبكي. لم يستحق جيانغ دموعها. لم يكن الأمر متعلقًا بالحزن، بل بتقديم الاحترام.

تمتمت:

— "وداعًا."

لم تعرف ماذا تقول غير ذلك.

لا، لم يكن ذلك صحيحًا. شيء آخر ثقل على ذهنها، شيء لم تستطع تركه دون قول. لم تجرؤ أبدًا على قوله في وجهه حين كان حيًا، رغم أنها فكرت فيه مرات عديدة. لا يمكنها البقاء صامتة الآن. ركلت الصخور وابتلعت ريقها مرة

أخرى، لكن الغصة في حلقها أبت أن تذهب. حمحمت، والدموع تنهمر على خديها.

— "لطالما كنت جبانًا لعينًا."

***

قالت لكيتاي عندما عادت:

— "نحن راحلون."

انشغلت بالحركة حول الكوخ، تقذف الأشياء في حقيبة سفرها —قميصين، وزوجًا من السراويل، وسكاكين، وأكياسًا من بذور الخشخاش. كانت تمشي لست ساعات متواصلة، لكنها بطريقة ما شعرت بأنها تنفجر طاقة.

— "سأخبر تشولانغ بتجهيز رجاله للمسير في الصباح. هل المنطاد جاهز للانطلاق؟"

— "بالتأكيد، لكن... مهلًا، تمهلي يا رين." بدا كيتاي قلقًا. "بهذه السرعة؟ حقًا؟"

قالت رين:

— "يجب أن يكون الآن."

لم تستطع البقاء في مستوطنة تشولانغ، عاصمة اللامكان القذرة في هضبة سكاريكون، لأي فترة أطول. دار عقلها باحتمالات الحملة القادمة. لم تكن الأوراق في صالحها بهذا الوضوح من قبل قط. امتلكت الجمهورية شامانًا واحدًا في نزهة مقابل أربعة لرين، وكانت أفضل آلية دفاع لديهم هي قنابل الأفيون، التي تعطل القوات على كلا الجانبين دون تمييز.

بالطبع كان يمكن لمجندي رين الاستفادة من أسبوع آخر من التدريب. وبالطبع كان ليكون مثاليًا لو امتلكوا الوقت لضبط قدراتهم، لتعلم إجبار الآلهة باستمرار على الخروج من عقولهم عندما تصبح الأصوات عالية جدًا. لكن رين

عرفت أيضًا أن كل يوم ينتظرونه للتحرك شرقًا هو يوم آخر يملكه نزهة للاستعداد.

كان نزهة يلعق جراحه الآن. كان عليها الاستحواذ على أكبر قدر ممكن من الأراضي قبل أن يصبح مستعداً للرد. الجيوش ستزحف بطريقة أو بأخرى، وأرادت أن تكون الأولى.

قالت:

— "لمرة واحدة، الوقت في صالحنا. لن نحصل على هذه الفرصة مرة أخرى."

— "أنتِ واثقة أنهم مستعدون؟"

هزت كتفيها.

— "مستعدون بقدر ما كنتُ أنا."

تنهد كيتاي.

— "أنا واثق أنكِ تدركين أن تلك الفكرة لا تمنحني أي راحة على الإطلاق."

الفصل الخامس والعشرون

كان أول هدف حضري رئيسي لـ رين في أراضي الجمهورية هو جينتشو — "المدينة الذهبية"، لؤلؤة الشرق الأوسط النيكاري الفاخرة. بعد مسيرة ثلاثة أسابيع ارتفعت من فوق قمم الأشجار، بأسوارها العالية وباغوداتها الرفيعة المتطاولة. ترفرف أعلامها الزرقاء، المزينة بشعار التنين، من فوق أبراج الحراسة مثل دعوة صارخة للهجوم.

لقب جينتشو الآخر، الأقل استساغة، كان "العاهرة". فهي تتربع مباشرة عند تقاطع ثلاثة أقاليم، وبفضل قربها من مزارع التوت المزدهرة التي توفر عربات مليئة بشرانق دودة القز وبعض أكبر رواسب الفحم في الإمبراطورية، كانت تستطيع تحمل دفع الضرائب للثلاثة جميعًا. في المقابل، تلقت جينتشو ثلاثة أضعاف المساعدة العسكرية طوال حروب الخشخاش. لم تُنهب مرة واحدة في التاريخ الحديث؛ بل كانت تنتقل فقط من حاكم لآخر، مقايضة الامتثال والثروات بالحماية.

نوت رين إنهاء تلك السلسلة.

كتب الاستراتيجي العسكري سونزي ذات مرة أنه من الأفضل أخذ مدن العدو سليمة. الحملات الطويلة والمدمرة لا تفيد أحدًا. جينتشو، التي توفر قاعدة ضريبية محتملة وتتموضع جيدًا مقابل طرق نقل متعددة، كانت لتخدم بشكل أفضل كقاعدة موارد مستدامة بدلًا من مدينة مدمرة تُترك في أعقاب الجيش الجنوبي.

مرة أخرى، رفضت رين نصيحة سونزي.

في الجنوب كانت تقاتل لاستعادة الأراضي من الاتحاد. تلك كانت حرب تحرير. لكن جيشها الآن بلا مأوى، يقاتل في أرض لم يعش فيها قط، ولا يمكنهم أبدًا العودة لأقاليمهم الأصلية بسلام بينما لا تزال الجمهورية تسعى للسيطرة. المشكلة في محاولة التمسك بالأرض هي أنها ستستنزف القوات لإنفاقها في الحفاظ على المناطق المحتلة. كان ذلك نفس السبب الذي حكم على نزهة بالخسارة— لقد أُجبر على تقسيم قواته عبر الجبهتين الشمالية والجنوبية.

خلاصة كل هذا هي أن جينتشو كانت قابلة للتضحية.

لم تهتم رين بالحفاظ عليها. لم تُرد اقتصاد جينتشو، أرادت قطع ثرواتها عن نزهة.

ما لا أستطيع امتلاكه، لا يمكنه امتلاكه.

كانت جينتشو استعراضًا صارخًا للقوة. كانت جينتشو رسالة.

بينما كانت قواتها تقترب من بوابات المدينة الحجرية السميكة، لم تشعر رين بنفس الرفرفة العصبية التي اعتادت عليها قبل القتال. لم تكن قلقة بشأن النتيجة، لأن هذه لم تكن مسابقة استراتيجية، أو أرقام، أو توقيت. لم تكن هذه معركة حظ.

هذه المرة المنتصر كان مضمونًا. لقد رأت ما يستطيع شاماتها فعله وعرفت، مهما كانت دفاعات المدينة جيدة، ليس لديهم ما يمكنه تحدي جيش يستطيع تحريك الأرض ذاتها.

مصير جينتشو كان نتيجة محتومة بالفعل. كانت رين فقط فضولية لترَ إلى أي مدى سيئ يمكنهم كسرها.

***

لكن أولًا، كان عليهم تسوية مسألة بروتوكول ساحة المعركة. ساد التعقل، لأن كيتاي ساد. لم تستطع رين إطعام وإكساء جيشها إذا لم تجمع الموارد وهم

يمضون، وتلك الموارد كان الحصول عليها من المدن المحروقة والمنهوبة صعب للغاية.

قال كيتاي:

– "أعرف أنكِ تريدين قتالًا من هذا. لكن إذا بدأتِ في هدم الجدران دون منحهم فرصة الاستسلام، فأنتِ تتصرفين بغباء وحسب".

اعترضت:

– "المفاوضات تمنحهم الوقت لإعداد الدفاعات".

قلب عينيه عند ذلك:

– "أي دفاعات يمكنهم نصبها ضدكِ بحق الجحيم؟"

عاد أول رسول أرسلوه فورًا تقريبًا.

أفاد:

– "لا استسلام. لقد، آاه، ضحكوا في وجهي".

وقفت رين:

– "انتهى الأمر إذن. سنتحرك خلال خمس دقائق. ليحضر أحدكم دولين وبيباجي..."

قال كيتاي:

– "انتظري. لم نعطهم تحذيرًا عادلًا".

– "تحذيرًا عادلًا؟ لقد عرضنا عليهم الاستسلام لتوّنا!"

– "هم يظنون أنكِ جيش فلاحين رث بسيوف صدئة ولا مدفعية تُذكر".

منحها كيتاي نظرة صارمة. "لا يعرفون ما يحكمون به على أنفسهم. وأنتِ لست عادلة".

– "قال سونزي..."

– "أظن أننا نتفق كلانا على أن كتيب سونزي توقف عن كونه ذا صلة منذ زمن طويل. وعندما كتب سونزي عن الحفاظ على تباين المعلومات ليستهين

عدوكِ بكِ، كان يتحدث عن أعداد القوات والمؤن. لا عن قوى مزلزلة للأرض وشبه إلهية".

ملس كيتاي قطعة من الرق على الطاولة. لم ينتظر حتى ردها قبل أن يبدأ في كتابة رسالة أخرى.

– "سنمنحهم فرصة أخرى".

أصدرت صوت احتجاج:

– "ماذا، هل ستكشف ببساطة عن أسلحتنا الجديدة قبل حتى أن يروا معركتهم الأولى؟"

– "أنا قلق قليلًا من إشارتكِ للناس كأسلحة. ولا يا رين، سأخبرهم فقط أنه يجدر بهم مراعاة الأرواح البريئة الكثيرة المعرضة للخطر. لن أضمن التفاصيل".

خربش كيتاي لفترة أطول قليلًا، ورفع بصره، ومد يده نحو جبهته لشد خصلة شعر.

– "هذا يؤكد شيئًا واحدًا رغم ذلك. نزهة ليس في المدينة".

عبست رين:

– "كيف استنتجت ذلك؟"

كانوا قد قرروا أن هناك ربما فرصة خمسين بالمائة لبقاء نزهة في الجبهة للدفاع عن جينتشو شخصيًا. من ناحية، كانت جينتشو كنزًا ضخمًا لدرجة يصعب معها تخيل تخلي الجمهورية عنها بهذه السهولة — مخزونات الفحم وحدها كان بإمكانها إبقاء المناطيد تحلق لأجل غير مسمى. ومن ناحية أخرى، كل تقرير تلقوه أشار إلى أن نزهة هرب شرقًا أبعد ما يمكنه. وجينتشو، رغم ثرائها، لم تمتلك أقوى الهياكل الدفاعية — كانت مدينة تأسست على التجارة، والمدن التجارية صممت لتدعو العالم الخارجي للدخول، لا لإبقائه خارجًا. كان هذا ليكون مكانًا غبيًا ليقوم نزهة بوقفته الأخيرة فيه.

قال كيتاي:

– "نعرف أنه ليس هنا لأن القاضي كان ليستدعي اسمه لو كان موجودًا. أو كان ليظهر هو ليفاوض بنفسه. البلد بأكمله يعرف ما يستطيع فعله الآن. يعرفون أنه سيكون رادعًا أفضل من أي شيء آخر يمكنهم حشده".

قالت رين:

– "قد يكون يحاول نصب كمين لنا".

هز كيتاي رأسه:

– "ربما. لكن نزهة يتمسك بمبادئ سونزي بصرامة أكبر منكِ حتى. لا تضغط حيث توجد مقاومة بالفعل؛ لا تستنزف القوات حيث أنت فِي وضع غير مؤات أصلًا. أفترض أننا لا يمكننا أن نكون متأكدين. لكن لو كنت مكان نزهة، لما حاولت قتلكِ هنا. لا يوجد وصول كافٍ للماء. لا، أعتقد أنه سيعطيكِ هذه الجولة".

سخرت:

– "كم هذا رومانسي. إذن لنجعله يندم على ذلك".

***

خيموا خارج أسوار جينتشو لفترة، ممررين المنظار ذهابًا وإيابًا بينما انتظروا عودة وفدهم. مرت الدقائق، ثم الساعات. بعد فترة شعرت رين بالملل وعادت لداخل خيمتها، حيث جلس مجندوها في دائرة على الأرض، ينتظرون الاستدعاء.

أخبرتهم:

– "لن يستسلموا. هل الجميع جاهز؟"

عضت ليانهوا شفتها السفلى. كان دولين يرتجف؛ ظل يفرك مرفقيه وكأنه يتجمد. بدوا تمامًا كطلاب سينغارد المتوترين على وشك أداء امتحان لدرجة أن رين لم تستطع منع ومضة تسلية صغيرة. وحدها بيباجي بدت هادئة تمامًا

ومطلقًا، تجلس مستندة للجدار وذراعاها معقودتان وكأنها زبونة في مقهى تنتظر الخدمة.

قالت رين:

— "تذكروا، الأمر مختلف حين توجد جثث". ناقشوا مرات عديدة الآن كيف يتغير كل شيء في حرارة المعركة، وكيف أن القابلية الآمنة للتنبؤ في التدريب لا تشبه الحرب الفعلية بأي شكل، لكنها أرادت حفر ذلك في جماجمهم مجددًا. أرادت أن يكون آخر شيء في عقولهم قبل أن يروا القتال. "الدم سيفزعكم. ويصبح الأمر أصعب بكثير عندما تسمعون الصرخات. الآلهة تتحمس. إنها مثل كلاب برية تشم الخوف — بمجرد أن تحصل على نفحة من الفوضى، ستحاول بجهد أكبر بكثير لتولي السيطرة".

قالت بيباجي:

— "لقد رأينا جميعًا جثثًا".

قالت رين:

— "الأمر مختلف عندما تكونين أنتِ من حطمها".

امتقع وجه دولين.

قالت رين بسرعة:

— "لا أحاول إخافتكم. أريدكم فقط حذرين. لكن يمكنكم فعل هذا. لقد تدربتم على هذا، تعرفون ما يمكن توقعه، وستبقون مسيطرين. ماذا تفعلون إذا شعرتم بالإله يتولى الزمام؟"

رددوا في انسجام كأطفال المدارس:

— "نمضغ القطع".

كل منهم حمل ما يكفي من الأفيون لجرعة زائدة مميتة في جيوبهم. عرفوا بالضبط الكمية التي يجب بلعها ليفقدوا الوعي.

— "وماذا تفعلون إذا خرج رفاقكم عن السيطرة؟"

ثنت بيباجي أصابعها:
– "نتعامل معهم قبل أن يتعاملوا معنا".
– "فتاة جيدة".
انفتح الباب. قفزوا جميعًا.
كان كشافًا:
– "جينتشو أرسلت ردًا يا جنرال. لا استسلام".
أشارت رين لهم بالوقوف:
– "خسارة لهم إذن. دعونا نذهب لنرهم ما يمكنكم فعله".

***

في سينغارد، علم معلم الاستراتيجية إيرجاه ذات مرة فصل رين للسنة الثانية كيفية لعب لعبة قديمة تدعى "شاكي". جعلهم يلعبون الكثير من ألعاب الاستراتيجية الشائعة من قبل – "ويكي" للبصيرة والحسم، "ماهجونغ" للدبلوماسية واستغلال تباين المعلومات. لكن "شاكي" لم تكن لعبة واجهتها رين من قبل. قائمة قواعدها الأساسية امتدت لثلاثة كتيبات، ولم يشمل ذلك اللفائف التكميلية العديدة التي أملت مناورات الافتتاح القياسية.

كان كيتاي الوحيد في الفصل الذي لعب "شاكي" حتى، لذا اختاره المعلم إيرجاه للمساعدة في العرض. قضيا الدقائق العشرين الأولى يسحبان بلاطات عشوائية تحدد حصتهما من القطع التي تمثل القوات، والمعدات، والأسلحة، وتوزيعات التضاريس. عندما كانت كل القطع أخيرًا على الخريطة، جلس المعلم إيرجاه وكيتاي قبالة بعضهما وعيونهما مثبتة على اللوحة. لم يتحدث أي منهما. راقب بقية الفصل، بملل وتهيج متزايدين بينما امتدت المواجهة لقرابة الساعة.

أخيرًا، تنهد كيتاي، وقلب قطعة إمبراطوره بإصبع واحد، وهز رأسه.
سأل نزهة:

– "ما الذي يحدث؟ أنتما لم تلعبا حتى".

لكنهما لعبا. لم تدرك رين ذلك إلا قرب الدقائق الخمس الأخيرة من اللعبة. المباراة بأكملها جرت عبر حسابات عقلية صامتة، كلا الجانبين يدرس ميزان القوى الذي خلقته حصصهما العشوائية. توصل كيتاي في النهاية لاستنتاج أنه لا يمكنه الفوز.

حاضر إيرجاه وهو يلملم القطع:

– "الحروب نادرًا ما تسير بهذه الطريقة. في المعركة الحقيقية، ضباب الحرب – الاحتكاك، أي – يطغى على كل شيء آخر. حتى أفضل الخطط الموضوعة تقع ضحية للحادث والصدفة. فقط الأغبياء يظنون الحرب مسألة بسيطة من الحيل الذكية".

اشتكت فينكا:

– "إذن ما المغزى من هذه اللعبة؟"

قال إيرجاه:

– "أن التباينات تهم. المستضعفون يمكنهم غالبًا إيجاد مخرج، لكن ليس دائمًا. خاصة ليس إذا كان الجانب صاحب اليد العليا قد توقع، بأفضل ما يمكن بالنظر للمعلومات المتاحة، كل شيء قد يسير بشكل خاطئ. لأنه حينها تصبح المسألة الفوز بأكثر طريقة أنيقة وواثقة ممكنة. تتعلمين إغلاق كل مخرج ممكن. تتوقعين كل الطرق التي قد يحاولون بها قلب ميزتكِ، وعليكِ فعل كل ذلك مسبقًا. على الجانب الآخر، أحيانًا لا يكون لديكِ طريقٌ ممكن للنصر. أحيانًا الاشتباك في المعركة يعني الانتحار. من المهم معرفة متى. هذا هو الغرض من هذه اللعبة. اللعب لا يهم بنصف قدر أهمية تمرين التفكير".

سأل نزهة:

– "لكن ماذا لو لم يتفق اللاعبان على من يملك الأفضلية؟ إذا لم يستسلم أحد؟"

قال إيرجاه:

— "إذن تلعبانها حتى يفعل أحدهما. لكن حينها يكون الأمر محرجًا بشكل مضاعف للخاسر، الذي كان يجب أن يتنازل من البداية. المغزى هو تدريب عقلك لرؤية كل الاحتمالات الاستراتيجية في آن واحد حتى تتعلم متى لا يمكنك الفوز".

اتضح أن "شاكي" كانت لعبة الاستراتيجية الوحيدة التي لم تتمكن رين من فهمها أبدًا. لعبوا مرات عديدة في الفصل طوال العام، لكنها لم تستطع أبدًا إجبار نفسها على الاستسلام. لعبت دور المستضعف منذ أن تذكرت. بدا من السخف الشديد الاستسلام أبدًا، الاعتراف بالهزيمة ببساطة وكأن المستقبل قد لا يقدم فرصة ما، مهما كانت ضئيلة، لقلب حظوظها. كانت تعتمد على تلك الفرص الضئيلة طوال حياتها.

لكن الآن، واقفة مع جيشها خارج بوابات مدينة جينتشو، كانت على الجانب الآخر من الطاولة. الآن هي تمتلك الميزة الساحقة، ولغزها كان كيف يجب للمرء توظيف ثلاثة أشخاص يمكنهم إعادة كتابة الواقع في معركة تقليدية دون قتل كل من حولهم.

النصر كان مضمونًا بالفعل. حاليًا عليها فقط القلق بشأن الأمور العالقة.

كان هذا نوع اللغز الذي كان ألتان يحاول حله باستمرار عندما قاد "السيك". كيف تفوز بلعبة شطرنج عندما تكون قطعك أكثر الأشياء قوة بشكل مرعب على الرقعة، والخصم مجهز ببيادق فقط؟ عندما لا يعود الهدف هو النصر، بل النصر بأقل معدلات خسائر ممكنة؟

اتفق رين وكيتاي مبكرًا على أن المعركة تتوقف على دولين. توريط ليانهوا كان غير وارد — سيبقونها مشغولة في المستوصف لأيام متواصلة بعد انتهاء المعركة، لكن لا مكان لها في ساحة المعركة. بيباجي كانت أكثر فتكًا في المدى القريب، لكن دولين كان يملك نطاق التأثير الأوسع. يمكنه إحداث زلازل وحفر انهيار في نصف قطر عشر ياردات حوله، بينما كان على بيباجي الدخول عميقًا

في المعمعة لإلحاق سمها. شكل ذلك خطرًا كبيرًا جدًا — احتاجت رين بيباجي بعيدة عن الأذى حتى تصل إلى أرلونغ.

لكن رين كانت واثقة تمامًا أنها تستطيع تحطيم مقاومة جينتشو بـ دولين وحده.

أخبرته رين:

— "ستحصل على ضربتين رئيسيتين. كلاهما في بداية القتال مباشرة. رشقاتنا الافتتاحية. سيظنون الأولى عملًا غريبًا من الطبيعة، أو سلاحًا تقليديًا قويًا جدًا. بعد الثانية، سيعرفون أن لدينا شامانًا. بعد تلك النقطة، ستكون قواتنا قد اختلطت كثيرًا لدرجة تمنعك من توجيه ضربة مميزة".

قال دولين:

— "لست مضطرًا لأن أكون في المعمعة مع ذلك. أعني، ألا يمكنني استهداف المدينة وحسب؟"

سأل كيتاي بحدة:

— "وماذا بعد؟ ستذبح كل المدنيين الأبرياء بالداخل؟"

تلونت وجنتا دولين. الفكرة بوضوح لم تخطر بباله حتى.

— "لم أكن..."

قال كيتاي:

— "أعرف أنك لم تفكر في الأمر. لكن عليك ترتيب أفكارك. فقط لأنك تستطيع تغيير العالم بمقياس سخيف لا يعني أن الحسابات العادية لم تعد تنطبق. إن كان هناك شيء، فيجب أن تكون الآن حذرًا بشكل مضاعف. هل تفهم؟"

— "نعم سيدي". بدا دولين مؤنبًا كما يجب. "أين تريد حفر الانهيار الخاصة بك إذن؟"

قال كيتاي:

– "جينتشو لديها ستة جدران. اختر ما شئت".

***

بعد ساعة واحدة، اندفع سرب يقل عن خمسين جنديًا من الغابة نحو البوابة الغربية لـ جينتشو. انتظرت رين وكيتاي في الأشجار مع بقية جيشهما، يراقبون عبر المناظير بينما اندفعت قواتهم نحو الأسوار الحجرية العالية.

هذا الهجوم الأول كان شركًا. كان على قيادة جينتشو فهم ما تستطيع رين فعله. بعد معركة المنحدرات الحمراء، لم تعد قدراتها إشاعة مخيفة بل حقيقة معروفة. لذا إذا كان قاضي جينتشو قد رفض عرضها بالرأفة مقابل الاستسلام، فلا بد أنه واثق جدًا في دفاعاته ضد نيرانها. لم تكن رين غبية بما يكفي لدخول المعمعة حتى تعرف ما تخفيه جينتشو في جعبتها.

كان من السهل جدًا تصميم مسبار وهمي. النار الشامانية كانت أبسط سلاح للمحاكاة. استغرق الأمر ثوانٍ فقط لخمسين جنديًا يحملون مشاعل، وبارودًا، وأعلامًا مغمقة بالزيت لخلقٍ موجة حارقة من اللهب التي، عندما التقطتها الرياح، ارتفعت لتقارب الارتفاعات التي تستطيع رين استدعاءها بنفسها.

رد مدافعو جينتشو بعد ثوانٍ. أولًا جاءت جولة السهام القياسية. ثم تبعتها جولة أكثف من القذائف – قنابلٍ لم تنفجر لكرات من لهب، بل سربت دخانًا بطيئًا ومخضرًا وهي تضرب الأرض.

لاحظ كيتاي:

– "قنابل أفيون. هل هذا كل ما لديهم؟"

بدا خائب الأمل. رين، أيضًا، لم تستطع منع شعور عابر بالخيبة. جينتشو رفضت المفاوضات بثقة جعلت رين تتساءل بجدية، بل وتأمل، أنهم قد يعرضون دفاعًا سريًا ومبتكرًا لدعم ذلك.

لكن بدلًا من ذلك، وقعوا ببساطة أوامر إعدامهم بأنفسهم.

كان سرب الشرك يتفكك. سُمح لهم بالتراجع — كلفوا فقط باستدراج المدفعية، لا بكسر دفاعات جينتشو. تفككت موجة النار لعشرات المشاعل الفردية، انطفأت بينما أسقطها الجنود الهاربون على التراب.

بدا الانسحاب فوضويًا، لكن أولئك القوات سيكونون بخير. دخلوا مستعدين بأقنعة قماشية مبللة بالماء. لن يمنع ذلك الأفيون طويلًا، لكنه اشترى لهم وقتًا كافيًا للتشتت والتراجع.

التفتت رين لـ دولين. كان يحمل منظاره بثبات شديد على وجهه. يده اليمنى كانت مكورة في قبضة، تنقر بنمط عشوائي على ركبته.

أعصاب المعركة، فكرت رين. محبب. وتمنت، للحظة وجيزة فقط، لو لم تكن معتادة جدًا على الحرب بحيث لا تزال تستطيع الشعور بتلك الإثارة المترنحة والكهربائية للضيق العصبي المحض.

أخبرته:

— "دورك. لنذهب".

***

اندفعوا خارج الأشجار ليقابلوا وابلًا من السهام. مدافعو جينتشو لم يكونوا حمقى ليتخيلوا أن المسبار شكل هجوم رين الكامل. حصنوا جميع جدرانهم الستة برجال المدفعية، وهرع المزيد نحو الجدار الشرقي عندما بدأت قوات رين تتدفق من الغابة.

أغلق الجنوبيون دروعهم فوق رؤوسهم وهم يندفعون نحو البوابات في تشكيل متكتل. ارتجفت ذراع رين بينما ارتطم سهم تلو الآخر ببوصة الخشب التي تفصل الحديد عن الجلد. ثم تخدرت. صرت على أسنانها ودفعت للأمام، عيناها مقفلتان على الجدران الحجرية العظيمة أمامها. في التدريب، حددت أن دولين يستطيع فتح حفرة انهيار من مسافة عشر ياردات. تسعون ياردة متبقية.

تردد صدى دوي أمامها إلى يسارها. تناثر الدم والعظم في الهواء؛ ارتطمت أجساد بالأرض. استمرت رين في التحرك، تخطو فوق الأشلاء. سبعون ياردة.

همس دولين:

— "يا للجحيم المقدس. يا للجحيم المقدس، لا أستطيع..."

قالت رين:

— "اخرس وتحرك".

خمسون ياردة. شيء ما صرخ فوق رؤوسهم. انخفضا كلاهما لكن استمرا في الركض. انفجر الصاروخ خلفهما، مصحوبًا بصرخات. عشر ياردات.

توقفت رين.

— "قريب بما يكفي لك؟"

أغلقت القوات دروعها في قوقعة واقية فوق دولين وهو يقف ساكنًا، وعيناه مغلقتان بإحكام. راقبت رين وجهه المختلج، تنتظر.

الثواني التي تلت بدت كالدهر.

إنه خائف جدًا. كانت فجأة قلقة. لا يستطيع التركيز، الأمر أكبر من طاقته... القذائف والسهام التي تسقط حولهم بدت فجأة قريبة جدًا. كانوا محظوظين بجنون، حقًا، للصمود كل هذا الوقت دون أن يصابوا. لكنهم الآن أهداف مفتوحة وغير متحركة، وإحدى تلك الرشقات لا بد أن تصيب في النهاية...

ثم اهتزت الأرض، متموجة بطريقة لا يفترض بالتربة أن تتحرك بها. اهتزت الجدران الحجرية، مما بدا سخيفًا لدرجة أن رين ظنت بالتأكيد أنها هي من يهتز وليس ذلك الهيكل الضخم، لكن بعد ذلك انهمر الغبار والحصى أسفل الجدران في قطرات تحولت لسيول.

سقط الجدار.

لم ينهَرْ. لم ينفجر للداخل. لم يكن هناك تصادم فوضوي ومتسلسل لصدوع في الحجر تتهشم في تفاعل متسلسل، ثم تتفتت تحت وزنها الخاص،

الطريقة التي يفترض بجدار مكسور أن يسقط بها. بدلًا من ذلك، انفتحت الأرض تحته إلى فوهة فاغرة. واختفى الجدار ببساطة، آخذًا خط المدفعية معه، كاشفًا المدينة بالداخل كطبقة من الجلد قشرت عن أعضاء نابضة.

سكن الهواء. توقف إطلاق النار.

غرق دولين مذهولًا على ركبتيه.

قالت له رين:

– "أحسنت صنعًا".

بدا وكأنه على وشك التقيؤ.

سيكون بخير، فكرت. ليكسر بضع مدن أخرى، وسيصبح الأمر روتينيًا. لم يكن لديها وقت للعب دور المربية الآن؛ لديها مدينة لتغزوها. رفعت ذراعها اليسرى في الهواء كإشارة للهجوم، وانفجر الجيش الجنوبي فوق الأنقاض عبر الجدار المفقود.

***

انقسمت الأسراب للشمال والجنوب للاختراق عبر دفاعات جينتشو، بينما أخذت رين وحدها الربع الأوسط. سمعت صراخًا مذعورًا وهي تقترب. بينما لعقت النيران كتفيها، سمعت أهدافها تصرخ طلبًا للتعزيزات – أصوات عالية النبرة نادت مرارًا وتكرارًا بقنابل الأفيون – لكن فات الأوان. فات الأوان بكثير. وجهوا صواريخ الأفيون للجدار الغربي، وبحلول الوقت الذي يجلبونها فيه لأي مكان قربها ستكون هذه المعركة قد انتهت.

كل ما امتلكه جنود جينتشو الآن هو أسلحتهم التقليدية، وتلك كانت غير كافية بشكل بائس. احترقت مقابض سيوفهم بوهج أبيض في أيديهم. كل ما قذفوه عليها – سهام، رماح، حراب – تحول لرماد في منتصف الهواء. لا أحد يستطيع الاقتراب لمسافة عشرة أقدام منها، لأنها كانت مغلفة داخل عمود حارق ومنيع من اللهب.

تساقطوا أمامها كالعيدان.

أمالت رأسها للخلف، فتحت فمها، وتركت النار تمزق طريقها عبر حلقها.

يا آلهة، هذا التحرر كان شعوره جيدًا. لم تدرك كم افتقدت هذا. وصلت لنشوة هذيان كهذه على جبل تيانشان ثم في ساحات التدريب على الهضبة، عندما تركت النيران تزأر بلا قيد عبر جسدها. كل لحظة يقظة منذ ذلك الحين بدت مكتومة وملجمة. لكن الآن حصلت على ما أرادت — دمار طائش، ومهمل، وبلا عوائق.

لكن شيئًا ما بدا خاطئًا. إحساس مزعج نهش في أمعائها، وخزة ذنب نمت فقط مع اشتداد الصرخات وتجعد الأجساد حولها، واسودادها، وانطوائها على نفسها.

لم تشعر بغضب. هذا لا علاقة له بالانتقام. هذه القوات لم تفعل شيئًا لها. ليس لديها سبب لكرههم. هذا لم يبدُ عادلًا، هذا بدا قاسيًا وحسب.

تراخت نيرانها، ثم انكمشت عائدة لداخلها.

ما خطبها؟ عادة ما يكون من السهل جدًا الغرق في تلك المساحة النشوانة حيث يلتقي الغضب بالهدف. لم تضطر أبدًا للكفاح لإيجاد الغضب من قبل؛ حملته معها كجمرة دافئة، تحترق للأبد.

وجهت نارها على رفاقها النيكاريين من قبل. فعلتها بسهولة عند المنحدرات الحمراء؛ أشعلت سفنًا كاملة دون تفكير مرتين. لكن هذه كانت المرة الأولى التي تحرق فيها عدوًا لم يهاجمها أولًا.

هذا لم يكن دفاعًا عن النفس أو انتقامًا. هذا كان عدوانًا صريحًا وبسيطًا.

لكنهم اختاروا هذا، ذكرت نفسها. أعطيناهم فرصتين للاستسلام، ورفضوا. عرفوا ما أنا عليه. حفروا قبورهم بأنفسهم.

مدت يدها عميقًا في حفرة مظلمة بداخلها، وانفجر عمود نارها من جديد، متوهجًا هذه المرة بنوع شرير من الطاقة.

أشهرت الآن نارًا مختلفة؛ نارًا أشرس، وأكثر جوعًا؛ واحدة أرادت الحرق ليس كرد فعل للخوف والألم، بل بغضب نبع من القوة. غضب التعرض لعدم الاحترام، وللتحدي.

بدت هذه النار أكثر حرارة. وأكثر ظلمة.

أدركت رين بقشعريرة أنها أحبت هذا الشعور نوعًا ما.

كانت أقرب ما يكون للمنيعة بقدر ما يمكن للبشر الوصول إليه، وجينتشو كانت على وشك السقوط في حضنها.

لا تغتري أبدًا، كان إيرجاه مولعًا بتكرار ذلك. الحرب الحقيقية لا تسير أبدًا وفق الخطة.

أوه، لكنها سارت كذلك، عندما كانت القوى الفاعلة بهذا القدر من عدم التوازن، لأنه حتى حتمية الصدفة لا يمكنها إلغاء التفاوت اللانهائي بين الآلهة والبشر. راقبت المعركة تتكشف، تنطبق تمامًا على رقعة الشطرنج في عين عقلها. سقطت القطع بدفعة إصبع، فقط لأنها أرادت لها ذلك. تحطمت مدن.

استغرق الأمر منها لحظة طويلة لتلاحظ أن صليل الفولاذ قد خمد منذ فترة، أن لا أحد يطلق النار عليها، أن لا أحد يندفع للأمام. فقط عندما سحبت النيران بعيدًا رأت الأعلام البيضاء، المسودة الآن عند الحواف، تلوح من كل باب لكل مبنى.

استسلمت المدينة للجيش الجنوبي منذ وقت طويل. كانت هي الوحيدة التي كانت لا تزال تقاتل.

***

انتهت المعركة بعد ساعة بالكاد من بدايتها. قبلت رين استسلام جينتشو، وتحول جنودها من الاندفاع المحموم للمعركة إلى عمل الاحتلال الكئيب. ومع ذلك، حتى مع استعادة النظام في المدينة، استمرت الأرض في الاهتزاز، مهزوزة

بسلسلة من الانفجارات البعيدة التي تردد صداها بقوة لدرجة أن أسنان رين اهتزت في جمجمتها.

فقد دولين السيطرة.

لكنها توقعت هذا. كانت هذه النتيجة الأسوأ، والأكثر ترجيحًا. استعدت لها. إذا لم يستطع دولين استدعاء الوعي لتهدئة عقله بالأفيون، فستجبره هي عليه.

استدارت على عقبها وانطلقت عائدة عبر المدينة المتفحمة نحو الجدار المفتوح. ومضت نيرانها واختفت — كانت مذعورة جدًا للتركيز على الغضب الآن — لكن لم يكلف أحد نفسه عناء مهاجمتها. المدنيون والجنود على كلا الجانبين كانوا يفرون جميعًا من المدينة المرتجفة، يراوغون وينسجون طريقهم بينما تمزقت كتل ضخمة من الحجر من جوانب المباني وتحطمت في التراب.

علا الدوي. بدأت شقوق عظيمة تمزق الأرض كجروح فاغرة تركها وحش غير مرئي. رأت رين رجلين أمامها يختفيان، يصرخان، بينما انفتحت الأرض تحتهما. لأول مرة في هذه الحملة، كسر خنجر من الخوف هدوءها.

السلحفاة العظيمة تذوقت طعم الحرية. وأرادت المزيد. إذا استمر هذا، فسيضع دولين المدينة بأكملها في جوف الأرض.

لكن بأعجوبة، بدت الأرض أهدأ كلما اقتربت رين من الجدار الشرقي. أدركت أن الهزات كانت تنتشر بنمط دائري، والضرر يتموج للخارج عكسيًا، مكتسبًا قوة تدميرية بدلًا من التلاشي عند الأقطار الأكبر. لكن المركز — الأرض تحت قدمي دولين — كان هادئًا.

بالطبع. السلحفاة العظيمة أرادت التحرر. أرادت رؤية السماء. قد تدفن كل شيء في جوارها، لكنها لن تدفن مضيفها الفاني.

كان دولين منحنيًا حيث تركته، يداه تقبضان على رأسه وهو يصرخ. لمحت رين بيباجي جاثمة على بعد عدة ياردات، نصف راكعة وكأنها لا تستطيع تقرير ما إذا كانت ستقفز عليه أم لا. اتسعت عيناها عندما رأت رين.

– "هل يجب أن..."

– "ليس بعد". دفعتها رين بعيدًا عن الطريق. "تراجعي".

تخبط دولين عنى أنه لا يزال يقاتل. السلحفاة العظيمة لم تفز بعد؛ لا يزال بإمكانها إعادته. فكرت عابرًا في محاولة الصراخ عليه لإخضاعه، بالطريقة التي فعلها ألتان لـ سوني مرات عديدة.

لكن جينتشو كانت تتفتت. لم يكن لديها الوقت.

ركضت للأمام، خفضت رأسها، وعرقلته عند الخصر.

ارتطم بالأرض بلا مقاومة. نسيت رين كم كان ضعيفًا حقًا، مراهق مغزلي كان يعاني من سوء تغذية مزمن لعدة أشهر. تخبط تحتها، لكن بلا جدوى؛ ثبتته ساكنًا باستخدام ركبتيها فقط.

علا الدمدمة. سمعت تحطمًا آخر يصم الآذان من داخل حدود المدينة. مبنى آخر سقط لتوّه. تخبطت بسرعة في جيبها الخلفي بحثًا عن كيس الأفيون، مزقته بأسنانها، وهزت محتوياته على التراب.

قوس دولين ظهره، يتلوى تحتها. هربت أصوات غرغرة مروعة من حلقه. انتقلت عيناه ذهابًا وإيابًا، تتبدلان بين البني والأسود اللامع كلما رمش.

همست:

– "اثبت".

تسمرت عيناه على عينيها. شعرت برفة خوف بينما ثقب شيء قديم وغريب روحها. التوت ملامح دولين في تعبير رعب مطلق، وبدأ يبح بكلمات حلقية بلغة لم تستطع التعرف عليها.

خطفت رين القطع عن التراب وحشرتها كلها في فمه.

جحظت عيناه.

اندفعت للأمام وأطبقت يدها بإحكام على فمه، ضاغطة فكه ليغلق بقدر ما استطاعت. قاوم دولين، لكن رين ضغطت بقوة أكبر، مستخدمة جذع يدها

المبتورة للضغط على عنقه لزيادة الثقل، حتى رأت تفاحة آدم في حلقه تتحرك أخيرًا وهو يبتلع. بعد عدة دقائق، وبمجرد أن تسرب الأفيون إلى مجرى دمه، سكنت الأرض أخيرًا.

أفلتت رين فك دولين ومدت يدها تحت عنقه لتتحسس نبضه. كان ضعيفًا، لكنه مستمر. صدره لا يزال يرتفع ويهبط. جيد — لم تخنقه حتى الموت.

نادت بيباجي المنكمشة خوفًا:

— "أحضري ليانهوا".

كانت الرغوة تبقبق على جانبي شفتي دولين الباردتين، وتساءلت رين بشكل عابر عن السرعة التي يمكن لتسمم الأفيون أن يقتل بها شخصًا.

— "كوني سريعة".

***

بينما كانت جينتشو تسقط، أدرك قاضي المدينة أن الهزيمة تعني الموت على الأرجح، لذا هرب من البوابات الخلفية مختبئًا تحت جيف الخنازير في عربة مواشي. ترك زوجته الحامل وأطفاله الثلاثة خلفه، متارسين في الغرفة الداخلية لقصرهم، حيث عُثر عليهم بعد عدة ساعات مختنقين تحت الأنقاض المنهارة.

علمت رين بكل هذا بينما كانت قواتها تفرض سيطرة سريعة وفعالة على المدينة.

قالت القائدة ميراغا:

— "كل من استجوبناهم أكدوا أنه يتجه شرقًا". كانت شابة ذات كفاءة وحشية، إحدى مرؤوسات تشولانغ من إقليم الكلب، وسرعان ما أصبحت واحدة من أكثر ضباط رين قدرة. "لديه حلفاء في الإقليم المجاور. ماذا تريدين أن تفعلي؟"

أمرت رين:

— "طاردوه. طاردوا أي شخص هرب من المدينة، ولا تتوقفوا حتى تسحبوهم عائدين إلى الزنازين. لا أريد لأحد خارج جينتشو أن يعرف ما حدث هنا اليوم".

من بين كل دروس سوجي، كان الدرس الذي رسخ بقوة هو أنه في حملات المقاومة، تباين المعلومات يهم أكثر من أي شيء آخر. ساحة اللعب تعادلت نوعًا ما الآن، لكن رين ما زالت لا تريد لـ نزهة أن يعرف أن جيشها يمتلك شامانات جددًا حتى يصبح من المستحيل إخفاء دولين وبيباجي. عرفت أنها لا تستطيع كتمان هذا السر طويلًا، لكن لا جدوى من منح نزهة وقتًا إضافيًا للاستعداد.

ضغطت ميراغا:

— "قتل أم أسر؟"

توقفت رين، تفكر.

كان لذلك السؤال تأثير على القضية الأكبر المتعلقة بكيفية التعامل مع احتلال جينتشو. معظم الحروب الأهلية، مثل حملة فايسرا، خيضت عبر إعادة تعريف الحدود الإقليمية. الحفاظ على أرض العدو كان صعبًا، لذا كان التطعيم في هياكل السلطة المحلية تاريخيًا هو أسهل طريقة للسيطرة بسلاسة على مدينة دون انهيار الوظائف المدنية. لو أرادت رين لـ جينتشو أن تستأنف وظائفها الطبيعية، لكانت ستحاول إبقاء أكبر عدد ممكن من المسؤولين الهاربين على قيد الحياة. لكنها كانت تركز على الحصول على الموارد، لا الأراضي — لم يكن لديها القوات لتتمركز في كل مدينة تقف بينها وبين أرلونغ.

بالطبع، لم تكن تلك استراتيجية لحكم مستدام طويل الأمد. لكن رين لم تكن معنية بالحكم طويل الأمد الآن. أرادت موت نزهة، وانهيار الجمهورية،

وتحرير الجنوب، وطرد الهسبيريين. لم تهتم كثيرًا بما يحدث لقلب نيكان في الفترة المؤقتة.

على الأرجح ستسقط هذه المنطقة في فوضى مؤقتة بينما تعيد القوى المحلية تأسيس نفسها أو تقع ضحية لانقلابات انتهازية. حروب صغيرة ستندلع حتمًا. وقطاع الطرق سيعيثون فسادًا.

كان عليها تأجيل كل ذلك كمشكلة لوقت لاحق. لن يكون من الصعب إعادة فرض السيطرة بعد هزيمة الجمهورية. ستكون البديل الوحيد المتبقي. من ذا الذي يمكنه تحديها؟

قالت لـ ميراغا:

— "قوموا بأسرهم إن استطعتم. لكن لا داعي لبذل جهد إضافي لذلك".

***

لبقية فترة ما بعد الظهر، نهبت قوات رين ثروات جينتشو.

فعلوا ذلك بأكبر قدر ممكن من الأدب، وبأقل قدر من الوحشية. أصدرت رين أوامر صارمة لجنودها بترك المدنيين المذعורים ومنازلهم وشأنهم. حتى مع احتساب المباني التي حطمها زلزال دولين، كانت جينتشو ترفل في ثراء فاحش لدرجة أن الدمار بالكاد أحدث خدشًا؛ المستودعات، ومخازن الحبوب، والمتاجر التي بقيت قائمة كانت لا تزال تنفجر بسلع تكفي لإعالة الجيش لأسابيع. حملت قوات رين عرباتها بأكياس الأرز، والحبوب، والملح، واللحم المجفف؛ وأعادت ملء مخازنها من الضمادات والمستحضرات الطبية؛ واستبدلت عرباتها الصدئة والمتهالكة بمركبات جديدة ذات عجلات ومحاور تلمع بالفضة تحت ضوء الشمس.

أفضل اكتشافاتهم على الإطلاق كانت لفافات ولفافات من الكتان القطني والحرير المكدسة في أكوام ضخمة داخل مستودع للمنسوجات. الآن يمكنهم صنع ضمادات. الآن يمكنهم إصلاح أحذيتهم، التي كانت مهترئة جدًا بعد

المسيرة فوق باولي لدرجة أن العديد من جنود رين خاضوا معركة جينتشو حفاة. والآن، لأول مرة في تاريخه القصير، سيكون للجيش الجنوبي زي موحد.

حتى الآن كانوا يقاتلون بنفس الأسمال التي ارتدوها عند خروجهم من الإقليم الجنوبي. في المعركة ميزوا أنفسهم بخطوط من الطين كما اقترح سوجي عندما كسروا (خلية النحل)، أو بارتداء أي شيء ليس أزرق اللون وآملين ألا يُقتلوا بنيران صديقة. لكن الآن لدى رين قماش، وأصباغ، ونقابة مذعورة من خياطات جينتشو الماهرات المتلهفات للامتثال لكل طلباتها.

طلبت منها الخياطات اختيار لون. اختارت البني، بشكل أساسي لأن الأصباغ البنية كانت الأرخص، مصنوعة من العفص الموجود بسهولة في لحاء الأشجار، والقشور، وأكواب البلوط. لكن البني كان ملائمًا أيضًا. الزي الأول للجيش الجنوبي كان ترابًا من قاع نهر. عندما خلقت الإلهة الحلزونة نوا البشر الأوائل، صاغت الأرستقراطية بحب من أجود الطين الأحمر، ثم فقدت صبرها، وشكلت البقية بسرعة من الوحل. في سينغارد، نعتوها بـ "عامية طينية البشرة" كثيرًا لدرجة أن الإهانة بدت الآن كدعوة مألوفة لحمل السلاح.

ليدعونا بالتراب، فكرت رين. هي تراب. وجيشها تراب. لكن التراب شائع، وموجود في كل مكان، وصبور، وضروري. التربة تمنح الحياة للبلاد. والأرض دائمًا تسترد ما هو دين لها.

***

قال كيتاي:

— "يا للسلحفاة العظيمة. قد تظنين أن هذا قصر حاكم حرب".

وقفا في قاعة المجلس الرئيسية بمبنى بلدية جينتشو، غرفة واسعة بأسقف عالية، وجدران حجرية منحوتة بإتقان، ونسيجيات مزخرفة بالخط يبلغ طولها عشرة أقدام تتدلى في كل زاوية. رفوف طويلة مذهبة زينت كل جدار، تعرض

مجموعة من المزهريات الأثرية، والسيوف، والميداليات، والدروع التي يعود تاريخها لزمن "الإمبراطور الأحمر". بأعجوبة، نجا كل ذلك من الزلازل.

شعرت رين بذنب لذيذ وهي تتفحص الغرفة وكنوزها. شعرت وكأنها طفلة مشاغبة تعبث في خزانة والديها. لم تستطع التخلص من الشعور بأنه لا ينبغي لها أن تكون هنا، وأن لا شيء من هذا يخصها.

بل يخصكِ، ذكرت نفسها. لقد غزوتهم. سويتِ هذا المكان بالأرض. أنتِ فزتِ.

سيبيعون كل شيء، بالطبع. جاؤوا هنا للعثور على كنوز يمكنهم تحويلها لفضة عبر طرق تجارة مواغ. بينما مررت أصابعها فوق مروحة حريرية، تخيلت رين نفسها للحظة عابرة وهي تلوح بها، مرتدية حرائر مزخرفة من النوع الذي اعتادت داجي ارتداءه، محمولة عبر حشود معجبة على هودج مذهب.

دفعت الصورة بعيداً. الإمبراطورات يحملن مراوح. الجنرالات يحملن سيوفًا.

قال كيتاي:

— "انظري. شخص ما كان يقدر نفسه عاليًا بالتأكيد".

كان كرسي القاضي في نهاية الغرفة مزخرفًا لدرجة تثير الضحك، عرش يليق بإمبراطور أكثر منه بمسؤول مدينة.

قالت رين:

— "أتساءل كيف تمكن من خوض أي اجتماعات". كان الكرسي مثبتًا بمسامير على منصة مرتفعة حوالي نصف قدم عن الأرض. "عليك أن تمد عنقك فقط لتنظر لأي شخص".

نخر كيتاي:

— "ربما كان قصيرًا جدًا وحسب".

بدافع الفضول، صعدت رين واستقرت في الكرسي. خلافًا للتوقعات، صمم المقعد في الواقع لشخص أطول منها بكثير. تأرجحت قدماها بطفولية من

الحافة، بعيدتين كل البعد عن ملامسة الأرض. مع ذلك، لم تستطع منع شعور صغير بالإثارة وهي تنظر عبر الغرفة المذهبة وطاولة المجلس الطويلة التي جلست على رأسها. تخيلت المقاعد مليئة بالناس: جنود، ومستشارين، ومسؤولي مدينة كلهم يستمعون بانتباه لأوامرها.

هل هكذا كان الشعور، يومًا بعد يوم، أن تحكم؟ هل هكذا شعر نزهة وهو جالس داخل قاعات أرلونغ السماوية، في منتصف الجانب الآخر من البلاد؟

عرفت جيداً طعم القوة المطلقة والمهيمنة. لكن بينما جلست على العرش المغزو، تحدق في المقاعد الفارغة بالأسفل، فهمت لأول مرة السلطة اللذيذة التي ترافقه. لم يكن هذا طعمًا ورثته عن ألتان، لأن ألتان لم يهتم قط سوى بالانتقام المدمر. ألتان لم يحلم أبدًا بالاستيلاء على عرش.

لكن رين يمكنها أن تحترق، وكانت تحترق، بوهج أسطع بكثير مما فعل ألتان يومًا.

لا عجب أن نزهة اختار جمهوريته عليها. كانت لتفعل الشيء نفسه في طرفة عين.

استمتع بجمهوريتك، فكرت، وأصابعها تتكور ضد مسند الذراع البارد. استمتع بها ما دامت قائمة أيها المارشال الشاب. ألقِ نظرة جيدة على عظمتك، وتذكر جيدًا كيف هو الشعور. لأنني قادمة لأحرق كلَ شيء تحت قدميك.

الفصل السادس والعشرون

في "مبادئ الحرب"، كتب الاستراتيجي سونزي بإسهاب عن مفهوم أطلق عليه اسم (شي)، والذي تُرجم بشكل مبهم من النيكارية القديمة إلى "طاقة" أو "نفوذ" أو "ميزة استراتيجية". (شي) كانت المياه المندفعة بسرعة شديدة في مجرى النهر بحيث يمكنها زحزحة الحجارة من قيعان الأنهار. (شي) كان دمار الصخور المتدحرجة أسفل منحدر جبلي حاد. (شي) أملى أن الطاقة، عندما تكون حاضرة، تتراكم وتتضخم نفسها.

كان انتصار رين في (جينتشو) الدفعة التي أرسلت الصخرة الأولى لتتدحرج.

أصبحت الأمور سهلة للغاية بعد ذلك. لم يمتلك نزهة القوات للدفاع عن أراضيه النائية، فتراجع بسرعة إلى الجنوب الشرقي، عائدًا خلف جبال (تشينلينغ) و(دابا) التي خدمت كدفاعات طبيعية لـ أرلونغ. بعد تعرضه للهجوم على جبهتين، اتخذ القرار الاستراتيجي الوحيد الذي استطاعه —تركيز دفاعاته في إقليم التنين، تاركًا بقية الجمهورية لتتدبر أمرها بنفسها.

في طريقهم عبر إقليم الكبش، لم تصادف قوات رين شيئًا سوى حقول محروقة وقرى مهجورة —دليل على مدنيين أُمروا بحزم أمتعتهم بين عشية وضحاها والتراجع إلى الجبال أو خلف الخطوط الجمهورية. أي شيء لم يستطع اللاجئون أخذه، تركوه في الشمس ليفسد. في مناسبات عديدة، تعثر الجيش الجنوبي بأكوام وأكوام من جثث الحيوانات، والذباب يطن فوق خنازير مشقوقة البطون كان لحمها ربما جيدًا قبل يومين أو ثلاثة فقط.

كان هناك مبدأ كلاسيكي في الحرب النيكارية: عند مواجهة غزو العدو، أخلِ الريف وشيّد أسوارًا عالية. عندما بدت الأمور وخيمة، دمر القادة النيكارا المستوطنات الريفية ونقلوا الطعام والناس والإمدادات خلف المدن المسورة لمنعها من أن تصبح أصولًا للعدو. ما لا يمكن نقله كان يُحرق، أو يُسمم، أو يُدفن. كانت أقدم ممارسة للتقاليد العسكرية النيكارية، وضاعفت معاناة الأبرياء. شخص ما يريد غزوك، وشخص آخر يريد منعك من التحول إلى أصل، وأنت تُنتهك من كلا الجانبين.

من (الموغين)، كان مثل هذا الهدر المسرف ليكون فعل تحدٍ حاقد. لكن من نزهة، الذي لديه أقاليم ليحكمها ورعايا ليحميهم، كانت هذه العلامة القصوى للضعف. عنت أن حلفاءه الهسبيريين كانوا يتخلون عنه. وعنت أنه يعرف أنه لا يستطيع إيقاف الجنوبيين من الزحف نحو إقليم التنين؛ كان بإمكانه فقط محاولة إبطائهم.

لكن الجيش الجنوبي امتلك (شي). ولا يمكن إبطاؤه. كانت قوات رين تحلق عاليًا بنشوة النصر. امتلكوا سيوفًا أحد الآن، ودروعًا أفضل، وطعامًا أكثر مما يمكنهم أكله. كانوا يقاتلون بمهارة وطاقة أكبر مما فعلوا من قبل. شقوا طريقهم عبر الريف كسكين يقطع "التوفو". في أغلب الأحيان، استسلمت القرى دون أن يضطروا لرفع إصبع؛ حتى أن بعض القرويين تطوعوا بسهولة، سعداء بفرصة الحصول على عملة ثابتة ووجبتين مشبعتين يوميًا.

كان انقلاب الحظوظ مذهلًا. قبل أشهر، قادت رين مسيرة يائسة إلى الجبال، وقامرت بحياة الآلاف على أضأل فرصة للبقاء. الآن كانت تزحف في موقف هجومي، ونزهة فقد تقريبًا كل شيء جعله مخيفًا لها. كان ملكًا صبيًا، يعرج بدعم من حليف متمرد، والذي، بناءً على السماء الهادئة، أعاد النظر بقوة في التزاماته. في هذه الأثناء، امتلكت رين جيشًا يتضخم ثقة، وخبرة، ومؤنًا. وفوق كل ذلك، كان لديها شامانات.

وكانوا يؤدون بشكل رائع. بعد انهيار دولين الوشيك في (جينتشو)، لم تتوقع رين أن يصمدوا طويلًا. ظنت أنها قد تحصل على بضعة أسابيع من الاستخدام منهم على الأكثر قبل أن يموتوا حتمًا في المعركة أو تضطر لقتلهم. كانت قلقة بشكل خاص بشأن ليانهوا، التي كانت تغرق بانتظام في غيبوبة جمودية طوال اليوم بعد نوباتها في واجب الفرز الطبي. أخاف هذا بيباجي لدرجة أنها سرعان ما أصبحت مرعوبة من استدعاء إلهها الخاص، وكان يجب استمالتها للمشاركة في المعارك القليلة التالية.

لكن الثلاثة كانوا يزدادون استقرارًا بمرور الوقت. بصرف النظر عن حادثة وجيزة عندما ضُرب دولين في كتفه بسهم وتسبب بالخطأ في زلزال شق ساحة المعركة بأخدود بعمق عشرة أقدام، لم يفقد السيطرة مرة أخرى أبدًا. تناقصت نوبات غيبوبة ليانهوا إلى مرة في الأسبوع، ثم توقفت تمامًا. تمكنت بيباجي من التغلب على توترها؛ بعد ثلاثة أسابيع من جينتشو، تسللت إلى قرية متنكرة كلاجئة وقضت على خط دفاعها بالكامل في تلك الليلة بالانزلاق عبر صفوفهم، لامسة بأصابعها كل رقعة من الجلد المكشوف.

تعلموا جميعًا التأقلم بطرقهم الخاصة. بدأ دولين التأمل ليلًا، جالسًا القرفصاء على التراب لساعات متواصلة. غنت ليانهوا لنفسها وهي تعمل لتبقي نفسها مرتبطة بالواقع، مارة عبر مجموعة واسعة من الأغاني الشعبية والأهازيج بطبقة سوبرانو جميلة بشكل لافت. بدأت بيباجي تختفي من المخيم كل مساء بعد العشاء بوقت قصير، ونادرًا ما عادت إلا بعد الغسق.

في إحدى الليالي، تبعتها رين، قلقة قليلًا، خارج المخيم. شعرت بالارتياح لاكتشاف أن كل ما فعلته بيباجي هو الوقوف ساكنة في الغابة، محاطة بالأشجار دون أي بشر آخرين في الأفق، وتتنفس.

قالت بيباجي بعد فترة:

— "أنتِ لستِ بارعة جدًا في الاختباء."

خطت رين إلى الفسحة.

– "لم أرد إزعاجك."

– "لا بأس." بدت بيباجي محرجة نوعًا ما. "أنا لا أبقى هنا أبدًا لفترة طويلة جدًا. أحب فقط الذهاب حيث الهدوء. حيث لا يوجد أحد يمكنني إيذاؤه. إنه، ممم، مريح."

شعرت رين بوخزة غريبة في صدرها.

– "هذا حكيم."

– "يمكنكِ البقاء إن أردتِ."

رفعت رين حاجبيها، متأثرة نوعًا ما.

– "شكرًا لكِ."

للحظة وقفتا جنبًا إلى جنب، تستمعان إلى صرير الحشرات. كان الأمر، كما وافقت رين، مريحًا بشكل غريب.

قالت بيباجي فجأة:

– "أنتِ لا تعودين لطبيعتك."

– "همم؟"

– "لاحظت عينيكِ. إنهما حمراوان دائمًا. عيوننا تعود لطبيعتها. عيناكِ لا تفعلان. لماذا؟"

– "لأنني ذهبت بعيدًا جدًا." قالت رين. كانت تكذب جزئيًا فقط. "لا أستطيع إغلاق الباب بعد الآن."

سألت بيباجي:

– "إذًا ما الذي يعيدك؟ لماذا لم تفقدي عقلكِ مثل... مثل البقية منهم؟"

فكرت رين في إخبارها عن رابط "المرساة". لكن ما الجدوى؟ ذلك الخيار لن يكون ممكنًا أبدًا لبيباجي —كشفه سيكون قاسيًا فحسب. وكلما قل عدد الأشخاص الذين عرفوا عن كيتاي، كان ذلك أفضل.

لقد أحبت بيباجي، لكنها لم تكن لتأتمن الفتاة على حياتها.

قالت بعد صمت:

– "عقدت صفقة مع إلهي. وقد تعلم البقاء مكانه."

– "لم تخبرينا عن ذلك."

– "لأنها النتيجة الأقل احتمالًا. كنتم تعرفون كيف سينتهي هذا. لا جدوى من منحكم أملًا."

خرجت كلماتها مسطحة وباردة. لم تستطع التفكير في أي شيء مطمئن لتقوله، واشتبهت أن بيباجي لا تريد سماعه. عرف كل مجنديها أن هذا لا يمكن أن ينتهي إلا بطريقتين بالنسبة لهم: الموت، أو (تشولو كوريك). لقد حذرتهم مرارًا وتكرارًا؛ وتأكدت من أنهم يفهمون أن التطوع كان حكمًا بالإعدام.

قالت بيباجي بعد صمت طويل:

– "أنا لن أنجو من هذه الحرب."

– "أنتِ لا تعرفين ذلك."

هزت بيباجي رأسها.

– "لست قوية بما يكفي. ستقتلينني. ستحتاجين لقتلي."

رمقتها رين بنظرة مشفقة. ما الفائدة التي سيجلبها الكذب؟

– "هل تريدين مني أن أقول إنني آسفة؟"

نخرت بيباجي.

– "لا. كنا نعرف ما وقعنا عليه."

وكان ذلك كل ما تطلبه الأمر لتهدئة ضمير رين. لم تفعل أي شيء خاطئ إذا اختاروا هذا بأنفسهم. دولين، وليانهوا، وبيباجي كانوا لا يزالون هنا لأنهم قرروا أن الأمر يستحق العناء. لقد توقعوا وقبلوا موتهم. عرضت عليهم أسلحة، الأسلحة الوحيدة القوية بما يكفي لتغيير عالمهم البائس، وقد أخذوها. كانت هذه الخيارات التي تنتجها الحرب.

بعد عدة أسابيع احتلوا بلدة ساحلية صغيرة على نهر (موروي) الغربي عند الحدود بين إقليم الكبش وإقليم الأرنب، وأقاموا معسكرًا بانتظار صديقة قديمة.

– "حسنًا، انظروا إليكِ." نزلت تشيانغ مواغ، ملكة قراصنة أنخيلون، عن ممر السفينة وسارت عبر الرصيف بابتسامة عريضة على وجهها. "انظري ماذا صنعتِ بنفسك."

قالت رين:

– "مرحبًا، مواغ."

تأملتا بعضهما البعض للحظة. ثم، ولأن مواغ لم تحاول بعد غرز سكين في ظهرها، لوحت رين للعشرين راميًا المختبئين الذين كانوا ينتظرون لوضع سهم عبر رأسها.

قالت مواغ عندما رأتهم يتفرقون:

– "لطيف."

– "تعلمت ذلك منكِ." قالت رين. "لست متأكدة تمامًا أبدًا في أي جانب أنتِ."

نخرت مواغ.

– "أوه، فلنسمِّ الأشياء بمسمياتها. الجمهورية انتهت. ذلك الفتى الصغير الجميل الذي لديهم على عرش أرلونغ لا يمكنه إدارة حتى قرية دون مساعدة والده. أنا أعرف أين ألقي بأوراقي."

بدت مقنعة، لكن رين كانت أعلم من أن تأخذ كلماتها على محمل الجد. مواغ كانت، وستظل دائمًا، عبئًا. صحيح أنها منحت رين ملاذًا آمنًا في أنخيلون بعد هروبها من أرلونغ، لكنها لم ترفع إصبعًا للمساعدة منذ غادرت رين إلى الجنوب. طوال هذه الحرب ظلت مواغ مختبئة في أنخيلون، تعزز أساطيلها ضد هجوم هسبيري متوقع. كانت مواغ تؤمن رهاناتها، تنتظر لتر ما إذا كانت ستكون أفضل حالًا بمقاومة الجمهورية أو باللعب وفق قواعدها.

الزخم كان في صالح رين الآن. لكن إذا ساء أي شيء، فمن المرجح تمامًا أن تبيعها مواغ لأرلونغ. لقد فعلتها من قبل.

في الوقت الحالي، كانت رين مستعدة لابتلاع تلك المخاطرة. احتاجت للذخيرة—كل مسحوق النار، والمدافع، والصواريخ التي لم تتمكن من نهبها. تكتيكات الحرب المتنقلة عملت جيداً بما فيه الكفاية على المدن ضعيفة الدفاع التي سحب منها نزهة قواته على عجل. لكنها احتاجت لمدفعية حقيقية لاختراق عرين التنين.

ضربت مواغ بكف عريضة على كتف رين.

— "من الجيد رؤيتك مسؤولة. ماذا قلت لكِ؟ لم تكوني مصممة أبداً للخدمة، ناهيك عن الخدمة تحت ثعابين مثل فايسرا. نساء مثلنا ليس لديهن شأن بوضع خدماتهن للبيع."

ضحكت رين.

— "من الجيد رؤيتك."

كانت تعني ذلك. لطالما احترمت مصلحة ملكة القراصنة الذاتية الفجة والعارية. ارتقت مواغ من مرافقة إلى حاكمة المدينة الحرة الوحيدة في نيكان عبر براغماتية قاسية وعبقرية، ورغم أن رين عرفت جيداً أن هذا يعني أن مواغ لم تكن موالية لأحد، إلا أنها ظلت تعجب بها لذلك.

سألتها:

— "ماذا لديكِ لي؟"

— "انظري بنفسك." دست مواغ إصبعين في فمها وصفرت لطاقمها. "بعض الألعاب القديمة، وبعض الجديدة. أظن أنها ستعجبك."

على مدار الساعة التالية، قام طاقم مواغ وقوات رين معًا بتفريغ عشرات الصناديق على ضفة النهر. فتحت مواغ أحدها وركلت الغطاء ليفتح، كاشفة عن توابيت مكدسة في صفوف أنيقة من أربعة.

سألت رين:

— "هل تنجح هذه الحيلة حقًا؟"

— "تنجح إذا ادعيتِ أنهم ضحايا طاعون." أشارت مواغ لواحد من طاقمها. سحب أقرب تابوت من الصندوق، وحشر عتلة تحت الغطاء، ودفع لأسفل حتى انفتح الغطاء بفرقعة. كومة كثيفة من مسحوق النار لمعت في ضوء الشمس، ناعمة ولامعة. شعرت رين برغبة عبثية في الاستحمام بها.

قالت مواغ:

— "إنها حيلة مهربين قديمة. فعالة بشكل صادم. الجميع حذرون، لكن لا أحد يريد الموت."

قالت رين بإعجاب:

— "ذكية."

اقترحت مواغ:

— "احتفظي بالتوابيت. إنها جيدة كحطب."

***

لبقية فترة ما بعد الظهر قايضوا توابيت محشوة بالسيوف، والدروع، والصواريخ، ومسحوق النار مقابل الثروات التي جمعتها قوات رين عبر إقليم الكبش. حدث كل هذا في الخارج على ضفة النهر. لم ترد رين السماح لمواغ بالاقتراب من معسكرها —كلما قلت المعلومات التي جمعتها مواغ عن قواتها كان ذلك أفضل— ولم ترد مواغ التجول بعيداً جداً عن سفنها. كانت ضفة النهر منطقة عازلة هدأت عدم ثقتهما المتبادلة.

كانت مواغ دقيقة. فحصت كل قطعة في كل صندوق مجوهرات، فاركة القطع الأكبر بين أصابعها لتحديد قيمتها قبل الإيماء بإذنها لجنودها لجرها عائدين على متن السفينة.

راقبت رين الخطين يسيران بالتوازي، يتبادلان. كان هناك رمزية جميلة للأمر. كل كنوز مدينة واحدة متخمة، مقابل ما يكفي من الفولاذ البارد ومسحوق النار لإسقاط البقية.

تراجعت مواغ للخلف بينما تم تفريغ الصندوق الأخير من قواربها السريعة.

– "والآن، إذًا. هناك مسألة الدفع."

تراجعت رين بذهول.

– "عما تتحدثين؟"

أرتها مواغ الأرقام التي كانت تسجلها في دفتر الأستاذ.

– "لقد أفرغت لتوّي ضعف كمية الأسلحة التي يدفع ثمنها هذا."

سألت رين:

– "بأي معايير؟ تلك الأسعار ملفقة. نظام تسعيرك بالكامل منهار؛ نحن الوحيدون الذين يشترون الآن. بالكاد ستتمكنين من عقد صفقة في أرلونغ."

قالت مواغ:

– "صحيح. لكن قضاة المدن يشترون دائمًا. وأنا واثقة أن هناك الكثير من الفصائل المحلية التي تتطلع لتحسين دفاعاتها الآن بعد أن عرفوا جميعًا ما هو قادم في طريقهم."

قالت رين بهدوء شديد:

– "إذا حاولتِ فعل ذلك الهراء، فسأقتلك."

تلا ذلك صمت طويل. لم تستطع رين قراءة تعبير مواغ. هل كانت خائفة؟ غاضبة؟ تتداول ما إذا كانت ستضرب أولًا؟

جالت عينا رين حول الشاطئ، ترسم خريطة للتداعيات المحتملة. حركتها الأولى ستكون حرق مواغ في مكانها، لكن كان عليها التحوط ضد "الزنابق السوداء"، التي يمكن لأي واحدة منهن القضاء عليها بدبوس شعر مسموم ومصوب جيدًا. إذا وسعت نطاقها يمكنها القضاء على الزنابق أيضًا، لكنهن كن مختلطات بالقوات الجنوبية، بالتأكيد عن عمد. إذا قتلت مواغ، فسيتعين عليها تكبد عشرة إصابات على الأقل.

تكونت أصابعها في قبضة. يمكنها امتصاص تلك الخسائر؛ لن يلومها أحد على ذلك. لكن كان عليها أن تضرب أولًا.

فجأة انفجرت مواغ ضاحكة، ضحكة عميقة ومجلجلة أفزعت رين.

— "أثداء النمر." صفقت مواغ بيد على كتفها، مبتسمة. "متى نمت لكِ خصيتان ضخمتان هكذا؟"

أجبرت رين، التي شعرت بارتياح جامح، تكشيرتها على التحول لابتسامة. تابعت مواغ:

— "لكنني سآتي للتحصيل." وعدلت بسرعة، ملاحظة عبوس رين: "ليس فورًا. أريد أن أراكِ تنجحين، أيتها السبيرية الصغيرة. لن أقف في طريقك. لكن من الأفضل أن تبدئي التفكير في كيفية جمع بعض الأرباح من إمبراطوريتك."

جعدت رين أنفها.

— "أرباح؟ أنا لا أدير عملًا تجاريًا هنا..."

— "صحيح. أنتِ على وشك إدارة أمة." عبرت وجه مواغ نظرة مألوفة من الشفقة المتعالية، النظرة التي كانت تضعها دائمًا عندما ظنت أن رين تتصرف بسذاجة خاصة. "والأمم تحتاج للفضة يا فتاة. الحرب مكلفة. عليكِ أن تدفعي لجنودك بطريقة ما. ثم عليكِ أن تردي الجميل للجماهير التي دمرتِ أوطانهم لتوك. أين يفترض بهم أن يعيشوا؟ ماذا سيأكلون؟ تحتاجين للخشب لإعادة بناء مستوطنات القرى. تحتاجين للحبوب لدرء المجاعة التي تواجهينها، بما أنني أضمن أن محاصيلك هذا العام ستكون هراءً. لا أحد يحرث عندما تكون هناك حرب جارية. إنهم مشغولون جدًا بكونهم، كما تعلمين، لاجئين."

— "أنا..." لم تعرف رين ماذا تقول. كان عليها الاعتراف بأن تلك مشاكل حقيقية، مشاكل كان عليها التعامل معها في النهاية، لكنها بدت بعيدة جدًا لدرجة أنها لم تفكر فيها قط. بدت تلك مشاكل جيدة لامتلاكها، لأنه بحلول الوقت الذي تصبح فيه ذات صلة، سيعني ذلك أنها فازت. لكن ما الفائدة من

أحلام اليقظة حول إمبراطورية بينما لا يزال نزهة يحكم الجنوب الشرقي؟ "أنا لم..."

– "آه، لا تبدي خائفة هكذا." ربتت مواغ على كتفها بتعالٍ. "ستجلسين على عرش من الثروات قريبًا بما يكفي. هذا ما أحاول إخبارك به.

(الكونسورتيوم) يريد أن يكون هنا لسبب. كل تلك الحراير؟ الخزف؟ رواسب التنجستن؟ المزهريات العتيقة؟ يريدون ذلك الهراء، وسيدفعون مالًا جيدًا لأجله."

قالت رين:

– "لكنهم لن يتاجروا معنا. أليس كذلك؟ أعني، إذا فزنا، ألن يفرضوا حصارًا علينا فقط؟"

بسطت مواغ يديها في إيماءة كريمة.

– "سيرفضون، على الورق، التجارة مع إمبراطورية نيكان. لكن لدي سفن وفيرة، وأعرف مليون طريقة لإخفاء قنوات التجارة بحيث لا تأتي منكِ مباشرة. يمكنكِ دائمًا إيجاد طريقة للبيع عندما يكون هناك طلب. سآخذ حصة، بالطبع."

كانت رين لا تزال مرتبكة.

– "لكن إذا كانت بضائع نيكارية التي يشترونها، ألن يعرفوا..."

– "بالطبع سيعرفون." هزت مواغ رأسها، ملقية بتلك الابتسامة المشفقة مرة أخرى. "الجميع يعرف. لكن هذا هو عمل إدارة الدولة. الأمم تنهض وتسقط، لكن الشهية تبقى كما هي. ثقي بي، أيتها السبيرية —ستقومين بنقل الحبوب الهسبيرية بالعربات بعد أسابيع من طردهم من شواطئك، طالما كنتِ مستعدة لإرسال بعض كنوز أرلونغ في المقابل. العالم يسير بالتجارة. أرسلي مبعوثًا عندما تكونين مستعدة للبدء."

***

أصبحت المعارك أصعب كلما تحرك الجيش الجنوبي أبعد شرقًا. توقعت رين ذلك. كانت تطرق باب نزهة الآن جوهريًا؛ لم يكن يفصلهم عن أرلونغ سوى مسيرة عدة أشهر. الآن احتلت قوات جمهورية مدربة جيداً كل مدينة رئيسية في طريقهم. الآن واجهت رين بانتظام تشكيلات مدفعية مسلحة بصواريخ الأفيون، مما أجبرها على أن تصبح أكثر إبداعًا في كيفية وتوقيت نشر الشامانات. في نصف معاركها لم ترسل بيباجي أو دولين على الإطلاق، معتمدة بدلًا من ذلك على الوسائل العسكرية التقليدية لكسر المعارضة. في أغلب الأحيان كانت الشامان الوحيد في الميدان، بما أنها امتلكت تحملًا أعلى للأفيون من البقية؛ كان بإمكانها تحمل ما يقرب من عشرين دقيقة من الدخان، يمكنها خلالها إحداث ضرر لا يحصى قبل أن تضطر للتراجع.

تحول القتال إلى وحشية. لم يعد المدافعون سريعين في الاستسلام؛ في أغلب الأحيان قاتلوا حتى الموت، آخذين معهم أكبر عدد ممكن من الجنوبيين. معدلات إصاباتها، التي كانت بالعشرات، ارتفعت لأرقام ثلاثية.

لكن رين كانت مباركة أيضًا بحقيقة أن قوات نزهة كانت بطيئة بشكل لعين. لم يكونوا متنقلين على الإطلاق. كانوا مدافعين ثابتين —التصقوا خلف أسوار المدينة وحموها بأفضل ما يستطيعون، لكنهم لم يحاولوا أبدًا شن الضربات المتجولة التي ربما كانت لتضع الجيش الجنوبي في مأزق حقيقي.

خمن كيتاي:

— "من المحتمل أن ذلك لأنهم مثقلون بأطنان من المعدات الهسبيرية. البنادق المركبة، ومدافع النار المتعددة، كل تلك الأشياء الثقيلة. ليس لديهم دعم النقل لأخذها على الطريق، لذا فهم مقيدون دائمًا بمكان واحد."

حوّل ذلك قوات نزهة إلى أهداف جالسة وعوض اختلال التوازن التكنولوجي نوعًا ما —التزمت قوات نزهة بخنادقها مع آلياتها الثقيلة، بينما كانت كتائب رين سريعة ورشيقة، دائمًا في الهجوم. كانوا يقاتلون كسلحفاة

وذئب —واحدة تتراجع إلى صدفتها التي تتقلص باستمرار، بينما الآخر يجوب حدودها، منتظرًا أدنى ضعف ليضرب.

ناسب ذلك رين تمامًا. بعد كل شيء، هي وكيتاي ونزهة تعلموا جميعًا منذ عامهم الأول في سينغارد أنه من الأفضل دائمًا، دائمًا، أن تكون في الهجوم.

رغم المقاومة المتزايدة، استمروا أسبوعًا تلو أسبوع في كسب الأرض، بينما تفتتت أراضي نزهة.

عرفت رين أن خسائر نزهة لم تكن خطأه بالكامل. لقد ورث جمهورية متصدعة ومليئة بالاستياء تجاه والده، بالإضافة إلى جيش ضخم وغير عملي سئم من خوض حرب أهلية وُعدوا بأنها ستنتهي بسرعة. كانت دائرته الداخلية تصغر وتصغر، وتقلصت الآن إلى ملحق هسبيري لم يفعل أكثر من إطلاق تعليقات ساخرة حول كيفية سير نزهة نحو خسارة بلد، وحفنة من مستشاري فايسرا القدامى الذين استاءوا لأنه لم يكن والده. سمعت شائعات أنه منذ جبل تيانشان، اضطر بالفعل لإخماد محاولتي انقلاب، ورغم أنه سجن الجناة بسرعة، إلا أن معارضيه تزايدوا فقط.

الأهم من ذلك، كان يفقد دعم الريف.

ظل معظم النخبة النيكارية —الأرستقراطيين، ومسؤولي الأقاليم، وبيروقراطيي المدن— موالين لأرلونغ. لكن القرويين لم يكن لديهم مصالح راسخة في الجمهورية. لم يستفيدوا ماليًا من سياسات نزهة التجارية الجديدة، والآن بعد أن ذاقوا الحياة تحت الاحتلال الهسبيري، ألقوا بدعمهم خلف البديل الآخر الوحيد.

النتيجة كانت أنه بينما تحركت رين جنوبًا، عثرت على شبكة استخبارات مذهلة. في الريف، كان الجميع متصلين بشكل عرضي بالجميع. أصبحت ثرثرة السوق مركزًا للمعلومات الحيوية. لم يهم أن أيًا من مصادرها الجديدة لم يكن مطلعًا على محادثات عالية المستوى، أو أن أيًا منهم لم يرَ خريطة لمواقع القوات قط. رأوا دليلها بأعينهم.

أخبروها: ثلاثة طوابير عبرت هذا النهر قبل ليلتين.

رأينا عربات من مسحوق النار تتحرك شرقًا هذا الصباح.

إنهم يبنون جسورًا مؤقتة عبر النهر عند هذين التقاطعين.

الكثير من هذه الاستخبارات الميدانية من شهود العيان كانت عديمة الفائدة. لم يكن القرويون جواسيس مدربين، ولم يرسموا خرائط دقيقة، وغالبًا ما زينوا قصصهم لتأثير درامي. لكن الحجم الهائل للمعلومات عوض عن ذلك؛ بمجرد أن حصلت رين على تقارير من ثلاثة مصادر مختلفة على الأقل، استطاعت هي وكيتاي تجميعها في صورة مركبة دقيقة في الغالب للمكان الذي رتب فيه نزهة دفاعاته، وأين ينوي الضرب تاليًا.

وذلك، مرة أخرى، أكد ما آمنت به رين منذ بداية حملتها —أن جنوبيي نيكان كانوا ضعفاء لكنهم كثر، وأنهم متحدين، يمكنهم إسقاط إمبراطوريات.

***

قال كيتاي ذات مساء بعد أن سقطت مدينة أخرى في إقليم الأرنب في الأيدي الجنوبية بالكاد مع أنين:

— "لا يمكن أن يكون نزهة يفعل هذا عن قصد. الأمر وكأنه لا يحاول حتى."

تثاءبت رين.

— "ربما هذا أفضل ما يمكنه فعله."

رمقها بنظرة حذرة.

— "لا تغتري بنفسك."

— "نعم، نعم." عرفت أنها لا تستطيع حقًا نسب الفضل في انتصارهم لنفسها. كلاهما عرف أن سلسلة انتصاراتهم المستمرة كانت في جزء كبير منها لأن نزهة ببساطة لم يكرس قوات أو موارد بقدر ما فعلوا.

ولكن لماذا؟

كان عليهم الافتراض في هذه المرحلة أن استراتيجية نزهة المهيمنة كانت التحصن في أرلونغ وتركيز دفاعاته هناك. لكن بالتأكيد كان أذكى من أن يضع كل بيضه في سلة واحدة. كانت أرلونغ مباركة بمجموعة من الدفاعات الطبيعية، لكن اللجوء الافتراضي لعقلية الحصار في وقت مبكر كهذا صرخ إما باليأس أو الجنون.

تمتم كيتاي:

— "لا بد أنه واثق بشأن شيء ما. وإلا فإن التفسير الوحيد الممكن لكل هذا هو أنه جن تمامًا. لابد أن لديه شيئًا في جعبته."

عبست رين.

— "المزيد من المناطيد، تظن؟" لكن ذلك لم يبدُ مرجحًا. لو كان نزهة قد زاد من المساعدات الهسبيرية، لكان قد أخضعهم لغارات جوية بالفعل، بينما كانوا لا يزالون في تضاريس مفتوحة وبعيدة، بدلًا من قرب عاصمته الثمينة. "هل يراهن بكل شيء على التنين؟ تقنية عسكرية جديدة أكثر فتكًا من الشامانية؟"

قال كيتاي:

— "أو تقنية عسكرية يمكنها مواجهة الشامانية."

رمقته رين بنظرة حادة. قالها بسرعة كبيرة—لم يكن تخمينًا.

— "هل تعرف شيئًا؟"

— "أنا، آه، لست متأكدًا."

— "هل قال نزهة شيئًا؟" سألته بحدة. "في المدينة الجديدة، عندما كانت بترا... أعني... هل..."

— "لم يكن يعرف." شد كيتاي بخصلة شعر بشكل غير مريح. "لم تخبره بترا أي شيء أبدًا. لقد مر عبرها—عبر اختباراتها. أعاره الهسبيريون أسلحة. كانت تلك الصفقة التي عرضوها عليه، وقد أخذها. لم يظنوا أن له الحق في معرفة ما كانوا يبحثونه."

— "ربما كان يكذب."
— "ربما. لكنني رأيت نزهة يكذب. لم يكن ذلك كذبًا. كان ذلك يأسًا فحسب."
أصرت رين:
— "لكن لا يوجد شيء يمكن لبترا اختراعه. ليس لديهم شيء. لاهوتهم خاطئ. صانعهم غير موجود. لو كان لديهم أداة مضادة للشامانية، لاستعملوها لحماية أسطولهم، لكنهم لم يفعلوا. كل ما لديهم هو أسلحة تقليدية —مسحوق نار وأفيون— ونحن نعرف كيف نواجه تلك. أليس كذلك؟"
بدا كيتاي غير مقتنع.
— "بقدر ما نعلم."
كتفت ذراعيها، محبطة.
— "اختر جانبًا يا كيتاي. قلت لتوك إنه لا يوجد دليل..."
— "لا يوجد دليل في كلا الاتجاهين. أنا فقط أطرح الاحتمالية، لأننا يجب أن نأخذها في الاعتبار. تعرفين أنه ما لم يكن لدى نزهة شيء كهذا في جعبته، فإن استراتيجيته حتى الآن كانت غير عقلانية تمامًا. ولا يمكننا المضي قدمًا بافتراض الأسوأ عنه."
— "ماذا إذًا؟ تريد التحول عن أرلونغ؟"
فكر كيتاي في الأمر للحظة.
— "لا. لا أعتقد أننا نغير استراتيجيتنا العامة. نستمر في كسب الأرض. نستمر في تعزيز مواردنا. بناءً على المعلومات التي لدينا، نأخذ أرلونغ في الموعد المحدد. لكنني أقول إننا بحاجة لتوخي الحذر."
— "نحن حذرون دائمًا."
رمقها بنظرة متعبة.
— "تعرفين ما أعنيه."

تركا الأمر عند ذلك الحد. لم يكن هناك شيء آخر لمناقشته؛ دون دليل إضافي، لم يكن هناك ما يمكنهما فعله.

بشكل خاص، ظنت رين أن كيتاي مصاب بالارتياب.

ماذا لو لم يكن لدى نزهة سلاح سري؟ ماذا لو كان مقدرًا لنزهة أن يخسر فقط؟ لم تستطع التخلص من الشعور بأنه ربما، ربما فقط، كانت نهاية هذه القصة نتيجة محتومة. بعد كل شيء، أوضحت الأشهر القليلة الماضية أنها لا يمكن هزيمتها. معركة تلو معركة، وانتصارًا تلو انتصار، أصبحت مقتنعة أكثر وأكثر بحقيقة أنها اختيرت من قبل القدر لحكم الإمبراطورية. ما الذي يفسر سلسلة انتصاراتها وهروباتها المذهلة وغير المعقولة؟ لقد نجت من سبير. ومن جولين نيس. ومن مختبر شيرو. قادت جيشًا عبر المسيرة الطويلة. وخرجت منتصرة من جبل تيانشان. تفوقت بذكائها وصمودها على الموغين، والتريفيكتا، وفايسرا. والآن كانت على وشك قهر نزهة.

بالطبع، لم تستطع ترك كل شيء للأقدار. لم تستطع التوقف عن التحضير بدقة لكل معركة لمجرد أنها لم تخسر واحدة بعد. كان التاريخ النيكاني محشوًا بالحمقى الذين تخيلوا أنفسهم ملوكًا. عندما نفد حظهم، ماتوا مثل أي شخص آخر.

لهذا السبب لم تعبر عن هذا الشعور بصوت عالٍ لكيتاي. عرفت ما سيقوله. هيا يا رين. أنتِ تفقدين قبضتك على الواقع. الآلهة لا يختارون أبطالهم. الأمر لا يعمل هكذا.

وبينما فهمت ذلك في الجزء العقلاني من عقلها، إلا أنها لا تزال تعرف أن شيئًا ما تغير عندما نزلت من جبل تيانشان، عندما نجت من انفجار قتل أعظم الشخصيات في التاريخ النيكاني وكاد يمحو الأسطول الهسبيري. تحولت مدات التاريخ. لم تكن تؤمن بالقدر من قبل، لكن هذا ما عرفته بيقين أكبر مع مرور كل يوم: سيناريو العالم كان الآن ملونًا كليًا، وبشكل لا يمكن تغييره، بخط قرمزي ساطع.

***

كان الجزء المفضل لدى رين بلا منازع في الحملة الجنوبية الشرقية هو استحواذ الجيش الجنوبي البطيء على التكنولوجيا العسكرية الهسبيرية وإتقانها. جعلت من الأمر لعبة —القاعدة الدائمة كانت حصصًا مضاعفة من العشاء للكتيبة التي تعود من الاشتباك النشط بأكبر غنيمة من المعدات الهسبيرية العاملة.

كانت معظم القطع التي استعادوها تحسينات طفيفة على معدات يملكونها بالفعل —بوصلات أكثر دقة، وجبائر أقوى للأطباء، ومحاور أكثر متانة لعرباتهم. غالبًا ما وجدوا أدوات غريبة لم يكن لديهم أدنى فكرة عما يفعلون بها —مصابيح صغيرة بلا فتائل لم يعرفوا كيف يشعلونها، وكرات تدق تشبه الساعات لكن أذرعها تقابل أحرفًا وأرقامًا لا يمكن تفسيرها، ومناطيد صغيرة تطن افترضت رين أنها مركبات مراسلة، والتي لم تستطع طيرانها. شعرت بالغباء، تقلب الأجهزة مرارًا وتكرارًا بين أصابعها، عاجزة عن العثور على الضوابط لجعلها تعمل. أبلى كيتاي بلاءً أفضل قليلًا —حدد أخيرًا أن المصابيح تُفعّل بسلسلة من النقرات— لكن حتى هو أصيب بالإحباط من الآلات التي بدا أنها تعمل بالسحر المحض.

على بعد ثلاثة أميال من (بوباي)، وهو معقل جمهوري مهجور حديثًا، وجدوا تحت طبقة رقيقة من التربة صندوقًا مدفونًا على عجل من البنادق (الأركبوس) العاملة.

تمتم كيتاي عندما انتزعوا الغطاء عن الصندوق:

— "تبًا لي. هذه جديدة تقريبًا."

رفعت رين بندقية من أعلى الكومة ووازنتها في يدها. لم تمسك واحدة من قبل؛ لم تجرؤ. كان الفولاذ باردًا كالثلج عند اللمس. كان أثقل مما تخيلت —

وجدت احترامًا جديدًا للجنود الهسبيريين الذين جروا هذه راكضين إلى المعركة.

نظرت إلى كيتاي، الذي تدلى فكه وهو يجثو لفحص الأسلحة. عرفت ما يفكر فيه.

هذه غيرت كل شيء.

لقد وصلوا إلى هذا الحد بقدرات بعيدة المدى ضئيلة. لم يكن هناك سوى بضع عشرات من الرماة في الجيش الجنوبي، ولم تكن صفوفهم تنمو. استغرق الأمر أسابيع ليتعلم الجندي المبتدئ إطلاق سهم بشكل صحيح، وشهورًا إن لم يكن سنوات لإطلاقه بدقة لائقة. تطلبت الرماية قوة ذراع هائلة، خاصة إذا كانت السهام تهدف لاختراق الدروع.

ثاني أفضل شيء امتلكوه بعد السهام كان رماح النار، وهو اختراع جمهوري حديث سمع عنه كيتاي خلال إقامته في المدينة الجديدة، ثم قام بفك شفرته هندسيًا. كانت تلك أنابيب مصنوعة من ست عشرة طبقة من الورق الملفوف الرقيق، أطول قليلًا من قدمين، محشوة بفحم الصفصاف، والكبريت، والملح الصخري، وشظايا الحديد. يمكن للرماح إطلاق ألسنة لهب لما يقرب من عشرة أقدام عند إشعالها، لكنها لا تزال تتطلب مصدر نار جاهزًا للتفعيل، وكانت ترتد بسهولة، غالبًا ما تنفجر في أيدي حامليها.

لكن بنادق الأركبوس تطلبت قوة ذراع أقل من الأقواس، وكانت أكثر موثوقية من رماح النار. كم من الوقت سيستغرق تدريب القوات على إطلاق النار؟ أسابيع؟ أيامًا، ربما، إذا كرسوا وقتهم للاشيء غير ذلك؟ إذا تمكنت من الحصول على عشرين أو ثلاثين جنديًا فقط بمهارة مقبولة في استخدام الأركبوس، فسيفتح ذلك مجموعة من الاستراتيجيات الجديدة التي حلموا بها فقط.

سألت كيتاي:

— "تظن أنك تستطيع اكتشاف كيفية استخدام هذه؟"

ضحك بخفوت، ماسحًا بأصابعه على الأنابيب المعدنية.
– "أعطني حتى الغروب."
لم يستغرق كيتاي سوى فترة ما بعد الظهر قبل أن يستدعيها إلى فسحة، خالية إلا من دزينة من بنادق الأركبوس المفككة المبعثرة على العشب. نقطت حزوز شاحبة صغيرة جذوع كل شجرة في الأفق.
قال مشيرًا إلى أجزاء مختلفة من الأركبوس بينما يتحدث:
– "الأمر في الواقع بسيط للغاية. ظننت أنني سأضطر لاستجواب بعض الأسرى الهسبيريين، لكن التصميم كشف وظيفته بنفسه حقًا. اختراع ذكي جدًا. إنه في الأساس مدفع مصغر—تشعلين بعض مسحوق النار داخل الماسورة، وترسل قوة الانفجار الكرة الرصاصية مرتدة للخارج."
سألت رين:
– "كيف تعمل آلية الإطلاق؟ هل عليهم إشعال شرارة في كل مرة؟"
بدا هذا غير مريح بالنسبة لها، وغير معقول أيضًا؛ بدا الهسبيريون يطلقون النار حسب الرغبة دون التخبط بحثًا عن الصوان.
قال كيتاي:
– "لا، ليس عليهم ذلك. فعلوا شيئًا ذكيًا بالفتيل. إنه فتيل مشتعل بالفعل—يمكنك إشعاله قبل أن تكوني في الميدان. ثم عندما تكونين مستعدة للإطلاق، تضغطين على هذه الرافعة هنا، فتنزل الفتيل إلى المسحوق. نقرة، بوم." مد يده لبندقية سليمة. "هنا، لقد قمت بتلقيم تلك. هل تريدين تجربتها؟"
لوحت له بجذعتها.
– "لست متأكدة أنني أستطيع."
– "سأصوب لكِ." وقف خلفها ولف ذراعيه حول جذعها، مصوبًا الماسورة نحو شجرة سميكة عبر الفسحة. "جاهز عندما تكونين جاهزة."
لفت أصابعها حول المزلاج المعدني.

— "فقط أضغط هذا؟"

— "أجل. تأكدي من تثبيت قدميكِ، سيكون هناك ارتداد ضد كتفك. تذكري، إنه انفجار مدفع مصغر. واسحبيه بقوة، إنه مقاوم تمامًا —لمنع الإطلاق العرضي."

ثنت ركبتيها كما شرح، أخذت نفسًا عميقًا، وسحبت الزناد.

شق دوي الفسحة. ارتدت البندقية للخلف عند صدرها وجفلت، لكن قبضة كيتاي الثابتة منعتها من الاصطدام بضلوعها. تدفق الدخان من الفوهة. أدارت رأسها بعيدًا، تسعل.

قال كيتاي بعد انقشاع الدخان:

— "هذا عيب واحد. يستغرق الأمر بعض الوقت لرؤية ما إذا كنتِ قد أصبتِ أي شيء بالفعل."

سارت رين نحو شجرة في الطرف المقابل من الفسحة، حيث انبسط الدخان في الهواء كتنانين صغيرة. أصابت الكرية الهدف بدقة، حافرة عميقًا في مركز الجذع. دست إصبعها في الأخدود. غاص في الخشب حتى مفصلها الثالث، حتى لم تستطع حفر إصبعها أعمق، وحتى حينها لم تستطع الشعور بالكرية.

قالت:

— "يا للهول."

قال كيتاي:

— "أعرف. حاولت الإطلاق على درع أيضًا. رأينا ما تفعله باللحم، لكن هذه الأشياء تخترق الفولاذ."

— "تبًا. كم يستغرق إعادة التلقيم؟"

— "يستغرق مني حوالي نصف دقيقة الآن. سيكون أسرع مع التدريب."

إذًا يعني ذلك ثلاث، وربما أربع طلقات في الدقيقة. لم يكن ذلك قريبًا مما يمكن لرامية مثل فينكا تدبره في نفس الفترة الزمنية، لكن فتك الأركبوس المتفوق عوض عن ذلك وأكثر.

سألته:

— "كم من طلقاتك ينتهي بها المطاف في أي مكان قريب من الهدف؟"

هز كتفيه بخجل.

— "إيه. واحدة من كل ست تصيب الجذع. ينبغي أن يتحسن ذلك."

— "وكم من تلك الرصاصات وجدنا؟"

— "ثلاثة صناديق. حوالي مائتي رصاصة في كل منها."

عبست.

— "كيتاي."

تنهد.

— "أعرف. سننفد."

أخذت لحظة لإجراء الحسابات في رأسها. ثلاثون جنديًا ببنادق أركبوس يطلقون بمعدل طموح يبلغ ثلاث طلقات في الدقيقة سينفدون من الذخيرة في أقل من...

قال كيتاي:

— "ست إلى سبع دقائق. سننفد في ست إلى سبع دقائق."

— "كنت أصل إلى هناك."

— "بالطبع كنتِ، ظننت فقط أنني سأسرع الأمور. نعم، تلك هي المشكلة."

فرك ذقنه. "كانت هناك مخازن أسلحة في تلك البلدة التي مررنا بها الأسبوع الماضي. يمكننا صنع بعض القوالب، صهر بعض الخردة المعدنية..."

سألت رين:

— "أي خردة معدنية؟"

كان لديهم نقص في السيوف كما هو الحال، وكلاهما عرف أنه من الحماقة استبدال السيوف بالرصاص عندما كانت معظم قواتهم أفضل بكثير في القتال عن قرب.

قال كيتاي:

— "إذًا علينا الحصول عليها بطريقة ما. أو سرقة الذخيرة. لكن ذلك سيكون صعبًا —لقد كانوا جيدين جدًا في حراسة أسلحتهم حتى الآن، وتلك البنادق كانت اكتشافًا نادرًا..."

— "تمهل." ضربتها فكرة لتوها. "أعطانا المعلم إيرجاه لغزًا مثل هذا مرة. مثل هذا تمامًا تقريبًا."

— "عما تتحدثين؟"

— "ألا تتذكر؟ ماذا تفعل عندما تحتاج لذخيرة عدوك؟" كزت مرفقه. "هيا."

هز رأسه.

— "رين، ذلك نجح مع السهام."

— "وماذا في ذلك؟ نفس المبدأ."

أصر:

— "الكريات الفولاذية مختلفة. إنها تتشوه عند الاصطدام؛ لا يمكنكِ فقط جمعها وحشرها مرة أخرى في الماسورة."

عارضته:

— "إذًا سنصهرها. لماذا هذا غير معقول؟ الهسبيريون يحبون إطلاق النار على الأشياء. سيكون من السهل استدراجهم، نحتاج فقط لمنحهم أي سبب للإطلاق. ونحن على وشك الوصول لرافد نهري، مما يعني..."

قاطعها:

— "لن ينجح الأمر. بحقك. لديهم مناظير أفضل منا. أهداف القش ستكون واضحة جدًا، سيعرفون أنها شراك خداعية."

قالت:
– "هذا سهل. سنستخدم الشيء الحقيقي وحسب."
وهكذا، بعد ثلاثة أيام، وجدوا أنفسهم يثبتون الجثث على الصاري والدرابزين لقارب أفيون سريع. المفتاح، كما تعلمت رين، كان مزيجًا من المسامير والخيوط. الحبال كانت لتكون مثالية، لكنها كانت مرئية جدًا للعين المجردة. المسامير يمكنها طرقها عبر اللحم العاري، وإخفاء النتوءات بسهولة تحت طبقات الملابس. أي شخص يحدق طويلًا بما يكفي عبر منظار يمكنه رؤية أن هذه كانت بوضوح جثثًا، لكن رين أملت أن يكون رجال المدفعية الجمهوريون متلهفين جدًا للضغط على الزناد لدرجة ألا يهمهم الأمر.
عندما ملأوا السطح العلوي بما يكفي من الجثث لجعله يبدو مأهولًا، أرسلوه عائمًا أسفل النهر مع ربان وحيد كانت مهمته منعه من الارتطام بالضفة. اختاروا امتدادًا مائيًا عريضًا وسريع الحركة، بتيار سريع بما يكفي لسحب القارب خارج النطاق الجمهوري قبل أن يحاول أي شخص الصعود عليه.
– "مقرف." مسحت رين يدها في سترتها وهي تشاهد القارب ينجرف بعيدًا عن الأنظار. "هذه الرائحة لن تخرج لأيام، أليس كذلك؟"
قال كيتاي:
– "لا بأس. لا يزال علينا قطع الرصاصات لإخراجها."

***

عندما اقتربوا أخيرًا من الحدود الجنوبية لإقليم الأرنب، وجدوا رسولًا ينتظر ومعه رسالة من فينكا. كانت هي وتشولانغ يرسلان تحديثات منتظمة طوال الحملة. اجتاحوا الشمال بسهولة كافية، كما كان متوقعًا. لم يكن لديهم الكثير لفعله؛ بدا أن نزهة سحب قواته من الشرق والشمال على حد سواء، مركزًا إياهم في وقفة أخيرة في إقليم التنين. حتى الآن تضمنت رسائل فينكا تحديثات سعيدة عن بلدات تم الاستيلاء عليها، وشحنات من القطع الأثرية التاريخية

التي نهبتها من قصور القضاة، وصندوقًا عرضيًا من الدروع من حدادي إقليم النمر المشهورين.

مع اقتراب كلا قسمي الجيش الجنوبي من المركز، جاءت مراسلات فينكا أسرع فأسرع. الآن كانت فينكا وتشولانغ على بعد مسيرة أسبوع فقط —قريبين بما يكفي للالتقاء في أرلونغ في هجوم مشترك.

قال الرسول وهو يسلم رين اللفافة:

— "هذه منذ ستة أيام. تريد ردًا سريعًا."

قالت رين:

— "مفهوم. انتظر في الخارج."

أعطى الرسول إيماءة مقتضبة وغادر خيمة القيادة. تحققت رين من أنه خارج نطاق السمع، ثم مزقت اللفافة بأسنانها.

تغيير في الخطط. لا تتحركوا بعد نحو أرلونغ –يقول كشافتي إنه يأخذ القوات شمالًا لملاقاتنا بين الجبال. اللقاء في (دراغاب)؟ يرجى التأكيد في أقرب وقت ممكن؛ نفضل ألا نسير وحدنا إلى مذبحة.

سألت رين:

— "دراغاب؟ أين تقع؟"

قال كيتاي، الذي كان يقرأ من فوق كتفها:

— "موقع صغير جنوب (شوتشو). وشوتشو هي، أفترض، المكان الذي تنوي الجمهورية ملاقاتنا فيه."

— "لكن ذلك..." تلاشت رين عن الكلام، تحاول العمل من خلال خريطتها الذهنية لمواقع القوات الجنوبية والجمهورية. هذا لم يكن منطقيًا. طوال هذا الوقت افترضوا أن نزهة سيبقي قواته في مدينة أرلونغ نفسها، حيث

المنحدرات الحمراء والقنوات قدمت له الميزة الأوضح. "لماذا قد يندفع شمالًا؟"

قال كيتاي:

— "يمكنني تخمين ثلاثة أسباب. واحد، شوتشو تقع فوق قناة جبلية ضيقة، مما يقيد تضاريس القتال بالمنحدرات المتقابلة والوادي العريض تحتها. اثنان، إنه موسم الرياح الموسمية، والمياه تنحبس في الممر عندما تشتد الأمطار. وثلاثة، إنها على طريقنا الوحيد إلى أرلونغ."

عارضته:

— "هذا ليس صحيحًا. يمكننا الالتفاف حولها، هناك ممرات غابات..."

— "نعم، بطرق وعرة جدًا لن نتمكن معها من نقل أي من مدفعيتنا الثقيلة، وحينها لا يزال سيتعين علينا النزول من أوجه الجبال مما يتركنا مكشوفين تمامًا لرماتهم. نزهة يعرف أننا قادمون لأجله. إنه ينوي خنقنا في الجبال، حيث لا تستطيع شاماناتك الضرب بتمييز، مما يجبر المعركة على التحول إلى حمام دم تقليدي."

قالت رين:

— "إذًا هذه ليست خدعة أخيرة يائسة. إنها دعوة."

إذًا لماذا بحق الأرض يجب أن يقبل الجيش الجنوبي؟

حتى مع صعود السؤال إلى شفتيها، أصبحت الإجابة واضحة. يجب أن يتخذوا شوتشو كساحة معركتهم التالية، لمجرد أنها لم تكن أرلونغ.

كانت قوة نزهة تتضخم كلما اقترب من مصادر المياه. تحت المنحدرات الحمراء، حيث يصب نهر (موروي) في القنوات التي تحيط بكل شبر من أرلونغ، سيكون من المستحيل تقريبًا إيقافه. سيكون فوق كهف التنين مباشرة. شوتشو كانت فرصتهم الأخيرة، والأفضل، لقتاله مع فصله عن إلهه.

رأت رين انطباق فم كيتاي الكئيب، وعرفت أنه أدرك الشيء نفسه. قد تكون شوتشو استراتيجية نزهة المهيمنة، لكنها كانت استراتيجيتهم أيضًا.

أومأ نحو اللفافة.

— "هل نعطيه ما يريد؟"

كرهت رين تلك الصياغة. كان هذا الخيار محبطًا. غير متوقع. لم تحب ملاقاة خصمهم على تضاريس من اختياره، تحت أقل الظروف الاستراتيجية تفضيلًا.

ومع ذلك، في عمق أحشائها، شعرت بلفافة ساخنة من الإثارة.

حتى الآن، لم تكن هذه حربًا حقيقية، بل سلسلة من المناوشات ضد جبناء في حالة تراجع. كل فوز حتى الآن لم يعنِ شيئًا سوى كونه وقودًا فعالًا لهذه اللحظة، حين يلاقون مقاومة حقيقية أخيرًا. كان هذا الاختبار النهائي. أرادت رين مواجهة أفضل استراتيجيات نزهة ورؤية من يخرج منتصرًا.

قالت أخيرًا:

— "لمَ لا؟ نزهة يضع قطعه أخيرًا على الرقعة. لذا فلنلعب."

خطت خارج الخيمة لاستدعاء الرسول. مد يده، متوقعًا ردًا مكتوبًا، لكنها هزت رأسها.

— "سأكون موجزة. أخبر فينكا بالتوجه إلى دراغاب بأسرع ما يمكنها. سنكون في الانتظار."

الفصل السابع والعشرون

قالت فينكا وهي تترجل عن حصانها لتصافح يد رين تحيةً، وعيناها تجولان على الزي البني الأنيق للجيش الجنوبي:

— "أرى أنكِ وجدتِ بعض الخياطات. هل أحصل على واحد؟"

قالت رين:

— "بالطبع. إنه ينتظر في الخيمة."

— "مع شريط الجنرال وكل شيء؟"

سأل كيتاي:

— "هل هذه طريقتكِ في طلب ترقية؟"

قالت فينكا:

— "لقد سلمتكم الشمال لتوّي. هذا نصف بلد بحق الجحيم، للعلم. أظن أن لقب الجنرال (سرينغ) تأخر قليلًا، ألا تظنون؟"

قالت رين:

— "بصراحة، ظننت أنكِ ستأخذين اللقب لنفسكِ وحسب."

قالت فينكا:

— "بصراحة، لقد فعلت."

تبادلوا الابتسامات.

تدفقت قوات فينكا وتشولانغ إلى المعسكر الجنوبي في (دراغاب)، منقضين بلهفة على الوجبات المعدة بجانب نيران المخيمات. لقد خرجوا من حملتهم الشمالية بأعداد قريبة من أعدادهم الأصلية —وهو إنجاز مثير

للإعجاب، نظرًا لأن ميليشيا إقليم الكلب لم تخض معارك تاريخيًا إلا ضد غزاة سيئي التجهيز من (الأراضي الخلفية). كما جاؤوا محملين بالهدايا —عربة تلو عربة من الدروع الاحتياطية، والسيوف، والتروس التي نُقلت من المسابك في إقليم النمر.

بعد أن أكلت فينكا وتشولانغ، انضما إلى رين وكيتاي على أرضية خيمة القيادة، وبينهما خريطة مفرودة لتجميع استخباراتهم المشتركة.

قالت فينكا وهي تحدد الطوابير الجمهورية بالحبر الأزرق على طول الطرف الشرقي لوادي (شوتشو):

— "إنها لعبة غريبة. لا أعرف حقًا لماذا لا يكرس كل دفاعاته لـ أرلونغ وحسب، خاصة إذا كان بإمكانه السيطرة على النهر اللعين."

وافق كيتاي:

— "أتفق معك. لكننا نعتقد أن هذا هو المغزى. إنه يريد إخراج العنقاء من المعادلة."

سأل تشولانغ:

— "لماذا، فقط لأننا سنقاتل في أماكن ضيقة؟"

قالت رين:

— "وبسبب المطر. يمكنه استدعاء المطر، ويمكنه جعله يهطل بقوة أو كثافة كما يشاء. من الصعب قليلًا الحفاظ على شعلة عندما تصر السماء على إطفائها."

تأملوا جميعًا الخريطة لبضع ثوانٍ في صمت.

أصبحت معركة (شوتشو) لعبة تكتيكات حربية، لغزًا اضطرت رين للاعتراف بأنه مسل للغاية. بدا وكأنه نوع من أسئلة الامتحان التي قد تتلقاها من المعلم (إيرجاه). (شوتشو) كانت ميدان الاشتباك. الشروط المقيدة كانت معروفة: المطر يضعهم في وضع غير مواتٍ بإخماد النار ومسحوق النار على حد سواء. امتلك نزهة أعدادًا متفوقة، وقدرات مدفعية أفضل، وقوات أكثر نشاطًا

بسبب مسيرة أقصر. امتلك نزهة المطر. لكن رين امتلكت شامانات لا يعرف عنهم نزهة شيئًا، وكان بإمكانها الوصول إلى (شوتشو) أولًا.

بالنظر للظروف، ركب استراتيجية للفوز.

بعد لحظة، تنهدت فينكا.

— "إلامَ يؤول هذا إذًا؟ استنزاف محض؟ هل سنقوم فقط بضرب بعضنا البعض في الوحل؟"

لم يرد أي منهم ذلك. لا قائد جيد يترك النتيجة للصدف التي ينتجها الاحتكاك المحض والأحمق. قد يعتمد عبء القتال بشكل كبير على السيوف والرماح والدروع، لكن كان عليهم إيجاد مناورة ما، ميزة خفية لم يفكر فيها نزهة.

فجأة بدأ كيتاي يضحك بخفوت.

سألت رين:

— "ماذا؟"

لم تتابع؛ لم تكن تعرف ما رآه ولم تره هي. لكن ذلك لم يهم. كيتاي حلها، وذلك كل ما احتاجته.

قال:

— "هذا ذكي جدًا. عليكِ أن تمنحي نزهة التقدير، حقًا. لقد قلص عدد العوامل المؤثرة حتى أصبحت المتجهات الوحيدة التي تهم هي تلك التي يملك فيها الأفضلية. لقد مسح تقريبًا كل لاعبي الشطرنج عن الرقعة."

أصرت رين:

— "لكن؟"

— "لكنه نسي شيئًا واحدًا." نقر على جبهته. "لطالما سحقته في الشطرنج."

***

كانت (شوتشو) مدينة مقابر. صممها الإمبراطور الأحمر لتكون مقبرة إمبراطورية، المثوى الأخير لجنرالاته المحبوبين، ومستشاريه، وزوجاته، ومحظياته. كلف أمهر النحاتين والمعماريين والبستانيين عبر أراضيه لبناء نصب تذكارية عظيمة لنظامه، وعلى مدى العقود، ما بدأ كمقبرة واحدة امتد ليصبح نصبًا تذكاريًا بحجم مدينة. أصبحت (شوتشو) مكانًا اقتصاده الوحيد هو الموت —سكانها حرفيون موظفون لكنس القبور، وإشعال البخور، وعزف حفلات طقسية لترويض الأشباح المنتقمة، وصنع قصور وملابس وأثاث معقد من الورق ليتم حرقها كقرابين حتى يتلقاها المتوفون في الحياة الآخرة. حتى بعد انهيار نظام الإمبراطور الأحمر، ظل القائمون على الرعاية موظفين، تدفع رواتبهم من قبل حاكم أو آخر تبجيلًا للموتى.

قال كيتاي، وهو يمرر يديه عبر الحجر الجيري المحفوظ بشكل لافت للنظر بينما كانوا يمشون عبر المقبرة المركزية، يحددون نقاط المراقبة لوحدات مدفعيتهم:

— "هل تتخيلين أن حضارة قديمة كهذه بنت كل هذا؟ لم يكن لديهم أي شيء يشبه الأدوات الحديثة. أعني، بالكاد كان لديهم رياضيات."

سألت فينكا:

— "إذًا كيف دبروا الأمر؟"

— "العمل البشري المحض. عندما لا تستطيع اكتشاف حل لشيء ما، تقذف عليه الأجساد وحسب." أشار كيتاي إلى الطرف البعيد من المقبرة، حيث لوح تمثال للإمبراطور الأحمر بارتفاع أربعين قدمًا فوق الوادي. "توجد عظام في ذلك التمثال. في الواقع، ربما توجد عظام في كل هذه التماثيل. آمن الإمبراطور الأحمر أن الأرواح البشرية تحافظ على سلامة المباني هيكليًا للأبد، لذا عندما انتهى العمال من نحت وجهه في الحجر، أمر بتقييدهم وإلقائهم في المراكز الجوفاء."

ارتجفت رين.

– "ظننت أنه لم يكن متدينًا."

– "لم يكن شامانًا. لا يزال مؤمنًا بالخرافات بشكل لعين." أشار كيتاي إلى النصب التذكارية المحيطة بهم. "تخيلي أنك تعيشين في أرض من الوحوش والسبيريين. لمَ لا تؤمنين بالتعاويذ؟"

مدت رين رأسها لأعلى نحو الإمبراطور الأحمر. لقد نال الزمن من وجهه، لكنه احتفظ بسلامته الهيكلية جيداً بما يكفي لتتمكن من تمييز ملامحه. بدا بالطريقة نفسها التي بدا عليها في جميع النسخ التي رأتها لصورته الرسمية — رجل صارم، عديم الفكاهة، لا يظهر تعبيره أي لطف. افترضت رين أنه كان عليه أن يكون قاسيًا. رجل ينوي خياطة الفصائل المتباينة والمتحاربة في نيكان في إمبراطورية موحدة كان يجب أن يمتلك إرادة حديدية لا ترحم. لم يستطع الانحناء أو الانكسار. لم يستطع المساومة؛ كان عليه قولبة العالم لرؤيته.

وقفت زوجته الأولى في الطرف المقابل من المقبرة. كانت "إمبراطورة الشتاء" جميلة ومحزنة بشكل مشهور. ولدت بجمال سماوي مستحيل لدرجة أن الإمبراطور الأحمر اختطفها وهي مجرد طفلة وأودعها في بلاطه. هناك، زاد بكاؤها المستمر من جمالها فقط لأنه جعل حاجبيها يتقوسان وشفتيها تزمّان بطريقة مغرية لدرجة أن الإمبراطور الأحمر كان يراقبها وهي تبكي، مفتونًا ومثارًا.

وفقًا للقصص، بدت جميلة جداً وهي تتألم لدرجة لم يدرك أحد أنها كانت تذوي من مرض في القلب حتى انهارت ذات يوم في الحديقة، وأصابعها تخمش عبثًا صدرها الأبيض كالثلج. في القصص القديمة، كان ذلك يُعد رومانسية.

لكن رين ميزت الوجه الحجري عبر المقبرة. وذلك لم يكن، ولا يمكن أن يكون، إمبراطورة الشتاء.

تمتمت بذهول:

– "تلك تيرزا."
جعدت فينكا أنفها.
– "الملكة السبيرية؟ عما تتحدثين؟"
أشارت رين.
– "انظري حول عنقها. أترين تلك القلادة؟ تلك قلادة سبيرية."
رأت تلك القلادة ذات الهلال من قبل في أحلامها. رأتها معلقة على عنق ألتان. عرفت أنها لم تتخيلها؛ تلك الرؤى كانت موشومة في عقلها.
لماذا قد يصور الإمبراطور الأحمر تيرزا كإمبراطورته؟
هل كان صحيحًا، إذًا، أنهما كانا عاشقين؟
لكن كل الحكايات قالت إنه حاول قتلها. أرسل قتلة خلفها منذ لحظة لقائهما. حاول مرات عديدة في ساحة المعركة أخذ رأسها. كان خائفًا منها لدرجة أنه حصن نفسه في مخبأ بجزيرة محاطة بالماء. عندما ماتت، جعل جزيرتها مستعمرته وشعبها عبيده.
ومع ذلك، افترضت رين، يمكن للعشاق أن يلحقوا هذا النوع من العنف ببعضهم البعض. ألم يحب ريغا داجي؟ ألم يحب جيانغ تسيفيري؟
ألم يحبها نزهة ذات يوم؟
قال كيتاي:
– "إذا كانت تلك (مايرينن تيرزا)، فتلك قصة لم يكتبها أحد قط."
قالت رين:
– "فقط لأن الإمبراطور الأحمر محاها من التاريخ. محاها بنظافة لدرجة لم يتعرف أحد حتى على وجهها."
كان عليها احترام الرجل. عندما تغزو كليًا وبشكل كامل كما فعل، يمكنك تغيير مسار كل شيء. يمكنك تحديد القصص التي يرويها الناس عنك لأجيال.
قررت: عندما يغنون عني، لن يستحق نزهة حتى الذكر.

تحت توجيهها، أنهى الجيش الجنوبي تجهيز المدينة لوصول نزهة. خبأوا المدافع خلف كل تمثال. حفروا خنادق وأنفاقًا. وضعوا أكياس الرمل حول حصونهم. حددوا نقاط استهداف لـ دولين، معرّفين نقاط ضعف في الحجر يمكن أن تسقط هياكل كاملة على الجيش الجمهوري.

ثم تحصنوا للانتظار.

***

بدأ هطول المطر ذلك المساء واستمر بثبات طوال الليل، قطرات سمينة تطرق في صفائح لا تكل، محولة الأرض تحت أقدامهم إلى وحل زلق لدرجة اضطرارهم لرفع عرباتهم على صخور حتى لا تعلق عجلاتها طوال الليل. أملت رين أن يفرغ الهطول الغزير السحب بحلول الصباح، لكن الطرق اشتد فقط مع مرور الساعات. عند الفجر، لم يظهر الكفن الرمادي فوق (شوتشو) أي علامة على الترقق.

حاولت رين خطف قليل من النوم، لكن المطر الذي يضرب خيمتها جعل الأمر مستحيلًا. استسلمت وانتظرت انقضاء الليل جالسة في الخارج، تحرس المقبرة تحت تمثال تيرزا.

كان نزهة محقًا في الهجوم في موسم الرياح الموسمية. نارها ستفعل القليل جدًا اليوم عدا إبقائها دافئة. اختبرتها طوال الليل، مرسلة أقواسًا من اللهب عبر سماء الليل. كلها تلاشت في ثوانٍ. كان لا يزال بإمكانها حرق أي شخص في محيطها المباشر، لكن ذلك لم يساعد في معركة بعيدة المدى. المدافع والبنادق لن تكون نصف فعالة في هذا الطقس؛ الفتائل ستستغرق دهرًا لتشتعل. تم تقليص كلا الجانبين إلى حد كبير لأسلحة وحشية، بدائية، ومألوفة—سيوف، وسهام، ورماح.

الفائز اليوم سيحدده الكفاءة التكتيكية المحضة.

ورين، رغم نفسها، لم تستطع الانتظار لتر ما الذي توصل إليه نزهة.

زحفت الشمس أعلى في السماء. كانت قوات رين مستيقظة، ومسلحة، ومستعدة، لكن لم تكن هناك كلمة من الحراس بعد. انتظروا ساعة أخرى في ترقب متوتر. ثم، فجأة، اشتد المطر من طقطقة عالية إلى هدير عنيف.

ربما كان حادثًا من حوادث الطبيعة، لكن رين شكت في ذلك. التوقيت كان مفاجئًا للغاية. شخص ما كان يسحب ذلك المطر من السماوات.

وقفت ولوحت لضباطها.

— "إنه هنا. جهزوا الطوابير."

بعد ثوانٍ، التقط حراسها ما عرفته هي بالفعل، وتردد صدى سلسلة من الأبواق عبر شواهد القبور.

ظهر الجيش الجمهوري عند الطرف الآخر من الوادي، ينتشرون تحت أقدام الإمبراطور الأحمر.

مسحت رين الخطوط الأمامية بمنظارها حتى رصدت نزهة يسير في المقدمة. كان يرتدي زيًا هجينًا غريبًا؛ صدره مكسو بالقماش الأزرق المألوف والصفائح المصفحة لجيش التنين، لكن ذراعيه وساقيه كانت ملفوفة في درع ما مصنوع من صفائح معدنية متداخلة. بدا ثقيلًا بشكل معيض. كتفاه، المربعتان بتعجرف عادة، بدتا مرتخيتين.

سأل كيتاي:

— "ما ذلك حول معصميه؟"

ضيقت رين عينيها في منظارها. استطاعت بالكاد تمييز أطواق ذهبية حول كلا معصمي نزهة. لم تخدم أي وظيفة يمكنها تبيّنها —لم تبدُ جزءًا من درعه، ولم تستطع تخيل كيف يمكن استخدامها كأسلحة.

حولت المنظار لأسفل. زوج آخر من الأطواق الذهبية كان مرئيًا فوق حذائه.

— "هل كان يرتدي تلك في أراباك؟"

– "ليس مما أتذكر." قال كيتاي. "لكنني أتذكر رؤية هذه الندوب الغريبة مرة، حول..."

قاطعت رين بحدة:

– "لقد رآنا."

كان نزهة قد أخرج منظارًا أيضًا. كان ينظر إليهم مباشرة.

ذهلت بتناظر المشهد. كان يمكن أن يكونا لوحة –فصيلان متعارضان مصطفان تحت تماثيل قد تكون آلهتهم الراعية. تيرزا والإمبراطور الأحمر، السبيرية ضد الغازي، أحدث المشاركين في صراع عمره قرون لم يمت أبدًا، بل استمر فقط في التردد عبر التاريخ.

حتى الآن. حتى ينهيه أحدهم، للخير أو للشر.

رفع نزهة يده.

توترت رين. هدر الدم في أذنيها؛ الدفق المألوف والمسبب للإدمان للأدرينالين اهتز عبر جسدها.

إذًا هكذا يبدأ الأمر. لا مجاملات، لا محاولة إلزامية للتفاوض؛ معركة وحسب. أنزل نزهة يده وبدأت قواته تندفع لأسفل الوادي، وأقدامهم ترعد ضد الوحل.

التفتت رين للقائد (ميراغا).

– "أرسل السلاحف."

عبر التاريخ النيكاني، كانت الطريقة التقليدية للتعامل مع وابل السهام هي إرسال خطوط أمامية محمية بدروع لامتصاص الضربة. عشرات الوفيات المضمونة اشترت الوقت للمقاتلين بالاشتباك القريب لاختراق خطوط العدو. لكن رين لم تكن تملك العشرات من الأجساد الدافئة للتضحية بها.

ادخلوا السلاحف. كانت هذه واحدة من اختراعات كيتاي الحديثة. مستلهمًا من القوارب السلحفاة المدرعة بكثافة في الأسطول الجمهوري، صمم

مركبات صغيرة محمولة على عربات يمكنها النجاة من نيران كثيفة من أي نوع تقريبًا. لم يملك الوقت ولا الموارد لبناء أي شيء متطور، لذا جمع السلاحف معًا من طاولات خشبية، وألحفة قطنية مبللة بالماء، وصفائح دروع هسبيرية تم جمعها والتي، مجتمعة، صدت معظم المقذوفات الطائرة.

واحدة تلو الأخرى تدحرجت من خلف شواهد القبور إلى الوادي. وكأنهم تلقوا إشارة، أطلق رماة نزهة وابلهم الافتتاحي، ونقطت السهام أسطح السلاحف حتى بدت كقنافذ متجولة.

تمتمت رين:

— "تبدو غبية جدًا."

قال كيتاي:

— "اخرسي. إنها تعمل."

حققت الصواريخ الجمهورية ضربتين محظوظتين، قاذفة بسلاحف في الهواء ككرات نار دوارة. غير مبالية، اندفعت المركبات المدرعة الأخرى للأمام. ملأت سيمفونية من أصوات الصفير الهواء بينما رد الجيش الجنوبي نيران الجمهورية. كان هذا للعرض بشكل كبير —معظم مقذوفاتهم انزلقت بلا فعالية عن الدروع المعدنية للجمهورية— لكن الضربات أجبرت المدفعية الجمهورية على الانحناء، خالقة مهلة للسلاحف المتقدمة. كتيبة فينكا، المتمركزة بأقواس نشاب بعيدة المدى على حافة بارزة قرب منتصف الوادي، حققت أكبر عدد من الإصابات، قنصت مشغلي مدافع نزهة بمسامير موضوعة جيدًا.

فوق ضجيج المطر، استطاعت رين بالكاد تمييز دمدمة مميزة ومنخفضة تتردد عبر الوادي. انحنت منخفضًا، وضعت يدها على الأرض المرتعدة، وابتسمت.

كان دولين في الموعد تمامًا.

لقد حددوا أثناء التدريب أنه لا يستطيع استدعاء الزلازل خارج دائرة نصف قطرها عشر ياردات، مما يعني أنه لا يستطيع التأثير بشكل ذي مغزى

على ظروف القتال داخل الوادي ما لم يرموه في خضم المعركة. لم تستطع رين إبقاءه هناك طويلًا. السلاحف لم تكن لا تقهر—نصفها تحول إلى حطام محترق، مُحي بجولة مركزة من الصواريخ.

لكن دولين لم يكن بحاجة للصمود طوال المعركة. احتاج فقط للقضاء على محطات المدفعية العليا للجمهورية. كان قريبًا جدًا الآن، حتى ومركبته السلحفاة المعلمة تتعثر لتتوقف، ممطرة بالمسامير والسهام.

هيا.

بدأت المنحدرات تهتز. أمالت رين منظارها لأعلى نحو محطات المدفعية. انزلقت الحجارة كالمسحوق من جانب الجرف، متدفقة فوق خط واحد من النشابات. تحركت الحافة وانهارت، مرسلة القوات الجمهورية تتدحرج لعشرات الأقدام داخل الوادي.

أوشكت، فقط أنهِ الأمر...

انفجر صاروخ أمام سلحفاة دولين مباشرة، قالبًا المركبة للخلف في الهواء.

أطلقت رين صرخة بلا كلمات.

أمسك كيتاي ذراعها.

— "إنه بخير، هو بخير، انظري..."

كان محقًا. المنحدرات كانت لا تزال ترتعد، محطات المدفعية مدفونة في الأنقاض تحتها. دولين لا يزال حيًا، لا يزال يوجه السلحفاة. ثلاث مركبات مدرعة تجمعت بحماية حول حطام سلحفاة دولين، تحميه من وابل الرصاص التالي. عبر منظارها، رأت رين دولين يزحف من تحت المركبة المقلوبة ويعرج نحو أقرب سلحفاة. خرج جنود من الفتحة لسحبه إلى البطن المدرع. ثم عكست العربة مسارها وبدأت تتراجع خلف مشاة رين المنتظرين.

لم تطارده قوات نزهة. مثل أي شخص آخر، كان نزهة منشغلًا بالاشتباك داخل الوادي، والذي—كما كان متوقعًا— تحول الآن إلى فوضى عارمة. لم

يستطع أحد التصويب بشكل صحيح تحت المطر. السهام التي أجبرها الطقس عن مسارها دفنت نفسها بلا جدوى في التراب أو ارتدت عن جدران الوادي. أحيانًا تمكن شخص ما من إبقاء شعلة مضاءة لفترة كافية لإشعال فتيل، لكن ساحة المعركة كانت الآن مشوشة جدًا لتحقيق إصابة واضحة. قذائف المدافع، وقذائف الهاون، وصواريخ النار انطلقت عشوائيًا نحو الحلفاء والأعداء على حد سواء. الجانب المشرق هو أن بنادق نزهة المحمولة على عجلات أصبحت عديمة الفائدة، غارقة في الوحل الكثيف، ونطاقها محدود فقط بمنتصف الوادي.

واصلت السلاحف الأربع المتبقية تقدمها نحوه، متبوعة بضغط من مشاة الجيش الجنوبي. لم يكن ليذهبوا بعيدًا. الخط الأمامي لنزهة كان مسلحًا بمطارد، ممدودة بشكل مستقيم للخارج في ترحيب خازوقي.

لكن السلاحف لم تكن تهدف لاختراق الخطوط. احتاجت فقط للاقتراب بما يكفي لرمي قنابل الأنابيب الخاصة بها. انطلقت كل كتيبة بفحمة مشتعلة محمية داخل علبة حديدية. على بعد عشرة أقدام من خطوط نزهة الأمامية، أشعلوا فتائل القنابل ورموها خارج الفتحات العلوية للعربات.

مرت عدة ثوانٍ. توترت رين. ثم انفجرت خطوط نزهة الأمامية كالأوراق الممزقة، واندفع مشاة رين من خلالها.

تحولت المعركة الآن إلى حمام دم تقليدي. اشتبكت السيوف، والمطارد، والدروع في سحق محموم للأجساد. كان ينبغي أن تكون مذبحة —قوات نزهة كانت أفضل تدريبًا وأفضل تسليحًا— لكن المطر والوحل جعلا الرؤية مستحيلة، مما سمح لمشاة رين الفلاحين بالصمود أطول بكثير مما كان ينبغي.

لكنهم لم يحتاجوا للصمود للأبد. فقط لفترة كافية.

شعرت رين بحس غريب ومفاجئ بالانفصال وهي تراقب المذبحة تجري من الجانب البعيد للوادي. لا شيء من هذا يبدو حقيقيًا.

نعم، عرفت أن التكاليف حقيقية —عرفت أنه تحت أقدامها، أجساد حقيقية كانت تنزف وتتكسر نتيجة لأوامر أصدرتها، أن أرواحًا حقيقية كانت تنطفئ في المطر بينما تنتظر هي جدول خطتها الزمني.

لكن الأدرينالين، تلك الموجة المجنونة من الطاقة التي تصاحب الخوف الذي لا يمكن كبحه من الموت، كانت مفقودة. ها هي ذي تقف، تراقب من زاوية آمنة لدرجة أن كيتاي كان يقف بجوارها تمامًا. لا يمكن لأي من تلك الصواريخ الوصول إليها. لا يمكن لأي من تلك السيوف لمسها. خصمها الحقيقي الوحيد كان نزهة، وهو لم يدخل المعركة أيضًا. مثلها، انتظر من نقطة مراقبته، يراقب بهدوء الفوضى تجري في الأسفل.

لم يكن هذا قتالًا حقًا. لم يكن هذا واحدًا من تلك الشجارات بالأيدي العارية والمسببة للكدمات التي كانا مولعين بها في المدرسة. هذه المعركة كانت، في جوهرها، مسابقة لأفكارهما. راهن نزهة على البيئة —المطر والوادي. وضعت رين آمالها على مناورات جامحة ومشتتة للانتباه.

سيعرفان قريبًا من وضع الرهان الأفضل.

***

انغرس سهم في الأرض على بعد عشرة أقدام. نظرت رين لأسفل، منتزعة من شرودها. كان عمود السهم ملفوفًا بشريط أحمر —إشارة فينكا: دوركِ.

لاحظه كيتاي أيضًا.

قال وهو يخفض منظاره:

— "السلحفاة جاهزة خلف العمود الثالث. بسرعة، قبل أن يلاحظ."

ركضت رين نزولًا إلى الوادي. عربة سلحفاة أخيرة انتظرتها قرب الخطوط الأمامية، مأهولة بالفعل بقوات منتظرة. أمسكوها من ذراعيها وسحبوها إلى مركز العربة، حيث جثت، وذراعاها مطويتان فوق ركبتيها. انطلق جنديان ركضًا، دافعين العربة لأسفل التل حتى اكتسبت زخمًا.

حصنت رين نفسها في الداخل الضيق والمظلم، تتأرجح من جانب لآخر بينما تترنح العربة فوق التضاريس الوعرة. سمعت ارتطامات عالية بينما اعتدت السهام على جوانب العربة. اخترق طرف رمح الجدار أمامها، محشورًا بين شق في التصفيح المدرع.

عانقت ركبتيها بإحكام أكبر. وصلت تقريبًا.

كل شيء حتى الآن —انهيارات دولين، الشحنة الأولية لعربات السلاحف، قنابل الأنابيب، واندفاع المشاة— كان إلهاءً. عرفت رين أنها لا تستطيع كسب معركة استنزاف ضد صفوف نزهة؛ كانت فقط تضع واجهة المحاولة.

اختار نزهة هذه المقبرة، في هذا الطقس، لتحييد العنقاء. حمام الدم الحاصل في الأسفل كان يهم فقط لأن المطر منع رين من حرق كل من يرتدي زيًا أزرق.

لكن ماذا تفعل عندما تقدم الطبيعة أكبر عيب لك؟

كيف تغلق الباب في وجه الطبيعة نفسها؟

توقفت عربة السلحفاة بحدة. اختلست رين النظر عبر الفتحة العلوية. عندما ضيقت عينيها، استطاعت بالكاد تمييز حبال سوداء رفيعة ممدودة بإحكام فوق قمة الوادي، وقماش مشمع ضخم مخصص لبارجة حربية ينبسط ببطء من جانب واحد من المنحدرات إلى الآخر.

كانت قواتها، التي عرفت أن تراقب انبساط القماش، تتراجع بالفعل، ودروعها مغلقة خلفها. بدا الجنود الجمهوريون مرتبكين. طارد البعض بفتور، وتراجع البعض، وكأنهم يستشعرون كارثة وشيكة.

في غضون ثوانٍ، وصل القماش للطرف الآخر من الممر، مؤمنًا من كلا الجانبين بواسطة كتائب فينكا. طرق المطر بقوة ضد القماش، لكن لم يخترق الممر شيء. فجأة أصبحت الرقعة الوسطى من الوادي جافة بشكل مجيد ومعجز.

تسلقت رين خارج السلحفاة ومدت يدها داخل عقلها للإله المنتظر. دورك.

اندفعت العنقاء للأمام، دافئة ومألوفة. أخيرًا.

قذفت ذراعيها لأعلى. انفجرت النيران في الممر، قوس هلالي يزأر نحو الخارج في اتجاه قوات نزهة.

تفحمت خطوطه الأمامية فورًا. تقدمت دون عائق، تشق طريقها فوق أجساد تئز سوداء تحت دروع متوهجة. تراقصت نيرانها حولها، مشكلة درعًا من حرارة لا يمكن تصورها. تفككت السهام في الهواء قبل أن تصل إليها. توهجت بنادق نزهة ومدافعه المحمولة بسطوع، ملتوية ومجعدة لدرجة التلف. تقدم الجيش الجنوبي خلفها، وأوتار الأقواس مشدودة، والمدافع ملقمة، ورماح النار مصوبة للأمام ومستعدة للإطلاق.

لم يكن لديها سوى دقائق. أبقت نارها مركزة منخفضًا داخل الوادي، لكن بهذه الحرارة، سيحترق القماش من القرب المحض، مما يعني أنه كان عليها إنهاء هذا بسرعة.

استطاعت تمييز هيئة نزهة عبر جدار البرتقالي —وحيدًا وغير محروس، يصرخ بالأوامر لرجاله وهم يفرون. لم يتراجع قبل قواته؛ كان ينتظر حتى تصل آخر صفوفه لأرض آمنة. رفض التخلي عن جيشه.

نبيل دائمًا. غبي دائمًا.

لقد نالت منه. ربحت لعبة الأفكار هذه، كان في مرماها ومداها، وهذه المرة لن تتردد.

صرخت:

— "نزهة!"

أرادت رؤية وجهه.

استدار. وقفا قريبين بما يكفي الآن لدرجة أنها استطاعت تمييز كل تفصيل على وجهه الخزفي الجميل، البائس، والمشقق. التوى تعبيره وهو يلتقي بعينيها —ليس خوفًا، بل في حزن حذر ومنهك.

هل أدرك أنه على وشك الموت؟

في أحلام يقظتها، كلما تخيلت اللحظة التي ستقتل فيها حقًا، وأخيرًا، كان يحترق دائمًا. لكنه وقف خارج نطاق القماش بقليل، لذا الحديد والصلب سيفي بالغرض. وإذا استمر جسده في تقطيب نفسه معًا، فستفككه قطعة قطعة وتحرقها حتى الرماد حتى لا يتمكن حتى التنين من إعادته مرة أخرى.

أومأت لجيشها المنتظر، وأشارت بيدها.

— "أطلقوا."

سحبت نيرانها عائدة لداخلها وركعت. تردد صدى تمزق عظيم عبر الوادي بينما اندفعت مقذوفات من كل نوع فوق رأسها.

رفع نزهة ذراعيه. تموج الهواء حوله، ثم بدا وكأنه يلتحم. تخفف الزمن؛ السهام، والصواريخ، وقذائف المدافع علقت مقبوضًا عليها في منتصف الهواء، عاجزة عن التزحزح للأمام. استغرق الأمر من رين لحظة لإدراك أن المقذوفات حوصرت داخل حاجز —جدار من الماء الصافي.

مجددًا، شقت يدها عبر الهواء.

— "أطلقوا!"

صرخ وابل آخر من السهام فوق الوادي، لكنها عرفت قبل حتى أن تعطي الأمر أنه لن يحدث أي فرق. درع نزهة صمد بثبات. أطلقت قواتها جولة أخرى، ثم أخرى، لكن كل ما قذفوه على نزهة ابتلع داخل الحاجز.

تبًا. أرادت رين الصراخ. نحن فقط نلقي الأسلحة في النهر.

عرفت أنه يستطيع التحكم بالمطر. شاهدته يفعل ذلك في تيكاني —شعرته يضربها كألف قبضة بينما يستدعيه أقوى فأقوى. لكنها لم تكن تعلم أنه يستطيع

التلاعب به بمقياس ضخم كهذا، أنه يستطيع سحب كل الماء من السماء لتشيد حواجز أمنع من الفولاذ.

لم تتخيل أن صلته بإلهه قد تنافس الآن صلتها.

اعتاد نزهة الخوف من التنين أكثر مما خاف أعداءه. اعتاد استدعاء إلهه فقط عندما يُجبر وظهره للحائط، وفي كل مرة فعل ذلك، بدا الأمر كالتعذيب.

لكن الآن، تحرك هو والماء كواحد.

هذا لا يعني شيئًا، فكرت. يمكن لنزهة إقامة كل الدروع التي يريدها. ستقوم هي بتبخيرها ببساطة.

أمرت قواتها:

— "تراجعوا."

بمجرد تراجعهم عشر ياردات سحبت قطعًا مكافئًا آخر من اللهب إلى الوادي وجلبت حرارته لأقصى كثافة ممكنة، غارقة أعمق وأعمق في نشوة العنقاء حتى تحول عالمها للأحمر. خبزت الحرارة الهواء. في الأعلى، أزّ القماش وتلاشى لرماد.

دفعت رين القطع المكافئ للأمام. التقى جداران في وسط الممر —أزرق وأحمر، العنقاء والتنين. أي جسم مائي عادي كان ينبغي أن يتبدد منذ زمن. هذه الحرارة الإلهية كان يمكنها تبخير بحيرة.

ومع ذلك صمد الحاجز بثبات.

احرق، صلت رين بجنون. ماذا تفعل، احرق...

صعقتها العنقاء برد: التنين قوي جدًا. لا نستطيع.

انكمشت نيرانها عائدة لجسدها. حدقت رين في نزهة عبر الماء. ابتسم عائدًا، بزهو. جيشه أكمل تراجعه. قواتها لا تزال تستطيع مطاردتهم برًا، لكن كيف سيتجاوزون نزهة؟

ثم ضرب كل ذلك رين بوضوح مدمر.

لم ينو نزهة أبدًا الصمود في (شوتشو). إرسال رجاله للوادي كان خدعة، فرصة لمعرفة مدى قدرات رين الجديدة، الشامانية والتقليدية على حد سواء، بأقل خسارة لقواته الخاصة. لم يأتِ للقتال، جاء لإحراجها. لقد وضع إلهه ضد إلهها. وفاز.

أنزل نزهة ذراعيه. تحطم الحاجز لأسفل، مرططمًا بقوة بالصخور. استأنفت السحب هطولها الغزير. بصقت رين ملء فمها ماءً، ووجهها يحترق.

لوح لها نزهة تلويحة صغيرة وساخرة.

كان وحيدًا، لكن رين عرفت أفضل من أن تطارده. عرفت التهديد في عقله، استطاعت توقع ما سيفعله بالضبط إذا اندفعت قواتها للأمام.

جربي فقط. انظري ماذا يفعل المطر حينها.

رغم أنه شعر وكأنها تمزق قلبها لقولها، استدارت عائدة للجيش الجنوبي وأعطت الأمر الوحيد الذي استطاعته.

— "انسحبوا."

ترددوا، وعيونهم تجول بارتباك نحو نزهة المكشوف بوضوح.

صرخت بحدة:

— "انسحبوا."

هذه المرة أطاعوا. انسكبت شرارات من الغضب المذل عن كتفيها وهي تتبعهم في التراجع، مبخرة الماء عن درعها في ضباب كثيف وخانق. تبًا.

لقد نالت منه.

لقد نالت منه.

لم تشعر بهذا النوع من الغضب التافه، هذا السخط المحض، منذ سينغارد. لم يكن هذا بشأن القوات، كان بشأن الكبرياء. في تلك اللحظة كانا تلميذين مرة أخرى، يضربان بعضهما في الحلقة، وقد ضحك لتوّه في وجهها.

الفصل الثامن والعشرون

سأل تشولانغ:

— "ما الذي حدث للتو؟ ما كان ذلك؟"

— "إنه يمتلك إلهًا". سارت رين جيئة وذهابًا أمام هيئة الأركان العامة، ووجنتاها مشتعلتان بالخزي. كان يفترض أنهم يحتفلون. وعدتهم بانتصار مدوٍ، وليس هذا الجمود المحرج. "تنين أرلونغ، حاكم البحار. لم أره قط يسحب المطر لدرع كهذا من قبل. لا بد أنه ازداد قوة. لا بد أنه... لا بد أنه تدرب".

أبقت صوتها منخفضًا كي لا ينتقل. خارج الخيمة، انتظر الجيش الجنوبي في ترقب متحير، وخيبتهم ممزوجة بخوف متصاعد.

عرفت أن الهمسات حول نزهة تنتشر بين القوات. الآلهة تفضل المارشال الشاب، هكذا قالوا. الجمهورية استدعت السماوات، ومنحتهم قوة تنافس قوتنا.

سألت فينكا:

— "إذن لماذا نجلس هنا وحسب؟ كنا نستحقهم، كان يجب أن نطاردهم..."

قاطعتها رين:

— "إذا طاردناهم، سنغرق".

كانت سوجو تقع على بعد أميال فقط شمال نهر موروي الغربي. أي ضربة لاحقة ستكون عقيمة. نزهة بالتأكيد قد تمركز على طول ضفاف النهر، وبمجرد

أن تحاول قواتهم العبور سيلف التيارات حولهم كقبضة ويسحبهم إلى أعماق موروي الموحلة.

تذكرت رين بوضوح كيف هو شعور الغرق. لكن هذه المرة لن ينقذها نزهة. هذه المرة، قد يسحبها هو نفسه لقاع النهر، مثبتًا إياها وهي تتخبط حتى تنهار رئتاها.

لا أستطيع هزيمته.

كان عليها مواجهة تلك الحقيقة الصارخة وغير القابلة للتغيير. لقد أوضح "العنقاء" ذلك تمامًا. حاليًا لا يمكنها الاشتباك مع نزهة واحدًا لواحد والفوز. لم يهم كم جنديًا تملك؛ لم يهم أنها تسيطر الآن على ضعف مساحة أراضيه. إذا التقيا مجددًا في ساحة المعركة، يمكنه قتلها بسهولة بألف طريقة مختلفة، لأنه في النهاية، البحر وأعماقه المظلمة والمبتلعة دائمًا ما تقهر النار.

وعرفت أن نزهة سيزداد قوة فقط كلما اقتربت بمسيرها من أرلونغ. لقد صنع درعًا سميكًا بما يكفي لصد الرصاص بمجرد مياه الأمطار. أرعبها تخيل ما قد يفعله في نهر واسع لدرجة أنه بدا كمحيط.

قبل أيام، كانت تملك كل ميزة استراتيجية. كيف اختفى زخمها بهذه السرعة المفاجئة؟

لو لم تكن القيادة بأكملها تراقبها، لكانت صرخت.

قال كيتاي بهدوء:

— "لا مفر من هذا. علينا الأخذ بنصيحة تشاغان. العودة للخطة الأصلية".

التقت رين بعينيه. اشتعل تفاهم صامت بينهما، وفورًا سقطت قطع الاستراتيجية الواضحة والحتمية في مكانها.

أرعبها ذلك. لكن لم يكن لديهم خيار آخر. لديهم طريق واحد فقط للأمام، والآن هي مسألة العمل من خلال اللوجستيات.

قالت:

— "سيتعين علينا الالتزام بالطرق البرية لأطول فترة ممكنة".

قال:

— "صحيح. نعبر النهر. ونتجه مباشرة أسفل الجبال للعاصمة".

— "وعندما نصل للمنحدرات الحمراء..."

— "سنجد الكهف. ونقتله من المنبع".

نعم. هذا هو الأمر. كانت غبية لظنها أنها قد تفوز بهذه الحملة دون لمس أرلونغ، بينما كانت هي بؤرة القوة طوال الوقت.

يسقط نزهة إذا سقطت أرلونغ. يموت نزهة إذا مات "التنين". لا شيء أقل من ذلك سيفي بالغرض.

نظرت فينكا بينهما:

— "لا أفهم. ما الذي نحاول فعله؟"

همست رين:

— "نحن ذاهبون إلى (كهف المنعطفات التسعة). وسنقتل تنينًا".

***

أمرت رين الجميع بالخروج من الخيمة عدا كيتاي.

كلاهما عرف، دون قول ذلك بصوت عالٍ، أن ما سيأتي تاليًا يجب التخطيط له بدقة وتكتم. كانت هناك طرق كثيرة لـ أرلونغ، لكن طريقًا واحدًا فقط يوصل جيشها هناك سليمًا. علمها ألتان ذات مرة أن الهواة يهوّسون بالاستراتيجية، والمحترفون يهوّسون باللوجستيات. اللوجستيات المعنية الآن تعني الفرق بين عشرات الضحايا والآلاف، ولا يمكن تسريبها.

انتظرت رين حتى تلاشت الخطوات خارج الخيمة إلى الصمت لتتحدث:

— "أنت تعرف ما علينا فعله".

أومأ كيتاي:

— "تريدين شركًا".

– "أفكر في عدة أشراك. جميعها تسلك معابر منفصلة، دون معرفة بالمعابر الأخرى، فقط نقطة اللقاء".

تلك كانت الطريقة الوحيدة التي يمكن أن ينجح بها الأمر. نزهة يسيطر على النهر بأكمله، مما يعني أنه يملك كل ميزة عدا واحدة. هو لا يعرف أين أو كيف ستعبره رين.

في هذه الأثناء، مشكلة رين كانت كيفية نقل طابور كبير عبر النهر عند نقطة لن يتوقعها نزهة. لم تعد تعمل بقوة ضاربة سريعة وصغيرة؛ لا يمكنها تنفيذ نوع الكمائن المفاجئة التي اعتادت عليها.

علاوة على ذلك، كان عليها افتراض أن نزهة لديه جواسيس داخل صفوفها. ربما ليس في دائرتها الداخلية، لكن بالتأكيد من رتب الضباط فما دون. كان ذلك حتميًا في الحرب – كان عليها التخطيط لكل عملية بافتراض أن شيئًا ما سيتسرب. السؤال كان ما إذا كان بإمكانها الحد مما يعرفونه. إذا استطاعت الوثوق بـ تشولانغ وفينكا، فيمكنها تقسيم الخطة لأجزاء لإعطاء جنرالاتها معلومات محدودة، لكن كافية.

قالت:

– "نقسم هذا الجيش لسبعة أجزاء. قد يحالف نزهة الحظ باختيار عشوائي إذا انقسمنا لاثنين أو ثلاثة فقط. سبعة تجعل التخمين أصعب بكثير".

قال كيتاي:

– "العاقبة، بالطبع، هي أنكِ ترسلين سُبع جيشكِ على الأقل لموت محقق".

توقفت، ثم أومأت. سيتعين عليهم ابتلاع ذلك. عليهم قبول أنهم لن يخسروا جنودًا فقط – بل سيخسرون ضباطًا جيدين أيضًا، لأن اختلالًا واضحًا في توزيع القوة سيبدو مريبًا للغاية.

لا مفر من ذلك. عليهم امتصاص المخاطرة، والأمل أن تنجح الأسراب الستة الأخرى في العبور للقاء خارج أرلونغ.

تابع كيتاي:

– "لنفترض الأسوأ. لنفترض أن نزهة أدرك أننا نصبنا أشراكًا، وقسم قواته وفقًا لذلك. لنفترض أنك انتهيتِ بثلاثة أسراب فقط عند نقطة اللقاء. كيف توزينهم على طول قوات أَرلونغ؟"

قالت رين:

– "لسنا مضطرين لغزو أرلونغ. علينا فقط تسميم الكهف. وأنت لا تحتاج لستة أسراب لذلك، تحتاج لواحد فقط".

أومأ بعبوس:

– "حسنًا. إذن لنكتشف كيف نوصل ذلك الواحد".

للساعات الثلاث التالية ناقشوا خط سير الرحلة فوق أكثر الخرائط تفصيلًا وجدوها. سرب واحد، بقيادة فينكا، سيعبر فوق "مخاضة الحكيم". ذلك حيث سيتوقع نزهة ذهابهم — كان المعبر الأكثر ضحالة، الذي لا يتطلب معدات بناء جسور. لكن وضوح تلك الاستراتيجية، مدموجًا بحقيقة أن رين غائبة بشكل واضح، ينبغي أن يكون كافيًا لردع نزهة عن الضرب بقوة أكبر على فينكا. سيرسلون ثلاثة أسراب أخرى لجسور واسعة، وواحدًا لمعبر مخاضة ضيق، وواحدًا لقطاع على طول موروي حيث لا يوجد معبر على الإطلاق.

خلال المسيرة الطويلة، ابتكر كيتاي تصميمًا عبقريًا لجسر ذاتي الدعم يمكن تجميعه في دقائق من عوارض خشبية محمولة. لم يستخدموه في الجبال لقلة الخشب، لكن الآن لديهم الكثير. إذا لم يكن الجسر موجودًا، فسيبنونه.

سأل كيتاي:

– "وأين نعبر نحن؟"

حركت رين القطع:

– "أي مكان. هل يهم؟ إنها فرصة واحد من سبعة أينما ذهبنا".

هز رأسه:

– "واحد من سبعة نسبة عالية جداً. لا بد من وجود طريقة لتقليلها لصفر".

قالت:

– "لا توجد". فهمت رغبته الملحة في الكمال، عرفت أنه سيكون قلقًا ما لم يحل كل متغير أخير، لكنها عرفت أيضًا ألا تستهين بـ نزهة مرة ثانية. يمكنهم جعل فرصهم جيدة جدًا بتجنب الجزء الأكبر من خط الدفاع الجمهوري، بافتراض أن استخباراتهم دقيقة، لكن بخلاف ذلك واحد من سبعة سيتعين أن يكون جيدًا بما يكفي.

قررت:

– "سنأخذ الجسر الضيق عند (خصر نوا). سربنا لن يضطر لنقل أي مدفعية ثقيلة، لذا قيود العرض لن تهم".

سألها:

– "إذن كيف تريدين العبور؟"

– "ما الذي تتحدث عنه؟ هناك جسر".

– "لكن لنفترض أنهم نسفوا الجسر مسبقًا. أو لنفترض أن لديهم جنودًا متمركزين حوله بالكامل. كيف نلتف حول ذلك؟"

كانت هذه الأسئلة بلاغية، أدركت رين. مال كيتاي للخلف، يراقبها بابتسامة ترقب مألوفة.

قالت:

– "أنت لن ترسلني للأعلى في طائرة ورقية".

تهلل وجهه:

– "أفكر في شيء أكبر".

قالت فورًا:

– "لا. لم تنجح أبدًا في جعل ذلك الشيء يطير. وأنا لن أموت في فخ موت هسبيري".

اتسعت ابتسامته:

– "هيا يا رين. ثقي بي. أعطيتكِ أجنحة مرة من قبل".

– "نعم، وهكذا حصلت على هذه الندبة!"

مد يده وربت على كتفها:

– "إذن من الجيد أنكِ لم تهتمي كثيرًا قط بالمظهر الجميل".

***

تفرقت ستة أسراب في الصباح التالي لنقاط عبور محددة منتشرة على نصف قطر عشرة أميال. معظمها كان لديه فرصة جيدة للعبور. أرسل كيتاي طواقم لنقاط عبور وهمية في الليلة السابقة لقطع أشجار الخيزران القريبة بشكل عشوائي. الخيزران مادة جيدة للجسور المؤقتة أو ممرات الخوض. كشافة نزهة سيرون الغابات المقطوعة، ويأملون أن يتوقعوا معابر جسور لن تحدث أبدًا.

اتجهت رين، ودولين، وبيباجي، مصحوبين بما يكفي من القوات فقط لجر المنطاد في ثلاث عربات، مباشرة للجنوب.

على بعد خمسة أميال من معسكرهم خارج شوزو كان هناك امتداد ضحل للنهر يسمى (خصر نوا)، سمي كذلك للطريقة التي ينحني بها بحدة للشرق. الجسر كان مفككًا بالفعل، لكن الماء هناك كان بعمق الركبة فقط. رغم التيارات المنتفخة والمشبعة بمياه الرياح الموسمية، يمكن للقوات المستعدة جيدًا بأكياس الطفو الخوض عبره دون أن يجرفهم التيار.

كانت خطة مملة. جيدة بما يكفي لعدم إثارة الشكوك، لكنها أيضًا غير مثالية. لم يكونوا ليأخذوها.

انفصلوا عن طاقم الشرك عند (خصر نوا) وواصلوا المسير لميلين أبعد جنوبًا، حيث كان النهر أوسع وأسرع.

في وقت أبكر من ذلك الصباح، فكك كيتاي منطاده وحمل الأجزاء في ثلاث عربات. قضوا ساعتين على ضفاف النهر يعيدون بناءه وفق تعليماته

الدقيقة. شعرت رين بكل ثانية تمر كساعة داخلية بينما عملوا، تراقب الضفة المقابلة بتوتر بحثًا عن قوات جمهورية. لكن كيتاي أخذ وقته، يعبث بكل مسمار ويشد كل حبل حتى رضي.

تراجع للخلف، نافضًا الزيت عن يديه:

— "حسنًا. آمن بما يكفي. ليدخل الجميع".

تراجع الشامانات للخلف، يحدقون في السلة بتردد كبير.

تمتم دولين:

— "مستحيل أن يطير ذلك الشيء حقًا".

قالت بيباجي:

— "بالطبع يطيرون. لقد رأيتهم يطيرون".

أشار دولين:

— "رأيت الجيدين يطيرون. ذلك الشيء فوضى لعينة".

كان على رين الاعتراف بأن إصلاحات كيتاي لم تمنحها الكثير من الثقة. بالون السفينة الهوائية الأصلي تمزق بشدة في انفجار تيانشان. رقعه بجلود البقر بحيث، عندما نُفخ بالكامل، بدا كحيوان بشع نصف مسلوخ.

قال كيتاي بانزعاج:

— "أسرعوا".

ابتلعت رين شكوكها وخطت داخل السلة:

— "هيا يا أطفال. إنها رحلة قصيرة".

لم يحتاجوا لرحلة سلسة وخالية من العيوب. احتاجوا فقط للارتفاع في الهواء. إذا تحطموا، فعلى الأقل سيتحطمون على الجانب الآخر.

على مضض، تبعها بيباجي ودولين. جلس كيتاي في غرفة القيادة وجذب عدة رافعات. زأر المحرك للحياة، ثم حافظ على همهمة تصم الآذان وتهز الأرض. من بعيد، بدا ضجيج المحرك دائمًا كالنحل. عن قرب، لم تسمع رين الطنين بقدر ما شعرت به، يهتز عبر كل عظمة في جسدها.

التوى كيتاي للخلف، ولوح بيديه فوق رأسه، وحرك شفتيه بكلمة تمسكوا.

انتفخ البالون بـ "ووش" فوق رؤوسهم. مالت المقصورة بقوة لليمين، ترنحت عن الأرض، ثم تذبذبت في الهواء بينما عمل كيتاي بجنون لتثبيت طيرانهم. تشبثت رين بالدرابزين وحاولت ألا تتقيأ.

صرخ كيتاي فوق صوت المحرك:

— "نحن بخير!"

أشارت بيباجي فوق جانب المقصورة:

— "يا رفاق؟ لدينا رفقة".

شيء ما انطلق مارًا برأسها وهي تتحدث. انقطع الحبل بجوار ذراعها، أطرافه مهترئة بسهم غير مرئي. جفلت بيباجي للخلف، تصرخ.

أمرت رين:

— "انخفضوا".

كان ذلك غير ضروري — الجميع سقطوا بالفعل لأرضية المقصورة، أذرعهم فوق رؤوسهم بينما أز الرصاص فوقهم.

زحفت رين للحافة البعيدة للسلة وضغطت عينها ضد شق في المقصورة. رأت كتلة من الأزياء الزرقاء تتسابق نحو ضفاف النهر، بنادقهم موجهة للسماء.

تبًا. لا بد أن نزهة نشر قوات على طول كل امتداد للنهر بمجرد أن أدرك أن الجيش الجنوبي انقسم لأجزاء. ومركبتهم الجوية كانت مرئية الآن من على بعد أميال، هدف واضح يتدلى سمينًا في الهواء.

جولة أخرى من النيران هزت السلة. صرخ شخص ما ألمًا. نظرت رين من فوق كتفها لترَ أحد جنودها يمسك ساقه، وقدمه فوضى دموية أسفل الكاحل.

صرخ كيتاي، يصارع الرافعات:

– "استخدمي المدافع!" كان ينجح في التوجيه، لكن بشكل سيئ– انحرف المنطاد بحدة للشرق، جاذبًا إياهم أقرب لكل من الشاطئ المقابل والكمين. "إنها ملقمة!"

صرخت رين ردًا:

– "لا أعرف كيف!"

لكنها انخفضت بجانبه وتخبطت عند المدافع بغض النظر. عبقري، فكرت بذهول. المقابض سمحت لها بتدوير فوهات البنادق 360 درجة تقريبًا، مصوبة على أي شيء عدا نفسها.

مضيقة عينيها، صوبت مدفعًا واحدًا بأفضل ما استطاعت نحو الكتيبة الأرضية وصبت تيارًا من النار في الماسورة.

قذفها الارتداد ضد جدار المقصورة. تدافعت لركبتيها، تسلقت للأمام، وأمسكت بمقبض المدفع الثاني. نفس العملية. هذه المرة عرفت أن تنخفض قبل أن يضربها الارتداد. لم تستطع رؤية التداعيات، ليس من حيث كانت جاثمة، لكن التحطم والصرخات التي تلت وعدت بنتائج جيدة.

ترنحت المقصورة لليسار. اصطدمت رين بجانب كيتاي.

لهث كيتاي:

– "البالون". كان قد استسلم مع الرافعات. "لقد ثقبوه، نحن نسقط..."

فتحت فمها لترد في نفس اللحظة التي مالوا فيها مجددًا، منحرفين بقوة في الاتجاه الآخر.

قال كيتاي بحدة:

– "اخرجوا".

فهمت. تدافعا معًا خارج غرفة القيادة للمقصورة الرئيسية. لم يعد لديهم أمل في طيران هذا الشيء بعد الآن; كان عليهم فقط الثبات حتى يقتربوا بما يكفي من الأرض.

أقرب، أقرب...

قفزت رين من السلة، هابطة وركبتاها مثنيتان، آملة توزيع الارتطام عبر جسدها. لم ينجح الأمر. صدم الألم كاحليها، شديداً لدرجة أنها انثنت لعدة ثوانٍ، تصرخ بلا كلمات، قبل أن تتمالك نفسها.

– "كيتاي..."

– "هنا تمامًا". تسلق لركبتيه، يسعل. علامات حروق خططت شعره السلكي. أشار لشيء خلفها. "اهتمي بـ..."

مدت رين كفها. انفجرت النار للخارج، تقوست حولهم في قطع مكافئ، واندفعت للأمام عشرين، ثم ثلاثين ياردة. دفعت رين أكبر قدر ممكن من الغضب في ذلك الجحيم، جعلته حارًا بشكل شرير ومدمر. إذا نجا أي شخص في الكمين الجمهوري من مدافع المنطاد، فهو رماد الآن.

وضع كيتاي يده على ذراعها:

– "يكفي. هذا يكفي".

استدعت رين اللهب عائداً للداخل.

تسلق بيباجي ودولين خارج السلة، يسعلان. تحركت بيباجي بعرج، تقفز وذراعها ملقاة فوق كتف دولين، لكن لم يبدُ أي منهما مصابًا بجروح خطيرة. تسربت حفنة من الجنود خارج المنطاد خلفهم.

أطلقت رين تنهيدة ارتياح. لم يكونوا مرتفعين جداً قبل أن يتحطموا. كان يمكن لهذا أن يكون أسوأ بكثير.

أشارت بيباجي للحطام خلفها:

– "جنرال؟ هناك... هناك شخص ما..."

جندي واحد فقط لم ينجح في الخروج. كان ملقى مثبتًا تحت جانب المحرك. كان لا يزال واعيًا – يئن، ووجهه منقبض في عذاب. ساقاه كانتا خرابًا تحت كتلة الفولاذ الملتوي.

تعرفت عليه رين. كان أحد أصدقاء كينين، أحد الشباب ذوي الذقون الخشنة الذين تبعوها دون تردد طوال الطريق من لييانغ لجبل تيانشان.

بخجل، أدركت أنها لا تستطيع تذكر اسمه.

شد الجنود معًا ضد جانب المقصورة، لكن لم يستطع أحد تحريكها. وما الجدوى؟ لقد سحقت أكثر من نصف جسد الجندي. استطاعت رين رؤية شظايا عظم حوضه متناثرة عبر الأرض المحروقة. لا يمكنهم إيصاله لـ ليانهوا في الوقت المناسب. لا شفاء من هذا.

قال الجندي:

– "أرجوكِ".

قالت رين:

– "أفهم". وجثت لتبتر عنقه.

في وقت مضى كانت لتتردد؛ الآن لم ترمش حتى. عذابه كان واضحًا جدًا، والموت ضروريًا جدًا. مررت سكينها عبر وريده الوداجي، انتظرت عدة ثوانٍ لينهي الدم مساره، ثم أغلقت عيني الجندي.

وقفت. عينا دولين كانتا ضخمتين. بيباجي كانت تضع يدًا بإحكام على فمها.

قالت رين بحدة:

– "لنذهب. حان وقت قتل تنين".

الفصل التاسع والعشرون

من حطام المنطاد، كان المسير سريعًا لثلاثة أميال عبر جانب الجبل إلى حافة المنحدرات التي تحيط بـ أرلونغ كصدفة محار. حين اخترقوا أخيرًا جدار الغابة الكثيفة، امتد نهر "موروي" العظيم والواسع في أفقهم، ممتدًا بلا نهاية وكأنه المحيط. وأمامهم انتصبت "المنحدرات الحمراء" الشهيرة لـ أرلونغ، تلمع في شمس الظهيرة مثل دم مسفوك حديثًا.

توقفت رين عند الحافة، تبحث في الجدار المقابل حتى وجدت سلسلة من الرموز، محفورة بشكل مائل في واجهة الصخر بحيث لا تكون مرئية إلا حين يسقط عليها الضوء بزاوية معينة.

لا شيء يدوم.

كانت تلك الكلمات الشهيرة، المكتوبة بلغة النيكان القديمة شبه المستحيلة فك شفرتها، والتي حفرها في "المنحدرات الحمراء" آخر وزير موالٍ للإمبراطور الأحمر قبل لحظات من اقتحام أعدائه للعاصمة وتعليق جسده المسلوخ فوق أبواب القصر.

لا شيء يدوم. العالم غير موجود. توصل نزهة وكيتاي لتلك الترجمات المتضاربة. كلاهما كان مخطئًا، وكلاهما كان محقًا. ترجماتهما كانتا وجهين لنفس الحقيقة — أن الكون حلم يقظة، شيء هش ومتغير، طيف من الألوان تشكله أهواء الألوهية التي لا يمكن التنبؤ بها.

آخر مرة كانت رين هنا، قبل عام شعر وكأنه دهر مضى، كانت عمياء بالولاء والحب. كانت تحلق بين هذه المنحدرات على أجنحة محمولة بالنار،

تقاتل نيابة عن يين فايسرا لأجل جمهورية تأسست على كذبة. كانت تقاتل لإنقاذ حياة نزهة.

خلف القناة الضيقة، استطاعت بالكاد تمييز صورة ظلية للعاصمة. أخرجت منظارها من جيبها وتفحصت محيط المدينة للحظة، حتى لمحت حركة قرب كل بوابة من بواباتها — كتائبها، تتحرك مثل قطع شطرنج تسقط بانتظام في تشكيلاتها. مما استطاعت رؤيته، نجحت أربعة من طوابير التمويه على الأقل في تجاوز نهر "موروي". طابور فينكا، لارتياحها، كان بينهم — وبينما كانت رين تراقب، ساروا بثبات أسفل المنحدرات من الشمال الشرقي. لم ترَ أي أثر للكتيبتين الأخيرتين، لكنها لم تستطع القلق بشأن ذلك الآن. في غضون دقائق، سيبدأ الغزو البري لـ أرلونغ.

كان ذلك الجزء من الهجوم مجرد ضجيج. الطوابير الأربعة التي تحاصر أرلونغ كانت مسلحة بأكثر المقذوفات بهرجة في ترسانتهم — صواريخ مزدوجة التركيب، ومدافع ضخمة قصيرة المدى، ومفرقعات نارية أعيد توظيفها ومحشوة بالشظايا. كان القصد منها لفت انتباه نزهة، لخداعه ليعتقد أن الهجوم البري جهد أكبر مما كان عليه. عرفت رين، استنادًا إلى الأرقام وحدها، أنها لا تستطيع الفوز في معركة برية مستمرة، ولا حصار طويل الأمد. ليس حين كان نزهة يرسي دفاعاته لأسابيع؛ ليس حين كانت كل حيل وأسلحة الجمهورية الأخيرة مخفية خلف تلك الأسوار.

لكن لم يكن عليهم الفوز، كان عليهم فقط إحداث جلبة.

قال كيتاي:

— "حظًا سعيدًا."

كان سيبقى خلفهم فوق "المنحدرات الحمراء" — قريبًا بما يكفي ليشهد كل شيء عبر منظاره، لكن بعيدًا بما يكفي ليبقى بمنأى عن الأذى. ضغط على معصمها.

— "لا تفعلي شيئًا غبيًا."

ردت رين:

— "ابقَ آمنًا."

أجبرت صوتها على البقاء عاديًا. فظًا. لا وقت للعاطفة الآن. كانا يعلمان بالفعل أن هذا قد يفشل؛ لقد قالا وداعهما الليلة الماضية.

أعطاها كيتاي تحية عسكرية ساخرة:

— "أبلغي نزهة تحياتي."

أنهت جولة من نيران المدافع كلماته من عبر القناة. توهجت إشارات دخان فينكا ساطعة ضد السماء الرمادية. لقد بدأ الغزو النهائي. وبينما كانت أرلونغ تندلع بالانفجارات، نزلت رين وشاماناتها جانب المنحدر لإنهاء الأمور مرة واحدة وإلى الأبد.

***

كانت رين قلقة من أن يكون العثور على المغارة صعبًا. كل ما كان لديها هو شظايا تذكرتها من واحدة من أكثر المحادثات إيلامًا خاضتها، تتردد عبر عقلها بصوت نزهة المنخفض والمعذب. هناك مغارة على بعد حوالي ميل من مدخل هذه القناة، كهف بلوري تحت الماء.

لكن بمجرد أن أصبحت في الأسفل في ظل "المنحدرات الحمراء"، تخوض عبر المياه الضحلة نفسها حيث لعب نزهة وإخوته منذ زمن بعيد، أدركت أن الطريق إلى التنين كان واضحًا. جانب واحد فقط من القناة كان مصطفًا بأفواه الكهوف. وإذا أرادت العثور على عرين التنين، كل ما كان عليها فعله هو تتبع الجواهر.

كانت مغمورة في قاع النهر، تلمع وتتلالأ تحت الأمواج اللطيفة. تكدست الكنوز أعلى كلما اقتربوا من الكهوف — كؤوس مرصعة باليشم، ودروع صدرية مذهبة، وقلائد من الياقوت الأزرق، وأكاليل ذهبية، منثورة مقابل عرض مبهر

لسبائك الفضة. لا عجب أن نزهة وشقيقه غامرا بتهور ذات مرة داخل المغارة. لم يكن ليهم كم مرة حُذرا بالابتعاد. أي طفل صغير يمكنه مقاومة هذا الإغراء؟

استطاعت رين استشعار أنها قريبة. استطاعت الشعور بالقوة المنبعثة من المغارة؛ بدا الهواء كثيفًا بالطاقة، مشوبًا بفرقعة ثابتة غير مسموعة، تشبه كثيرًا الجو الذي شعرت به في جبل (تيانشان). الحد الفاصل بين البشر الفانين والإلهي هنا كان رقيقًا بشكل استثنائي.

توقفت رين للحظة، مضروبة بإحساس غريب للغاية بأنها كانت هنا من قبل.

مباشرة خارج مدخل المغارة، أفسحت الجواهر الطريق للعظام. كانت جميلة بشكل مذهل، تضيء الماء بوهجها الأخضر الخافت الخاص. لم يكن هذا نتاج تعفن وتآكل. شخص ما — شيء ما — بنى هذا المسار، وقشر اللحم بحب عن جثثه المجمعة ورتب العظام في دعوة أنيقة ومتوهجة.

تمتم دولين:

— "أقسم بالسلحفاة العظيمة. فلننسف هذا المكان بأكمله من الماء."

هزت رين رأسها:

— "نحن بعيدون جدًا."

لم يروا التنين حتى. احتاجوا للاقتراب أكثر بكثير — إذا أشعلوا صواريخهم الآن، فسينبهون حراس نزهة فقط.

— "أمسكوا نيرانكم حتى نراه يتحرك."

سارت بجرأة للأمام، تحاول تجاهل العظام المسننة تحت حذائها. فتحت كفها وهي تعبر إلى الداخل المظلم، لكن نيرانها لم تضئ سوى بضعة أقدام داخل الكهف. بدا الظلام فيما وراء ذلك يبتلعها كاملة. تتبعت رين بأصابعها النتوءات في الجدار بحثًا عن شيء يرشدها، ثم سحبت يدها للخلف حين أدركت ماهيتها. اضطربت معدتها.

كانت الجدران مصطفة بوجوه— وجوه جميلة ومتناظرة من كل حجم وشكل؛ لرجال بالغين وفتيات صغيرات؛ وجوه بلا شعر، وبلا عيون، وبلا تعبير. لم يلمس العفن الجلد النقي الخالي من الدم. هذه الرؤوس علقت في مساحة نُحتت خارج الزمن، الآن وإلى الأبد.

ارتجفت رين.

المحيط يحب الاحتفاظ بكنوزه. المحيط لا يدمر. المحيط يجمع.

ذات مرة، سار نزهة يدًا بيد مع أخيه الصغير نحو هذه المغارة. تجاهل التحذيرات التي لا تحصى لأن مينغزا توسل بشدة، ولأن نزهة لم يستطع رفض طلب لـ مينغزا. لم يكن يعرف الخطر، ولم يوقفه أحد. بالطبع لم يوقفه أحد— لأن فايسرا تركه يذهب، أرسله للداخل عمدًا، لأنه عرف أنه يومًا ما، سيحتاج الوحش الذي سيصبحه نزهة.

أدركت رين الآن لماذا بدت المغارة مألوفة جدًا. لم يكن هذا مثل جبل (تيانشان) على الإطلاق. المعبد السماوي كان مكانًا للخفة، والوضوح، والهواء. هذا المكان حمل تاريخًا أثقل. هذا المكان كان ملوثًا بلطخة فانية، كان مشبعًا بالألم والحزن، كان شاهدًا على ما يحدث حين يجرؤ البشر الفانون على مصارعة الآلهة.

لقد شعرت بألوهية كهذه مرة واحدة فقط من قبل، قبل دهر مضى، في أسوأ يوم في حياتها.

في تلك اللحظة، كان يمكن أن تكون واقفة في المعبد في سبير.

— "جنرال!"

ترددت صيحات مفاجئة من فم الكهف. استدارت رين. أشار جنودها عبر النهر، حيث طار قارب (سامبان) صغير وأنيق فوق الماء نحوهم. تلك السرعة لا يمكن تحقيقها بالأشرعة أو عجلات التجديف.

نزهة كان على ذلك القارب.

أمرت رين دولين:

– "الآن."

ركع وضغط بيديه على أرضية المغارة. تدحرجت اهتزازات تحت قدمي رين، تتردد أسفل أعماق الكهف التي لا تُسبر. تدفق الغبار والماء من سقف الكهف، مغطيًا إياهم جميعًا بالتراب.

لكن الدمدمة لم تتصاعد لزلزال مدمر للأرض. ولم ينهار داخل المغارة.

هسهست رين:

– "ماذا تفعل؟ ادفن ذلك الشيء."

برز عرق من صدغ دولين:

– "لا أستطيع."

كان الـ (سامبان) قد قطع بالفعل منتصف النهر؛ سيصل إليهم في ثوان. الوسائل التقليدية إذن. أومأت رين لقواتها.

– "أطلقوا النار."

امتثلوا، رافعين رماحهم الصاروخية. صوبوا؛ وأرسلت هي شعلة تتلولب لإشعال الفتائل. طارت ثمانية رماح مزودة بمتفجرات قوية وهي تصرخ داخل فم الكهف. لم تستطع رؤية المدى الذي وصلت إليه، لكن بعد لحظة، سمعت دويًا مكتومًا، وتحته، أنينًا منخفضًا ومدمدمًا بدا بشريًا تقريبًا.

ثم ماج النهر، وأصبح نزهة فوقهم.

***

جثت رين، متأهبة لضربته الافتتاحية. لكنها لم تأتِ.

ترجل نزهة عن جانب الـ (سامبان)، يتحرك بعفوية وكأنه وصل للتو لوقت الشاي. جاء وحيداً. لم تغرق قدماه حين لمستا الماء، بل داس باستواء فوق سطح النهر وكأنه رخام.

لم يسحب درعًا حوله وهو يقترب. لم يكن بحاجة لذلك. كان واثقًا هنا في مجاله، محميًا بماء لا ينتهي من جميع الجهات. يمكنه صد أي هجوم قد تحاوله دون جهد.

كانت تعلم جيدًا أنها ظلت واقفة فقط لأنه كان فضوليًا.

قال:

— "مرحبًا يا رين. ماذا تظنين أنكِ تفعلين هنا؟"

— "لماذا لا تسأل نفسك؟" أومأتَ برأسها نحو أرلونغ. "المدينة تحترق."

— "لاحظت. إذن لماذا لستِ هناك؟"

— "ظننت أن بإمكانهم التدبر بدوني."

انتقلت عيناها بسرعة نحو بيباجي، التي وقفت منحنية بشكل غير ملحوظ خلف دولين. كانت عيناها مغلقتين، وشفتاها تتحركان بصمت وهي تغرق في غيبوبة. تشكلت سحابة سوداء صغيرة حول كاحليها، ونبضت بتردد، ثم بدأت تمتد نحو نزهة مثل محالق دخان تنبسط تحت الماء.

فتاة جيدة. احتاجت رين فقط لشراء بضع ثوانٍ لها.

قال نزهة:

— "أخبريني. ماذا ظننت أنكِ ستفعلين، بمجرد العثور على المغارة؟"

قالت رين:

— "كنت سأفكر في شيء ما. أفعل دائمًا."

لم يلقِ نزهة حتى نظرة على بيباجي. كانت عيناه مثبتتين على عيني رين. اقترب ببطء، وأصابعه تمسد مقبض سيفه. إنه يشمت، أدركت رين. ظن أنه كشف خطتها بالكامل. ظن أنه فاز. لا يجب أن يكون متهورًا هكذا.

وصلت المحالق الحبرية للماء تحت قدمي نزهة.

سحبت رين نفسًا حادًا.

جفل نزهة وتعثر للخلف. تبعه السم، يسابق صعودًا على ساقيه وتحت ملابسه. ظهرت خطوط سوداء من تحت ياقاته وأكمامه. وحيث لمست أكاليله الذهبية، أصدرت هسهسة.

أصدرت بيباجي صوت زمجرة غير بشري. لمعت عيناها بلون بنفسجي داكن، والتوى فمها في تكشيرة قاسية لم ترها رين على وجهها من قبل.

همست:

– "تحطم."

لكن نزهة لم يسقط. كان من الواضح أنه يتألم بشدة – تشنج في مكانه، وخطوط السم تتلوى حول جسده مثل حشد من الثعابين السوداء. لكن جلده لم يذبل؛ وأطرافه لم تتعفن وتتآكل. ضحايا بيباجي عادة ما يستسلمون في ثوان. لكن شيئًا ما تحت جلده صد الخطوط الداكنة، مصلحًا تآكلها.

نظرت بيباجي لأسفل إلى أطراف أصابعها، محتارة، وكأنها تتحقق من أنها لا تزال سوداء.

توقف نزهة عن التلوّي. اعتدل في وقفته، يفرك عنقه. كان السواد قد تلاشى بالفعل من جلده.

تنهد بمسرحية:

– "آه يا رين. كان ذلك لينجح أيضًا. لكنكِ كشفتِ أوراقكِ مبكرًا جدًا."

أطبق قبضته وهوى بها في ضربة وحشية. ارتفع عمود من الماء خلف بيباجي وسحقها في النهر. حاولت بيباجي، وهي تبصق الماء، النهوض على قدميها. لكن الماء ارتفع وهبط، ضاربًا إياها مرارًا وتكرارًا لتسقط على ركبتيها.

صرخت بيباجي. امتد السواد في أصابعها صعودًا عبر ذراعيها. تفتحت سحب نيلية أكثر تحت الماء، تتسابق نحو نزهة كمخلوقات بحرية. قام نزهة بحركة تجويف بيده. اندفع الماء تحت قدمي بيباجي لأعلى، قاذفًا بها عدة أقدام للخلف. هذه المرة استلقت ساكنة. واختفت الخطوط الداكنة.

سخر نزهة:

– "هذا أفضل ما استطعتِ التوصل إليه؟ جئتِ خلفي بفتاة صغيرة؟"

لم تستطع رين الكلام. غشى الذعر عقلها. لم يكن هناك شيء يمكنها قوله، لا شيء يمكنها فعله – حتى (العنقاء) كان مرتعبًا، مترددًا في إعارة نيرانه، متوقعًا بالفعل معركة خاسرة.

مد نزهة أصابعه نحو بيباجي. ظنت رين أن الفتاة ماتت – جزء منها تمنى لو أنها ماتت وحسب – لكن بيباجي كانت حية وواعية، وصرخت بينما رفعتها كتلة من الماء، أحاطت بخصرها، ثم زحفت لأعلى كتفيها.

صرخت بحدة:

– "توقف! توقف، أرجوك، رحمة..."

أغلق النهر فوق وجهها. انقطعت صرخاتها إلى العدم. رفع نزهة ذراعه للسماء. علقت بيباجي عاليًا فوق النهر، معلقة داخل عمود شاهق من الماء. تلوت بجموح، تحاول السباحة للخروج، لكن الماء انتفخ فقط ليحتوي تخبطها. سحب دولين سيفه وضرب بوحشية في العمود كما قد يفعل بشجرة، لكن نزهة لوى أصابعه، وانتزع الماء نصل دولين من قبضته.

تلوى فم بيباجي بيأس. استطاعت رين قراءة شفتيها.

ساعديني.

دون تفكير آخر، سحبت رين النار إلى يدها واندفعت.

نقر نزهة معصمه. ارتفعت موجة أمامها وتحطمت، طارحة إياها مسطحة على ظهرها. تنهد نزهة وهز رأسه.

– "هذا كل شيء؟"

عصر الرعب صدرها وهي تنهض. سهل جدًا. كان هذا سهلًا جدًا عليه.

– "الآن أنت." وجه نزهة قبضة نحو دولين المندفع.

لم يملك دولين فرصة أبدًا. لم ترَ رين ما فعله نزهة. كانت لا تزال تتسلق لتقف، ترمش لإخراج الماء من عينيها. كل ما شعرت به كان جذبة قوية، مثل تيار مؤقت، ثم تحطم للماء. حين اعتدلت أخيرًا، كان دولين قد اختفى.

التفت نزهة عائدًا نحو بيباجي:

— "إليكِ الأمر بشأن المحيط. إذا سبحتِ عميقًا بما يكفي، فالضغط يمكن أن يقتلكِ."

بكل عفوية، ضغط قبضته. جحظت عينا بيباجي. قام نزهة بحركة رمي. قذف عمود الماء بيباجي إلى الجانب مثل دمية خرقة. هبطت ووجهها لأسفل، مرتخية، في المياه الضحلة. طفت، لكنها لم تتحرك.

تدحرجت رين على جانبها وأرسلت تيارًا من النار يزمجر نحو وجه نزهة. لوح بيده. انطلق الماء لتشتيت اللهب. لكن ذلك اشترى لـ رين بضع ثوانٍ ثمينة، استخدمتها لاستعادة توازنها، والجثوم، والقفز.

كان عليها طرحه أرضًا. الهجمات بعيدة المدى لن تنجح؛ دروعه قوية جدًا. مرة أخرى، أملها الوحيد هو ضربة في مسافة قريبة. لأقصر لحظة، وهي تندفع مصطدمة بجانبه، لم تهم الآلهة — كانا هما الاثنين فقط، فانيان وبشر، يتدحرجان ويتلويان في النهر. ركلها بركبته في فخذها. تحسست حول وجهه، تحاول فقوء عينيه. وجدت يداه قبضة حول عنقها وضغطت.

تحطم الماء فوقهما وأجبرهما لأسفل، ممسكًا بهما تحت السطح. ركلت رين واختنقت بلا جدوى. ضاقت أصابع نزهة على عنقها، وسحق إبهاماه حنجرتها.

ساعدني. قذفت رين بأفكارها بجموح نحو (العنقاء). ساعدني.

سمعت رد الإله كصدى مكتوم وبعيد. التنين قوي جدًا. لا يمكننا...

تشبثت باتصالهما. جذبت بقوة. لا أهتم.

تدفقت الحرارة عبر عروقها. ضغطت فمها على فم نزهة. اندلعت النيران تحت الماء، وانفجر النهر حولهما. انكسرت قبضة نزهة. رأت فقاعات تغلي فوق جلده، وعلامات وردية حارقة عبر وجهه.

اخترقت رين السطح، تلهث. بدا العالم ملفوفًا بضباب أسود. سحبت عدة أنفاس أجشة وعميقة. صفت رؤيتها، ومن زاوية عينها رأت نزهة يقف.

جثت، والشرار يتطاير حولها، مستعدة لجولة ثانية.

لكن نزهة لم يكن ينظر إليها. كافح للوقوف، ملابسه ممزقة ومحروقة تحت درعه، ووجهه يلمع باحمرار بثور تختفي بسرعة. عيناه، المتسعتان برعب، كانتا مثبتتين على شيء خلفها.

استدارت.

عميقًا داخل المغارة، تحرك شيء ما.

***

أطلق نزهة أنين رعب منخفض:

— "رين، ماذا فعلتِ؟"

لم يكن لديها رد. كانت متسمرة في الأرض برعب محض، غير قادرة على فعل شيء سوى المشاهدة في رعب مذهول بينما يخرج تنين أرلونغ من عرينه.

تحرك ببطء، بثقل. كافحت لاستيعاب شكله؛ كان ضخمًا جدًا لدرجة أنها لم تستطع إدراك محيطه، فقط حجمه. حين رفع رأسه، ألقى بهم جميعًا — رين، ونزهة، وقواتها — في ظله الجبلي.

التنانين في أساطير الـ (نيكان) كانت مخلوقات أنيقة، حكيمة، أسياد متطورة للأنهار والمطر. لكن التنين لم يشبه في شيء الثعابين السماوية الملساء التي علقت في لوحات حول القصر في أرلونغ. بدا بشكل غامض كثعبان، سميك ومتموج، جسده الداكن والمنتفخ ينتهي برأس مسنن ومتعرج. كان الجانب السفلي للمحيط وقد دبت فيه الحياة.

التنين يجمع الأشياء الجميلة. هل كان ذلك لأن البحر يمتص أي شيء يلمسه؟ لأنه كان واسعًا ومظلمًا بشكل لا يسبر لدرجة أنه سعى لأي زينة يمكنه العثور عليها لتعطيه شكلًا؟

أمال التنين رأسه الضخم وزأر — صوت شُعِر به أكثر مما سُمع، اهتزاز بدا قادرًا على تحطيم العالم.

قالت رين لقواتها، تحاول بذل قصارى جهدها للحفاظ على توازن صوتها:

— "اثبتوا في أماكنكم."

لم تكن خائفة. لم تكن خائفة — إذا اعترفت بأنها خائفة، فستنهار.

— "ابقوا هادئين، صوبوا لعينيه..."

هاج التنين. ولرصيد القوات العظيم، لم يترددوا أبدًا. حملوا أسلحتهم عاليًا وبلا جدوى حتى النهاية.

انتهى الأمر في ثوان. كانت هناك ومضة حركة، وجزء من الثانية من الصرخات، ثم تراجع سريع. لم ترَ رين فكيه يتحركان. كل ما رأته كانت أسلحة مرمية، وخطوط حمراء تنتشر فوق السطح، وقطع دروع تطفو على الأمواج المتمايلة.

انتفض التنين للخلف، ورأسه مائل للجانب، يتفحص فريسته المتبقية.

رفع نزهة ذراعيه لأعلى. ماج النهر مشكلاً حاجزًا بينه وبين التنين، جدار أزرق يمتد قرابة عشرين قدمًا في السماء. تحرك التنين كسوط يلسع. شيء ضخم ومظلم تحطم عبر الماء. ذاب الحاجز، مُمزقًا كورقة واهية.

دعيني، حثها (العنقاء). رن صوته أعلى في عقلها مما سمعته قط، مغرقًا أفكارها الخاصة للحظة. أعطني السيطرة.

ترددت رين. تشكل اعتراض نصف مكتمل. كيتاي...

قال (العنقاء): الفتى لن يكون عائقًا. إذا أردتِ ذلك.

رمشت عينا رين نحو التنين. أي خيار كان لديها؟

أريد ذلك.

أخذ (العنقاء) الزمام بالكامل. تدفقت النيران من عينيها، وأنفها، وفمها. انفجر العالم إلى اللون الأحمر؛ لم تستطع إدراك أي شيء آخر. لم تستطع معرفة ما إذا كان نزهة آمنًا، أم أنه حُرق حيًا بمجرد قربهما. لم تكن لتستطيع إيقاف ذلك إن حدث. لم تكن تملك إرادة الآن، ولا سيطرة — لم تكن تستدعي النار؛ كانت مجرد قناة لها — بوابة ممزقة وغير مقاومة زأرت النار من خلالها إلى العالم المادي.

عوى (العنقاء)، منطلقًا بحرية.

ترنحت، غارقة بالرؤية المزدوجة للمستوى الروحي متراكبًا على العالم المادي. رأت طاقات إلهية نابضة، أحمر قرمزي ضد أزرق سماوي. غلى النهر وتبخر. طفت أسماك مسلوقة على السطح. ومض شيء في عقلها، ثم اختفى النهر والمغارات من بصرها.

كل ما استطاعت رؤيته الآن كان سهلًا أسود شاسعًا، وقوتين تندفعان وتتبارزان بداخله.

لم تستطع الشعور بـ كيتاي. في تلك اللحظة، بدا بعيدًا جدًا لدرجة أنهما ربما لم يكونا مرتبطين على الإطلاق.

مرحبًا مجددًا، أيها الطائر الصغير. كان صوت التنين أنينًا مدمدمًا، عميقًا، ومتثائبًا، وخانقًا. بدا صوته مثلما يبدو الغرق. أنت مثابر.

اندفع (العنقاء). وانتفض التنين للخلف.

كافحت رين لفهم الآلهة المتصادمة. لم تستطع متابعة مبارزتهما؛ كانت هذه المعركة تحدث على مستويات أعقد بكثير من أن يعالجها عقلها. استطاعت رؤية تلميحات منها فقط؛ انفجارات عظيمة من الصوت واللون بظلال وسجلات لا يمكن تخيلها بينما تشابكت قوى النار والماء، قوتان قويتان بما يكفي لإسقاط العالم، كل منهما متوازن بالآخر فقط.

كيف يمكنك الفوز؟ فكرت بجموح. الآلهة لم تكن شخصيات؛ كانت قوى أساسية للخلق، عناصر مكونة للوجود نفسه. ماذا يعني أن يقهر أحدهم الآخر؟

فوق الضجيج، ظنت أنها سمعت نزهة يصرخ.

ثم تصاعدت الحرارة بداخلها، تحرق بوهج أبيض شديد لدرجة أنها خافت أن تكون قد تبخرت. بدا أن (العنقاء) قد كسب اليد العليا — هيمنت انفجارات القرمز على المستوى الروحي الآن، واستطاعت رين بالكاد تمييز قمع عظيم من النار يحيط بشكل التنين المظلم.

هل فعلاها؟ هل فازا؟ بالتأكيد لا شيء، لا رجل ولا إله، يمكنه النجاة من ذلك الهجوم الكاسح. لكن حين انتهى الأمر — حين ماتت نيرانها، وحين عاد العالم المادي للظهور في رؤيتها، وحين أصبح جسدها ملكًا لها وترنحت وتعثرت في الماء الضحل، تكافح للتنفس، رأت أنها لا تزال في ظل الوحش العظيم.

نارها لم تفعل شيئًا للتنين على الإطلاق.

صمت (العنقاء). شعرت رين بالإله ينحسر من عقلها، بقعة حرارة تفر كنجم يحتضر، تزداد برودة وبعدًا حتى اختفت.

ثم أصبحت وحيدة. عاجزة.

أمال التنين رأسه، وكأنه يسأل: ماذا الآن؟

حاولت رين الوقوف وفشلت. كانت ساقاها جذوعًا في الماء؛ لم تطيعاها. زحفت للخلف، أصابعها المخدرة تقاتل للإمساك بسيفها. لكنه كان شيئًا صغيرًا وهشًا للغاية. أي خردة معدنية يمكنها حتى خدش ذلك المخلوق؟

انتصب التنين بكامل طوله، معتمًا النهر بأكمله بظله. حين اندفع للأمام، كل ما استطاعت فعله هو إغلاق عينيها.

شعرت بالتأثير لاحقًا، تحطم هز الأرض وترك أذنيها ترنان. لكنها لم تمت. لم تكن حتى مصابة. فتحت عينيها، مرتبكة، ثم نظرت لأعلى. درع مائي عظيم وقف فوقها. وبجانبها وقف نزهة، ويداه ممدودتان للسماء.

كان فمه يتحرك. مرت عدة ثوانٍ قبل أن يصبح صراخه مسموعًا عبر أذنيها الطنانتين.

— "...أيتها الحمقاء اللعينة... ماذا كنتِ..."

تمتمت، ولا تزال مذهولة:

— "ظننت أنني أستطيع قتله. ظننت... ظننت حقًا..."

— "هل تعرفين ما فعلتِه؟"

أومأ نحو المدينة. تبعت رين نظره. ثم فهمت أن السبب الوحيد لبقائهما حيين هو أن التنين كان مشغولًا بجائزة أعظم بكثير.

ارتفعت أمواج هائلة بثقل من النهر واندفعت، عالية بشكل غير طبيعي وبطيئة بشكل غير طبيعي، أسفل القناة. أظلمت الغيوم الرمادية، وتكثفت في غضون ثوانٍ لتتحول إلى عاصفة وشيكة. من هذه المسافة، بدت أرلونغ واهية جدًا. قلعة رملية صغيرة، هشة جدًا، مؤقتة جدًا، في ظل الأعماق القائمة.

همست رين:

— "ساعدني على النهوض. كدت أفعلها، يمكنني المحاولة مرة أخرى..."

— "لا يمكنكِ. أنتِ ضعيفة جدًا."

تحدث نزهة بلا نبرة أو حقد. لم تكن إهانة، كانت حقيقة بسيطة. وبينما كان يراقب الشكل المظلم يتحرك تحت السطح نحو المدينة، اكتسى وجهه المندب بالعزم. أسقط الحاجز المائي — لم يعد ضروريًا تقريبًا الآن — وبدأ يسير بخطوات واسعة نحو التنين.

مدت رين يدها غريزيًا ليده، ثم تراجعت، محتارة من نفسها.

— "ماذا..."

قال:
– "ابقِ منخفضة. وحين تسنح لكِ الفرصة، اركضي."
كانت مذهولة جدًا لفعل أي شيء سوى الإيماء. لم تستطع تجاوز مدى غرابة الأمر؛ كيف توقفا فجأة عن محاولة قتل بعضهما البعض؛ كيف كانا، من بين كل الأشياء، يقاتلان مرة أخرى في نفس الجانب. لم تستطع استيعاب لماذا أنقذها نزهة. ولا استطاعت فهم الطريقة التي التوى بها قلبها وهي تشاهده يسير للأمام، ذراعاه مفرودتان ومكشوفتان، يقدم نفسه للوحش.
تذكرت تلك الوقفة. تذكرت مشاهدتها منذ زمن طويل لـ ألتان وهو يسير نحو سوني الهائج، غير خائف وغير مسلح، يتحدث بهدوء وكأنه يدردش مع صديق قديم. وكأن الإله في عقل سوني، الغريب والمتقلب، لن يجرؤ على كسر عنقه.
لم يكن نزهة يحاول قتال التنين. كان يحاول ترويضه.
– "مينغزا."
صرخ بالاسم مرارًا وتكرارًا، ملوحًا بذراعيه لجذب انتباه التنين.
استغرق الأمر من رين لحظة لتذكر ما يعنيه ذلك – يين مينغزا، شقيق نزهة الصغير، والوريث الرابع لبيت يين، وأول أبناء فايسرا موتًا.
توقف التنين، ثم ارتفع خارج الماء، ورأسه مائل للخلف نحو نزهة.
صرخ نزهة:
– "هل تتذكر؟ لقد أكلت مينغزا. كنت جائعًا جدًا، لم تحتفظ به لكهفك. لكنك أردتني. لطالما أردتني، أليس كذلك؟"
بشكل مذهل، خفض التنين رأسه، غاطسًا لأسفل حتى توازت عيناه مع عيني نزهة. مد نزهة يده وكأنه يمسد أنفه. لم يتحرك التنين. كتمت رين فمها بيدها، مرعوبة بما يفوق الكلمات.
بدا صغيرًا جدًا.
قال نزهة:

— "سأذهب. سنذهب إلى تلك المغارة. لست مضطرًا لأن تكون وحيدًا بعد الآن. لكن عليك التوقف. اترك هذه المدينة وشأنها."

بقي التنين ساكنًا جدًا. ثم، ببطء شديد، بدأت المياه في الانحسار.

قام التنين بحركة طفيفة نحو نزهة بدت حنونة بشكل غريب. حدقت رين، وفمها فاغر، بينما ضغط نزهة يده على جانب التنين.

سأذهب.

بهذه الإيماءة الواحدة، منع مئات الآلاف من الوفيات. روض إلهًا أيقظته هي، ومنع مذبحة كانت ستكون خطأها، ورمى لها بهذا النصر.

همست:

— "نزهة، ماذا بحق الجحيم؟"

بعد فوات الأوان، سمعت طنينًا خافتًا ومميزًا.

ظهرت الطائرة فوق جانب المنحدر وغاصت، سريعة ومنخفضة، مباشرة فوق المغارة. كانت أصغر بكثير من مناطيد القاذفات التي طاردت رين عبر الجبال؛ بدت قمرتها كبيرة بما يكفي لشخص واحد فقط. والأغرب كان جانبها السفلي — ممتدًا من قاع سلتها حيث يجب أن يكون مدفعها كان سلكًا طويلًا ولامعًا تفرع إلى عدة نقاط منحنية مثل مخلب ممدود.

نظرت رين إلى نزهة. وقف متجمدًا، وعيناه متسعتان برعب.

لكن الهسبيريين كانوا حلفاءه. ممَ كان عليه أن يخاف؟

سحبت النار إلى يدها، تتداول ما إذا كانت ستهاجم. في السابق، لم تكن لتتردد. لكن إذا جاء المنطاد لقتال التنين...

انحرف المنطاد بحدة نحوها. هذا يجيب عن السؤال. صوبت كفها نحو قمرة القيادة. لكن قبل أن تتمكن من سحب نارها للخارج، قوس خط رفيع من

البرق، جميل وسخيف، عبر السماء الزرقاء. بعد ثانية، رأت ضوءًا أبيض معميًا. ثم لا شيء.

لم تتأذَ. لم تشعر بألم. كانت لا تزال واقفة؛ تستطيع السمع والتحرك والشعور. رغم أن رؤيتها تشوشت للحظة، إلا أنها عادت بعد عدة رمشات. لكن شيئًا ما تحول في العالم. بدا، بطريقة ما، مجردًا من حياته وبريقه — ألوانه استنزفت، الأزرق والأخضر خفتا إلى ظلال من الرمادي، وأصواته اختزلت إلى خدوش ورق الصنفرة.

صمت (العنقاء).

لا — اختفى (العنقاء).

أجهدت رين عقلها، تتخبط بيأس عبر الفراغ لسحب الإله عبر عقل كيتاي إلى عقلها، لكنها لم تمسك بشيء. لم يكن هناك فراغ. لم تكن هناك بوابة. لم يكن "البانثيون" ينجرف بعيدًا عن متناولها، ببساطة لم يكن موجودًا.

ثم صرخت.

كانت في تشولو كوريك مرة أخرى. كانت تغرق في الهواء، مختومة ومختنقة، مسجونة هذه المرة ليس في الحجر بل في جسدها الفاني والثقيل، تضرب بعجز ضد جدران عقلها الخاص، وكان ذلك تعذيبًا لا يطاق لدرجة أنها بالكاد سجلت البرق الذي لا يزال يسري عبر جسدها، جاعلًا أسنانها تصطك وشائطًا شعرها.

أنتِ لستِ سوى عميلة للفوضى. ارتفع صوت الأخت بيترا دون استئذان في عقلها — ذلك الصوت البارد والسريري المتحدث بثقة مؤكدة لم تبدُ مبررة أبدًا حتى اليوم. أنتم لستم شامانات، أنتم البؤساء والفاسدون. وسأجد طريقة لاحتوائكم.

لقد وجدتها.

يا طفلة. سمعت رين صوت (العنقاء). مستحيل. ومع ذلك عادت النار؛ تدفقت حرارة دافئة عبر جسدها، تحتضنها، تحميها.

هبط البرق الآن على نزهة.

وقف وظهره لها، وذراعاه مفرودتان وكأنه يُصلب، يرتعش وينتفض بينما ارتد السطوع المفرقع عبر جسده. تقوس الشرر ذهابًا وإيابًا من أكاليله الذهبية، التي بدت وكأنها تضخم الكهرباء قبل أن تحفر عميقًا في لحمه.

تضخمت الصواعق، وتضاعفت، واشتدت.

هربت نشيجات قاسية وممزقة من حنجرة نزهة. التنين، أيضًا، بدا وكأنه يعاني من الألم. كان يؤدي رقصة غريبة للغاية، رأسه ينتفض وجسده يتلوى، يتخبط ذهابًا وإيابًا عبر الهواء بطريقة كانت لتكون مضحكة لولا أنها مروعة جدًا.

امتلأ فم رين بالعصارة الصفراوية.

حثها (العنقاء): ركزي يا طفلة. اضربي الآن.

انتقلت نظرة رين بين التنين والمنطاد.

عرفت أن لديها فرصة واحدة للهجوم — لكن أي هدف؟ نزهة أنقذها من المنطاد؛ والمنطاد كان ينقذها من التنين. من هو عدوها الآن؟

رفعت يدها اليسرى. اندفع المنطاد للخلف عدة ياردات، وكأنه استشعر نواياها. فتحت كفها وصوبت تيارًا كثيفًا من اللهب نحو بالونه، مجبرة إياه على الارتفاع أسرع وأعلى، آملة بيأس أن يكون المدى كافيًا.

حطم صوت تمزيق السماء. توهج بالون المنطاد باللون البرتقالي للحظة، وانفجر، ثم اختفى. هوت السلة نحو المنحدرات؛ واختفى البرق.

انهار نزهة.

كانت غريزة رين الأولى هي الاندفاع نحوه. خطت خطوتين، ثم استدركت نفسها، مذهولة تمامًا. لماذا قد تساعده؟ لأنه أنقذها للتو؟ لكن ذلك كان خطأه، ليس خطأها — لا ينبغي أن تكترث، يجب أن تتركه يموت وحسب...

أليس كذلك؟

تحول الماء إلى برودة جليدية حول ركبتيها. شعرت بموجة من الرهبة المنهكة.

لكن التنين لم يهاجم. وبشكل لا يصدق، بدا خائفًا لدرجة الخضوع. أدار رأسه نحو المغارة وزحف عائدًا إلى الظلام. فجأة لم يعد الهواء ثقيلًا جدًا. اختفت الغيوم الرمادية، وأصبح ضوء الشمس مرئيًا مرة أخرى ضد الأمواج اللامعة. استعادت الجاذبية سيطرتها على النهر مرة أخرى، وسقطت المياه المعلقة بتحطم مدوٍ.

***

يجب أن أصل إلى الشاطئ.

ركضت الفكرة كتعويذة عدة مرات عبر عقل رين قبل أن تترجم أخيرًا إلى فعل. تترنح وتتعثر مثل مخمور، شقت طريقها إلى ضفة النهر. شعرت بالانفصال، والبعد، وكأن شخصًا آخر يتحكم بخرق في جسدها بينما يسابق عقلها الأسئلة.

ماذا حدث للتو؟ ماذا فعل نزهة للتو؟ هل كان ذلك استسلامًا؟

هل فازت؟

لكن لا شيء من أحلام نصرها بدا يشبه هذا في شيء.

سمعت غرغرة خافتة ومثيرة للشفقة. استدارت. استلقت بيباجي أبعد قليلًا على الرمال، متكورة في وضعية الجنين. كان وجهها بالكاد فوق الماء؛ لم تعرف رين كيف لم تغرق. لكن كتفيها الضيقين ارتفعا وهبطا، وخدشت أصابعها أنماطًا صغيرة ويائسة في الطين وهي تئن.

أسرعت رين إلى جانبها.

— "يا إلهي."

سندت بيباجي بين ذراعيها وضربت بقبضتها على ظهر الفتاة الضيق، تحاول إخراج الماء من رئتيها.

— "بيباجي؟ هل تسمعينني؟"

سال الماء من فم بيباجي — مجرد خيط صغير في البداية، ثم ارتفع كتفاها وتقيأت سيلًا نتنًا من ماء النهر والعصارة الصفراوية من فمها. اختنقت بيباجي وانهارت بوهن ضد صدر رين، تتنفس في شهقات ضحلة ويائسة.

— "تماسكي."

لفت رين ذراع بيباجي اليمنى حول كتفها وسحبتها للوقوف. كانت الوضعية غير مريحة، لكن بيباجي كانت نحيلة وخفيفة لدرجة وجدت رين معها سهولة مفاجئة في سحبهما معًا للأمام، خطوة بخطوة.

— "فقط تماسكي، ستكونين بخير، سنوصلكِ لـ ليانهوا فقط."

قطعتا عشر خطوات أعلى الشاطئ حين سمعت رين نوبة سعال وحشية. لوى رأسها فوق كتفها. كان نزهة منحنياً على ركبتيه في المياه الضحلة، وكتفاه تهتزان.

توقفت.

كان على بعد عدة ياردات فقط. كان قريبًا جدًا لدرجة أنها استطاعت تمييز كل تفصيل في وجهه — شحوبه بلون الطباشير، وعيناه المحاطتان بالاحمرار، والندوب الباهتة على الجلد الشاحب كالخزف. لم تستطع تذكر آخر مرة وقفا فيها قريبين هكذا دون محاولة قتل بعضهما البعض.

للحظة، اكتفيا بالنظر لبعضهما البعض، يقيمان بعضهما البعض، يحدقان وكأنهما غريبان.

سقط نظر رين إلى الأكاليل الذهبية حول معصميه. التوت معدتها حين أدركت ماهيتها. ليست مجوهرات. موصلات. لم تجذب البرق بالصدفة. لقد صُممت لذلك.

ثم أدركت، ما الذي لا بد أن نزهة مر به في العام منذ غادرت أرلونغ. بعد هروب رين، احتاجت بيترا لشامان لتجرب عليه.

بعد مقتل (السيك)، لم يتبقَ سوى واحد في الجمهورية.

كان الجلد حول معصميه وكاحليه متغير اللون بشكل سيئ، ظلال مرقطة من الأرجواني المرضوض والأحمر الغاضب. جعل المشهد صدرها يضيق. لقد رأت جسد نزهة يقطب نفسه من جروح كان يجب أن تقتل فورًا. ورأت جلده يملس نفسه من حروق حولته للأسود. ظنت أن قوى التنين يمكنها شفاء أي شيء. لكنها لم تستطع شفاء هذا.

كانت رين متأكدة تمامًا ذات مرة أن "البانثيون" يشكل كل الخلق. أنه لا توجد قوة أعلى، وأن ديانة الهسبيريين، (مهندسهم الإلهي)، لم تكن أكثر من قصة ملائمة. الآن لم تعد متأكدة جداً.

ببطء، وببؤس، وقف نزهة ومسح ظهر فمه بيده. خرجت ملطخة بالدم.

— "هل هي حية؟"

كانت رين مذهولة جدًا لدرجة أن كلماته لم تعالج. أومأ نزهة لـ بيباجي وكرر السؤال:

— "هل هي حية؟"

قالت رين، وقد دفعتها المفاجأة للرد:

— "أنا... لا أعرف. هي... سأحاول."

سعل نزهة مرة أخرى، وذقنه يلمع بالأحمر:

— "لم أرد... لم يكن خطأها."

فتحت رين فمها لترد، لكن لم يخرج شيء.

لم تكن المشكلة أنه ليس لديها ما تقوله. بل كان لديها الكثير جداً، ولم تعرف من أين تبدأ، لأن كل ما خطر ببالها بدا غير كافٍ تمامًا.

قالت أخيرًا:

— "كان يجب أن تقتلني."

أعطاها نظرة طويلة. لم تستطع قراءة وجهه؛ ما ظنت أنها رأته أربكها.

– "لكنني لم أردكِ ميتة قط."

– "لماذا إذن؟"

الكلمتان لم تكونا كافيتين. لا شيء فكرت في قوله كان كافيًا. الفجوة بينهما كانت واسعة جدًا الآن، والألف سؤال في عقلها بدت كلها ضحلة جدًا، وتافها جدًا لتحظى بأدنى فرصة لتجسيرها.

قال:

– "الواجب. لا يمكنكِ أن تفهمي."

لم يكن لديها ما تقوله لذلك.

راقبها بصمت، وسيفه يتدلى بلا فائدة بجانبه. تشنج وجهه، وكأنه هو أيضًا يصارع أفكارًا لا يمكنه قولها بصوت عالٍ أبدًا.

سيكون قتله سهلًا جدًا. بالكاد يستطيع الوقوف. إلهه فر للتو، مرتجفًا من قوة أعظم لم تكن هي تعرف بوجودها حتى. لو شقته الآن، فالجروح على الأرجح لن تشفى.

لكنها لم تستطع جعل اللهب يأتي. تطلب ذلك غضبًا، ولم تستطع حتى استحضار أوهى ذكرى للغضب. لم تستطع السب، أو الصراخ، أو فعل أي من مليون شيء تخيلت أنها قد تفعله لو سنحت لها الفرصة لمواجهته هكذا.

سأل ألتان: كم فرصة سترمينها بعيدًا؟

فكرت: واحدة أخرى على الأقل. وتجاهلت ضحكته الساخرة.

لو استطاعت تذكر كيف تكره نزهة، لكانت قتلته.

لكن بدلًا من ذلك، أدارت ظهرها وتركته يقوم بانسحابه بينما قامت هي بانسحابها.

الفصل الثلاثون

كانت بيباجي تحتضر.

تدهورت حالتها بسرعة مخيفة خلال النصف ساعة التي استغرقتها رين لجرها نحو قواتها الرئيسية في المدينة والتلويح للجنود للعثور على ليانهوا وإحضارها. بحلول الوقت الذي مددت فيه رين جسد بيباجي على قماش جاف على الشاطئ، كان نبضها قد ضعف لدرجة أن رين كادت تظن أنها ماتت بالفعل، حتى رفعت جفني بيباجي ورأت مقلتيها المختلجتين تومضان بخطورة بين البني والأسود.

حاولت إعطاء الفتاة الأفيون. كانت تحتفظ دائمًا بحزمة في جيبها الخلفي، وبدأت في حمل ضعف الكمية منذ بدأت إرسال الشامانات إلى المعركة. لم يفلح الأمر. استنشقت بيباجي الدخان بطاعة، لكن أنينها لم يتوقف، والعروق الأرجوانية النافرة بشكل بشع من جلدها ازدادت سماكة فحسب.

كان الإله يتولى زمام الأمور.

أيتها السلحفاة العظيمة. حدقت رين لأسفل في وجه بيباجي الأبيض، تحاول ألا تفزع. الشامانات الذين يفقدون عقولهم للآلهة لا يمكن قتلهم. يبقون محتجزين داخل أجساد تحولت إلى ألوهية، محكوم عليهم بالعيش حتى يتوقف العالم عن الدوران.

لا يمكن لرين أن تحكم على بيباجي بذلك.

لكن هذا يعني أنها يجب أن تقتلها، بينما لا تزال عيناها تومضان عائدة إلى البني، بينما لا تزال تتشبث بخيط من الفناء البشري.

مدت رين يدًا مرتعشة نحو عنق بيباجي.

صرخت ليانهوا وهي تهرع مسرعة على الشاطئ:

– "لدي أفيون!" توقفت فوق بيباجي، تلهث. "هل..."

قاطعتها رين:

– "لقد جربته. لم ينجح. إنها تفقد السيطرة، إنها على الحافة —الألم لا يساعد، إنها مصابة من الداخل، فعل نزهة شيئًا بها ولا أستطيع الرؤية لكنني أظن أن هناك نزيفًا داخليًا وأحتاج منكِ أن... لا تلمسيها."

سحبت ليانهوا، التي كانت تجثو الآَن فوق بيباجي، يديها للخلف بسرعة.

قالت رين:

– "المسيها من فوق ملابسها. وانتبهي للرمل. كوني حذرة. إنها لا تملك السيطرة."

أومأت ليانهوا. ويحسب لها أنها لم تبدُ خائفة، بل مركزة فقط. زفرت، وأغمضت عينيها، وبسطت أصابعها فوق جذع بيباجي. أضاء وهج ناعم زي بيباجي المبلل.

رفرف جفنا بيباجي. حبست رين أنفاسها.

ربما لم تكن هذه النهاية. ربما كان الألم هو المشكلة الوحيدة؛ ربما ستعود إليهم.

– "بيباجي؟ بيباجي!"

رفعت رين نظرها وشتمت بصوت خافت. الأخت الصغيرة —جيوتو— كانت تركض على الشاطئ، وتصرخ.

من سمح لها بالخروج إلى هنا؟ كان بوسع رين خنق أحدهم.

– "ابتعدي." بينما اقتربت جيوتو، أطلقت رين ذراعها لتمنعها عن أختها. كانت جيوتو ضئيلة الحجم، لكنها كانت خائفة وهستيرية؛ تلوت بضراوة مفلتة من قبضة رين وسقطت على ركبتيها بجانب أختها.

صرخت رين:

– "لا..."

لكن جيوتو كانت قد دفعت ليانهوا جانبًا بالفعل. ألقت بنفسها فوق أختها، تنتحب.

– "بيباجي!"

تمامًا بينما كانت رين وليانهوا تمدان أيديهما لجر جيوتو بعيدًا، رفعت بيباجي رأسها.

– "لا."

انفتحت عيناها على آخرهما. كانتا بلونهما البني الطبيعي والجميل.

ترددت رين، ويدها اليسرى تقبض على ياقة قميص جيوتو.

قالت بيباجي وهي ترفع ذراعيها لتمسد شعر أختها:

– "لا بأس. جيوتو، اهدئي. أنا بخير."

هدأ نحيب جيوتو فورًا وتحول إلى فواق خائف. فركت بيباجي يدها في دوائر على ظهر أختها، تهمس بسيل من كلمات المواساة في أذنها.

رمقت رين ليانهوا بنظرة سريعة.

– "هل هي..."

جلست ليانهوا متجمدة، ويداها ممدودتان.

– "لست متأكدة. أصلحت الضلع، لكن الباقي... أعني، هناك شيء ما..."

التقت بيباجي بنظرة رين من فوق كتف جيوتو. كان وجهها مقطبًا من الانزعاج.

– "إنهم صاخبون جدًا."

هبط قلب رين.

– "من الصاخبون؟"

تمتمت بيباجي وعيناها تظلمان:

– "إنهم يصرخون. إنهم... أوه."

قالت رين بإلحاح:

– "ركزي معنا. على أختك..."

– "لا أستطيع." بدأت يدا بيباجي، اللتان لا تزالان ملفوفتين حول كتفي جيوتو، في الارتعاش. تقوستا كمخالب، تخمشان الهواء. "إنها في الداخل، إنها..."

أمرت رين ليانهوا:

– "أبعديها."

فهمت ليانهوا على الفور. لفت ذراعيها حول خصر جيوتو وسحبت. قاومت جيوتو، مولولة، لكن ليانهوا لم تفلتها. جرت جيوتو بعيداً عن الشاطئ وصعودًا نحو الغابة، حتى تلاشت ولولة جيوتو أخيرًا في البعيد.

قالت رين لبيباجي:

– "ابقِ معي. بيباجي، استمعي لصوتي..."

لم ترد بيباجي.

لم تعرف رين ما تفعله. أرادت لف ذراعيها حول بيباجي ومواساتها، لكنها كانت خائفة من اللمس. تفتحت سحابة أرجوانية عظيمة حول عظمي ترقوة بيباجي، ممتدة لأعلى عنقها، محولة محياها بالكامل إلى لون بنفسجي ساطع وأملس. تقوس ظهر بيباجي. واختنقت بلا كلمات، تصارع ضد قوة غير مرئية.

تراجعت رين للخلف، مرعوبة فجأة.

أدارت بيباجي رأسها نحو رين. بدت الحركة غير طبيعية بشكل مروع، وكأن أطرافها تُجذب في هذا الاتجاه وذاك بواسطة خيوط دمى غير مرئية.

قالت، وعيناها تومضان بأخف درجات البني:

– "أرجوكِ. ما دمتُ هنا."

ثبتت رين نظرها عليها، مصعوقة.

الموت أو (تشولو كوريك). خمس كلمات بسيطة ومدمرة. عرفتها رين منذ البداية. كان هناك مصيران محتملان فقط لفرقة "السيك": الموت أو

الاحتجاز الأبدي. القائد يحرص على أن يكون المصير هو الأول. القائد يستأصل.

تحدثت رين بهدوء لم تشعر به:

— "أحتاج منكِ أن تركزي." لم تستطع التخلي عن مسؤوليتها؛ كان عليها فعل هذا. في هذه المرحلة، كانت هذه رحمة. "لا يزال عليكِ مقاومتها. لا يمكنكِ تسميمي."

همست بيباجي:

— "لن أفعل."

— "شكرًا لكِ."

مدت رين يدها، وكوبت جانب رأس بيباجي بيدها اليسرى، وضغطت بركبة واحدة ضد كتف بيباجي للارتكاز، ثم لوته بعنف.

كان صوت الانكسار أعلى مما توقعت. نفضت رين أصابعها، مركزة على الألم حتى لا تضطر للنظر إلى عيني بيباجي الزجاجيتين. لم يسبق لها كسر عنق من قبل. تعلمت الطريقة نظريًا؛ وتدربت مرات عديدة على الدمى في سينغارد. لكن حتى الآن، لم تكن تدرك مقدار القوة التي يتطلبها الأمر حقًا لجعل العمود الفقري ينقصم.

ثم انتهى الأمر.

***

دخلت رين المدينة سيرًا على الأقدام. لم يعلن أحد عن وجودها؛ لم يتبعها موسيقيون أو راقصون. بالكاد لاحظها أحد؛ كانت المدينة غارقة تمامًا في انهيارها الخاص. في إنهاكها، كل ما أدركته كان زوبعة عظيمة من الحركة؛ أجساد محروقة ودامية تُحمل إلى المدينة على نقالات؛ حشود تتدفق خارج بوابات أرلونغ تجر أكياسًا تفيض بالملابس، والمتاع المتوارث، والفضة؛

أجساد مكدسة في حشود مترنحة فوق بقايا أسطول أرلونغ، يهربون في السفن القليلة التي لم تغرق في غضب التنين.

بشكل مبهم، فهمت أنها قد انتصرت.

دُمرت أرلونغ. هرب الهسبيريون. قام نزهة وحكومته بانسحاب متسرع خارج القناة. علمت رين بهذه الحقائق خلال الساعة التالية، تكررت على مسامعها مرارًا وتكرارًا من قبل ضباط منتشين، لكنها كانت تنجرف في حالة من الذهول والانفصال، متعبة ومشوشة لدرجة أنها ظنت أنهم يمزحون.

لأنه كيف يمكن تسمية هذا نصرًا؟

كانت تعرف كيف يبدو النصر. النصر هو عندما تمسح قوات العدو من الميدان بلهيب إلهي، ويتحلق رجالها حولها، يصرخون وهم يستعيدون ما هو حق لهم. النصر يبدو مستحقًا. عادلًا.

لكن هذا بدا كالغش —وكأن خصمها تعثر وأُعلنت هي الفائزة بالصدفة، مما جعل هذه النتيجة شيئًا زلقًا وغير مستقر، نصرًا يمكن انتزاعه في أي وقت ولأي سبب.

ظلت تقول لـ كيتاي:

— "أنا لا أفهم. ما الذي حدث؟"

— "انتهى الأمر. المدينة لنا."

— "ولكن كيف؟"

أجاب بصبر، بنفس الطريقة التي فعلها طوال الظهيرة:

— "دمر التنين المدينة. ثم قمتِ بنفي التنين."

— "لكنني لم أفعل ذلك." حدقت في القنوات المغمورة. "لم أفعل شيئًا."

كل ما فعلته هو وكز وحش لم تستطع التعامل معه. كل ما فعلته هو الجلوس على مؤخرتها، مرعوبة حتى النخاع، بينما خاض نزهة وطيار هسبيري معركة برق لم تفهمها. لقد تدخلت في قوى لم تستطع السيطرة عليها. كادت

تغرق المدينة بأكملها، كادت تغرق كل شخص في هذا الوادي، كل ذلك لأنها ظنت أنها تستطيع إيقاظ التنين والفوز.

خمن كيتاي، بعد أن أخبرته بكل ما جرى في النهر:

– "ربما رأى حقيقتهم." لم يكن من المنطقي مطلقًا أن نزهة استسلم ببساطة، وانسحب بينما كان بإمكانه قتل رين وإيقاف التنين بضربة واحدة. "الهسبيريون، أعني. وربما لم يرد التخلي عن القوى الوحيدة التي يمكنها إيقافهم."

تمتمت رين:

– "يبدو إدراكًا متأخرًا."

– "ربما كان حفاظًا على الذات. ربما كانت الأمور تزداد سوءًا."

قالت غير مقتنعة:

– "ربما. ماذا تظن أنه سيفعل الآن؟"

– "لا أعرف. لكن لدينا مسألة أكثر إلحاحًا بين أيدينا." أومأ كيتاي نحو بوابات القصر. "لقد خلعنا لتوّنا حاكم نصف هذه البلاد. الآن عليكِ تقديم نفسك كبديل له."

كانت هناك قوات يجب مخاطبتها. خطابات يجب إلقاؤها. مدينة يجب احتلالها، وبلاد يجب المطالبة بها.

ارتجفت رين من الإرهاق. لم تشعر كحاكمة؛ بالكاد شعرت كمنتصرة. لم تستطع التفكير في أي شيء تريده أقل الآن من مواجهة حشد والتظاهر.

قالت:

– "غدًا. أعطني اليوم. هناك شيء يجب علي فعله."

***

في تيكاني كانت هناك مقبرة صغيرة مخبأة في عمق الغابة، مخفية جيدًا خلف غابات من أشجار الحور وبساتين الخيزران لدرجة أن الرجال لم يعثروا

عليها بالصدفة أبدًا. لكن كل امرأة في تيكاني عرفت موقعها. زرنها مع أمهاتهن، وحمواتهن، وجداتهن، أو أخواتهن. أو قمن بالرحلة وحدهن، شاحبات الوجوه وباكيات وهن يعانقن أحمالهن البائسة إلى صدورهن.

كانت مقبرة الأطفال. رضيعات خُنقن بالرماد عند الولادة لأن آباءهن أرادوا أبناءً فقط. أولاد صغار ماتوا مبكرًا جدًا وتركوا أمهاتهم مفجوعات ومرعوبات من استبدالهن بوجات أصغر وأكثر خصوبة. البقايا الفوضوية للإجهاض التلقائي وعمليات الإجهاض المتأخرة.

افترضت رين أن لأرلونغ مثيلًا لذلك. كل مدينة تحتاج لمكان لإخفاء الميتات المخزية لأطفالها.

عرفت فينكا مكانه. قالت:

— "نصف ميل بعد منحدرات الإخلاء. اتجهي شمالًا عندما ترين القناة. هناك ممر مشاة في العشب. يستغرق الأمر بعض الوقت لرؤيته، لكن بمجرد أن تلمحيه، سيأخذك طوال الطريق."

سألت رين:

— "هل ستأتين معي؟"

قالت فينكا:

— "أنتِ تمزحين بحق الجحيم. لن أعود هناك مرة أخرى أبدًا."

لذا عند الغروب، لفت رين الجرة التي تحتوي على رماد بيباجي داخل عدة طبقات من الكتان، وحشرتها في حقيبة، وانطلقت للمنحدرات ومجرفة مربوطة بظهرها.

كانت فينكا محقة —بمجرد أن عرفت ما تبحث عنه، كان المسار المخفي واضحًا وضوح النهار. لم يميز القبور شيء، لكن العشب الطويل نما في دوامات غريبة، يلتوي ويتلولب وكأنه يتجنب العظام التي كانت محبوبة يومًا ما في التربة تحته.

مسحت رين الفسحة بنظرها. كم عدد الأجساد التي دُفنت هنا، على مدى كم من العقود؟ إلى أي مدى كان عليها المشي حتى لا تعلق أصابعها في عظام صغيرة عندما تغرزها في التراب؟

ظلت أصابعها ترتجف. نظرت حولها، وتأكدت أنها وحدها، ثم جلست وأخرجت غليونًا من جيبها. لم تأخذ ما يكفي من الأفيون لإفقاد نفسها الوعي —فقط ما يكفي لتثبيت يدها حتى تتمكن من الإمساك بالمجرفة بثبات.

— "الأمر ليس سهلًا، أليس كذلك؟"

رأت ألتان في زاوية بصرها، يتبعها عبر صفوف القبور غير المعلمة. بقي طيفه فقط إذا نظرت لمكان آخر؛ إذا ركزت حيث ظنت أنه يقف، اختفى.

قالت:

— "كانوا كالأطفال. لم... لم أرد..."

— "أنتِ لا تريدين إيذاءهم أبدًا." بدا صوت ألتان ألطف مما سمعته منه قط —ألطف مما سمحت لذاكرته أن تكون أبدًا. "لكن يجب عليكِ. عليكِ وضعهم في الجحيم، لأن تلك هي الطريقة الوحيدة لينجو أي شخص آخر."

— "كنت لأعفيهم لو استطعت."

لمرة واحدة، لم يسخر. بدا حزينًا فقط.

— "أنا أيضًا."

أخيرًا وجدت بقعة بدت فيها التربة غير مضطربة والعشب ينمو مستقيمًا. وضعت الجرة الملفوفة بالكتان على الأرض، وقبضت على المجرفة بإحكام، وبدأت الحفر بينما راقب ألتان بصمت من الظل.

مرت عدة دقائق طويلة. رغم برودة المساء، تلمع العرق على مؤخرة عنقها. كانت الأرض صخرية وقاسية، وظلت المجرفة تترنح من قبضتها. في النهاية وجدت توازنًا حرجًا، مستخدمة يدها لتوجيه المجرفة وقدمها لحشرها أعمق في الأرض.

قالت بعد صمت طويل:

– "أظن أنني أفهمك الآن."

أمال ألتان رأسه.

– "أوه؟ ماذا تفهمين؟"

– "لماذا دفعتني بتلك القسوة. لماذا آذيتني. لم أكن شخصًا بالنسبة لك، كنت سلاحًا، وكنت بحاجة لأن أعمل."

قال ألتان:

– "لا يزال بإمكانكِ حب أسلحتكِ. يمكنكِ طرقها لتأخذ شكلًا ثم مشاهدتها تدمر نفسها ومعرفة أن كل ذلك كان ضروريًا تمامًا، لكن هذا لا يعني أنه لا يمكنكِ حبها أيضًا."

لم تكن بحاجة للحفر بهذا الطول أو بهذه القوة—لم يكن أحد ليأتي ويزعج هذه القبور أبدًا— لكن شيئًا ما في الحركة الصعبة والمتكررة هدأها، حتى مع ازدياد الألم في كتفها سوءًا فسوءًا. بدا الأمر ككفارة.

أخيرًا، عندما امتدت الحفرة عميقًا لدرجة أن ضوء الشمس المحتضر لم يستطع الوصول للقاع، عندما تحولت التربة من بنية وصخرية إلى طين ناعم ولزج، توقفت وأنفت رماد بيباجي بعناية داخل القبر.

تمنت لو استطاعت دفن دولين أيضًا. لكنها مشطت القناة لساعات، ولم تتمكن حتى من العثور على مزقة من زيه.

سألت:

– "هل يصبح الأمر أسهل أبدًا؟"

تنهد ألتان.

– "ماذا؟ إرسال الناس لحتفهم؟ تمنين ذلك. لن يتوقف الأمر عن الإيلام أبدًا. سيظنون أنك لا تكترثين. أنكِ وحش قاسٍ في سعي أحادي الجانب للنصر. لكنكِ تكترثين. أنتِ تحبين شاماناتك كعائلتك، وسكين يلتوي في قلبك كل مرة

تشاهدين أحدهم يموت. لكن عليكِ فعل ذلك. عليكِ اتخاذ الخيارات التي لا يستطيع أحد غيرك اتخاذها. إنه الموت أو (تشولو كوريك). القادة يستأصلون."

قالت:

– "لم أرد أن يكون الأمر أنا. لست قوية بما يكفي."

– "لا."

– "كان يجب أن يكون أنت."

وافقها:

– "كان يجب أن يكون أنا. لكنكِ أنتِ من خرجتِ. لذا تابعي هذا حتى النهاية يا صغيرة. هذا أقل ما تدينين به للموتى."

***

كان كيتاي ينتظرها عند أسفل المنحدرات، حاملًا حزمة من أعواد البخور في يد وجرة من نبيذ الذرة الرفيعة في الأخرى.

سألت:

– "ما كل هذا؟"

– " (تشينغ مينغ جي). علينا أن نقيم السهر."

تشينغ مينغ جي. مهرجان "كنس القبور". الليلة التي تمشي فيها الأشباح الجائعة للموتى القلقين في عالم الأحياء وتطالب بحقها. رأت الآخرين يحتفلون به في تيكاني، لكنها لم تشارك في الطقوس بنفسها أبدًا. لم يكن لديها أحد لتندبه قط.

قالت:

– "لم يحن موعده قبل أسبوعين."

– "ليس هذا هو المغزى. علينا إقامة السهر."

– "هل يتوجب علينا ذلك؟"

— "مات آلاف الناس ليكسبوا لكِ هذه الحرب. لم يكن الأمر شاماناتك فقط. كانوا جنودًا لم تعرفي أسماءهم حتى. ستقومين بتكريمهم. ستقومين بالسهر."

كانت متعبة جدًا لدرجة أنها كادت تمشي مبتعدة ببساطة.

ماذا يهم الطقس؟ الموتى لا يمكنهم إيذاؤها. أرادت الانتهاء منهم؛ لقد قامت بما يكفي من الكفارة اليوم.

لكن حينها رأت النظرة على وجه كيتاي وعرفت أنها لا تستطيع رفض هذا له. تبعته بهدوء نزولًا إلى الوادي.

كان حقل الجثث هادئًا جدًا في الليل لدرجة أنها ربما لم تكن لتعرف أن معركة خيضت على هذه الأراضي. قبل ساعات قليلة كان موقعًا للصراخ، والتفجيرات، واشتباك الفولاذ والدخان. والآن انتهى العرض، وقُطعت خيوط الدمى، ورقد الجميع في سكون صامت.

تمتمت:

— "إنه غريب جدًا. لم أكن حتى هنا."

لم تقد هذه المعركة. لم تشهد كيف جرت، لم تعرف أي جانب اخترق أولًا، لم تعرف كيف كانت لتسير الأمور لو لم يرفع التنين نهر (موروي). كانت مشغولة بقتال مختلف تمامًا، مشغولة جدًا في عالم الآلهة والبرق لتتذكر أن معركة تقليدية كانت تحدث حتى، إلى أن بُسطت عواقبها أمام عينيها.

سألت:

— "ماذا الآن؟"

— "لست متأكدًا." رفع كيتاي أعواد البخور بفتور، وكأنه أدرك لتوّه كم كانت هذه الإيماءة غير ذات أهمية. لم يستطيعوا البدء في عد الجثث في الوادي. كل البخور في العالم لا يمكنه سداد هذه التضحية.

قالت:

— "في تيكاني نحرق الورق. نقود ورقية. منازل ورقية. أحيانًا زوجات ورقيات، إذا كانوا رجالًا شبابًا ماتوا قبل الزواج." توقفت. لم تكن تملك نقطة محددة. كانت تثرثر، خائفة من الصمت.

قال كيتاي:

— "لا أظن أن الورق هو المهم. أظن أننا نحتاج فقط لـ..."

تلاشى صوته. اتسعت عيناه، مركزة على شيء فوق كتفها مباشرة. بعد فوات الأوان سمعته هي أيضًا، قرمشة الخطوات فوق العشب المحروق والعظم.

عندما التفتت، رأت خيالًا واحدًا فقط قبالة الظلام.

جاء نزهة وحيدًا. أعزل.

كان يبدو مختلفًا دائمًا في ضوء القمر. لمع جلده شحوبًا، وبدت ملامحه أكثر نعومة، تشبه وجه والده القاسي بدرجة أقل والهشاشة الجميلة لأمه بدرجة أكبر. بدا أصغر سنًا. بدا كالفتى الذي عرفته في المدرسة.

تساءلت رين للحظة عما إذا كان قد عاد ليموت.

كسر كيتاي الصمت.

— "أحضرنا نبيذًا."

مد نزهة يده. مرر له كيتاي القارورة وهو يقترب. لم يكلف نزهة نفسه عناء الشم بحثًا عن السم؛ ألقى بجرعة في فمه وابتلعها بقوة.

أكدت تلك الإيماءة التعويذة —تعليق الواقع الذي أراده ثلاثتهم. علقت القواعد غير المكتوبة في الهواء، معززة بكل لحظة تمر دون إراقة دماء. لن يرفع أحد سلاحًا. لن يقاتل أحد أو يفر. في هذه الليلة فقط، في هذه اللحظة فقط، دخلوا مساحة بينية حيث لم يهم ماضيهم ولا مستقبلهم، حيث يمكنهم أن يكونوا الأطفال الذين كانوا عليهم.

مد نزهة حزمة من البخور.

— "هل لديكم نار؟"

بطريقة ما وجدوا أنفسهم جالسين في مثلث صامت، محاطين بدخان كثيف ومعطر. قارورة النبيذ ملقاة بينهم، فارغة. شرب نزهة معظمها، وكيتاي الباقي. كان كيتاي أول من مد يده بأصابعه، ثم أمسك ثلاثتهم بأيدي بعضهم، نزهة ورين على جانبي كيتاي، وبدا الأمر وشعروا به خاطئًا تمامًا وبشكل فظيع، ومع ذلك لم ترد رين الإفلات أبدًا.

هل هذا ما شعر به داجي، وجيانغ، وريغا ذات يوم؟ كيف كانوا في ذروة إمبراطوريتهم؟ هل أحبوا بعضهم البعض بتلك الشراسة، بذلك اليأس؟

لا بد أنهم فعلوا. مهما احتقروا بعضهم البعض لاحقًا، لدرجة أنهم عجلوا بموت بعضهم البعض، لا بد أنهم أحبوا بعضهم البعض ذات مرة.

أمالت وجهها نحو القمر القرمزي المنخفض. كان من المفترض أن يتحدث الموتى للأحياء في (تشينغ مينغ جي). كان من المفترض أن يأتوا عبر القمر وكأنه باب، مأسورين برائحة البخور وصوت المفرقعات النارية. لكن عندما حدقت فوق ساحة المعركة، لم ترَ سوى الجثث.

تساءلت عما ستقوله لو استطاعت الوصول لموتاها.

كانت لتخبر بيباجي ودولين أنهما أبليا بلاءً حسنًا.

كانت لتخبر سوني، وباجي، ورامسا أنها آسفة.

كانت لتخبر ألتان أنه كان محقًا.

كانت لتخبر المعلم جيانغ شكرًا لك.

وكانت لتعدهم جميعًا بأنها ستجعل تضحيتهم تستحق العناء. لأن هذا ما كان عليه الموتى بالنسبة لها —تضحيات ضرورية، قطع شطرنج فُقدت لتعزيز موقفها، مقايضات كانت، لو أتيحت لها الفرصة، لتجريها كلها مرة أخرى.

لم تعرف كم من الوقت جلسوا هناك. ربما دقائق. ربما ساعات. بدت كلحظة منحوتة من الزمن، ملجأ من تقدم التاريخ الذي لا يرحم.

قال نزهة:

– "تمنيت لو كانت الأمور مختلفة."

توتر رين وكيتاي كلاهما. كان يكسر القواعد. لا يمكنهم الحفاظ على هذا الخيال الهش، هذا الانغماس في الحنين، إذا كسر القواعد.

كان صوت كيتاي قاسيًا:

– "كان يمكن أن تكون مختلفة. لكن كان عليك أن تذهب وتكون وغدًا لعينًا."

قالت رين:

– "جمهوريتك ماتت. وإذا رأيناك غدًا، فستكون أنت كذلك."

لم يكن لدى أحد ما يقوله بعد ذلك.

لن تكون هناك هدنة أو مفاوضات الليلة. كانت الليلة نعمة مستعارة، بريئة من المستقبل. جلسوا في صمت بائس ويائس، يتمنون ويندمون بينما يتتبع القمر الدامي مساره الثقيل عبر السماء. عندما طلعت الشمس، نهض رين وكيتاي، ونفضا الألم عن عظامهما، وسارا بتثاقل عائدين نحو المدينة. مشى نزهة في الاتجاه الآخر. لم يهتما بمراقبة أين ذهب.

سارا عائدين إلى أرلونغ، وعيونهما مثبتة للأمام على المدينة نصف الغارقة التي لمعت أطلالها في ضوء الفجر المتلألئ.

لقد كسبوا حربهم. وأصبح لديهم الآن وطن ليحكموه.

الفصل الحادي والثلاثون

سقطت أرلونغ فور انسحاب نزهة.

في ذلك الصباح، اجتاح الجيش الجنوبي شوارع المدينة بينما كان الهسبيريون والجمهورية ينهون عمليات الإجلاء الأخيرة. وجدوا مدينة مرتبكة وغير متوازنة؛ نصف أحيائها لا يزال مكتظًا بمدنيين نيكانيين لا ملجأ لهم، والنصف الآخر تحول إلى مدن أشباح خاوية. الثكنات والمجمعات السكنية التي آوت الجنود الهسبيريين يومًا باتت مهجورة. وداخل أحواض بناء السفن المحطمة، وقفت الحظائر الضخمة التي استُخدمت لإيواء المناطيد فارغة الآن، وأرضياتها مليئة بالأدوات الاحتياطية وقطع الغيار المتروكة.

قالت رين لضباطها:

— "سأسمح بالنهب إلى حد معقول. خذوا ما شئتم. لكن تحضروا؛ لا شجار على الغنائم، والتزموا بالأحياء الثرية. اتركوا المناطق الفقيرة وشأنها. استهدفوا الأحياء الهسبيرية أولًا، فهم لم يتمكنوا من أخذ كل شيء. الأسلحة، والحلي، والملابس مباحة. لكن إمدادات الطعام تعود إلى القصر لإعادة توزيعها مركزيًا."

سألت القائدة ميراغا:

— "كيف نتعامل مع المقاومة المسلحة؟"

قال كيتاي:

– "تجنبوا سفك الدماء قدر الإمكان. الأسر أولى من القتل؛ نريد استخباراتهم. أحضروا جميع الجنود إلى الزنازين وافصلوا الهسبيريين عن جنود الجمهورية."

كان جنود الجمهورية الذين فشلوا في الهرب على متن السفن يحاولون بيأس انتحال صفة مدنيين. تناثرت الأزياء العسكرية الملقاة في الشوارع؛ وبعد ساعة من الاحتلال، تلقت رين تقريرًا عن سرب كامل من الرجال العراة يتوسلون للحصول على ملابس مدنية مستعملة لإخفاء هوياتهم. ضحكت لخمس دقائق كاملة، ثم أمرت بجمع الرجال في سلاسل وإجبارهم على الوقوف عراة على المنصة خارج القصر لبقية اليوم.

قالت لـ كيتاي حين احتج:

– "جيد للمعنويات."

رد:

– "هذا مفرط."

– "إنه القدر الدقيق والمناسب من الإذلال العلني. المقاومة السرية تحت الأرض قد تحظى بمصداقية لدى المدنيين." أشارت إلى الرجال المرتجفين. "هؤلاء بالتأكيد لن يحظوا بذلك."

لم يكن لديه رد.

بينما واصلت قواتها السيطرة على الشوارع، شقت رين طريقها إلى "المنحدرات الحمراء" لمراقبة آخر سفن الإجلاء وهي تسرع خارجة من القناة الضيقة.

تذكرت ذلك اليوم، قبل عام تقريبًا الآن، حين رأت الأسطول الهسبيري يصل لأول مرة إلى شواطئ "النيكان". كم كانت مرتاحة آنذاك. وكم كانت ممتنة. مثلت الأشرعة البيضاء الأمل والبقاء. تدخلًا إلهيًا.

لكنهم لم يأتوا إلا بعد أن كادت الجمهورية تنزف حتى الموت. كان بإمكانهم إنهاء الحرب الأهلية بأكملها في دقائق منذ البداية. كان بإمكانهم إنقاذ

البلاد بأسرها من شهور المجاعة وسفك الدماء. لكنهم انتظروا المأساة غير الضرورية حتى النهاية، حين يمكنهم التدخل ببساطة وتسمية أنفسهم أبطالًا.

لم يكونوا بمثل تلك الغطرسة في رحيلهم.

قالت فينكا:

— "جبناء لعينون. هل ستتركينهم يرحلون هكذا؟"

قالت رين:

— "لا أدري. قد يكون من الممتع إغراق كل تلك السفن في الميناء."

تنهد كيتاي:

— "رين."

— "أنا جادة."

— "احتلال مدينة شيء، وإشعال النار في المدنيين شيء آخر تمامًا."

— "لكنه سيكون مضحكًا جدًا."

كانت تمزح نصف مزاح فقط. شعرت برعشة من الغبطة المظلمة والانتقامية وهي تشاهد الأسطول المشوه والهارب. لو أرادت، لكان بإمكانها تحويل كل سفينة في تلك القناة إلى رماد. كانت تملك تلك القوة.

رمقها كيتاي بنظرة حذرة:

— "أرجوكِ يا رين. لا تكوني حمقاء. الهسبيريون ينسحبون الآن لأنهم منهكون، لقد استنفدوا كل شيء في حرب على قارة لا يهتمون لأمرها. راهنوا على الفصيل الخطأ وخسروا. الآن، هم فقط يلعقون جراحهم. لكن إذا أرسلتِ النيران خلف النساء والأطفال الهاربين، فقد يعيدون التفكير حقًا."

قالت فينكا:

— "مفسد للمتعة."

تنهدت رين:

— "أكره بشدة حين تكون محقًا."

لذا تركت السفن تبحر دون إزعاج خارج الميناء. ستدع الهسبيريين يظنون، في الوقت الراهن، أن نظامها الجديد لا يضمر لهم سوءًا. وأن أولوياتها تقع داخل حدود "النيكان". ستدعهم يظنون أنهم آمنون.

وبعد ذلك، حين يركنون إلى الرضا عن النفس، وحين يقتنعون بأن هؤلاء النيكانيين القذرين، والأغبياء، والأدنى منزلة لا يشكلون تهديدًا عظيمًا في نهاية المطاف – حينها ستضرب.

***

كانت مهمة رين التالية هي احتلال القصر.

كان المكان في حالة يرثى لها. تُرِكت الأبواب الكبيرة المطلية مواربة، والممرات مليئة بالمزهريات المحطمة التي سقطت من العربات المحملة على عجل. جُردت القاعة الواسعة في وسط القصر من جميع مفروشاتها تقريبًا؛ بقيت فقط منسوجات الجدران، أثقل وأضخم من أن تُسحب وتُحمل بعيدًا.

علقت لوحة عائلة "يين" في الطرف البعيد من الغرفة. وقفت رين تحتها للحظة، تحدق في وجوه العائلة التي تخيلت أنها قد تحكم الإمبراطورية.

أيًا كان من حاك هذه اللوحة، فقد صور آل "يين" بدقة مذهلة. وهم يقفون معًا، كانت أوجه التشابه بينهم أكثر وضوحًا. امتلكوا جميعًا عظام الوجنات العالية نفسها، والحواجب المقوسة، والفكوك المنحوتة ذات الزوايا. لم يبتسم أي منهم – ولا حتى الأطفال، الذين حدقوا عبر القاعة الفارغة بتعبيرات متطابقة من الغطرسة والازدراء.

في البداية، خلطت رين بين جينزا ونزهة، لكنها أدركت بعد ذلك أن الشابين الواقفين على يمين والدهما لا بد أن يكونا التوأمين الأكبرين – جينزا وموزا. كان نزهة بمفرده، رصينًا وبائسًا، على يسار والده. لابد أن هذه المنسوجة اكتملت منذ سنوات – فقد صُور هنا كطفل صغير، بالكاد يصل إلى خصر والده. وإلى أقصى اليمين وقفت السيدة يين سايخارا، تحتضن طفلًا رضيعًا بين

ذراعيها. لابد أن ذلك كان مينغزا – شقيق نزهة الرضيع الميت، الذي ضاع للتنين.

يا لها من عائلة جميلة، دُمرت في غضون عام واحد فقط. جينزا أُسر وطُحن ليصبح حشوًا للفطائر عند بحيرة "بويانغ". بقايا جثة فايسرا المتفحمة رقدت غير قابلة للتمييز عن الحطام المحترق لأسطوله. ويقال إن موزا غرق في هجوم التنين على أرلونغ. ونزهة مكسور ومهزوم، عبد لأسياده الهسبيريين.

تمنت رين، بنبضة من الكراهية الشرسة، لو أنها أنهت السلالة بنفسها.

لكن السيدة سايخارا أفلتت من عدالتها. ألقت بنفسها من أعلى برج في القصر حين رأت رايات القوات الجنوبية تسير داخلة إلى المدينة. تحطمت عظامها الهشة كالخزف على أرض الإعدام خارج القصر، وانضمت إلى تقليد طويل من النبيلات اللواتي متن مع سلالاتهن.

علمت رين من التقارير أن سكان أرلونغ باتوا يكرهون سايخارا في الأيام الأخيرة. لم يكن سرًا عظيمًا أن بيت "يين" قد ترحّب بشكل كبير من الحرب الأهلية، حتى بينما كان يفقر سكانًا بأكملهم على حدوده. شقيقة نزهة، موزا، أصبحت غنية بالعمل كوسيط بين التجار الهسبيريين وأعوان التجار الأقوياء الذين ملأوا البلاط الجمهوري.

حين عادت السيدة سايخارا من جولة الدعاية الكبرى في "هسبيريا"، تكشف أنها وموزا أغرقتا الأسواق الهسبيرية المنتظرة بكميات هائلة من البضائع النيكانية بينما كان الجميع يخزنون الطعام ويشترون بذعر من الأسواق المتضخمة بسرعة.

طالب الرأي العام نزهة بمعاقبة أمه وأخته، لكنه لم يفعل شيئًا سوى إزاحتهما من حكومته. لذا تحول لقب نزهة من "المارشال الشاب" إلى "الابن البار الأحمق"، بينما لقبت أمه بـ "عاهرة الغرب". في الأسبوع الماضي، كانت الشوارع تطالب بمعاقبتها بصوت عالٍ لدرجة أنه لولا اقتحام الجيش الجنوبي

لبوابات أرلونغ، لكان من المحتمل جدًا أن تمزقها الغوغاء إربًا بغض النظر عن أي شيء.

قال كيتاي بينما كانا يقفان في شرفة الطابق الثاني، يراقبان الخدم يغسلون دم سايخارا عن الدرجات:

— "كنتُ لأظن أنها ستخرج مع الهسبيريين. ظننت أنهم يحبونها."

رقد جسدها على بعد عدة أقدام، ملفوفًا بلا مراسم في قماش خيام احتياطي. خططت رين لتثقيله بالصخور ورميه في الميناء للسمك.

قالت رين:

— "أظن أنهم تركوها خلفهم. أظن أنهم اضطروا لإنقاذ جلودهم."

كانوا ليفعلوا ذلك. الهسبيريون، الذين يواجهون طوفانًا ساحقًا من الكراهية العامة، لم يكونوا ليجرؤوا على محاولة تهريب سايخارا المكروهة خارج المدينة.

لم يهم أن السيدة سايخارا تحدثت الهسبيرية بطلاقة، أو أنها عبدت (صانعهم)، أو أنها تظاهرت بكونها امرأة هسبيرية لنصف حياتها. في النهاية كانت لا تزال نيكانية، لا تزال واحدة من العرق الأدنى، والهسبيريون لا يهتمون إلا بذويهم.

كانت الممرات المجاورة مكدسة بثروات تُخجل تلك الموجودة في "جينتشو". مشت رين عبر تلك الممرات عشرات المرات من قبل، دائمًا في طريقها لمكتب فايسرا، رغم أنها لم تجرؤ قط على التوقف والتفحص. في ذلك الوقت، ملأها مجرد القرب منها بالرهبة؛ كانت تلك التحف دليلًا ساطعًا على نخبة تاريخية دُعيت هي، بطريقة ما، للانضمام إليها.

بدا المشي عبر الممرات مختلفًا جدًا الآن بعد أن عرفت أن كل ما هو معروض على الجدران يخصها.

توقف كيتاي أمام خوذة قديمة جدًا ولامعة جدًا.

— "انظري. تقول اللافتة إن هذه تخص الإمبراطور الأحمر."

– "مستحيل."

– "اقرئي اللافتة."

بدت الخوذة قديمة بما يكفي بالفعل. استطاعت رين رؤية أحجار يشم صغيرة مرصعة في الجبهة. مدت يدها داخل الصندوق، والتقطت الخوذة، وجربتها. كانت باردة بشكل غير مريح، وثقيلة بشكل يعيق الحركة.

سحبتها بسرعة وقالت:

– "لا أعرف كيف تمكن أي شخص من القتال مرتديًا هذه."

قال كيتاي:

– "إنها احتفالية، على الأرجح. أشك أنه ارتداها بالفعل في المعركة. هذا المكان محمل بأغراضه – انظري، هناك درعه الصدري، وذلك طقم الشاي القديم الخاص به."

حامت أصابعه فوق الآثار، وكأنه مذهول جدًا لدرجة تمنعه من لمسها. لكن رين، وهي تجول بنظرها في القاعة، أصيبت بشعور عميق بالشفقة. كان الإمبراطور الأحمر أعظم رجل في تاريخ "النيكان"، رجل مشهور لدرجة أن كل طفل في الإمبراطورية عرف اسمه بحلول الوقت الذي استطاع فيه الكلام. الأساطير عنه ملأت، ويمكن أن تملأ، أرفف كتب بأكملها. لقد وحد البلاد لأول مرة على الإطلاق؛ وجلب النار وسفك الدماء بمقياس لم تشهده الأرض من قبل؛ وبنى مدنًا ظلت مراكز فكرية، وثقافية، وتجارية للإمبراطورية.

والآن، بعد ألف عام، كل ما تبقى كان خوذته، ودرعه، وطقم شاي.

سلالته لم تنجُ حتى لجيل واحد. عند موته انقلب أبناؤه فورًا على بعضهم البعض، وبعد قرون من سفك الدماء التي تلت ذلك، انقسمت الإمبراطورية تحت نظام المقاطعات الذي لم يصممه الإمبراطور الأحمر ولم يقصده. ضاع خط دمه، وانقرض ورثته في غضون العشرين عامًا الأولى من الحرب الأهلية التي بدأوها. إذا استمر خطه، فلم يتعرف عليه أحد.

كان ملكًا ليوم واحد. للحظة وجيزة، وقف في مركز الكون. وإلامَ آل الأمر؟

فكرت رين: كان يجب أن يتزوج (تيرزا). كان أحمق ليجعل الشامانات أعداءه. كان يجب أن يربطهم بنظامه. كان يجب أن يضع "سبيرية" على العرش، وحينها كانت إمبراطوريته ستدوم للأبد. بحلول الآن كان ورثتهما ليغزوا العالم.

نادى كيتاي من مكان أبعد في القاعة:

— "هذا السيف يحمل اسمكِ عليه."

— "ماذا؟"

أشار بإصبعه.

— "انظري."

كان السيف — توأم ذلك الذي فقدته في الماء أثناء المعركة عند "المنحدرات الحمراء"، الثاني المصنوع من رمح ألتان المذاب.

احتفظوا به كجائزة. قرأت اللافتة: معدن سبيري، آخر من استخدمته (فانغ رونين).

سحبت رين السيف من صندوقه ونفخت الغبار عن النصل. ظنت أنه غرق في قاع النهر للأبد.

كانت لافتتها صغيرة جدًا. لم تكن هناك تفاصيل أخرى، لا تقارير عن مآثرها، فقط اسمها وصناعة السلاح. شخرت. كان هذا تصرفًا يشبه فايسرا تمامًا. لو سار الأمر كما أراد، لظلت مجرد هامش في التاريخ.

حين يبنون متاحف لنظامي يا فايسرا، لن أمنحك حتى لوحة.

كان ما يقرب من نصف التحف مفقودًا من صناديق العرض. بدت مسروقة حديثًا، على الأرجح من قبل قيادة الجمهورية؛ لم يكن للغبار وقت ليستقر في الخطوط العريضة التي تركوها خلفهم. لم تستطع رين المعرفة من قراءة اللافتات لماذا سُرق بعضها وتُرك البعض الآخر؛ كانت العناصر المفقودة مقتنيات ثمينة من جميع الأنواع ومن جميع العصور، وبدا أنها حُزمت عشوائيًا.

وقف صندوق فارغ واحد في عرض بارز— رف ناتئ من الجدار، محاط بحواف ذهبية لجذب انتباه الناظر.

التقطت رين اللافتة.

الختم الإمبراطوري للإمبراطور الأحمر.

كادت تسقطها. مذهل. تعلمت عن هذا الختم في المدرسة. حين مات الإمبراطور الأحمر، أعلن أن ختمه لا يمكن أن ينتقل، جنبًا إلى جنب مع "تفويض السماء"، إلا للحاكم الشرعي التالي للإمبراطورية. سُرق فورًا في الصباح التالي لجنازته. في القرون التالية، غير الختم الأيدي بين أمراء، وجنرالات، ومحظيات ذكيات، وقتلة، متبوعًا أينما ذهب بدرب من الدم. بعد ثلاثمائة عام سقط أخيرًا من السجل التاريخي، رغم أن أمراء الحرب في الأقاليم ما زالوا يزعمون أحيانًا أنهم يملكونه مغلقًا عليه في خزائنهم الخاصة.

إذن احتفظ به آل "يين" طوال الوقت.

بالطبع أخذه نزهة معه. وجدت رين ذلك مثيرًا للضحك. لقد خسر البلاد، لكنه أخذ تفويض الحاكم.

فكرت: احتفظ به أيها الحقير. يمكن لـ نزهة الحصول على الختم، وكل قطعة خردة لامعة أخرى حملها موظفوه في عرباتهم. لم يهم أن تلك الكنوز كانت علامات مميزة لتاريخ "النيكان". ذلك التاريخ لم يهم رين. كان سجلًا للعبودية، والقمع، وسوء الحكم، والفساد. لم ترد أي موروثات من أسلافها. لم تكن تحمل إرثهم. كانت تنوي بناء شيء جديد.

بقي عرش فايسرا في نهاية القاعة، أثقل من أن يُنقل بعيدًا.

شعرت رين بضآلة شديدة وهي تقترب منه. كان أفخم بكثير من العرش الذي جلست عليه في "جينتشو". كان هذا عرش إمبراطور حقيقي— كرسي بظهر عالٍ ومزخرف على منصة متعددة الدرجات. خريطة معقدة للإمبراطورية كانت

محبرة بخطوط سوداء عبر الأرضية الرخامية بأكملها. الجالس فوق ذلك العرش، يمسح العالم بنظره.

أومأ كيتاي نحو المقعد:

– "ستجربينه؟"

قالت رين:

– "لا. هذا ليس لي."

عرفت وهي تقف في هذا القصر المظلم والبارد أنها لا يمكن أن تجعل هذا المكان ملكًا لها أبدًا. لن تشعر بالراحة هنا أبدًا؛ هذا المكان مسكون بأشباح بيت "يين". وذلك أفضل. المقعد في أرلونغ لم يحكم الإمبراطورية بأكملها قط. كان موطن الخونة والمحتالين، المدعين للعرش المحكوم عليهم بالفشل. لن تكون هي أحدث محتال يحكم من "إقليم التنين".

كانت هذه مجرد قاعدة مؤقتة ستوطد منها قبضتها على بقية البلاد.

شعر داخل القصر فجأة ببرودة جليدية. فكرت رين: لدينا الكثير من العمل لنقوم به. المهمة أمامها بدت هائلة لدرجة أنها لم تبدُ حقيقية تمامًا. لقد مزقت العالم إربًا، أحدثت شقًا عظيمًا امتد من جبل (تيانشان) إلى "مغارة المنعطفات التسعة". والآن كان عليها خياطته مرة أخرى.

كان عليها استعادة النظام في الأقاليم. إزالة الجثث من الشوارع. وضع الطعام على طاولات الناس. إعادة هذا البلد، الذي انهار بكل طريقة يمكن تصورها، إلى طبيعته.

يا إلهي. ترنحت على قدميها، مصابة بدوار مفاجئ. من أين نبدأ حتى؟

دوى طرق على أبواب القاعة العظيمة الثقيلة، مترددًا عبر الفضاء الواسع والمظلم.

رمشت رين، منتزعة من شرودها:

– "تفضل."

دلف ضابط شاب عبر الأبواب. كان أحد موظفي تشولانغ. استطاعت رين تذكر وجهه — رأته من قبل في خيمة القيادة — لكن ليس اسمه.

— "أرسلتني القائدة (ميراغا) لأخبركِ أننا وجدناه."

سألت رين بحدة:

— "أين؟"

— "الطرف البعيد من الأحياء الهسبيرية. نحن نحاصره، لكننا لم نقتحم بعد. لا أحد يدخل أو يخرج. إنهم ينتظرون أوامركِ."

— "جيد."

اضطرت رين للتوقف للحظة قبل أن تتمكن من التحرك. لم تستطع معرفة ما إذا كان الاندفاع الدوار في أطرافها نتاج إثارة أم إرهاق. حين خطت خطوة، شعرت وكأنها تطفو عبر الهواء.

— "سأذهب الآن."

تجاهلت نظرة كيتاي القلقة وهي تتبع الضابط خارج القصر. لقد أنهيا هذا النقاش مسبقًا. كان يعرف ما تنويه. اتفقا على ما هو ضروري.

لا مجال للتردد. حان وقت الحساب.

***

آخر مرة كانت فيها رين قرب الحي الهسبيري في أرلونغ، قتلت رجلًا بحرق خصيتيه. أوضح ذكرياتها عن هذا المكان كانت مشبعة بالخوف والذعر — ذكريات سحب جثة بجموح إلى قارب (سامبان)، والتجديف نحو الميناء، وتثقيل الجثة بالصخور قبل أن يراها أحد ويملأها بالرصاص.

لكن مرة أخرى، كل ذكرياتها التي تتضمن الهسبيريين كانت مشوبة بالخوف. رغم أنهم جاءوا أولًا إلى أرلونغ كحلفاء لـ فايسرا، ورغم أنهم قاتلوا اسميًا لنصف عام في نفس الجانب، لم تستطع رين ربط الهسبيريين إلا بالتفوق الفضائي الغريب: أيدٍ قوية ومتلمسة؛ أدوات فولاذية؛ ولامبالاة باردة.

شغل مختبر الأخت بيترا مبنى مربعًا من طابق واحد مقابل الثكنات. أحاطت قوات رين بالمحيط، مسلحين ومنتظرين.

أدت القائدة ميراغا التحية لـ رين حين اقتربت.

— "إنه مقفل من الداخل. هناك شخص ما بالداخل بالتأكيد."

سألت رين:

— "هل تواصلتم معهم؟"

— "صرخنا عليهم للخروج، لكنهم لم يستجيبوا. سمعنا قليلًا من الضجيج — أيًا كان من في الداخل، فهو يستعد لقتال."

عرفت رين أن معظم المبشرين قد فروا من المدينة بالفعل. رأت عباءاتهم بلون الأردواز الرمادي على القوارب الأولى الخارجة من الميناء، يمكن التعرف عليها بسهولة حتى من عبر القناة. كانت "الطائفة الرمادية" تُبجل كالملوك في الغرب؛ القوات الهسبيرية المتبقية كانت لترافقهم شخصيًا خارج المدينة.

ذلك يعني أن من تحصن في المختبر بقي هناك عن عمد.

خارج الباب، وقف أربعة من رجال ميراغا مستعدين حول كبش فداء مغلف بالحديد وبعجلات بحجم خيمة صغيرة.

قالت رين:

— "يبدو ذلك مبالغًا فيه."

قالت ميراغا:

— "نحن نحضر أفضل ما لدينا فقط. جاهزون متى كنتِ جاهزة."

— "انتظري."

مسحت رين الجنود بنظرها حتى وجدت واحدًا يحمل مطردًا.

— "أعطني ذلك."

لفت علمًا هسبيريًا مرميًا حول النصل، وعقدته بإحكام، وأشعلت الطرف. أعادته للجندي.

— "أنت ادخل أولًا. دعها تظن أنك أنا."

بدا عليه الذعر:

— "لكن... جنرال، حينها..."

قالت رين بصرامة:

— "ستكون بخير."

قوس البرق، أيًا كان، لم يسبب ضررًا جسديًا دائمًا لها أو لـ نزهة. ضد شخص لم يكن شامانًا، لا ينبغي أن يكون له تأثير على الإطلاق.

— "فقط استعد لصدمة."

أُعجبت حين لم يجادل. أمسك بالمطرد المشتعل بثبات وأعطاها إيماءة مقتضبة ومطيعة.

قالت رين لـ ميراغا:

— "افعلوها."

أصدرت ميراغا الأمر. سحب جنودها كبش الفداء للخلف عدة ياردات، ثم دفعوه راكضين ضد الباب.

تحطم الباب الخشبي للداخل عند الاصطدام. اندفع الجندي بالمطرد للداخل، ملوحًا بالشعلة في الداخل المعتم، لكن لم يحدث شيء. كانت الغرفة فارغة. حين مشت رين للداخل، كل ما رأته كان كراسي مقلوبة وطاولات عارية — وبابًا مسحورًا في الزاوية.

أشارت:

— "إلى الأسفل هناك."

نزل الجندي بالمطرد أولًا، وتبعته رين بتمهل عدة خطوات خلفه. بدت الشعلة المرتجلة تقليداً معقولًا؛ تراقص لهبها وتقوس كشيء حي، ملقيًا بظلال مشوهة على الجدار.

قوس البرق فورًا عبر الظلام. صرخ الجندي وأسقط المطرد. في الوميض الخاطف والساطع، لمحت رين خيالًا عبر الغرفة — هيئة جاثمة خلف شيء

يشبه مدفعًا مثبتًا. كان ذلك كافيًا. انفجرت النيران من كفها وزأرت عبر الغرفة. سمعت أنينًا ميكانيكيًا عاليًا، ثم رأت انفجارًا من الشرر، يرتد عبر الغرفة كعاصفة رعدية مركزة داخل جرة.

انفجر الجهاز الشبيه بالمدفع. واختفى البرق. حين انقشع الدخان، أضاءت نيران رين، الراقصة بثبات حول ذراعيها وكتفيها كمصباح مؤقت، كتلة من الأجزاء المعدنية المتناثرة وهيئة مرتخية متكورة في الزاوية.

سهل جدًا، فكرت رين وهي تعبر الغرفة. لو صمم جندي هذا الكمين، لما كان متهورًا جدًا باستخدام البرق. لكانوا عرفوا أنهم سيحصلون على فرصة واحدة فقط؛ لكانوا انتظروا حتى يؤسسوا خط نار واضح نحو رين.

لكن الأخت بيترا إغناتيوس كانت عالمة، وليست جندية.

دفعت رين أضلاع بيترا بقدمها، قالبة إياها على ظهرها.

— "إذا أردتِ لقاءً، كان بإمكانكِ الطلب فقط."

انكمشت بيترا تحت حذائها. سال خيط رفيع من الدم أسفل الجانب الأيسر من وجهها حيث شقت شظية صدغها، وشوهت علامات حروق حمراء زاهية يديها وعنقها، لكنها بدت غير مصابة بخلاف ذلك. كانت عيناها مفتوحتين. كانت واعية. يمكنها الكلام.

التفتت رين إلى الدرج، حيث انتظرت ميراغا مع قواتها.

— "اتركونا."

ترددت ميراغا:

— "هل أنتِ واثقة؟"

قالت رين:

— "إنها غير مسلحة. ضعي جنديين لحراسة المخارج وأرسلي البقية عائدين لمركز المدينة."

— "أمركِ، جنرال."

تبعت ميراغا رجالها عائدة للأعلى عبر الباب المسحور. غمز عمود ضوء الشمس الوحيد وانطفأ وهم ينزلون الباب مغلقًا خلفهم.

ثم أصبحت رين وبيترا وحيدتين في القبو المعتم المضاء بالنار.

سحبت رين كرسيًا من طاولة عمل بيترا وجلست.

— "هل كان هذا كل ما لديكِ؟ كمين هواة؟"

أنت بيترا بنعومة وهي تسحبَ نفسها لوضعية الجلوس.

طالبت رين:

— "ما هذا؟"

التقطت إحدى شظايا الآلة المكسورة من الأرض. كان المعدن ملفوفًا في وشيعة ضيقة، بارد الملمس.

— "ماذا يفعل هذا؟"

ردت بيترا بصمت حذر. أمالت رأسها للخلف ضد الجدار، وعيناها الرماديتان كالحجر تجولان صعودًا وهبوطًا على هيئة رين وكأنها تقيم حيوانًا بريًا.

حسنًا، فكرت رين. إذن سأضطر للجوء للتعذيب. لم تفعل ذلك من قبل — لم تشاهد سوى ألتان يستخرج المعلومات بدفقات لهب سادية ومحكمة الوضع — لكن المبادئ الأساسية بدت بسيطة بما يكفي. كانت تعرف كيف تؤذي.

ثم، وبشكل عبثي، بدأت بيترا في الضحك.

— "وكأنك ستفهمين أبدًا."

رفعت ذراعًا لتمسح الدم عن عينيها.

— "ماذا، هل تخيلتِ أنكِ قد تبتكرين إجراءً مضادًا؟ النظرية وراء آلاتي تتجاوز استيعابك بقرون. يمكنني أن أريكِ كل مكون، وكل مسودة لتصاميمي، ولن تفهمي مع ذلك. لا تملكين العقل لذلك."

نهضت على قدميها. توترت رين، مستعدة للضرب. لكن بيترا ترنحت فقط نحو الكرسي المقابل لها وجلست، يداها مشبوكتان بتهذيب في حجرها في تقليد مريض لمعلم يحاضر طالبًا.

سخرت:

– "هذا يرعبكِ، أليس كذلك؟ أن آلهتكم لا شيء؟"

قال (العنقاء): احرقيها. اجعليها تصرخ.

دفعت رين الدافع بعيدًا. لديها هذه الفرصة الواحدة للحصول على المعلومات. ستحصل على انتقامها لاحقًا.

مدت الوشيعة المعدنية مرة أخرى وكررت السؤال:

– "ماذا يفعل هذا؟"

انشقت شفتا بيترا الداميتان عن ابتسامة. للمرة الأولى منذ التقتها رين، رأت بريقًا جنونيًا في عيني الأخت الرمادية، شرخًا في قناع هدوئها غير البشري.

– "ألم تشعري به؟ إنه يسكت إلهك. إنه يبطل مفعوله."

اعترضت رين رغمًا عنها:

– "هذا غير ممكن. الآلهة قوى أساسية؛ صنعوا هذا العالم، لا يمكن قطعهم بمجرد قطعة معدن، هذا ليس..."

هدلت بيترا:

– "استمعي لنفسكِ. تتشبثين بثرثرتك الوثنية، حتى الآن. آلهتكم ليست سوى وهم. عفن فوضوي في أدمغتكم ابتلى بلدكم لقرون. لكنني وجدت العلاج. أصلحت ذلك الفتى، وسأصلحكِ أنتِ أيضًا."

كانت تشمت الآن. لم تمانع الشرح – أرادَت الشرح، لأنها حتى الآن، أرادت التلويح بتفوقها في وجه رين. أدركت رين أن التعذيب لن يكون ضروريًا. بيترا ستخبرها بكل ما تريده، لأنها تعلم أنها على وشك الموت، والشماتة هي كل ما تبقى لها.

– "المبدأ كان بسيطًا جدًا. في (هسبيريا)، لدينا علاجات بالصدمات للأرواح التي فقدت قبضتها على الواقع. الكهرباء تهدئ جنونهم. تطرد الفوضى من أدمغتهم. وبمجرد أن أدركت أن شامانيتكم كانت مجرد جنون من النوع المتطرف، كان الحل سهلًا جدًا. الفوضى كانت تنخر عبر عقولكم إلى العالم المادي. لذا كل ما توجب علي فعله هو إيقاف تشغيلها."

مالت للأمام. كان الدم قد قطر مرة أخرى في عينها اليسرى، لكنها رمشت فقط دون مسحه.

– "كيف هو الشعور؟ أن تعرفي أن آلهتكم لا شيء أمام المهندس الإلهي؟ روضنا التنين. روضنا ما تسمونه عنقاء. بدون شاماناتكم، جيشكم مجرد كتلة غير مدربة ومتخلفة من الفلاحين البلهاء الذين لن، أبدًا..."

قاطعتها رين:

– "يحتلوا أرلونغ؟"

لم يكن يجدر بها الانفجار؛ كان يجب أن تدع بيترا تواصل الحديث، لكنها لم تطق ذلك التعالي اللعين.

– "الجمهورية انتهت. هرب شعبك من الميناء في أول فرصة سنحت لهم. لقد خسرتم."

أطلقت بيترا ضحكة نباحية:

– "وتظنين أنكِ فزتِ؟ شبكة (الطائفة الرمادية) تمتد عبر العالم. لدينا عيون في كل قارة. وقطع القمامة تلك" – ركلت شظية معدنية ملتوية عند قدميها – "كانت نماذج أولية فقط. حين فهمت ما جعل يين نزهة ينزف، أرسلت ملاحظاتي إلى الأبراج الرمادية. سيكونون قد أتقنوا تصاميمي الآن. المرة القادمة التي تواجهين فيها واحدة ستكون الأخيرة."

"المهندس يعمل بطرق غامضة. أحيانًا يتحرك ببطء. وأحيانًا يقدم تضحيات." أخذت بيترا نفسًا متهدجًا، وسعلت، ثم تنهدت. "لكن العالم يسير

حتمًا، وبلا هوادة نحو النظام. هذا قصده. (الطائفة الرمادية) أعظم مما يمكنكِ تخيله أبدًا، ولدينا الآن الأسلحة لحرق الفوضى من العالم. تقتلينني ولا تحققين شيئًا. عالمكِ كما تعرفينه سينتهي."

لزمت رين الصمت.

قصدت بيترا الاستفزاز. أرادت لـ رين أن تفقد السيطرة، أن تنفجر وتغضب، كل ذلك لتثبت وجهة نظرها بأن "السبيريين" في النهاية ليسوا أفضل من الحيوانات. خلال تلك الأسابيع في البعثة الشمالية، حافظت بيترا دائمًا على هدوء وداعة باردة حين جعلت رين تئن وتتلوى وتعوي، سيطرة متعالية لامرأة آمنت بأنها متفوقة بكل طريقة.

لكن هذه المرة كانت رين هي المسيطرة. ولن تفرط في ذلك.

كانت قد نوت حرق بيترا حية. حين وصل رسول ميراغا إلى القصر، رأت رين رؤية فورية وخيالية لـ بيترا تصرخ وتتلوى على الأرض، تتوسل الرحمة بينما تأكل النيران لحمها الأبيض الشاحب.

لكن كل ذلك بدا مبتذلًا جدًا الآن، وسهلًا جدًا. لا تستحق بيترا موتًا عاديًا. التعذيب الجسدي المجرد لن يشفي الغليل. ضربت رين فكرة أفضل بكثير للتو، شيء قاسٍ ولذيذ لدرجة أن جزءًا منها ذهل، واندهش من إبداعها الخاص.

قالت بأكبر قدر استطاعت حشده من الهدوء:

— "لن أقتلكِ. أنتِ لا تستحقين ذلك."

للمرة الأولى، ومضَ الخوف عبر وجه بيترا.

أمرت رين:

— "انهضي. اصعدي على الطاولة."

ظلت بيترا في كرسيها، وجسدها يتوتر وكأنها تحاول تقرير ما إذا كانت ستركض أم تقاوم.

— "اصعدي على الطاولة."

تركت رين النيران حول كتفيها تقفز أعلى، تشبه أجنحة للحظة قبل أن تتوهج خارجة نحو بيترا.

– "وإلا سأفحم كل جزء من جسدك. سأفعل ذلك ببطء، وسأبدأ بحنجرتك حتى لا أضطر لسماع صراخك."

وهي ترتجف، وقفت بيترا، وتسلقت طاولة الفحص، واستلقت.

مدت رين يدها عبر جانب الطاولة للأحزمة. تعثرت يدها اليسرى مع الأبازيم، لكنها تمكنت من لفها عبر الحلقات المعدنية على جانبي الطاولة وشدها بإحكام. استلقت بيترا ساكنة طوال الوقت. استطاعت رين رؤية العروق بارزة في فكها حيث أطبقته بقوة، تحاول إخفاء خوفها. لكن حين سحبت رين الأحزمة حول خصر بيترا، مثبتة ذراعيها لجانبيها، هرب أنين حاد من حنجرة الأخت.

– "اهدئي."

ربتت رين على خدها بتعالٍ. بطريقة ما، شعرت بذلك أفضل من الصفعة.

– "سينتهي الأمر قريبًا."

قبل عام، ربطتها بيترا عارية إلى طاولة وألقت عليها محاضرة حول دونية عقلها، وقصور جسدها، والتخلف المحدد جينيًا لعرقها. في الأشهر التي تلت ذلك، فعلت الشيء نفسه على الأرجح بـ نزهة. لابد أنها وقفت حيث تقف رين الآن، تراقب بلا مبالاة بينما يقوس البرق عبر جسده، تدون ملاحظات دقيقة بينما يتلوى موضوع بحثها ألمًا. ولابد أنها ألقت عليه محاضرة أيضًا، حول سبب كون هذه نية المهندس الإلهي. لماذا كانت هذه الإهانات والانتهاكات ضرورية للمسيرة البطيئة والمقدسة نحو الحضارة والنظام.

الآن كان دور رين للتبشير.

– "أتذكرين تلك المرة التي سحبتِ فيها دمي؟" ملست شعر بيترا للخلف بأصابعها. "ملأتِ جرات كاملة به. لم تحتاجي كل تلك الكمية؛ أخبرتني بذلك

بنفسك. أردتِ فقط عقابي. كنتِ غاضبة لأنكِ أردتِ دليلًا على الفوضى، لكنني لم أستطع أن أريكِ الآلهة."

ملأت رائحة نفاذة الهواء. نظرت رين لأسفل ورأت بقعة رطبة تنتشر عبر أردية بيترا. لقد بالت على نفسها.

— "لا تخافي."

مدت رين يدها لجيبها الخلفي وأخرجت كيسًا من بذور الخشخاش.

— "سأعطيكِ ما تريدين. سأريكِ الآلهة."

فتحت الكيس بأسنانها، وسكبته في كفها، وأطبقت به على فم بيترا.

جندي كان قد يستطيع المقاومة — كان ليحبس أنفاسه، أو يعض كف رين بقوة كافية لإسالة الدم، أو يخفي البذور تحت لسانه ويبصقها لحظة تحرره. لكن بيترا لم تعرف كيف تناضل. (الطائفة الرمادية) كانوا لا يُمسون في (هسبيريا)؛ لم تكن لديها الحاجة قط. تلوت بشكل مثير للشفقة تحت قبضة رين، لكنها لم تستطع التحرر؛ حشرت رين جذع ذراعها فوق أنفها، مقيدة تدفق هوائها، حتى لم يكن لديها خيار في النهاية سوى فتح فمها والشهيق.

رأت رين حلقها يهتز. ثم، بعد عدة دقائق طويلة، رأت عينيها ترفان وتغلقان بينما تسرب المخدر عبر مجرى دمها.

— "فتاة جيدة."

أزالت كفها — فارغة، جيد — ومسحتها ببنطالها.

— "الآن ننتظر."

لم تكن واثقة أن هذا سينجح. لم تستطع بيترا حتى تصور وجود "البانثيون"، ناهيك عن كيفية الوصول إليه. ورين لم تكن تشاغان؛ لم تستطع التنقل ذهابًا وإيابًا بين المستويات، ساحبة الأرواح معها كالراعي.

لكنها تستطيع استدعاء الآلهة، وإلهها كان إله الانتقام.

سحبت كرسيًا بجوار الطاولة، وجلست، وأغمضت عينيها.

أجاب (العنقاء) فورًا. بدا صوته متسليًا. حقًا، أيتها الصغيرة؟

فكرت رين: أحضرها لي. وخذنا إلى إخوتك.

قهقه (العنقاء). لكِ ما شئتِ.

اندفع الظلام حولها. تلاشت غرفة العمليات. شعرت بنفسها تندفع في الفراغ، تتلولب عبر الجسر في عقلها كسهم أطلق مباشرة نحو السماوات.

صرخ وجود بيترا بذعر:

— "أين نحن؟ ما هذا؟"

استطاعت رين استشعار خوفها كموجة مد، فيضان مستمر من الاغتراب المرعوب والمقتلع. كانت هذه نفس العاطفة التي شعرت بها رين في "المدينة الجديدة" مضخمة لأقصى حد: الإدراك الصادم بأن العالم لم يكن ما ظنته، وأن كل ما آمنت به، وكل ما وثقت به، كان خطأ.

لم تكن بيترا خائفة فحسب، كانت تتداعى.

قالت لها رين بابتهاج:

— "إنها الألوهية. انظري حولك."

فجأة أصبح "البانثيون" مرئيًا، دائرة من الأعمدة تحيط بهم كمتفرجين حول مسرح. زحفوا أقرب، قساة وفضوليين، ثلاثة وستون كيانًا مفتونين بوجود روح ترفض الاعتراف بوجودهم.

قالت رين:

— "هذه هي القوى التي تشكل عالمنا. ليس لديهم نية. ليس لديهم أجندة، ولا يميلون نحو النظام. لا يريدون شيئًا أكثر من أن يكونوا ما هم عليه. وهم لا يهتمون."

نطقت بيترا بشيء منخفض وخائف، ترتيلة متكررة بلغة بدت تقريبًا كالهسبيرية لكن ليست تمامًا. لعنة؟ صلاة؟ أيًا كان ما هي، لم يهتم "البانثيون"، لأن "البانثيون"، على عكس (الصانع)، كان حقيقيًا.

توسلت بيترا:

– "أعيديني."

لقد فقدت كل كرامة؛ فقدت كل إيمان. بدون (صانعها) جُردت لتصبح جوهرًا تائهًا ومرعوبًا، تتخبط بجموح بحثًا عن شيء تتشبث به.

– "خذيني..."

ضغطت الآلهة للداخل.

الصوت لم يكن موجودًا تمامًا في مستوى الروح. ما أدركته رين ككلمات كانت أفكارًا منقولة، كلها متساوية في الحجم رغم المسافة أو الشدة. عرفت هذا نظريًا. عرفت أنه هنا، لا يمكن للمرء الصراخ حقًا.

لكن الشدة المحضة ليأس بيترا اقتربت من ذلك.

قالت رين لـ (العنقاء):

– "أعدني للأسفل. انتهيت هنا."

هبطت عائدة في جسدها بجفلة. فتحت عينيها.

رقدت الأخت بيترا ساكنة على الطاولة. كانت عيناها مفتوحتين على آخرهما. حدقتاها تندفعان بقلق في كل مكان، تتعقبان لا شيء. راقبتها رين لفترة طويلة، تتساءل عما إذا كانت ستجد طريقها عائدة لجسدها، لكن الحركة الوحيدة التي قامت بها كانت ارتعاشًا عرضيًا في كتفيها. هربت تمتمة مخنوقة من حنجرها.

نكزت رين كتف بيترا:

– "ماذا كان ذلك؟"

سال اللعاب من جانب فمها. غرغرت بيترا بشيء غير مفهوم، ثم صمتت.

ربتت رين على رأسها:

– "تهانيّ. لقد وجدتِ الدين أخيرًا."

الفصل الثاني والثلاثون

آمنة ومحصنة في منزل خاضع لحراسة مشددة خلف الثكنات، نامت رين تلك الليلة أفضل من أي ليلة تذكرها منذ سنوات. لم تحتج لـ (اللودانوم) لتفقد وعيها. لم تستيقظ مرات متعددة في الليل، متعرقة ومرتجفة، تجهد سمعها لالتقاط صوت هجوم منطاد تخيلته فقط. لم ترَ ألتان، لم ترَ (السيك)، لم ترَ سبير. في اللحظة التي استلقت فيها انزلقت في نوم عميق، بلا أحلام، ولم تستيقظ حتى زحفت أشعة الشمس الدافئة فوق وجهها.

كانت في الحادية والعشرين من عمرها وكانت تلك أول ليلة تذكر أنها استطاعت فيها إغلاق عينيها دون الخوف على حياتها.

في الصباح وقفت، ومشطت التشابك من شعرها بأصابعها، وحدقت في نفسها أمام المرآة. اشتغلت على عضلات وجهها حتى بدت متماسكة. واثقة. جاهزة. القادة لا يمكنهم إظهار الشك. حين تخرج من ذلك الباب، هي جنرالهم.

سأل صوت ألتان: وماذا بعد؟ إمبراطورتهم؟ رئيستهم؟ ملكتهم؟ لم تكن رين تعرف. لم تناقش هي وكيتاي قط أي نوع من الأنظمة قد يستبدلون الجمهورية به. طوال هذا الوقت، افترضا — بسذاجة، كما أدركت الآن — أنه بمجرد فوزهم، يمكن للحياة في الإمبراطورية العودة لطبيعتها.

لكن لم يكن هناك "طبيعي". في غضون عام حطموا كل ما كان طبيعيًا. الآن لا يوجد أمراء حرب، ولا إمبراطورات، ولا رؤساء. مجرد بلد عظيم، وكبير، وجميل، ومحطم، يتماسك برهبة مشتركة لإله واحد.

قررت أنها الجنرال "فانغ" فقط في الوقت الراهن. لم يكن لديها مملكة لتحكمها بعد. ليس حتى يُهزم الهسبيريون بشكل حاسم.

خرجت من المنزل. وقف خمسة حراس ينتظرون خارج بابها، مستعدين لمرافقتها عبر المدينة. حين وصلوا للقصر، اضطرت للتوقف وتذكير نفسها بأنها لا تحلم. منذ بداية الحملة من "رويجين"، قضت وقتًا طويلًا جدًا تفكر فيما سيحدث لو كانت هي المسؤولة لدرجة أنه بدا غير واقعي أنها تقف هنا حقًا، على وشك الإمساك بمقاليد السلطة.

لا يهم أنها كانت هنا بالأمس فقط، تسحب التحف من الجدران وكأنها تملك المكان — لأنها كانت تملك المكان. الأمس كان عن الاستيلاء، عن محو آخر آثار السلطة الجمهورية. اليوم هو اليوم الأول لبقية تاريخ "النيكان".

سأل كيتاي:

— "أنتِ بخير؟"

تنفست:

— "نعم. فقط... أحاول ألا أنسى هذا."

خطت فوق العتبة. اندفع الدم لرأسها. شعرت بالخفة، وانعدام الوزن. موازين كل شيء تحولت. المراسيم التي ستكتبها في هذا القصر ستتموج عبر البلاد. القواعد التي تبتكرها ستصبح قانونًا.

بين عشية وضحاها، أصبحت أقرب لإله بقدر ما يمكن لفنانٍ أن يكون.

فكرت: لقد وصلت لما وراء اللوحة. والآن أنا أمسك الفرشاة.

***

أدارت رين إدارتها ليس من القاعة العظمى الكبيرة والفارغة — تلك الغرفة كانت كهفية جدًا، ومرهبة جدًا — بل من مكتب حرب فايسرا الأصغر، الذي كان مؤثثًا بطاولة احتياطية واحدة فقط وعدة كراسي صلبة الظهر غير مريحة. لم تستطع الجلوس على عرش القصر — كان فخمًا جدًا، ورسميًا بشكل مخيف.

لم تكن مستعدة للعب دور الإمبراطورة بعد. لكنها شعرت بالراحة في هذه الغرفة الضيقة، غير المزخرفة. لقد خاضت حملات من هذه الغرفة من قبل؛ بدا وكأنه أكثر الأشياء طبيعية في العالم أن تفعل ذلك مرة أخرى. بالجلوس على هذه الطاولة مع كيتاي على يمينها وفينكا على يسارها، لم تشعر بأنها محتالة تمامًا. كانت هذه مجرد نسخة ألطف بكثير من خيمتها.

قال صوت صغير في مؤخرة عقلها: هذا ليس صحيحًا. هذا جنون.

لكن ما الذي لم يكن جنونًا في العامين الماضيين؟ لقد سوت بلدًا بالأرض. دمرت (التريفيكتا). قادت جيشًا. أصبحت، لجميع المقاصد والأغراض، إلهًا حيًا.

إذا استطاعت فعل ذلك، لماذا لا تستطيع إدارة بلد؟

أول شيء على جدول أعمالهم ذلك الصباح كان تقرير ما يجب فعله بشأن نزهة. أفاد كشافة رين بأنه فر من البلاد مع أقرب ضباطه ومستشاريه، كلهم محشورون في آخر مركب شراعي تجاري وقارب صيد استطاعت الجمهورية تجميعه.

سألت رين:

— "إلى أين ذهبوا؟ أنخيلون؟ مواغ لن تستضيفه."

أنزل كيتاي الصفحة الأخيرة من البرقية.

— "أبعد قليلًا للشرق."

— "ليس جزيرة القوس الطويل. الهواء هناك لا يزال سمًا."

أعطاها نظرة غريبة.

— "رين، إنه في سبير."

لم تستطع منع نفسها؛ جفلت.

إذن لجأ نزهة لـ "الجزيرة الميتة".

كان ذلك منطقيًا. لم يستطع الذهاب كل الطريق إلى "هسبيريا"؛ كان ذلك بمثابة استسلام. لكن لا بد أنه عرف أنه ليس آمنًا في أي مكان على البر الرئيسي. إذا أراد البقاء حيًا، احتاج لوضع محيط بينهما.

قالت بأكبر قدر استطاعت حشده من الهدوء:

— "هذا لطيف."

رأتهما يراقبانها؛ لم تستطع السماح لهما بالظن أنها مضطربة. بالتأكيد اختار نزهة سبير لإغاظتها. استطاعت سماع السخرية في صوته. قد تملكين كل شيء، لكنني أملك منزلك. أملك آخر قطعة أرض لا تسيطرين عليها.

وشعرت بوميض من الانزعاج، صدمة حادة من الإذلال في ظهرها حيث لوى نصلًا ذات مرة. لكن ذلك كان كل ما شعرت به — انزعاج. لا خوف، لا ذعر. الهروب لـ سبير كانت حركة مزعجة، لكنها كانت أيضًا العلامة القصوى للضعف. لم يتبقَ لدى نزهة أوراق. لقد خسر عاصمته وأسطوله. حكم جمهورية بالاسم فقط، ونُفي لجزيرة ملعونة، وجافة حيث لا يعيش شيء وبالكاد ينمو أي شيء. كل ما يمكنه فعله هو السخرية.

علاوة على ذلك، وفقًا للبرقيات، فقد ثقة حلفائه. لم يعد الهسبيريون يستمعون إليه. اختار (الكونسورتيوم) تقليل خسائرهم.

قرأت فينكا:

— "لم يتلقَ أي تعزيزات منذ سقطت أرلونغ. وجرده الهسبيريون من سلطته لقيادة القوات البرية. ليس لديه سوى مشاة نيكانيين تحت تصرفه الآن، وثلث تلك الأعداد هرب بعد أرلونغ."

رفعت نظرها عن التقرير.

— "مذهل. تظنون أن (الكونسورتيوم) انتهى؟"

بدأ كيتاي:

— "ربما في الوقت الحالي..."

في نفس اللحظة قالت رين:

– "بالتأكيد لا."

قال كيتاي:

– "لقد سحبوا كل قواتهم."

ردت رين:

– "سيعودون."

– "ربما في بضعة أشهر. لكنني أظن أنهم تكبدوا خسائر أكثر مما..."

قاطعت رين:

– "لا يهم. سيعودون بأسرع ما يمكنهم. قد تكون أيامًا، قد تكون أسابيع. لكنهم سيضربون مجددًا، وبقوة، وعلينا أن نكون مستعدين. أخبرتكم بما قالته بيترا. إنهم لا يظنون فقط أننا مجرد... مجرد عقبات أمام التجارة. نحن لسنا إزعاجًا لهم. يظنون أننا تهديد وجودي. ولن يتوقفوا حتى نصير غبارًا."

***

نظرت حول الطاولة.

– "لم ننتهِ من القتال. تفهمون هذا جميعًا، أليس كذلك؟ لم يطلبوا هدنة. لم يرسلوا دبلوماسيين. ليس لدينا سلام، لدينا فقط مهلة، ولا نعرف كم ستدوم. لا يمكننا الجلوس والانتظار. علينا أن نضرب أولًا."

لو كان الأمر بيد رين، لكان بقية اليوم مشغولًا بإعادة التعبئة العسكرية. أرادت فتح الصفوف للتجنيد. أرادت إقامة معسكرات تدريب في الحقول لنهب أرلونغ بحثًا عن التكنولوجيا العسكرية الهسبيرية وجعل قواتها تتعلم كيفية استخدامها.

لكن أولويتها الأولى كان يجب أن تكون إعادة الإعمار المدني. لأن الجيوش تغذيها المدن، والمدينة كانت على وشك الانهيار.

قلبوا أرلونغ رأسًا على عقب في فورة من الترميم. انتشرت فرق العمل على الشواطئ لإدارة عمليات الإنقاذ في المستوطنات التي أغرقها التنين. فُتحت

مراكز فرز طبي عبر المدينة لعلاج المدنيين الذين أصيبوا في المعركة والاحتلال اللاحق. تشكلت طوابير أمام المطابخ العامة وامتدت حول القنوات، حشود مخيفة مكونة من آلاف وآلاف من الناس الذين أصبحت مسؤولة الآن عن إطعامهم.

تطلب الحكم مجموعة مختلفة تمامًا من المهارات عن قيادة جيش، القليل جدًا منها امتلكته رين. لم تكن تعرف شيئًا عن الإدارة المدنية، ومع ذلك فجأة طالبت مليون مهمة دنيوية باهتمامها الفوري. إعادة توطين المدنيين الذين كانت منازلهم تحت الماء. تطبيق القانون ضد النهب والسلب. العثور على مقدمي رعاية للأطفال الذين مات آباؤهم أو فقدوا. ستكون مهمة جبارة لمجرد إعادة المدينة لمستوى أدنى من الأداء، وتفاقمت صعوبتها بحقيقة أن الموظفين العموميين المسؤولين عادة عن إبقاء المدينة تعمل كانوا إما موتى، أو مسجونين، أو فروا مع نزهة لـ سبير.

ذُهلت رين من أنهم أنجزوا أي شيء. بالتأكيد لم تكن لتجتاز ذلك الصباح الأول بدون كيتاي، الذي بدا غير هياب باستحالة مهمتهم، والذي استدعى الموظفين بهدوء وعين المسؤوليات وكأنه يعرف بالضبط أين كل شيء وما يجب فعله.

مع ذلك، لم يبدُ ذلك الصباح حقيقيًا تمامًا. بدا كحلم. كان أمرًا عبثيًا، حقيقة أن ثلاثتهم يديرون مدينة. استمر عقلها في الارتداد بين القناعة المتغطرسة بجموح بأن هذا جيد، أنهم يتدبرون الأمر، ويقومون بعمل أفضل من أي من قيادات أرلونغ الفاسدة؛ وبين الخوف المقعد بأنهم غير مؤهلين لهذا على الإطلاق لأنهم مجرد جنود، مجرد أطفال لم يتخرجوا حتى من سينغارد، وغير مستعدين تمامًا لمهمة الحكم لدرجة أن المدينة ستنهار حولهم في أي دقيقة. رغم كفاءة كيتاي المذهلة، استمرت مشاكلهم في التراكم. في اللحظة التي حلوا فيها مشكلة واحدة، تلقوا تقارير عن دزينة غيرها. شعروا وكأنهم يحاولون

سد سد بأطراف أصابعهم بينما استمر الماء في الانفجار حولهم. خافت رين أنه إذا شرد تركيزهم لدقيقة واحدة، فسيغرقون.

بحلول منتصف الصباح أرادت التكور والبكاء: لا أريد هذا، لا أستطيع فعل هذا؛ أرادت تسليم مسؤولياتها لشخص بالغ.

لكن ألتان ذكرها: أنتِ شنيتِ هذه الحرب. أردتِ أن تكوني المسؤولة. والآن أنتِ كذلك. لا تفسدي الأمر.

لكن في كل مرة رتبت أفكارها، تذكرت أنه ليست أرلونغ فقط على المحك — بل البلاد.

ومشاكل أرلونغ تضاءلت مقارنة بما كان يحدث عبر "النيكان". كانت الجمهورية تتماسك بشكل أسوأ مما ظنت. نقص الحبوب ابتلى كل إقليم. تجارة الماشية كانت شبه معدومة؛ دمرها الغزو الموغيني، والحرب الأهلية التالية لم تمنحها مساحة للتعافي. السمك، عنصر أساسي في الجنوب الشرقي، كان شحيحًا منذ سممت داجي الأنهار قبل عام. معدلات الأمراض المعدية كانت تحلق عاليًا. تقريبًا كل جزء من البلاد كان يعاني من أوبئة التيفوس، والملاريا، والدوسنتاريا، و—في قرية نائية في إقليم الجرذ—حالات غير مسبوقة من الجذام. أثرت هذه الأمراض على سكان الريف بجدول دوري، لكن اضطراب الحرب اقتلع مجتمعات بأكملها وأجبر كتلًا من الناس — الكثير منهم لم يكونوا على اتصال ببعضهم البعض من قبل — في مساحات أصغر ومكتظة. انفجرت العدوى نتيجة لذلك. ساعد الطب الهسبيري، إلى حد ما. لكنه لم يعد متاحًا.

ثم كانت هناك النواتج الثانوية الطبيعية للحرب. النزوح الجماعي. تفشي قطاع الطرق. طرق التجارة لم تعد آمنة؛ توقفت اقتصادات بأكملها عن العمل. التدفق الطبيعي للبضائع، تلك الدورة الدموية الحاسمة التي أبقت الإمبراطورية تعمل، تعطل وسيتطلب شهورًا، إن لم يكن سنوات، لاستعادته.

لم تكن رين لتعرف عن نصف هذه القضايا لولا أنها علمت بها من أوراق نزهة الخاصة — كومة من الحسابات الأنيقة، والشاملة بشكل مذهل لكل نداء للمساعدة الحكومية على مدى الأشهر الستة الماضية، محفوظة بدقة بخط يد أنيق وأنثوي بشكل غريب. رغمًا عنها، وجدتها رين مفيدة للغاية. قضت ساعات منكبّة على اللفائف، تدون تأملاته وحلوله المقترحة. عرضت أفكار شخص تدرب ليكون رجل دولة منذ تعلم القراءة. عدد مقلق من مقترحاته كان أفضل من أي شيء كان يمكن لها أو لـ كيتاي التفكير فيه.

قالت:

— "لا أصدق أنه ترك كل هذا خلفه. ليست ثقيلة لتلك الدرجة. كان بإمكانه إحداث ضرر أكبر بكثير بأخذها معه. تظن أنه تخريب؟"

بدا كيتاي غير مقتنع:

— "ربما."

لا، كلاهما عرف أن ذلك ليس صحيحًا. كانت الملاحظات مفصلة جداً، وجمعت بوضوح عبر شهور من الحكم الصعب، لدرجة لا يمكن تلفيقها بين عشية وضحاها. والكثير جداً من تحذيرات نزهة — أهمية إعادة بناء السدود، وإدارة حركة القنوات اليقظة — تبين أنها جوهرية.

غامر كيتاي:

— "أو، إنه يحاول مساعدتكِ. أو على الأقل، يحاول إبقاء كوارث المدينة عند الحد الأدنى."

كرهت رين ذلك التفسير. لم ترد أن تنسب لـ نزهة ذلك الكرم. رسم ذلك صورة مختلفة لـ نزهة — ليس كالمتملق الشرس والانتهازي للهسبيريين الذي كانت تحشد ضده طوال هذه الحملة، بل كقائد يحاول بصدق بذل قصارى جهده. جعلها ذلك تفكر في الصبي المتعب في الزنزانة. الصبي الخائف في النهر.

جعل ذلك من الأصعب بكثير التركيز على التخطيط لموته.

قالت بحدة:

— "لا يهم. لم يستطع نزهة التمسك بمدينته، ناهيك عن بلد. هذه مشاكلنا الآن. مرر لي تلك الصفحة."

***

توغلوا في فترة ما بعد الظهيرة قبل أن يتوقفوا لوجبة منتصف اليوم، وفقط لأن معدة كيتاي بدأت تقرقر بصوت عالٍ لدرجة أن التشتيت أصبح لا يطاق. كانت رين مستغرقة جداً في وثائق نزهة، لدرجة أنها نسيت أنها جائعة حتى وضع ضابط مبتدئ أطباقًا من كعك البصل الأخضر المطهو على البخار، وسمك مسلوق بالفلفل، وملفوف مطهو ببطء أمامهم. حينها أصبحت جائعة بشدة.

قال كيتاي، تمامًا حين مدت رين يدها لكعكة:

— "توقفي. من طبخ هذا؟"

قال الضابط الذي أحضره:

— "طاقم القصر."

سألت فينكا:

— "ما زالوا يعملون في المطابخ؟"

قال الضابط:

— "قلت بإبقاء كل طاقم القصر في مراكزهم إذا رغبوا في الانشقاق. نحن واثقون تمامًا أن الطعام آمن. كان لدينا حراس يراقبون حين أعدوه."

حدقت رين في مجموعة الأطباق، مذهولة. لم يضربها الأمر حقًا، ليس حتى تلك اللحظة، أنها تحكم "النيكان". تحكم "النيكان"، مما يعني كل الامتيازات جنبًا إلى جنب مع المسؤوليات. لديها طاقم قصر كامل في خدمتها. لن تضطر لطبخ وجباتها الخاصة مرة أخرى أبدًا.

لكن كيتاي لم يبدُ مسرورًا بنفس القدر. تمامًا حين رفعت لقمة من السمك لفمها، ضرب عيدان الأكل من يدها.

– "لا تأكلي ذلك."

– "لكنه قال..."

خفض صوته حتى لا يتمكن الضابط من السماع:

– "لا يهمني ما قاله. لا تعرفين من طبخ هذا. لا تعرفين كيف وصل هنا. ونحن بالتأكيد لم نطلب غداءً، مما يعني إما أن طاقم المطبخ هذا حظي بتغيير قلب سريع بشكل ملحوظ، أو أن شخصًا ما لديه مصلحة في إطعامنا."

سأل الضابط وهو يتململ من قدم لأخرى:

– "جنرال؟ هل هناك شيء..."

قال له كيتاي:

– "أحضر لنا حيوانًا."

– "سيدي؟"

– "كلبًا، بشكل مثالي، أو قطة. أول حيوان أليف يمكنك العثور عليه سيفي بالغرض. كن سريعًا."

عاد الضابط بعد خمس وعشرين دقيقة مع مخلوق صغير، أبيض ومنفوش ذي أذنين منتصبتين، رأسه يتدلى تحت وطأة طوق مزخرف من الذهب واليشم. فكرت رين أن هذه السلالة لا بد أنها كانت شائعة جدًا لدى أرستقراطية "النيكان"؛ أشبهت كثيرًا الجراء التي رأتها مرة في قصر كيتاي.

بدا أن كيتاي لاحظ هذا أيضًا؛ جفل حين وضع الضباط الكلب على الأرض.

قال الحارس:

– "قال الخدم إن هذا كان يخص السيدة (سايخارا). يسمونه (بين بين)."

تمتمت فينكا:

– "يا إلهي. لا تخبرنا باسمه."

انتهى الأمر بسرعة. انكب الكلب بلهفة على السمك المسلوق، لكنه بالكاد ابتلع لقمتين قبل أن يتراجع ويبدأ في الأنين بشكل يثير الشفقة.

تحرك كيتاي للأمام، لكن رين أمسكته.

— "قد يعض."

بقوا في مقاعدهم، يراقبون بينما انهار الكلب على الأرض، وجنباه يعلوان ويهبطان. خرمشت مخالبه الأمامية القصيرة معدته المنتفخة، وكأنه يحاول خدش طفيلي ينهش أحشاءه. تدريجيًا أصبحت حركاته ضعيفة، ثم هامدة. أن مرة وسكت. بدا أن توقفه عن الاختلاج استغرق دهرًا.

شعرت رين بموجة عنيفة من الغثيان. لم تعد جائعة ولو قليلًا.

أمر كيتاي بهدوء:

— "اعتقلوا طاقم المطبخ. احتجزوهم في غرف منفصلة وأبقوهم معزولين حتى يتسنى لنا وقت لاستجوابهم."

— "حاضر سيدي."

غادر الضابط. وأغلق الباب بقوة. التفت كيتاي لـ فينكا.

— "كان يمكن أن يكون..."

قالت فينكا بحدة:

— "أعرف. سأتولى الأمر."

وقفت، والتقطت قوسها عن الطاولة، وغادرت الغرفة — لترى على الأرجح ما إذا كان الضابط سينفذ أوامره أم يهرب.

جلست هي وكيتاي في صمت مذهول. تبخر هدوء كيتاي المؤقت — كان يحدق في الأطباق، يرمش بسرعة كبيرة، وفمه نصف مفتوح كأنه غير متأكد مما يقول. رين، أيضًا، شعرت بالضياع في ضباب من الذعر. كانت الخيانة مفاجئة جدًا، وغير متوقعة جدًا، فكرتها المسيطرة كانت الغضب من غبائها المحض، لقبول الطعام من المطابخ دون حتى التوقف للتفكير.

شخص ما كان يحاول قتلها. شخص ما كان يحاول قتلها بالطريقة الأكثر وضوحًا الممكنة، وكاد ينجح.

أدركت حينها أنها لا يمكن أن تشعر بالأمان في مكتبها الخاص مرة أخرى أبدًا.

صر الباب مفتوحًا.

قفزت رين:

– "ما الأمر؟"

كان رسولًا. تردد، مستوعبًا وجوههم المضطربة، ثم رفع لفافة بتردد في اتجاه رين.

– "هناك، آه، رسالة."

سأل كيتاي:

– "من من؟"

– "مختومة بختم بيت..."

قالت رين بحدة:

– "أحضرها هنا. ثم اخرج."

في اللحظة التي تأرجح فيها الباب مغلقًا، مزقت اللفافة بأسنانها. لم تكن تعرف لماذا كان قلبها يطرق بصوت عالٍ هكذا، لماذا لا تزال تشعر بموجة من الترقب الخائف رغم أن نزهة خسر، وهرب، وتراجع بعيدًا جدًا في المحيط بحيث لا يمكنه تهديدها هنا.

قالت لنفسها: اهدئي. هذا لا شيء. ليس لديه شيء. مجرد شكليات من خصم مهزوم.

مرحبًا يا رين. آمل أنك تستمتعين بالقصر. هل أخذتِ غرفي القديمة؟ ستكونين قد أدركتِ الآن، كما أظن، أن هذا البلد في ورطة عميقة. دعيني أحزر، كيتاي كان يراجع التقارير الزراعية طوال الصباح. ربما يفقد عقله بسبب التناقضات. إليكِ تلميحًا – القضاة الأذكى يبلغون دائمًا عن محاصيل

أقل للحصول على دعم أكبر. أو ربما يتضورون جوعًا حقًا. من الصعب المعرفة، هاه؟

تمتمت رين:

– "ذلك المتغطرس الحقير."

– "انتظري."

كان كيتاي في الصفحة الثانية بالفعل. تصفح الأسفل، ورمش، ثم سلمها إياها.

– "واصلي القراءة."

طاقم المطبخ جيد، لكنك ستجدين أن العديد منهم مخلصون جدًا لعائلتي. آمل أنكِ لم تأكلي الغداء.

جف فم رين. لا يمكنه معرفة ذلك. كيف عرف ذلك؟

لا تعاقبيهم جميعًا. سيكون إما رئيس الطهاة، (هايروي)، أو مساعده. الآخرون لا يملكون عمودًا فقريًا. أعني، بمعرفتي بكِ، ربما رميتِ بهم جميعًا في السجن. لكن على الأقل دعي (مين مين) و(شينغ) الصغير يعودان للمطابخ. يصنعان كعكًا ممتازًا على البخار. وأنتِ تحبين ذلك، أليس كذلك؟

خفضت الرسالة. وجدت فجأة صعوبة في التنفس؛ بدت الجدران تضيق حولها، والهواء محرومًا من الأكسجين.

شخص ما يتجسس علينا.

قالت:

– "نزهة ليس في سبير. إنه هنا."

قال كيتاي:
– "لا يمكن أن يكون. كشافتنا رأوه يغادر..."
– "هذا لا يعني شيئًا. كان يمكن أن يتسلل عائدًا. إنه يتحكم في الماء اللعين يا كيتاي، ألا تظن أنه كان بإمكانه السفر صعودًا في النهر في ليلة واحدة؟ إنه يراقبنا..."
– "لا يوجد مكان ليذهب إليه. سيكون ذلك انتحارًا. بحقك يا رين – ماذا، تظنين أنه منحنٍ في كوخ في مكان ما في المدينة؟ يختلس النظر إليكِ من خلف الزوايا؟"
ارتفعت حدة صوتها عدة درجات:
– "إنه يعرف عن الصوامع. يعرف عن الطهاة اللعينين! أخبرني بربك يا كيتاي، كيف بحق الجحيم سيعرف ذلك ما لم يكن..."
قال كيتاي:
– "لأنه التخمين الأسهل في العالم. وهو يعرف عن الصوامع لأن تلك كانت نفس المشاكل التي كان يتعامل معها لشهور. حتى وصولنا، كان إطعام هذا البلد مشكلته. ليس لديه عيون فوق كتفك، إنه يحاول فقط إرباكك. لا تدعيه يفوز."
رمقته رين بنظرة غير مصدقة:
– "أظن أنك تمنح قدرًا كبيرًا جدًا من الفضل لقدراته على التخمين."
– "وأنا أظن أنكِ تبالغين بشكل هائل في تقدير مدى رغبة نزهة في الموت. إنه لا يختبئ في المدينة. ذلك انتحار مؤكد. لديه كشافة، نعم، لكننا في عاصمته اللعينة – بالطبع سيبلغ الناس تقاريرهم إليه."
– "إذن سيعرف..."
– "إذن سيعرف. علينا فقط العمل بافتراض أن نزهة لديه فكرة جيدة عما نخطط له. ذلك حتمي مع الأنظمة الحاكمة – لا يمكنك إبقاء عملياتك سرية

لفترة طويلة، هناك الكثير جداً من الناس المتورطين. في النهاية، لن يهم. لدينا الكثير من المزايا. لا يمكنكِ تبديدها بالذعر اللعين."

أجبرت نفسها على أخذ عدة أنفاس عميقة ومرتعشة. تدريجيًا، تباطأ نبضها. تلاشى الظلام الزاحف عند حواف رؤيتها. أغمضت عينيها بقوة، تحاول تنظيم أفكارها، تحاول تقييم المشكلة.

عرفت أن لديها أعداء في أرلونغ. عرفت ذلك من البداية. لم يكن لديها خيار سوى الطلب من العديد من الموظفين الإداريين السابقين البقاء في أدوارهم، ببساطة لأنه لم يكن لديها طاقم مؤهل لملء مناصبهم. لم تكن تعرف كيفية إدارة بلد، لذا اضطرت لتوظيف جمهوريين يعرفون. انشقوا جميعًا اسميًا لنظامها، بالطبع، لكن كم منهم كان يتآمر سرًا ضدها؟ مع كم منهم كان نزهة لا يزال يتراسل؟ كم فخًا صغيرًا ترك في أعقابه؟

تسارع تنفسها. عاد الذعر؛ انحسرت رؤيتها للسواد. شعرت برهبة منخفضة وزاحفة، وخز تحت جلدها وكأن مليون نملة تزحف فوق جسدها.

لم يذهب الشعور. استمر طوال فترة ما بعد الظهيرة، حتى بعد أن استجوبوا طاقم المطبخ وأعدموا الطباخ المسؤول. تكثف إلى فورة من الأعراض: إعياء موهن؛ صداع نابض تطور مع إجهاد عينيها، تندفعان حولها بحثًا عن ظلال حيث لا توجد.

لم يعد القصر يبدو كملعب فارغ بعد الآن. بدا كمنزل من الظلام اللامتناهي، مزدحمًا بآلاف الأعداء الذين لم تستطع رؤيتهم أو توقعهم.

قال كيتاي، في كل مرة عبرت فيها عن مخاوفها:

— "أعرف. أنا خائف أيضًا. لكن هذا هو الحكم يا رين. هناك دائمًا شخص لا يريدكِ على العرش. لكن علينا فقط الاستمرار. لا يمكننا ترك الزمام. لا يوجد أحد آخر."

***

امتدت الأيام. ببطء، وبشكل لا يصدق، توقفت أعمال إدارة المدينة عن الشعور وكأنها حلم محموم وبدأت تشعر وكأنها واجب مألوف بينما انخرطوا في روتين – يستيقظون قبل الشروق بساعة، يغربلون تقارير الاستخبارات خلال الساعات الأولى من الصباح، يقضون الظهيرة في تفقد مشاريع إعادة الإعمار التي بدأوها، ويخمدون الحرائق (المشاكل) التي تندلع طوال اليوم.

لم يعيدوا أرلونغ لطبيعتها. ولا حتى قريبًا من ذلك. كان معظم السكان المدنيين لا يزالون نازحين، يخيمون في أكواخ مؤقتة على نفس الأراضي حيث حشر فايسرا ذات مرة كل اللاجئين الجنوبيين. نقص الغذاء كان مشكلة مستمرة. نفد الطعام من المطابخ الجماعية دائمًا قبل وقت طويل من خدمة الجميع في الطابور. ببساطة لم يكن هناك حصص كافية، ولم تكن لدى رين أدنى فكرة من أين يمكنهم استخراج المزيد في وقت قصير. أملهم الأفضل كان انتظار رسائل مواغ والأمل أن تتمكن من تحويل حمولات قوارب من التحف النيكانية إلى حبوب هسبيرية مهربة.

لكن بطريقة ما، مع تحول الأيام لأسابيع، بدت قبضتهم على المدينة تستقر. الإدارة المدنية، المكونة من جنود جنوبيين بلا خبرة ومسؤولين جمهوريين توجب حراستهم في جميع الأوقات، أصبحت شبه وظيفية ومستدامة ذاتيًا. أعيدت بعض مظاهر النظام للمدينة. لم تعد المعارك والشغب تندلع في الشوارع. كل الجنود الجمهوريين الذين لم يفروا إما توقفوا عن محاولة إثارة المشاكل أو قُبض عليهم وحُبسوا في السجن. لم ترحب أرلونغ تمامًا بالجنوب بأذرع مفتوحة، لكن بدا أنها قبلت حكومتها الجديدة على مضض.

بدت تلك كعلامات مبدئية للتقدم. أو كانت تلك، على الأقل، الكذبة التي أخبرها رين وكيتاي لنفسيهما، لتجنب مواجهة الضغط الساحق لحقيقة أنهم أطفال، غير مستعدين وغير مؤهلين، يتلاعبون بصرح شاهق يمكن أن ينهار في أي دقيقة.

تحصن رين، وكيتاي، وفينكا دائمًا في غرفة الحرب لوقت طويل بعد الغروب. وبينما زحف القمر عبر السماء، تحولوا من التراخي على الطاولة للجلوس على الأرض للتمدد بجوار الموقد، يتجرعون زجاجات من نبيذ الذرة المستعاد من أقبية فايسرا الخاصة، وكل ادعاء بالعمل منسي.

بدأ الثلاثة جميعًا بالشرب بشكل ديني. شعر الأمر وكأنه قهر؛ بحلول نهاية اليوم، بدا الكحول ضروريًا كالأكل أو شرب الماء. كان الشيء الوحيد الذي خفف حدة التوتر الموهن الذي دق في صدغيهم. في تلك الساعات، ترنحوا للنقيض من القلق. أصبحوا مهووسين بالعظمة مؤقتًا وفي السر. تخيلوا كل شيء سيغيرونه في الإمبراطورية بمجرد إخضاعها لنظامهم. كان المستقبل مليئًا بالقلاع الرملية، آفاق واهية تُدمر وتُعاد بناؤها حسب الرغبة.

أعلنت رين:

— "سنحظر زواج الأطفال. سنجعل الوساطة للزواج غير قانونية حتى تبلغ جميع الأطراف السادسة عشرة على الأقل. سنجعل التعليم إلزاميًا. وسنحتاج لمدرسة ضباط، بوضوح..."

سألت فينكا:

— "ستعيدين سينغارد؟"

قال كيتاي:

— "ليس في سينغارد. ذلك المكان له تاريخ أكثر مما ينبغي. سنبني مدرسة جديدة، في مكان ما في الجنوب. وسنعدل المنهج بالكامل — تركيز أكبر على الاستراتيجية واللغويات، وتركيز أقل على القتال..."

قالت فينكا:

— "لا يمكنك التخلص من القتال."

قالت رين:

— "يمكننا التخلص من القتال بالطريقة التي درسه بها (جون). الفنون القتالية لا مكان لها في ساحة المعركة، مكانها مسرح الأوبرا. علينا تدريس منهج موجه للحرب الحديثة. المدفعية — البنادق، المدافع، النطاق الكامل."

قالت فينكا:

— "أريد فرقة مناطيد."

تعهد كيتاي:

— "سنحضر لكِ واحدة."

— "أريد دزينة. كلها مجهزة بأحدث المدافع."

— "كل ما تريدين."

مع تقدم الليل، انتقلت أفكارهم دائمًا من الجريئة إلى التمنيات إلى العبثية ببساطة. أراد كيتاي إصدار مجموعة موحدة من العدادات لأن الخرز بحجم البازلاء، على ما يبدو، يصدر أصوات طقطقة أفضل. أرادت فينكا حظر زينة الشعر المعقدة والثقيلة المطلوبة من نساء الأرستقراطية بحجة أنها ترهق الرقبة، وكذلك أغطية الرأس السوداء ذات اللوحات المزدوجة التي يفضلها البيروقراطيون الشماليون بحجة أنها قبيحة.

تلك المقترحات القليلة الأخيرة كانت تافهة، ومن الواضح أنها لا تستحق وقتهم. لكنها ظلت تثيرهم، رمي الأفكار وكأنهم يملكون القوة لنطقها لتصبح واقعًا. ثم تذكر أنهم يملكونها، يملكونها بحق الجحيم، لأنهم يملكون هذا البلد الآن وعلى الجميع فعل ما يقولونه.

قالت رين:

— "أريد تعليمًا مجانيًا في كل أكاديميات العلماء."

قالت فينكا:

— "أريد أن تكون عقوبة الجماع القسري هي الخصي."

قال كيتاي:

— "أريد نسخًا متعددة لكل نص قديم في الأرشيف لتوزع على كل جامعة من الجامعات الكبرى لمنع اضمحلال المعرفة."

ويمكنهم الحصول على كل ذلك. لأن تباً للأمر — هم المسؤولون الآن؛ ومهما كان الأمر عبثيًا، هم يجلسون على العرش في أرلونغ، وما يقولونه هو القانون.

تمتمت رين وهي تحدق في السقف وتراقبه يدور:

— "أنا قوة الخلق."

حرق نبيذ فايسرا حلوًا وحامضًا على لسانها؛ أرادت تجرع المزيد منه، فقط لتشعر بأحشائها تشتعل.

— "أنا النهاية والبداية. العالم لوحة وأنا أمسك الفرشاة. أنا إله."

***

لكن الصباح جاء دائمًا، ومعه صداع طاعن من انغماسات الليلة السابقة، وعاد الإرهاق، والسخط، واليأس المتصاعد الذي جاء مع محاولة إصلاح بلد قضى غالبية تاريخه في حرب.

كل ذرة تقدم أحرزوها في أرلونغ، بدا أنها تُلغى باستمرار بأخبار سيئة من بقية البلاد. هجمات قطاع الطرق كانت متفشية. الأوبئة كانت تزداد سوءًا. فراغات السلطة نبعت في جميع أنحاء المقاطعات الجنوبية الشرقية التي غزاها جيش رين، وبما أنها لم تملك قوات كافية لنشرها على مستوى البلاد لترسيخ نظامها، تشكلت دزينة من جيوب التمرد المحلي التي سيتعين عليها إخمادها لاحقًا.

الطوارئ الكبرى كانت الغذاء. كانوا يتجادلون حول الغذاء في غرفة الحرب. تضاؤل الحبوب كان موضوع كل رسالة تلقوها من المدن النائية، وكان سبب كل شغب اضطرت قوات رين لإخماده تقريبًا. حتى الآن كانت أرلونغ تُطعم بشحنات منتظمة من الإمدادات الهسبيرية، والآن ذهبت تلك.

حتى كيتاي لم يستطع إيجاد حل. لا قدر من التلاعب بالموارد، أو الدبلوماسية، أو إعادة التنظيم الذكية يمكنه إخفاء حقيقة أن مخازن الحبوب ببساطة لم تكن موجودة.

مواغ، التي كانت خيار رين الأفضل، أرسلت رسالة مقتضبة تسحق آمالهم.

لا يمكنني فعل ذلك أيتها السبيرية الصغيرة. لا أستطيع إحضار كل تلك الحبوب لكِ في إطار زمني قصير كهذا. وكنوز أرلونغ لا تُتداول بالكثير في السوق الآن. أولًا، من الصعب تمريرها عبر الحظر حين تكون نيكانية بوضوح؛ ثانيًا، انخفضت قيمة تحف عائلة (يين) قليلًا. أنا واثقة أنكِ تدركين السبب. واصلي البحث، أنا واثقة أنكِ ستجدين شيئًا يريدونه.

الجانب الإيجابي المنحرف للمجاعة الوشيكة كان أن أرقام التجنيد ارتفعت، بما أن مجندي الجيش كانوا الوحيدين المضمون لهم تلقي حصتين كاملتين يوميًا. لكن بعد ذلك، بالطبع، بمجرد أن أصبحت هذه المعرفة واسعة الانتشار، بدأت المعارك والاحتجاجات تندلع حول الثكنات بسبب هذا الظلم المتصور.

فكرت رين أن هذا كان استعارة ملائمة بشكل مريع لإحباطاتها مع المدينة. لأنه لماذا لا ينبغي للجيش تلقي الأولوية؟ قوة دفاعاتهم كانت حاسمة، الآن أكثر من أي وقت مضى — لماذا لا يستطيع أي شخص آخر رؤية ذلك؟

كل اجتماع لا ينتهي، كل محادثة زائدة خاضوها حول كيفية إطعام المدينة شعرت بإحباط أكبر لأن رين لم تستطع التخلص من الشعور بأن هذا كله كان مجرد تشتيت. أنها كانت تضيع وقتها في محاولة إعادة بلد مكسور للعمل، حين كان من الواضح أن ما يجب أن يحظى بالأولوية هو دفع نصرها للنهاية.

كانت قريبة جدًا من النهاية، تكاد تتذوقها.

حملة واحدة أخرى. معركة واحدة أخرى. ثم ستكون الوحيدة المتبقية، تجلس على عرشها في الجنوب، مهيأة لإعادة صنع هذا البلد المكسور حسب رغبتها.

لكن الأمر لم يكن يتعلق بطموحاتها الشخصية. كان يتعلق بالتهديد، التهديد الذي يلوح في الأفق دائمًا والذي لم يبدُ أن أحدًا آخر يدرك أنه أكثر رعبًا بكثير من المجاعة.

الهسبيريون كانوا عائدين.

لماذا لا يعودون؟ ولماذا لا يضربون الآن، حين يعرفون أن نظام رين الوليد على أرض مهتزة كهذه؟ لو قادت رين الهسبيريين، لكانت طلبت سفنًا هوائية إضافية وشنت هجومًا مضادًا بأسرع ما يمكن، قبل أن يتمكن النيكانيون من إعادة بناء جيشهم.

لم تكن لدى رين قوات مدفعية قادرة على إسقاط المناطيد. كان لديها نصف أعدادها الأصلية فقط، الآن بعد أن تراجع تشولانغ وقواته لموطنهم في "إقليم الكلب". لم يكن لديها شامانات هجوميون آخرون؛ (التريفيكتا) رحلوا، دولين وبيباجي ماتا. لم تكن تملك شيئًا سوى النار لتوقف الغرب به، ولم تكن تعرف ما إذا كانت هي وحدها كافية.

في أحلامها رأت المناطيد مرة أخرى، حشدًا طنانًا حجب السماء، أكثر مما تستطيع عده. نزلوا بكامل قوتهم على الشواطئ النيكانية، يحلقون في الهواء فوقها. رأت وجوه طياريهم: عيون زرقاء شاحبة وشيطانية بشكل موحد تضحك عليها وهم يوجهون مدافعهم في اتجاهها.

وقبل أن تتمكن من رفع ذراعيها للسماء، فتحوا النار. اندلع العالم في تراب متناثر ولهب برتقالي، ورغم كل شجاعتها، كل ما استطاعت فعله هو الركوع على الأرض، ولف ذراعيها حول رأسها، والأمل أن يأتي الموت سريعًا.

— "رين." هزها كيتاي من كتفيها. "استيقظي."

تذوقت الدم في فمها. هل عضت لسانها؟ التفتت للجانب، وبصقت، وجفلت عند الرذاذ القرمزي على ملاءاتها.

سألت، خائفة فجأة:

— "ماذا؟ هل كان هناك..."

قال:

— "لم يحدث شيء."

سحب شفته للأسفل. ندوب غاضبة نقطت داخل فمه.

— "لكنكِ تؤذينني."

— "يا إلهي." شعرت بوخزة ذنب. "أنا آسفة."

— "لا بأس." فرك كيتاي خده وتثاءب. "فقط... حاولي العودة للنوم."

ضربها حينها كم بدا متعبًا بشكل لا يصدق، كم بدا منكمشًا ومتضائلًا، مختلفًا كليًا عن الشخصية الواثقة والآمرة التي يكتسبها خلال النهار.

أخافها ذلك. بدا كدليل مادي على أن كل شيء كان، في النهاية، مهزلة. أنهم مدعون للعرش، يلعبون دور الكفاءة، بينما ينزلق نصرهم من بين أصابعهم.

كانت الإمبراطورية تتصدع. وشعبهم يتضور جوعًا. والهسبيريون سيعودون، ولم يكن لديهم شيء لإيقافهم به.

مدت يدها لأصابعه.

— "كيتاي."

ضغط يدها في يده. بدا صغيرًا جدًا. بدا خائفًا جدًا.

— "أعرف."

***

أسوأ ما في الأمر، الرسائل لم تتوقف.

كانت بلا هوادة. نزهة، على ما يبدو، كان يحاول شن حرب نفسية عبر وابل محض من اللفائف. ظهرت خارج مقرها. ووجدت طريقها لتقارير استخباراتها. واستمرت في الظهور مع وجباتها. غيرت رين طاقم المطبخ مرات عديدة لدرجة أن جودة الطعام أصبحت الآن رديئة بشكل قاطع، لكن كل يوم عند الظهيرة كانت لفافة تظهر دائمًا مدسوسة تحت وعاء عصيدتها.

في أحد الصباحات ظهرت رسالة على وسادتها، وأطلقت رين فورًا حملة مطاردة في محاولة للعثور على الرسول. لكن بحثًا شاملًا للثكنات بأكملها لم يكشف عن خيوط. في النهاية توقفت عن محاولة اجتثاث السعاة المشتبه بهم — كان ذلك سيتطلب استبدال طاقمها بأكمله تقريبًا — وبدأت في التنفيس بتمزيق وحرق لفائف نزهة بدلًا من ذلك.

لكن فقط بعد قراءتها. كان عليها دائمًا قراءتها أولًا. كان ينبغي عليها حقًا حرقها دون النظر — عرفت أن قراءتها تعني فقط أنها تلعب لعبته. لكنها لم تستطع منع نفسها. كان عليها معرفة ما يعرفه.

لم تستطع أبدًا تحديد نبرتها تمامًا. أحيانًا كانت ساخرة ومتعالية — كان يعلم أنه ليس لديها استعداد للحكم، وكان يستمتع بوضوح بهذه الحقيقة. لكن أحيانًا كانت مفيدة بصدق.

(لاو هو) رجل جيد للإشراف على الضرائب الإقليمية إن لم تكوني رميتِه في السجن بعد.

وأخبري كيتاي أنه بقدر ما يريد إعادة تنظيم نظام التسمية للسجلات القديمة في المكتبة، فقد أبقيناها بتلك الطريقة لسبب. الأرقام الأولى ترمز للأهمية النسبية، وليس حجم اللفافة. لا تدعيه يرتبك.

تناوب باستمرار بين كتابة الإهانات وتقديم قطع من المعلومات الدقيقة والمهمة. لم تستطع رين استيعاب ما يدور في عقله. هل كان يلعب ألعابًا فقط؟ إذا كان الأمر كذلك، فقد كان ينجح — ضاعفت الإهانات إحباطاتها، جعلتها غاضبة لأن أخطاءهم كانت مرئية لدرجة الوضوح طوال الطريق عبر المضيق؛ وكانت قطع النصائح أكثر تعذيبًا، لأنها لم تعرف أبدًا ما إذا كانت تأخذها على ظاهرها، وقضت وقتًا طويلًا جدًا في التشكيك في نصائحه، محاولة اكتشاف دوافعه الخفية، لدرجة أنها أنجزت أقل مما لو لم تقرأها على الإطلاق.

أنهى رسائله دائمًا بنفس العرض. تعالي لطاولة المفاوضات. الهسبيريون ينتجون الحبوب دائمًا بفائض — لديهم آلات تقوم بالزراعة لهم. لديهم معونات غذائية ليقدموها. فقط قدمي بضعة تنازلات وستحصلين عليها.

لم يبدُ ذلك جذابًا ولو قليلًا. كلما تلقت رسائل أكثر، أصبحت أكثر تعالياً.

أرادت أن تكتب ردًا: احتفظ بحبوبك. أفضل الاختناق على السماح لك بإطعامي. أفضل الموت جوعًا على أخذ أي شيء من يديك.

لكنها كبتت الدافع. إذا أرسلت لـ نزهة أي رد، سيعرف أنها كانت تقرأ رسائله.

لكنه لا بد أنه عرف على أي حال. كل رسالة كانت عليمة بكل شيء بشكل مرعب. حدد بوضوح شديد نفس القضايا التي كانوا يصارعونها لدرجة أنه ربما كان يقف فوق أكتافهم في غرفة الحرب. عرفت أنه يحاول جعلها مصابة بالبارانويا، لكن الأمر نجح. لم تعد تشعر بالأمان في غرفتها الخاصة بعد الآن. لم تستطع الحصول على أي راحة — اضطرت هي وكيتاي للبدء في النوم بنوبات مرة أخرى، يحرسان بعضهما البعض في السرير نفسه، وإلا كانت غارقة بالقلق لدرجة تمنعها حتى من إغلاق عينيها. بالكاد استطاعت التركيز أينما ذهبت؛ كانت عيناها مشغولتين جدًا بالاندفاع حولها، تراقب الجواسيس أو القتلة. بدأت تقضي كل يوم متحصنة في غرفة الحرب لأنها كانت المكان الوحيد الذي شعرت فيه بالأمان، بنافذتها الوحيدة بارتفاع ثلاثة طوابق، وبابها الواحد المحروس بدزينة من الجنود المنتقين بعناية.

قالت فينكا:

— "يجب أن تتوقفي عن قراءة تلك الرسائل."

كانت رين تحدق في أحدث رسالة، تحدق في الحروف حتى شعرت بأنها كُويت في جفونها، وكأنها تستطيع فك شفرة نية نزهة إذا حدقت فيها لفترة كافية.

— "ضعي ذلك جانبًا يا رين. إنه فقط يعبث معكِ."

أشارت رين:

— "لا، إنه ليس كذلك. انظري. إنه يعرف أننا حاولنا الحصول على حبوب مهربة من مواغ. إنه يعرف..."

قالت فينكا:

— "بالطبع يعرف. هذا تخمين بديهي؛ ماذا سنحاول غير ذلك؟ أنتِ تدعينه يفوز فقط حين تقرئين تلك. إنه يعبث معكِ فقط لأنه منفي في جزيرة في مكان ناءٍ ولا يستطيع فعل شيء سوى الصراخ طلبًا للاهتمام..."

— "يصرخ طلبًا للاهتمام." خفضت رين اللفافة. "تلك عبارة مثيرة للاهتمام."

ساد صمت محرج. رفع كيتاي نظره عن كومة من تقارير التجارة، وحاجباه مرفوعان.

رمشت فينكا:

— "عذرًا؟"

للحظة حدقت رين فيها فقط، وتعبيرها خالٍ، بينما دار عقلها ليلحق بالاستنتاج الذي شكلته للتو.

لم يتبقَ أوراق للعب. قرأت تلك الكلمات لتوها بخط يد نزهة — لفتت انتباهها لأنها كانت صياغة محددة للغاية. أنا واثق أنكِ تظنين أنني أصرخ طلبًا للاهتمام فقط، لكن ألقِ نظرة على الدفاتر وستعرفين أنني محق. لم تكن موجودة في أي من رسائل نزهة السابقة؛ كانت لتتذكرها. وفينكا لم تقرأ بعد الرسالة التي كانت تحملها في يدها، ما لم...

ما لم.

بدت الغرفة تظلم. ضيقت رين عينيها.

— "كيف عرفتِ أن نزهة كان سيقاوم في (سوتشو)؟"

نبض حلق فينكا:

– "ماذا تعنين؟"

– "أجيبي عن السؤال."

– "اعترضنا رسلهم، أخبرتكِ..."

قالت رين:

– "أنتِ جيدة جدًا في ذلك."

رأت العضلات في وجه فينكا تعمل، وكأنها لا تستطيع تقرير ما إذا كانت ستبتسم وتقبل الإطراء. بدت خائفة. هل يعني ذلك أنها تكذب؟ لا بد من ذلك – أي سبب آخر لديها لتكون خائفة؟

وقفت رين.

– "أجيبي عن هذا. كيف تظنين أن نزهة عرف أننا نحاول الوصول لـ (التريفيكتا)؟"

تحرك فم فينكا بلا صوت للحظة.

– "لا أفهم."

– "أظن أنكِ تفهمين." خطت رين خطوة نحوها. كانت أذناها ترنان. انخفض صوتها. "هل تعرفين كم شخصًا عرف بتلك الخطة؟ خمسة. أنا، كيتاي، المعلم جيانغ، (الأفعى)، وأنتِ."

تراجعت فينكا للخلف.

– "لا أعرف ما..."

قاطعها كيتاي:

– "رين. لا تفعلي هذا. لنتحدث..."

تجاهلته رين.

– "لدي سؤال آخر."

لم تكن لتمنح فينكا فرصة لجمع أفكارها، لنسج غطاء. أرادت إطلاق كل شكوكها دفعة واحدة، لبناء قضية متصاعدة من كل زاوية حتى تتصدع فينكا من الضغط.

– "لماذا لم تخبرينا أن نزهة سيقصف تيكاني؟"
رمقتها فينكا بنظرة غير مصدقة:
– "كيف بحق الجحيم كنت سأعرف عن ذلك؟"
قالت رين:
– "جعلتنا نظن أننا آمنون بمجرد أخذنا لـ (خلية النحل). أخبرتني أن نزهة لم يكن قريبًا من شن ضربة جنوبية. قلتِ إنه مريض."
ارتفع صوت فينكا عدة درجات:
– "لأنه كان كذلك! كان الجميع يثرثرون حول الأمر، لم أكن لأختلق ذلك..."
أمسك كيتاي بكوع رين:
– "هذا يكفي..."
نفضت رين ذراعها من قبضته.
– "ومع ذلك بعد أسبوعين كان في تيكاني، شُفي بأعجوبة. أجيبي عن هذا يا فينكا: لماذا تركوكي حية في (السندان)؟ كان الجيش الجنوبي تحت الحصار لشهور، لكنكِ خرجتِ بخير تمامًا. لماذا؟"
أصبحت وجنتا فينكا بلون أبيض شاحب وغاضب.
– "هذا هراء."
– "أجيبي عن السؤال."
– "تظنين أنني جاسوسة؟ أنا؟"
ضغطت رين:
– "لماذا غادرتِ أرلونغ تلك الليلة؟"
رفعت فينكا يديها:
– "أي ليلة؟"

— "في أرلونغ. الليلة التي هربنا فيها. كان لدينا جميعًا أسباب للذهاب، كنا جميعًا نركض للنجاة بحياتنا، إلا أنتِ. لم يكن أحد يلاحقكِ. فلماذا غادرتِ؟"

صاحت فينكا:

— "هل تمزحين معي بحق الجحيم؟ غادرتُ لأجلكِ."

ضغطت رين:

— "ولماذا تفعلين ذلك؟"

كان كل هذا واضحًا جدًا الآن؛ القطع تناسبت جيدًا. تغيير قلب فينكا المفاجئ، عدم معقولية دوافعها — التناقضات كانت صارخة جدًا، دُهشت لأنها لم ترها من قبل.

— "لم تحبيني قط. كرهتني في سينغارد؛ ظننتِ أنني حثالة قذرة البشرة. تظنين أن كل الجنوب حثالة قذرة البشرة. ما الذي غير رأيكِ؟"

بصقت فينكا:

— "هذا غير معقول بحق الجحيم."

— "لا، غير المعقول هو أرستقراطية من سينغارد تقرر رمي مصيرها مع متمردين جنوبيين. منذ متى؟ هل كنتِ تبلغين نزهة منذ البداية؟"

ضرب كيتاي بقبضته على المكتب.

— "رين، اخرسي بحق الجحيم."

فوجئت رين بشدته لدرجة أنها، رغمًا عنها، صمتت.

قال كيتاي:

— "أنتِ منهكة."

انتزع اللفافة من يدها وبدأ بتمزيقها بضراوة إلى مزق صغيرة، ثم أصغر.

— "لن تقرئي هذه بعد الآن. أنتِ تعطين نزهة بالضبط ما يريده..."

قالت رين:

— "أو قد يكون أنني وجدت جاسوسه للتو."

صاح:

– "لا تكوني سخيفة."
– "لقد قرأت تلك اللفافة يا كيتاي، رأيت تلك الكلمات..."
بدأت فينكا:
– "إنها مجرد عبارة لعينة..."
– "إنها عبارة لم يستخدمها سواكِ." نكزتها رين بإصبع. "لأنكِ كتبتِ هذه، أليس كذلك؟ كنتِ تصوغينها طوال هذا الوقت، تضحكين علينا، تشاهديننا نتعرق..."
قالت فينكا:
– "أنتِ مجنونة بحق الجحيم."
زمجرت رين:
– "أوه، أنا واثقة أن هذا ما تريدين مني التفكير فيه. أنتِ ونزهة كلكما..."
تحول شيء فجأة في وجه فينكا:
– "انخفضي."
ثم رمت بنفسها على رين، وذراعاها تمتدان لخصرها وكأنها تثبتها على الأرض.
لم تعالج رين ما سمعته. رأت فينكا تتقدم ورؤيتها تحولت للأحمر، مغلقة في استجابة القتال التي أبقتها حية حتى الآن، وبدلًا من الالتواء والانحناء للأرض، أمسكت فينكا من كتفيها ورفعت ركبتها ضد فخذها بدلًا من ذلك.
لاحقًا، ستعذب نفسها بالتساؤل عما إذا كان ذلك خطأها. ستمر عبر قائمة كل الأشياء التي كان ينبغي عليها فعلها. كان ينبغي أن تدرك أن كلمات فينكا الأخيرة كانت تحذيرًا، وليست تهديداً. كان ينبغي أن تلاحظ أن فينكا غير مسلحة، وأن يديها لم تتجها لرأس رين وعنقها، بالطريقة التي كانت لتفعلها لو كانت فينكا تنوي إيذاءها حقًا. كان ينبغي أن ترى أن وجه فينكا كان ملتويًا

بالخوف، وليس الغضب. كان ينبغي أن تفهم أن فينكا كانت تحاول إنقاذ حياتها.

لكن في تلك اللحظة، كانت مقتنعة جداً بأن فينكا هي الخائنة، وأن فينكا تهاجمها، لدرجة أنها لم تلاحظ سهم القوس المستعرض في عنق فينكا حتى انهارتا كلتاهما على الأرض. حتى بعد أن حرقت أخاديد في كتفي فينكا بالفعل. حتى أدركت أن فينكا كانت تختلج، لكنها لم تكن تنهض.

بعد فوات الأوان، لاحظت الشكل في النافذة.

صرخ سهم آخر عبر الهواء. راقبت رين مساره، عاجزة ومرعوبة، لكنه أخطأ كيتاي بياردة. غاص تحت الطاولة؛ ودفن السهم رأسه في إطار الباب.

قذفت رين بكفها نحو النافذة. زأرت النيران؛ وانفجر الزجاج. عبر الحريق، رأت الشكل متشح السواد يتهاوى عبر الهواء.

تلوت خارجة من تحت جسد فينكا وركضت نحو النافذة. رقد القاتل في كومة متداعية ثلاثة طوابق للأسفل. لم يكن يتحرك. لم تهتم رين. أشارت للأسفل، وانطلق تيار من اللهب نحو الأرض، يلعق بنهم حول الجثة.

كثفت اللهب، جعلته يحرق بأقصى حرارة قادرة عليها، حتى لم تعد تستطيع رؤية الجسد، مجرد موجات سميكة وهائجة من البرتقالي تحت هواء مترجرج. لم ترد الحفاظ على جسد القاتل. عرفت من أرسله: إما نزهة أو (الطائفة الرمادية) أو الاثنان يعملان بالترادف. لم يكن هناك لغز لحله هنا؛ لن تتعلم شيئًا من الاستجواب. ربما كان من الحكمة المحاولة، لكن في تلك اللحظة، كل ما أرادته هو مشاهدة شيء ما يحترق.

الفصل الثالث والثلاثون

في صباح اليوم التالي، غادر الجيش الجنوبي إلى تيكاني.

لم تستطع رين الحكم من "إقليم التنين". كان يجب أن يكون ذلك واضحًا منذ البداية — لم تكن مسقط رأسها، ولم تكن تعرف خبايا المدينة، ولم يكن لديها مؤيدون محليون. في أرلونغ، كانت دخيلة مغرورة تعمل ضد قرون من التمييز المناهض للجنوب. كان موت فينكا هو القشة الأخيرة — دليل على أنه إذا أرادت رين ترسيخ حكمها، فعليها أن تفعل ذلك من موطنها.

تجمع حشد صغير من المدنيين في الوادي لمشاهدة الطوابير وهي تمر. لم تستطع رين أن تتبين من تعابيرهم المتجهمة ما إذا كانوا يودعون الجيش الجنوبي باحترام، أم أنهم ببساطة سعداء لرؤية ظهورهم وهي ترحل، أم خائفين من أنها تحمل معها كل طعامهم.

لقد تركت وراءها قوة دنيا — ثلاثمائة جندي فقط، أقصى ما كانت مستعدة للتخلي عنه — للحفاظ على احتلال المدينة. من المرجح أن يفشلوا. قد تنهار أرلونغ تحت وطأة نقص مواردها الذي لا يعد ولا يحصى؛ قد يهاجر مدنيوها بشكل جماعي، أو قد يطيحون بالقوات الجنوبية في ثورة داخلية. لم يهم. أرلونغ لم تكن خسارة كبيرة. يومًا ما ستكون المدينة ملكها تمامًا وبشكل صحيح، مطهرة من المنشقين، ومجردة من كنوزها، ومحولة إلى مركز موارد مطيع ومروض لنظامها.

لكن أولًا، كان عليها استعادة الجنوب.

أبقت رين عقلها مركزًا على تيكاني، على العودة للوطن، وحاولت ألا تفكر في مدى ما فاحت به مغادرتهم من رائحة الفشل.

قضت هي وكيتاي معظم الرحلة في صمت. كان هناك القليل ليتحدثا عنه. بحلول اليوم الرابع، استنفدا كل نقاش حول الموارد التي يملكونها، وأعداد القوات التي يعملون بها الآن، ونوع الأساس الذي سيتعين عليهم بناؤه في تيكاني لتدريب قوة قتالية قادرة على مواجهة الغرب. أي شيء آخر في هذه المرحلة انزلق إلى تخمينات لا طائل منها.

لم يستطيعا الحديث عن فينكا. حاولا، لكن لم تخرج أي كلمات حين فتحا فميهما، لا شيء سوى صمت ثقيل ولائم. ظن كيتاي أن موت فينكا برأها. أما رين فكانت لا تزال مقتنعة بأن فينكا ربما كانت المخبرة، لكن أي عدد من البدائل كان ممكنًا. لم تكن فينكا الوحيدة التي لديها إمكانية الوصول إلى المعلومات التي ظل نزهة يلمح إليها. كان يمكن لضابط مبتدئ بسهولة تمرير الاستخبارات إلى الجمهورية طوال مسيرتهم. توقفت اللفائف عن الظهور منذ موت فينكا، لكن ذلك قد يكون ببساطة لأنهم غادروا أرلونغ. ظلت فينكا سؤالًا مفتوحًا، خائنة وحليفة في آن واحد، وهي الطريقة الوحيدة التي استطاعت رين تحمل تذكرها بها.

لم ترد معرفة الحقيقة. لم ترد حتى أن تتساءل. ببساطة لم تستطع التفكير في فينكا لفترة طويلة جدًا لأن صدرها كان ينبض بألم سكين غير مرئي يلتوي فيه، وتتشنج رئتاها وكأنها محتجزة تحت الماء. وجه فينكا المرتبك واللائم ظل يطفو على سطح عقلها، لكن إذا تركته يبقى، فإنها تبدأ في الغرق، والطريقة الوحيدة لإيقاف تلك المشاعر كانت أن تحترق بدلًا من ذلك.

كان التركيز على الغضب أسهل بكثير. خلال كل حزنها المرتبك، كانت الفكرة الواحدة التي احترقت بوضوح هي أن هذا القتال لم ينتهِ. أرادت "هسبيريا" موتها؛ و"هسبيريا" قادمة لأجلها.

لم تعد تحلم بموت نزهة. بدت تلك الضغينة تافهة جدًا الآن، ولم تجلب فكرة جسده المكسور أي رضا لها. كانت لديها الفرصة لكسره، ولم تأخذها.

لا، لم يكن نزهة العدو، بل مجرد دمية من دماه الكثيرة. أدركت رين الآن أن حربها لم تكن أهلية، بل عالمية. وإذا أرادت السلام — سلامًا حقيقيًا ودائمًا — فعليها إسقاط الغرب.

***

بعد أسبوعين، أصبح الطريق إلى تيكاني فسيفساء من المعاناة البشرية.

لم تكن رين تعرف ما الذي توقعته حين عبرت إلى الجنوب. ربما ليس صيحات الفرح للمحررين — لم تكن بتلك السذاجة. علمت أنها تحملت مسؤولية بلد مكسور، مدمر بكل طريقة بسبب سنوات من الحرب المستمرة. علمت أن النزوح الجماعي، وفشل المحاصيل، والمجاعة، وقطع الطرق كانت مشاكل سيتعين عليها التعامل معها في النهاية، لكنها كانت قد ركنتها في مؤخرة عقلها، وأزالت أولويتها مقابل المشكلة الأكثر إلحاحًا المتمثلة في الهجوم الهسبيري الوشيك.

كان تجاهلها أصعب بكثير حين حدقت المشاكل في وجهها.

كان الجيش الجنوبي قد عبر الحدود للتو إلى "إقليم الديك" حين بدأ المتوسلون في الخروج لمقابلتهم على جانب الطريق. بدا أن الكلمة قد انتشرت عبر شبكات القرى حول عودة رين، وبينما كان الطابور السائر يتوغل في قلب الجنوب، بدأت حشود كبيرة في الظهور على كل امتداد من الطريق.

لكن رين لم تجد أي حفلات ترحيب في رحلتها. بدلًا من ذلك كانت شاهدة على عواقب حربها الأهلية.

أول لقاء لها مع المجاعة صدمها. كانت قد رأت أجسادًا في كل حالة من الدمار تقريبًا — محروقة، ومقطعة الأوصال، ومشرحة، ومنتفخة. لكنها لم تشهد في حياتها مجاعة بهذه الشدة. الأجساد التي اقتربت من عربتها — أجساد حية،

أدركت بصدمة — كانت ممدودة ومشوهة، أشبه برسم طفل مرتبك للتشريح البشري أكثر من أي أجساد بشرية واجهتها من قبل. كانت أيديهم وأقدامهم متورمة مثل ثمار الجريب فروت، أطراف منتفخة تتدلى بشكل غير معقول من أطراف نحيلة كالعصي. بدا العديد منهم غير قادرين على المشي؛ بدلًا من ذلك زحفوا وتدحرجوا نحو عربة رين في تقدم بطيء ومرعب جعل رين تحترق خجلًا.

أمرت السائق:

— "توقف."

رمق السائق الحشد المقترب بحذر:

— "جنرال..."

— "قلت توقف."

كبح الخيول لتتوقف. نزلت رين من العربة.

بدأ المدنيون المتضورون جوعًا في التجمع نحوها. شعرت برعشة خوف لحظية — كان هناك الكثير منهم، ووجوههم كانت مجوفة بشكل غير طبيعي، ومغطاة بالتراب لدرجة أنهم بدوا كالوحوش — لكنها سرعان ما دفعتها بعيدًا. هؤلاء ليسوا وحوشًا، هؤلاء كانوا شعبها. لقد عانوا بسبب حربها. واحتاجوا مساعدتها.

أخرجت قطعة من اللحم المقدد القاسي من جيبها وقالت:

— "خذوا."

بالنظر إلى الوراء، كان ينبغي أن تدرك كم كان من الغباء تقديم الطعام لحشد من الناس المتضورين جوعًا حين لم يكن لديها بوضوح ما يكفي للجميع.

لم تكن تفكر. رأت جوعًا بائسًا وناهشًا، وأرادت تخفيفه. لم تتوقع أنهم سيبدأون في التدافع، ويسحبون بعضهم البعض إلى الأرض، وتسحق الأقدام

الحافية الأطراف الهشة وهم يندفعون للأمام. في لحظة، امتدت عشرات الأيدي نحوها، وفوجئت لدرجة أنها أسقطت اللحم المقدد وتعثرت للخلف.

انقضوا على الطعام كاسماك القرش.

مرعوبة، وخجلة من رعبها، تسلقت رين عائدة إلى العربة. دون أن تسأل، حث السائق الخيول للأمام. اندفعت العربة بسرعة. الأجساد المتضورة جوعًا لم تتبعها.

وقلبها يدق، ضمت رين ركبتيها إلى صدرها وابتلعت الرغبة في التقيؤ.

شعرت بعيني كيتاي عليها. لم تستطع تحمل التقاء نظراتهما. لكنه كان رحيمًا، ولم يقل شيئًا. حين توقفوا للعشاء تلك الليلة، كان طعم الطعام كالرماد.

***

أصبحت المجموعات على جانب الطريق مشهدًا يوميًا كلما اقتربوا من تيكاني. لم يهم أن العربات لم تتوقف أبدًا، ولم توزع الحصص أبدًا للأيدي المتوسلة لأن إمداداتهم الخاصة كانت تنفد. كان لديهم ما يكفي فقط من أكياس الحبوب والأرز لإبقاء الجيش حيًا لثلاثة أشهر أخرى؛ لم يمكنهم توفير أي شيء كصدقة. تعلم الجنود السير وعيونهم مثبتة للأمام وكأنهم لم يروا ولم يسمعوا. لكن الحشود استمرت، والأذرع ممدودة، تهمس بتوسلات في أنفاس لاهثة لأنهم لم يملكوا الطاقة للصراخ.

كان النظر إلى الأطفال هو الأصعب لأن أجسادهم كانت الأكثر تشوهًا. كانت بطونهم منتفخة جدًا لدرجة أنهم بدوا حوامل، بينما ذبل كل جزء آخر منهم لعرض القصب. اهتزت رؤوسهم على رقابهم النحيلة مثل ألعاب خشبية اعتادت رين رؤيتها في السوق. الأجزاء الوحيدة الأخرى منهم التي لم تنكمش كانت عيونهم. برزت عيونهم المتوسلة والحزينة من جماجمهم المنكمشة، وكأنه مع تآكل أطرافهم، اختُزلوا إلى تلك النظرات اليائسة.

تدريجيًا، وعبر مقابلة تلو الأخرى مع أولئك المدنيين المتضورين جوعًا الذين استطاعوا حشد الطاقة للتحدث، عرفت رين وكيتاي الصورة الكاملة لمدى سوء المجاعة في الجنوب.

لم تكن مجرد سنة عجاف. ببساطة لم يكن هناك أي طعام على الإطلاق. كان اللحم الطازج أول ما اختفى، ثم التوابل والأملاح. دامت الحبوب لعدة أشهر، ثم تحول القرويون الجوعى إلى أي نوع من المغذيات على الإطلاق — القش، ولحاء الشجر، والحشرات، والجيف، والجذور، والأعشاب البرية. لجأ البعض إلى غرف الزبد الأخضر من أسطح البرك للحصول على البروتين في الطحالب. والبعض كان يزرع العوالق في أحواض من بولهم الخاص.

الجزء الأسوأ هو أنها لم تستطع إلقاء اللوم في هذا على قسوة العدو. تلك الأجساد المشوهة لم تكن نتاج تعذيب. المجاعة لم تكن خطأ قوات الاتحاد — لقد أحرقوا ونهبوا في مسيرتهم جنوبًا، لكن ليس بالمقياس اللازم للتسبب في مجاعة بهذا السوء. هذا لم يكن بسبب الجمهوريين أو الهسبيريين. كان هذا مجرد النتيجة القذرة، القذرة جدًا للحرب الأهلية المستمرة، ولما حدث حين انقلبت البلاد بأكملها رأسًا على عقب في عمالة مفقودة وهجرة جماعية لأنه لم يكن هناك مكان آمن.

كان الجميع يحاولون فقط بذل قصارى جهدهم للبقاء على قيد الحياة، مما يعني أن أحدًا لم يزرع المحاصيل. بعد ستة أشهر، لم يكن لدى أحد ذرة ليأكلها.

ورين لم يكن لديها شيء لتعطيهم إياه.

استطاعت أن تدرك من نظراتهم الساخطة أنهم يعرفون أنها تحجب الموارد. أجبرت نفسها على النظر بعيدًا. لم يكن من الصعب تقوية نظرتها ضد البؤس؛ لم يتطلب الأمر أي صلابة عاطفية خاصة. كل ما تطلبه الأمر هو التعرض المتكرر واليائس.

لقد شهدت هذا النوع من اليأس من قبل. تذكرت الإبحار ببطء صعودًا في نهر "موروي" إلى "لوسان" على متن سفينة فايسرا الحربية، "سيغريم"، تراقب من الحواجز حشود اللاجئين النازحين يقفون على ضفاف موحلة حيث كانت قراهم الغارقة تقع ذات يوم، يشاهدون حاكم التنين — حاكم التنين الغني، والقوي، والمترف — يبحر دون أن يرمي لهم ولو قطعة فضة واحدة. كانت قد ذُهلت من قسوة فايسرا آنذاك.

ومع ذلك دافع نزهة عن الأمر. أخبرها: الفضة لن تساعدهم. لا يوجد شيء يمكنهم شراؤه بها. أفضل شيء يمكننا فعله لهؤلاء اللاجئين هو إبقاء أعيننا على "لوسان" وقتل المرأة التي دبرت الحرب التي وضعتهم هناك.

في ذلك الوقت بدا ذلك المنطق باردًا وبعيدًا جدًا، وسرياليًا جدًا مقارنة بالدليل الحقيقي للمعاناة أمام وجهها.

لكن الآن، بينما احتلت رين المنصب الذي شغله فايسرا ذات يوم، فهمت منطقه. المشاكل العميقة الجذور لا يمكن إصلاحها بحلول مؤقتة. لم تستطع السماح لكل طفل هيكلي بتشتيت انتباهها حين كان السبب النهائي لمعاناتهم واضحًا جدًا، ولا يزال يتربص هناك.

واست نفسها وقواتها بتذكيرهم بأن ذلك لن يستمر لفترة أطول. ستصلح هذا، قريبًا؛ ستصلح كل شيء قريبًا. ذكرت نفسها بذلك في كل مرة رأت فيها وجهًا أجوفًا وعظميًا آخر، وكانت تلك الطريقة الوحيدة التي استطاعت بها مواجهة الجنوبيين المحتضرين وعدم إفراغ كل شيء في عربات إمدادهم في الحال.

كان عليهم فقط الصمود لفترة أطول قليلًا.

أصبح هذا تعويذة، الشيء الوحيد القادر على تقوية عزيمتها. فترة أطول قليلًا فقط، وسأنهي هذه الحرب. سأخضع الغرب. وحينها سيمتلكون كل

أكياس الحبوب الذهبية والمجيدة التي يريدونها. سيكون لديهم الكثير ليأكلوه لدرجة أنهم سيختنقون.

***

نكز كيتاي كتفها:

– "رين."

تحركت:

– "همم؟"

كان الوقت منتصف النهار لكنها غفت، مهدهدة بالارتداد الإيقاعي للعربة. كانوا يسيرون لأربعة أسابيع، والآن في المرحلة الأخيرة، ومع الرتابة الكئيبة، والساعات الصامتة، والنظام الغذائي المقيد، كانت عيناها ترفان وتغلقان كلما لم تكن في نوبة حراسة.

أشار بإصبعه:

– "انظري. هناك بالخارج."

جلست، وفركت عينيها، وحدقت.

ظهرت صفوف وصفوف من القرمز في الأفق. ظنت أنها خدعة ضوء في البداية، لكن حين اقتربوا أصبح من الواضح أن اللمعان الأحمر البراق الذي غطى الحقول لم يكن انعكاسًا للشمس الغاربة بل لونًا غنيًا جاء من الزهور نفسها.

كانت زهور الخشخاش تتفتح في كل مكان حول تيكاني.

سقط فكها:

– "ما الـ..."

قال كيتاي:

– "تبًا. يا للهول."

قفزت من العربة وبدأت في الركض بأقصى سرعة.

وصلت للحقول في دقائق. وقفت الزهور أطول من أي زهور رأتها من قبل؛ وصلت لخصرها تقريبًا. أخذت زهرة في يدها، وأغمضت عينيها، واستنشقت بعمق.

غمرت حواسهما نشوة مسكرة.

لا يزال لديها هذا. لا شيء آخر يهم. خيانة فينكا، أعداؤها في أرلونغ، العنف الذي يذيب البلاد — لا شيء من ذلك يهم. يمكن لكل شيء آخر أن ينهار وما زال لديها هذا، لأن هذا ما يمكن لـ مواغ المتاجرة به. أخبرتها مواغ، قبل أشهر، أن هذا بالضبط هو نوع الذهب السائل الذي تحتاجه للحصول على الموارد الهسبيرية.

هذه الحقول تساوي عشرة أضعاف قيمة كل الكنوز في أرلونغ. هذه الحقول ستنقذ بلادها.

سقطت على ركبتيها، وضغطت كفها على جبهتها، وضحكت.

انضم كيتاي لجانبها:

— "لا أفهم. من..."

تمتمت:

— "لقد استمعوا. لقد عرفوا."

أمسكت بيده وقادته نحو الخطوط العريضة المسطحة والمتواضعة للقرية في الأفق.

كان حشد يتشكل قرب البوابات. رأوها قادمة؛ خرجوا للترحيب بها.

قالت لهم:

— "أنا هنا."

ثم، ولأنهم لا يمكن أن يسمعوها من هذه المسافة، أرسلت شعلة في الهواء: عنقاء ضخم ومتموج، أجنحته تنبسط ببطء ضد السماء الزرقاء اللامعة، لتثبت أنها عادت.

***

نجت تيكاني، رغم كل الصعاب. رغم المجاعة والقنابل الحارقة، بقي العديد من سكانها، ويرجع ذلك إلى حد كبير لأنه لم يكن هناك مكان آخر يذهبون إليه. على مر الأشهر أصبحت مركزًا لخلية نحل خاصة بها حيث جاء سكان من قرى أصغر ومدمرة بمنازلهم وأرزاقهم محملة على عربات للاستقرار في أحد الأكواخ المتداعية التي تشكل الآن الجزء الأكبر من البلدة. لم تضرب المجاعة تيكاني بقوة كما فعلت في أجزاء أخرى من الإمبراطورية — خلال احتلالهم، خزن الموغين كمية مذهلة من الأرز، والتي قننها ناجو تيكاني بحكمة على مر الأشهر.

علمت رين من القيادة القروية الفعلية أن قرار زراعة الأفيون اتخذ في أعقاب القصف الناري لـ نزهة. الحبوب لم تكن تنمو جيدًا في "إقليم الديك"، لكن زهور الأفيون نمت، والخشخاش بهذه الكميات، في بلد يحتاج فيه الجميع للراحة من الألم، كان يساوي وزنه ذهبًا.

عرفوا أنها ستعود. عرفوا أنها ستحتاج لورقة ضغط. تيكاني، المكان الأقل احتمالًا، حافظت على إيمانها، واستثمرت مستقبلها في نصر رين.

وقفت الآن تواجه القرويين المتجمعين في ساحة البلدة، الآلاف من الوجوه النحيلة التي سلمتها مفاتيح المرحلة النهائية من حربها، وأحبتهم كثيرًا لدرجة أنها كادت تبكي.

قالت:

— "هذه الحرب لنا لنكسبها."

جالت بنظرها فوق بحر الوجوه، تقيس رد فعلهم. شعر حلقها بالجفاف. سعلت، لكن كتلة ظلت باقية، تجثم بثقل على كلماتها المعدة.

— "فر المارشال الشاب، من بين كل الأماكن، إلى (الجزيرة الميتة). يعلم أنه ليس آمنًا في أي مكان على أرض (النيكان). فقد (الكونسورتيوم) إيمانهم

بالجمهورية، وهم على بعد بوصات من الانسحاب كليًا. كل ما نحتاجه هو القيام بحملتنا النهائية. نحتاج فقط... نحتاج فقط للصمود لفترة أطول قليلًا."

ابتلعت ريقها لا إراديًا، ثم سعلت. طفت كلماتها، خرقاء ومترددة، فوق الهواء الجاف.

كانت متوترة. لماذا كانت متوترة هكذا؟ لم يكن هذا شيئًا جديدًا؛ لقد حشدت الصفوف المتجمعة من قبل. صرخت بالشتائم ضد فايسرا والجمهورية بينما هلل الآلاف. لقد أثارت حشدًا لدرجة الهيجان ذات مرة لدرجة أنهم مزقوا رجلًا إربًا، والكلمات جاءت بسهولة بالغة حينها.

لكن الهواء في تيكاني شعر باختلاف، ليس مشحونًا بإثارة المعركة المبهجة، أو الكراهية، بل ميتًا بالإرهاق.

رمشت. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا. كانت في مسقط رأسها، تتحدث لجنود تبعوها للجحيم وعادوا وقرويين حولوا الحقول للقرمز لأجلها. لأجلها. ظنوها إلهية. عشقوها. لقد سوت الموغين بالأرض لأجلهم؛ وغزت أرلونغ لأجلهم.

لكن لماذا شعرت إذن وكأنها محتالة؟

سعلت مرة أخرى. حاولت ضخ بعض القوة في كلماتها.

— "هذه الحرب..."

صرخ شخص ما في الحشد مقاطعًا إياها:

— "ظننت أننا ربحنا الحرب."

توقفت، مذهولة.

لم يقاطعها أحد من قبل قط.

جالت عيناها في الساحة. لم تستطع العثور على مصدر الصوت. كان يمكن أن ينتمي لأي من هذه الوجوه؛ بدوا جميعًا غير متعاطفين بنفس القدر، وساخطين بنفس القدر.

بدوا وكأنهم يوافقونه الرأي.

شعرت بوجبة ساخنة من نفاد الصبر. ألم يفهموا التهديد؟ ألم يكونوا هنا حين أسقط نزهة مئة طن من المتفجرات على مدنيين عزل ومحتفلين؟

قالت:

– "لا توجد هدنة. لا يزال الهسبيريون يحاولون قتلي. يراقبون من السماء، ينتظرون رؤيتنا نفشل، يأملون في فرصة لإسقاطنا بضربة واحدة. ما يحدث تاليًا هو الاختبار العظيم لأمة (النيكان). إذا اغتنمنا هذه الفرصة، فإننا نغتنم مستقبلنا. الهسبيريون ضعفاء، وغير مستعدين، وهم يترنحون مما فعلناه في أرلونغ. أحتاجكم خلفي فقط لهذه المرحلة الأخيرة..."

صاح صوت آخر، مختلف:

– "تبًا للهسبيريين! أطعمينا أولًا!"

عرفت رين أن القائد الجيد لا يرد على الحشد. القائد فوق المشاغبين – الإجابة على الأسئلة المصرخ بها تمنحهم فقط شرعية لا يستحقونها.

بحثت عن الجملة التي توقفت عندها، تحاول استئناف قطار أفكارها.

– "هذا الأفيون سيغذي..."

لم تنهِ جملتها أبدًا. اندلع ضجيج من مؤخرة الحشد. في البداية ظنت أنها نوبة أخرى من الشغب، لكن بعد ذلك سمعت صليل الفولاذ، ثم جولة ثانية من الصراخ تصاعدت وانتشرت.

أمسك كيتاي بمعصمها ليسحبها للأسفل عن المنصة.

– "انخفضي."

قاومت للحظة فقط، مذهولة وهي تواجه الحشد، لكنهم لم يعودوا منتبهين لها. التفتوا جميعًا نحو مصدر الجلبة، التي تموجت للخارج مثل حبر أسقط في الماء، سحابة منبسطة من الفوضى سحبت كل شخص في الجوار.

جذبها بقوة أكبر.

– "عليكِ الخروج من هنا."

– "انتظر."

كانت كفها ساخنة، مستعدة لتوجه اللهب، رغم أنه لم تكن لديها أدنى فكرة عما تنوي فعله. على من تصوب؟ الحشد؟ شعبها؟

– "أستطيع..."

– "لا يوجد شيء يمكنكِ فعله."

دفعها بعيداً عن الشغب. كان الناس يصرخون الآن. نظرت رين فوق كتفها ورأت أسلحة تلمع في الهواء، وأجسادًا تسقط، وأعمدة رماح ومقابض سيوف تتحطم ضد لحم غير محمي.

– "ليس الآن."

***

طالبت رين:

– "ما خطبهم بحق الجحيم؟"

تراجعوا إلى مقر الجنرال، حيث ستكون آمنة وبعيدة عن الأنظار، وعن السمع بينما تنهي قواتها إعادة فرض النظام في الساحة. تلاشت صدمتها. الآن كانت غاضبة ببساطة، ساخطة لأن شعبها سيتصرف كغوغاء طائشين ومشاكسين هكذا.

قال كيتاي بهدوء:

– "إنهم منهكون. إنهم جائعون. ظنوا أن هذه الحرب انتهت، وأنكِ عدتِ للوطن لتجلبي لهم الغنائم. لم يظنوا أنكِ ستجرينهم إلى حرب أخرى."

تخلبت أصابع رين بإحباط:

– "لماذا يظن الجميع أن هذه الحرب انتهت؟ هل أنا الوحيدة التي تملك عينين؟"

هل هكذا تشعر الأمهات حين يصاب أطفالهن بنوبات غضب؟ الجحود المحض اللعين. لقد مشت عبر الجحيم وعادت لأجلهم، وكان لديهم الجرأة للوقوف هناك، للشكوى والمطالبة بأشياء لا يمكنها توفيرها.

انفجرت قائلة:

– "كان الهسبيريون محقين. إنهم خراف لعينون. كلهم."

لا عجب أن بيترا ظنت أن النيكانيين أقل شأنًا. رأت رين ذلك الآن. لا عجب أن (التريفيكتا) حكموا كما فعلوا، بدم غزير وحديد لا يرحم. كيف تحرض الجماهير، إلا بالخوف؟

كيف يمكن للنيكانيين أن يكونوا قصيري النظر هكذا؟ لم تكن بطونهم هي الأشياء الوحيدة على المحك. كانوا على حافة شيء أعظم بكثير من عشاء كامل لو فكروا فقط، لو احتشدوا لدفعة واحدة أخرى.

لكنهم لم يفهموا. كيف يمكنها جعلهم يفهمون؟

– "ليسوا خرافًا. إنهم أناس عاديون يا رين، وقد تعبوا من المعاناة. يريدون فقط أن ينتهي هذا."

– "وكذلك أنا! أنا أعرض عليهم تلك الفرصة! ماذا يريدون منا أن نفعل؟" طالبت. "نعلق سيوفنا، ونرمي دروعنا، وننتظرهم ليقتلونا في أسرتنا؟ أخبرني يا كيتاي، هل هم حقًا أغبياء لدرجة أنهم يظنون أن الهسبيريين سيستديرون ويتركوننا وشأننا ببساطة؟"

قال بلطف:

– "حاولي أن تفهمي. من الصعب إعطاء الأولوية للعدو الذي لا يمكنكِ رؤيته."

سخرت:

– "إذا كان هذا هو شعورهم، فهم لا يستحقون العيش."

لم يكن يجدر بها قول ذلك. عرفت بمجرد مغادرة الكلمات لفمها أنها مخطئة. لم تتحدث بغضب، بل من ذعر، من خوف جليدي يعصر الأحشاء.

كل شيء كان ينهار.

كان من المفترض أن تكون تيكاني معقل مقاومتها، القاعدة التي تشن منها هجومها النهائي على الغرب. رمزيًا، وجغرافيًا، كانت تيكاني وشعبها ملكًا لها. نشأت على هذا التراب. عادت وحررت مسقط رأسها. دافعت عنهم أولًا من الموغين، ثم من الجمهورية. الآن، حين كانت في أمس الحاجة لدعمهم، أرادوا القيام بأعمال شغب لعينة.

قالت لها داجي: إما أن يخافوكِ، أو يحبوكِ. لكن الشيء الوحيد الذي لا يمكنكِ تحمله هو ألا يحترموكِ. حينها لا تملكين شيئًا. حينها تكونين قد خسرتِ.

لا. لا. ضغطت بكفها على صدغها، تحاول إبطاء تنفسها. هذه مجرد نكسة؛ لم تخسر بعد. حاولت تذكير نفسها بالأصول التي لا تزال تملكها — لديها مواغ؛ لديها حقول الأفيون؛ لديها احتياطي ضخم من القوات من جميع أنحاء الإمبراطورية، حتى لو كانوا لا يزالون بحاجة لتدريب. لديها الموارد المالية للبلد بأكمله؛ تحتاج فقط لاستخراجها. ولديها إله، بحق الجحيم، أقوى إله متبقٍ في إمبراطورية "النيكان".

إذن لماذا شعرت وكأنها على شفا الهزيمة؟

قواتها تتضور جوعًا، وقاعدتها الداعمة تكرهها، وصفوفها موبوءة بجواسيس لا تستطيع رؤيتهم، ونزهة يسخر منها عند كل منعطف، يلوي سكينه حيث يؤلم أكثر. نظامها، ذلك الصرح الهش الذي بنوه في أرلونغ، كان يتفتت في كل زاوية ولم يكن لديها ما يكفي من القوة لتثبيته معًا.

— "جنرال؟"

استدارت بحدة:

— "ماذا؟"

بدا المساعد مرعوبًا. تحرك فمه عدة مرات، لكن لم يخرج صوت.

زمجرت رين:
– "انطقها."
رمشت عيناه الواسعتان. اهتز حلقه. حين تكلم أخيرًا، كان صوته نعيقًا خجولًا لدرجة أن رين جعلته يكرر نفسه مرتين قبل أن تسمعه أخيرًا.
– "إنها الحقول يا جنرال. إنها تحترق."
***

استغرق الأمر من رين عدة ثوانٍ طويلة لتدرك أنها ليست في حلم، وأن السحب الحمراء في المسافة، المتوهجة بساطع شديد ضد السماء الخالية من القمر بدت سريالية، لم تكن وهمًا.
حقول الأفيون كانت تشتعل.
نما الحريق وهي تشاهد، يتوسع للخارج بمعدل مرعب. في ثوانٍ يمكنه احتواء الحقول بأكملها. وكل ما استطاعت رين فعله هو الوقوف هناك، عيناها متسعتان، تكافح لاستيعاب ما تراه أمامها – تدمير ورقتها الرابحة الوحيدة.
بشكل خافت سمعت كيتاي يصدر الأوامر، يدعو للإخلاء من الأكواخ الأقرب للحقول. من زوايا عينيها رأت فورة حركة حولها بينما قفزت القوات للعمل، يشكلون خطوطًا من الآبار لتمرير دلاء الماء للحقول.
لم تستطع التحرك. شعرت بقدميها متجذرتين، محتجزتين في مكانهما. وحتى لو استطاعت – ماذا يمكنها أن تفعل بحق السماء؟ دلو آخر من الماء لن يساعد. كل الدلاء اللعينة في تيكاني لن تساعد. كان الحريق قد مزق عبر أكثر من نصف الحقول الآن؛ لم يفعل الماء أكثر من الأزيز متحولًا لبخار انطلق لينضم لسحب الدخان العظيمة التي كانت تتصاعد الآن فوق الأفق.
لم تستطع استدعاء إلهها لإيقاف هذا. (العنقاء) يمكنه فقط إشعال الحرائق. لا يمكنه إخمادها.

عرفت أن هذه الحقول لم تشتعل بالصدفة. لا، حرائق الغابات العرضية تنتشر للخارج من مصدر واحد، لكن هذا الحريق كان له عدة مصادر — ثلاثة نقاط اشتعال أولية على الأقل تقاربت نطاقاتها تدريجيًا مع انتشار النار أوسع وأوسع.

نزهة فعل هذا أيضًا.

كان هذا تخريبًا، والجناة رحلوا منذ زمن، اختفوا في الظلام.

قال صوت ألتان: أنتِ قدتِهم إلى هنا. أحضرتِهم في قافلتكِ لأنكِ لم تستطيعي اجتثاث الجواسيس، وأريتِهم بالضبط أين يحتاجون للضرب.

ضربت موجة اليأس بعمق مؤلم لدرجة أنها بدت مضحكة تقريبًا. لأنه بالطبع، بالطبع بحق الجحيم، في نهاية الخط، حين تضاءل كل شيء لأمل واحد، ستخسر ذلك أيضًا. لم تكن هذه مفاجأة، كان هذا مجرد تتويج لسلسلة من الإخفاقات التي بدأت لحظة احتلالها لـ أرلونغ، ثم تصاعدت حين لم تلاحظ؛ انقلاب مفاجئ وغير متوقع لكرة الحظ المتدحرجة التي كسبت بها الجنوب.

لم تستطع إيقاف هذا. لم تستطع إصلاح هذا.

كل ما استطاعت فعله هو المشاهدة. وجزء مريض ويائس منها أراد المشاهدة، وجد شماتة منحرفة في التحديق بينما تذبل الزهور وتتفتت لرماد، لأنها أرادت رؤية إلى أي مدى سيصل اليأس، ولأن الدمار شعر بشعور جيد — المحو الوحشي للحياة والأمل شعر بشعور جيد، حتى لو كان الأمل الصاعد في الدخان هو أملها.

قال كيتاي:

— "عليكِ التحدث إلى الجمهورية."

***

كانا وحيدين، هما الاثنان فقط داخل المكتب، كل مساعديهم وحراسهم أبعدوا عن السمع. كان الجميع يطالبون بإجابات؛ أرادوا أوامر وتطمينات، ورين لم يكن لديها شيء لتعطيهم إياه. الحقول المحروقة كانت الضربة القاضية. الآن لم يكن لدى رين خطة، ولا ملاذ، ولا شيء لتعرضه على رجالها. كان عليها هي وكيتاي حل هذا، ولا يمكنهما مغادرة الغرفة حتى يفعلا.

لكن لعدم تصديقها، كان الاقتراح الأول الذي قدمه هو الاستسلام.

الطريقة التي قالها بها جعلت الأمر يبدو كنتيجة محسومة. وكأنه عرف أن هذا صحيح، عرفه منذ أشهر، ولم يكلف نفسه عناء إخبارها إلا الآن.

قالت:

– "لا. أبدًا."

– "رين، بحقك..."

– "هذا ما يريدونه."

– "بالطبع هذا ما يريدونه! نزهة يعرض معونة غذائية. كان يعرض ذلك منذ البداية. علينا أخذها."

طالبت:

– "هل تعمل معهم؟"

تراجع:

– "لا... ماذا..."

– "كنت أعرف. كنت أعرف بحق الجحيم." فسر ذلك كل شيء – لماذا أغرقها بمهام تافهة ومرهقة في أرلونغ، لماذا استمر في الانتقاص من الجبهة العسكرية، لماذا استمر في تجاهل التهديد الواضح لرسائل نزهة المستمرة عمدًا. "أولًا فينكا، والآن أنت؟ هل هذا ما يحدث؟"

– "رين، هذا..."

– "لا تصفني بالجنون."

صرخ:

— "أنتِ تتصرفين بجنون. تتصرفين كمهووسة. اخرسي للحظة وواجهي الحقائق اللعينة." فتحت فمها لترد لكنه صرخ فوق صوتها، وكفه مفرودة أمام وجهها وكأنها طفلة سيئة السلوك. "نحن نتعامل مع مجاعة — ليس شيئًا دوريًا، ليس شيئًا يمكننا تجاوزه، بل أسوأ مجاعة في التاريخ الحديث. لا توجد حبوب متبقية في البلد اللعين بأكمله لأن داجي سممت نصف الجنوب، والقلب بأكمله كان مشغولًا جدًا بالفرار للنجاة بحياتهم لدرجة تمنعهم من حرث الحقول، وأنهارنا فاضت، وحظينا بشتاء بارد وجاف بشكل غير طبيعي قصر موسم نمو المحاصيل، مما جعل الأمور صعبة بشكل مضاعف لأي شخص حاول الزراعة حتى."

أصبح تنفسه مرتعشًا وهو يتحدث؛ تدفقت كلماته بمعدل محموم لدرجة أنها بالكاد استطاعت فهمه.

— "لا مشاريع ري أو سيطرة على الفيضانات. لم يقم أحد بصيانة أو الإشراف على الصوامع، لذا إن وُجد أي منها، فقد نُهبت حتى فرغت الآن. ليس لدينا ورقة ضغط، لا خيارات احتياطية، لا مال، لا شيء..."

قالت:

— "إذن نقاتل لأجل ذلك. نهزمهم، ثم نأخذ ما نريد..."

— "هذا جنون."

— "جنون؟ الجنون هو منحهم ما يريدون. لا يمكننا التوقف هنا، لا يمكننا فقط ترك كل شيء يذهب، لا يمكننا تركهم يفوزون..."

صرخ:

— "اخرسي! هل تسمعين نفسكِ حتى؟"

— "هل تسمع نفسك؟ أنت تريد الاستسلام!"

قال:

— "ليس ما أريده. إنه الخيار الوحيد الذي لدينا. الناس يتضورون جوعًا. شعبنا. تلك الجثث على جانب الطريق؟ قريبًا جدًا ستكون البلد بأكمله، ما لم تتعلمي ابتلاع كبريائك."

كادت تصرخ.

لم يكن من المفترض أن تسير الأمور هكذا.

لقد فازت. لقد فازت بحق الجحيم، سوت مدينة نزهة بالأرض، أبادت أعداءها، غزت الجنوب النيكاني، فازت، فلماذا، لماذا يتحدثون وكأنهم هُزموا بالفعل؟

فجأة تبدد غضبها. لم تستطع الغضب من كيتاي؛ الصراخ عليه لن يغير الحقائق.

قالت بتبلد:

— "لا يمكنهم فعل هذا بي. كان من المفترض بي أن أفوز."

قال بحزن:

— "لقد فزتِ. هذا البلد بأكمله ملككِ. فقط أرجوكِ لا ترميه بعيدًا بكبريائك."

قالت، والكلمات تبدو شاكية وهي تقولها، خيال طفولي، لكن ذلك ما شعرت به، ذلك ما اعتقدته حقًا — وإلا، فما الغاية من كل هذا بحق الجحيم؟

— "لكننا كنا سنعيد بناء هذا العالم. كنا سنكون أحرارًا. كنا سنجعلهم أحرارًا..."

أصر:

— "ولا يزال بإمكانكِ فعل ذلك. انظري إلى ما فعلناه. أين نحن. لقد بنينا أمة كاملة يا رين. لا يجب أَن ندعها تنهار."

— "لكنهم سيأتون خلفنا..."

— "أعدكِ أنهم لن يفعلوا." أخذ وجهها بين يديه. "انظري إلي. نزهة مهزوم. لم يبقَ فيه قتال. ما يريده هو ما نريده جميعًا، وهو التوقف عن قتل شعبنا."

"نحن على وشك الحصول على العالم الذي قاتلنا لأجله. ألا ترينه؟ إنه قريب جداً، إنه خلف الأفق مباشرة. سيكون لدينا جنوب مستقل، سيكون لدينا عالم خالٍ من الحرب، وكل ما عليكِ فعله هو قول الكلمة."

لكن لم يكن ذلك العالم الذي قاتلت لأجله، فكرت رين. العالم الذي قاتلت لأجله كان عالمًا تكون فيه هي، وهي فقط، المسؤولة.

قالت ببؤس:

– "أخبرناهم أنهم أحرار. فزنا. فزنا. وأنت تريدنا العودة للأجانب والانحناء."

– "التعاون ليس انحناءً."

سخرت:

– "إنه قريب بما يكفي."

قال:

– "إنها مسيرة طويلة للتحرير. وليست بسهولة حرق أعدائنا. ربحنا حربنا يا رين. كنا نهر الدم الصالح. لكن النقاء الأيديولوجي صرخة معركة، ليس الأساس المستقر لبلد موحد. عليكِ التصرف من أجلهم. أحيانًا عليكِ ثني الركبة يا رين. أحيانًا، على الأقل، عليكِ التظاهر."

لا، هنا كان مخطئًا. رين لا يمكنها الانحناء. (تيرزا) انحنت. هانيلاي انحنت. وانظر إلى ما أوصلهما ذلك: موت سريع ووحشي ومحو كامل من تاريخ كان يجب أن يكون لهما لتكتباه. خطؤهما كان أنهما ضعيفتان، وثقتا بالرجال الذين أحبباهم، ولم تملكا الجرأة لفعل ما هو ضروري.

كان يجب أن تقتل (تيرزا) الإمبراطور الأحمر. كان يجب أن تقتل هانيلاي جيانغ حين سنحت لها الفرصة. لكنهما لم تستطيعا إيذاء الناس الذين أحبباهم.

لكن رين تستطيع قتل أي شيء.

يمكنها فك قيود هذا البلد. يمكنها النجاح حيث فشل الجميع، لأنها وحدها كانت مستعدة لدفع الثمن.

ظنت أن كيتاي يفهم التضحية الضرورية أيضًا. ظنت أنه، إن كان هناك أحد، يعرف ما يتطلبه النصر.

لكن إن كانت مخطئة — إن كان أضعف من أن يرى هذه الثورة حتى النهاية — فعليها أن تفعل ذلك وحدها.

— "رين؟"

رمشت فيه:

— "ماذا؟"

— "قولي لي أنكِ ترين الأمر أيضًا." ضغط على كتفيها. "أرجوكِ يا رين. قولي لي أنكِ تفهمين."

بدا يائسًا جدًا.

نظرت في عينيه، ولم تستطع التعرف على الشخص الذي رأته هناك.

لم يكن هذا كيتاي. كان هذا شخصًا ضعيفًا، وساذجًا، وفاسدًا.

لقد فقدته. متى أصبح عدوها؟ لم ترَ ذلك يحدث، ومع ذلك أصبح الأمر واضحًا الآن. ربما انقلب ضدها في أراباك. ربما كان يخطط لخيانته النهائية منذ غادروا أرلونغ. ربما كان يعمل ضدها طوال هذا الوقت، يعيقها، يمنعها من الاحتراق بالسطوع الذي تستطيعه. ربما كان في صف نزهة طوال الوقت.

الشيء الوحيد الذي عرفته بيقين هو أن كيتاي لم يعد لها.

وإذا لم تستطع استعادته، فعليها فعل الباقي بنفسها.

حثها:

— "أرجوكِ يا رين. أرجوكِ."

ترددت، تزن كلماتها بعناية قبل أن تجيب.

كان عليها أن تكون ذكية بخصوص هذا. لا يمكنها السماح له بمعرفة أنها كشفته.

ما هي الكذبة المعقولة؟ لا يمكنها الموافقة ببساطة. سيعرف أنها تتظاهر؛ لم تتنازل عن نقطة بهذه السهولة من قبل.

كان عليها التظاهر بالضعف. كان عليها جعله يصدق أن هذا كان خيارًا صعبًا عليها — أنها انكسرت، تمامًا كما أرادها أن تفعل.

— "أنا فقط..." تركت صوتها يرتجف. وسعت عينيها، حتى يظن كيتاي أنها مرعوبة بدلًا من متقلبة. سيصدق كيتاي ذلك. لطالما أراد كيتاي رؤية الأفضل في الناس، تباً له، وذلك يعني أنه سيقع في أي فخ لعين. "أنا خائفة من أنني لا أستطيع العودة من هذا."

سحبها قريبة منه. تمكنت من عدم الجفول ضد عناقه.

— "يمكنكِ العودة. سأعيدكِ. نحن في هذا معًا، نحن مترابطان..."

بدأت في البكاء. ذلك، لم تضطر لتزييفه.

همست:

— "حسنًا. حسنًا."

— "شكرًا لكِ."

ضغط عليها بقوة. ردت عناقه، ضاغطة رأسها على صدره بينما كان عقلها يسابق، تتساءل إلى أين تذهب من هنا.

إذا لم تستطع الاعتماد على شعبها ولم تستطع الاعتماد على كيتاي، فعليها إنهاء الأمور بنفسها. لديها الحليف الوحيد الذي تحتاجه — إله يمكنه دفن بلدان. وإذا حاول كيتاي حرمانها من ذلك، فعليها كسره وحسب.

عرفت أنها تستطيع فعل ذلك. لطالما عرفت أنها تستطيع، منذ اليوم الذي ركعا فيه أمام (سورقان سيرا) ودمجا روحيهما معًا. كان بإمكانها محوه حينها. كادت تفعل؛ كانت بتلك القوة. كبحت نفسها لأنها أحبته.

ولا تزال تحبه. لن تتوقف أبدًا. لكن ذلك لا يهم.

فكرت وهو يبكي بارتياح في كتفها: لقد تخليت عني. ظننت أنك تستطيع خداعي، لكنني أعرف روحك. وإذا لم تكن معي، ستحترق أنت أيضًا.

الفصل الرابع والثلاثون

سيقابلهم نزهة وحيداً بعد ثلاثة أسابيع في سبير. لا حراس، لا مندوبين، لا قوات كامنة، ولا هسبيريين. سيمثل رين وكيتاي إمبراطورية نيكان، وسيتحدث نزهة باسم الجمهورية و"الكونسورتيوم" معًا. إذا لمحت رين حتى خيال أي شخص آخر على الجزيرة، فإن وقف إطلاق النار لاغٍ.

كانت تلك الشروط التي طلبتها في الرد الأول والوحيد على رسائل نزهة. وذُهلت عندما وافق هو والكونسورتيوم دون سؤال.

لكن الهسبيريين لم يستطيعوا فهم القوة التي تكمن في رمال "الجزيرة الميتة". ظنوا أن خرافات النيكارا نتاج عقول ضعيفة وغير متحضرة، وأن سيطرتها على النار لم تكن أكثر من تفجر للفوضى. لم يستطيعوا معرفة أن سبير كانت متشبعة بالتاريخ والدم، بقوة آلاف الموتى المنتقمين الذين يسكنون كل ركن فيها.

هناك أماكن في العالم تكون فيها الحدود بين الآلهة والبشر رقيقة، أخبرها تشاغان ذات مرة. حيث يتشوش الواقع، حيث تكاد الآلهة تتجسد.

اتخذ السبيريون موطنهم في مكان كهذا، على حافة الفناء والجنون تمامًا، وعاقبتهم العنقاء وباركتهم بالتناوب.

إرث الجزيرة الميتة يجري في دماء رين. والآن يدعوها الوطن لإنهاء ما بدأته، لترى انتقامها حتى النهاية. عندما تعود لتلك الجزيرة، ستكون في نطاق العنقاء المقدس، خطوة واحدة أقرب للألوهية.

لقد دمرت أمة من تلك الجزيرة مرة من قبل. ولن تتردد في فعل ذلك مجددًا.

***

عبروا المضيق في قارب صيد صغير. جلست رين وركبتاها مضمومتان إلى صدرها، ترتجف ضد نسيم المحيط بينما انشغل كيتاي بالأشرعة. لم يتحدث أي منهما. لم يكن هناك المزيد ليقال. انسكب كل شيء في الليلة التي احترقت فيها حقول تيكاني، والآن ما يكمن بينهما كان استسلامًا هادئًا ومنهكًا. لا جدوى من المواساة أو الطمأنة. عرفت رين ما سيحدث تالياً وظن كيتاي أنه يعرف؛ الآن لم يكن هناك سوى الانتظار.

عندما برزت الجزيرة الميتة في الأفق، كومة رمادية ,وشاحبة بدت في البداية غير قابلة للتمييز عن الضباب، مد كيتاي يده وفرك إبهامه على معصمها.

تمتم:

– "سيكون كل شيء على ما يرام. سنصلح هذا."

منحته ابتسامة مشدودة، واستدارت لتواجه الجزيرة، ولم تقل شيًّا.

كان نزهة ينتظر على الشاطئ عندما اقترب مركبهم من المياه الضحلة. لم يبدُ مسلحًا، لكن ذلك لم يهم. لم يكن أي منهم بعيدًا عن جيشه. كان لدى رين قوات تنتظر في سفن قبالة ساحل إقليم الأفعى، ومناظيرها موجهة نحو الأفق لأول إشارة من شعلتها. ولم يسعها إلا افتراض أن تعزيزات نزهة كانت تفعل المثل.

لا، بل كانت تعول على ذلك.

سألته وهي تطأ الرمال:

– "خائف؟"

منحها ابتسامة جوفاء.

– "أنتِ تعلمين أنني لا أستطيع الموت."

قال كيتاي وهو يسقط مرساة من جانب القارب، ثم يتبع رين إلى الشاطئ:
— "نحن نحاول عقد سلام هنا. دعونا لا نبدأ بتهديدات القتل، هلا فعلنا؟"

— "منطقي." أشار نزهة لأعلى الشاطئ، حيث رأت رين أنه أعد ثلاثة كراسي وطاولة شاي مربعة مغطاة بالحبر، والفرش، والرق الفارغ. "تفضلوا."

عبروا طول الشاطئ في صمت.

لم تستطع رين إلا اختلاس نظرات سريعة نحو نزهة وهي تمشي بجانبه.

بدا محطمًا. لا يزال يتصرف كجنرال. كتفاه لم تتدليا أبدًا؛ وصوته لم يهتز قط. ومع ذلك بدا كل جزء منه متضائلًا، ممطوطًا حتى الرفع ومنحوتًا للأسفل. فمه المشوه، الذي التوى ذات مرة على جانب واحد في ابتسامة ساخرة، بدا الآن محبوسًا في تكشيرة مؤلمة.

توقعت منه أن يسخر منها، أن يشمت باستسلامهم، لكنه لم يبدُ مطلقًا وكأنه يستمتع بهذا. بدا منهكًا. بدا كشخص ينتظر الموت.

سحبوا كراسيهم وجلسوا. كادت رين تضحك عندما كان أول شيء فعله نزهة هو سكب كوب شاي كامل ومتصاعد البخار لكل منهم بأدب ودقة. أضفى ذلك جوًا من المراسم، من الحياة الطبيعية، على مفاوضات جعلها ممكنة محيط من الدماء.

لم تلمس هي ولا كيتاي أكوابهما. أفرغ نزهة كوبه في جرعة واحدة.

— "حسنًا، إذًا." مد يده لفرشاة حبر وأمسكها بخفة فوق الرق. "من أين نبدأ؟"

قالت رين:

— "أخبرنا بشروطهم النهائية."

تلعثم نزهة للحظة. توقع رقصة أطول.

— "تعنين..."

— "اطرحها كلها." قالت. "أدرج كل شيء سيتطلبه الأمر لإبعاد الهسبيريين عن ظهورنا. لسنا هنا لتبادل الكلمات. فقط أخبرنا كم سيكلف الأمر."

— "كما تشائين.".

لم تكن لديه أوراق ليرجع إليها؛ كان يعرف عن ظهر قلب ما يريده الهسبيريون.

— "الكونسورتيوم مستعد لسحب قواته، والالتزام بهدنة موقعة، وتوفير شحنات كافية من الحبوب واللحوم المجففة والنشويات لتدبير أمور البلاد بأكملها حتى الحصاد القادم."

تنفس كيتاي:

— "أيتها السلحفاة العظيمة. شكرًا..."

تحدثت رين فوق صوته:

— "وفي المقابل؟"

قال نزهة:

— "أولًا، عفو كامل عن جميع الجنود والقيادات المتورطة مع الجمهورية. هذا يفيدكِ أيضًا. تحتاجين لأشخاص لإبقاء البلاد تعمل. دعيهم يعودوا لمنازلهم بسلامة مضمونة، وسيعملون لأجلكِ. سأكفل ذلك. ثانيًا، يريد الكونسورتيوم موانئ معاهدة محددة —واحد على الأقل في كل مقاطعة تطل على المحيط. ثالثًا، يودون استعادة امتيازاتهم التبشيرية. (الطائفة الرمادية) تُجري التبشير بحصانة، وأي شخص يضع إصبعًا عليهم يُسلم لهسبيريا للعقاب."

أصرت:

— "وماذا عني؟"

مد ذراعيه. لمعت أطواق ذهبية ساطعة حول جلد شاحب فُرك حتى الألم. عن قرب، كان واضحًا أنها مصممة تمامًا لتناسب عرض معصميه. لم تعرف كيف خلعها أبدًا، أو حتى ما إذا كان يستطيع.

– "سترتدين هذه. لن تستدعي العنقاء مرة أخرى أبدًا. لن تنقلي معرفتك بكيفية عمل الشامانية بأي شكل لأي شخص حي أبدًا، وستتعاونين في مطاردة كل شخص في نيكان يشتبه حتى في معرفته بالبانثيون. يمكنكِ السير حرة في الجنوب –حتى حكمه، إن أردتِ– طالما جعلتِ نفسكِ متاحة."

سأل كيتاي:

– "متاحة بأي طرق؟"

ابتلع نزهة ريقه.

– "بنفس الطرق التي كنتُ عليها."

هبط صمت ثقيل على الطاولة. لم يلتقِ نزهة بأعينهم. لكن نظره لم يسقط أيضًا –حدق للأمام مباشرة، وكتفاه لا تزالان مربعتين، ملاقيًا شفقتهم بتحدٍ صامت بينما حدقوا في أطواقه.

سألت رين أخيرًا:

– "لماذا؟" لم تستطع منع صوتها من الانكسار. منظر الأطواق كان فجأة أكثر مما يمكن تحمله. أرادت تمزيقها عن معصميه، تغطيتها بكميه –أي شيء لجعلها تختفي. "نزهة، لماذا بحق الجحيم..."

قال بهدوء:

– "لأنهم امتلكوا كل القوة. ولأنهم لا يزالون يملكونها."

هزت رأسها، مذهولة.

– "أليس لديك كبرياء؟"

– "الأمر لا يتعلق بالكبرياء." سحب ذراعيه. "الأمر يتعلق بالتضحية. اخترت الهسبيريين لأنني أدرك أنهم ليسوا متقدمين علينا بعقود بل بقرون في كل ما يهم، وإذا قرروا العمل معنا، يمكننا استخدام معرفتهم لجعل الحياة أفضل لملايين الناس. رغم التكلفة."

قالت ببرود:

— "التكاليف هي حيث نختلف."

— "أنتِ رأيتِ جانبًا واحدًا منهم فقط يا رين. رأيتهم في أسوأ حالاتهم، لكنكِ تمثلين أيضًا كل ما لا يطيقونه. ولكن ماذا لو لم تكوني كذلك؟ أعرف أنهم متعالون، أعرف أنهم لا يظنون أننا بشر، أعرف..." نبض حلقه. سعل. "أعرف عمق قسوتهم. لكنهم كانوا مستعدين للتعاون معي. إنهم يقتربون جدًا من احترامي. وإذا حصلت على ذلك فقط..."

سأل كيتاي فجأة:

— "ما الذي سيتطلبه الأمر؟ ليحترموك؟"

لم يتردد نزهة.

— "موتاكما."

لم يكن هناك خبث في صوته. لم يكن ذلك تهديدًا، بل مجرد بيان بسيط لحقيقة. لم يتمكن نزهة من تسليم جثة رين، رغم امتلاكه فرصًا وافرة لقتلها، ومن أجل ذلك تخلى عن أمة.

أعطى كيتاي إيماءة طفيفة، وكأنه توقع تلك الإجابة تمامًا.

— "وما الذي سيتطلبه الأمر ليحترمونا؟"

قال نزهة بنبرة خالية من المشاعر:

— "لن يحترموكم أبدًا. لن يروكم أبدًا أكثر من كائنات دون البشر. سيعملون بحذر معكم لأنهم يخافونكم، لكن سيتعين عليكم البقاء متيقظين دائمًا. سيتعين عليكم التذلل دائمًا للحصول على ما تريدون. جمهورية والدي كانت النظام الوحيد الذي كانوا ليدعموه طوعًا أبدًا، وحتى حينها لم يكونوا ليثقوا بي حقًا أبدًا ما لم أسلمهم رأسيكما."

نخرت رين.

— "إذًا هذا هو الطريق المسدود."

— "بحقكِ. تعلمين أن هذا ليس ما جئت لأجله." ضغط بأصابعه على صدغيه. "لقد فزتِ يا رين. بنزاهة وعدالة. أنا لا أسعى للعرش. أحاول فقط جعل هذا أقل إيلامًا لكل المعنيين."

— "تبدو واثقًا جدًا من أنني سأكون حاكمة فظيعة."

— "هذه ليست إهانة. أظن فقط أنه ليس لديك اهتمام بالحكم على الإطلاق. لا تهتمين بإدارة الدولة. أنتِ لستِ إدارية، أنتِ جندية."

صححت:

— "أنا جنرال."

— "أنتِ جنرال مسحت بشكل قاطع كل شخص آخر عن الخريطة. لقد فزتِ، حسنًا؟ هزمتني. لكن دورك —ذلك الدور، على الأقل— انتهى. لم تعد لديكِ حروب لتخوضيها."

— "أنت تعلم أن هذا ليس صحيحًا."

أصر:

— "يمكن أن يكون صحيحًا. هذا ليس ما تريده هسبيريا. هذه الحرب تستمر إذا جلبتها إليهم. لكن إذا عملتِ معهم، إذا تركتهم يعتقدون أنكِ لستِ تهديدًا، فلن يعاملوكِ كعدو. إذا قدمتِ تنازلات، إذا بقيتِ في حظوتهم..."

انفجرت فيه:

— "هذا هراء. سمعت ذلك المنطق من قبل. سو داجي بدأت حرب الخشخاش الثالثة لأنها ظنت أن خسارة نصف البلاد أفضل من خسارتها كلها. وماذا حدث حينها يا نزهة؟ كيف حصلت على تلك الندبة على وجهك؟ كيف وصلنا إلى جولين نيس؟"

قال نزهة بهدوء:

— "ما تفعلينه سيكون أسوأ من ألف جولين نيس."

— "ليس إذا فزنا."

رمقها بنظرة حذرة.

— "هذه مفاوضات سلام."

قالت بنعومة:

— "إنها ليست كذلك. أنت تعلم أنها ليست كذلك."

ضاقت عيناه.

— "رين..."

دفعت كرسيها للخلف ووقفت. كفى من هذه الادعاءات. لم تأتِ لتوقيع معاهدة سلام، وهو كذلك.

سألت:

— "أين الأسطول؟"

توتر.

— "لا أعرف ما تعنين."

— "نادهم للخروج." تركت النيران تتدحرج على كتفيها. "هذا ما جئت لأجله. ليس هذه المسرحية."

وقف كيتاي.

— "رين، ماذا تفعلين؟"

تجاهلته.

— "نادهم للخروج يا نزهة. أعرف أنهم يختبئون. لن أسأل مرة أخرى."

ارتخى تعبير نزهة. تبادل نظرة مذهولة مع كيتاي، والتعالي المحض في تلك الإيماءة جعل نيرانها تقفز بضعف الارتفاع.

— "حسنًا. سأفعلها بنفسي."

ثم استدارت نحو المحيط وأطلقت شعلة ساطعة في السماء.

***

ظهر أسطول من المناطيد فورًا فوق الأفق.

كنت محقة. شعرت بموجة ساخنة من الرضا. لم يكن الهسبيريون جريئين بما يكفي لإخفاء سفنهم الجوية في سبير—ذكاء منهم، لأنها كانت ستبيدهم وإلا— لكنهم أبقوها منتظرة على طول ساحل إقليم الأفعى.

هذا ما آل إليه وقف إطلاق النار الخاص بنزهة. أكد هذا كل ما اشتبهت به. لم يكن الهسبيريون مهتمين بالسلام، ولا هي كذلك. كلاهما أراد فقط إنهاء هذا. جاؤوا لنصب كمين، وهي كشفت خدعتهم لتوها.

وقف نزهة.

— "رين، إنهم ليسوا..."

زمجرت:

— "كاذب. إنهم هناك تمامًا."

— "إنهم دعم. في حال..."

— "في حال ماذا؟" طلبت. "في حال لم تستطع إنجاز المهمة؟ أردت إنهاء هذا، لذا فلننهه. لنجب على هذا السؤال مرة واحدة وإلى الأبد. لنضع إلههم ضد إلهي. لنرَ أيهم الحقيقي."

ارتفعت منارتها أعلى، عمود ساطع بحرارة لدرجة أنه ألقى لونًا برتقاليًا على الشاطئ بأكمله. اندفع الأسطول للأمام. كانوا في منتصف الطريق عبر القناة بالفعل؛ سيكونون فوق سبير في ثوانٍ.

راقبت رين الأفق وانتظرت.

حددت هي وكيتاي نصف قطرها الأقصى منذ وقت طويل. منذ تم ربطهما، كان دائمًا خمسين ياردة في أي اتجاه. لم تستطع أبدًا الدفع أبعد دون أن ينهار كيتاي، دون فقدان الوصول للعنقاء.

لكنها الآن في سبير. كل شيء يتغير في سبير.

عندما اقترب أول منطاد بما يكفي لتر مدافعه، مسحته من السماء. لم تطلق المدافع أبدًا؛ هوى مباشرة في المحيط كصخرة.

تقدم بقية الأسطول، غير هياب.

استمروا في القدوم، فكرت، مبتهجة. سأسحقكم جميعًا.

كانت هذه هي اللحظة. هذه اللحظة التي تعيد فيها كتابة التاريخ. سيحشد الأسطول الهسبيري السماء كغيوم العاصفة، وستدمره في دقائق. سيكون هذا أكثر من نصر ساحق. سيكون استعراضًا للقوة —استعراضًا لا يمكن إنكاره، ولا دحضه للسلطة الإلهية.

حينها سيهرب الهسبيريون الذين سمحت لهم بالنجاة، هذه المرة للأبد. لن يعودوا أبدًا لنصف الكرة الشرقي. لن يجرؤوا أبدًا على تهديد شعبها. وعندما تطلب الذهب والحبوب، لن يجرؤوا على قول لا.

كان هذا ما كانت سبير قادرة عليه دائمًا، ما كانت الملكة مايرينن تيرزا خائفة جدًا من فعله. آخر ملكة سبيرية تركت موطنها يصبح جزيرة عبيد لأنها ظنت أن إطلاق العنان للعنقاء قد يحرق العالم. كان بإمكانها امتلاك كل شيء، لكنها لم تملك الإرادة.

لن ترتكب رين الخطأ نفسه.

— "لم أرد هذا." بشكل خافت، فوق زئير النيران، سمعت كيتاي يتوسل لنزهة. "هذا ليس ما..."

قال نزهة:

— "أوقفها."

— "لا أستطيع."

وقف نزهة، دافعًا كرسيه للأرض. ابتسمت رين. عندما اندفع، كانت مستعدة. رأت الانتفاخ تحت قميصه حيث أخفى سكينًا. عرفت أنه عندما يمتلك المبادرة، يفضل ضربة باليد اليمنى للجذع العلوي. التوت للجانب. قابل نصله الهواء الفارغ. عندما حاول إسقاطها، عكست زخمه وتدحرجت معه للأرض.

كان إخضاعه سهلًا للغاية.

كان ينبغي أن يكون صراعًا. امتلك نزهة كل المزايا في القتال اليدوي — كان أطول وأثقل فحسب، أطرافه أطول، وفي كل مرة تشاجرا فيها، ما لم تستخدم حيلة، كان ينجح دائمًا في تثبيتها بالقوة الغاشمة المحضة.

لكن شيئًا ما كان خطأ.

تلك المهارة الهائلة لم تكن موجودة. القوة، السرعة —كلاهما اختفى. ضرباته كانت متصلبة وبطيئة. لم تستطع رؤية دليل على أي جروح، ومع ذلك جفل مع كل حركة، وكأن سكاكين غير مرئية كانت تغرس في لحمه.

ولم يكن يستدعي التنين.

لماذا لم يستدعِ التنين؟

لو تطلب نزهة المزيد من تركيزها للاحظت الطريقة التي رنت بها أطواقه الذهبية بشكل غريب في كل مرة تحرك فيها، مسودة الجلد حول معصميه وكاحليه. لكن عقلها لم يكن على نزهة. كان مجرد عقبة، شيء كبير ومربع احتاجت لإبعاده عن الطريق. في تلك اللحظة، كان نزهة فكرة لاحقة.

كان عقلها في السماء؛ تركيزها على الأسطول.

هل هذا ما شعر به جيانغ دائمًا في ساحة المعركة، عندما أسقط طوابير بأقل من مجرد فكرة؟ الاختلاف في الحجم كان لا يمكن تصوره. لم يكن هذا قتالًا. لم يكن هناك صراع في هذا، لا جهد. كانت ببساطة تكتب الواقع. كانت ترسم. أشارت، واحترقت البالونات. كورت قبضتها، وانفجرت العربات.

ترنحت رؤيتها، شحذت، وتوسعت. عندما أغرقت "الاتحاد" كانت تحت الأرض، وحيدة داخل معبد حجري، ومع ذلك عندما أيقظت البركان الخامد شعرت وكأنها تطفو فوق الأرخبيل مباشرة، مدركة بحدة للمليون روح النائمة تحتها، تشتعل كرؤوس أعواد الثقاب، لتنطفئ فجأة، وبشكل لا رجعة فيه.

الآن، مرة أخرى، رأت العالم المادي —شيء واهٍ كهذا، هش ومؤقت جدًا— بعيون إله. رأت المناطيد بتفاصيل قريبة جدًا لدرجة أنها كان يمكن أن تكون

واقفة تحتها. رأت الملمس الأملس لبالونات المناطيد. تمدد الزمن وهي تشاهد النار تشتعل حولها، تمزق عبر أي غاز ملأ داخلها وكان لذيذًا جدًا للهب...

— "رين، توقفي!" رأت فم نزهة يتحرك قبل ثوانٍ من إدراكها أنه يصرخ. لم يكن يقاتل حقًا بعد الآن —بالتأكيد لا يمكن أن يكون يحاول، لأن ضرباته بالكاد أصابت، ودفاعاته كانت بطيئة.

نترت ركبتها في جانبه، وأطبقت يدها اليسرى على كتفه، ودفعته بقوة للأرض.

اصطدم رأسه بزاوية الطاولة. انهار جانبيًا، وفمه فاغر. لم ينهض.

التفتت عائدة للأسطول.

تلاشى الشاطئ عن بصرها. رأت ما رأته النار —ليس أجسادًا أو سفنًا بل مجرد أشكال، كلها متساوية، كلها مجرد حطب لمحارق عبادتها. وعرفت أن العنقاء مسرورة لأن ضحكها الصارخ علا وعلا، وحضورها اشتد حتى شعر عقلاهما وكأنهما واحد، بينما، من أحد طرفي الأفق للآخر، دمرت الأسطول بشكل منهجي...

حتى صمت.

أرسلتها الصدمة تترنح.

بدت السماء زرقاء وساطعة جدًا؛ المناطيد بعيدة جدًا. كانت مجرد فتاة مرة أخرى، بلا نار. اختفت العنقاء، وعندما مدت يدها لتجدها قابلت جدارًا أخرس وغير مبالٍ فقط.

دارت نحو كيتاي.

— "ماذا فعلت..."

كان بالكاد يتدبر الوقوف، ممسكًا بالطاولة للدعم. تحول وجهه للون رمادي مميت. قطر العرق من صدغيه، وانثنت ركبتاه بقوة لدرجة أنها كانت واثقة أنه على وشك الانهيار.

همس:

– "لا يمكنكِ."
– "كيتاي..."
– "ليس بدون مساعدتي. ليس بدون إذني. كان ذلك اتفاقنا."
حدقت فيه، مذهولة. لقد قطعها. الخائن، لقد قطعها بحق الجحيم.
كيتاي كان بابها الخلفي، جسرها، قناتها الوحيدة للعنقاء. منذ اللحظة التي ارتبطا فيها أبقاه دائمًا مفتوحًا، سمح لها باستغلال عقله لتوجيه أكبر قدر من النار رغبت فيه. لم يغلقه أبدًا. كادت تنسى أنه يستطيع.
قال:
– "لم أظن أنني أستطيع، أيضًا. ظننت أنني لا أستطيع رفض أي شيء لكِ. لكنني أستطيع، كنت أستطيع دائمًا، أنا فقط لم أجرب حقًا أبدًا."
– "كيتاي..."
أمر:
– "أوقفي هذا." تموج تشنج عبر جسده وترنح للأمام، جافلًا، لكنه أمسك نفسه على حافة الطاولة قبل أن يسقط. "وإلا فلن تستدعي النار مرة أخرى أبدًا."
لا. لا، ليس هكذا ينتهي الأمر. لم تأتِ كل هذا الطريق ليحبطها وازع كيتاي الأخلاقي الأحمق. لا يحق له حجب قوتها كوالد متعالٍ، يدلي ألعابها بعيدًا عن متناولها.
رأت التحدي في عينيه، وتحطم قلبها.
أنت أيضًا؟
لم تهاجم أولًا. لو لم يوجه كيتاي الضربة الأولى، ربما لم تكن لتملك الإرادة لضربه. رغم خيانته كان لا يزال كيتاي —أفضل أصدقائها، مرساتها، الشخص الذي أحبته أكثر من أي شيء في العالم والشخص الوحيد الذي أقسمت على حمايته دائمًا.
لكنه وجه الضربة.

اندفع للأمام، وقبضتاه موجهتان لوجهها، وبمجرد أن فعل، كان الأمر وكأن لوح زجاج قد تحطم. حينها لم يكن هناك شيء يكبحها، لا عاطفة، لا وخزات ذنب عندما أعادت توجيه غضبها نحوه.

لم تقاتل كيتاي من قبل قط.

أدركت هذا وهما يتصارعان على الأرض —ملاحظة خافتة وعائمة كانت مذهلة حقًا، لأن كل شخص تقريبًا في صفها في سينغارد قاتل كل شخص آخر في مرحلة ما. تدربت ضد فينكا ونزهة مرات عديدة. في عامها الأول، حاولت جاهدة قتل نزهة لدرجة أنها كادت تنجح.

لكنها لم تلمس كيتاي مرة واحدة قط. ولا حتى في التدريب. المرات القليلة التي وُضعا فيها ضد بعضهما وجدا أعذارًا للبحث عن شركاء مختلفين، لأن أيًا منهما لم يستطع تحمل فكرة محاولة إيذاء الآخر، ولا حتى للتظاهر.

لم تدرك كم هو قوي. كيتاي في عقلها كان باحثًا، استراتيجيًا. كيتاي لم يرَ قتالًا منذ حملة فايسرا الشمالية. كان ينتظر دائمًا انتهاء المعارك من مسافة، محميًا بكتيبة كاملة.

لقد نسيت أنه، أيضًا، دُرب كجندي. وكان جيدًا جدًا، جدًا في ذلك.

لم يكن كيتاي بقوة نزهة، ولا بسرعتها. لكنه ضرب بدقة هشة ومميتة. هبطت هجماته بقوة قصوى مركزة في أرفع نقطة تأثير —حافة يده كالسكين، نقطة مفصله، غطاء ركبته البارز. اختار أهدافه بعناية. عرف جسدها أفضل من أي شخص؛ عرف النقاط التي تؤلمها أكثر —معصمها المبتور، الندوب على طول ظهرها، ضلوعها المتصدعة مرتين. وهاجمها بدقة وحشية.

كانت تخسر. كانت تُنهك، تبطئها الأوجاع المتراكمة لدزينة من الضربات المباشرة. حافظ على الهجوم منذ البداية. كانت تتخبط حتى لصد الضربات؛ لن تصمد دقيقة أخرى.

لهث:

— "استسلمي. استسلمي يا رين، انتهى الأمر."

– "تبًا لك." زمجرت، وقذفت بقبضتها اليمنى نحو عينه.

في غضبها نسيت أن تلك القبضة غير موجودة، أنها لن تقابل عظام وجهه الحادة بمفاصل مكورة بل بجذعة معصمها، المؤلمة والضعيفة والمحمية فقط بطبقة رقيقة ومتهيجة من الجلد.

كان الألم أبيض الحرارة، ومعجزًا. عوت.

ترنح كيتاي للخلف، خارج مداها، والتقط سكين نزهة من الأرض.

جفلت للخلف، وذراعاها مرفوعتان غريزيًا لحماية صدرها. لكنه لم يوجه النصل إليها.

تبًا.

اندفعت وأمسكت بمعصمه تمامًا بينما غرز النصل نحو صدره. لم تكن قوية بما يكفي؛ حفر الطرف تحت جلده وانزلق لأسفل، شاقًا جرحًا عبر ضلوعه. تصارعا ضد بعضهما، هي تسحب بكل قوتها بينما يدفع هو السكين ضد نفسه، النصل الحاد يرتجف على بعد بوصة واحدة من صدره.

لم تكن لتفوز.

لم تستطع التغلب عليه بالقوة. كان أقوى. كان يملك كلتا يديه.

لكن لم يكن عليها هزيمته جسديًا —احتاجت فقط لكسر إرادته. وعرفت حقيقة واحدة غير منطوقة بيقين، حقيقة سطرت علاقتهما منذ اليوم الذي قابلته فيه.

إرادتها كانت أقوى بكثير من إرادته. كانت كذلك دائمًا.

هي تصرفت. وهو تبعها. كيدين على نصل سيف، حددت هي الاتجاه ووفر هو القوة؛ كانت هي صاحبة الرؤية، وكان هو جلادها الراغب. نفذ دائمًا ما أرادته. لن يعصيها الآن.

ركزت كل أفكارها نحو العنقاء، تضرب ضد الحاجز الهش لعقل كيتاي.

أعرف أنك هناك، صلت للصمت. أعرف أنك معي.

قال كيتاي:

— "استسلمي." لكن العرق كان يقطر من جبهته؛ أسنانه مطبقة بجهد. "لا تستطيعين."

أغمضت رين عينيها وضاعفت جهودها، تتلمس حول الفراغ حتى وجدت خيطًا دقيقًا، أوهن تلميح لحضور إلهي. كان ذلك كافيًا.

اكسريه، أخبرت العنقاء.

سمعت صوت تحطم في عقلها، كوب خزفي ارتطم بالحجر.

رأت ومضة حمراء. اختفى الشاطئ.

كانا وحيدين في مستوى الروح، يقفان على جانبين متقابلين لدائرة عظيمة، كلاهما عارٍ ومكشوف بالكامل. كان كل شيء هناك، مبسوطًا بينهما. كل غضبهما المشترك، وانتقامهما، وتعطشهما للدماء، وذنبهما. قسوتها. وتواطؤه. يأسها. وندمه.

رأته عبر الدائرة وعرفت أنها إذا أرادت إخضاعه، كل ما عليها فعله هو التفكير في ذلك. كادت تفعلها من قبل —في اللحظة التي ارتبطا فيها، في اللحظات الأولى بعد أن أعادت تأسيس رابطها بالعنقاء، كادت تمحوه. يمكنها تمزيق قوة الإله عبر عقله وكأنه ليس أكثر من شبكة واهية.

عرف ذلك أيضًا. شعرت باستسلامه، بخضوعه البائس.

خضوع، وليس موافقة. كانا عدوين الآن —ويمكنها ثني إرادته، لكنها لن تحظى بقلبه مرة أخرى أبدًا.

ومع ذلك، شيء ما —عاطفة، حسرة قلب— أجبرها على المحاولة.

— "كيتاي، أرجوك..."

— "لا." قال. "فقط... افعليها. لكن لا."

ارتخى جسده. اختفى عالم الروح. عادت رين لوعيها تمامًا بينما انهار كيتاي على الأرض، ساقطًا بثقل ضد ذراعيها. ثم، بطريقة ما، كانت تركع فوقه ويدها على عنقه، وإبهامها يستقر ضد نتوء حنجرته.

التقت عيناهما. شعرت بصدمة رعب.

ميزت الطريقة التي كان ينظر بها إليها. كانت الطريقة التي نظرت بها ذات مرة إلى ألتان. كانت الطريقة التي رأت بها داجي تنظر إلى ريغا —تلك النظرة من الولاء البائس، واليائس، واللائم.

قالت: افعليها.

خذي ما تريدين، قالت. سأكرهكِ لذلك. لكنني سأحبكِ للأبد. لا أملك إلا أن أحبكِ.

دمريني، دمرينا، وسأدعكِ.

كادت تأخذ ذلك كإذن.

لكن إذا فعلت، إذا اخترقت روحه وأخذت كل ما تريده...

فلن تتوقف أبدًا. لن تكون هناك حدود لقوتها. لن تتوقف أبدًا عن استخدامه، تمزيق عقله وإشعال النار فيه كل ساعة ودقيقة وثانية، لأنها ستحتاج للنار دائمًا. إذا فعلت هذا فستمتد حربها عبر العالم وسيتضاعف أعداؤها — سيكون هناك دائمًا شخص آخر، شخص مثل بترا يحاول نفي إلهها وسحق أمتها، أو شخص مثل نزهة يحاول إثارة التمرد من الداخل.

وما لم تقتل كل واحد منهم، فلن تكون آمنة أبدًا ولن تنجح ثورتها أبدًا، لذا سيتعين عليها الاستمرار حتى تحيل بقية العالم إلى رماد، حتى تكون آخر من يبقى واقفًا.

حتى تكون وحيدة.

أكان ذلك سلامًا؟ أكان ذلك تحريرًا؟

استطاعت رؤية انتصاراتها. استطاعت رؤية الحطام المحترق للشواطئ الهسبيرية. استطاعت رؤية نفسها في مركز حريق هائل التهم العالم، وسفعه، وطهره، وأكل أساساته المتعفنة...

لكنها لم تستطع رؤية أين ينتهي.

لم تستطع رؤية أين يتوقف الألم —لا للعالم، ولا لكيتاي.

همس:

— "أنتِ تؤذينني."

كان الأمَر كأنها غُمرت بماء جليدي. مشمئزة، أطلقت نشيجًا حادًا ونترت يدها بعيدًا عن عنقه.

تزايد الطنين في الأعلى إلى هدير يصم الآذان.

بعد فوات الأوان، نظرت رين لأعلى. غلف البرق جسدها، دزينة من أقواس الضوء غير المؤلمة أسطع بألف مرة من الشمس. صمتت العنقاء. وكذلك الغضب؛ وكذلك الرؤى القرمزية لعالم يحترق. أخفى البرق ألوهيتها، وكل ما تركه خلفه كان رعبًا مطلقًا مما كادت تفعله.

أنَّ كيتاي، ولمس صدغه بإصبعين، وارتخى. ضمته رين إلى صدرها وتأرجحت ذهابًا وإيابًا، مذهولة.

— "رين." نعق نزهة.

التفتت. كان جالسًا. سال الدم على جانب رأسه، وكانت عيناه دامعتين وغير مركزتين. حدق في الكهرباء الراقصة عبر جسد رين، وفمه فاغر. نهض ببطء، لكنها عرفت أنه لن يهاجم. كان أبعد شيء عن التهديد في تلك اللحظة — بدا فقط كفتى صغير، خائف ومشوش، ضائع تمامًا فيما يجب فعله.

لا يوجد شيء يمكنه فعله، أدركت رين. لا نزهة ولا كيتاي يمكنهما تحديد ما يحدث تالياً. لم يكونا قويين بما يكفي.

هذا الخيار يجب أن يكون لها.

رأته في ومضة من الوضوح التام. عرفت ما عليها فعله. المسار الوحيد، الطريق الوحيد للأمام.

ويا له من مسار مألوف. كان واضحًا جدًا الآن. العالم حلم للآلهة، والآلهة حلمت بتسلسلات، بتناظر، بأنماط. التاريخ يكرر نفسه، وهي لم تكن سوى أحدث تكرار لنفس المشهد في نسيج غُزل قبل ولادتها بزمن طويل.

وقف كثيرون آخرون على هذه الحافة قبلها.

مايرينن تيرزا، الملكة السبيرية التي اختارت الموت بدلًا من ربط نفسها بملك كرهته.

ألتان ترينغسين، الفتى الذي احترق بسطوع مفرط، الذي أصبح محرقة جنازته الخاصة.

جيانغ زيا، نصل إمبراطور التنين، الوحش، القاتل، معلمها، منقذها.

هانيلاي، التي هربت لحتفها قبل أن تركع.

لقد مارسوا قوة غير مسبوقة، قوة لا يمكن تصورها ولا مضاهاتها قادرة على إعادة كتابة سيناريو التاريخ. وقد كتبوا أنفسهم خارجه.

الآن ها هم هنا مرة أخرى: ثلاثة أشخاص —أطفال، حقًا؛ أصغر وأقل خبرة بكثير للأدوار التي ورثوها— يحملون مصير نيكان بين أيديهم. ورين كانت مهيأة للاستحواذ على الإمبراطورية التي أرادها ريغا، لو أمكنها فقط أن تكون بنفس القسوة.

لكن أي نوع من الأباطرة كان ريغا ليكون؟ وكم ستكون هي أسوأ؟

أوه، لكن التاريخ تحرك في دوائر مفرغة كهذه.

استطاعت رؤية المستقبل وشكله كان مرسومًا بالفعل، محددًا مسبقًا بأنماط وُضعت قيد الحركة قبل ولادتها —أنماط من القسوة وتجريد الإنسانية والقمع والصدمة سحبتها عائدة إلى المكان الذي وقف فيه التريفيكتا ذات مرة.

وإذا فعلت هذا، إذا كسرت كيتاي كما كان ريغا ليكسر جيانغ، فإنها ستعيد خلق تلك الأنماط فقط —لأنه ستكون هناك مقاومة، وسيكون هناك دم، والطريقة الوحيدة التي يمكنها بها القضاء على تلك الاحتمالية هي بحرق العالم.

ومع ذلك، قرار واحد يمكنه الهروب من التيار، يمكنه دفع التاريخ عن مساره.

إنها مسيرة طويلة نحو التحرير، قال كيتاي.

أحيانًا عليكِ أن تحني الركبة.

أحيانًا، على الأقل، عليكِ التظاهر.

فهمت أخيرًا ما يعنيه ذلك.

عرفت ما عليها فعله تالياً. لم يكن الأمر استسلامًا. كان الأمر يتعلق باللعبة الطويلة. كان الأمر يتعلق بالبقاء.

وقفت، ومدت يدها ليد نزهة، ولفت أصابعه حول مقبض السكين.

تصلب.

— "ماذا تفعلين..."

قالت:

— "احصل على احترامهم. أخبرهم أنك قتلتني. أخبرهم بكل ما يريدون سماعه. قل كل ما تحتاج لقوله لجعلهم يثقون بك."

— "رين..."

— "إنه الطريق الوحيد للأمام."

فهم ما كانت تعنيه أن يفعل. اتسعت عيناه فزعًا، وحاول نتر يده بعيدًا، لكنها أطبقت على أصابعه بإحكام.

— "نزهة..."

قال:

— "لا يمكنك فعل هذا لأجلي. لن أدعك."

— "إنه ليس لأَجلك. إنه ليس معروفًا. إنه أَقسى شيء يمكنني فعله."

كانت تعني ذلك.

الموت سهل. العيش أصعب بكثير—كان ذلك أهم درس علمها إياه ألتان أبدًا.

نظرت لأسفل نحو كيتاي.

كان مستيقظًا، وجهه مثبت في عزم. أعطاها إيماءة كئيبة.

كان ذلك كل ما احتاجت رؤيته. كان ذلك إذنًا.

لم تستطع تحريره. لم يعرف أي منهما كيف. لكنها عرفت، بوضوح كما لو قالها بصوت عالٍ، أنه ينوي اتباعها حتى النهاية. مصائرهما كانت مربوطة، مثقلة بنفس الذنب.

— "هيا، الآن." شبكت أصابعها حول أصابع نزهة. أغلقت كلتا يديه حول المقبض البارد، البارد جدًا بينما تقوس البرق حولهما، بينهما. جلبت النصل للأمام. "بشكل صحيح هذه المرة."

— "رين." بدا نزهة خائفًا جدًا. كان شيئًا مضحكًا، كيف جعله الخوف يبدو أصغر سنًا بكثير، كيف دور عينيه ومحا التكشيرة القاسية لسخريته ليبدو، للحظة فقط، كالفتى الذي قابلته أول مرة في سينغارد. "رين، لا..."

أمرت:

— "أصلح هذا."

ارتخت أصابع نزهة في يدها. شددت قبضتها؛ كان لديها ما يكفي من العزم لكلاهما. بينما هبطت المناطيد نحو سبير، رفعت يد نزهة إلى صدرها وغرزت النصل في قلبها.

خاتمة

كانت صغيرة جدًا.

لم يستطع نزهة استيعاب الغرغرة المختنقة في حلقها، أو الذعر الزجاجي في عينيها، أو دفء دمها وهو ينسكب على يديه. لم يستطع، وإلا لتحطم. بينما كانت رين تنزف حتى الموت فوق الرمال، كانت الفكرة الوحيدة التي تركض عبر عقله هي أنها صغيرة جدًا، وخفيفة جدًا، وهشة جدًا بين ذراعيه.

ثم توقفت الاختلاجات، ورحلت.

رقد كيتاي ساكنًا بجواره. عرف أن كيتاي قد رحل أيضًا — أن كيتاي مات ميتة خالية من الدم في اللحظة التي غرز فيها نزهة النصل في قلب رين، لأن رين وكيتاي كانا مترابطين بطريقة لن يفهمها هو أبدًا، ولم يكن هناك عالم تموت فيه رين ويبقى كيتاي حيًا. لأن كيتاي — الطرف الثالث، والوسط، والثقل الذي رجح الكفة — اختار اتباع رين إلى الحياة الآخرة وترك نزهة خلفه. وحيدًا.

وحيدًا، ويحمل العبء الهائل لإرثهما.

لم يستطع التحرك. وبالكاد استطاع التنفس. وبينما كان يحدق لأسفل في الجسد الضئيل بين ذراعيه — المرتخي والهامد، والمختلف تمامًا عن الإعصار البشري الشرس الذي عرفه باسم فانغ رونين — لم يستطع فعل شيء سوى الارتجاف.

فكر: أيتها العاهرة. أيتها العاهرة اللعينة.

أدرك بشكل غائم أنه يجدر به أن يكون سعيدًا لموتها. كان يجب أن يكون مبتهجًا بحق الجحيم. وعقلانيًا، وفكريًا، كان كذلك. رين كانت وحشًا، وقاتلة،

ومدمرة للعوالم. لا شيء سوى الدم والرماد تبع أثرها يومًا. العالم مكان أفضل، وأكثر أمانًا، وأكثر سلامًا بدونها. آمن بذلك. كان عليه أن يؤمن بذلك.

ومع ذلك.

ومع ذلك، حين نظر إلى ذلك الجسد المكسور، كل ما أراد فعله هو أن يعوي.

لماذا؟ أراد أن يصرخ في وجهها. أراد هزها، وخنقها، حتى تجيب. رين، لماذا بحق الجحيم؟

لكنه عرف السبب.

عرف بالضبط الخيار الذي اتخذته وما الذي كانت تنويه. وذلك جعل كل شيء — كرهها، وحبها، والنجاة بعدها — أصعب بكثير.

أصلح هذا.

أمال رأسه للخلف. اهتزت ركبتاه من موجة إرهاق غسلت أطرافه، وأخذ نفسًا عميقًا ومتهدجًا وهو يتأمل المهمة الهائلة أمامه.

أصلح هذا؟ أصلح هذا؟ ما الذي تبقى لي لأعمل به؟ لقد حطمت كل شيء.

لكن بلادهم كانت دائمًا بلادًا محطمة. لم تكن موحدة أبدًا، ليس حقًا؛ لم تكن متماسكة إلا بقوة الحديد والدم، واجهة لوحدة داخلية، بينما هددت الفصائل دائمًا بالانشقاق من الداخل. أجبرت رين تلك التوترات على الطفو للسطح، ثم دفعتها لنقطة الانهيار. أجبرت "النيكان" على مواجهة أعظم كذبة قيلت عنها على الإطلاق — أنه كانت هناك إمبراطورية نيكانية موحدة من الأساس.

ومع ذلك، أرست له أساسًا. أحرقت كل ما كان عفنًا وفاسدًا. لم يضطر لإصلاح نظام أمراء الحرب لأنها دمرته لأجله. لم يضطر لمواجهة رد الفعل

العنيف من النظام الأرستقراطي الإقطاعي المتداعي، لأنها حطمته بالفعل. مسحت خرائط الماضي. وقذفت بالقطع خارج رقعة اللعب.

كانت إلهة. كانت وحشًا. كادت تدمر هذا البلد.

ثم منحته فرصة أخيرة، ولاهثة، للحياة.

عرف أنها لم تفعل هذا لأجله. لا، لم تمنحه رحمة عظيمة. كانت تعلم أن مستقبله — المستقبل الذي كلفته به للتو — مليء بالفظائع. عرف كلاهما أن طريق "النيكان" الوحيد للمضي قدمًا كان عبر "هسبيريا" — عبر كيان قاسٍ، ومتغطرس، واستغلالي سيحاول بالتأكيد إعادة صياغتهم وتشكيلهم، حتى تدفن البقايا الوحيدة للثقافة النيكانية في الماضي.

لكن "النيكان" نجت من الاحتلال من قبل. إذا لعب نزهة أوراقه بشكل صحيح — إذا انحنى حيث يجب عليه الانحناء، وإذا ضرب في الوقت المناسب تمامًا — فقد ينجون من الاحتلال مرة أخرى.

لم يكن يعرف كيف سيتحمل ما سيأتي تاليًا، لكن كان عليه المحاولة.

كان يدين لها بالمحاولة.

أنزل نزهة جسد رين إلى الأرض، ووقف، وقوم كتفيه، وانتظر قدوم الأسطول.

-تمت-

الإله الناري

(الجزء الأخير من ثلاثية حرب الخشخاش)



ر. ف. كوانج

الجزء الختامي من ثلاثية الفانتازيا الرائعة (حرب الخشخاش).

لقد تعرضت "رين"، للخيانة من كل من أخلصت لهم. الآن، تتراجع إلى موطنها في الجنوب، في حين يتقاسم أمراء الحرب والغزاة الإمبراطورية فيما بينهم. ولكن في الجنوب، الذي يتسم بالفقر والبساطة، تكتشف "رين" قوة الشعب التي لم يلاحظها أحد من النبلاء بعد: أعدادٌ لا تُحصى من عامة الشعب، الذين يؤمنون فعلاً بهذه الشابة كإلهةٍ للخلاص.

ربما لا يزال حلم "رين" بالحرية ممكناً بعد كل شيء! ولكن بينما تتنامى قوتها ونفوذها، ترتفع أيضاً همسات العنقاء المُغوية. فهل ستقاومها "رين"؟ أم أنها ستنساق وراءها - وتشعل النيران في العالم بأسره؟

9 789921 712957

info@daralkhan.com